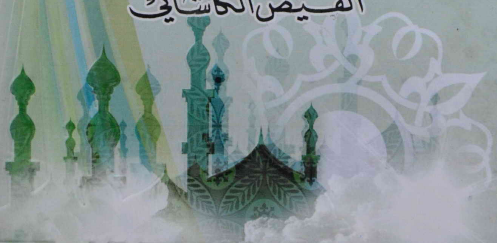
آداب السالكين في معرفة أسرار عبادات العارفين

من تراث المحدّث الكبير

الفيض الكاشاني



مع تعليقات العلماء الأعلام

الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي
العارف المتأله السيد حيدر الآملي
العارف القاضي سعيد القمي
الشيخ الجليل المولى محمد مهدي النراقي
الشيخ الحجة الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي
آية الله العظمى الامام الخميني الموسوي

دار المحجة البيضاء

آداب السالكين

في

معرفة أسرار عبادات العارفين

بسم الله الرحمن الرحيم

آداب السالكين
في
معرفة أسرار عبادات العارفين

من تراث المحدث الكبير
الفيض الكاشاني

دار المحجة البيضاء

الطبعة الثانية
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُطلِع من اختار من عباده الأبرار، على خفايا الأسرار؛ ومودع قلوب أصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر والأبصار، وجاعل القلوب سبباً للنجاة، وموضعاً للمناجاة والمبارّ، وذريعة إلى ارتفاع الدرجات، وتفاوت مراتب العبادات، في قبول طوالع الأنوار، من مطالع المسَارّ. وفتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب عمّن شاء واختار، ورفع حجب السرائر، وجلا أبصار البصائر، ففهمت الإشارات، ورفعت الأستار، فدهشت في مبادي إشراق نوره الأحداق والأنظار. والصلاة على نبيّه وحبيبه ومعدِن سرّه محمّد النبيّ المختار، وعلى آله الأئمّة الأبرار، وصحبه الأخيار، صلاةً دائمةً بدوام الليلَ والنهار.

أمّا بعد، فإنّ رَوح السعادة وبهجتها، ورُوح العبادة ومهجتها، وموجب تلقّيها بأيدي القبول والإحسان، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان، والتسبّب بها إلى ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، والانتساب بها إلى عالم الملكوت والملائكة الغُرر، وتلقّي الفيض من عالم الغيب والشهادة، وإيجاب القليل منها لعظيم الزيادة؛ إنّما يتمّ بالإقبال بالقلب في أفعالها وحركاتها وسكناتها على الله تعالى، والتفكّر في أسرارها، وتقلّب النفس في حالاتها حسب اختلاف أوضاعها وأطوارها.

هذه الأعمال والأسرار العبادية التي أشير إليها إن أمكن العبد أن

يؤدّيها، ويراعي حقّها، يخلّصها من آفاتها، فطوبى له ثمّ طوبى له، ولكنّها مظنّة الاشتباه حتى على الكاملين، فعلى المراقب الحذر من غرورها.

وإن لم يقدر على إتيانها أو لم يقدر على رعايتها حقّ رعايتها، فله حينئذٍ:

أولاً: أن يستغفر ذنبه حيث إن ذنبه صار سبباً لسلب التوفيق.

وثانياً: أن يستفهم خصوص الذنب الّذي صار سبباً لهذا الخذلان، فيمحوه بتوبة واستعلاج، ويراقب اجتنابه عند كلّ عمل، حتى يخلص من الخذلان فيما بعد أيضاً.

ويحزن لما فاته ويتداركه بقضاء إن كان ممّا يقضى، أو بعمل غير القضاء ويرى نفسه خاسراً، لأنّ الفائت المتدارك بالبدل وإن كان متداركاً ببدله إلا أن المبدل أيضاً كان ممكناً مع المتدارك ففات، فلا بد له إلا أن يؤثر الفوائت في قلبه حزناً وحسرةً يحرق بها آثار الخذلان، ويتدارك معها نور التوفيق، بل قد يزيد نورهما على نور توفيق العمل، فإنه تعالى كريم العفو، قد يعفو عن التقصير بعفوه، ويبدّله بالاجتهاد بكرمه، ويزيد في البدل أضعاف ما فات.

ثمّ إنّ هذا الذي ذكرنا أوّلاً إنّما هو بحكم الفرض، وأمّا حكم الواقع غالباً أو دائماً [فهو] أنّ المجاهد لا يطمئن بإصابة الواقع في مجاهداته، فله أن يبذل كلّ مقدوره في العمل بكمال جدّه حتّى يعرف معرفة جزئية حقيقية ناشئة من العمل أنّ الإصابة لا يمكن إلا بعون الله وحوله وقوّته، لأنّ المخلص كما عن الصادق عليه السلام: «أذل روحه، وذائب مهجته، في تقويم ما به العمل والعمل، والعامل والمعمول بالعمل»، وهذا أمر صعب لا سبيل للعبد إلى البلوغ إلاّ بتوفيق خاصّ من الله جلّ جلاله.

وإذ قد أتى العبد مجهوده، وعرف عجزه عن نيل المراد فيضطرُّ عند ذلك للاستعانة بحقيقة قلبه، ويحترف على باب كرم الله جل جلاله، فيدركه عند ذلك نفحات رحمته الرحيميّة، لأنّه تعالى كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين المحترفين على بابه لطلب مرضاته، فيقبله ويرضى عنه، ويدخله في عباده المخلصين، لأنَّ الإخلاص معنى مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، وقبل القبول والرضا لا يوجد الإخلاص.

فعلى العبد أن يكون تمام جدّه وغاية سعيه في معرفة آفات الأعمال، حتّى يجتهد في تخليص عمله ببذل مجهوده، حتّى يورثه ذلك معرفة العجز والإضطرار والتسليم إلى الله، والطلب منه، وإذا أتى بذلك، ووكل أمره إليه فإنّه يكفيه في كلّ ما سلّم إليه ولا يضنّ ولا يبخل، ولا يخون ولا يجفو.

ولكن الحذر الحذر أن يختدعه الخبيث، فيوقعه في ترك المجاهدة، ويسمّيه بمعرفة العجز والاضطرار والتسليم، فيجمع له مع ترك المجاهدة دعوى هذه المقامات العالية بالكذب والفرية، فيلزم من الاختداع والنجاة من الغرور أن يستكشف حقائق هذه الصفات، ويختبر حاله بالعلوم الربّانية، والكواشف القطعيّة البرهانيّة.

ولا يمكنه استكشاف حقيقة معرفة العجز عن دعواها، ومعناها عن صورتها إلاّ بأن يضع نفسه في عمله موضع العاجز بالنسبة إلى جميع الأمور، ولا يرى في الوجود قدرة إلا الله، فإذا تحقّق العبد بهذه المعرفة لا يرى في العالم ضارّاً ولا نافعاً إلاّ الله، فإذاً لا يسعى ولا يتحرّك ولا يسكن إلا من جهة أمر الله، وبقوّة الله.

ومن لوازم هذه الصفة أن لا يتملّق للسلطان، ولا يخاف أحداً إلاّ بالله،

بل ولا يشكر أحداً ولا يذمّه بعطاء ومنع، فيشكر الله عند عطائه ويذمّ نفسه بمنعه، وإذا انضمَّ إلى ذلك معرفة وجه الحاجة إلى نعمة الله، وعدم الاستغناء من نعمه، تحقّق الاضطرار، وإذا انضمّ إلى ذلك معرفة عنايته وقدرة وجوده تحقّق أمر التسليم والتوكّل.

وإلاّ فمن يرى التأثير في الأسباب ويسعى لها بغير أمر الله، بل في محلّ نهي الله ولا يطمئنّ بضمان الله في وعده بالرزق، وإجابة الدعاء، وكفاية المتوكّلين، يخاف من الفقر عند البذل الواجب أو الحسن، ويذمّ الناس بالمنع ويتملّق للأغنياء والسلاطين، ولا يجتنب في تحصيل رزقه وكسب معاشه عن الشبهات، بل ويتكسّب المحرّمات، ويسعى في طلب المال طلب الحريص، ولا يجمل في الطلب كما ورد به الشرع، كلّ ذلك يخالف هذه الصفات، فيتبيّن عند العارف أنّ تسليمه عبارة عن عدم المبالاة بأمر المجاهدة، وهو في دعواه كاذب، ومستحقٌ لخذلان آخر، غير ترك أمر المجاهدة.

فعلم من ذلك كلّه أنّه لا بدّ للعاقل من بذل غاية الجهد لا سيّما في الإخلاص آيساً من قدرته على ذلك، ولكن رجاء بفضل الله وعنايته، فعند ذلك يرحمه ويمنّ عليه بكرمه بالقبول والرضا والإخلاص، وأمّا ترك المجاهدة فلا يجوز بحال سواء في ذلك حال التسليم وعدمه.

وبالجملة للصورة حكم في جميع العوالم وللمعنى أيضاً حكم يختلفان لا يؤثّر الصورة أثر حكم المعنى في شيء من العوالم، وقد يكون للصورة المخالفة للمعنى حكم مضادّ لحكم المعنى، فيؤثّر ضدّ أثر المعنى كما أنّ الشهادة للإسلام والتوحيد إذا خالف بما في القلب يؤثّر أثر النفاق المضادّ لحكم معنى الإسلام وحقيقته، فيوجب الخلود في أسفل الدركات.

وهذا الحكم مطّرد في جميع الأُمور الدينيّة والدنيويّة، فإنّك لا تقبل من أولادك وخدمك في طاعتهم لك وخدمتهم الصورة المحضة المخالفة لحقيقة الطاعة، بل تعدُّها استهزاءً وتجازيه جزاء المعصية، مثلاً إذا أردت منه تعظيمك وقال بلسانه: أنت عظيم العظماء، ورأيته يخالف بقلبه وعمله في هذا التعظيم فلا تقبل منه هذا القول للتعظيم، بل تقول: إنّه أهانني واستهزأ بي، وأيُّ فرق في أمر الله تعالى لعباده بتكبيره في الصلاة، مثلاً مع توقّعك من عبيدك وخدمك تكبيرك وتعظيمك، كيف لا تقبل منه للتكبير قوله: أنا أُكبّرك، إذا خالف في ذلك قلبه وأعماله، وحقٌّ على الله تعالى أن [لا] يقبل منك لفظ التكبير، المخالف بقلبك وعملك.

أما سمعت ما في مصباح الشريعة من قوله ﷺ: «إنّ الله إذا اطّلع على قلب العبد إذا كبّر ورأى فيه عارضاً عن حقيقة تكبيره، قال له: يا كاذب أتخدعني».

وفي بعض الروايات أنّ العبد إذا كبّر في صلاته وأثنى على الله قال الله: اشهدوا يا ملائكتي كيف رفع يده ونزّهني وكبّرني فأُشهدكم أنّي سأُكبّره وأُنزّهه في منزّهات دار كرامتي.

فانظر يا أخي هذا المقام السنّي الذي يبهر العقول ويزيد على المأمول للتكبير الواقعيّ، كيف يتبدّل حكمه بالطرد والعقاب، على التكبير الصوريّ المخالف لحقيقة التكبير، وإنّما حكم بالآثار بهذا المنوال في غيره من الأذكار والأفعال، فلا يقبل الصورة عن المعاني في شيء منها.

وفي الأخبار المستفيضة أنّه: كان النبيُّ ﷺ إذا ادّعى عنده أحد الإيمان أو شيئاً من مقامات الدين، يقول له: «ألا لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة دعواك» أما يكفي في ذلك ما في كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وبالجملة فعلى العبد أن يجعل همّه وجدّه، كلّه في تصحيح العمل وإخلاصه عن الآفات، وعن شوائب الهوى، فلو قدر أن يقول: لا إله إلا الله مرّة بقلبه وعمله بل وروحه وسرّه وجميع جوارحه، فهو أنفع من أن يأتي تمام عمره بقيام الليالي وصيام الأيّام مع دوام الذكر من دون إخلاص.

وإن شئت تصديق ذلك فانظر إلى عمل إبليس فإنّه عبد الله مع الملائكة آلاف السنين لم ينفعه ولم يمنع عن العذاب واللعن، وإلى آدم عليه السلام حيث إنّ كلمات منه في التوبة صارت سبباً لقبول توبته، ومقام الاجتباء، وفي الأخبار أنّ للمرائي في القيامة أربعة أسماء: يا كاذب، يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، هذا.

ومن أهمّ ما يترتّب على المجاهدة في إخلاص العمل عن الآفات، التواضع القلبيُ الحاصل من معرفة ضياع أعماله، فإنّه يورث في القلب ذلّة باطنية بحيث يتنفّر عن عمله وعن نفسه، ويكون زارياً لنفسه غير مدلّ بعبادته، وغير معجب بها فكلّما سعى أن يأتي بعمل صحيح ولم يقدر عرف عجزه، ويضطرُ إلى الاحتراف بأبواب الفضل والكرم والجود، ويرى نفسه وهواه أعدى عدوّه فيزري نفسه.

وهذه الذلّة الباطنة، وإزراء النفس تنفعه أكثر من عبادة سبعين سنة، كما روي أنّ عابداً عبد الله سبعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فطلب إلى الله حاجة فلم يقضها له فأقبل لوماً على نفسه وقال: من قبلك أُوتيت، لو كان عندك خير قضيت حاجتك.

فأنزل الله إليه ملكاً فقال: يابن آدم ساعتك الّتي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك الّتي مضيت.

نعم هو عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأخبار، ولعمري إنّ العمدة في ضياع أمر الآخرة والأديان، وصحّة أمر الدنيا واستقامة أمر الهوى، إنّما هو من هذا الباب لما نراه بالوجدان أنّ الغالب على أهل الدين في أُمور الآخرة من عباداتهم وأعمالهم، بل وإيمانهم وأخلاقهم الاكتفاء بالصورة، والغالب على أهل الدنيا عدم الاكتفاء بها بل يداقّون في تكميل المعنى.

مثلاً أهل الأديان يكتفون غالباً في صلاتهم بإقامة الصورة، ويسعون في تكميل الصورة ولا يبالون بفقدان المعنى والروح، فإنّ للصلاة صورةً وروحاً في كلّ جزء من أجزائها وشرائطها، من طهارتها وتكبيرها إلى تسليمها وتعقيبها، من أفعالها وأذكارها وهيئاتها، ترى المصلّين يتعلّمون الصورة حتّى أنّهم يجتهدون في تصحيح أمر تقليدهم وتعلّم صورة الصلاة ويحتاطون في ذلك ويناقشون في علم المقلّدين وورعهم، ويداقّون في تصحيح الرسائل ويناقشون في عباراتها، ويبالغون في تطهير الماء وتطهير الأعضاء، ويجتهدون في إيصال الماء على أعضاء الوضوء، ما لم يأت به الشرع بل نهى عنه صريحاً وهكذا في تطهير المكان واللباس وفي أداء الحروف عن المخارج في القراءة والأذكار بحيث يفسدون القراءة والذكر من كثرة المبالغة وأما تطهير الجوارح من المعاصي والقلب عن الأخلاق الرذيلة وعن النفاق وعن محبة الدنيا وعن الشغل بغير الله فكأنّه غير مأمور به.

وهكذا يسامحون في إتيان حقائق الأفعال والأذكار حتى ترى الفحول من أهل العلم لم يتعلّم المراد من بعض أفعال الصلاة مع أنّه مذكور في الأخبار مثل رفع اليد بالتكبير ونفس القيام وهكذا الركوع والسجود ومدّ العنق في الركوع ورفع الرأس من السجود والتشهّد والسلام، وقد ورد في أخبار آل محمد عليهم السلام لكلّ منها معنى وحقيقة إن لم يأت [بها] بقصد ذلك المعنى منه فكأنّك لم تأت بها.

وأمّا أهل الدنيا في أُمورهم الدنيوية، فلا يقنعون بالصورة بل يجدُّون في إتيان الحقائق، فما رأيت أحداً من الناس أن يكتفي من الحلوى بصورتها ونقشها أو قراءة لفظها بل إذا نقص أحد أجزاءها عن حدّ الكمال ينفون الاسم، ويقولون: هذا ليس بحلوى، وهكذا في غيرها من الأشياء والأُمور.

مثلاً إذا تواضع الولد لوالده في أغلب حالاته واقعاً، وأتى في بعضها الآخر بالصورة الخالية عن المعنى، وعرف ذلك الوالد، يقول: إنّه لم يتواضع لي واستهزأ بي، وإذا أمر لبنّاء أن يبني له عمارة وسوّى هذا البنّاء العمارة من بابها إلى محرابها كما أمره ولكن لم يتّخذ لما بنى أساساً وعرف صاحب العمارة أنّها تخرب بعد أشهر لا يعطيه الأُجرة ويقول له: إنّك لم تبنِ ما أمرتك به، فلا تستحقُّ أُجرة، بل يطلب منه قيمة الجصّ وغيره.

وبالجملة ما رأيت أحداً يقنع في أُمور دنياه بالصورة، ولكن أغلب الناس إن لم يكن كلّهم لا يأتون في أغلب الأُمور الأخروية إلاّ بالصورة، ومع ذلك يتوقّعون من الصورة أثر الرُّوح فلا يجدون.

فإذا كان قصد الكاتب إثبات علوم نافعة للمسلمين لا يكتب إلا ما هو أنفع ولا يبالي لما يقال، ولا يهمّ بتحسين العبارة، ولا يعتني بإظهار الفضيلة، بل لا يهمُّ بحسن النظم والترتيب، بل يكون اهتمامه في إثبات مطالب نافعة مؤثرة في القلوب مرضيّة للخالق.

وبالجملة ابتلينا في أمر الدين وما يتعلّق بالآخرة بالتهوين، واكتفينا بالصورة الخالية من الحقائق، وسامحنا في تحصيل المعاني، هذا.

ولا يذهب عليك أنّ مقصودنا من الاهتمام بالحقائق والمعاني والزجر عن الاكتفاء بالصور، ليس نفي الاهتمام بالصورة أيضاً مطلوبة جداً، ولكنّ

المقصود الترغيب في الجمع بين الاهتمام بالصور والمعاني كلٌ بحسبه على ما يقتضيه حكم الله، واهتمام رسول الله ﷺ وأمّا رفض الصور كلية كما قد تتراءى من بعض الصوفية ـ خذلهم الله ـ فهو أيضاً ضلال، بل هو ضلال مع إضلال، وفيه خروج عن الدين.

بل الّذي يتراءى من هذه الطائفة المدّعين للحقائق والمهملين للصور والتاركين لها، أنّهم يتركون المعاني أيضاً بل التارك للصورة أترك للمعاني من الصّور، وهذا أضرّ للإسلام من كل شيء، لأنّ بقاء الدين بحفظ الصورة غالباً.

لا لأنّ الإسلام عبارة عن الصورة والمعنى معاً، والتارك للجزء تارك للكلّ وإن كان هذا حقّاً لا مرية فيه، بل لأنّ المراقبة للصورة وحفظها أقوى في اقتداء الناس بالشرائع والديانات لأنّ المعاني أُمور باطنيّة لا يظهر في الأغلب على النّاس حتّى يوجب اقتداؤهم والظاهر إنّما هو الصور، ولكن زيادة الاهتمام بالأرواح والمعاني من جهة أنّها أنفسها أهم عند الشارع من الصور، فليكن الاهتمام بكلا الأمرين مساوياً، ولكن يزيد الاهتمام بالظواهر في الظاهر والصورة، وبالأرواح والمعاني باطناً ومعنىً.

وأخيراً أسأل الله أن يهديني إلى طريق النجاة، وإن ينور قلبي لفهم أسرار تلك العبادات فأقول مستعيناً:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدي يا إلهي أنا عبدك الّذي لم أكن شيئاً مذكوراً، فأوجدتني بعنايتك وأكرمتني بمواهبك، وتفضّلت عليّ بالنعم التي لا أُحصيها من كثرتها.

مولاي أنت الّذي أنعمت، أنت الّذي احسنت، أنت الّذي أجملت، أنت الّذي أفضلت، أنت الّذي مننت، أنت الّذي أكملت، أنت الّذي رزقت، أنت الّذي أعطيت، أنت الّذي أغنيت، أنت الّذي أقنيت، أنت الّذي آويت، أنت الّذي كفيت، أنت الّذي هديت، أنت الّذي عصمت، أنت الّذي سترت، أنت الّذي غفرت، أنت الّذي أقلت، أنت الّذي مكّنت، أنت الّذي أعززت، أنت الّذي أعنت، أنت الّذي عضدت، أنت الّذي أهديت، أنت الّذي نصرت، أنت الّذي شفيت، أنت الّذي عفيت، أنت الّذي أكرمت وتباركت ربّي يا إلهي وتعاليت.

أنا الّذي أخطأت، أنا الّذي أغفلت، أنا الّذي أذنبت، أنا الّذي عصيت، أنا الّذي خالفت، أنا الّذي جهلت، أنا الّذي عميت، أنا الّذي سهوت، أنا الّذي اعتمدت، أنا الّذي تعمّدت، أنا الّذي وعدت، أنا الّذي أخلفت، أنا الّذي نكثت.

أنا إلهي الّذي أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذا براءة فأعتذر، ولا ذا قوّة فأنتصر، فبأيّ شيء أستقبلك يا مولاي؟ أبوَجهي الخلق المظلم، أم بسمعي المذنب، أم بلساني العاصي، أم بيدي المسيء، أم برجلي المتعدّي أليس كلّها نعمك عندي وبكلّها عصيتك؟!

ويلاه لو علمت الأرض بذنوبي لساخت بي وابتعلتني، ويلاه لو علمت

الجبال بذنوبي لهدّتني، ويلاه لو علمت البحار لأغرقتني، الويل لي إن كان عقابي مذخوراً لآخرتي.

فيا ويلي والعول لي إن أُتي بي يوم القيامة مغلولةً يدي إلى عنقي، ويا ويلي والعول لي إن بدّلت النار جسدي، يا ويلي والعول لي إن قصف على رؤوس الخلائق ظهري، يا ويلي والعول لي إن اسودَّ يوم القيامة وجهي، فيا ويلي والعول لي إن قويست أو حوسبت أو جزيت بعملي.

ويلاه ليت الّذي خفت منه نزل بي ولم أُسخط، ويلاه إنّي لمفتضح بعظيم ذنوبي عند لقاء ربّي فما أقلّ حيائي.

فيا سبحان هذا الربّ الودود يستر عليّ عيوبي كأنّه استحياني عند معصيتي له، أظهر محاسني وكتم معصيتي حتّى كأنّي لم أزل في طاعته، وأرضيت عباده بسخطه ولم يكلني إليهم وكفاني من سعته، وعصيته فستر عليّ، وغضب على من عيّرني بمعصيته، وسترني من الآباء والأُمهات أن يزجروني، ومن العشائر والإخوان أن يعيّروني، ومن السلاطين أن يعاقبوني، ولو اطّلعوا على ما اطّلع منّي إذاً ما أنظروني.

مولاي إلهي لو علمت أنّك لا تحيبني بعد الموت لألقيت بيدي استحياء من مواجهتك يوم ألقاك، وفراراً من فضيحة يوم القيامة عند الأبرار، ويا سيّدي ومولاي لو كان لي جلد على انتقامك، وطاقة على عذابك، لما سألتك العفو عنّي، رضيت أن تعذّبني سخطاً على نفسي، كيف عصتك ولم تراقب حضورك، أقبلت عليها فأعرضت عنك.

ثمّ إنّي ـ مولاي قد أكثرت التفكّر في أحوالي حتى حار في ذلك ذهني، وكلّ عقلي، ولم أجد حيلة لإصلاح نفسي، وعمدت إلى الإخلاص

في عبادة ربّي، فغلبني هواي وغرّني عدوّي، فكلّما دنوت من رضاك شبراً أبعدني عنه ذراعاً، فما بقي لي حيلة ولا وسيلة إلاّ عصمتك إن مننت بها عليّ.

فأيقنت أنّه لا حول عن المعصية، ولا قوّة للطاعة إلا بك، فبقيت مضطراً إلى رحمتك فها أنا ذا بين يديك ذليل عليل [مذعن] بذنوبي، مقرّ بقبائحي، معترف بمساءتي ولؤمي، موقن بأنّه لا نجاة لي ممّا أوقعت فيه نفسي إلاّ منك، ولا سبيل إلى الوصول بكرامتك إلا بك.

فأنا اليوم مفتضح بعملي، وذلّ مقامي وقبيح فعالي ومستوجب لأليم عذابك، بئس عقابك بل وطردك وإبعادك إلاّ أن تدركني عنايتك، وتسعني رحمتك وينالني كرم عفوك، وتمحو عنّي دنس الخطيئات، وتطهّرني من دنس السيّئات بعفوك وتبدّل سيئاتي بأضعافها من الحسنات بكرمك وتوصلني إلى رفيع الدّرجات بفضلك.

وإن ناقشني فضلك بعدم الأهلية فمن أين آتي بها إن لم تجد بها عليّ، وإن كان ذنبي قد أخلق بوجهي عندك، ومنع عن شمول رحمتك بي، فبوجوه أوليائك المشرقة عندك أتوجّه إليك وأتوسّل أن لا تؤاخذني بلؤمي وذنبي ولا تخيّبني من جودك وكرمك وتقبلني بمحمّد وعليّ وآلهما الطّاهرين - صلواتك عليهم أجمعين - كما قبلت سحرة فرعون بموسى وهارون فإنّك جعلتهم الوسائل إليك وذرائع إلى رحمتك، فاقبلني بهم وعملي المشوب بإخلاصهم، ومعصيتي بإطاعتهم، وكسلي بجدّهم، وسوء خلقي بحسن أخلاقهم، وغفلتي بذكرهم، لؤمي بكرمهم، وألحقني بهم واجعلني من شيعتهم المقرّبين وأوليائهم السّابقين كما مننت عليّ بمعرفتهم وولايتهم.

فبقديم فضلك الّذي وهبتني ولايتهم والانتساب بهم أثبتني في أهل ولايتهم، احشرني في زمرتهم، وأكرمني بجوارهم، واقبل مني كتابي هذا بقبولك الحسن، واجعله يوم القيامة بيميني والخلد في الجنان بيساري، فإنّي وإن لم أُخلص فيه نيّتي بيد عبادك المخلصين أعرضه إلى جناب قدسك، وباب كرمك، فاقبل زيّف عملي بخلوصهم.

فإنّك يا سيّدي إن مننت عليّ في جملة ما كتبته من مراتب الإخلاص فاغلبه على شوائب الهوى فإنّ التغليب للشريف أمر معمول، لا سيّما إذا عرض عليك بأيدي أشرف بريّتك وأكرم خليقتك، وأحبّ أوليائك صلواتك عليهم فإنّ ظلمتي لا يقوم قبال نورهم ومقتضى حكمتك أن تقبل مسيئاً بمحسن وعاصياً بمطيع، مشوباً بخالص، فاقبل منّي كتابي واقبل استشفاعي بهم وإذا قبلت فعوّضني منه رضاك قبل لقائك، ثم لقاك لقاك لقاك.

إلهي يا مولاي تقدّس رضاك أن يكون له علّة، فكيف يكون علّة منّي وأنت غنيٌّ عنّي وعن كتابي، وانفع به إخواني المؤمنين واجعله من أسباب مغفرتك ووسائل رضاك، وحبائل توفيقك لي ولإخواني المؤمنين والمؤمنات، وأنظمه في عداد رسائل أوليائك الخالصة لوجهك، فإنّه لا يعظم عليك شيء من ذلك ولا ينقص من ملكك عطاؤك.

مولاي يا إلهي وسيّدي أنا من خوفك وخشيتك ما قدرت أن أحسب رسالتي هذه من حسناتي، بل عددتها من سيّئاتي، ولكن لا أستبعد من كرم عفوك أن تبدّلها بالحسنات، فتعطيها يوم القيامة بيميني، فتقرُّ بها عيني، ويفرّح بها قلبي، وأُقبلها وأضمها إلى صدري وأستأنس بها وأقول:

هذا ممّا قبلها ربّي، ولك الحمد على ما وهبتني من الرّجاء بعظيم

فضلك، وكرم عفوك، كيف ولولا رجاؤك لأهلكنا القنوط وخوف العقاب. والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطّاهرين وسلّم.

اللهم نوّر ظاهرنا برحمتك، وباطننا بمعرفتك، وقلوبنا بمحبّتك، وأرواحنا بمشاهدتك، وأسرارنا باستقلال اتّصال حضرتك، وصلّ على محمّد وآله وارزقنا بهم مغفرة بلا عذاب، وجنة بلا حساب، وعفواً بلا عتاب، ورؤية بلا حجاب بمحمّد وآله الأطياب.

«محسن عقيل»

أسرار الطهارة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي تلطّف بعباده، فتعبّدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم، تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالرقّة واللّطافة، والصلاة على محمدّ المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، تحمينا بركاتها يوم المخافة، وتنصب جنّة بيننا وبين كلّ آفة.

بني الدين على النظافة

أمّا بعد: فقد قال النبيُّ ﷺ: «بني الدين على النظافة»[١].

وقال: «مفتاح الصّلاة الطهور»[٢].

وقال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣].

وقال ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»[٤].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[٥].

---

(١) قال العراقي: لم أجده هكذا، وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة: «تنظفوا فإن الأسلام نظيف». والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود: «النظافة تدعوا إلى الإيمان» انتهى كلامه.

(٢) أخرجه الترمذي ج٢ ص ١٥. وأحمد في المسند ج١ ص ١٢٣.

(٣) سورة التوبة: الآية، ١٠٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ٢٦٠، وج ٥ ص ٣٤٢. وصحيح مسلم ج١ من ١٤٠ وسنن الدارمي ج١ ص ١٦٧ «الطهور شطر الإيمان».

(٥) سورة المائدة: الآية، ٦.

فيفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أنّ أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»، عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء، وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخباث والأقذار، هيهات هيهات.

مراتب الطهارة

والطهارة لها أربع مراتب:

الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام.

الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

الرابعة: تطهير السرّ عمّا سوى الله وهي طهارة الأنبياء عليهم السلام والصدّيقين.

والطهارة في كلّ رتبة نصف العمل الّذي فيها، فإنّ الغاية القصوى في عمل السرّ أن ينكشف له جلال الله وعظمته، ولن تحلّ له معرفة الله بالحقيقة في السرّ ما لم يرتحل ما سوى الله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[1] لأنهما لا يجتمعان في قلب ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[2][3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية، ٩١

(٢) سورة الأحزاب الآية، ٤.

(٣) قال العارف القاضي سعيد القمي:

= إعلم أنّ الطّهارة لغةً: النظافة وهي: إمّا طهارة الظّاهر أو الباطن.
والثاني: إمّا طهارة النفس أو العقل أو السرّ.
والأول: إمّا طهارة الحسّ أو طهارة الأعضاء من حيث مدخليّتها لإباحة عبادة ولا يقبل النقصان و الزيادة، أو طهارة الأعضاء لا من هذه الجهة.
فالطهارة المعنوية للنفس، تخليتها من سفساف الأخلاق ومذامّ الأوصاف وتحليتها بمحاسنها ومحامدها.
وطهارة العقل من دنس الأفكار المضلّة ووسخ الشُّبَه والآراء الباطلة.
وطهارة السرّ من النظر إلى غير الله ونسبة أمر إلى ما سواه.
وأمّا طهارة الظاهرة للحسّ: فمن الأمور المستقذرة التي تستخبثها الطّباع وتستقذرها الأبصار والأسماع. والطهارة العضوية المطلقة: إنما هي من النجاسات الشرعية.
وأمّا الطهارة العضوية المبيحة: فلها ثلاثة أسماء: وضوء وغسل وتيمم:
فالوضوء: تنبيهٌ على مقامات معنوية وإشارةٌ إلى تجليات روحانية.
والغسل: لأجل الفناء الذي عمّ الجنب بسبب وجدان اللذة النفسانية السارية في البدن المشعرة عن وجوده في نفسه و(لما) ليس له ذلك بنفسه فيغتسل فيلبس لباس الوجود من ربّه بالماء الذي هو أصل الحياة والوجود والعلم، ولبعده عن موطن القرب من جهة أنانيّته. فالجناية غربةٌ عن وطن العبودية ودخول في حدود المولى واتّصاف بوصف السيادة، فيتطهّر من ذلك بغسل جميع بدنه للإعتراف بالتقصير.
وأمّا التيمّم: فلأجل عروض الدّعوى للعبد من رؤية نفسه بالإقتدار الظّاهر منه، فيحرم من الرّحمة الخاصة لعباد الله المكرمين؛ فلم يصل إلى العلم الذي هو حياة القلب في إماتة الدعوى غلوة سهم نظره الفكري. و (لو) لم يتمكّن من تحصيل العلم اللّدني لنقصان في فطرته أو يخاف من نفسه الوقوع في الزندقة، فحينئذٍ يجب عليه التقليد والنظر في أصل نشأته حتى يتحقّق له ذلّته فيتطهّر بهذا النظر في نفسه ليعرف بذلك خالقه.

معنى الطهور

في الطّهور وهو إمّا الماء الذي هو سرّ الحياة التي هي أصل العلم لمشاهدة الحيّ القيّوم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩] وقال جلّ وعلا: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الانفال: ١١]. =

= وإمّا التراب الذي هو أصل نشأة الأنسان قال عزّ من قائل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، وقال جلاله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] وذلك لتتفكّر في ذاتك لتعرف من أوجدك، فتخضع له وتضع التكبّر من رأسك لأنّ التراب هو الأصل في الذلّة والمسكنة.

ثم أعلم، إنّ ماء الغيث لطيف في غاية الصفاء، وله مزاج واحد ولا يمازجه شيء خارج فهو في الباطن العلم اللّدني الذي له طعم واحد، إذ الأنبياء والأولياء كلّهم على قول متحد وإن إختلف المشارب والمناهل، فليكن إعتمادك في طهورك الظاهري والباطني بهذا الماء.

وأمّا ماء العيون والآبار فهو مختلف الطعم بحسب تلك البقعة والأرض التي خرج منها وإمتزج بترابها: فهو العلم المستفاد من الأفكار الصحيحة التي لا يخلو من شائبة التغيّر بحسب مزاج المتفكّر لأنّه ينظر في مواد محسوسة يقوم عليها البراهين؛ فاختر لنفسك أيّ المائين يقرب من ذوقك ويناسب مشربك. [أسرار العبادات ص ١٩-٢١].

* * *

في التطهيرات الثلاثة

قال الإمام الخميني قدس سره: طالما كانت حقيقة الصلاة هي العروج إلى مقام القرب والوصول إلى مقام حضور الحق جلّ وعلا فللوصول إلى هذا المقصد الأعلى والغاية القصوى يلزم طهارات غير هذه الطهارات، وأشواك هذا الطريق وموانع هذا العروج هي قذارات لا يتمكن السالك مع إتصافه بإحدى تلك القذارات من الصعود إلى هذه المرقاة والعروج بهذا المعراج وما يكون من قبيل تلك القذارات فهو موانع الصلاة ورجس الشيطان وما يكون معيناً للسائل في السير، ومن آداب الحضور فهو من شروط هذه الحقيقة للسالك إلى الله في بداية الأمر رفع الموانع أولاً كي يتّصف بالطهارة ويتيسّر له الطهور الذي هو من عالم النور، وما دام السالك لم يتطهّر من جميع القذارات الظاهرية والباطنية والعلنيّة والسرية لا يكون له أي حظ من المحضر والحظور.

فأول مرتبة من مراتب القذارات: هي تلّوث الآلآت والقوى الظاهرية للنفس بلوث المعاصي وتقذرها بقذارة المعصية لوليّ النعم، وهذه هي الشبكة الصورية لأبليس، وما دام الإنسن مبتلى بهذه الشبكة فهو عن فيض المحضر وحصول القرب الإلهي محروم=

= ولا يظنّن أحد أنه يمكن أن يرقى إلى مقام حقيقة الإنسانية من دون تطهير ظاهر مملكة الإنسانية، أن أنه يستطيع أن يطهّر باطن قلبه من دون تطهير ظاهره، وهذا الظنّ غرور من الشيطان ومن مكائده العظيمة وذلك لأن الكدورات والظلمات القلبية تزداد بالمعاصي التي هي غلبة الطبيعة على الروحانية، وما دام السالك ما إفتتح المملكة الظاهرية فهو محروم بالكلية من الفتوحات الباطنة التي هي المقصد الأعلى ولا ينفتح له طريق إلى السعادة، فأحد الموانع الكبيرة لهذا السلوك هو قذارات المعاصي التي لا بدّ أن تطهّر بماء التوبة النصوح الطاهر الطهور.

وليعلم أن جميع القوى الظاهرية والباطنية التي أعطاها الله إياها وأنزلها من علم الغيب هى أمانات إلهية كانت طاهرة عن جميع القذرات وكانت طاهرة مطهّرة بل كانت متنورة بنور الفطرة الإلهية وبعيدة عن ظلمة تصرّف شيطان الواهمة ويد الخيانة الإبليسية إليها خرجت عن الطهارة الإصلية والفطرة الأولية وتلوّثت بأنواع القذارات والأرجاس الشيطانية.

فالسالك إلى الله إذا تمسك بذيل عناية وليّ الله وأبعدها عن أن تتناولها يد الشيطان وطهّر المملكة الظاهرية وردّ الأمانات الإلهية كما أخذها فهو ما خان الأمانة حينئذٍ وإن صدرت منه خيانة فهو مورد للغفران والستارية فيستريح خاطره من ناحية الظاهر ويقوم بتخلية الباطن من أرجاس الأخلاق الفاسدة وهذه هي المرتبة الثانية من القذارات التي فسادها أكثر وعلاجها أصعب.

وعند أصحاب الإرتياض أهم لأنه ما دام الخلق الباطني للنفس فاسداً والقذارات المعنوية محيطة بها لا تليق بمقام القدس وخلوة الأنس بل مبدأ فساد المملكة الظاهرية للنفس هو الأخلاق الفاسدة والملكات الخبيثة لها وما دام السالك لم يبدّل بالملكات السيئة الملكات الحسنة فليس مأموناً عن شرور الأعمال. وإذا وُفق للتوبة والإستقامة عليها التي هي من المهمات لا تيسّر له.

فتطهير الظاهر أيضاً متوقف على تطهير الباطن مضافاً إلى أن القذارات الباطنية موجبة للحرمان من السعادة ومنشأ لجهنم الأخلاق التي هي كما يقول «أهل المعرفة»: أشدّ حرّاً من جهنّم الأعمال، وقد أشير كثيراً إلى هذا المعنى في أخبار أحاديث أهل بيت العصمة.

فيلزم السالك إلى الله هذه الطهارة أيضاً.

وبعد أن غُسل عن روح النفس التلوثُ بالاخلاق الفاسدة بماء العلم النافع الظاهر=

= الطاهر الطهور وبارتياض شرعي صالح يشتغل حينئذٍ بتطهيرالقلب الذي هو أم القرى وبصلاحه تصلح المملكة وبفساده تفسد كلها. وقذارات عالم القلب مبدأ القذارات كلها وهي عبارة عن تعلّقه بغيرالحق وتوجّهه إلى نفسه إلى العالم، ومنشؤها جميعاً حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحبّ النفس الذي هو أمّ الأمراض. وما دامت جذور هذه المحبة في قلب السالك لا يحصل فيها أثر من محبة الله ولا يهتدي طريقاً إلى منزل المقصد والمقصود، وما دام للسالك في قلبه بقايا من هذه المحبة لم يكن سيره إلى الله بل يكون سيره إلى النفس وإلى الدنيا وإلى الشيطان.

فالتطهير عن حب النفس والدنيا هو أول مرتبة تطهير السلوك إلى الله في الحقيقة لأنه قبل هذا التطهير ليس السلوك سلوكاً وإنما يطلق السلوك والسلوك على سبيل المسامحة ومن وراء هذا المنزل منازل البلاد السبعة لعشق العطار يظهر انموذج منها للسالك وذاك القائل رأى نفسه في أول منعطف من زقاقها ونحن وراء الأسوار والحجب الضخمة وبحسب تلك البلاد وحكامها من الأساطير.

أنا لست أركز على الشيخ العطار أو ميثم التمّار ولكن لا أنكر المقامات من أصلها وأتطلب صاحبها بالقلب والروح أرجو الفرج لهذه المحبة.

ولكن لم أكن خائناً للأحباء العرفانين في الإخوة الإيمانية ولا أضيق بالنصيحة لهم التي هي من حقوق المؤمنين.

فإن أعظم القذارات المعنوية التي لا يمكن تطهيرها بسبعة أبحر وأعجزت الأنبياء العظام هي قذارة الجهل المركب الذي هو منشأ الداء العضال إلا هو إنكار مقامات أهل الله وأرباب المعرفة ومبدأ سوء الظنّ لأصحاب القلوب، وما دام الإنسان ملوثاً بهذه القذارة لا يتقدّم خطوة إلى المعارف بل ربما تطفىء هذه الكدورة نور الفطرة الذي هو مصباح طريق الهداية وينطفىء بها نار العشق التي هي براق العروج إلى المقامات ويخلّد الإنسان في أرض الطبيعة، فالإلزام على الإنسان أن يغسل هذه القذارات عن باطن القلب بالتفكير في حال الأنبياء والأولياء الكمّل صلوات الله عليهم وتذكر مقاماتهم وألاّ يقنع بالحدّ الذي هو فيه فان الوقوف على الحدود والقناعة في المعارف، من التلبيسات العظيمة لإبليس والنفس الإمّارة نعوذ بالله منها. [الاداب المعنوية للصلاة ص ١١٠-١١٤]. =

في الإشارة إلى مراتب الطهور

= **وقال الإمام الخميني**: أعلم أن الإنسان ما دام في عالم الطبيعة ومنزل مادة الهيولانية فهو تحت تصرفات جنود إلهية وجنود إبليسية. والجنود الإلهية هي جنود الرحمة والسلامة والسعادة والنور والطهارة والكمال، وجنود إبليس مقابلاتها، وحيث أن الجهات الربوبية غالبة على الجهات الإبليسية فالإنسان في مبدأ الفطرة نور وسلامة وسعادة فطرية إلهية كما صرّح بذلك في الأحاديث الشريفة وأشير إليه في الكتاب الشريف الإلهي، وما دام الإنسان في هذا العالم فهو بقدر الإختيار يستطيع أن يجعل نفسه تحت تصرّف أحد هذين الجنديين.

فإذا لم يكن لإبليس من أول فطرة الإنسان إلى آخرها تصرّف في فطرته فهو إنسان إلهي لاهوتي، وهو من قرنه إلى قدمه نور وطهارة وسعادة فقلبه نور الحق ولا يتوجّه لغير الحق وقواه الباطني والظاهرية نورانية وظاهرة ولا يتصرف فيها سوى الحق وليس لإبليس فيها حظ ولا لجنوده فيها تصرّف.

ومثل هذا الموجود الشريف طاهر مطلقاً ونور خالص وما تقدم من ذنبه وما تأخّر فهو مغفور له، وهو صاحب الفتح المطلق وواجد لمقام العصمة الكبرى بالأصالة وبقية المعصومين واجدون لذاك المقام تبعاً لتلك الذات المقدسة وهو صاحب مقام الخاتمية الذي هو الكمال على الإطلاق، وحيث أن أوصيائه مشتقون من طينته ومتصلون بفطرته فهم أصحاب العصمة المطلقة بتبعه ولهم التبعة الكاملة.

وأما بعض المعصومين من الأنبياء والأولياء عليهم السلام فليسوا أصحاب العصمة المطلقة ولم يكونوا خالين من تصرّف الشيطان، كما أن توجّه آدم عليه السلام إلى الشجرة كان من تصرفات إبليس الكبير إبليس الأبالسة مع أن تلك الشجرة كانت شجرة الجنة الإلهية ومع ذلك كان له الكثرة الإسمائية التي تنافي مقام الأدمية الكاملة.

وهذا أحد معاني الشجرة المنهي عنها أو أحد مراتبها وإذا تلوّث نور الفطرة بالقذارات الصورية والمعنوية فبمقدار التلوّث يبعد عن بساط القرب ويهجر من حضرة الإنس حتى يصل إلى مقام ينطفيء فيه نور الفطرة بالكلّية وتصير المملكة شيطانية كلها ويكون ظاهرها وباطنها وسرّها وعلنها في تصرّف الشيطان فيكون الشيطان قلبه وسمعه وبصره=

= ويده ورجله وتكون جميع أعماله شيطانية، وإذا وصل أحد. والعياذ بالله .إلى هذا المقام فهو الشقي المطلق ولا يرى وجه السعادة أبداً، وبين هاتين المرتبتين مقامات ومراتب لا يحصيها إلا الله وكل من يكون إلى أفق النبوة أقرب فهو من أصحاب اليمين وكل من كان إلى أفق الشيطان أقرب فهو من أصحاب الشمال. [الاداب المعنوية للصلاة ص ١٢٠-١٢١].

قال النراقي في جامع السعادات: وأما عمل الجوارح، فالمقصود منه عمارتها بالطاعات. ولا يمكن ذلك ما لم يطهر عن المعاصي والمناهي. فهذا التطهير نصف عملها، ونصفه الآخر عمارتها بالطاعات. وقس على ذلك الحال في المرتبة الأولى. وإلى ذلك الاشارة بقول النبي ﷺ: «الطهور نصف الإيمان». فإن المراد: إن تطهير الظاهر، والجوارح، والقلب، والسر، من النجاسات والمعاصي ورذائل الاخلاق وما سوى الله نصف الايمان، ونصفه الآخر عماراتها بالنظافة والطاعات ومعالي الأخلاق، والإستغراق في شهود جمال الحق وجلاله. ولا تظنن أن مراده ﷺ أن مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بإفاضة الماء نصف الإيمان، مع تلوث الجوارح وأخباث المعاصي، وتنجس القلب بأقذار مساوىء الأخلاق، وتشوش السر وتكديره بما سوى الله.

فالمراد التطهير في المراتب الأربعة، التي هي من مقامات الدين، وهي مرتبة يتوقف بعضها على بعض ولا يمكن أن ينال العبد ما هو الفوق، ما لم يتجاوز ما دونه، فلا يصل إلى طهارة السر مما سوى الله، وعماراته بمعرفة الله وإنكشاف جلاله وعظمته، ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الأخلاق المذمومة، وتحليته بالملكات المحمودة. ولا يصل إلى ذلك. ما لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المعاصي وعمارتها بالطاعات ولا يصل إلى ذلك ما لم يفرغ عن إزالة الخبث والحدث عن الظاهر، وعمارته بالنظافة والنزاهة.

وقال في طهارة الظاهر، إما عن الخبث، أو الحدث، أو عن فضلات البدن، وما يتعلق بها من الأحكام الظاهرة الواجبة والمحرمة والمندوبة والمكروهة، مستقصاة في كتب الفقه.

وأما الآداب الباطنة لطهارة الخبث وإزالته عند التخلي لقضاء الحاجة، أن يتذكر عنده نقصه وحاجته، وخبث باطنه، وخسة حاله، وما يشتمل عليه من الأقذار، وكونه حامل النجاسات، ويتذكر بإستراحة نفسه عند إخراجها، وسكون قلبه عن دنسها، وفراغه للعبادات والمناجاة، وأن الأخلاق الذميمة التي في باطنها نجاسات باطنة، وأقذار=

عمل القلب في الطهارة

وأمّا عمل القلب: فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتّصف بها ما لم ينظف نقائضها من العقائد الفاسدة، والرذائل المذمومة، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأوّل الّذي هو شرط في الثاني.

فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين، وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني، وهذه مقامات الإيمان، ولكلّ مقام طبقة، ولن ينال العبد الطبقة العالية إلاّ أن يجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى طهارة السرّ عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة، من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهاره الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات، وكلّما عزّ المطلوب وشرف صعب مسكله وطال طريقه وكثرت عقباته، ولا تظنّن أنّ هذا الأمر يدرك بالمنى، وينال بالهوينا[1].

= كامنة، لتستريح نفسها عند إخراجها، ويطمئن قلبه من إزالة دنسها، وعند إخراجها يصلح للوقوف على بساط الخدمة، ويتأهل للقرب والوصول إلى حريم العزة. فكما يسعى في إخراج النجاسات الظاهرة لأستراحة البدن مدة قليلة في الدنيا، فينبغي أن يجتهد أيضاً في إخراج الأقذار الباطنة، والنجاسات الداخلة الغائصة في الأعماق، المفسدة على الأطلاق، لتستريح الروح والبدن في الدنيا والآخلاة أبد الآباد.

وينبغي أن يتأمل في أن ما دفع عنه من الغائط والقذر هو ما كان يشتهيه، ويحترص في طلبه من لذائذ الأطعمة، وكلما كانت ألذ عفونتها أشد، فما كانت عاقبته ذلك، فليحذر من أن يأخذه من غير حله، فيعذب أبد الآباد لأجله.

(١) الهوينا: تصغير الهوني تأنيث الاهون وهو من الهون: الرفق واللين والمراد هنا: التهاون في امر الدين وترك الاهتمام فيه.

عميان البصيرة عن هذه الطبقات

نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات، لم يفهم من مراتب الطهارة إلاّ الدرجة الأخيرة التي هي كالقشر الأخير بالإضافة إلى اللّبّ المطلوب، فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه، ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة، ظنّاً منه بحكم الوسوسة وخبل العقل.

أنّ الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلاً بسيرة الأوّلين واستغراقهم جميع الهمّ والفكر في تطهير القلوب، وتساهلهم في أمر الظاهر حتّى أنّهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والأطعمة، بل كانوا يتمسّحون أصابعهم بأخمص أقدامهم، وعدُّو الأشنان من البدع المحدثة، ولقد كانوا يصلّون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات، ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم، وكانوا يجعلون الصلاة في النعلين أفضل، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاد، وكانوا يأكلون من دقيق البرّ والشعير وهو يداس بالدوابّ، وتبول عليه، ولا يحترزون من عرق الإبل والفرس مع كثرة تمرّغها في النجاسات ولم ينقل قطُّ من واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات، وهكذا كان تساهلهم فيها.

وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمّون الرعونة نظافة، ويقولن: هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها، والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق، ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجّبون منه، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر، أو مشى على الأرض حافياً، أو صلّى على الأرض أو على بواري المساجد من غير سجّادة مفروشة، أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم، أو توضّأ من آنية عجوز، أو

رجل غير متقشّف أقاموا فيه القيامة وشدّدوا عليه النكير ولقّبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم، واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته، فسمّوا البذاذة الّتي هي من الإيمان قذارة، والرعونة نظافة، فانظر كيف صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه(١).

في الآداب القلبية للسالك حينما يتوجه إلى الماء للطهارة

(١) **قال الإمام الخميني**: ونذكر في المقام الحديث الشريف لمصباح الشريعة كي يحصل للقلوب الصافية لأهل الإيمان منه نورانية.

ففي مصباح الشريعة قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أرت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً على بساط خدمته، وكما أن رحمة الله تطهّر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير»، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾. [الفرقان: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فكما يحيي به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلوب الطاعات. وتفكر في صفاء الماء ورقّته وطهارته وبركته ولطيف إمتزاجه بكل شيء وإستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وآت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، فإذا إستعملها بالحرمة إنفجرت لك عيون فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله كإمتزاج الماء بالأشياء يؤدي كل شيء حقّه ولا يتغير معناه معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن المخلص كمثل الماء، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهورا وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء».

وفي هذا الحديث لطائف ودقائق وأشارات وحقائق تحيي قلوب أهل المعرفة وتعطي الأرواح الصافية لأصحاب القلوب حياة جديدة. ففي هذا الحديث شبه الماء بل أوله إلى رحمة الحق فمن نكات هذا التشبيه أو التأويل أن الماء أحد المظاهر العظيمة لرحمة الحق التي أنزلها في عالم الطبيعة وجعلها سبباً لحياة الموجودات بل أهل المعرفة يعبّرون بالماء عن الرحمة الواسعة الإلهية التي نزلت من السماء رفيعة الدرجات لحضرة الأسماء والصفات فأحيا بها أراضي التعيّنات للأعيان. =

= وحيث أن تجلّي الرحمة الواسعة الإلهية في الماء الملكي الظاهري أكثر من سائر الموجودات الدنيوية جعله الله تعالى لتطهير القذارات الصورية بل ماء الرحمة للحق تعالى إذا نزل وظهر في كل نشأة من نشآت الوجود وفي كل مشهد من مشاهد الغيب والشهود يطهّر ذنوب عباد الله وفقاً لتلك النشأة وبما يناسب ذلك العالم.

فبماء الرحمة النازل من سماء الأحدية تطهر ذنوب غيبة تعينات الأعيان، وبماء الرحمة الواسعة النازلة من سماء الواحدية تطهر ذنوب عدمية الماهيات الخارجية في كل مرتبة من مراتب الوجود طبقاً لتلك المرتبة، وفي مراتب نشآت الإنسانية أيضاً لماء الرحمة ظهورات مختلفة كما أنه بالماء النازل من حضرة الذات بالتعينات الجمعية البرزخية تطهر ذنوب سر الوجود «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب» وبالماء النازل من حضرات الأسماء والصفات وحضرة التجلي الفعلي تطهر رؤية الصفة والفعل وبالماء النازل من سماء الحضرة الحكم العدل تطهر القذارات الخلقية الباطنية، وبالماء النازل من سماء الغفارية تطهر ذنوب العباد، وبالماء النازل من سماء الملكوت تطهر القذارات الصورية، فعلم أن الحق تعالى جعل الماء مفتاح قربه ودليل بساط رحمته ثم يعين عليه السلام في الحديث الشريف وظيفة أخرى ويفتح طريقاً آخر لأهل السلوك والمراقبة.

يقول عليه السلام: **«تفكّر في صفاء الماء ورقته وطهره وبركته ولطيف إمتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وائت بآدابها في فرائضه وسننه فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة فإذا إستعملتها بالحرمة إنفجرت لك عيون فوائده عن قريب»**. أشار عليه السلام في هذا الحديث الشريف إلى مراتب الطهارة بالطريق الكلية وبيّن أربع مراتب كليّة:

إحداها: ما ذكر في الحديث الشريف إلى الحد الذي ذكرناه وهو تطهير الأعضاء، أشار عليه السلام إلى أنّ أهل المراقبة والسلوك إلى الله يلزم ألاّ يتوقفوا عند صور الأشياء وظواهرها بل لا بدّ أن يجعلوا الظاهر مرآة للباطن ويستكشفوا من الصور الحقائق ولا يقنعوا بالتطهير الصوري فإن القناعة بالتطهير الصوري فخّ إبليس فينتقلوا من صفاء الماء إلى تصفية الأعضاء ويصفونها بأداء الفرائض والسنن الإلهية ويرقّقون الأعضاء برقة الفرائض والسنن ويخرجونها من غلظة التعصي ويسرون الطهور والبركة في جميع الأعضاء ويدركون من لطف إمتزاج الماء بالأشياء كيفية إمتزاج القوى الملكوتية الألهية بعالم الطبيعة=

= ولا يدعون القذارات الطبيعية تؤثّر فيها فإذا تلبست أعضائهم بالسنن والفرائض الإلهية وآدابها تظهر فوائدها الباطنية بالتدريج، وتنفجر عيون الاسرار الإلهية وتتكشف لهم لمحة من أسرار العبادة والطهارة.

لما فرغ عليه السلام من بيان المرتبة الأولى من الطهارة وكيفية تحصيلها شرع في بيان الوظيفة الثانية وقال: ثم عاشر خلق الله كآمتزاج الماء بالأشياء يؤدي كل شيء حقه ولا يتغيّر عن معناه معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله «مثل المؤمن المخلص (الخالص) كمثل الماء» فبيّن عليه السلام في الحكم الأول ما يرتبط بتعامل الإنسان السالك مع قواه الداخلية وأعضائه، والحكم الثاني الذي هو في هذه الفقرة من الحديث الشريف يرتبط بتعامل الإنسان مع خلق الله وهذا هو حكم جامع يبيّن كيفية معاشرة السالك للمخلوق ويستفاد منه ضمنا حقيقة الخلوة وهي أن السالك إلى الله في نفس الحال الذي يعاشر كل طائفة من الناس بالمعروف ويرد الحقوق الخلقية ويراود كل أحد ويعامله بطور يناسب حاله فهو في الوقت نفسه لا يتجاوز عن الحقوق الإلهية ولا يترك المعنى من نفسه وهو العبادة والعبودية والتوجّه إلى الحق وفي نفس الحال التي يكون فيها في الكثرة يكون في الخلوة وقلبه الذي هو منزل المحبوب يكون خالياً من الأغيار وفارغاً من كل صورة ومثال.

ثم ذكر عليه السلام الحكم الثالث وهو كيفية تعامل السالك مع الحق تعالى، يقول: «ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهورا» يعني يلزم للسالك إلى الله أن يكون خالصاً من تصرف الطبيعة ولا يكون لكدورتها وظلمتها طريق إلى قلبه، وتكون جميع عباداته خالية عن جميع الشرك الظاهري والباطني، وكما أن الماء في وقت نزوله من السماء طاهر وطهور وما إمتدّت إليه يد تصرف القذارات كذلك قلب السالك الذي نزل من سماء عالم غيب الملكوت طاهراً ومنزّهاً لا يتركه يقع تحت تصرّف الشيطان والطبيعة ويتلوث بالقذارات.

وبعد هذا بين عليه السلام الحكم الأخير وهو وظيفة جامعة لأهل الرياضة والسلوك ويقول: «وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند تطهير جوارحك بالماء» وفي هذا إشارة إلى مقامين شامخين لأهل المعرفة.

الأول: التقوى وكماله ترك غير الحق.

والثاني: اليقين وكماله مشاهدة حضور المحبوب. [الاداب المعنوية للصلاة ص ١٢٢-١٢٦].

ما ينبغي للمؤمن في الطهارة

= **قال النراقي في جامع السعادات:** ينبغي لكل مؤمن أن يستحضر عند إنشغاله بالطهارة عن الحدث: أن تكليفه بها للدخول في العبادات والمناجاة مع خالق البريات إنما هو لكون أعضائه التي أمر بغسلها مباشرة للأمور الدنيوية، منهمكة في الكدورات الطبيعية، فخرجت عن أهلية القيام بين يدي الله . سبحانه .، والإشتغال بعبادته. فالأمر بغسلها، لتتطهر عن هذه الكدورات، فيتأهل للمناجاة. ولا ريب في أن مجرد غسلها لا يطهرها عن الأدناس الدنيوية والكدورات الجسمانية، ما لم يطهر قلبه عن الأخلاق الذميمة، والعلائق الدنيوية، وما لم يعزم على الرجوع إلى الله، والإنقطاع عن الدنيا وشهواتها. فينبغي أن يكون قلبه عند الطهارة مطهراً عن ذمائم الصفات وخبائث الشهوات، جازماً على فطام الأعضاء التي هي أتباعه وخدامه عن شهوات الدنيا، لتسري نوريته وطهارته إلى تلك الأعضاء، ثم أمر في الوضوء **أولاً**: بغسل الوجه، الذي هو مجمع أكثر الحواس الظاهرة، التي هي من أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا، ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله، وهو خال من تلك الأدناس.

وثانياً: بغسل اليدين، لمباشرتهما أكثر الأمور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من الإقبال على الآخرة.

وثالثاً: بمسح الرجلين، للتوصل بهما إلى أكثر المطالب الدنيوية والمقاصد الطبيعية. فأمر بتطهير جميعها ليسوغ له الدخول بها في العبادات والإقبال عليها. وأمر في الغسل بغسل جميع البشرة، لأن أدنى حالات الإنسان وأشدها تعلقاً بالملكات الشهوية حالة الوقاع، ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**تحت كل شعرة جنابة**». فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية، منغمساً في اللذات الدنية، كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية، ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة، والدخول في العبادة المنيفة. وأمر في التيمم بمسح الأعضاء بالتراب، عند تعذر غسلها بالماء، وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسية، وهضماً لها لملاقاتها أثر التربة الخسيسة.

ثم لما كان القلب هو الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والأعضاء، والمستخدم لها في تلك الأمور المبعدة عن جنابه . تعالى .، وهو الموضع لنظر الله . سبحانه .، كما قال ﷺ: =

العادات المحدثة في الطهارة

فإن قلت: فتقول: إنّ هذه العادات الّتي أحدثها الصوفيّة في هيئاتهم ونظافتهم من المحذورات والمنكرات، فأقول: حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل، ولكنّي أقول: هذا التكلف والتنظيف بإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المتقنّع لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرُّد، فهي من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيّات، تلحقها تارة بالمعروف وتارة بالمنكرات.

= «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، فله من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل. فيكون الأشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل. وإذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة، وتحليته بالأوصاف الجميلة، لرسوخه على حب الدنيا الدنية، فليقمه في مقام الهضم والإزراء، ويسقه بسياط الذل والأغضاء. كما أنه عند تعذر غسل الأعضاء بالماء يهضمها ويذللها بالوضع على التراب، عسى أن يرحم ربه تواضعه وإنكساره، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع، فإنه عند المنكسرة قلوبهم، كما ورد في الأثر، فترق من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال، ويتدارك سالف الإهمال.

ومن الأسرار الواردة في الطهارة وتخصيص بعض الأعضاء بالتطهير في الوضوء، ما أشار إليه مولانا الرضا عليه السلام بقوله: «إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه، مطيعاً له فيما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل، وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار. وإنما وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين، لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار، فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يجب فيه الوضوء، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل، وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده. وبرجليه يقوم ويقعد. وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء، لأن الجنابة من نفس الإنسان، وهو شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان، إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب» [جامع السعادات ج ٣ ص ٣١٣-٣١٦].

وأمّا كونه مباحاً في نفسه: فلا يخفى إذ صاحبه متصرّف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف.

وأمّا مصيره منكراً: فبأن يجعل ذلك أصل الدين وتفسير قوله ﷺ: «**بني الدين على النظافة**»، حتّى ينكر به على من يتساهل في تساهل الأوّلين أو أن يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق، وتحسين موقع نظرهم، فإنّ ذلك هو الرياء المحظور، فيصير منكراً بهذين الاعتبارين.

وأمّا كونه معروفاً: فبأن يكون القصد منه الخير دون التزيّن، وأن لا ينكر على من ترك ذلك، ولا يؤخرّ بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه، أو عن تربية علم أو غيره، فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح، يمكن أن يجعل قربة بالنيّة، ولكن لا يتيسّر ذلك إلاّ للبطّالين، الّذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه، اشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني، فيصير شغلهم به أولى لأنّ التشاغل بالطهارات يجدّد ذكر الله وذكر العبادات، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر وإسراف.

وأمّا أهل العلم والعمل: فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلاّ قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقّهم وتضييع للعمر الّذي هو أنفس الجواهر وأعزُها في حقّ من قدر على الانتفاع به، ولا تتعجّب من ذلك فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، فلا ينبغي للبطّال أن يترك النظافة وينكر على المتصوّفة، ويزعم أنّه يتشبّه بالصحابة إذ التشبّه بهم في أن لا يتفرّغ له عمّا هو أهمّ منه، فلهذا لا أرى للعالم ولا للعامل أن يضيّع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة، وتوهّماً بالقصار تقصيراً في الغسل، فقد كانوا في العصر الأوّل يصلّون في الفرا المدبوغة، وكم من الفرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا

شاهدوها، ولا يدقّقون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة، بل كانوا يتأمّلون في دقائق الرياء والظلم، وكانوا يعدّون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات، ولو وجد العالم عامياً يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل، فإنّه بالإضافة إلى التساهل خير، وذلك العاميُّ ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمّارة بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال، والنفس إن لم تشغل شغلت صاحبها؛ وإذا قصد به التقرُّب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرف إلى مثله فيبقى محفوظاً عليه، وأشرف وقت العاميّ أن يشتغل بمثله، فيتوفّر الخير من الجوانب وليفطّن بهذه الأمثال لنظائره من الأعمال، وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهمّ من التدقيق في أموال الدنيا بحذافيرها.

وإذا عرفت هذه المقدّمة واستثبتَّ أنَّ الطهارة لها أربع مراتب فاعلم أنَّ في هذا الكتاب لسنا نتكلّم إلاّ في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنّا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرّض قصداً إلاّ للظواهر، فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام: **طهارة عن الخبث، وطهارة عن الحدث، وطهارة عن فضلات البدن،** وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد[1] واستعمال النورة والختان وغيره.

طهارة الخبث

القسم الأول: في طهارة الخبث، والنظر فيه يتعلّق بالمزال، والمزال به، والإزالة الطرف الأوّل في المزال وهي النجاسات.

---

(١) **الاستحداد**: استعمال الحديدة في العانة.

أقول: ولندع الآن ما أفتاه أبو حامد على مذاهب العامّة وأصحاب الرأي إلاّ ما لا بأس به منه، ولنتكلّم على طريقة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فنقول: وبالله التوفيق:

النجاسات الّتي تجب إزالتها عن الثوب والبدن للصلاة والطواف وعن المساجد والمصاحف وجلودها وأكياسها ولفائفها، والضرائح المقدّسة، وكسوتها، وما يلقي عليها وعن المأكول والمشروب، والأواني المتوقّف استعمالها فيهما، أو في الطهارة عليها هي «الدّم» و«المني» من ذي النفس سوى الدّم المتخلّف في المذبوح بعد القذف المعتاد فإنّه طاهر حلال، و«البول» و«الغائط» من غير المأكول أصالة أو لعارض كالجلاّل وموطوء الإنسان وشارب لبن الخنزير حتّى ينبت اللّحم سوى الطير فإنّ فيه خلافاً قويّاً لقول الصادق عليه السلام: «كلّ شيء يطير لا بأس بخرئه وبوله»[1]. و«الميتة» إلاّ العشرة الفقيدة الحياة، و«المسكر» المائع أصالة من الخمر وغيرها على المشهور الأقوى، وأُلحق به «الفقّاع»، وأن لم يسكر لإطلاق الخمر عليه، وربّما يلحق به العصير العنبيُ إذا غلا ولو بالشمس حتّى يذهب ثلثاه ولم يثبت، و«الكلب» و«الخنزير» غير المائيين، وتعميم ابن إدريس ضعيف. و«الكافر» وإن أقرّ بالشهادتين كالخارج والناصب والمجسّم والغالي على المشهور.

وحكم جماعة بطهارة أسئار أهل الكتاب لورود الأخبار الصحيحة بذلك، وحملت على التقيّة، وحكم الشيخ أبو جعفر: بنجاسة المجبّرة،

(١) رواه الكليني. رحمه الله في الكافي ج٣ ص ٥٨ تحت رقم ٩. والخرء. بضم الخاء المعجمة.: العذرة جمع خروء، والخبر أيضاً في التهذيب ج١ ص٧٥.

والسيّد المرتضى: بنجاسة المخالفين، وابن الجنيد: بنجاسة المذي عن شهوة، ولبن الجارية، والمفيد: بنجاسة عرق الجنب من الحرام، وعرق الإبل الجلاّلة، وبنجاسة الفأرة، والوزغة: وأبو الصلاح: بنجاسة الثعلب والأرنب، وسلاّر: بنجاسة المسوخ، والكلُّ شاذٌ.

وكلُّ شيء غير ما ذكر فهو طاهر ما لم يلاق شيئاً من النجاسات برطوبة، وإن كان من الفضلات كالعرق، والبصاق، والمخاط، والقيح، والودي، والوذي، وغيرها، وكذا الدّم، والمنيّ من غير ذي النفس كالبعوض، والبقّ، وكذا البول، والروث، من مأكول اللّحم، ويكرهان من البغال، والحمير، والدوابّ، وكذا ذرق الدجاج، وسؤر آكل الجيف، ومن لا يتوقّى النجاسة، وما اختلف في نجاسته والحشرات، والحديد، والدم المتخلّف في اللّحم، والقيء، والقيح، والمذي - وإن لم يكن من شهوة - والودي، وطين الطريق بعد ثلاثة أيّام من انقطاع المطر، ويعفى في الصلاة عمّا لا يمكن تطهيره، وعن نجاسة ما لا يتمُّ الصلاة فيه منفردة، وعمّا دون الدرهم من الدّم، وعن دم القروح والجروح الّتي لا ترقى وإن لم تعصب قلّ أم كثر، ويشترط في وجوب الإزالة في الجميع العلم بالنجاسة فعن الصادق عليه السلام: **«كلُّ شيء نظيف حتّى تعلم أنّه قذر»**[1].

والأحوط غسل المظنون، ويستفاد من ظاهر الأخبار الاكتفاء فيه بالنضح ولو شكّ في الملاقات أو لاقى مكروهاً رشّه بالماء استحباباً، وكذا ملاقي الكلب يابساً، وبول البعير والشاة، والأحوط في أبوال البغال،

---

(١) أورده الصدوق في المقنع بلفظ: «كل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر» مستدرك النوري ج١ ص ١٦٤.

والحمير والدواب إزالته ولو جهل موضع الملاقات غسل كلّما وقع فيه الاشتباه وجوباً، وإن لم يحكم بنجاسة كلّ جزء جزء.

الطرف الثاني في المزال به وهو إمّا ماء أو غيره، أمّا الماء فهو طهور كلّه، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[١].

وقال جلّ وعزّ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾[٢].

وفي الحديث النبويّ المستفيض «خلق الله الماء طهوراً لا ينجّسه شيء إلاّ ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه»[٣].

وفي الخبر الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «كلّما غلب الماء على ريح الجيفة فتوضأ من الماء واشرب، فإذا تغيّر الطعم فلا تتوضّأ ولا تشرب»[٤].

وعنه عليه السلام «الماء يطهّر ولا يطهّر»[٥].

والمستفاد منها ومن كثير من الأخبار عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم، ومن شهادة الاعتبار، ومن الإجماع المسلمين على جواز إزالة النجاسة بالماء القليل أنّ الماء لا يخرج عن الطهارة والتطهير إلاّ إذا استولت عليه النجاسة، وحيث تغلبه على أحد أوصافه الثلاثة ولكنّ أكثر أصحابنا وطائفة من العامّة ذهبوا إلى أنّه إذا كان أقلّ من قدر كرّ أو قلتين ينجس

(١) سورة الفرقان: الآية، ٤٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية، ١١.
(٣) المعتبر للمحقق أبواب الطهارة وابن ادريس في أول السرائر مرسلاً وقال: قول الرسول صلى الله عليه وآله المتفق على روايته.
(٤) رواه الكليني. رحمه الله. في الكافي ج٣ ص ٤ تحت رقم ٣.
(٥) الحديث الأول من فروع الكافي.

بمجرد ملاقاته لها ويرون في ذلك حديثاً، أما أصحابنا فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان الماء قدر كرّ لم ينجسه شيء»[1].

وأما العامة فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل خبثاً»[2] وهو الأحوط في العمل.

قال أبو حامد: «هذا مذهب الشافعيّ، وكنت أودُّ أن يكون مذهبه كمذهب مالك في أنّ الماء وإن قلّ فلا ينجّس إلاّ بالتغير إذ الحاجة ماسّة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلّتين، ولأجله شقّ على النّاس ذلك وهو لعمري سبب المشقّة ويعرفه من يجربه ويتأمّله.

وممّا لا أشكُّ فيه أنّ ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسّر الطهارة مكّة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الرّاكدة الكثيرة، ومن أوّل عصر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفيّة حفظ الماء عن النجاسات، وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء والّذين لا يحترزون عن النجاسات، ثمّ استدلّ على ذلك بوجوه، ثم قال: فهذه الأُمور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس أنّهم كانوا ينظرون إلى عدم التغيّر معوّلين على قوله صلى الله عليه وآله: «**خلق الماء طهوراً لا ينجّسه شيءٌ إلاّ ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه**» وهذا فيه تحقيق، وهو أنّ طبع كلّ مايع أن يقلّب إلى صفة نفسه كلّ ما يقع فيه وكان مغلوباً من جهته وكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحاً ويحكم بطهارته لصيرورته

---

(1) رواه الكليني ـ رحمه الله في الكافي ج ٣ ص ٢ تحت رقم ١ و ٢.

(2) أخرجه الشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدار قطني والبيهقي وابن ماجه كما في نيل الاوطار ج١ ص ٤١.

ملحاً وزوال صفة الكلبيّة عنه، فكذلك الخلُّ يقع في الماء واللّبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتّصف بصفة الماء وينطبع بطبعه إلاّ إذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا هو المعيار، وقد أشار الشرع إليه في الماء القويّ على إزالة النجاسة فهو جدير بأن يعوّل عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهوراً إذا يغلب غيره فيطهّره كما صار كذلك فيما بعد القلّتين وفي الغسالة وفي الماء الجاريّ.

قال: «وأمّا قوله ﷺ: **«لا يحمل خبثاً»**، فهو في نفسه مبهم فإنّه يحمل إذا تغيّر، فإن قيل: أراد به إذا لم يتغيّر فيمكن أن يقال: أراد به أنّه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة وهو تمسّك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلّتين وترك المفهوم بأقلّ من الأدلّة الّتي ذكرناها ممكن، وقوله: **«لا يحمل خبثاً»** ظاهره نفي الحمل أي يقلّبه إلى صفة نفسه كما يقال: المملحة لا تحمل كلباً ولا غيره، أي ينقلب إلى صفته وذلك لأنّ الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران[1] ويغمسون الأواني النجسة فيها ثمّ يتردّدون في أنّها تغيّرت تغيّراً مؤثراً أم لا فبيّن أنّه إذا كان قلّتين لا يتغيّر بهذه النجاسات فإن قلت: فقد قال: **«لا يحمل خبثاً»** ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنّها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حسّاً فلا بدّ من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً».

أقول: المستفاد من أخبارنا أنّ الماء المستعمل في الطهارة من الحدث والشرب اختياراً لا بدّ له من مزيد اختصاص ولا سيّما المستعمل في الطهارة وأقلّه أن لا يلاقي شيئاً من النجاسات إن قلّ وعلى هذا جاز حمل ما يدلُّ

(١) **الغدران**: جمع غدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل.

على انفعال الماء القليل بدون التغيّر على المنع من استعماله اختياراً في أحد الأمرين خاصّة دون سائر الاستعمالات، ويشهد لهذا ورود أكثر فيهما وقد استوفينا الكلام في هذه المسألة وفي حكم ماء البئر في كتاب: «معتصم الشيعة في أحكام الشريعة» فليرجع إليه من أراد الاطّلاع عليه.

وأمّا غير الماء فآلة الاستنجاء مطهّرة لمحلّه بشرط أن تكون طاهرة جافة قالعة منشفة، والأرض تطهّر باطن الخفّ والنعل وأسفل القدم كما وردت به الروايات المستفيضة، وعن الصادق عليه السلام **«الأرض يطهّر بعضها بعضاً»**(١) فذلك لاستحالة النجاسة واضمحلالها بالوطيء عليها مرّة بعد أُخرى وانتقال بعضها إلى بعض والاستحالة تطهّر الأعيان النجسة كأن تصير العذرة والميتات تراباً، أو دوداً، أو رماداً، أو دخاناً، أو فحماً، والكلب ملحاً، وكذا الانقلاب كصيرورة الخمر خلاً سواء كان بعلاج أو من قبل نفسه، وسواء كان ما يعالج به عيناً باقية أو مستهلكة على خلاف في الباقية وإن كره العلاج كما ورد في الخبر، وفي حكمهما انتقال دم الإنسان إلى البعوض والبقّ، وصيرورة الكافر مسلماً ولو باللّحوق كمسبيّ المسلم، والشمس تطهّر الأرض البورية والحصير من البول بالتجفيف على المشهور وقيل: بل إنما تجوز الصلاة عليها فحسب فلو لاقت شيئاً برطوبة نجّسته، ولا يخفى من قوّة وربما يلحق بالبول كلُّ نجاسة مايعة وبالأرض وأخويها كلّ ما لا يمكن نقله كالأشجار والأبنية.

الطرف الثالث في كيفيّة الإزالة: فالنجاسة إن كانت حكميّة وهي الّتي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها.

---

(١) رواه الكليني. رحمه الله. في الكافي ج٣ ص ٣٨ و ٣٩ باسانيد مختلفة.

وإن كانت عينيّة: فلا بدّ من إزالة العين، ولا بأس ببقاء الرائحة فيما له رائحة فائحة تعسّر إزالتها بعد الدلك والعصر مرّات متوالية ولا اللّون فيما يلتصق به بعد الحتّ والقرص[1] وقد ورد في الحديث في دم الحيض الّذي لم يذهب أثره بالغسل أن اصبغيه بمشق[2]، وورد الأمر بتثنية غسل من البول في الثوب والبدن إن غسل بالقليل[3] وربّما يلحق به المنيّ لأنّ قواماً وثخناً فهو أولى بالتعدّد، ومنهم من ألحق بهما سائر النجاسات، ومنهم من اكتفى في الكلّ بالمرّة المزيلة، أمّا بول الصبيّ فلا خلاف في الاكتفاء فيه بصبّ الماء. اعتبر السيّد المرتضى وجماعة في الإزالة ورود الماء على النجاسة فلو عكس نجس الماء ولم يفد المحلّ طهارة بناء على تنجّس القليل بورود النجاسة عليه وأبطله الشهيد رحمه الله ـ لحصول امتزاج الماء بها على التقديرين والورود لا يخرجه عن التلاقي التزم نجاسة الماء في الحالين مع طهارة المحلّ.

والحقّ أن القائل بانفعال القليل مجرّد الملاقات لا بدّ له من ارتكاب أحد أمرين: إمّا تخصيص ذلك بالملاقي للنجاسة العينيّة دون المتنجّس أعني ما أزيلت نجاسته بغير التطهير الشرعي أو عدم جواز الإزالة بالقليل مطلقاً والثاني خلاف الإجماع بل الضرورة من الدّين فتعيّن الأوّل ويؤيّده أنّه لا يستفاد من الدّليل الدالّ عليه أزيد من ذلك، وعلى هذا فيجب التزام وجوب المرّتين في كلّ نجاسة ليزال بالأُولى العين ويكون الغسالة والمحلّ متنجّسين، ويحصل بالثانية التطهير ويكونان طاهرين من غير فرق بين الورودين وله شواهد من الأخبار بل نقول: لا دليل على تنجّس غير الماء أيضاً بملاقاته

---

(١) حتّ الشيء عن الثوب: إزاله وحكه. وقرص الثوب بالماء: غسله باطراف الاصابع.
(٢) راجع الكافي ج٣ ص ١١٠. والمشق. على ما يقال له اليوم في العراق: الطين الارمني.
(٣) راجع الكافي ج٣ ص ٥٥.

للمتنجّس وإنّما الدليل دلّ على تنجّس الأشياء بملاقاتها للنجاسات العينيّة فحسب كما يظهر من التتبّع بل ربّما يستفاد من بعض الأخبار الحكم بطهارته وبه يرتفع الوسواس عن وجه الأرض بالكلّيّة إلاّ أنّ هذا الفتوى لكبيرة إلاّ على الّذين هداهم الله تعالى فإنّ أصحاب الوسواس الّذين غلب عليهم التقليد يعظّمونها يكفرون بنعمة الله ولا يشكرون سعة رحمة الله وفي الحديث: «أنّ الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم وإنّ الدين أوسع من ذلك»[1].

ولا يجوز إزالة النجاسة بغير الماء من المايعات على المشهور خلافاً للمفيد والسيّد المرتضى فجوّزا بالماء المضاف وجوّز السيّد تطهير الأجسام الصقيلة بالمسح بحيث يزول العين لزوال العلّة ويمكن الإستيناس له ببعض الأخبار، أمّا البواطن فلا ريب في طهارتها بزوال عين النجاسة عنها وكذا أعضاء الحيوان المتنجّسة غير الآدميّ ويستحبُّ الاستظهار في الازالة بتثنية الغسل وتثليثه وأن يباشرها بنفسه إذا كانت في ثوب صلاته والعصر في بول الرضيع وإزالة ما دون الدرهم من الدم للصلاة وصبغ لونه بمشق ونحوه، وغسل ذي القروح ثوبه في كلّ يوم مرّة وإزالة المكروهات للصلاة.

قال أبو حامد: و «ينبغي أن يتذكّر بازالة النجاسة تطهير قلبه من نجاسة الأخلاق ومساويها فإنّه إذا أُمر بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر وبتطهير الثياب وهي أبعد عن ذاته وهو قلبه فليجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل ويطهّر بها باطنه الّذي هو موقع

---

(١) رواه الشيخ - رحمه الله - في التهذيب ج١ ص ٢٤١، والصدوق في الفقيه ص ٧٠ تحت رقم ٣٩.

نظر المعبود»[١].

إزالة الأوساخ

(١) **قال النراقي جامع السعادات**: ينبغي لكل مؤمن أن يطهر بدنه من فضلاته ودرنه وأوساخه، كشعر الرأس بالحلق، وشعر الأنف والشارب وما طال من اللحية بالقبض، وشعر الإبط والعانة وسائر الأعضاء بالنورة، وكأظفار اليدين والرجلين بالقلم، وما يجتمع من الوسخ والقمل في شعر الرأس واللحية بالغسل والتسريح بالمشط، وما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذنين بالمسح ومثله، وما يجتمع منه على الأسنان وأطراف اللسان بالسواك والمضمضة، وما يجتمع في الأنف من الرطوبات الملتصقة بالإستنشاق، وما يجتمع من الوسخ تحت الأظفار بالقلم والغسل، وما يجتمع منه في رؤس الأنامل وفي معاطف ظهورها عقيب أكل الطعام بالغسل، وما يجتمع من الدرن على جميع بدنه وترشيح العرق وغبار الطريق بالدخول في الحمام.

آداب الحمام

ينبغي لمن يدخل الحمام، أن يتذكر بحرارته حر النار، ويقدر نفسه محبوساً في البيت ساعة، ويقيسه إلى جهنم، ويستعيذ بالله منها. قال الصادق عليه السلام: «فإذا دخلت البيت الثالث، فقل: نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة. وترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار». قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم البيت الحمام، يذهب بالدرن، وتذكر فيه النار». وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل إلاّ يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة، فإنها مقره ومستقره. فيكون له في كل ما يراه، من ماء أو نار أو غيرهما، عبرة وموعظة. فإن المرأ ينظر في كل شيء بحسب همته. فالبزاز إذا دخل داراً معمورة مفروشة ينظر إلى الفرش ويتأمل في قيمتها. والحائك إذا دخلها ينظر إلى الثياب ويتأمل في كيفية نسجها، والنجار إذا دخلها ينظر إلى أبوابها وشبابيكها ويتأمل في كيفية نجرها وتركيبها، والبناء إذا دخلها ينظر إلى الحيطان والسقف وكيفية بنائها وإحكامها وإستقامتها. فكذلك سالك طريق الآخرة، لا ينظر إلى شيء إلاّ وتكون له موعظة وعبرة من الآخرة. فإن نظر إلى ظلمة تذكر ظلمة اللحد، وإن نظر إلى نار تذكر نار جهنم، وإن نظر إلى حيّة تذكر أفاعي جهنم، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور، وإن نظر إلى صورة قبيحة تذكر محاسبة الآخرة، وإن سمع كلمة رد أو قبول تذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة... إلى غير ذلك.

السر في إزالة الأوساخ

= السر في إزالة الفضلات المذكورة عن البدن ظاهر، فإنها توجب تنوير القلب، وإنشراح الصدر، وطرد الشيطان. إذ هي كسافات مانعة عن النورية والتجرد، فتشمئز منها الملائكة، ويرغب إليها الشيطان. ومن تأمل في الأحكام والآداب التي جاء بها رسول الله ﷺ وكانت له بصيرة ناقدة، يعلم أن شيئاً منها لا يخلو عن حكمة، حتى أن ما صدر عنه في الآداب والحركات والأفعال والأقوال، من ترتيب خاص، أو تخصيص بعدد معين، أو إبتداء من موضع خاص أو بواحد معين من الأشياء المتماثلة، يتضمن حكماً أو حكمة البتة. مثال ذلك: أنه ﷺ كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي عينه اليسرى إثنين، والسر في هذا الترتيب وهذا التخصيص: أن اليمنى أشرف العينين فبدأ بها، وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وتراً، فإن للوتر فضلاً على الزوج لأن الله وتر يحب الوتر، فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب، وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر، لأن اليسرى حينئذٍ لا تخصها إلا واحدة، والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل، وإنما خصص اليمين بالزيادة لأن التفضيل لا بد منه للإيثار، واليمين أفضل، فهو بالزيادة أحق، وإنما إقتصر على الأثنين لليسرى مع كونه زوجاً، إذ الزوجية في إحداهما لازمة ضرورية، إذ لو جعل لكل واحدة وتراً لكان المجموع زوجاً، إذ الوتر مع الوتر زوج، ورعايته الأيثار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد. مثال آخر: روى الجمهور في تقليم الأظفار: «أن رسول الله ﷺ كان يبدأ عند تقليم أظفاره الشريفة بمسبحة اليمنى، ويختم بإبهام اليمنى، بأن يبتدىء من مسبحتها إلى خنصرها، ثم يبتدىء من خنصر اليسرى إلى إبهام اليمنى». وفي طريقنا روايتان: إحداهما أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى، وإحداهما بعكس ذلك وهي أشهر. فالسر على رواية الجمهور. كما قيل: أن اليد اليمنى أشرف من اليسرى فيبتدىء بها، ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها فيبتدأ بها، ثم ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها لكون اليمنى أشرف، ولذا إستحب في الشرع وضع الطهور وغيره على اليمنى. ولا ريب في أنه إذا وضعت الكف على الأرض فيمين مسبحة اليمنى هي الوسطى، ووضع ظهر اليد على الأرض وإن إقتضى كون الإبهام هو اليمين، إلا أن الإعتبار الأول أولى، إذ اليد إذا تركت بطبعها كانت الكف مائلة إلى جهة الأرض، =

طهارة الحدث

القسم الثاني: في طهارة الحدث وهي وضوء، وغسل، وتيمّم.

المطلب الأوّل: في الوضوء وأسبابه الموجبة له: البول، والغائط، والريح، والنوم، وكلّ ما يزيل العقل، والاستحاضة القليلة، وزيد في المشهور غير القليلة منها، والحيض والنفاس، ومسّ الميّت بعد البرد وقبل الغسل ويأتي الكلام فيه، كلّ ذلك ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة وأراد فعلها وما سوى ذلك من الوضوء فمسنون، ولنورد أوّلاً آداب قضاء الحاجة وكيفيّة الاستنجاء وآدابه وسننه، ثمّ فضيلة السواك، وآدابه إذ هو من مقدّمات الوضوء، ثمّ كيفيّة الوضوء وآدابه وفضيلته.

= لأن جهة حركة اليد اليمنى إلى جهة اليسار، واليسرى إلى جهة اليمين، واستمام حركة كل منهما في جهة يجعل الكف على الأرض وظهرها عالياً، وإذا كانت الكف مائلة إلى جهة الأرض فإعتبار ما يقتضيه الطبع أولى، فتكون يمين المسبحة هي الوسطى. ثم إذا وضعت الكف على الكف، صارت الأصابع في حكم حركة دائرة، فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة، فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها، ويبقى إبهام اليمنى، وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف، فإن ذلك لا يقتضيه الطبع.

هذا، وأما السر على الرواية من طريقنا، فكأنه إعتبار الأصابع العشرة في حكم صف واحد ثابت على الأرض، والإبتداء باليمين، فإكتفى بما يرى بالنظر الجليل مع ترك اليد بطبعها. وأما الرواية الثانية، فلعلّ السر فيها تحصيل التيامن في كل إصبع بعد الأولى مع الترتيب فيها، ووضع اليدين على ما يقتضيه الطبع. هذا، وأما أصابع الرجل، فلم نعثر على خبر يدل على كيفية الأبتداء والترتيب فيها. فينبغي إعتبار أحد الطريقين المرويين عندنا فيها، ولعلّ إعتبار الأولى لأظهرية سرها أولى، وينبغي أن يكون تقليم أظفارها بعد تقليم أظفار اليدين إن وقعا في وقت واحد، إذ اليد أشرف من الرجل. وقس على ما ذكر سائر ما ورد من الآداب والتخصيصات فإنه لا يخلو شيء منها على سر حكمي، وإن كانت قاصرة عن إدراك أكثرها [جامع السعادات ج ٣ ص ٣١٣-٣٢١].

آداب قضاء الحاجة

ينبغي أن يعمد إلى الخلاء ويبعد عن أعين الناظرين في الصحراء، وأن يتستّر بشيء إن وجده، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس، وأن يغطّي رأسه لئلاّ يصل الرائحة إلى دماغه، بل يقنّع فوق العمامة أيضاً كما كان يفعله الصادق عليه السلام[(١)] إقراراً بأنّه غير مبّرء نفسه عن العيوب، وأن يقدّم في الدخول رجله اليسرى ويقول: «**بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم**»، ويقول عند الكشف: «**بسم الله**» ليغضّ الشيطان بصره كذا في الحديث[(٢)]، وأن لا يجلس في موارد المياه، والطرق النافذة، ومساقط الثمار، ومواطن النزال، ومواضع اللّعن كأبواب الدور، وعلى القبر، ولا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها خصوصاً في الصحراء؛ وعن الرضا عليه السلام: «من بال حذاء القبلة ثمّ ذكر فانحرف عنها إجلالاً للقبلة وتعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتّى يغفر له»[(٣)] ولا يستقبل النيرّين بالفرج ولا الريح بالبول، ولا يبول في الصلبة، ولا قائماً، ولا مطمّحاً[(٤)]، ولا في الحجر، ولا في الماء ويتأكد، في الراكد، ولا يأكل عليه، ولا يشرب، ولا يستاك ولا يتكلّم إلاّ لضرورة، ولا بأس بذكر الله فإنّ موسى عليه السلام قال: «يا ربّ إنّي أكون في أحوال أُجلّك أن أذكرك فيها، فقال: يا موسى عليه السلام قال: يا ربّ إنّي أكون في أحوال أُجلّك أن أذكرك

---

(١) راجع التهذيب ج١ ص ٨، والفقيه ص ٧ تحت رقم ٢.
(٢) راجع الفقيه ص ٧ تحت رقم ٤ و ٥. والكافي ج٣ ص ١٦.
(٣) الفقيه ص ٨ تحت رقم ٨.
(٤) طمح الفرس ـ من باب التفعيل ـ رفع يديه، وبالشيء: رماه في الهواء. وفي الفقيه ص ٨ نهى الرسول صلى الله عليه وآله أن يطمح ببوله في الهواء من السطح أو من الشيء المرتفع.

فيها، فقال: يا موسى أُذكرني على كلّ حال»[١] ولا يدخل معه الخلاء خاتماً عليه اسم الله أو مصحفاً فيه القرآن، فإن دخل وعليه خاتم عليه اسم الله فليحوّله عن يده اليسرى إذا أراد الاستنجاء وليقول عند الفعل: «الحمد لله الّذي أطعمني طيّباً في عافية وأخرجه منّي خبيثاً في عافيه»، وفي الحديث النبويّ ﷺ: «ما من عبد إلاّ وبه ملك موكل يلوي عنقه حتّى ينظر إلى حدثه، ثمّ يقول له الملك: يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته وإلى ما صار، فعند ذلك ينبغي للعبد أن يقول: «اللّهمّ ارزقني الحلال وجنّبني الحرام»[٢].

قال بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ[٣]: «تذكر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك وما تشتمل عليه من الأقذار، وما في باطنك وأنت تزيّن ظاهرك للناس والله تعالى مطّلع على خبث باطنك وخسّة حالك، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن والأخلاق الداخلة في الأعماق المفسدة لك على الإطلاق لتريح نفسك عند إخراجها وتسكن قلبك من دنسها وتخفّف لبّك من ثقلها وتصلح للوقوف على بساط الخدمة والتأهلّ للمناجات ولا تستر ما ظهر عنك، فلا بدّ أن يظهر عليك ما بطن لأنّ الطبيعة تظهر ما كمن فيها وتفتضح حينئذ بما سترته عن الناس كما يفعله الله بكلّ مدلّس، قال الصادق عليه السلام: سمّي المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها، والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدُنيا كذلك تصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها وبتركها، ويفرغ نفسه وقلبه عن

---

(١) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في التوحيد ص ١٧٤ وفي العيون والفقيه أيضاً.

(٢) رواه الصدوق في علل الشرائع ج١ باب ١٨٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) يعني الشهيد الثاني ـ عليه الرحمة ـ ذكره في كتابه المسمى بأسرار الصلاة ص ١٨٢ من طبعة الملحق بكشف الفوائد.

شغلها، ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفكّر في نفسه المكرّمة في حال كيف تصير ذليلة في حال، ويعلم أنّ التمسّك بالقناعة والتقوى تورث له راحة الدارين، وأن الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتّع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة فينغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إيّاها ويفرُّ من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكفّ عن الشهوات إلى أن يتّصل بأمان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه فإنّ المعوّل ذلك وما عداه لا شيء»[١].

كيفية الاستنجاء وآدابه

إذا فرغ من قضاء الحاجة يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار طاهرات منشّفات أو خرق أو مدر أو نحوها، ويحرم العظم والروث والمطعوم والمحترم فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فليتمّم خمسة أو سبعة إلى أن تنقي فالايتار نفل والإنقاء فرض، وفي الحديث: «من استجمر فليوتر»[٢] هذا إن أراد الاقتصار على الحجر والأفضل أن يستنجي بالماء في الحديث النبويّ ﷺ: «أنّه مطهّرة للحواشي ومذهبة للبواسير»[٣] والأكمل أن يجمع

---

(١) انتهى كلام الشهيد. رحمه الله في أسرار الصلاة ونقل من خبر الصادق عليه السلام وما بعده إلى هنا من مصباح الشريعة الباب التاسع.

(٢) أخرجه البزاز والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وآله كما في مجمع الزوائد ج١ ص ٢١١، ورواه الشيخ. رحمه الله في التهذيب ج١ ص ١٣ والاستبصار طبع النجف ج١ ص ٥٢ هكذا «إذا استنجى أحدكم فليوتر».

(٣) المراد بالحواشي جوانب المخرج والخبر في التهذيب ج١ ص ٨١٣ والكافي ج٣ ص ١٢ تحت رقم ١٢.

بينهما فقد روي أنّه لما نزل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(١) قال رسول الله ﷺ لأهل قبا: «ما هذه الطهارة الّتي أثنى الله بها عليكم؟ قالوا: إنّا نجمع بين الماء والحجر»(٢)(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٢) راجع مجمع الزوائد ج١ ص ٢١٢، ونيل الاوطار ١ص ١٢٥ منقول فيهما عن البزاز والترمذي وأبي داود وابن ماجه.

في التخلي

(٣) قال القاضي سعيد القمي: لمّا كان الله دعى العبد في صلاته إلى قربه ومناجاته، فينبغي للعبد أن يميط عن نفسه كلّ أذى ووسخ يبعده عن ربّه فمن ذلك: تطهير جوفه وتخليته عن فضلة طعامه وشرابه التي هي رجز الشيطان حيث لم يكن لها في تلك المدينة الفاضلة الإنسانية منفعة، بل هي مثيرة الفتن والعلل ومنشأ الآلام والأسقام في هذا الهيكل. ويغسل موضع خروجها حتى لا يبقى أثر من آثارها: إمّا بالماء الذي هو أصل الحياة إذ الموضع لاقى الميّت البعيد عن تصرف الزوح فيه، أو بالأستجمار، حيث كان الحجر آلة لدفع كلّ ما يقصد تبعيده فيقوى بذلك على التطهير من رؤية الأسباب والمسبّبات كما هو فائدة الوضوء، ويصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الأدناس والبراءة من نفسه ومن الناس، وليخلوا البيت لنزول سلطان القرب نزولاً بلا قياس.

واعلم، إنّ السوأتين هما محلّ الستر والصّون كما هما محلّ إخراج الأذى القائم بالبطن وهما أيضاً عورتان أي مائلتان إلى ما توسوس به النفس من الأمور القادحة في الدّين أصلاً وفرعاً، فإذا طهّرتهما من هذا الخبث الظّاهر بالماء الطاهر أو بالحجر، فأزل عن باطنك ما تعلّق به من الأفكار الردية والشبه المضلّة بماء العلم بتوحيد الله وتصديق رسله وإطاعة ولاة أمره علماً حقيقياً برهانياً، تعقل عن الله وتعرف به وجه الحقّ في كلّ شبهة، وطريق الخروج من كلّ ضيق وظلمة إن كنت ممّن يتمكن من إستعمال هذا النحو من العلم، وإلاّ فبإستجمار لزوم الجماعة وتقليد أئمة العلم والحكمة إذ «الجمرة»: الجماعة أيضاً. ووجه الوترية، إن الله وتر يحبّ الوتر، فيريد أن يكون الوتر مشهوداً للسّالك إليه، في كلّ أمر، وإن تمكنت من الجمع بين العلم ولزوم الجماعة فنور على نور. وبالجملة، كأن الإنسان بالمعاضدة التقليدية يجمع الأحجار ليدفع الأخباث الواردة عليه من جهة الشيطان فقد ورد في دعاء الإستنجاء: «الحمد لله الذي طهرني من الرّجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

في الوضوء

= إعلم، أنه ما من حكم شرعي في الظاهر إلاّ وله نسبة إلى الباطن فلتكن أنت يا أخي ممّن يعبد الله بما شرع له ظاهراً وباطناً لتكون من أهل الشرف، ولا تكن ممّن يعبد الله على حرف، فإذا تمكّنت من إستعمال الماء في الوضوء فإستشعر أنّك بحسب مرتبتك عند الله في منزله أباح الله لك تناول رحمته ولطفه، وشرع لك تحصيل العلم الحقيقي إلى معرفته ومواقع أحكامه، وفتح لك باباً إلى سماء قربه ومناجاته بالماء الذي نزل منها لتطهير عباده وتخليصهم من كلّ ما يورث البعد عنه وعن جواره، وكذلك مكّنك من طهارة الظاهر بالماء الذي هو حياة الأبدان، والباطن بالعلم الذي هو حياة أرواح الإنسان، فأوّل ما ينبغي لك أن تغسل يديك قبل إدخالها الإناء لتناول تلك الرحمة وهذا العلم، وتطهّرهما من كل شيء سيّما من حولك، وقوتك فاليسرى لا حول عن المعاصي، واليمنى لا قوة على الطاعات إلاّ بالله. [أسرار العبادات ص ٢١-٢٢].

ما يلزم على العاقل بحكم عقله

قال النراقي في جامع السعادات: ويلزم على العاقل بحكم عقله أنّه إذا علم من الشريعة لزوم طهارة مكانه، الذي هو طرفه الابعد ثمّ ثيابه الّذي هو غلافه الأقرب، ثمّ جلده الّذي هو قشره الأدنى، فلا يسعه أن يغفل عن تطهير لبّه الّذي هو ذاته وهو قلبه، فعليه أن يجتهد في تطهيره أزيد من غيره لأنّه موضع نظر ربّه، وتطهيره بالتوبة النصوح، فإنّ الباطن إنّما يطهر بها، أما سمعت قول الصادق عليه السلام وطهّر باليقين والتقوى قلبك، فإنّ اليقين يورث التقوى، والتقوى لا يكون إلاّ بالتوبة، وإذ قد تمهّد ذلك فإعلم إنّ التوبة أهمّ من الطهارة في الصلاة فيجب أن يعلم حقيقتها فأقول: حقيقتها فهو أن يرجع العبد من غير الله إلى الله وإن شئت قلت: من مكروه الله إلى رضاه، وإن شئت قلت: من بعده إلى قربه، وإن شئت قلت: من الظلمة إلى النور، وإن شئت قلت: من المعصية إلى الطاعة. ويكتمل من علم وحال وعمل، ويتحقّق بكلّ منها لأنّ كلّها مطلوبة مستقلاً، وأضدادها بخلافها، فالرجوع عنها يسمّى توبة.

أمّا العلم أن يعلم أنّ الحال الذي فيه هو، مورث الشقاوة أو مانع من السعادة، وتفصيله أن يعلم جميع مراتب العلوم النافعة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر مع استشعار الحرمان من السعادات اللازمة لها، والكائنة فيها. =

= وأمّا الحال فالتحسّر بالشقاء، وقصد أنّ السعادة في الماضي والحال والإستقبال والرغبة بالتدارك في الأحوال الثلاثة.

وأمّا العمل فبالرجوع والخروج عمّا كان، والعزم لإدامته فيما يكون والرجوع إجمالاً أن يحصل معنا يتدارك به ما تحس بسببه للعاجل والآجل وهو إن كان متعلقاً بحقّ من حقوق الله، فله تداركه بالقضاء ومحو الآثار، ومنه إذابة اللحم الناشيء من المعصية، وإذاقة النفس ألم الطاعة بقدر إلتذاذها بالمعصية، وصفائها بالنور بقدر تكدّرها بظلمة المعصية، وإن كان متعلّقاً بحقوق المخلوق، فإن أمكنه الاداء فباداء حقوقهم، ولا بالإستعفاء والإسترضاء مورثاً للفتن، فله أن يستغفر له، ويعمل له أعمالاً صالحة بقدر ما يتدارك به الخيانة، ثمّ محو الآثار وإن كان من قبيل الحيوانات، فإن أمكنه أن يعوّضه من أضراره بنحو يقابله ثمّ محو الآثار، فله أن يتداركه إحتياطاً، وهذا كلّه يفهم من التدّبر فيما روى عن أمير المؤمنين، أنّه قال، لقائل بحضرته إستغفر الله ثكلتك أمّك، أتدري ما الإستغفار؟ إنّ الإستغفار درجة العلّيين، وهو إسم واقعٌ على ستّة معانٍ:

أوّلها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم، حتّى تلقى الله أملس وليس لك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها، تؤدي حقّها.

الخامس: أن تعمد إلى اللحم الّذي نبت على السحت، فتذيب بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم، فينبت بينهما لحم جديد.

السادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: استغفر الله، وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله، ومدد عنايته ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال.

وكل فرقة من العباد لهم توبة.

فتوبة الأنبياء: من إضطراب السر.

وتوبة الأولياء: من تلوين الخطرات.

وتوبة الأصفياء: من النفس.

وتوبة الخاص: من الإشتغال بغير الله.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه[١]: «كان الناس يستنجون بالأحجار فأكل رجل من الأنصار طعاماً فلان بطنه فاستنجى بالماء فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢] فدعاه رسول الله ﷺ فخشي الرجل أن يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه فلمّا دخل قال له رسول الله ﷺ: هل عملت في يومك هذا شيئاً؟ قال: نعم يا رسول الله أكلت

= وتوبة العام: من الذنوب، ولكلّ واحد منهم معرفة، وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره. فأمّا توبة العام: فإن يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة، والإعتراف بجنايته دائماً، وإعتقاد الندم على ما مضى، والخوف على ما بقى من عمره، ولا يستصغر ذنوبه، فيحمله ذلك إلى الكسل، ويديم البكاء، والأسف على ما فاته من طاعة الله، ويحبس نفسه من الشهوات، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته، ويعصمه من العود على ما سلف، ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة، ويقضي الفوائت من الفرائض، ويردّ المظالم، ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله، ويظمأ نهاره، ويتكفّر دائماً في عاقبته، ويستعين بالله سائلاً منه الإستقامة في سرّاءه وضرّائه، ويثبت عند المحن والبلا كيلا يسقط عن درجة التوّابين هذا، وقد ذكر بعض السلف من العرفاء للتوبة حقائق وأسراراً ولطائف الأسرار، وذكر في الأول ثلاثة أشياء: تعظيم الجناية، وإتهام التوبة، وطلب إعذار الخليقة، والمراد من الأوّل ما أشار إليه الصادق عليه السلام من قوله: ولا يستصغر ذنوبه، والمراد من الثاني ما أشار إليه بقوله: ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته والمراد من الثالث ما أشار إليه بقوله ويردّ المظالم.

وذكر في السرائر تميز التقيّة من العزّة، ونسيان الجناية، والتوبة من التوبة، والمراد من الأوّل أن يخلص توبته من الرياء، والمراد من الثاني أن يشتغل بذكر الله بعد التوبة، حتّى ينسى جنايته، وتوبته من الجناية، وهو وإن كان حالاً ومقاماً سنيّاً، إلاّ أنّه لا يدخل في التوبة، والمراد من الثالث على الظاهر التوبة من التوبة لنقصها، أو التوبة من التوبة الّتي يراها بحوله وقوّته، وكلاهما جيّد، ولكن عدّ ذلك في تلو الثاني لا يخلو عن شيء. [جامع السعادات ج ٣ ص ٤١-٤٥].

(١) ص ٨ تحت رقم ٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٢٢٢.

طعاماً فلان بطني فاستنجيت بالماء فقال له: أبشر فإنّ الله تبارك وتعالى قد أنزل فيك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وينبغي أن ينتقل من موضع الحاجة إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محلّ النجو ويدلكه باليسرى حتّى لا يبقى أثر يدركه الكفّ بحسّ اللّمس ويطمئنّ نفسه، ولا يستقصي فيه بالتعرض للباطن فإنّ ذلك منبع الوسواس، وليعلم أنّ كلّما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم يبرز كلّ ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله فلا معنى للوسواس وليقل أوّل ما صبّ الماء على يده للاستنجاء: «**الحمد لله الّذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً**».

وعند الاستنجاء: «**اللّهمّ حصّن فرجي وأعفّه، واستر عورتي، وحرّمني على النّار**».

وعند الفراغ منه: «**الحمد لله الّذي أماط عنّي الأذى وهنّأني طعامي وشرابي وعافاني البلوى**»(١).

ويبتدىء في الاستنجاء بالمقعدة ثمّ بالإحليل، ويستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثاً(٢) بعد إمرار اليد على أسفل القضيب ثلاثاً ثمّ يغسل ذكره، ويكره مسّ الذكر باليمين.

قال أبو حامد: «ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشقّ عليه

(١) الفقيه ص ٨ تحت رقم ١٩ وراجع الكافي ج٣ ص ١٦ والتهذيب ج١ ص ١٠٠.
(٢) النتر: الجذب، والاستنتار من البول: استخراج بقية ما في الذكر بالاجتذاب والاهتمام به.

الأمر وما يحسُّ به من بلل فليقدّر أنّه بقيّة الماء، فإن كان يؤذيه ذلك فليرشّ الماء عليه حتّى يقوي في نفسه ذلك، ولا يتسلّط عليه الشيطان بالوسواس، وفي الخبر أنَّ النبيَّ ﷺ فعل وذلك أعني رشّ الماء وقد كان أخفّهم استبراء أفقههم فتدلُّ الوسوسة فيه على قلّة الفقه».

أقول: وفي كتاب من لا يحضره الفقيه: «سأل حنّان بن سدير أبا عبد الله عليه السلام فقال: إنّي ربّما بلت فلا أقدر على الماء ويشتدُّ ذلك عليَّ فقال: إذا بلت وتمسّحت فامسح ذكرك بريقك فإن وجدت شيئاً فقل: هذا من ذاك»[1] ولعلَّ المراد بالذّكر غير محلّ لنجاسة منه.

وفي الصحيح: «عن الصادق عليه السلام في الرجل يبول قال: ينتره ثلاثاً ثمّ إن سال حتّى يبلغ الساق فلا يبالي»[2].

وفي الحسن: «عن الباقر عليه السلام في رجل بال ولم يكن معه ماء قال: يعصر أصل ذكره إلى طرفه ثلاثة عصرات وينتر طرفه فإن خرج بعد ذلك شيء فليس من البول ولكنّه من الحبائل»[3] والحبائل: عروق الظهر.

ولا يجري في تطهير مخرج البول غير الماء عند أصحابنا كافّة، كذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام وإذا خرج من الخلاء فليقدّم رجله اليمنى وليقل

---

(١) الفقيه ص ١٦ تحت رقم ١٢، والكافي ج٣ ص ٢٠. ولعله شكا عن البلل الذي ربما يجده الإنسان في ثوبه أو بدنه بعد البول بزمان وهو قد يكون من العرق وقد يكون خارجاً من مخرج البول وهو موجب للوسواس فعلمه عليه السلام حيلة شرعية ليتخلص بها عن تلك المضيقة.

(٢) التهذيب ج١ ص ٩ وفي الاستبصار ج١ ص ٩٤ نحوه.

(٣) الكافي ج٣ ص ١٩ تحت رقم ١ وقد مر معنى النتر.

ماسحاً بطنه: «**الحمد لله الّذي أخرج عنّي أذاه وأبقى في جسدي قوّته فيالها من نعمه لا يقدر القادرون قدرها**».

قال أبو حامد «في حديث سلمان: علّمنا رسول الله ﷺ كلّ شيء حتّى الخراءة أمرنا أن لا نستجمر بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول»[١] وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه: لا أحسبك تحسن الخراءة فقال: بلى وأبيك وإنّي بها لحاذق أبعد الأثر، وأعدّ المدر، واستقبل الشيح، وأستدبر الريح، وأقعى إقعاء الظبي، وأجفل جفال النعام.

الشيح: نبت طيب الرائحة يكون بالبادية، **والإقعاء**: ههنا أن يستوفز على صدور قدميه، **والأجفال**: أن يرفع عجزه»،

قال: «ومن الرخصة أو يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدّة حيائه ليستنّ للناس».

فضيلة السواك وآدابه

إذا فرغ من الاستنجاء يشتغل بالوضوء، فقد قيل: لم ير رسول الله ﷺ قطّ خارجاً من الغائط إلاّ توضّأ ويبتدىء بالسواك.

فعن النبيّ ﷺ: «**إنّ أفواهكم طرق القرآن فطيّبوها بالسواك**»[٢] فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص ٤٣٧.
(٢) رواه البرقي في المحاسن ص ٥٥٨. وأخرجه ابن ماجه عن علي بن أبي طالب عليه السلام حتى رقم ٢٩١.

وعنه ﷺ: «صلاة على أثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير السواك»[١].

وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أُمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كلّ صلاة»[٢].

وقال ﷺ: «مالي أراكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا»[٣] أي صفر الأسنان.

وكان ﷺ يستاك في اللّيلة مراراً[٤].

وقال ﷺ: «ما زال جبرائيل عليه السلام يوصيني بالسواك حتى خشيت أن أُحفي أو أدرد»[٥] وهما على صيغة التكلّم أي استقصي على أسناني فأُذهبها بالتسوُّك، والدرد: سقوط الأسنان.

وقال ﷺ: «السوّاك شطر الوضوء»[٦].

وقال ﷺ: «لكلّ شيء طهور وطهور الفم السواك»[٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية في كتاب السواك من حديث ابن عمر. كما في المغنى ونقله المجلسي. ره. في البحار ج ١٦ باب السواك عن اعلام الدين للديلمي.
(٢) الكافي ج٣ ص ٢٢. وسنن ابن ماجه تحت رقم ٢٨٧.
(٣) الكافي ج٦ ص ٤٩٦ .والقلح: صفرة تعلم الاسنان ووسخ يركبها.
(٤) راجع سنن ابن ماجه ج١ ص ١٠٦. وأبي داود ج١ ص ١٤.
(٥) الكافي ج٣ ص ٢٣، وج ٦ ص ٤٩٥.
(٦) البحار ج ١٦ باب السواك عن كتاب الامامة والتبصرة.
(٧) رواه الصدوق في العلل ج١ باب ٢٢٧. والفقيه ص ١٣ تحت رقم ٩.

وروي: **«لو علم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحافهم»**[١].

وقال الباقر والصادق عليهما السلام: **«صلاة ركعتين بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك»**[٢].

وقال الباقر عليه السلام في السواك: **«لا تدعه في كلّ ثلاثة أيّام ولو أن تمرّه مرّة واحدة»**[٣].

وقال الصادق عليه السلام: **«في السواك اثنتا عشرة خصلة: هو من السنّة، ومطهرة للفم، ومجلاة للبصر، ويرضي الرحمن، ويبيّض الأسنان، ويذهب بالحفر، ويشدُّ اللثة، ويشهي الطعام، ويذهب بالبلغم، ويزيد في الحفظ، ويضاعف الحسنات، وتفرح الملائكة»**[٤].

كيفية الاستياك

وكيفيته: أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار ممّا يخشن ويزيل القلح بالعرض، ففي الحديث النبويّ صلى الله عليه وآله، **«اكتحلوا وتراً، واستاكوا عرضاً»**[٥].

ووقته: عند كلّ صلاة، وعند كلّ وضوء وإن لم يصل عقيبه، وعند

(١) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٦.

(٢) الكافي ج٣ ص ٢٢ تحت رقم ١، والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١١.

(٣) الكافي ج٣ ص ٢٣ تحت رقم ٤. والفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٢.

(٤) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٨، وفي المحاسن ص ٥٦٢ والكافي ج ٦ ص ٤٩٥ تحت رقم ٦ .والحفر . بالتحريك .: سلاق في اصول الاسنان أو صفرة تعلوها ويسكن.

(٥) الفقيه ص ١٣ تحت رقم ١٣.

تغيّر النكهة بالنوم، أو طول الازم[١] أو أكل ما يكره رائحته.

وعن الصادق عليه السلام «إذا قمت باللّيل فاستك فإنّ الملك يأتيك فيضع فاه على فيك وليس من حرف تتلوه إلاّ صعد به إلى السماء، فليكن فوك طيّب الريّح»[٢] ويجوز لاعتياض عنه بالمسبّحة والإبهام عند عدمه أو ضيق الوقت كما يستفاد من الأخبار.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «وكما تزيل ما تلوّث من أسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرُع والخشوع والتهجّد الاستغفار بالأسحار وطهّر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلّها خالصاً لله فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أراد باستعماله مثلاً لأهل اليقظة، وهو أنّ المسواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك، والأسنان خلقٌ خلقه الله تعالى في الفم آلة وأداة للمضغ وسبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة، وهي جوهرة صافية تتلوّث بصحبة تمضيغ الطعام وتتغيّر بها رائحة الفم ويتولّد منها الفساد في الدماغ فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللّطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغيّر وعادت إلى أصلها كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم وإذا شيب القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة التوبة ونظّف بماء الإنابة ليعود إلى حالته الأُولى وجوهرته الأصليّة الصافيّة، قال الله عز وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «**عليكم باستواك ظاهر الأسنان**» وأراد هذا المعنى، ومن أناخ تفكّره على عتبة

(١) **الازم**: الصمت والامساك.

(٢) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج ٣ ص ٨٢٣ وروى نحوه البرقي في المحاسن ص ٥٥٩.

باب العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع أجر المحسنين»(١)(٢).

---

(١) مصباح الشريعة الباب الثامن.

(٢) قال التبريزي في أسرار الصلاة: على المصدّق بالنبيّ وآله أن يعتني بأمثال هذه كلّ الإعتناء، ولا يهملها ولا يضيّعها، ويعامل معها معاملة الأسرار، ويغتنم ما وصل إليه من هذه المعارف، والتأويلات الحقّة بجزئيّات العبادات الواردة في الشّريعة المقدسة، ومقدّماتها ويشكر لله ولرسوله المبلّغ، ولخلفائه الحافظين بل وعلى الجملة الرّاوين لهم عنهم عليهم السلام، فيؤدي حقّ شكر هذه النّعم الباطنيّة الفاخرة، ويفوز بأنوارها ويصل إلى ثمراتها وفوائدها، وإلا فمن غفل عن الجملة من النّعم اللّطيفة الحقيقيّة، ولم يعظمها حقّ عظمتهما، فلا ينتفع منها بل ويزيده خساراً من جهة تضييعها بعد إتمام الحجّة، وأمّا إذا آمن بها واعتقد عظمتها، فلا بدّ أن يواظب عليها ويجد في التأمل فيها، وفي أمثالها كما أشير إليه في آخر ما في مصباح الشّريعة، وإذا إشتغل بهذه المراقبة، وغاص في التفكّر فيها، ربّما ينكشف له عن حقائقها، ويرى صورها المثالية، وأثراتها الباطنة، وانقلب له الغيب عياناً، والرّواية دراية والعلم وجداناً، فيكثر جدّه، وآهتمامه في هذا الباب، ويستغرق أوقاته ويصير همّه همّاً واحداً، فينجرّ ذلك إلى ساير المعارف، حتّى يستغرق عقله بمعرفة الله، وإذا يكون سائس أموره الدنيوية، وشؤنه الظّاهرية هو الله، فلا يبقى له شغل بمخلوق، وهم بغير الله، وجدّ في غير لقاء الله، فيزيد شوقه يوماً فيوماً، حتّى ينسلك في سلك المشتاقين، وحينئذٍ يشتاق إليه ملائكة ربّه، فيبشره ملك الموت عند قبضه، بقوله: ابشر يا ولي الله، إنّ الله إليك لمشتاق.

ومن اللّوازم في غير مسئلة السّواك، وأمثالها من الآداب الجزئيّة الّتي ورد فيها مثل ذلك، من التأكيد والفضل. والمثوبات الجليلة، إن لا يستبعدها وإن كان بعيداً في عقله، بل عليه حينئذٍ أن يتفكّر في حكمها، حتّى يظهر له بنور الفكرة ما يزيل عنه ظلم الشكوك، والإرتياب فإنّ الله موفّق للصواب، مثلاً إذا لاحظ في مسئلة السّواك هذه الفضيلة العظيمة، وإستبعد عقله أن يكون لمثل هذا العمل البدنيّ الجزئي، الّذي هو عبارة عن دلك الأسنان، وتطهيرها من الفضل أن يزيد ثواب صلاته بسبعين ضعفاً، وإيّاه أن يقبل عن عقله هذا الحكم الصّادر من بادى نظره، بل عليه أن يمعن النّظر ويغور في تفهّم حكم هذا الأمر=

كيفية الوضوء وآدابه وسننه

إذا فرغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول: «بسم الله الرّحمن الرّحيم»، فعن النبيّ ﷺ: «لا وضوء لمن لم يسمّ الله»[1] أي ولا وضوء كاملاً.

وعنه ﷺ: «من توضأ فذكر اسم الله طهّر جميع جسده وكان الوضوء إلى الوضوء كفّارة لما بينهما من الذنوب ومن لم يسمّ لم يطهر من جسده إلاّ ما أصابه الماء».

= الجزئي، وفوائده وإذا تفكّر في ذلك، وأجال نظره فيه، رأى أنّه سبب لدفع فساد الدّماغ الّذي هو مركب عقل الإنسان، وإذا إختل، إختل العقل بإختلاله وفساده والادلاك للإنسان أعظم من فساد عقله، صدّق قول الحكيم الصّادق في الحثّ عليه، وحق الحكمة الإلهية في جعل هذه المثوبات الجزيلة له وإذا زاد في الفكر ورأى أنّه سبب بقاء الاسنان، إذ الاسنان لها دخل عظيم في تحليل الغذاء، الذي به قوام البدن، الذي به حياة الانسان، وطول عمره الّذي به يفوز إلى الدّرجات العالية، يزيد في تصديقه، وأيضاً إذا أمعن النّظر يرى أنّ ميزان حسن الأعمال، والأفعال وقبحها ليس بالكثرة والقلّة، بل باللّطف والدّقة، فإن شئت تصديق ذلك، فأنظر في خدّام السلاطين، فإن الجندي خدمته المقاتلة الّتي قد ينجر إلى القتل والهلاك، وأجرته شيء قليل ونذر يسير، والوزير خدمته بعض التّدبيرات والفكريّات، وأجرته ووظيفته يزيد على وظيفة عشرة آلآف جندي، فالعبرة في الخدمة بلطف العمل، لا كثرته وشدّته، فإذا كان الأمر على ذلك، فلم تستبعد أن يزيد مراقبة العبد لمولاه في تطهير أسنانه، عند صلاته في عمل سبعين ضعفاً، فيكون هذا التّضعيف في قبال لطف هذه المراقبة الدّقيقة، بأن لم يرض العبد أن يكون عند حضوره في محضر ربّه، ومناجاته شيء من أعضائه، لا سيّما عضوه الّذي هو طريق قرائة كلام ربّه، متلوثاً بأثر من الدنيا المبغوضة، فهذه مراقبة لطيفة يستحق كلّ نوع من المثوبات الجزيلة، فلا إستبعاد إلاّ في النظرة الأولى والحمقى، والحمد لله. [اسرار الصلاة ص ٣٣-٣٤].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١ ص ١٤٦ عن أبي هريرة.

وعن الصادق عليه السلام: «من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنّما اغتسل» رواهما في الفقيه[١].

ويقول عند النظر إلى الماء: «الحمد لله الّذي جعل الماء طهوراً ولم يجعله نجساً» ثم يغسل يديه من الزندين مرّة للنوم أو البول، ومرّتين للغائط قبل إدخالهما الإناء إن اغترف من إناء ويقول: «بسم الله وبالله اللّهمّ اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهّرين» وتجزىء هذه التسمية عن الأولى.

ثمّ يمضمض ثلاثاً بثلاث أكفّ ويقول: «اللّهمّ لقّني حجّتي يوم ألقاك، وأطلق لساني بذكراك».

ثمّ يستنشق كذلك ويقول: «اللّهمّ لا تحرمني ريح الجنّة، واجعلني ممّن يشمّ ريحها وروحها وطيبها».

قال أبو حامد: «ثمّ يستنثر ما فيه ويقول: «اللّهمّ إنّ أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدّار، لأنّ الاستنشاق إيصال والإستنثار إزالة». انتهى.

ثمّ يغترف بيمناه غرفة وينوي نفسه أنّه يتوضّأ تقرّباً إلى الله تعالى ويغسل بها وجهه ضارباً بها عليه صيفاً وشتاء، فإنّه إن كان ناعساً فزع واستيقظ وإن كان البرد فزع فلم يجد البرد (كذا عن الصادق عليه السلام)[٢]، ويبتدىء بأعلى الوجه قائلاً: «اللّهم بيّض وجهي يوم تسودّ الوجوه، ولا تسوّد وجهي يوم تبيض الوجوه»، ويمرّ يده عليه ويخلّل الشعر ويفتح عينيه. وحدُّ الوجه طولاً وعرضاً ما دارت

---

(١) ص ١٢ تحت رقم ١٧ و١٨. ورواهما الدارقطني من حديث أبي هريرة.

(٢) علل الشرائع ج١ باب ١٩٣ والتهذيب ج١ ص ١٠٢ وفيه: «فليصفق وجهه بالماء» وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن ضرب الماء بالوجه وقال: شنوا الماء شناً. التهذيب ج١ ص ١٠٢.

عليه الإبهام والوسطى، ثمّ يأخذ غرفة بيده اليسرى ويغسل بها اليمنى، مبتدئاً بالمرفق وبظاهر الذراع والمرأة بباطنها، ممرّاً يده عليها، مخلّلاً للشعور والمساتر، محرّكاً للخاتم ونحوه، قائلاً: **«اللّهم أعطني كتابي بيميني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً»**.

ثمّ يأخذ غرفة أُخرى بيده اليمنى، ويغسل بها اليسرى كاختها قائلاً: **«اللّهمّ لا تعطني كتابي بشمالي، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي، وأعوذ بك من مقطّعات النيران»**.

ثمّ يمسح بالبلل الّذي على يمينه بشرة مقدّم رأسه أو شعره الّذي لا يخرج بمدّه عن حدّه بمقدار ثلاث أصابع مضمومة أو أكثر قائلاً: **«اللّهم غشّني رحمتك وبركاتك»**.

ثمّ ببقيّة ذلك البلل ظهر قدمه اليمنى من رؤوس الأصابع إلى الكعب - أعني مفصل الساق والقدم بكلّ الكفّ - ثمّ ببلل يساره قدمه اليسرى كذلك قائلاً فيهما: **«اللّهمّ ثبّتني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي»**.

ويقول عند الفراغ: **«الحمد لله ربّ العالمين»**.

والواجب فيه النيّة وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين، ومسح شيء من مقدّم الرأس وشيء من ظهر القدمين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، والترتيب والموالات، والأولى وحدة الغسلات بل الاقتصار على غرفة أو غرفتين والأصابع بمدّ، وما ورد أنّ الوضوء مرتّين مرتين أو أنّ المرّتين إسباغ فمجمل مأوّل.

وفي الفقيه[1] قال الصادق عليه السلام: «والله ما كان وضوء رسول

---

(١) ص ١٠ تحت رقم ٣.

الله ﷺ إلاّ مرّة مرّة، وتوضّأ النبيُّ ﷺ مرّة مرّة، فقال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلاّ به».

وفيه عن النبيّ ﷺ: «الوضوء مدٌّ والغسل صاع وسيأتي أقوام من بعدي يستقلّون ذلك فأولئك على خلاف سنّتي، والثابت على سنّتي معي في حظيرة القدس»[١] وطعن -رحمه الله-[٢] في أخبار المرّتين بانقطاع الإسناد وعدم الدلالة صريحاً وأيّد المرّة بما روي: «أنّ الوضوء حدٌّ من حدود الله ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه، وأنّ المؤمن لا ينجّسه شيء، وإنّما يكفيه مثل الدُّهن».

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ﴾[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «من تعدّى في وضوئه كان كناقضه»[٤] وإلى هذا ذهب ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينيّ - رحمه الله - أيضاً[٥] ويمكن تنزيل حديث المرّتين على الغرفتين كما يشعر به، ما ورد عن الباقر عليه السلام أنّه سئل: «الغرفة الواحدة تجزىء للوجه وغرفة للذراع؟ قال: نعم إذا بالغت فيها والثنتان تأتيان على ذلك كلّه»[٦].

ويكره الاستعانة، والمشمّس[٧] والآجن، وسؤر غير المأمون،

(١) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٢.
(٢) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٤.
(٣) الآية في سورة الطلاق: ٢، والخبر في الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٥و٦، والكافي ج٣ ص ٢١ تحت رقم ٢.
(٤) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٦. وقوله: «كناقضه» نقل عن السيد الداماد قراءته بالصاد.
(٥) راجع الكافي ج ٣ ص ٢٧ ذيل الحديث التاسع.
(٦) التهذيب ج١ ص ١٠٢.
(٧) أي الماء المسخن بالشمس.

والمستعمل في رفع الأكبر.

قال أبو حامد: «ومهما فرغ عن وضوئه وأقبل على الصلاة ينبغي أن يخطر بباله أنّه طهّر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الربّ وليتحقّق أنّ طهارة القلب بالتوبة والخلوّ عن الأخلاق الذميمة، فإنّ من اقتصر على طهارة الظاهر فهو كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات، واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدره بالتعرّض للمقت والبوار» انتهى كلامه.

وسيأتي في هذا الباب كلام آخر عن بعض علمائنا عن قريب.

فضيلة الوضوء

عن النبيّ ﷺ: «من توضّأ فأسبغ الوضوء وصلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، وفي لفظ آخر: «ولم يسه فيهما غفر له ما تقدّم من ذنبه»[1].

وعنه ﷺ: «ألا أنبّئكم بما يكفّر الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ إسباغ الوضوء في المكاره، ونقل الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[2].

وعنه ﷺ: «الوضوء على الوضوء نور على نور، ومن جدّد وضوءه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ١١٧ وص ١١٢. وأيضاً ابن المبارك في الزهد والرقائق. والراوندي في لب اللباب كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٥٢.

(٢) امالي الصدوق ـ رحمه الله ـ ص ١٩٤ بادنى تغيير، وبلفظه في دعائم الإسلام كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٥١.

من غير حدث جدّد الله توبته من غير استغفار»[١].

وعنه ﷺ: «من توضّأ على طهر، كتب الله له عشر حسنات»[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «الطهر على الطهر عشر حسنات»[٣].

وعن الكاظم عليه السلام: «من توضّأ للمغرب كان وضوؤه ذلك كفّارة لما مضى من ذنوبه في نهاره ما خلا الكبائر، ومن توضّأ لصلاة الصبح كان وضوؤه ذلك كفّارة لما مضى من ذنوبه في ليلته إلاّ الكبائر»[٤].

وروي: «أنّ تجديد الوضوء لصلاة العشاء يمحو «لا والله» و«بلى والله»»[٥].

---

(١) الفقيه ص ١٠ تحت رقم ٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٥١٢. وأبو داود ج١ ص ١٥.

(٣) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج ٣ ص ٧٢ تحت رقم ١٠.

(٤) الكافي ج٣ ص ٧٢ تحت رقم ٩.

في الطهور وهو إما الماء وهو الأصل في هذا الباب وإما الأرض

(٥) **قال الإمام الخميني**: إعلم أن للإنسان السالك في الوصول إلى المقصد الأعلى ومقام القرب الربوبي طريقين على نحو كلي أحدهما وله مقام الكلّية والأصالة وهو السير إلى الله بالتوجّه إلى مقام الرحمة المطلقة وخصوصاً الرحمة الرحيمية وهي رحمة توصل كل موجود إلى كماله اللائق به، ومن شعب الرحمة الرحيمية ومظاهرها بعث الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم الذين هم هداة السبل والمساعدون للمتأخرين عن السير، بل إن دار التحقق في نظر أهل المعرفة وأصحاب القلوب هي صورة الرحمة الإلهية، والخلائق دائماً مستغرقون في بحار رحمة الحق تعالى ولكنهم لا يستفيدون منها.

فهذا الكتاب العظيم الإلهي الذي نزل من عالم الغيب الإلهي والقرب الربوبي، ولأجل إستفادتنا نحن المهجورين وخلاصنا نحن المسجونين في سجن الطبيعة والمغلولين في سلاسل أهواء النفس والآمال وقد صار في صورة اللفظ والكلام هو أحد المظاهر=

= العظيمة للرحمة المطلقة الإلهية، وما إستفدنا نحن الصم العمي منه بشيء ولا نستفيد. وإن الرسول الخاتم والوليّ المطلق الأكرم الذي شرّفنا وقدم من محضر القدس الربوبي ومحفل القرب والإنس الإلهي إلى هذا المنزل منزل الغربة والوحشة وإبتلي بمعاشرة أمثال أبي جهل وشرّ منه ومراودته وإن أنين ليغان على قلبي منه ﷺ وقد أحرق قلوب أهل المعرفة والولاية ويحرقها الآن أيضاً هو الرحمة الواسعة والكرامة المطلقة الإلهية التي كان قدومها في هذه الدويرة للرحمة على الموجودات وعلى سكنة العالم الأسفل الأدنى وإخراجهم من هذه الدار دار الغربة والوحشة، فهو ﷺ كالحمامة المطوقة التي تلقي نفسها إلى الفخ لتنجي رفقاءها منه.

فلا بد للسالك إلى الله أن يرى التطهير بماء الرحمة صورة لإستفادته من الرحمة الإلهية النازلة، وما دامت الإستفادة له ميسورة، لا بد أن يقوم بأمرها وإذا قصرت يده عنها بسبب القصور الذاتي أو تقصيره وبسبب فقد ماء الرحمة لم يكن له بدّ من التوجه بذله ومسكنته وفقرة وفاقته، فإذا جعل ذلّة عبوديته نصب عينيه وتوجّه بإضطراره الذاتي وفقره الذاتي وإمكانه الذاتي وخرج من التعزز والغرور وحب النفس ينفتح له باب آخر من الرحمة وتبدل بأرض الطبيعة أرض الرحمة البيضاء ويصير التراب أحد الطهورين ويصير مورداً لترحم الحق تعالى وتلطفه، وكلما قوي هذا النظر في الإنسان أي النظر إلى ذلّة نفسه يكون مورداً للرحمة أكثر.

وأما إذا أراد الإنسان أن يسلك هذا الطريق بقدم الإعتماد على النفس وعلى عمله فهو هالك لا محالة لأنه من الممكن الا يؤخذ بيده فمثله كالطفل الذي يتجاسر على المشي ويغتر بقدمه، ويعتمد على قوته، فمثل هذا الطفل لا يكون مورداً لعناية أبيه ويكله الأب إلى نفسه وأما إذا عرض إضطراره وعجزه على جناب الأب الشفيق وخرج عن الإعتماد على نفسه وعلى قوّته بالكلّية فيصير حينئذٍ مورداً لعناية الأب ويأخذ الأب بيده بل يأخذه في حضنه ويمشي به بقدمه فالأحرى بالسالك إلى الله أن يكسر رجل سلوكه وأن يستدعي البراءة من الإعتماد على نفسه وإرتياضه وعمله بالكلّية ويفنى عن نفسه وقدرته وقوّته، ويجعل فناءه وإضطراره دائماً نصب عينيه حتى يقع دائماً مورداً للعناية، فربما يسلك حينئذٍ طريقاً يطول سيره مئة سنة في ليلة واحدة بالجذبة الربوبية. وحينما يفنى عن نفسه وقوته وقدرته ويقول في محضر القدس الربوبي بلسان باطنه وحاله بالعجز=

= والإفتقار: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾. [النمل: ٦٢]، [الاداب المعنوية للصلاة ص ١٢٨-١٣٠].

قال السيد حيدر الآملي:

غسل أهل الشريعة

فالغسل عندهم يشتمل على واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات وذلك يطول، والمقصود منه الواجبات التي بها تحصل الطهارة في الظاهر شرعاً. فالواجبات في الغسل ستة أشياء، ثلاثة منها أفعال وثلاثة كيفيات.

أما الأفعال: فالاستبراء بالبول على الرجال، والاجتهاد في انقاء مجرى المني من البقية على سبيل الأغلب، والنية وهي قول المجنب باللسان بعد العقد بالقلب: أغتسل لرفع حدث الجنابة واستباحة الصلاة لوجوبه قربة إلى الله وغسل جميع الجسد على وجه يصل الماء على أصول كل شعر عليه من الرأس إلى القدم بأقل ما يقع عليه اسلم الغسل.

وأما الكيفيات: فثلاثة، مقارنة النية لحال الغسل والاستمرار عليها حكماً، والترتيب في الغسل، أعني الابتداء بالرأس ثم بالجانب الأيمن ثم بالجانب الأيسر.

غسل أهل الطريقة

فالغسل عندهم بعد القيام بالغسل المذكور طهارة من الجنابة الحقيقية التي هي البعد عن الله دون المجازية التي هي الأحداث الشرعية، والجنابة الحقيقية على قسمين، قسم يتعلق بهم، وقسم يتعلق بأهل الحقيقة.

أما الذي يتعلق بأهل الحقيقة: فسيجيء بيانه بعد هذا بلا فصل.

وأما الذي يتعلق بهم: فهي الجنابة الحاصلة من محبة الدنيا، فإن الدنيا في الحقيقة كالمرأة التي لها كل ساعة بعل آخر، كما أشار إليها الإمام عليه السلام في قوله: **«قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»** لأنها لو لم تكن كالمرأة أو في حكمها ما خاطبها الإمام بهذا الخطاب، فكل من يلامس مثل هذه ويجامعها بالنفس أو الروح أو القلب يكون جنباً بالحقيقة، والجنابة هي البعد عن الله تعالى، فكل من يحب الدنيا على الوجه المذكور يكون بعيداً عن الله ضرورة، فإن محبة الله وقربه ومحبة الدنيا وقربها ضدان لا يجتمعان، وإليه الإشارة في القول السابق عن النبي الذي قال: **«الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله»** وكذلك ما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠]=

= وكذلك ما أشار الإمام عليه السلام في قوله: إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرتان، فالغسل والطهارة من هذه الجنابة يكون بترك الدنيا وما فيها، بحيث لا يبقى له تعلق بها بمقدار شعرة، لأن في الغسل الشرعي لو بقي على الجسد شعرة لم يصل الماء إليها لم يصح غسله ولم يطهر صاحبه من الجنابة، فإن التعلق من حيث التعلق له حكم واحد وهو التعلق، سواء كان قليلاً أو كثيراً، كما قيل: المحجوب محجوب، سواء كان بحجاب أو ألف حجاب، وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل السالك أولاً رأسه الحقيقي الذي هو القلب هاهنا بماء العلم الحقيقي النازل من بحر القدس، من حدث الأهواء المختلفة والآراء المتشتتة المتعلقة بالدنيا وبمحبتها، الموجبة للدخول في الهاوية التي هي النار، لأن الهوى إذا غلب انجذب صاحبه إلى عبادة الأصنام والأوثان الباطلة ذهناً كان أو خارجاً، أما الخارج فهو معلوم، وأما الداخل فذلك أيضاً قد سبق بحكم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وكان من أطاع هواه لا بد وأن يدخل النار لقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨-٩]، أي من خفت موازينه من العلم والعمل الصالح الصادرين من العقل الصحيح والنفس الكامل فهو في الهاوية التي هي أصلها وأمها، لأن منشأ الهوى من النفس الأمارة. والنفس الأمارة منشؤها ومنبعها الطبيعة الحيوانية والقوى الشهوية والغضبية اللتان هما من جنودها وأعوانها، كذلك صادران من الطبيعة والنفس، فلا تكون الهاوية في الحقيقة إلا التوجه إلى النفس الأمارة والشهوة والغضب، وأسفل سافلين إشارة إليها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٤-٥]، أي رددناه بأفعاله إلى أسفل عالم الطبيعة والنفس الأمارة بمتابعة الهوى ومخالفة الحق في أفعاله وأقواله، لقول أهل النار فيه: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠]، ولهذا دائماً أهل الله الذين هم أهل العلم الحقيقي والعمل الصالح والعقل الصحيح موصوفون بالسكينة والوقار والطمأنينة والإخبات وأمثال ذلك، لقوله تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ - إلى - فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٢] وأهل الأهواء والبدع موصوفون بالخفة وقلة العقل وعدم السكينة والوقار، لقوله تعالى فيهم: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقد سد باب سؤال كل سائل في هذا المقام قوله تعالى: =

= ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، لأن هذا تحريض على منع النفس عن الهوى، وتشويق إلى دخول الجنة التي هي المأوى الحقيقي والموطن الأصلي من غير التراخي ولا التأخير، وإليه أشار علي عليه السلام في قوله: «تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم» يعني تخففوا من أثقالكم الحاصلة من متابعة الهوى ومحبة الدنيا، فإن إلحاقكم بالحق وبالجنة موقوف عليه، أي على تخفيفكم منها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝﴾ [الصافات: ٦٠-٦١]، ثم يغسل جانبه الأيمن، أي يغسل ويطهر روحه وسره الذي هو من الجانب الأيمن المعبر عنه بالروحانيات عن محبة العلويات والروحانيات المعبرة عنها بالآخرة والجنة، لأن أهل الآخرة مخصوصون بأصحاب اليمين والعلويات، لقوله تعالى في الأول: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝﴾ [الواقعة: ٢٧-٣١]، ولقوله في الثاني: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ثم يغسل جانبه الأيسر، أي يغسل ويطهر نفسه وجسده الذي هو الجانب الأيسر المعبر عنه بالجسمانيات عن محبة السفليات والنفسانيات المعبرة عنها بالدنيا بماء الترك والتجريد وعدم الالتفات إليه، فإن الدنيا مخصوصة بأهل الشمال، كما أن الآخرة مخصوصة بأهل اليمين، لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٣] فإن بهذه الطهارة يحصل له استحقاق دخول الجنة واستعداد القرب لحضرة العزة، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، رزقنا الله الوصول إليها، فإن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

غسل أهل الحقيقة

فالغسل عندهم عبارة عن طهارتهم من الجنابة الحقيقية التي هي مشاهدة الغير مطلقاً، لأن الجنابة كما سبق بيانها هي البعد، وكل من شاهد الغير فهو بعد عن الحق ومشاهدته ولا يمكن إزالة هذا البعد إلا بقربه إلى التوحيد الحقيقي الذي هو مشاهدة الحق تعالى من حيث هو هو، لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝﴾ [آل عمران: ١٨] وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل رأسه الحقيقي الذي هو هاهنا روحه المجرد بماء التوحيدالذاتي عن حدث مشاهدة الغير، لأن محبة الله تعالى كما هو وظيفة الباطن المعبر عنه بالنفس المطمئنة، معرفته وظيفة القلب=

= ومشاهدته وظيفة الروح، كما أن الوصول إليه وظيفة السر الذي هو باطن الروح، وإلى هذا الترتيب أشار جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام في بعض أدعيته وهو قوله: **«اللهم نور ظاهري بطاعتك وباطني بمحبتك وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك وسري باستقلال اتصال حضرتك يا ذا الجلال والإكرام»** وهذا الغسل لا يمكن إلا بفناء العارف في المعروف والشاهد في المشهود المعبر عنه بالفناء في التوحيد، وذلك يكون بمشاهدة الحق من حيث هو هو، أعني يشاهده بحيث لا يشاهد معه غيره، أعني لا يشاهد في الوجود إلا وجوداً واحداً وذاتاً واحدة مجردة عن جميع الاعتبارات والتعينات وإليه أشار الحق تعالى في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وكذلك في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، حيث تقرر أن هذا التوحد هو الصراط المستقيم الحقيقي المأمور بالاستقامة عليه نبينا ﷺ في قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، والحد الأوسط المشار إليه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وتقرر أن له طرفين، طرف إفراط وتفريط، اللذين هما التوحيد الإجمالي والتوحيد التفصيلي، فالطهارة من دنس جانب الإفراط المعبر عنه بالإيمان يكون بخلاصة من التوحيد الإجمالي، والطهارة من دنس التفريط المعبر عنه بالأيسر يكون بخلاصة من التوحيد التفصيلي، والاستقامة على الصراط المذكور والحد الأوسط المعبر عنه بالطهارة الكبرى يكون بجمعه بين التوحيدين، وقطع النظر عن مشاهدة الغير أصلاً ورأساً مع اعتباره ومشاهدته من حيث الجمع المعبر عنه بأحدية الفرق بعد الجمع، وذلك صعب في غاية الصعوبة، ولهذا وصفه النبي ﷺ بأحد من السيف وأدق من الشعر، وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]، إشارة إلى الطرفين، وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩]، إشارة إلى التوحيد الجمعي المحمدي الجامع للتوحيدات كلها. وبالجملة ليست الجنابة الحقيقية إلا مشاهدة الغير على أي وجه كان: وليست الطهارة الحقيقية عند التحقيق إلا بعد الخلاص منها على أي وجه كان، وفيه قيل:

قنعت بطيف من خيال بعثتم ... وكنت بوصل منكم غير قانع
إذا رمت من ليلي من البعد نظرة ... لتطوي جوى بين الحشا والأضالع
تقول نساء الحي تطمع أن ترى ... بعينيك ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها، وما طهرتها بالمدامع

= وأمثال ذلك في هذا المعنى كثير، فليطلب من مظانها، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، هذا غسل الطوائف الثلاث بقدر هذا المقام.

* * *

أسرار الوضوء

قال القاضي سعيد القمي: إعلم، أنه ما من حكم شرعي في الظاهر إلاّ وله نسبة إلى الباطن فلتكن أنت يا أخي ممّن يعبد الله بما شرع له ظاهراً وباطناً لتكون من أهل الشرف، ولا تكن ممّن يعبد الله على حرف، فإذا تمكنت من إستعمال الماء في الوضوء فإستشعر أنّك بحسب مرتبتك عند الله في منزلة أباح الله لك تناول رحمته ولطفه، وشرع لك تحصيل العلم الحقيقي إلى معرفته ومواقع أحكامه، وفتح لك باباً إلى سماء قربه ومناجاته بالماء الذي نزل منها لتطهير عباده وتخليصهم من كلّ ما يورث البعد عنه وعن جواره، وكذلك مكّنك من طهارة الظاهر بالماء الذي هو حياة الأبدان، والباطن بالعلم الذي هو حياة أرواح الإنسان، فأوّل ما ينبغي لك أن تغسل يديك قبل إدخالهما الإناء لتناول تلك الرحمة وهذا العلم، وتطهّرهما من كل شيء سيّما من حولك، وقوتك فاليسرى لا حول عن المعاصي، واليمنى لا قوّة على الطاعات إلاّ بالله.

وأيضاً، اليدان محلّ القبض بالشّح والبخل والمنع، فينبغي تطهيرهما بالبسط والبذل والإيثار والإعطاء. وأيضاً، ينبغي تطهيرهما من الأمور التي أوجب الشرع تركها كالغصب والسرقة وغيرهما، أو ندب على تركها كالدّنيا وزخارفها.

ثمّ إنّ نوم الليل وهو غفلتك عن مرتبة غيبك، كما إنّ نوم النّهار هو غفلتك عن مقام شهادتك، فبالغسل يحصل التحقق بكلّ من العالمين ورؤيتك في نفسك كلتي النشأتين.

ثمّ تمضمضك بالذّكر الحسن ليزول عن لسانك الذكر القبيح، وبالتلاوة وذكر الله وإصلاح ذات البين، وطهره من كلمة الشرك والكذب والمين ومن كلّ ما نهى الشّارع من التكلّم به والتنطق بفضوله.

ثمّ، إستنشاقك بالإنحطاط عن درجة الكبرياء والعزّة بإستعمال أحكام العبودية، حتى تستعد لإستشمام الروائح القرب من الله ذي المنن ووجدان نفس الرحمن من قبل اليمن.

ثمّ، بعد ذلك إغسل وجهك بالحياء عن الله، أن يراك حيث نهاك وعن توجهك إلى غير مولاك، وأن ترجو ممّا عداه، ما هو متمنّاك.

ثمّ، إغسل يديك من مرافق رؤية الأسباب إلى منتهى أصابع المباشرة والإكتساب. =

= ثمّ، إمسح برأسك بوضع الرياسة التي فيه لكونه أعلى ما في البدن وفيه القوى الفكرية وبإظهار التذلّل والخضوع وإزالة وسخ الشموخ والعلوّ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾. ولم يشرع مسح الرأس في التيمم؛ لأنّ وضع التراب عليه من علامة الفراق والمقصود بـ «الصلاة»، الوصلة والوفاق. ثمّ، إمسح رجليك بكثرة السعي على المساجد، والثبات على الجهاد الأصغر، والأكبر، وطهّرهما من المشي مَرَحاً وبالنميمة. واقصد في مشيك. فقد تمّ وضوءك. هذا ما قالوا في الوضوء ولقد بذلوا الجهد فيما قالوا.

ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار: أنّ آدم عليه السلام لمّا مشى إلى الشجرة وتوجّه إليها وتناولها فوضعها على رأسه طمعاً للخلود وإعظاماً لها، أمرت هذه الأمة التي هي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بأن يطهّروا هذه المواضع بالمسح والغسل ليتطهّروا من جناية «الأب» الذي هو الأصل.

وأقول: وسرّ السرّ في ذلك على ما فهمت من هذه الرواية أنّ النفس (الكلية) حينما وجدت من بارئها، نظرت إلى ذاتها وما فيها من الحسن والبهاء وأمانة الخلافة الحاملة لها والجواهر العقلية المودّعة فيها، فتشمّخت وترفّعت ثم توجهت إلى العالم السّفل لإظهار ما إستودع فيها من الأنوار طمعاً في أن يخلد لها ويملكها أبداً؛ فخافت فيما أئتمنت وجعلها لنفسها، فأقبلت بوجهها نحو المادّة القابلة لظهورها وعملت في تلك المادة بأيدي اكتسابها فصيرتها مواطن ظهورها ومسجد حبورها وإنقادت لها حيث عملت على حسب إستعدادها، ثمّ مشت إلى أرض الغربة عن موطن الحسن والبهاء وسقطت ما في يديها من الأنوار العقلية وجواهرها، فرجعت خاسرة وتحسّرت على ما فرّطت في جنب الله غفلة وجهالة، فلمّا تداركتها العناية الإلهية ونادتها: ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٨]، أيّتها النفس الغريبة، أمرتها بأن تغسل هذه الأعضاء التي لها مدخلية في هذا العصيان بماء بتوحيد الله وصفاته وأفعاله، وأنّ الملك لله الواحد القهار، وأن ليس في الدار غيره ديّار، وأنّ الكلّ منه وله وإليه، وأن لا منجا من الله إلاّ إليه، فينبغي لكلّ من في طبقة الأمة المرحومة التي أكمل الله دينه وأتمّ نعمته فيهم أن يغسل وجهه من التوجه إلى عالم الزّور، ويديه ممّا إكتسبت لنفسها من دار الغرور، ويمسح رأسه من الخضوع لغير الله=

= العليّ، ومن الكبرياء العارضة لها من النظر إلى نفسها ورياستها في العالم السفلي، ويمسح رجليه بالمشي إلى دار الغربة، يفعل ذلك بالإستعداد للصلاة التي هي معراج المؤمن إلى الله تعالى، ويطهّر نفسه من أوساخ هذه الخطيئة التي أحاطت بها وبأطرافها.

وفي كتاب المعراج للشيخ أبي محمد الحسن رضي الله عنه في حديث طويل: ثم قال رسول الله ﷺ: «ثم قال لي ربّي: يا محمد! مدّ يديك فيتلقّاك ما يسيل من ساق العرش الأيمن، فنزل الماء فتلقيته باليمين. ثم قال: يا محمد! خذ ذلك الماء فاغسل به وجهك. وعلّة غسل الوجه أنّك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهر؛ ثم إغسل ذراعيك. اليمين واليسار. وعلة ذلك أنّك تريد أن تتلقّى بيديك كلامي؛ وإمسح رأسك بفضل ما بيديك من الماء ورجليك إلى كعبيك وعلة المسح أنّي أريد أن أوطئك موطئاً لم يطأ أحد قبلك ولا يطأ أحد غيرك». الحديث؛ فالمؤمن المتقي يتأسّى في أعماله بالنبيّ، عليه وآله صلوات الملك العليّ. [اسرار العبادات ص ٢٣-٢٥].

* * *

وضوء أهل الشريعة

السيد حيدر الآملي: فذلك معلوم مشهور عند الخاص والعام، وأفعاله على ثلاث أضرب، واجب ومندوب وأدب وهذا المكان غير محتاج إلى ذكر القسمين الأخيرين اللذين هما المندوب والأدب، وأما القسم الأول الذي هو الواجب فذلك على قسمين، أفعال وكيفيات، **أما الأفعال**: فواجباته خمسة النية، وغسل الوجه، وغسل اليدين، ومسح الرأس، ومسح الرجلين.

وأما الكيفيات: فواجباته عشرة، مقارنة النية، لحال الوضوء واستمرار حكمها إلى الفراغ، وغسل الوجه، من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً وما دارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً، وغسل اليدين من المرفقين إلى أطراف الأصابع وألا يستقبل الشعر في غسلهما، والمسح بمقدم الرأس مقدار ما يقع عليه اسم المسح، ومسح الرجلين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، والترتيب وهو أن نبدأ بغسل الوجه ثم باليد اليمنى ثم اليسرى ثم بمسح الرأس ثم بمسح الرجلين، والموالاة وهي أن يوالي بين غسل الأعضاء ولا يؤخر بعضها عن بعض بمقدار ما يجف ما تقدم وبمسح الرأس والرجلين ببقية نداوة الوضوء من غير استئناف ماء جديد، هذا على طريقة أهل البيت عليهم السلام بحسب الظاهر، وإلا على طريقة غيرهم ففيه اختلافات كثيرة لسنا بصدد بيانها، والله أعلم وأحكم. =

وضوء أهل الطريقة

= فالطهارة عندهم بعد القيام بالطهارة المذكورة عبارة عن طهارة النفس من رذائل الأخلاق وخسائسها، وطهارة العقل من دنس الأفكار الردية والشبه المؤدية إلى الضلال والاضلال، وطهارة السر من النظر إلى الأغيار، وطهارة الأعضاء من الأفعال الغير المرضية عقلاً وشرعاً.

وأما أفعال هذه الطهارة المعبرة عنها بالوضوء فالنية فيه، وهي أن ينوي المكلف بقلبه وسره، أنه لا يفعل فعلاً يخالف رضا الله تعالى بوجه من الوجوه، ويكون جميع عباداته لله خالصاً دون غيره، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وغسل الوجه وهو أن يغسل وجه قلبه عن حدث التعلق بالدنيا وما فيها، فإن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فالطالب والمطلوب نجسان، ولهذا قال عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل عبادة» وقال علي عليه السلام: «يا دنيا غرّي غيري فإني قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها» وغسل اليدين، وهو غسلهما وطهارتهما عما في قبضتهما من النقد والجنس والدنيا والآخرة، فإن طهارتهما حقيقة ليس إلا بترك مما في تصرفهما وحكمهما، ومسح الرأس وهو أن يمسح رأسه الحقيقي المسمى بالعقل أو النفس، أي يطّلع عليهما حتى يعرف أنه ما بقي عندهما شيء من محبة الدنيا وما يتعلق بها من المال والجاه، ومسح الرجلين وهو أن يمنعهما عن المشي بغير رضا الله وطاعته ظاهراً وباطناً، والمراد بالرجلين في الظاهر معلوم، وأما في الباطن هما عبارتان عن القوة النظرية والعملية عند البعض، وعن القوة الشهوية والغضبية عند الآخرين، وإلى مثل هذا الوضوء المضاف إلى الوضوء الأول أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «الوضوء على الوضوء نور على نور» أعني صفاء الظاهر مع صفاء الباطن الوجه المذكور فهو نور على نور، أي نور البصيرة على نور الشرع سبب صفاء الظاهر والباطن، وموجب ثبات السالك على الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، رزقنا الله الجمع بينهما والإقامة على كل واحد منهما، لأنه المستعان وعليه التكلان. =

وضوء أهل الحقيقة

= فالوضوء عندهم المعبر عنه بالطهارة عبارة عن طهارة السر عن مشاهدة الغير مطلقاً، والنية فيها وهي أن ينوي السالك في سره أنه لا يشاهد في الوجود غيره ولا يتوجه إلا إليه، لأن كل من توجه في الباطن إلى غيره فهو مشرك بالشرك الخفي المتقدم ذكره، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ لقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، والمشرك نجس لقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فطهارته لا تكون إلا بهذه النية التي هي عبارة عن التوحيد الحقيقي النافي للشرك مطلقاً، لأنه معلوم وبل مقرر أن الخلاص من الشرك جلياً كان أو خفياً لا يمكن إلا بالتوحيد، ألوهياً كان أو وجودياً كما سبق ذكره مفصلاً عند بحث الأصول، وغسل الوجه فيها عبارة عن طهارة الوجه الحقيقي ونظافة سره عن دنس التوجه إلى الغير، بحيث لا يشاهد غير وجهه الكريم المشار إليه في قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ولا يعرف غير ذاته المحيط المومىء إليه في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، وعن هذا التوجه أخبر من لسان إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩]، وغسل اليدين عبارة عن عدم الالتفات إلى ما في يديه من متاع الدنيا والآخرة، من الدنيا كالمال والجاه والأهل والولد، ومن الآخرة كالعلم والزهد والطاعة، وما يحصل منها كالثواب والجنة والحور والقصور، لأن رؤية الطاعة والعبادة واستحقاق التعظيم بهما عند أهل الله معصية، وفيه قيل: سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك، وفيه قيل: خير الأعمال ذنب أحدث توبة، وشر الأعمال طاعة أورثت عجباً، وإليه أشار النبي ﷺ في قوله: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله»، ومسح الرأس عبارة عن تنزيه سره وتقديس باطنه الذي هو الرأس الحقيقي عن دنس الأنانية وحدث الغيرية الحاجب والحاجز بينه وبين محبوبه لقول بعض العارفين فيه:

بيني وبينك اني ينازعني ... فارفع بفضلك اني من البين

وفيه قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، وقد سبق أن كل من شاهد الغير فهو مشرك، وكل مشرك نجس، والنجس ليس له طريق إلى عالم القدس والحضرة الإلهية لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ومسح الرجلين عبارة=

= عن تنزيه قوتي العملية والعلمية عن السير إلا بالله ولله وفي الله، لأنهما كالقدمين والرجلين في الظاهر، لأنه بهما يسعى في طلب الحق وبهما يصل إليه، وعند التحقيق ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]، إشارة إليهما، أعني إذا وصلت إلينا بواسطتهما فدعهما. فإنك بعد هذا ما أنت محتاج إليهما، ومعلوم عند الوصول يجب طرح كل ما في الوجود سيما القوى والحواس وما اشتمل عليهما ظاهراً وباطناً، وعند البعض المراد بالنعلين الدنيا والآخرة، وعند البعض عالم الظاهر والباطن، وعند البعض النفس والبدن والكل صحيح، وفي مثل هذا الحال وهذا المقام ورد الحديث القدسي: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي» إشارة إلى السير بالله الذي هو مقام التكميل دون الكمال المشار إليه في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وأما بالنسبة إلى اليدين كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهاهنا أبحاث وأسرار يطول ذكرها، يكفي الفطن اللبيب هذا المقدار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

* * *

في نبذة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية

قال الإمام الخميني: فمن ذلك ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار وعند مناجاته إيّاه مطيعاً له فيما أمر نقياً من الأرجاس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار».

فبيّن عليه السلام إلى هنا النكتة من أصل الوضوء ونبّه أهل المعرفة وأصحاب السلوك بأن للوقوف في محضر الحق جلّ وعلا وللمناجاة مع قاضي الحاجات آداباً لا بد أن تلاحظ حتى أنه مع القذارات الصورية والكثافات وكسالة العين الظاهرة أيضاً لا يحضر في ذلك المحضر فكيف إذا كان القلب معدناً للكثافات ومبتلىً بالقاذورات المعنوية التي هي أصل القذارات مع أن الرواية: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم**». ومع أن ما يتوجّه به الإنسان إلى الحق تعالى وما يليق من العوالم الخلقية أن ينظر إلى كبرياء عظمته وجلاله هو القلب وليس لسائر الجوارح والأعضاء منه حظ ونصيب مع ذلك ما أهملت=

= الطهارة الصورية والنظافة الظاهرية فقرروا صورة الطهارة لصورة الإنسان وباطنها لباطنه ومن جعله عليه السلام تزكية القلب في هذا الحديث الشريف من فوائد الوضوء يعلم إن للوضوء باطناً يكون به تزكية الباطن ويعلم أيضاً الرابطة بين الظاهر والباطن والشهادة والغيب ويستفاد أيضاً أن الطهور الظاهري والوضوء الصوري من العبادات وإطاعة للرب ومن هذه الجهة الطهور الظاهر موجب لطهور الباطن ومن الطهارة الصورية تحصل تزكية الفؤاد.

وبالجملة السالك إلى الله لا بد أن يتوجه في وقت الوضوء إلى أنه يريد التوجّه إلى المحضر المقدّس لحضرة الكبرياء ومع هذه الحالات القلبية التي له يليق للمحضر بل أنه يطرد من جناب العزّ الربوبي فيشمّر ذيله بأن يسري الطهارة الظاهرية إلى الباطن ويجعل قلبه مورداً لنظر الحق بل منزلاً لحضرة القدس ويطهره من غير الحق ويخرج من رأسه التفرعن وحب النفس الذي هو أصل القذارات كي يليق للمقام المقدّس.

ثم بيّن الرضا سلام الله عليه وجه إختصاص الأعضاء المخصوصة للوضوء فقال:

«وإنّما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فإنما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب به الوضوء وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد».

وحاصل ما قاله عليه السلام أنه حيث أن لهذه الأعضاء دخلاً في عبودية الحق تعالى والعبودية تظهر من هذه الأعضاء فلهذا وجب تطهيرها. . وبعد هذا بيّن عليه السلام الأمور التي تظهر من هذه الأعضاء، وبهذا فتح باب الإعتبار والإستفادة لأهلهما، وأرشد أهل المعارف إلى أسرارها بأن ما هو محل للعبودية في محضر الحق تبارك لا بد أن يكون طاهراً ومطهراً والأعضاء والجوارح الظاهرية التي يكون لها حظ ناقص من تلك المعاني لا تليق لذلك المقام من دون طهارتها ومع أن الخضوع ليس من صفات الوجه على الحقيقة والسؤال والرغبة والرهبة والتبتل والإستقبال ليس شيء نها من شؤون الإعضاء الحسّية ولكن حيث أن هذه الأعضاء مظاهر تلك الأمور لزم تطهيرها، فعلى هذا فإنّ تطهير القلب الذي هو محل حقيقي للعبودية ومركز واقعي لتلك المعاني يكون ألزم، وبدون تطهير القلب لو غسلت الأعضاء الصورية بسبعة أبحر ما تطهّرت ولا توجد فيها لياقة لذلك المقام بل يكون للشيطان فيها تصرّف ويكون المرء مطروداً من حضرة العزّة.

= ومن ذلك ما عن العلل بإسناده قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل، وكان فيما سألوه أخبرنا يا محمد لأيّ علّة نتوضأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ فقال النبي ﷺ: لما أن وسوس الشيطان إلى آدم ودنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه ثم قال ومشى إليها وهي أول قدم مشت إلى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها وأكل فتطاير الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أمّ رأسه وبكى فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع فأمر الله عزّ وجلّ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة».

وفي باب علّة وجوب الصوم أيضاً:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل، فكان فيما سأله أن قال له: لأيّ شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمّتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض على الأمم السالفة أكثر من ذلك؟ فقال النبي ﷺ أن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله تعالى على ذرّيته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضّل من الله تعالى عليهم» (الحديث).

فمن هذه الأحاديث لأهل الإشارات وأصحاب القلوب إستفادات منها أن خطيئة آدم عليه السلام مع أنها كانت من قبيل خطايا غيره بل لعلها كانت خطيئة طبيعية أو أنها كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة التي هي شجرة الطبيعة أو كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة الاسمائية، بعد جاذبة الفناء الذاتي ولكنها ما كانت متوقعة من مثل آدم عليه السلام الذي كان صفيّ الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتي ولهذا أعلن الذات المقدسة وأذاع بمقتضى الغيرة الحبية عصيانه وغوايته في جميع العوالم وعلى لسان الأنبياء عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ومع ذلك لا بد من التطهير والتنبيه بهذه المثابة له ولذرّيته التي كانت مستكنة في صلبه ومشتركة في خطيئته بل إشتركوا في الخطيئة بعد=

= الخروج من صلبه أيضاً فكما أن لخطيئة آدم وأبنائه مراتب ومظاهر فأول مرتبتها التوجه إلى الكثرات الاسمائية وآخر مظهرها الأكل من الشجرة المنهية التي صورتها الملكوتية شجرة فيها أنواع الثمار والفواكه وصورتها الملكية هي الطبيعة وشؤونها، وأن حب الدنيا والنفس اللذين هما موجودان بإستمرار في الذرية لمن شؤون هذا الميل إلى الشجرة والأكل منها كذلك لتطهيرهم وتنزيههم وطهارتهم وصلاتهم وصيامهم للخروج من خطيئة الأب الذي كان هو الأصل أيضاً مراتب كثيرة مطابقة لمراتب الخطيئة.

وقد علم من هذا البيان أن جميع المعاصي القالبية لابن آدم هي من شؤون أكل الشجرة، وتطهيرها على نحو خاص: وأن جميع أنواع المعاصي القلبية لهم أيضاً من شؤون تلك الشجرة وتطهيرها بطور آخر. وأن جميع أنواع المعاصي الروحية من تلك وتطهيرها بطور خاص وأن تطهير الأعضاء الظاهرية هو ظلّ الطهارات القلبية والروحية للكمّل ووظيفة ووسيلة لتطهير القلب والروح لأهل السلوك.

وما دام الإنسان في حجاب تعيّن الأعضاء وطهارتها وواقف في ذلك الحد فليس هو من أهل السلوك، وهو باق في الخطيئة، فإذا إشتغل بمراتب الطهارات الظاهرية والباطنية وجعل الطهارات الصورية القشرية وسيلة للطهارات المعنوية اللبية ولاحظ في جميع العبادات والمناسك حظوظها القلبية وتمتع منها بل إهتم بالجهات الباطنية أكثر من الظاهرية وعرف أنها هي المقصد الأعلى دخل في باب سلوك الإنسانية كما أشار إليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة حيث يقول فيه: «**وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء**» فيلزم للإنسان السالك السلوك العلمي كي يشخص ببركة أهل الذكر عليهم السلام مراتب العبادات ويرى العبادات الصورية مرتبة نازلة للعبادات القلبية والروحية ثم يشرع في السلوك العملي الذي هو حقيقة السلوك، وغاية هذا السلوك هي تخلية النفس عن غير الحق وتحليتها بالتجليات الاسمائية والصفاتية والذاتية، فإذا حصل للسالك هذا المقام فحينئذٍ ينتهي سلوكه وتحصل له الغاية في السير الكمالي فينال أسرار النسك والعبادات ولطائف السلوك وهي التجليات الجلالية التي هي اسرار الطهارات والتجليات الجمالية التي هي غايات العبادات الآخر، وتفصيلها خارج عن مجال هذه الأوراق. [الأدب المعنوية للصلاة ص ١٣٣-١٣٨].

* * *

من أسرار الوضوء من ناحية صحية

= الوضوء هو عبارة عن طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين، ولو نظرنا للوضوء من وجهة نظر صحيحة لوجدنا أنه عبارة عن تنظيف لكل عضو هو بتماس مع الجو الخارجي، فيتم غسل هذه الأعضاء عدة مرات في اليوم، والفوائد التي نجنيها هي:

١ ـ **نظافة اليدين**: بإزالة ما علق من أوساخ وجراثيم، بالإضافة لإزالة العرق المفرز من الغدد العرقية.

٢ ـ **نظافة الوجه**: بإزالة ما علق به من الجو الخارجي من أوساخ وغبار، وإزالة الطبقة الدهنية التي تفرز من الجلد.

٣ ـ **نظافة الشعر**: بإزالة ما علق به من الجو المحيط من غبار، وما يفرز من إفرازات دهنية خاصة.

٤ ـ **نظافة القدمين**: إزالة الرائحة الكريهة التي تحصل من لبس الجوارب والأحذية، وإزالة العرق الموجود، كما يجب تخليل الماء بين الأصابع لإزالة ما علق بينها من أوساخ.

٥ ـ **نظافة الفم والأسنان**: لطرد ما يوجد من بقايا طعام وجراثيم، مما يقي الأسنان من التنخر واللثة من الأمراض.

٦ ـ **نظافة الأنف**: فالإستنثار يطرد الغبار العالق بأشعار الأنف مع ما قد يوجد أيضاً، مما يقي من الأمراض التنفسية، ويريح في عملية التنفس.

٧ ـ **نظافة الأذنين**: أيضاً تنزيل ما علق بأشعار الأذنين. بالإضافة لإزالة المفرزات الصملاخية الزائدة في الإذن وبالتالي تخف نسبة الإصابة بالسدادة الصملاخية والتهابات الأذن.

فكل هذه الأعضاء هي بتماس مع العوامل الجوية الخارجية والمحيطة بنا، فعندما نغسلها أو نمسحها نكون قد ساهمنا في إزالة قسم من الجراثيم والميكروبات التي تكون موجودة عليها.. وبالتالي نقي أنفسنا من الإصابة بالعديد من الأمراض التي تنتقل عن طريق هذه الأعضاء.

سنن الفطرة:

وهي عبارة عن بعض الأمور التي شرعها الإسلام للمسلمين لكي يتميزوا بها عن غيرهم، ولكي يكتمل بها مظهرهم، وتتم بها نظافتهم، ففي الحديث:

«. . من الفطرة: المضمضة والإستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، والإستحداد، والإختتان. .» «رواه أحمد».

وسنفصّل قليلاً في بعض هذه الأمور لكي نقف على فوائدها والحكمة منها:

١. المضمضة:

فعند القيام بها يتم طرد كل ما يمكن أن يوجد في الفم من فضلات طعام، أو جراثيم وميكروبات وبالتالي يخفف من الإصابة بنخر الأسنان والقلاع والتهابات اللثة وأمراض أخرى.

٢. الإستنشاق:

وهي عملية إدخال الماء وإخراجه من الأنف بدفع خفيف، وهذه العملية تفيد في طرد الغبار الذي قد يتراكم على أشعار الأنف مع الأوساخ الموجودة مما يسمح بالشعور بالراحة أثناء التنفس، ويمنع إلى حدٍ ما الإصابة بأمراض الأنف والجيوب.

قال ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فليستنشق بمنخريه من الماء ثم لينتثر» «رواه مسلم».

٣. قص الشارب:

لمراعاة نزول شعر الشارب تحت حدود الشفة العليا كثيراً وذلك لمنع الطعام والشراب من التماس مع هذا الشعر مما قد يؤدي لاتساخه وتجرثمه وصدور روائح كريهة من هذه الأشعار.

قال ﷺ: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» «رواه أحمد والنسائي».

٤. تقليم الأظافر:

وهو تتمة لتنظيف اليدين ومعلوم أن ترك الأظافر كي تطول هو أمر سيؤدي لتراكم الأوساخ تحتها وبالتالي تتيح المجال لنمو المستعمرات الجرثومية وهذا يؤدي لانتقالها=

المطلب الثاني: في الغسل

وأسبابه الموجبة له: إنزال المني، وإيلاج الحشفة، والحيض، والنفاس، والاستحاضة غير القليلة، ومسّ الميّت بعد البرد وقبل الغسل ممّن عليه فريضة مشروطة بالطهارة وأراد فعلها وما سوى ذلك من الأغسال فمسنون.

وكيفيّته: أن يستبرىء بالبول إن قدر عليه وإلاّ فبما مرّ في الاستبراء من البول إن كان منزلاً ويضع الإناء على يمينه، ويزيل ما على بدنه من نجاسة، ويغسل يديه من الزندين ثلاثاً قبل أن يدخلهما الإناء وإلى المرفقين أفضل، ويسمّي، ويمضمض، ويستنشق آتياً بأدعيتها، ثمّ ينوي في نفسه أنّه يغتسل تقرُّباً إلى الله عزّ وجلّ، ويصبُّ الماء على رأسه ثلاثاً ممرّاً يده عليه مخلّلاً أُذنيه بأصبعيه، موصلاً للماء إلى منابت الشعور كلّها، ثمّ يغسل شقّه الأيمن

= مع الطعام إلى الفم وبالتالي الإصابة بعدد من الأمراض مثل إلتهاب الأمعاء الزحاري والنزلات المعوية الجرثومية الأخرى والحمى التيفية وغيرها..

٥. **الإستحداد ونتف الإبط:**
وهو عبارة عن إزالة الأشعار الموجودة في منطقة العانة والإبط، ولو تساءلنا لماذا فقط أشعار هاتين المنطقتين، نجد أن العلم اليوم يجيب عن هذا السؤال بأنه يوجد في العانة والإبط وحول الشرج غدد خاصة تسمى الغدد العرقية المفرزة وهي غدد لا تنمو إلا بعد سن البلوغ لأنها بمفرزات الغدد التناسلية والوظيفة الجنسية، ولهذه الغدد رائحة خاصة لذلك تسمى أيضاً «غدد الرائحة» وهي التي تعطي كل إنسان رائحته الخاصة المميزة.. وبوجود هذه الأشعار مع العرق المفرز يساهم في تكوين رائحة غالباً ما تكون كريهة، فإزالة هذه الأشعار سوف يؤدي لنظافة المنطقة وتخفيف هذه الرائحة بنسبة كبيرة..

كذلك، ثمّ الأيسر كذلك مبالغاً في إيصال الماء وتخليل الموانع والسواتر.

قال الصادق عليه السلام: «من ترك شعره من الجنابة متعمّداً فهو في النار»[١] ويقول عند غسل الأعضاء: «**اللّهمّ طهّر قلبي، وتقبّل سعيي، واجعل ما عندك خيراً لي، اللّهمّ اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهّرين**»، ويسبغ الغسل بصاع، وإن ارتمس في الماء ارتماسة واحدة أجزأه، وسقط الترتيب ودلك الجسد، ويكره، الاستعانة، والمشمّس[٢] والآجن، والراكد، والمستعمل.

فعن الرضا عليه السلام «من اغتسل من الماء الّذي قد اغتسل فيه فأصابه الجذام فلا يلومنّ إلاّ نفسه»[٣]، ولا موالاة في الغسل إتّفاقاً، والواجب فيه النيّة، واستيعاب البدن بالغسل، وتقديم الرأس على الجسد، والأحوط تقديم الشقّ الأيمن على الأيسر أيضاً، وأوجب جماعة من أصحابنا الوضوء مع الغسل في غير الجنابة قبله أو بعده، ومنهم من أوجب التقديم، ومستندهم في ذلك، ما رواه ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كلّ غسل قبله وضوء إلاّ غسل الجنابة»[٤] ونفاه السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ وشرذمة، وهو الصحيح للأخبار الصحيحة المستفيضة الراجحة على هذا الخبر بأنواع التراجيح المعتبرة، ولا سيّما ما ورد الأمر به عنهم عليهم السلام عند اختلاف أخبارهم، كملاحظة حال الراويّ في الأوثقيّة والأفقهيّة وغيرهما، وكمخالفته لفتوى العامّة وغير ذلك.

---

(١) رواه الصدوق ـ ره ـ في الامالي ص ٢٩٠، والشيخ ـ ره ـ في التهذيب ج١ ص ٣٨.
(٢) يعنى الماء الذي يحمى بالشمس.
(٣) رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج ٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٨.
(٤) الكافي ج٣ ص ٤٥ تحت رقم ١٣.

منها ما رواه في التهذيب[1] بإسناده الصحيح «عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: الغسل يجزىء عن الوضوء، وأيُّ وضوء أطهر من الغسل».

ومنها ما رواه فيه[2] أيضاً بإسناده الصحيح، «عن حكم بن حكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن غسل الجنابة ـ إلى أن قال ـ: قلت: إنّ الناس يقولون: يتوضّأ وضوء الصلاة قبل الغسل، فضحك وقال: أيُّ وضوء أنقى من الغسل وأبلغ».

ومنها ما رواه فيه[3] أيضاً بإسناده الموثّق، «عن عمّار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل إذا اغتسل من جنابة، أو في يوم الجمعة، أو يوم عيد هل عليه الوضوء قبل ذلك أو بعده؟

فقال: لا، ليس عليه ولا بعد قد أجزأه الغسل، والمرأة مثل ذلك إذا اغتسلت من حيض أو غير ذلك، فليس عليها الوضوء لا قبل ولا بعد قد أجزأها الغسل»[4].

وفي مكاتبة محمّد بن عبد الرّحمن إلى الهادي عليه السلام، «يسأله عن الوضوء للصلاة في غسل الجمعة فكتب لا وضوء للصلاة في غسل يوم الجمعة ولا غيره»[5].

(١) في المجد الأول ص ٣٩.
(٢) في المجلد الأول ص ٣٩.
(٣) في المجلد الأول ص ٣٩.
(٤) في المجلد الأول ص ٣٩.
(٥) التهذيب ج١ ص ١٩. والاستبصار ج١ ص ١٢٦.

وفي مرسلة حمّاد بن عثمان، «عن الصادق عليه السلام في الرجل يغتسل للجمعة أو غير ذلك أيجزئه عن الوضوء؟ فقال عليه السلام: وأيُّ وضوء أطهر من الغسل»[١].

وفي التهذيب عنهم عليهم السلام بعدّة روايات «أنَّ الوضوء بعد الغسل بدعة» وفي بعضها: «أنّ الوضوء قبل الغسل وبعده بدعة»[٢].

ويدل على ذلك أيضاً الأخبار الصحيحة المستفيضة المتضمنة لوجوب الغسل على ذات شيء من الدماء الثلاثة، حيث إشعار في شيء منها بالوضوء معه بوجه، بل ظواهرها تنفيه، مع أنّها واردة في مقام البيان كما يظهر لمن يقف عليها. والله المستعان[٣].

---

(١) التهذيب ج١ ص ١٩. والاستبصار ج١ ص ١٢٦.

(٢) التهذيب ج١ ص ١٩. والاستبصار ج١ ص ١٢٦.

حكمة الغسل

(٣) **قال التبريزي في أسرار الصلاة**: في الغسل حكمته وجوباً وندباً حكمة الوضوء، وعبره مثل عبره ويزاد في عبره أن يعتبر الإنسان من وجوب غسل تمام البدن فيه، إنّ التطهير بقدر الكثافة، فإذا يعرف تكليفه في تطهير قلبه، وروحه، وسرّه عن كلّ ما يدنسها بالجملة، يستحبّ فيها التسمية، والدعاء بالمأثور في أثنائه بقوله: اللّهمّ طهّر قلبي، وأشرح لي صدري، وأجري على لساني مدحتك، والثناء عليك اللهمّ إجعله لي طهوراً وشفاء، ونوراً إنّك على كلّ شيء قدير. وبعد الفراغ بقوله: اللّهم طهّر قلبي وزكي عملي، وتقبل سعيي، واجعل ما عندك خيراً لي، اللّهم إجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهّرين. وروي غير ذلك، وهذه الأذكار كما ترى شاهدة على أن الغرض الأصلي، والمقصود الأهم، طهارة القلب، وشرح الصدر وهو على ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله نور يقذف في القلب، فينشرح منه الصدر، وعلامته التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والمراد منه على ما يراه بعض أهل التحقيق نور معرفة النفس، وهو أن يرى حقيقة نفسه، بلا صورة ولا مادة نوراً ذات حياة وعلم، وهو النور الذي أشير إليه في آخر مناجاة شهر شعبان: وألحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً كما ذكره بعض المشايخ. =

= وبالجملة إذا أعطى العبد نور معرفة النفس الّذي به يمكن الوصول إلى معرفة الربّ، يرى بهذا النّور ملكوت هذه العوالم المحسوسة للناس، فيكون إنساناً ملكوتيّاً، ويدخل في دار الخلود لغلبة روحانيّته، وهذا هو المراد من الإنابة إلى دار الخلود، وكيف كان وكما أنّ طهارة الجوارح يرفع الموانع من دخول المسجد والصلاة، كذلك طهارة السرّ عن مقتضيات هذا العالم المحسوس، عالم الطبيعة المظلمة يرفع الموانع عن الإنابة إلى دار الخلود، أي إلى دار السلام، ودار الحيوان، وجوار الله، وبدخول هذه الدار يقرب العبد من الله، ويحصل له المعرفة الكشفيّة فيكون ما عند الله خيراً ممّا عنده، وعند الناس، ويرى هذا العالم عالم الغرور.

ويستحبّ الغسل في مواضع يذكر في الفقه لا يهمّنا ذكرها، إلاّ ما ذكر بعضهم من أنّه يستحبّ لكلّ مشهد، ومكان شريف، ولكلّ يوم وليلة شريفة، وعند كلّ فعل يتقرّب به إلى الله، ويلجأ فيه إليه، ولا بأس بذلك برجاء المحبوبيّة، كما يستشعر ذلك من تضاعيف الأخبار ومن خصوص بعضها.

مثل ما رواه في العلل عن الرضا عليه السلام في علّة غسل الجمعة والعيدين، وغير ذلك من الأغسال لما فيه، من تعظيم العبد ربّه وإستقباله الكريم الجليل، وطلب المغفرة لذنوبه، إلى أن قال: وجعل في ذلك الغسل تعظيماً لذلك اليوم على سائر الأيّام، وزيادة في النوافل والعبادة، وهذه الرواية تشهد على ما ذكر، وهذا البعض الإسكافي، وكيف كان لا بأس بالإتيان به في هذه المقامات برجاء المحبوبية، هذا ويعلم بعض ما يلزم فيه من المراقبات ممّا أشرنا إليه، ونزيد في ذلك لبيان عبرة لترتيبه يأتي في الوضوء أيضاً، وهو أنّ الإنسان إذا إلتفت لعدم إهمال الشارع لترتيب غسل الأعضاء في الوضوء والغسل، علم من ذلك عزّة الحكمة الإلهية. وأنّ لها في كلّ شيء مجرى، وحكماً في أهمية أمر المراقبة في جزئيّات حركاته وسكناته، وإذا إهتم بذلك وعمل بما علمه من وجوه الحكمة في الأفعال، يورثه الله علم ما لا يعلم من الحكمة، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وإذا تعمّق في ذلك، ورأى أنّ تقديم الرجل مثلاً على الرأس خلاف الحكمة، فيرضى بما يفعله الحكيم تعالى في جميع ما يحكم به، ويرى أنّ سخطه على ما لا يوافق هواه من أحكام الحكيم تعالى من نقصانه، وإعوجاجه وإلاّ فلا اشكال في حسن الحكمة وكمالها. =

[أسرار الصلاة ص ٧١-٧٣].

أسرار الحمام

= قال التبريزي في أسرار الصلاة: في الحمّام، عن أمير المؤمنين عَلَيْتَلِا أنّه قال: نعم البيت الحمّام يذكر النار، ويذهب بالدرن، وفي الرواية مع وجازتها إشارات لطيفة إلى مطالب جليلة، ومهمّات عظيمة.

منها أنّه قدم ذكر النار على ذهاب الدرن، وفيه تأديب للمؤمن في تقديم ذكر الآخرة على الدنيا، ولو في الأمور الدنيويّة، وكان هذا دابه عَلَيْتَلِا في جميع أموره وأحواله بل وكان امره أعلى من ذلك، وهو إن كل أمرين وردا عليه وتساوى فيهما جهة رضا الرب تعالى من جميع الجهات، كان ينظر إلى أنّ أيهما أشدّ على النفس، وعلى صاحبه، ويمكن أن يكون تقديم ذكر الله في جميع الأشياء أحد معاني قوله عَلَيْتَلِا أنّه ما نظرت إلى شيء إلاّ ورأيت الله قبله، وبعده ومعه، هذا وإن كان له معنى آخر على ما قدم، وهو الأصل، ولكنّه لا ينافيه كون ذلك أيضاً في مرتبة من معانيه، هذا وكان لنا شيخ [هو الشيخ الجليل الاخوند ملاحسينقلي الهمداني] له أصحاب من التقوى وكان من جملتهم سيّد [لعله السيد علي الهمداني] من سادة بلدة همدان، وكان شاباً حسن السيرة بالفطرة، مراقباً مجاهداً مستقيماً يشتغل لتحصيل الفقه، وتزكية النفس في خدمة الشيخ فإتفق يوم أن شكى من أهل بلده من بعض إخوان هذا السيّد إلى الشيخ، بأنّه قصر في أمر من الأمور المتعلقة بالتجارة، وأمر الشيخ السيد أن يكتب في ذلك كتاباً لأخيه، فكتبه وجاء به إلى الشيخ لينظر كيف كتبه وإذا فتح الشيخ كتابه، وإذا في الكتاب ملامة لأخيه من سوء معاملته، وإنّ أمثال ذلك يضره في إعتباره عند قدم الضرر الدنيوي على الضرر الأخروي، قال: هذا الكتاب يشبه كتاب الغافلين، فإنّ المراقب لا يقدم ذكر الدّنيا على الآخرة.

ومنها أنّ الحمّام يذكر النار للمراقبين، فمن لم يتذكر النار في الحمّام، فهو من الغافلين، ووجه ذلك أنّ المؤمن من جهة إيمانه باليوم الآخر لا بدّ له أن يكون دائماً خائفاً من النار، حتّى يجوز على الصراط ويأمن منها، والخائف من شيء هائل منتظر، إنما يتذكر بروية كل ما يشبه ما يخافه، والحمام إنّما يشبه في بعض الوجوه بجهنّم، لأنّ النار من تحت، والظلمة من فوق، وهو ماء حارّ.

ومنها الإشارة إلى أنّ المؤمن إنّما يلزمه أن يكون متذكّراً في كلّ ما يراه، ما يناسبه من أمر آخرته، فإنّ الحمّام لا خصوصية له من هذه الجهة، فالحكم عامّ فينبغي للمؤمن العاقل=

= أن يكون له فيما يراه من جزئي أو كلّيّ عبرة، وموعظة فإذا نظر إلى النار، يتذكّر منها نار جهنّم وإلى الظلمة ذكر ظلمة القبر، وإن إستوحش من شيء ذكر وحشة القبر، وإن رأى شيئاً بالياً ذكر منه بلائه. وهكذا.

ومنها أنّ النظافة حتّى نظافة البدن أمر مرغوب، ثمّ أنّه يستحب أن يقول الإنسان إذا دخل البيت الثالث، نعوذ بالله من النار، ونسأله الجنّة إلى أن يخرج منها. [أسرار الصلاة ص ٧٢-٧٤].

أسرار التنوير

وقال التبريزي أيضاً: في التنوير، ورد في الحثّ عليه أخبار كثيرة، وفي الزجر عن تركه وتأخيره عن شهر أمر عظيم، وللمراقب في أمره عبرة شريفة، وهي أنّ هذه الشريعة لم يهمل الإنسان من العمل بالحكمة في أمر أشعار معدودة على أسافل أعضائه، وزجر من عدم إزالتها بالتأكيد كيف يجوز أن يهمل هذا الحكيم الإنسان في إصلاح صفات قلبه، الّتي بها تميزه عن سائر الحيوان وينله إلى الدرجات العلى مع العليّين، وتشبهه بالملائكة العالمين، وأيضاً يجب على المؤمن بأحكام هذه الشريعة، إذا رأى ما روي في رواية التنوير أنّ من تركها شهراً لم تقبل صلاته، أن يعتبر من ذلك في الجدّ للعمل بجزئيّات أحكام الشرع، ولا يستحقر شيئاً من جزئيّاتها، ويستحبّ لمن تنوّر أن يدعو بهذا الدعاء: «اللّهم طيّب ما طهر منّي، وطهّر ما طاب منّي، وأبدلني شعراً طاهراً لا يعصيك، اللّهمّ أنّي تطهّرت إبتغاء سنّة المرسلين، وإبتغاء رضوانك ومعرفتك، فحرّم شعري وبشري على النار، وطهّر خلقي، وطيّب خلقي وزكّ عملي واجعلني ممّن يلقاك على الحنفيّة السمحة، ملّة إبراهيم، ودين محمّد حبيبك، ورسولك عاملاً بشرائعك، تابعاً لسنّة نبيّك ﷺ، آخذاً به متأدباً بحسن تأديبك، وتأديب رسولك ﷺ وتأديب أوليائك الّذين أدّبتهم بأدبك، وأودعت الحكمة في صدورهم، وجعلتهم معادن لعلمك، صلواتك عليهم» فمن قرئه طهره الله من الأدناس الدنيويّة، والصفات الرذيلة من الذنوب، ويدله من كلّ شعر أزال من بدنه شعراً لا يعصى فيه، ويخلق بعدد كلّ شعرة في بدنه ملكاً يسبّح الله إلى يوم القيامة، يسوّي كلّ واحد من تسبيحهم ألف تسبيح من تسبيحات أهل الأرض ويلحق بالنورة إزالة شعر الإبط، وفيه أيضاً تأكيد شديد، ويستحبّ ازالة سائر شعور بدنه غير المنشأة منها، ويستحبّ لمن تنوّر أن يتحنّا موضع التنوير كلّه، بل سائر جسده من الفرق إلى القدم، كما يجب على من تخلّى من الرذائل، أن يتخلّى بالفضائل. [اسرار الصلاة ص ٧٥-٧٦]. =

العبرة في تقليم الأظافر

= **قال التبريزي في أسرار الصلاة**: في تقليم الأظافر، والعبرة في ذلك أن يعلم المراقب أنّ إيذاء الغير، والظلم والتشبّه بالسباع ممقوت عند الله، بحيث لم يرض بما هو من آلتها في بدن الإنسان، فأمر بتقليم الأظفار، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في مواعظ عيسى عليه السلام: «قل لظلمة بني إسرائيل قلّموا أطفاركم من كسب الحرام، وأصمّوا سماعكم من ذكر الخناء، وأقبلوا بقلوبكم، فإنّي لست أريد صوركم» فعلم من ذلك أن المراد الأصلي من هذه الأحكام الصوريّة، هو إصلاح القلوب بصفة العدل ليصلح لخلافة العدل الحكيم تعالى، ويعلم من ذلك عناية الله في حقّ هذه الأمة المرحومة ببيان هذه الجزئيّات، ويعلم هذه المراتب من حكمة الظاهر والباطن، ومنّته عليه حيث جاء من الله بهذه الشريعة الكاملة الّتي لم يترك فيها شيء يمر ممّا يقرب من الله تعالى، وما يبعد عنه حتّى إرش الخدش، ويتفطّن من ذلك أنّ شريعته هو الصراط المستقيم، الّذي هو أقرب الطرق إلى الله على التحقيق لا المجاز. [اسرار الصلاة ص ٧٦].

العبرة في أخذ الشارب

قال التبريزي في اسرار الصلاة: في أخذ الشارب وإعفاء اللحى. للعبد المراقب أن يتفطّن من هذا الحكم عناية الله في حقّ عباده، بعدم رضاه أن يكون على صورة أعدائه فإنّ ذلك غاية للإعتناء بالعبد من المولى، وأن يتفطّن بخطر مخالفة هذا السيّد البر الودود، وكيف يبدّل مقام التكريم، والتشريف والودّ والعطف على الذلّ والهوان، والبغض والعدوان، حتّى يكون التشبّه به في الصورة أيضاً حراماً، وبالجملة ورد في الحديث القدسي: «إنّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه: قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

أقول: فأنظر إلى مسكين، إن سيّدك إنّما خصّك وإصطفاك لنفسه، وميّزك عن أعدائه، حتّى في الصورة والهيئة، بدناً ولباساً، ومسكناً ونزهك عن التشبيه بهم، حتّى في الصورة والهيئة، فإن خالفته في هذا الحكم، وإمتنعت عن قبول هذه العناية، وتلبّست بعد ذلك بلباس أعدائه، وإخترت التشبّه ماذا يحكم عقلك بهذه المخالفة من الجسارة والقبح، هل هذه إلاّ إظهار العناد بربّ البلاد والعباد، وتفكّر في هذه الجاهرة باشقاق والعناد، بالنسبة إلى ملوك الدنيا وساداتها، مثلاً إذا كان للسلطان لباس خاص بجنوده ورعيّته، ولعدوّه=

= أيضاً لباس مخصوص، وأعطى السلطان خلعته لواحد منهم، وقال إجعله لباساً لك على هيئة ألبسة جنودي، ورعيّتي، وحذّر أن يجعله على هيئة لباس أعدائه، وخالف هذا وذلك، وجعل خلعة السلطان على هيئة لباس أعدائه، ولبسه في حضوره ماذا يقول العقلاء لهذه المخالفة، أيعدّه معصية، أم يقول أنّه معاندة، وإظهار شقاق وطغيان؟! فإحذر من مثله في أمر ملك الملوك تعالى.

* * *

في الغسل وآدابه القلبية

قال الإمام الخميني: يقول أهل المعرفة ان الجنابة هي الخروج عن وطن العبودية والدخول في الغربة وإظهار الربوبية ودعوى المنيّة والدخول في حدود المولى والإتصاف بوصف السيادة والغسل للتطهير من هذه القذارات والإعتراف بالتقصير. وقد ذكر بعض المشايخ في ضمن عشرة فصول، مئة وخمسين حالاً لا بد للعبد السالك التطهير منها في خلال الغسل يرجع أغلبها أو كلها إلى العزّة والجبروت وكبرياء النفس وحب النفس ورؤيتها.

يقول كاتب هذه الأوراق: الجنابة هي الفناء في الطبيعة والغفلة عن الروحانية والغاية القصوى لكمال السلطنة الحيوانية البهيمية، والدخول في أسفل السافلين والغسل هو التطهير من هذه الخطيئة والرجوع عن حكم الطبيعة والدخول في سلطان الرحمانية والتصرف الإلهي بغسل جميع مملكة النفس التي فنيت في الطبيعة وإبتليت بغرور الشيطان.

فالآداب القلبية للغسل هي ألاّ يتوقف السالك في حين غسله بتطهير الظاهر وغسل البدن الذي هو القشر الأدنى والحظ الدنيوي، وتكون جنابة باطن القلب وسرّ الروح مورداً لعنايته، ويكون غسله أهم في نظره فيتجنب عن غلبة النفس البهيمية والشأن الحيواني على النفس الرحمانية والشؤون الرحمانية ويتوب عن رجس الشيطان وغروره ويطهر باطن الروح الذي هو نفخة إلهية وقد نفخ فيه بالنفس الرحمانية عن الحظوظ الشيطانية وهي التوجّه إلى الغير الذي هو أصل الشجرة المنهية حتى يليق بهذا التطهير للدخول على جنة أبيه آدم عليه السلام.

وليعلم أن الأكل من هذه الشجرة شجرة الطبيعة والإقبال على الدنيا والتوجه إلى الكثير هو أصل أصول الجنابة، وما دام لم يطهر من هذه الجنابة بإنغماسه في ماء الرحمة للحق تعالى=

= أو تطهيره التام بذاك الماء الذي يجري عن ساق العرش الرحماني والخالص عن التصرف الشيطاني لا يليق للصلاة التي هي حقيقة معراج القرب فإنه لا صلاة إلا بطهور، وقد أشار إلى ما ذكر في الحديث الشريف في الوسائل عن الشيخ الصدوق رضوان الله عليه قال:

وبإسناده قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله فسأله أعلمهم عن مسائل، وكان فيما سأله أن قال: لأيّ شيء أمر الله تعالى بالإغتسال من الجنابة ولم يأمر بالغسل من الغائط والبول؟ فقال رسول الله أن آدم أكل من الشجرة دبّ ذلك في عروقه وشعره وبشره فإذا جامع الرجل أهله خرج الماء من كل عرق وشعرة في جسده، فأوجب الله عز وجلّ على ذريّته الإغتسال من الجنابة إلى يوم القيامة». الخبر.

وفي رواية أخرى عن الرضا عليه السلام: «إنما أمروا بالغسل من الجنابة ولم يؤمروا بالغسل من الخلاء وهو أنجس من الجنابة وأقذر من أجل أن الجنابة من نفس الإنسان وهو شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان وإنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب». وظاهر هذه الأحاديث وإن كان عند أهل الظاهر هو أن النطفة لما كانت تخرج من جميع البدن فوجب غسل جميعه. وهذا مطابق لرأي جمع من الاطباء والحكماء الطبيعيين ولكن تعليله عليه السلام بأكل الشجرة كما في الحديث الأول ونسبة الجنابة إلى النفس كما في الحديث الثاني يفتح طريقا الى المعارف لاهل المعرفة والاشارة لأن قضية الشجرة وأكل آدم منها من أسرار علوم القرآن وأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وكثير من المعارف مرموز فيها، ولذا جعلوا عليهم السلام في الأحاديث الشريفة قضية آدم، والأكل من الشجرة علّة لتشريع كثير من العبادات ومن جملتها باب الوضوء والصلاة والغسل وصوم شهر رمضان وكونه ثلاثين يوماً وكثير من مناسك الحج.

وبالجملة، فأنت يا إبن آدم لقد جعلت بذراً للقاء وخلقت للمعرفة وإصطفاك الله تعالى لنفسه وخمّرك بيدي جماله وجلاله وجعلك مسجوداً للملائكة ومحسوداً لإبليس إذا أردت أن تخرج عن جنابة أبيك الذي هو أصلك وتليق للقاء حضرة المحبوب وتحصل إستعداداً للوصول إلى مقام الإنس وحضرة القدس فلا بد لك من أن تغسل باطن قلبك الذي هو محفل لجناب الجميل وجمال الجليل عن حب الدنيا وشؤونها الخبيثة التي هي رجس الشيطان فإن جنة لقاء الحق تعالى محل الأطهار ولا يدخل الجنة إلا الطيّب. [الآداب المعنوية للصلاة ص ١٤٨-١٥٠].

=

في نبذة من الآداب الباطنية لإزالة النجاسة والتطهير من الخبائث

= **قال الامام الخميني**: فإعلم أن إزالة الحدث كما مرّ هي في الخروج من الإنّيّة والأنانيّة والفناء عن النفس بل هي الخروج من بيت النفس بالكلية، وما دام في العبد بقايا من نفسه فهو محدث للحدث الأكبر والعابد المعبود فيه هو الشيطان والنفس. وإن منازل سير أهل الطريق والسلوك إذ كان لأجل الوصول إلى المقامات وحصول المعارج والمدارج فليست خارجة عن تصرف النفس والشيطان وإنما السير والسلوك معللة، فالسلوك إذاً في منازل النفس والسير في جوف البيت ومثل هذا السالك ليس بمسافر ولا سالك وليس مهاجراً إلى الله ورسوله، وما طهّر من الحدث الأكبر الذي هو عيّنية العبد فإذا تطهّر من هذا الحدث بالكلية يكون العابد والمعبود هو الحق تعالى ويحصل نتيجة قرب النافلة أي: كنت سمعه وبصره.. فمن هذه الجهة يلزم غسل جميع البدن في الطهارة من الحدث الأكبر لأنه ما دامت عيّنية العبد باقية بوجه من الوجوه لم يرتفع الحدث فإن تحت كل شعرة جنابة فالتطهير من الحديث هو التطهير من الحدوث، ثم الفناء من بحر القدم وكما له الخروج من الكثرة الإسمائية التي هي باطن الشجرة ويخرج بهذا الخروج من الخطيئة السارية لآدم أصل الذرية، فالحدث هو من القذارات المعنوية وتطهيره أيضاً من الأمور الغيبية الباطنية وهو نور لكن الوضوء نور محدود والغسل نور مطلق، وأيّ وضوء أنقى من الغسل وأما هذه المكانة فليست لإزالة الخبث والنجاسات الظاهرية لأنها تنظيف صوري وتطهير ظاهري والآداب القلبية لها هي أن يعلم السالك الذي يريد الحضور في محضر الحق أنه لا يمكن التطرق إلى محضر الحق مع رجس الشيطان ورجس هذا الخبيث. وما لم يحصل الخروج من أمهات المذام الأخلاقية التي هي مبدأ لفساد المدينة الفاضلة الإنسانية ومنشأ للخطيئات الظاهرية والباطنية لم يجد السالك طريقاً إلى المقصد ولا سبيلاً إلى المقصود.

إن الشيطان الذي كان مجاوراً للعالم القدس ويعد في سلك الكروبيين فإن آخر الأمر بواسطة الملكات الخبيثة أبعد عن جناب مقام المقربين وأرجم بنداء فإخرج منها فإنك رجيم فإذن نحن المتأخرين عن قافلة عالم الغيب والساقطين في بئر الطبيعة العميق والمردودين إلى أسفل السافلين كيف نقدر مع وجداننا الملاكات الخبيثة الشيطانية أن نليق لمحضر القدس ونكون مجاورين للروحانيين رفقاء للمقربين.

إن الشيطان رأى نفسه ورأى ناريته وقال أنا خير منه، وهذا الأعجاب بالنفس صار سبباً=

= لعبادة نفسه وتكبره وتحقير آدم وإهانته وقال: خلقته من طين، وقاس قياساً باطلاً ولم يرى حسن آدم وكمال روحانيته بل رأى ظاهره ومقام طيته وترابيته ورأى من نفسه مقام ناريته وغفل عن الشرك وحب النفس ورؤيتها، فصار حب النفس حجاباً لرؤية نقصه وشهود عيوبه وصارت هذه الرؤية للنفس والحب لها سبباً للتعبد لنفسه والتكبر والتظاهر والرياء والإستقلال في الرأي والعصيان وأبعد عن معراج القدس إلى تيه الطبيعة المظلمة. فالإلزام للسالك إلى الله أن يطهّر نفسه من أمهات الرذائل والأرجاس الباطنية الشيطانية عند تطهيره الأرجاس الصورية وأن يغسل المدينة الفاضلة بماء رحمة الحق وإرتياض شرعي ويصفي قلبه الذي هو محلّ لتجلّي الحق ويخلع نعل حبّ الجاه والشرف كي يليق للدخول في الوادي المقدس الأيمن ويكون قابلاً لتجلي الرب، وما دام لم يحصل التطهير من الأرجاس الخبيثة لا يمكن له التطهير من الأحداث لأن تطهير الظاهر مقدمة لتطهير الباطن، وما لم تحصل التقوى التامة الملكية الدنيوية على وفق دستور الشريعة المطهّرة لم تحصل التقوى القلبية، وما لم تحصل التقوى القلبية من الأمور التي ذكرناها لم تحصل التقوى الروحية السرية الحقيقية. وجميع مراتب التقوى مقدمة لهذه المرتبة وهي ترك غير الحق، وما دام في السالك بقية باقية من الأنانية فلن يتجلّى الحق عن سرّه.

نعم ربما يكون بمقتضى سبق الرحمة وغلبة جهة يلي اللّهي يدرك السالك الإمداد الغيبي ويحترق بالجذوة الإلهية ما بقي من الأنانية إن كانت، ولعل في كيفية تجلي الحق للجبل وإندكاكه وصعق موسى إشارة لما ذكر، وهذا الفرق أيضاً موجود بين السالك المجذوب والمجذوب السالك.

وقد يتفطّن أهل الحقيقة مما ذكر إلى نكتة قابلة لأن تعلم ومطلب مهم والجهل به منشأ لكثير من الضلالات والغوايات والتأخر عن سلوك طريق الحق ولا ينبغي لطالب حق الجهل به ولا يجوز له الغفلة عنه، وهو أن السالك وطالب الحق لا بد أن يبرىء نفسه من الإفراط والتفريط اللذين يكونان في بعض جهلة أهل التصّوف وبعض غفلة أهل الظاهر حتى يمكن السير إلى الله لأن بعضهم يعتقد أن العلم والعمل الظاهري القالبي حشو وهما للجهّال والعوام، وأما اللذين هم أهل السر والحقيقة وأصحاب القلوب وأرباب السابقة الحسنى فلا يحتاجون إلى هذه الأعمال، وإن الأعمال القالبية لأجل حصول الحقائق القلبية والوصول إلى المقصد فإذا وصل السالك إلى المقصد فالإشتغال بالمقدمات تبعيد له والإشتغال بالكثرات حجاباً له.

=

= والطائفة الثانية قامت في قبال هذه الطائفة فوقعوا في جانب التفريط وأنكروا جميعاً المقامات المعنوية والأسرار الإلهية وسوى محض الظاهر والصورة والقشر أنكروا سائر الأمور ونسبوها إلى التخيلات والأوهام ولا زال التنازع والمجادلة والمخاصمة بين الطائفتين، كل يرى الآخر على خلاف الشريعة والحق أن كلاتا الطائفتين قد تجاوز عن الحد ووقعوا في الإفراط والتفريط، ونحن أشرنا في رسالة سرّ الصلاة إلى هذا الموضوع، وفي هذا المقام أيضاً نُرى حدّ الإعتدال الذي هو الصراط المستقيم فليعلم أن المناسك الصورية والعبادات القالبية ليست لحصول الملكات الكاملة الروحانية والحقائق القلبية فقط بل هي إحدى ثمراتها لكن عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب جميع العبادات هي اسراء المعارف الإلهية من الباطن إلى الظاهر ومن السرّ إلى العلن، وكما أن نعمة الرحمة الرحمانية بل الرحيمية منبسطة إلى جميع النشآت القلبية والقالبية للإنسان ولكل من المراتب حظ من النعم الجامعة الإلهية ولكل منها حظ ونصيب من ثناء الحق وشكر النعمة الرحمانية والرحيمية للواجب المطلق وما دام للنفس حظ من النشآت الصورية الدنيوية ولها من حياة الملك نصيب، لا ينطوي بساط الكثر بالكلية ولا ترتفع حظوظ الطبيعية. والسالك إلى الله كما أنه لا بد إلاّ يكون قلبه مشغولاً بغير الحق كذلك لا بد ألاّ يكون صدره وخياله وملك الطبيعة مصروفة في غير الحق حتى يكون للتوحيد والتقديس في جميع النشآت قدم راسخ، وإذا كان للجذبة الروحية في ملك الطبيعة نتيجة غير التعبد والتواضع للحق ففي النفس بقية من الأنانية. وسير السالك إنما هو في جوف بيت النفس وليس سيره إلى الله وغاية سير أهل الله هي أن تكون الطبيعة وملك البدن منصبغة بصبغة الله.

ولعل من المراتب والبواطن للحديث الشريف الذي يحكي عن لسان الحق تعالى شأنه أن الله قال: «وأنا الرحمان خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» فلعلها هي قطع الطبيعة التي هي أم الارواح عن موطنها الاصلي ووصلها هو ارتياضها وارجاعها إلى موطن العبودية.

وفي الحديث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إستوصوا بعمّتكم النخلة خيراً فإنها خلقت من طينه آدم». وهذا الحديث يشير إلى الرحم الذي ذكرناه.

وبالجملة إخراج مملكة الظاهر عن موطن العبودية وإرسالها على رسلها من غاية الجهل=

= لمقامات أهل المعرفة ومن تسويلات الشيطان الرجيم فإنه يمنع كل طائفة عن الحق تعالى بطريق خاص، كما أن إنكار المقامات وسدّ طرق المعارف التي هي قرّة عين أولياء الله عليهم السلام وتحديد الشرائع الإلهية بالظاهر الذي هو حظ الدنيا وملك النفس ومقام حيوانيتها والغفلة عن الأسرار والآداب الباطنية للعبادات التي توجب تطهير السرّ وتعمير القلب وإرتقاء الباطن من غاية الجهالة والغفلة وكل من هاتين الطائفتين بعيد عن طريق السعادة والصراط المستقيم للإنسانية ومهجور عن مقامات أهل المعارف.

والعارف بالله والعالم بالمقامات لا بد له أن يراعي جميع الحقوق الباطنية والظاهرية ويوصل إلى كل صاحب حق حقه وحظه ويطهّر نفسه من الغلّو والتقصير والافراط والتفريط ويزيل عن نفسه قذارة إنكاره صورة الشريعة الذي هو في الحقيقة تحديد ويزيل عن نفسه خباثة إنكار باطن الشريعة الذي هو تقييد وكلاهما من الوساوس الشيطانية ومن أخباث ذلك اللعين حتى يتيسّر له طريق السير إلى الله والوصول إلى المقامات المعنوية.

فإزالة أخباث الأوهام الفاسدة المانعة من القرب إلى الله ومن معراج المؤمنين إحدى مراتب إزالة الخبث، وإن من إحدى معاني جامعية النبوّة الخاتمية ومقاماتها بل من دلائل الخاتمية أنه في جميع المقامات النفسية قد إستوفى جميع حقوقها وحظوظها من جميع شؤون الشريعة، وكما أنه في معرفة شؤون الربوبية جلّت عظمته عُرّف الحق سبحانه في العلّو الأعلى والدنو الأدنى لمقام الجامعية وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، إلى آخره، ولو دليتم بحبل من الأرضين السفلى لهبطتم على الله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إلى غير ذلك مما يحصل به للعارف بالمعارف الإلهية والمجذوب بالجذبات الرحمانية طرب ملكوتي ووجد لاهوتي.

كذلك فقد أسرى التوحيد العملي القلبي إلى آخر مراتب أفق الطبيعة وملك البدن ولم يحرم موجوداً من حظ معرفة الله.

وبالجملة أهل التصوف يترنّمون بالحكمة العيسوية من حيث لا يشعرون، وأهل الظاهر يتكلمون بالحكمة الموسوية، والمحمديون يتبرّؤون من هذين بطريق التقييد، وتفضيل هذا الإجمال خارج عن مجال هذا المقام ولا ينبغي ذكره في هذه الأوراق.

عن مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام:

=

= «سمي المستراح مستراحاً لأستراحة النفوس من أثقال النجاسات وإستفراغ الكثافات والقذر فيها، والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها وتركها، ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جميعها وأخذها إستنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال، كيف تصير ذليلة في حال، ويعلم إن التمسّك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين وأن الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها، ويفرّ من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في أداء أوامره وإجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه، فإن المعوّل ذلك وما عداه لا شيء». (إنتهى كلامه الشريف).

وفي هذا الكلام الشريف حكم (دستور) جامع لأهل المعرفة والسلوك وهو أن الإنسان اليقظان السالك إلى دار الآخرة لا بد أن يستوفي في كل حال من الحالات حظوظه الروحانية ولا يغفل في حال عن ذكر مرجعه ومآله، ولهذا قالت الحكماء: النبي خادم القضاء كما أن الطبيب خادم البدن. فإن الأنبياء العظام والأولياء الكرام عليهم السلام حيث أنهم لا يرون إلا القضاء الإلهي ولا ينظرون سوى الجهة يلي اللهي. والحاكم في قلوبهم هو ملكوت القضاء الإلهي فيرون جريان الأمور بأيدي ملائكة الله التي هي جنود الله ويجدونها كذلك والطبيب حيث أنه بعيد عن هذه المرحلة ومهجور عن هذا الوادي فينسب جريان الأمور الطبيعية إلى القوى الطبيعية. الإنسان الإلهي يرى في كل شيء الحظ الإلهي. والعين المشاهدة للحق والبصيرة العارفة بالله تشاهد في كل موجود نور الحق، كما روي عن أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق سلام الله عليهما: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وفيه».

وبالجملة الإنسان السالك في جميع أحواله ومن جميع أموره لا بد أن يستفيد حظوظ سلوكه، فإذا رأى أن الحطام الدنيوي ولذائذ عالم الملك كلها زائلة ومتغيرة وعاقبة أمرها إلى الفساد والأفول فيعرض قلبه عنها بسهولة ويفرغ قلبه عن الإشتغال بها وجميعها ويستنكف عنها كما يستنكف عن القذارات. إن باطن عالم الطبيعة هو القذارة وتعتبر الكثافة والقذارة في الرؤيا التي هي باب من المكاشفة تعبيراً عن الدنيا والمال، وفي=

في التيمم

وأسبابه أسباب الوضوء والغسل بعينها مع العجز عنهما، إمّا لفقد الماء بعد طلبه، أو لمانع من الوصول إليه من سبع أو حابس، أو كون الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو عطش رفيقه، أو كونه ملكاً لغيره ولا يبيع إلاّ بالثمن المجحف، أو كان به جراحة أو مرض يخاف على نفسه فيصدر حتّى يدخل وقت الفريضة، ثمّ يقصد صعيداً عليه تراب خالص طاهر لين يثور الغبار منه، فينزع خاتمه، ثمُ يضرب عليه بكفيّه مفرجي الأصابع ناوياً في نفسه أنّه يتيمّم تقرّباً إلى الله مسمّياً، فيمسح بهما جبهته ويدخل الجبينين، والأحوط إدخال الحاجبين أيضاً، ثم يضرب ثانية فيمسح بباطن اليسرى ظاهر اليمنى من الزند بالعكس، وإن اقتصر على الضربة الأولى في المسحات

= المكاشفة العلوية: «الدنيا جيفة وميتة»، فالمؤمن كما يفرغ نفسه عن الأثقال والفضولات الطبيعية ويريح المدينة الطبيعية من أذاها كذلك يريح قلبه من التعلق والإشتغال بها ويرفع عن القلب ثقل حب الدنيا والجاه ويريح ويفرغ المدينة الفاضلة الروحانية منها ويتفكر في الإشتغال في الدنيا كيف أذلّ النفس الشريفة بعد ساعات وأحوجها إلى أقبح الحالات وأفضحها، كذلك الإشتغال القلبي بالعالم بعدما يرتفع حجاب الملك والطبيعة وما هو بعيد يذلّ الإنسان ويبتليه بالحساب والعقاب، ويعلم أن التمسّك بالتقوى والقناعة موجب راحة الدارين، وأن الراحة في هوان الدنيا، فلذلك لا يلتذّ ولا يتمتع منها وكما أنه طهّر نفسه من النجاسات الصورية كذلك سيطهّر نفسه من نجاسات المحرّمات والمشتبهات، وإذا عرف نفسه ووجد ذلّة إحتياجها فيغلق باب الكبر والتعظيم عن نفسه ويفرّ من العصيان والذنوب ويفتح على نفسه باب التواضع والندامة ويجدّ ويجتهد في إطاعة أوامر الحق ويجتنب عن عصيانه حتى يكون له حسن المآب إلى الحق ويتقرب إلى مقام القدس بطهارة النفس وصفائها وليسجن هو بنفسه نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات النفسانية كي يأمن من سجن العذاب الإلهي ويلحق إلى الحق في دار القرار وإلى كنف ذاته المقدسة فيذوق في تلك الحال طعم رضا الحق تعالى وهذا غاية آمال أهل السلوك وليس لغيره أي قيمة. [الاداب المعنوية للصلاة ١٤٨-١٥٠].

الثلاث أجزأه بشرط بقاء علوق التراب على الأصحّ، وجوّز بعض أصحابنا استيعاب الوجه واليدين إلى المرفقين بالمسح لورود الروايات بذلك أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام، ولا بأس به وأن كان تركه أحوط لاحتمال التقيّة فيها، والواجب فيه النيّة والضرب والمسحات الثلاث، والترتيب والموالات، وطهارة التراب، وطهارة المحال مع الإمكان، فهذه أحكام الطهارات وآدابها ممّا لا بدّ منه لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله، وما عداها من المسائل يحتاج إليها في عوارض الأحوال، فيرجع فيها إلى كتب الفقه هكذا قال أبو حامد بعد ما ذكر من المسائل نحواً ممّا ذكرناه[1].

---

(١) **قال التبريزي في أسرار الصلاة**: ينبغي للعاقل أن يمعن النظر في أمثال هذه الأحكام الّتي لا سبيل للعقول العامّة إليها، فإنّ عقول العامّة ترى الوضوء والغسل مناسبة بل لازمة للصلاة حيث يرى فيها التنظيف، والتطهير، ولا ترى للتيمم ذلك، بل ترى خلافه، ولكن إذا أمعن النظر في قوله تعالى بعد آية التيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] انّ التراب أيضاً طهور، كما قال رسول الله : جعلت لي الأرض مسجداً، وترابها طهوراً، ووجه كونه طهوراً لا يدرك إلا برؤية القذارات المعنويّة، وروح هذه القذارات الظاهريّة، ونور التواضع بمسّ التراب، ومسحها على الاعضاء الشريفة، فإنّ المقصد الاصلي من الوضوء أيضاً تطهير الأرجاس المعنوية بمسّ الماء، الذي هو مظهر أصل الحياة، والعلم الّذي به الاستخلاص من جميع الاوزار، والارجاس ومسّه يؤثر في تطهير الظاهر والباطن، وإذا فقد أو ضرّ فبدله ما يحصل منه تطهير الباطن، وهو مسّ التراب الّذي هو إشارة الى الرجوع الى حقيقته التي هي عدم محض، وتواضع في الظاهر الّذي هو فناء عن الانيّة، فيحصل به ما يحصل بالماء والعلم من طهارة الباطن، دون الظاهر، ولأنّ مقصود الأهم أمر الباطن، فعند عدم الإمكان إكتفى بطهارته الّتي هي العمدة، دفعاً للحرج، ويمكن أن يقال إنّ هذا عدة الله في جميع مراتب تذكية النفس، وتهذيب الأخلاق، فإنّ آخر المجاهدة أن يتواضع العبد من حوله وقوّته، ويرى الحول والقوّة كلّه لله ولكن الخطب كلّه في صدق هذا الحال، وعدم الغرور فيه، وشاهده أن=

= يكون هذا حاله بالنظر إلى الأمور الدنيوية، والأسباب الظاهريّة أيضاً، ولا يتمسك في جلب منافعه، ودفع مضارّه بالأسباب إلاّ من جهة أمر الله، لا لإعتقاد أنّه ينفعه أو يضرّه. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ٧٨-٧٩].
قال السيد حيدر الآملي:

تيمم أهل الشريعة

فالتيمم عندهم عبارة عن طهارة ترابية مع تعذر الماء عوضاً عن الوضوء أو الغسل، وحينئذ لا يجوز التيمم إلا بأحد شروط ثلاثة، أما عدم الماء مع الطلب، أو عدم ما يتوصل إليه من الآلة والثمن كالدلو والحبل وأمثال ذلك، أو الخوف على النفس والمال من استعمال الماء ولا يصحّ أيضاً إلا بالأرض أو ما يقع عليه اسم الأرض على الإطلاق من تراب أو مدر أو حجر، لأنه تراب عقدته الطبيعة أيضاً. وكيفيته وهي أن يضرب المتيمم يديه على الأرض دفعة ضربة إن كان للوضوء وينفضهما ويمسح بهما وجهه من قصاص شعر الرأس من ناصيته إلى طرف أنفه، ويمسح ببطن يديه اليسرى ظهر كفه اليمنى من الزند إلى أطراف الأصابع، وببطن كفه اليمنى ظهر كفه اليسرى من الزند إلى أطراف الأصابع، وإن كان للغسل يضرب ضربتين، ضربة للوجه والأخرى لليدين، والكيفية فيهما واحدة ونواقض التيمم نواقض الوضوء والغسل، ويزيد عليهما التمكن من استعمال الماء، وكلّ ما يستباح بالوضوء من العبادة يستباح بالتيمم على حد واحد، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تيمم أهل الطريقة

فذلك يحتاج إلى تمهيد مقدمتين، الأولى في تحقيق الماء الحقيقي، والثانية في تحقيق التراب الحقيقي.
فالماء الحقيقي بحكم العقل والنقل عبارة عن العلوم والمعارف الإلهية المسماة بالحياة الحقيقية أيضاً، وبيان ذلك وهو أن الله تعالى أخبر في كتابه بأن حياة كل شيء من الماء لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ومعلوم أن حياة كل شيء ليس من الماء الصوري، لأن الملك والجن والأفلاك والأجرام وأمثال ذلك يصدق عليهم بأنهم شيء، وليس حياتهم من الماء إن أراد به الماء الصوري والتناول منه، وإن أراد به أن جزء كل مركب من الماء الصوري، فكثير من الموجودات يخرج عن هذا الحكم كالبسائط=

= والعلويات المذكورة ونحوها، فتقرر أن المراد به العلم، وإن كمال العلم يتفاوت في الشرف والخسة كتفاوت الماء في العذب والاجاج وغير ذلك من الأوصاف، والذي سبق عند بحث التوحيد أن كل موجود له نطق وحياة ومعرفة دالة على صدق هذا المعنى، لأن المراد بالمعرفة العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وليس هناك موجود يخلو من هذه العلوم على حسب استعداده واستحقاقه وقابليته كما بيناه أيضاً متمسكاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، لأن التسبيح للشيء لا يكون إلا بعد معرفته والإقرار بوجوده وهذان الفعلان لا يصدران إلا من موجود حي بحياة صورية أو معنوية، فصح قولنا إن كل شيء في الوجود له ثلاثة أشياء: العلم، والمعرفة، والحياة، وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، باتفاق أكثر المفسرين من المحققين إشارة إلى هذا المعنى، لأن الماء بمعنى العلم، والأودية بمعنى القلوب، وبقدرها بمعنى الاستعداد والقابلية الحاصلة لكل موجود من غير جعل من الجاعل كما سبق تحقيقه أولاً، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] دال على هذا، لأنه ليس بين العرش الصوري والماء الصوري مناسبة، لا على طريق الشرع وترتيب الموجودات، ولا على طريق العقل وتحقيق المخلوقات، فحينئذٍ لا بد وأن يكون بمعنى العلم الذي هو الحقيقة الكلية السارية في كل شيء بقدر، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وهذا الوجه أحسن الوجوه، لأن العرش وغير العرش ليس قيامهم إلا بالحياة، والحياة الحقيقية ليس إلا العلم، فيكون حياة كل شيء بالعلم، ويكون معنى الآية مطابقاً وخصوصية العرش بذلك لأنه أعظم الأجسام وأقرب الأشياء إلى العلويات المجردة، وإذا خصص أعظم الأشياء بشيء من الأوصاف المشتركة بين الكل فلا بد لأحقر الأشياء من ذلك، وكذلك قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [الرحمن: ٥]، لأن الاستواء ليس إلا بمعنى الاستيلاء، وإذا كان كذلك فخصوصية العرش به يكون من حيث إنه أعظم الأشياء وأعظم الأجسام، والاستيلاء على أعظم الأشياء يستلزم الاستيلاء على أحقرها بطريق الأولوية، وهاهنا أبحاث من حيث المعقول ليس هذا موضعها، فافهم ذلك جداً، والله أعلم بحقائق الأشياء ودقائقها وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما التراب الحقيقي الذي بازاء هذا الماء بحكم العقل والنقل عبارة عن العلوم الظاهرة التي هي كالتراب بالنسبة إلى تلك، والقشر إلى تلك اللباب، فكما يكون المراد بالماء=

= الحقيقي العلوم الروحانية والمعارف القدسية، يكون المراد بالتراب الحقيقي العلوم المحسوسة الكسبية والمعارف الفكرية الحدسية، لأن المراد بالتراب في جميع المواضع لو كان التراب الصرف لم يقل الحق تعالى في حق آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، لأن آدم خلقه ليس من التراب فقط، بل من التراب وغيره من العناصر، بحيث يكون التراب جزءاً من أجزاء بدنه، لكن من جهة الأغلبية أشار إليه، وكذلك الحيوان بل وكل موجود، لأن إبليس أيضاً لم يكن مخلوقاً من نار صرف حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، بل من العناصر الأربعة، لكن نسبة نفسه إلى النار للأغلبية، لأن جزء النار أغلب في الجن الذين منهم الشيطان من أجزاء أخر، فحينئذٍ يكون المراد بالتراب الأرض وما عليها من المركبات في خلق آدم، وبالنسبة إلى الماء الحقيقي يكون العلوم الظاهرة الحاصلة من الحس بمعاونة الفكر.

وإذا تقرر هذا فكل علم يكون منبعه ومنشؤه الحواس الظاهرة والباطنة كالعلوم الكسبية المذكورة نسبته إلى التراب أولى وأنسب، وكل علم يكون منبعه ومنشؤه الكشف والفيض، من العلوم الإلهية والمعارف الربانية المعبر عنها بالوحي والإلهام واللدني وغير ذلك نسبته إلى الماء أولى وأنسب، وإليهما أشار الحق تعالى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]، وقد قرر أن المراد بهذه الفوق العالم الروحاني والعلوم النازلة منه، وبالتحت العالم الجسماني والعلوم الحاصلة منه، لأن قول المفسرين في هذا المقام ليس على الأصل الصحيح، لأنهم قالوا المراد بأكل الفوق المطر وبأكل التحت النبات وليس هذا بصحيح، لأن المطر والنبات يحصل لمن يقوم بالتوراة والإنجيل والقرآن، ولغيره من الإنسان والحيوان اللذين ليس لهما هذا القيام، والحال أن حصول هذين الأكلين موقوف على قيام التوراة والإنجيل والفرقان، ووجود المشروط بدون الشرط مستحيل ممتنع، وهذا لا يخفى على اللبيب الفطن، فأهل الطريقة إذا لم يكن لهم تمكن من طهارة الباطن بماء العلوم الحقيقية لمانع من الموانع يجوز لهم التوجه إلى العلوم الظاهرة المذكورة لاستعمال الباطن وصفاته بقدرها، لأن العلوم الظاهرة في المناسبة كالشريعة، والعلوم الباطنة كالطريقة والتي فوقهما من المعارف كالحقيقة، فالسالك إن لم يتمكن من القيام والطهارة من حيث الطريقة باستعمال الماء الحقيقي الذي هو العلوم الحقيقية يجوز له القيام بالشريعة=

= وطهارة ظاهره بها، لأن طهارة الظاهر على التدريج يؤدي إلى طهارة الباطن، ومن هذا أشار إلى علة التيمم وسببه مفصلاً ومبيناً، وقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، هذا وجه، ووجه آخر وهو:

إنه تعالى أمر عبده بأنه يرجع إلى طهارة النفس بمعاونة البدن الذي هو التراب الطيب، بقيامه بالوظائف الشرعية إن لم يتمكن من طهارة النفس بمعاونة العقل الذي هو كالماء في حصول الطهارة الحقيقية، وغرضه من ذلك ليحصل لعبده طهارة الظاهر قبل طهارة الباطن، لأن طهارة الظاهر معدات لطهارة الباطن كما سبق ذكره، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾ [المدثر: ٤، ٥]، لأن المراد بالثياب البدن وما اشتمل عليه من أفعال الظاهر، وبطهارته الطهارة الشرعية، وبالرجز تعلقه بالدنيا وتلوثه بها، فإن الدنيا جيفة وطلاّبها كلاب، ويجوز أن يكون ذلك إرشاداً للسالك برجوعه إلى الفناء الأصلي والعدم الجبلي قهقراً، المسمى بالتراب الذي هو منه بحسب الظاهر البدن، وبالماء الذي هو أصله أيضاً بوجه آخر، أما التراب فلقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، وأما العدم فلقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، أعني إن لم يتمكن السالك من استعمال الماء الحقيقي وتحصيله لطهارة الباطن من الأحداث العارضة عليه، فليرجع إليه وإلى خلقته الترابية التي هي ارذل الأشياء وأخسها، ليحصل له بذلك الكسر التام والمذلة الكلية، ويصل بها إلى مقام الفقر والانكسار الموجبان للدخول إلى حضرة العزة المعبرة عنها بالجنة الذاتية لقوله: أنا عند المنكسرة قلوبهم، ولقول عرافي عباده: إذا تم الفقر فهو الله، وكذلك الاستغراق في بحر ماء الحياة الأبدية التي بها تحصل الطهارة الحقيقية المشار إليها، والدخول في بيت الله الأعظم والمسجد الأقصى وبيت الله الحرام المحرم على غيره الدخول فيه، وإلى الوجه الأخير المتمثل بالتراب والفقر والانكسار أشار الشيخ قدس الله سره في فتوحاته في فصل مفرد وقال: القصد إلى الأرض من كونها ذلولاً وهو القصد إلى العبودية مطلقاً، لأن العبودية هي الذلة والعبادة منها، فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة والافتقار والوقوف عند مراسم سيده وحدود أحكامه وامتثال أوامره، فإن فارق النظر من كونه أرضاً فلا=

= يتيمم إلا بالتراب من ذلك، لأنه من تراب من نحن ابناؤه وبما بقي فيه من الفقر والفارقة من قول العرب: تربت يد الرجل إذا افتقر، ثم إن التراب أسفل العناصر، فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهور من كل حدث يخرجه من هذا المقام، وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء، والماء العلم، فإن بالعلم حياة القلوب كما أن بالماء حياة الجسد أو حياة الأرض، فكأنه حالة المقلقد في العلم بالله، والمقلد عندنا في العلم بالله هو الذي يكون قلد عقله في نظره في معرفته بالله من حيث الفكر، فكما أنه إذا وجد المتيمم الماء أو قدر على استعماله بطل التيمم، كذا إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم بالله في تلك المسألة، ولا سيما إذا لم يوافقه في دليله كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع، فهو ذو شرع وعقل معاً في هذه المسألة، فاعلم ذلك فإنه ينفعك كثيراً في إدراك أسرار العبادات، وقد أشرنا أيضاً إلى تقسيم الماء وتخصيصه بالعلوم الحقيقية المتنوعة وتقسيم التراب وتخصيصه بالعلوم المجازية المتفننة في فصل مفرد تركناه خوف الإطالة والملالة، والمراد واحد وهو الذي ذكرناه وبيناه.

وبالجملة يجب على السالك التيمم على الوجه المذكور، ليحصل له التمكن عن استعمال الماء المذكور الذي هو العلوم الحقيقية، وترتيب هذا التيمم وهو أن يمسح وجه أولاً بالتراب المذكور، أي يطهر سره وحقيقته من حدث كل تعلق وخبث كل محبوب غيره تعالى، ويزين ظاهره بالأعمال الشرعية والقوانين النبوية، ثم يمسح يمينه أي قلبه ليطهره من التعلق بالآخرة وما يتعلق بها من النعيم والحور والقصور وأمثال ذلك، ثم يمسح شماله أي نفسه من التعلق بالدنيا وما يتعلق بها من المال والجاه وذكر الخير وأمثال ذلك، فإن طهارتهما ليست إلا بتركهما، أعني طهارة اليمين والشمال ليست إلا بترك الدنيا والآخرة كما مر ذكره غير مرة، ولهذا شرط فيه مس ظاهر اليمين بباطن اليسار، ومس ظاهر اليسار بباطن اليمين، لئلا يخالف ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، ويكون طهارة هذا معيناً لطهارة ذاك وبالعكس، وذلك تقدير العزيز العليم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

تيمم أهل الحقيقة

فالتيمم عندهم عبارة عن فنائهم عن عالم الظاهر بأسره، أعني منه ومما اشتمل عليه من البسائط والمركبات، لأن هذا يطهرهم عن الأنانية والغيرية اللازمة لتعلقهم بالدنيا وما=

= فيها، وذلك لأن عالم الظاهر المعبر عنه بالملك بمثابة التراب، كما أن عالم الباطن المعبر عنه بالملكوت بمثابة الماء، لأن الله تعالى ما يشير إلى عالم الملك في أكثر المواضع إلا بالأرض، كما لا يشير إلى عالم الملكوت في أكثر المواضع إلا بالسماء، والأرض لها مناسبة بالتراب لثقلها وكثافتها وبل هي التراب حقيقة، والسماء لها مناسبة بالماء للطفها وخفتها وبل هي الماء حقيقة، لأنها من الماء وجدت باتفاق أهل الشرع وبتطبيق الآفاق بالأنفس، وبيان ذلك وهو: أنهم إذا فرغوا من طهارة باطنهم بإفناء الروحانيات الذي هو كالنية في الطهارة وكالماء في استعماله، شرعوا في طهارة ظاهرهم بإفناء الجسمانيات الذي هو كالفعل في الطهارة وكالتراب في تيممه، وهذا هو المعبر عنه عند أهل الله بفناء الفناء، والفرق بين أهل الطريقة في هذه الطهارة وبين أهل الحقيقة وهو أن أهل الطريقة يتطهرون في الطهارتين عن الأخلاق الذميمة والملكات الردية باتصافهم بالأخلاق الحميدة والملكات الحسنة، وأهل الحقيقة يتطهرون فيهما عن الأنانية والبقية المؤدية إلى الاثنينية والغيرية لقول النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم وليلة سبعين مرة» ولقول عارف أمته:

بيني وبينك إني ينازعني فارفع بفضلك أني من البين

والغين المشار إليه في قول النبي ﷺ ليس إلا رجوعه إلى عالم الكثرة للدعوة والارشاد الذي هو من مقتضى التكميل وعالم البشرية لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦] وقوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ٢٣] يشهد بذلك، والتجرد التام والوحدة الحاصلة له في بعض الأوقات بحكم قوله: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» يشهد بأنه كان في عالم الوصول والقرب التام الذي هو من اقتضاء عالم البقاء بعد الفناء ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] من اقتضاء ذلك المقام، ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦] من اقتضاء المقام الأول، وكذلك الطهارة أعني الطهارة المائية والطهارة الترابية المعبر عنهما بإفناء عالم الملك والجسمانيات وإفناء عالم الملكوت والروحانيات، ونفض اليدين بعد ضربهما على التراب في التيمم إشارة إلى نفض اليدين عن العالمين بعد التعلق بهما، فافهم جيداً فإنه لطيف.

وترتيب هذه الطهارة وهو أن يضرب العارف بيديه اللذين هما العقل والنفس على أرض عالم الظاهر وعالم الباطن ونفيهما عن النظر بالكلي، ثم ينفض أيديهما المذكورتين عن=

استحضار القلب في الطهارة

قال بعض علمائنا[١] ـ رحمهم الله ـ: أمّا الطهارة فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه فيها بغسل الأطراف الظاهرة وتنظيفها لاطّلاع النّاس عليها، ولكون تلك الأعضاء مباشرة للأُمور الدنيويّة منهمكة في الكدورات الدنيّة، فلأن يطهّر

= رؤية هذا الفناء بالكلي أيضاً، ثم يمسح بهما وجهه الحقيقي المعبر عنه بالسر تارة وبالروح أخرى، حتى بقي من محبة العالمين عنده شيء أم لا، ثم تمسح بكل واحد من اليدين المعبر عنهما بالعقل والنفس ظهر كل واحدة منهما وبطنهما، ليعرف حقيقة أنه بقي عليهما من التعلق بالعالمين أثر أم لا. فإن التعلق بالغير مطلقاً قليلاً كان أو كثيراً يمنع عن الطهارة الحقيقية مائية كانت أو ترابية، فيجب على السالك التفتيش لظاهره وباطنه مع افنائهما على أنه بقي فيهما شيء من التعلق بالعالمين أم لا، ويعضد ذلك قوله ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله»، وقد سبق أيضاً أن محبة الدنيا والآخرة حجاب وشرك، ومع الحجاب والشرك يستحيل حصول الطهارة المذكورة، فإن صاحب الحجاب والشرك نجس بحكم قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، والطهارة والنجاسة ضدان لا يجتمعان، فيجب أولاً رفع النجاسة ثم الشروع في الطهارة على الوجه الذي بيناه. وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]، لأن قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④﴾ إشارة إلى طهارة الظاهر كما مر ذكره ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ⑤﴾ إلى طهارة الباطن بهجرانه الرجز المعبر عنه بالشرك والحجاب والغيرية، وأمثال ذلك في القرآن والأخبار كثيرة فاطلبها من مظانها، هذا آخر الطهارات الثلاث من الوضوء والغسل والتيمم بقدر هذا المقام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأما معرفة القبلة والوقت والمكان وأخواتها فتلك تطلب من مظانها من الكتب الفقهية، فإن هذا البحث قد طال ولا يحتمل أكثر من ذلك، مع أن هناك أبحاثاً أخر كما ستعرفها لا بد منها، وإذا فرغنا من المقدمات فلنشرع في حكمة أوضاع الصلاة التي هي أيضاً من الأبحاث الموعودة عند بحث الفروع، وهي هذه وبالله العصمة والتوفيق.

(١) يعنى به الشهيد ـ رحمه الله ـ قاله في اسرار الصلاة ص ١٨٠ من طبعه الملحق بكشف الفوائد.

مع ذلك قلبه الّذي هو موضع نظر الحقّ تعالى ـ «فإنّه لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» ولأنّه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح، والمستخدم لها في تلك الأُمور المبْعدة عن جنابه تعالى وتقدّس ـ أولى وأحرى، بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف لما هنالك، وليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والإقبال عليه والالتفات عن الدُّنيا بالقلب والحواسّ لتلقّي السعادة في الآخرة أنّ الدُّنيا والآخرة ضرّتان كلّما قربت من إحديهما بعدت عن الأُخرى، فلذلك أمر بالتطهير منها[1] عند الاشتغال والاقبال على الآخرة.

فأُمر في الوضوء بغسل الوجه، لأنّ التوجّه والإقبال بوجه القلب على الله به، وفيه أكثر الحواسّ الظاهرة الّتي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدّنيا فأُمر بغسله ليتوجّه به وهو خال من تلك الأدناس، ويترقّى بذلك إلى تطهير ما هو الرُّكن الأعظم في القياس.

ثمّ أُمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدّنيا الدنيّة والمشتبهات الطبيعيّة.

ثمّ بمسح الرأس لأنّ فيه القوّة المفكّرة الّتي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعيّة، وتنبعث الحواسّ حينئذ إلى الإقبال على الأُمور الدنيويّة، المانع من الإقبال على الآخرة السنيّة.

ثمّ بمسح الرجلين لأنّ بهما يتوصّل إلى مطالبه، ويتوسّل إلى تحصيل مآربه، على نحو ما ذكر في باق الأعضاء، وحينئذ فيسوغ له الدخول في العبادة والإقبال عليها فائزاً بالسعادة.

(١) في بعض النسخ [من الدنيا].

وأُمر في الغسل بغسل جميع البشرة لأنّ أدنى حالات الإنسان وأشدّها تعلّقاً وتملّكاً بالملكات الشهويّة حالة الجماع وموجبات الغسل، ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إنّ تحت كلّ شعرة جنابة**»[1]، فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة، منغمساً في اللّذات الدنيّة كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة، ليتأهّل لمقابلة الجهة الشريفة، والدُّخول في العبادة المنيفة، ويبعد عن القوى الحيوانيّة، واللّذات الدنياويّة.

ولمّا كان للقلب من ذلك الحظّ الأوفر والنصيب الأكمل، كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجّهات المانعة من درك الفضائل، أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللّبيب العاقل.

وأُمر في التيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذّر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة، وهضماً لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة.

وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرّذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة، فليقمه في مقام الهضم والإزراء، ويسقه بسياط الذلّ والاغضاء، عسى أن يطّلع عليه مولاه الرحيم، وسيّده الكريم، وهو منكسر متواضع، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللاّمع، فإنّه عند القلوب المنكسرة كما ورد في الأثر، فترقّ من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال، وتلافي سالف الإهمال، ومن الأسرار الواردة في الأثر، من نظائر ذلك قول الصادق عليه السلام: «إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدُّمك إلى رحمة الله، فإن الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته،

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج١ ص ٥٧.

ودليلاً إلى بساط خدمته»[١].

وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غيره، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴿٤٨﴾﴾[٢] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٣] فكما أحيا به كلّ شيء من نعيم الدُنيا[٤] كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب في الطاعات.

وتفكّر في صفاء الماء ورقّته، وطهوره، وبركته، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء وفي كلّ شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء الّتي أمرك الله بتطهيرها، وآت بآدابها فرائضه وسننه، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب، ثمّ عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي كلّ حقّه، ولا يتغيّر عن معناه معتبراً لقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الخالص كمثل الماء»[٥] ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك، كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً، وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء»[٦].

(١) مصباح الشريعة الباب العاشر.

(٢) سورة الفرقان: الآية، ٤٨.

(٣) سورة الأنبياء: الآية، ٣٠.

(٤) لا مناسبة لذكر الاية الاخيرة هنا لان معناها خلقنا كل حيوان من الماء كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ فالظاهر المراد من الماء النطفة، اللهم الا أن يقال: قرء «حيا» بالنصب مفعولاً ثانياً لجعلنا.

(٥) مصباح الشريعة الباب العاشر. وفي بعض نسخه: «المؤمن المخلص».

(٦) من قوله: «إذا أردت الطهارة والوضوء» إلى هنا في مصباح الشريعة الباب العاشر.

في علل ابن شاذان، عن الرضا عليه السلام قال: إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار عند مناجاته إيّاه، مطيعاً له فيما له فيما أمره، نقيّاً من الأدناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار، وإنّما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار، فإنّما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك أنّه بوجهه يسجد ويخضع، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتّل، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده، وبرجليه يقوم ويقعد، وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأنّ الجنابة من نفس الإنسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب»[1][2].

أقول: وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: «وعلّة التخفيف في البول والغائط أنّه أكثر وأدوم من الجنابة فرضى فيه بالوضوء لكثرته ومشقّته ومجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة والجنابة لا تكون إلاّ بالإستلذاذ منهم والإكره لأنفسهم»[3].

وقد حرم أبو حامد عن أمثال هذه الأسرار في هذا المقام، ولم يأت من هذا القبيل إلاّ بقليل، مع أنّه عنون الكتاب بأسرار الطهارة، لأنّه لم يشرب من كأس متابعة أهل البيت عليهم السلام وقتئذ، ونحن بحمد الله وتوفيقه قد آتينا بما رامه، وإن لم نستوف تمامه.

---

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ٣٤.
(٢) انتهى كلام الشهيد. رحمه الله..
(٣) العيون الباب الثالث والثلاثون.

قال: القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات الطاهرة، وهي نوعان: أوساخ، وأجزاء.

النوع الأوّل: الأوساخ والرطوبات المترشّحة وهي ثمانية:

الأوّل: ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل، والتنظيف عنه مستحبّ بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للتفث، وكان رسول الله ﷺ يدّهن الشعر ويرجّله غبّاً ويأمر به ويقول: «ادهنوا غبّاً»[١] وقال ﷺ: «من كانت له شعرة فليكرمها»[٢] أي ليصنها عن الأوساخ.

ودخل عليه رجل ثائر الرأس، أشعث اللّحية، فقال: أما كان لهذا دهنٌ يُسكّن به شعره، ثمّ قال: يدخل أحدكم كأنّه شيطان»[٣].

أقول: المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام، أنّ جزّ الشعر وحلقه أفضل من إطالته واتّخاذه، وأنّ شعر رسول الله لم يبلغ الفرق إلاّ في عام صدّعن البيت.

وروى في الكافي[٤] عن عمرو بن ثابت، عن أبي عبد الله عليه السلام

---

(١) مكارم الاخلاق من ٥١. وقال ابو الصلاح: حديث «ادهنوا غبا» لم أجد له اصلاً. وفي سنن النسائي ج٨ ص ١٣٢ عن قتاده عن حسن: «أن النبي ﷺ نهى عن الترجل إلا غباً» أي يوم ويوم لا. وفي سنن أبي داود ج٢ ص ٣٩٤ عن عبد الله ابن مغفل مثله. وفي الكافي ج٦ ص٥٢٠ عن الصادق عليه السلام: «لا يدهن الرجل كل يوم».

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ج٢ ص ٣٩٥ وفيه: «من كان له شعر فليكرمه».

(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٤٥ من حديث جابر. رضي الله عنه. بلفظ آخر. وص ١٣٨ عن عطاء بن يسار وقال: أخرجه مالك.

(٤) المجلد السادس ص ٤٨٦ تحت رقم ٤.

«قال: قلت: إنّهم يروون أنّ الفرق من السنّة؟ قال: من السنّة، قلت: ويزعمون أنّ النبيّ ﷺ فرق قال: ما فرق النبيّ ﷺ ولا كانت الأنبياء عليهم السلام تمسك الشعر».

وفي رواية أُخرى: «أنّ رسول الله ﷺ كان إذا طال شعره كان إلى شحمة أُذنه»[١].

وبإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام «قال: قال لي: استأصل شعرك يقلُّ دَرَنه[٢]، ودوابّه، ووسخه، وتغلظ رقبتك، ويجلو بصرك». وفي رواية أُخرى: «ويستريح بدنك»[٣].

وبالإسناد الصحيح، «عن أبي الحسن عليه السلام: ثلاث من عرفهنّ لم يدعهنّ: جزُّ الشعر، وتشمير الثياب، ونكاح الإماء»[٤].

وقيل للصادق عليه السلام: «أنّ الناس يقولون: حلق الرّأس مثلة، فقال عليه السلام: عمرة لنا ومثله لأعدائنا»[٥].

وبإسناده عنه عليه السلام «قال: قال رسول الله ﷺ: من اتّخذ شعراً فليحسن ولايته أو ليجزّه»[٦].

---

(١) المجلد السادس ص ٤٨٥ تحت رقم ٣.
(٢) استأصل شعر رأسك يعني جزها. والدرن. بالتحريك.: الوسخ.
(٣) المجلد السادس ٤٨٤ تحت رقم ١.
(٤) رواه الصدوق. رحمه الله. في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٣. وقال في الوافي كتاب الطهارة ص ٩٨: لعل المراد بجز الشعر ما يعم سائر انحاء ازالته.
(٥) الكافي ج٦ ص ٤٨٤ تحت رقم ٤.
(٦) الكافي ج٦ ص ٤٨٥ تحت رقم ٢.

وفي الفقيه، «قال الصادق عليه السلام: من اتّخذ شعراً فلم يفرقه فرّقه الله بمنشار من نار يوم القيامة»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل: «احلق رأسك فإنّه يزيد في جمالك»[٢].

قال أبو حامد:

«**الثاني**: ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأُذن والمسح يزيل ما يظهر منه، وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي أن ينظّف برفق عند الخروج من الحمّام، فإنّ كثرة ذلك ربّما تضرُّ بالسّمع.

الثالث: ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والإستنثار.

الرّابع: ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللّسان من القلح[٣] ويزيله السواك والمضمضة، وقد ذكرناهما.

الخامس: ما يجتمع في اللّحية من الوسخ والقمّل إذا لم يتعهّد، ويستحبُّ إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط، وفي الخبر المشهور أنّه صلى الله عليه وآله كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر[٤] وهي سنّة العرب.

---

(١) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٦ دون قوله: «يوم القيامة» وهكذا نقله المحد... النورى في المستدرك ج ١ ص ٥٨ و٥٩ عن الجعفريات ودعائم الإسلام.

(٢) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٦.

(٣) **القلح**. بتحريك.: الصفرة تعلو الاسنان.

(٤) راجع مستدرك الوسائل ج٢ ص ٤٢. ومكارم الاخلاق ص ٣٤ والمدرى: نوع من المشط.

وفي خبر غريب أنّه ﷺ كان يسرّح لحيته في اليوم مرّتين[١]، فكان ﷺ كثّ اللّحية[٢]، وكان عليّ عليه السلام عريض اللّحية، وقد ملأت ما بين منكبيه[٣].

وفي حديث أغرب منه قالت عائشة: اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فرأيته يطلع في الحبّ يسوّي من رأسه ولحيته، فقلت له: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال: «نعم، إنّ الله يحبّ من عبده أن يتجمّل لإخوانه إذا خرج إليهم»[٤] والجاهل ربّما يظنّ أنّ ذلك من حبّ التزيّن للنّاس قياساً على أخلاق غيره، وتشبيهاً للملائكة بالحدّادين وهيهات فقد كان رسول الله ﷺ مأموراً بالدّعوة، وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم، كيلا يزدريه نفوسهم وتحسين صورته في أعينهم، كيلا يستصغره أعينهم فينفّرهم ذلك، ويتعلّق المنافقون بذلك في تنفيرهم، وهذا القصد واجب على كلّ عالم تصدّى لدعوة الخلق إلى الله تعالى، وهو أن يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه، والاعتماد في مثل هذه الأمور على النيّة، فإنّها أعمال مباحة في أنفسها تكتسب الأوصاف من القصود، فالتزيين على هذا القصد محبوب، وترك الشعث في اللّحية إظهاراً للزّهد وقلّة المبالات بالنفس محذور، فتركه شغلاً بما هو أهمّ منه محبوب، فهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى، والناقد بصيرٌ والتلبيس غير رائج عليه بحال، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق وهو يلبّس على نفسه وعلى غيره،

---

(١) مكارم الاخلاق ص ٣٤. وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف.

(٢) في خبر هند بن أبي هالة راجع معاني الاخبار ص ٨٠.

(٣) راجع المجلد التاسع من البحار ص ٧ و٨ من طبع الكمباني.

(٤) مكارم الاخلاق ص ٦٣. وقال العراقي: أخرجه ابن عدى وقال: حديث منكر.

ويزعم أنّ قصده الخير، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة، ويزعمون أنّ قصدهم إرغام المبتدعة والمخالفين والتقرّب إلى الله تعالى به، وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر، ويوم يبعثر ما في القبور، ويحصّل ما في الصدور، فعند ذلك يتميّز السبيكة الخالصة من البهرج، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر».

أقول: وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على التمشّط أخبار كثيرة، وهي مرويّة في الكافي والفقيه وغيرهما.

وروى في الكافي[1] بسند حسن، «عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2] قال: من ذلك التمشّط عند كلّ صلاة».

وعن الكاظم عليه السلام قال: «المشط يذهب بالوباء، وكان لأبي عبد الله عليه السلام مشط في المسجد يتمشّط به إذا فرغ من صلاته»[3].

وعنه عليه السلام: «تمشّطوا بالعاج فإنّ العاج يذهب بالوباء»[4].

وعنه عليه السلام إذا سرّحت رأسك ولحيتك فأمرّ المشط على صدرك، فإنه يذهب بالهمّ والوباء»[5].

(١) المصدر ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧. والفقيه ص ٢٩ تحت رقم ١٠٦.
(٢) الاعراف: ٣١.
(٣) المصدر ج٦ ص ٤٨٨ تحت رقم ٢.
(٤) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٠. الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٣.
(٥) الكافي ج ٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ٧.

وعن الصادق عليه السلام: «الثوب النقيّ يكبت العدوّ، والدّهن يذهب بالبؤس، والمشط للرأس يذهب بالوباء، قيل: وما الوباء؟ قال: الحمّى، والمشط للّحية يشدُّ الأضراس»[١] وفي رواية أُخرى «بالونا»[٢]، بالنون وهو الضعف.

وسئل عليه السلام «عن عظام الفيل مداهنها وأمشاطها؟ قال: لا بأس به»[٣].

وينبغي أن يقول عند التسريح: «اللّهمّ سرّح عنّي الهموم والغموم، ووحشة الصدور، ووسوسة الشيطان» كذا عن الصادق عليه السلام[٤].

وإذا فرغ منه يقول: «سبحان من زيّن الرجال باللّحى، والنساء بالذوائب».

وقد ورد في الحثّ على الخضاب أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام أخبار كثيرة، ففي كتاب من لا يحضره الفقيه: «دخل الحسن بن الجهم على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقد اختضب بالسواد، فقال: إنَّ في الخضاب أجراً، والخضاب والتهيئة ممّا يزيد الله عز وجل به في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنَّ التهيئة، فقال له: بلغنا أنّ الحنّاء يزيد في الشيب؟ فقال: أيُّ شيء يزيد في الشيب؟ الشيب يزيد في كلّ يوم».

---

(١) الكافي ج٦ ص ٣٨٨ تحت رقم ١.

(٢) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٢. وقال العلامة المجلسي. رحمه الله. في المرآة ج٤ ص ١١٢: قال في الذكرى: الوباء. بالموحدة تحت والهمزة. وروى البرقي «الونا» بالنون والقصر وهو الضعف.

(٣) الكافي ج٦ ص ٤٨٩ تحت رقم ١١.

(٤) مكارم الاخلاق ص ٧٩.

وسأل «محمّد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام عن الخضاب؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يختضب، وهذا شعره عندنا».

وروي «أنّه كان في رأسه ولحيته عليه السلام سبع عشرة شيبة».

و «كان النبيُّ صلى الله عليه وآله والحسين بن عليّ وأبو جعفر محمّد بن عليّ عليهم السلام، يختضبون بالكتم»[١].

وكان عليُّ بن الحسين عليه السلام يختضب بالحنّاء والكتم».

وقال الصادق عليه السلام: «الخضاب بالسواد أُنسٌ للنساء، ومهابةٌ للعدوّ».

وقال عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢] قال: منه الخضاب بالسواد، وإنّ رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد صفّر لحيته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أحسن هذا، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وقد أقنى بالحنّاء، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: هذا أحسن من ذاك، ثمّ دخل عليه بعد ذلك وقد خضب بالسواد فضحك إليه، فقال: هذا أحسن من ذاك وذاك».

قال: «وقد خضب الأئمّة عليهم السلام بالوسمة، والخضاب بالصفرة خضاب الإيمان والإقناء خضاب الإسلام، وبالسواد إسلامٌ وإيمانٌ ونورٌ».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليُّ درهم في الخضاب أفضل من ألف درهم في غيره في سبيل الله عزّ وجلّ، وفيه أربع عشرة خصلة: يطرد الريح من الاذنين، ويجلو البصر، ويليّن الخياشيم، ويطيّب النكهة،

(١) الكتم . بالفتح والتحريك .: نبات يخضب به الشعر ويصنع منه مداد للكتابة.
(٢) سورة الأنفال: الآية، ٦٠.

ويشدُّ اللّثة، ويذهب بالضنى[١] ويقلُّ وسوسة الشيطان، وتفرح به الملائكة، ويستبشر به المؤمن، ويغيظ به الكافر، وهو زينة، وطيب، ويستحيي منه منكر ونكير، وهو براءة له في القبر»[٢].

وأكثر هذه الأخبار مرويٌّ في الكافي أيضاً بأسناد معتبرة[٣].

وفيه بإسناده الصحيح، «عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إيّاك ونصول الخضاب، فإنَّ ذلك بؤس»[٤].

وبإسناده، «عن حفص الأعور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن خضاب اللّحية والرأس أمن السنّة؟ فقال: نعم، قلت: إنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه لم يختضب، قال: إنّما منعه قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ هذه ستخضب من هذه»[٥].

أقول: فلا تصغ إلى ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المبالغة في الزجر عن الخضاب، وخصوصاً بالسواد، فإنَّ أهل البيت أدرى بما في البيت.

السادس: وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل، كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام، فيجتمع في تلك الغصون وسخ، فأمرهم صلى الله عليه وآله بغسل البراجم.

---

(١) **الضنى**: المرض والهزال وسوء الحال.
(٢) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٢٨ و ٢٩ تحت رقم ٦٣ إلى ٦٩.
(٣) راجع المجلد السادس منه ص ٤٨٠ إلى ٤٨٤.
(٤) **نصلت اللحية**: خرجت عنه الخضاب (القاموس)، والخبر في الكافي ج٦ ص ٤٨٢ تحت رقم ١١.
(٥) الكافي ج٦ ص ٤٨١ تحت رقم ٥.

السابع: تنظيف الرواجب أمر ﷺ به العرب، وهي رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ، لأنّها كانت لا يحضرها المقراض في كلّ وقت يجتمع فيها أوساخ، فوقّت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة كلّ أربعين يوماً، لكنّه أمر بتنظيف ما تحت الأظفار.

وجاء في الأثر: «أنّ النبي ﷺ استبطأ الوحي فلمّا هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال له: كيف ينزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم، ولا تنظفون رواجيكم، وقلحاً لا تستاكون، مر أُمتك بذلك»[(١)].

أقول: ومن طريق الخاصة مارواه في الكافي[(٢)] «عن الصادق عليه السلام قال: احتبس الوحي عن النبيّ ﷺ فقيل له: احتبس الوحي عنك، فقال: وكيف لا يحتبس وأنتم لا تقلّمون أظفاركم، ولا تنقون رواجبكم».

الثامن[(٣)]: الدرن الّذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق، وذلك يزيله الحمّام».

أقول: ولنورد كيفيّة دخول الحمّام وسننه وآدابه على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

كيفية دخول الحمام وآدابه

روى في الكافي، بالإسنادالصحيح عن الصادق عليه السلام ورواه في الفقيه

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٤٣ بلفظ آخر. ورواجب جميع راجبة وهي ما بين عقد الأصابع من داخل، والبراجم جمع برجمة. بضم الباء والجيم. وهي مفاصل الاصابع.

(٢) المجلد السادس ٤٩٧ تحت رقم ١٧.

(٣) تتمة كلام أبي حامد.

أيضاً «قال: قال رسول الله ﷺ: «من كن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمّام إلاّ بمئزر»[(١)].

قال في الفقيه: وروى يحيى بن سعيد الأهوازيّ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن محمّد بن حمران قال: قال الصادق عليه السلام: «إذا دخلت الحمّام فقل في الوقت الّذي تنزع فيه ثيابك: «اللّهمّ انزع عنّي ربقة النفاق، وثبّتني على الإيمان».

وإذا دخلت البيت الأوّل فقل: «اللّهمّ إنيّ أعوذ بك من شرّ نفسي وأستعيذ بك من أذاه».

فإذا دخلت البيت الثاني فقل: «اللهمّ أذهب عنيّ الرجس النجس وطهّر جسدي وقلبي» من الماء الحارّ وضعه على هامتك، وصبّ منه على رجليك وإن أمكن أن تبلعَ منه جرعة فافعل فإنّه ينقي المثانة[(٢)]، والبث في البيت

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٩٧ رقم ٣، والفقيه ص ٢٥ تحت رقم ١.

(٢) الذي يظهر من تتبع الأخبار أن الحمامات كانت في عصرهم ذات بيوت أربعة، بيت **الأول**: بارد يابس. وفيه ينزعون ملابسهم. **والثاني**: بارد رطب. فيه مخزن ماء البارد.، **الثالث**: حار رطب. فيه مخزن الماء الحار. **الرابع**: حار يابس. فيه حمى المستحم بدنه فيدلك. راجع (الرسالة الذهبية. طب الرضا عليه السلام. ص ٩٤ ومستدرك النوري ج١ ص ٥٤) وكان في البيت الثالث الذي فيه مخزن الماء الحار بئراً وحوض يسيل فيه ماء الغسالة فقط، وكان ممنوعاً على المغتسل الإرتماس في مخزن الماء سواء كان حاراً أو بارداً، وكان حول المخزن مواضع ومصطبات يقوم المغتسل عليها فيأخذ الماء من المخزن بالمشربة فيصب عليه ويخرج الغسالة منه إلى البئر وكان في بعض الحمامات حول المخزن حياض صغار يخرج الماء من المخزن في انابيب خاصة إلى تلك الحياض ويأخذ كل مستحم الماء بقدر حاجته. والمراد في حديث الصدوق. رحمه الله. من بيوت الحمام البيوت التي كان يدخل فيها المستحم بعد نزع =

الثاني ساعة، فإذا دخلت البيت الثالث فقل: «نعوذ بالله من النّار، ونسأله الجنّة، تردّدها إلى وقت خروجك البيت الحارّ، وإيّاك وشرب الماء البارد، والفقّاع في الحمّام[1] فإنّه يفسد المعدة ولا تصبّنّ عليك الماء البارد فإنّه يضعف البدن، وصبّ الماء البارد على قدمك إذا خرجت فإنّه يسلُّ الداء من جسدك، فإذا لبست ثيابك فقل: «اللّهم ألبسني التقوى، جنّبني الرّدى».

فإذا فعلت ذلك: أمنت من كلّ داء، ولا بأس بقراءة القرآن في الحمّام ترد به الصوت إذا كان عليك مئزر»[2].

وسأل محمّد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام «فقال: أكان أمير المؤمنين عليه السلام ينهى عن قراءة القرآن في الحمّام؟

فقال: لا، إنّما ينهى أن يقرء الرجل وهو عريان، فأمّا إذا كان عليه إزار فلا بأس»[3].

وقال عليّ بن يقطين لموسى بن جعفر عليه السلام: «أقرء في الحمّام وأنكح فيه؟ قال: لا بأس»[4].

= ثيابه، والمراد من تجرع الماء المنقى للمثانة أن يغترف من ماء المخزن أو الحوض الخاص الممنوع وروده لا ماء المخازن التي يغتسلون الناس به ويدلكون كما كان في عصرنا هذا في بعض البلاد، بل الظاهر كراهية الاغتسال والارتماس فيه فضلاً عن شربه كما في الخبر الذي رواه الكليني في الكافي ج٦ ص ٥٠٣، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «من اغتسل في الماء الذي يغتسل فيه فأصابه الجذام فلا يلومن إلا نفسه».

(١) الفقاع وأن كان حراماً إلا أنه عليه السلام أكد حرمة شربه في الحمام.

(٢) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ١٢.

(٣) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٣ و١٤. والكافي ج٦ ص ٥٠٢ تحت رقم ٣٢ و

(٤) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٣ و١٤. والكافي ج٦ ص ٥٠٢ تحت رقم ٣٢ و٣١.

قال الصادق ـ رحمه الله ـ: وكذا النهي الوارد التسليم فيه إنّما هو لمن لا مئزر عليه[١].

قال عليه السلام: «ويجب على الرجل أن يغضّ بصره، ويستر فرجه من أن ينظر إليه»[٢].

وسئل الصادق عليه السلام «عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[٣] فقال: كلُّ ما كان في كتاب الله تعالى من ذكر حفظ الفرج فهو من الزّنى إلاّ في هذا الموضع فإنّه الحفظ من أن ينظر إليه».

وروي عن الصادق عليه السلام «أنّه قال: إنّما أكره النظر إلى عورة المسلم، فأمّا النظر إلى عورة الذمّي ومن ليس بمسلم فهو مثل النظر إلى عورة الحمار»[٤].

وقال الصادق عليه السلام: «الفخذ ليس من العورة»[٥] ـ انتهى كلام الصدوق ـ.

والأولى أن يستر من السرّة إلى الركبة كما فعله أبو جعفر عليه السلام حين

---

(١) الفقيه ص ٢٧ ذيل الخبر السادس والثلاثين.
(٢) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٨ من أبي الحسن موسى عليه السلام.
(٣) النور: ٣١، والخبر في الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ١٩.
(٤) الكافي ج٦ ص ٥٠١ تحت رقم ٢٧، والفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢٠ وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في المرآة: يظهر من الكليني والصدوق ـ رحمهما الله ـ القول بمدلول الخبر، ويظهر من الشهيد وجماعة عدم الخلاف في التحريم.
(٥) الفقيه ص ٢٧ تحت رقم ٣٨.

يطليه غيره ثمّ قال: أُخرج عنّي، ثمّ طلى هو ما تحته بيده، ثمّ قال: هكذا فافعل. رواه في الكافي(١).

وذلك لأنّ تلك المواضع بمنزلة حريم للعورة، وقد قيل بوجوب سترها أيضاً.

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم البيت الحمّام، تذكر فيه النّار ويذهب بالدّرن»(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس البيت الحمّام يهتك الستر ويذهب بالحياء»(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «بئس البيت الحمّام يهتك الستر ويبدي العورة، ونعم البيت الحمّام يذكر حرُّ النّار»(٤).

أقول: وقد ذكر أبو حامد في سنن الحمّام «أن يتذكّر حرّ النار بحرارته ويقدّر نفسه محبوساً في البيت الحارّ ساعة ويقيسه إلى جهنّم، فإنّه أشبه بيت بجهنّم، النّار من تحت، والظلام من فوق، نعوذ بالله منها، قال: بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنّها مصيره ومستقرُّه فيكون له في كلّ ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة، فإنّ المرء ينظر بحسب همّته، فإذا دخل بزّاز ونجّار وبنّاء وحائك داراً معمورة مفروشة، فإذا تفقّدتهم رأيت البزّاز ينظر إلى الفرش، يتأمل قيمتها، والحائك ينظر إلى الثياب، يتأمّل

(١) المصدر ص ٥٠١ تحت رقم ٢٢.
(٢) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢١ و٢ و٢٣.
(٣) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢١ و٢ و٢٣.
(٤) الفقيه ص ٢٦ تحت رقم ٢١ و٢ و٢٣.

نسجها، والنجّار ينظر إلى السقف، يتأمّل كيفيّة تركيبها[١]، والبنّاء ينظر إلى الحيطان، يتأمّل كيفيّة إحكامها واستقامتها، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء إلا ما يكون له موعظة من الآخرة، بل لا ينظر إلى شيء إلاّ ويفتح الله له فيه طريق عبرة،

فإن نظر إلى سواد: يذكر ظلمة اللّحد.

وإن نظر إلى حيّة: يذكر أفاعي جهنّم.

وإن نظر إلى صورة قبيحة: يذكر منكراً ونكيراً والزبانية.

وإن سمع صوتاً هائلاً: يذكر نفخة الصور.

وإن رأى شيئاً حسناً: يذكر نعيم الجنّة.

وإن سمع كلمة ردّ أو قبول في سوق أو دار: يذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الردّ أو القبول.

وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل، إذ لا يصرفه عنه إلاّ مهمّات الدنيا.

فإذا نسب مدّة المقام في الدّنيا إلى مدّة المقام في الآخرة: استحقرها إن لم يكن ممّن أقفل قلبه أو عميت بصيرته». . انتهى كلامه.

قال في الفقيه: «ومن الآداب: أن لا يدخل الرجّل ولده معه الحمّام فينظر إلى عورته».

---

(١) أراد به السقوف التي كانت في زمانه حيث يزخرفون السقوف باشكال هندسية ولا يزال بعضها باقياً إلى عصرنا.

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يبعث بحليلته إلى الحمّام».

وقال ﷺ: «من أطاع امرأته أكبّه الله على منخريه في النّار، قيل: وما تلك الطاعة؟ فقال: تدعوه إلى النياحات، والعرسات، والحمّامات، والثياب الرقاق فيجيبها».

وقال الصادق عليه السلام: «لا تتّك في الحمّام فإنّه يذيب شحم الكليتين، ولا تسرّح في الحمّام فأنّه يرقّق الشعر، ولا تغسل رأسك بالطين فإنّه يسمج الوجه ـ[١] وفي حديث آخر: يذهب بالغيرة.

ولا تدلك بالخزف: فإنّه يورث البرص.

ولا تمسح وجهك بالإزار: فإنّه يذهب بماء الوجه.

وروي أنّ ذلك طين مصر، وخزف الشام؛ والسواك في الحمّام يورث وباء الأسنان، ولا يجوز التطهير والغسل بغسالة الحمّام».

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «لا تدخلوا الحمام على الريق، ولا تدخلوا حتّى تطعموا شيئاً».

وقال عليه السلام: «الحمّام يوم ويوم لا، يكثر اللحم، وإدمانه كل يوم يذيب شحم الكليتين»[٢].

و «دخل الصادق عليه السلام الحمّام، فقل له صاحب الحمّام: نخلّيه لك؟

---

(١) أي يقبح.
(٢) جميع تلك الأخبار في الفقيه ص ٢٦ و ٢٧ فلتراجع.

قال: لا، إنّ المؤمن خفيف المؤونة»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «غسل الرأس بالخطمي ينفي الفقر، ويزيد في الرزق»[٢].

وقال عليه السلام: «غسل الرأس بالخطمي في كلّ جمعة أمان من البرص والجنون».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «غسل الرأس بالخطمي يذهب بالدرن، وينقي الأقذار».

و«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اغتمّ فأمره جبرائيل عليه السلام بغسل رأسه بالسدر، وكان ذلك سدراً من سدرة المنتهى»[٣].

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «غسل الرأس بالسدر يجلب الرزق جلباً».

وقال الصادق عليه السلام: «اغسلوا رؤوسكم بورق السدر، فإنّه قدّسه كلّ ملك مقرّب وكلّ نبيّ مرسل، ومن غسل رأسه بورق السدر صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً، ومن صرف الله عنه وسوسة الشيطان سبعين يوماً، لم يعص، ومن لم يعص دخل الجنّة».

و«خرج الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الحمّام فقال له

(١) الكافي ج٦ ص ٥٠٣ تحت رقم ٣٧.
(٢) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٩، والكافي ج ٦ ص ٥٠٤ تحت رقم ١، والخبران بعده تحت رقم ٢ و٣.
(٣) الفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٨٠، واللذان بعده تحت رقم ٨٢ و ٨٣.

رجل: طاب استحمامك، فقال: يا لكع وما تصنع بالإست ههنا[١]؟ فقال: طاب حمّامك، قال: إذا طاب الحمّام فما راحة البدن منه؟ قال: فطاب حميمك، فقال: ويحك أما علمت أنّ الحميم العرق، قال له: فكيف أقول؟ قال: قل طاب ما طهر منك وطهر ما طاب منك»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا قال لك أخوك وقد خرجت من الحمّام: طاب حمّامك فقل له: أنعم الله بالك»[٣].

أقول: وأمّا الكلام في غسل الجمعة وآدابه فسنورده في مباحث صلاة الجمعة كما فعله أبو حامد.

قال: النوع الثاني ما يحذف من البدن من الأجزاء وهي ثمانية:

الأوّل: شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف، ولا بتركه لمن يدهّن ويرّجل إلاّ إذا تركه قزعاً[٤] قطعاً فهي دأب الشطارة، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم، فإنّه إذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً».

---

(١) قال العلامة المجلسي. رحمه الله. في المرآة: أي لا مناسبة لحروف الطلب ههنا بعد الخروج من الحمام مع استهجان لفظ الاست بمعناه الاخر.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٥٠٠ تحت رقم ٢١. وقال الجوهري: الحميم: الحار، والعرق، وقد استحم أي عرق، وقوله عليه السلام: «طهر» أي طهر الله من المعاصي «ما طاب منك» من نفسك وقلبك وطيب من العلل والامراض وعن المعاصي ما طهر منك بالغسل. (كذا في المرآة).

(٣) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٨٦.

(٤) القزع. بالتحريك. يأتي معناه وفي بعض النسخ [قنزعاً] والقنزع. بضم القاف والزاى. هي الخصلة من الشعر ترك على الرأس، وأيضاً الشعر حول الرأس.

أقول: «وقد ذكرنا أنّ حلق الرأس أفضل من تركه وأجمل، وأمّا القنازع فقد ورد كراهته عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام «قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تحلقوا الصبيان القزع، والقزع أن يحلق موضعاً ويدع موضعاً»[١].

وعنه عليه السلام «أنّه كره القزع في رؤوس الصبيان، وذكر أنّ القزع أن يحلق الرأس إلاّ قليلاً وسط الرأس يسمّى القزعة»[٢].

وعنه عليه السلام «قال: أُتي النبي صلى الله عليه وآله بصبيّ يدعو له وله قنازع، فأبى أن يدعو له وأمر أن يحلق رأسه»[٣].

الثاني: شعر الأنف ويستحبُ نتفه أو قرضه، ففي الكافي والفقيه، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «أخذ شعر الأنف يحسّن الوجه»[٤] والقرض أولى من النتف كما ورد[٥]، ولم يذكره أبو حامد وذكر بدله في السادس زيادة السرّة، قال: ويقطع في أوّل الولادة واقتصر عليه، وأخّر ما طال من اللّحية إلى الثامن لمصلحة زعمها فيه فهي ساقطة عندنا، ولذا ذكرناه في محلّه وما فعلناه أولى كما لا يخفى.

الثالث: شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وآله: «قصّوا الشوارب»[٦] وفي لفظ

(١) المصدر ج٦ ص ٤٠ تحت رقم ١.
(٢) المصدر ج ٦ ص ٤٠ تحت رقم ٢. وفيه «القنزعة».
(٣) المصدر ج٦ ص ٤٠.
(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٨٨ تحت رقم ١، والفقيه ص ٢٩ تحت رقم ٧٨.
(٥) راجع الكافي ج٦ ص ٤٩٢ باب جز الشيب ونتفه، وسنن النسائي ج ٨ ص ١٤٨.
(٦) أخرجه أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٩٩ عن أبي هريرة.

آخر: «جزُّوا الشوارب»(١) وفي لفظ آخر: «حفّوا الشوارب، وأعفوا اللّحى»(٢)، أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها، وحفاف الشيء حوله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾(٣) وفي لفظ آخر: «أحفوا الشوارب»(٤) وهذا يشعر بالاستيصال، وقوله: «حفّوا» يدلُّ على ما دون ذلك، قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾(٥) أي يستقصي عليكم، وأمّا الحلق فلم يرد، والإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة؛ نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال: ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ، ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب، فعل ذلك بعض الصحابة لأنّ ذلك لا يستر الفمّ ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه، قوله: «أعفوا اللّحى» أي كثّروها، وفي الخبر: إنّ اليهود يعفون شواربهم ويقصّون لحاهم فخالفوهم»(٦).

وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعه».

أقول: ومن طريق الخاصّة مارواه في الفقيه(٧) «عن النبيّ ﷺ قال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص ١٥٣ عن أبي هريرة، وأخرجه أيضاً أحمد في المسند ج٢ ص ٣٦٥.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ج ٨ ص ١٢٩، وأحمد في المسند ج ١ ص ٥٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص ١٥٣، والنسائي ج١ ص ١٦ عن ابن عمر.

(٥) سورة محمد، الآية ٣٧.

(٦) أخرج أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٥٦ نحوه، وأيضاً روى القاضي نعمان في دعائم الإسلام مثله كما في المستدرك للنوري ج١ ص ٥٩.

(٧) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١١٩.

إنّ المجوس جزّوا لحاهم ووفّروا شواربهم، وإنّا نحن نجزُّ الشوارب ونعفي اللّحى وهي الفطرة».

وقال ﷺ: «أحفوا الشوارب، وأعفوا اللّحى، ولا تتشبّهوا باليهود»(١).

وروى في الكافي(٢)، «عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا يطوّلنّ أحدكم شاربه، فإنّ الشيطان يتّخذه مخبأ يستتر به»(٣).

وعن الباقر عليه السلام «من أخذ عن أظفاره وشاربه كلّ جمعه، وقال حين يأخذه: «بسم الله وبالله وعلى سنّة محمّد رسول الله وآل محمد صلوات الله عليهم لم تسقط منه قلامة ولا جزازة ألاّ كتب الله عزّ وجلّ له بها عتق نسمة، ولا يمرض إلاّ مرضه الذي يموت فيه»(٤).

وعن الصادق عليه السلام «أخذ الشارب من الجمعة إلى الجمعة أمان من الجذام»(٥).

---

(١) الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨.
(٢) المصدر ج٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ١١.
(٣) **المخبأ**: موضع الاختباء أي الاستتار. وفي بعض النسخ [مجناً] بمعناه.
(٤) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩١ ونحوه في الكافي ج٣ ص ٤١٧ عن أبي عبد الله عليه السلام، وقال العلامة المجلسي - رحمه الله -: لعل التخلف في بعض الموارد للاخلال بشرائطه والقصور في النية أو المراد أن هذا الفعل في نفسه هذا ثمرته فلا ينافي أن ينفك هذا الاثر عنه بسبب ما يرتكبه العبد من المعاصي مما يوجب العقوبة كما أن الطبيب يقول: الفلفل يسخن، فإذا أكله أحد وداواه بضده فلم يظهر فيه أثر التسخين لا يوجب تكذيب الطبيب. انتهى. **والقلامة**: ما سقط من الظفر، **والجزازة**: ما يسقط على الأرض.
(٥) الكافي ج٣ ص ٤١٨ تحت رقم ٧، وفي الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٣.

وقال عبد الله بن أبي يعفور للصادق عليه السلام: «جعلت فداك يقال: ما استنزل الرزق بشيء مثل التعقيب فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فقال: أجل ولكن أُخبرك بخير من ذلك أخذ الشارب وتقليم الأظفار يوم الجمعة»[١].

وفي الكافي[٢]، «عن عبد الله بن عثمان، أنّه رأى أبا عبد الله عليه السلام أحفى شاربه حتّى ألصقه بالعسيب» وهو منبت الشعر.

وفيه عنه عليه السلام وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ من السنّة أن يأخذ الشارب حتّى يبلغ الإطار»[٣].

الرابع: ما طال من اللّحية، قال في الفقيه: «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل طويل اللّحية فقال: ما كان على هذا لو هيّأ من لحيته؟ فبلغ الرجل ذلك فهيّأ لحيته بين اللّحيتين ثمّ دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا رآه وقال: هكذا فافعلوا»[٤].

وقال الصادق عليه السلام: «ما زاد في اللّحية عن القبضة فهو في النار»[٥].

---

(١) الفقيه ص ٣٠ تحت رقم ٩٨.
(٢) الكافي ج٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ٩ و٦، والاطار. ككتاب: ما يفصل بين الشفة وشعرات الشارب. (القاموس).
(٣) الكافي ج٦ ص ٤٨٧ تحت رقم ٩ و٦، والاطار. ككتاب: ما يفصل بين الشفة وشعرات الشارب. (القاموس).
(٤) جميع تلك الاخبار في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١١٨ إلى ١٢٥. وبعضها في الكافي ٦ ص ٤٨٦ إلى ٤٨٨.
(٥) نفس المصدر.

وقال محمّد بن مسلم: «رأيت أبا جعفر الباقر عليه السلام والحجّام يأخذ من لحيته فقال: دوّرها»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «تقبض بيدك على لحيتك وتجزّ ما فضل»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشيب في مقدّم الرأس يُمن، وفي العارضين سخاء، وفي الذوائب شجاعة، وفي القفا شوم»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «أوّل من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام وأنّه هيّأ لحيته فرأى طاقة بيضاء، فقال: يا جبرائيل ما هذا؟ فقال: هذا وقار، فقال إبراهيم عليه السلام: «اللهمّ زدني وقاراً»[٤].

وقال عليه السلام: «من شاب شيبة في الإسلام، كانت له نورٌ يوم القيامة»[٥].

وقال عليه السلام: «الشيب نور فلا تنتفوه»[٦].

وكان عليٌّ عليه السلام: «لا يرى بجزّ الشيب بأساً ويكره نتفه»[٧].

فالنّهي عن نتف الشيب نهي كراهيّة لا نهي تحريم، لأن الصادق عليه السلام

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.

يقول[١]: «لا بأس بجزّ الشمط ونتفه[٢] وجزّه أحبُّ إليّ من نتفه» فأخبارهم عليهم السلام لا يختلف في حالة واحدة لأنّ مخرجها من عند الله تعالى ذكره وإنّما تختلف بحسب اختلاف الأحوال[٣].

أقول: وأمّا حلق اللّحية فقد قيل بتحريمه، ولم يتعرّض له أبو حامد في هذا الكتاب ولا مّن يوثق به من أصحابنا، ولعلّ حرمته أنّه خلاف السنّة فيكون بدعة ولمخالفته قول الرسول صلى الله عليه وآله «أعفوا اللّحى»، ولقوله تعالى ـ حكاية عن الشيطان اللّعين ـ: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٤]، فإنّ إزالة الشعور الأُخر مأذونة من الشارع بخلاف اللّحية بتمامها، ولما رواه في الكافي عن حبابة الوالبيّة قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاعي الجرّيّ والمارماهي والزّمار يقول لهم: يا بيّاعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان، فقام إليه فرات ابن أحنف فقال: يا أمير المؤمنين: وما جند بني مروان؟ قال: فقال له: أقوام حلقوا اللّحى وفتلوا الشوارب فمسخوا ـ الحديث ـ»[٥] وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

قال أبو حامد: «وأمّا نتفها في أوّل النبات تشبّهاً بالمرد فمن المنكرات الكبار، فإنّ اللّحية زينة الرجال فللّه ملائكة يقسمون: والّذي زيّن بني آدم

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الشمط: اختلاط الشيب بسواد الشباب.

(٣) من كلام الصدوق ـ رحمه الله ـ كما في الفقيه ص ٣١ تحت رقم ١٢٥.

(٤) سورة النساء: الآية، ١١٩.

(٥) المصدر ج١ ص ٣٤٦. ورواه الصدوق ـ رحمه الله ـ أيضاً في كمال الدين ص ٢٩٤ من حديث حبابة الوالبية.

باللّحى. وهي من تمام الخلق وبها يتميّز الرجال عن النساء، وقيل في غريب التأويل: اللّحية هي المراد بقوله: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[١].

قال أصحاب الأحنف: وددنا أن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفاً.

وقال شريح القاضي: وددت أن يكون لي لحية بعشرة آلاف؛ وكيف يكره اللّحية وفيها تعظيم الرجل، والنظر إليه بعين العلم والوقار، والرفع في المجالس، وإقبال الوجوه إليه، والتقدُّم على الجماعة، ووقاية العرض، فإنَّ من يشتم يعرّض باللّحية إذا كان للمشتوم لحية، وقيل: إنّ أهل الجنّة مردٌ إلاّ هارون أخو موسى عليه السلام فإنَّ له لحية إلى سرّته تخصيصاً له وتفضيلاً.

الخامس والسادس: شعر الإبط والعانة، ويلحق بهما شعر سائر الجسد ويستحبُّ إزالتها إما بالحلق أو بالنورة، وأمّا النتف فإيلام وتعذيب والمقصود النظافة، وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالأسهل.

وفي الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يطوّلنّ أحدكم شعر إبطيه فإنَّ الشيطان يتخذه مجناً[٢] يستتر به»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً، ولا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً»[٤].

---

(١) سورة فاطر: الآية، ١.
(٢) المجن كل ما وقى من السلاح. وفي بعض النسخ [مخبأ] والمخبأ موضع الاستتار.
(٣) المصدر ص ٢٨ تحت رقم ٥٠.
(٤) جميع تلك الروايات في الفقيه باب غسل يوم الجمعة تحت رقم ٤٥، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣ على الترتيب.

وقال الصادق عليه السلام: «السنّة في النورة في كلّ خمسة عشر يوماً، فإن أتت عليك عشرون يوماً وليس عندك فاستقرض على الله عزّ وجلّ»[١].

وكان الصادق عليه السلام يطلي إبطيه في الحمام ويقول: «نتف الإبط يضعف المنكبين ويوهي، ويضعف البصر»[٢].

وقال عليه السلام: «حلقه أفضل من نتفه، وطليه أفضل من حلقه»[٣].

وقال عليٌ عليه السلام: «نتف الإبط ينفي الرائحة المكروهة، وهو طهور وسنّة ممّا أمر به الطيِّب عليه وآله السلام»[٤]. وقال عليه السلام أيضاً: «النورة طهور»[٥][٦].

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

الفوائد الصحية لنتف ما تحت الإبطين

(٦) إن العناية بنظافة ما تحت الإبطين، ونتف أو حلق الأشعار، والإهتمام بهذه المناطق عند الغسل، كل ذلك يساهم في الوقاية من كثير من الأمراض.
ومن أهم الأمراض التي تصيب ما تحت الإبطين، وتنجم عن عدم النظافة:
١ ـ المذح Iutertrigo: وتسببه المبيضات Candidā وهي إصابة حاكة وأحياناً تكون نازة، محمرة، متعفنة، متشققة، قد تعلوها حويصلات وبثور إذا إشتدت الحالة.
وأهم العوامل التي تؤهب لهذه الإصابة: (السمنة، الرطوبة، عدم الإعتناء بالنظافة).
٢ ـ إلتهاب الجريبات الذقني Folliculitis Barbe، وهو مرض التينة الشائعة Sycosis Vulgaris¤

= وقد يصيب المنطقة تحت الإبطين، ويتظاهر بشكل تورّم صغير مؤلم جداً، محمر، في مركزه شعرة، وهو عبارة عن إلتهاب الجريب العميق للشعرة، وتسببه الجراثيم العنقودية.

٣ ـ الدمل Furuncle

قد يصيب المنطقة تحت الإبطين، ويتظاهر بشكل تورم صغير مؤلم جداً، محمر، في مركزه شعرة، وهو عبارة عن إلتهاب الجريب العميق للشعرة، وتسببه الجراثيم العنقودية.

كذلك قد يحدث داء الدمال Furunculosis، وهو تكرار حدمث الدمامل.

٤ ـ الوذح Erythrasma: هو عبارة عن لطخات متوسفة جافة، ذات لون بني واضحة الحدود، تتوضح في منطقة الثنيات التناسلية، وما تحت الإبطين.

وتسببه جرثومة الوتديات الخناقية.

٥ ـ إفتطار الأشعار الإبطي Trichomycosis Axillaris:

تسببه الوتديات النحيلية، حيث تنمو المستعمرات على الأشعار في منطقتي الإبط والعانة، فتصبح الأشعار معقدة وكامدة. ولون هذه الأشعار ما بين الأصفر والأحمر، وحتى الأسود.

وعلاج هذا المرض حلاقة الأشعار المصابة، وإستخدام المطهرات الموضعية.

... ملاحظة: عند الإصابة بإلتهاب الغدد المقيح Hidradenitis Suppurativa، وهو يُسمى بالعامية: «عروسة الإبط» يستحب الإمتناع عن نتف الإبط ورض المنطقة.

الفوائد الصحية لحلق شعر العانة

هو حلق شعر العانة بالموس؛ أنّ ناحية العانة. وما يحيط بالقبل والدُّبر. كثيرة العرق، كثيرة الإحتكاك بعضها ببعض، وهي مناطق كثيرةُ الشعر، فإذا لم يُحلق شعرها. تراكمت عليه مفرزات الغدد العرقية والدهنية، وقد ينضم إليها بقايا من البول والبراز، وتتخمر جميعها وتُنتن، فتصدر رائحة كريهة، كما قد تمنع من صحة الصلاة أيضاً. إذا لم تُنظف من النجاسات جيداً. وهو أمرٌ شاقٌ بوجود الشعر. لذلك سنّ الإسلام حلق هذه النواحي. العانة وما حول القُبل. كما طال شعرها، تأميناً لنظافتها المستمرة، لأنها من أكثر مناطق الجسم تعرضاً للتّلوث والأقذار ونعدد فيما يلي أهم الأمراض التي يساهم الإستحداد في التخلص منها:

١ ـ قمل العانة Pediculus pubis: هذا النوع من القمل يُصاب به الكهول فقط، وهو ينتقل=

= عن طريق المقارفات الجنسية.
أهم أعراض الإصابة به: الحكة، واللطخات الاردوازية Macla cerulae بالإضافة إلى بعض الإفرازات المتسخة والنقاط النزفية التي ترتشح بالثياب الداخلية.
٢ ـ إلتهاب الجريبات الذقني: قد يصيب منطقة العانة.
٣ ـ الوذح والمذح.

علة قص الشارب والفائدة الصحية منه

لم يخلق الله سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً. خُلق شعر الشارب أمام مدخل الأنف، فوق الفم، فإذا طال تدلى أمام الفم وعاق دخول الطعام والشراب إلى الفم، وعلقت بقايا الطعام والشراب، فأصبح منظره بشعاً ومدعاة للتلوث والقذارة، على أننا إذا نظرنا للأمر من الناحية الصحية، نرى أنَّ قص ما زاد عن الشفة من شعر الشارب أسلم وأكثر موافقة للصحة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الشعر في وجه الرجل، ومنه الشارب، لحمايته من عوارض الطبيعة، وبخاصة من أشعة الشمس والحر والبر، كما أنَّ لشعر الشارب عملاً في تصفية الهواء الداخل إلى الرئتين عن طريق الأنف، من الهواء والغبار وغيرها، فيكون الإبقاء عليه فوق الشفة العليا أنفع وأسلم، والله تعالى أعلم.

علة تقليم الأظافر والفائدة الصحية منه

ينمو ظفر الإنسان ٣ـ ٥ ملم كل شهرين، وإذا إستمر الأمر على ذلك فإنَّ أظافر الإنسان كأنياب الجوارح أو مخالب الكواسر، هذا عدا ما يتجمَّع تحتها من الأوساخ والجراثيم، لذلك سنَّ الدين الإسلامي قص الأظافر، وجعله من الفطرة السليمة، ويستحب أن يكون ذلك كل يوم جمعة قبل الزوال.
كما أن بعض الرجال المقلدين للغرب يطوِّلون ظفر خنصر اليد حتى يصبح كالمخلب، ويقولون إنهم يعتنون بنظافة أظافرهم جيداً، وهذا وهمٌ، فقد أجرى الأطباء تجارب عديدة على الأطفال، فغسلوا أيديهم بالماء والفرشاة والصابون مدة ربع ساعة ثم غمسوها في الكحول عشر دقائق ثم زرعوا المادة المتراكمة تحت أظفارهم في مستنبت للجراثيم، فنمت فيه بعض الجراثيم. مما يدل على أن الأظفار لا يمكن أن تتعقم، لذلك وجب قصها. ولذلك يعتني الجراحون بقص أظفارهم دائماً لكي لا تنتقل الجراثيم منها إلى جروح العمليات الجراحية التي يجرونها، هذا على الرغم من أنهم يلبسون قفازات معقمة=

وقال الصادق عليه السلام: «من أراد أن يتنوّر فليأخذ من النورة ويجعله على طرف أنفه ويقول: «اللّهم ارحم سليمان بن داود كما أمر بالنورة»، فإنّه لا تحرقه إن شاء الله تعالى»(١).

وروي: «أنّ من جلس وهو متنوّر خيف عليه الفتق»(٢) «والجنب لا بأس بأن يطلي فإنّ النورة تزيده نظافة»(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ينبغي للرّجل أن

= عندما يجرون عملياتهم الجراحية. لذلك يهيب الدين الإسلامي بكل إنسان أن يقص أظافره كل أسبوع لئلاً تتراكم الأوساخ والجراثيم تحتها وتنتقل منها إلى الطعام والشراب الذي يتناوله وتكون خطراً على صحته وحياته.

علة إعفاء اللحية والفائدة الطبية منها

لم يخلق الله سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً، خلق الرجل وجعل عمله خارج البيت، يكد ويكدح ليؤمن عيشه وعيش عائلته، وهو يتعرض في عمله هذا إلى أشعة الشمس، وهبات الهواء الباردة والحارة، وقد تبين أن أشعة الشمس، وتحت البنفسجية منها بخاصة، والهواء البارد، يؤثران تأثيراً سيئاً على الألياف المرنة (مادة الكوللاجين) الموجودة في جلد الوجه، فيدمرانها ويخربانها. وسرعان ما تبدو التجاعيد على الوجه عند ذلك، لذلك خلق الله سبحانه اللحية للرجل للتخفيف من تأثير هذين العاملين، ولم يخلقها سبحانه وتعالى للمرأة لأنه خلقها لتعمل في البيت، بعيداً عن تأثيرات الأشعة والبرودة، إلاّ في فترات قليلة لا تضرها بشيء، لذلك نرى وجه من يعيش في الريف أسرع شيخوخة من الذي يعيش في المدن، ونرى وجه الرجل الملتحي أكثر نضارة وشباباً من غير الملتحي، ووجه المرأة المتحجبة أكثر حيوية ومرونة من السافرة. هذا إلى ما يسببه حلق اللحية كل يوم من تهييج للجلد وتخريب لخلاياه وأليافه.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

يتوقّى النورة يوم الأربعاء فإنه يوم نحس مستمرّ، ويجوز النورة في سائر الأيّام»[١].

وروي: «أنها في يوم الجمعة تورث البرص»[٢].

وروى الريّان بن الصّلت عمّن أخبره، عن أبي الحسن عليه السلام «قال: من تنوّر يوم الجمعة فأصابه البرص فلا يلومنّ إلاّ نفسه»[٣].

أقول: وقد روي في الكافي، عن البرقي، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام «قال: قيل له: يزعم بعض الناس أنّ النورة يوم الجمعة مكروهة، فقال: ليس حيث ذهبت أي طهور أطهر من النورة يوم الجمعة»[٤].

وفيه عن الصادق عليه السلام «قال: طلية في الصيف، خير من عشر في الشتاء»[٥].

وعنه عليه السلام «قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطلي العانة وما تحت الأليتين في كلّ جمعة»[٦].

وعن «سدّير أنّه سمع عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: من قال إذا أطلى بالنورة: «اللّهم طيّب ما طهر منّي، وطهّر ما طاب منّي، وأبدلني شعراً طاهراً لا

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) راجع الكافي ٦ص ٥٠٥ باب النورة، ٥٠٧ باب الابط، وص ٥٠٩ باب الحناء بعد النورة.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

يعصيك، اللهمّ إنّي تطهّرت ابتغاء سنّة المرسلين، وابتغاء رضوانك ومغفرتك، فحرّم شعري وبشري على النار، وطهّر خلقي، وطيّب خُلقي، وزكّ عملي، واجعلني ممّن يلقاك على الحنيفيّة السمحة، ملّة إبراهيم خليلك، ودين محمّد ﷺ حبيبك ورسولك، عاملاً بشرائعك، تابعاً لسنّة نبيّك، آخذاً به متأدّياً بحسن تأديبك وتأديب رسولك ﷺ وتأديب أوليائك، الّذين غذوتهم بأدبك، وزرعت الحكمة في صدورهم، وجعلتهم معادن لعلمك صلواتك عليهم» من قال ذلك طهّره الله من الأدناس في الدنيا، ومن الذنوب، وأبدله شعراً لا يعصي، وخلق الله بكلّ شعره من جسده ملكاً يسبّح له إلى أن تقوم الساعة، وأنّ تسبيحة من تسبيحهم تعدل بألف تسبيحة من تسبيح أهل الأرض»[1].

وعن الحكم بن عتيبة «قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد أخذ الحنّاء وجعله على أظافيره، فقال: يا حكم ما تقول في هذا؟ فقلت: ما عسيت أن أقول فيه وأنت تفعله، وإنّ عندنا يفعله الشبّان، فقال: يا حكم إن الأظافير إذا أصابتها النورة غيّرتها حتّى تشبه أظافير الموتى فغيّرها بالحنّاء»[2].

وعن أحمد بن عبدوس «قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج من الحمّام وهو من قرنه إلى قدمه مثل الوردة من أثر الحنّاء»[3].

وفي الفقيه، «قال رسول الله ﷺ: من أطلى واختضب بالحنّاء آمنه الله تعالى من ثلاث خصال: الجذام، والبرص، والآكلة إلى طلية مثلها»[4].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر

(٣) المصدر ج٦ ص ٤٩١ رقم ١٤.

(٤) في الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، على الترتيب.

وقال الصادق عليه السلام: «الحناء على أثر النورة أمانة من الجذام والبرص»[١].

وروي «أنّ من أطلى فتدلّك بالحنّاء من قرنه إلى قدمه نفى الله عنه الفقر»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اختضبوا بالحنّاء فإنّه يجلو البصر، وينبت الشعر، ويطيّب الريح، ويسكّن الزوجة»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «الحنّاء يذهب بالسهك[٤] ويزيد في ماء الوجه، ويطيّب النكهة، ويحسن الولد»[٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الخضاب هدى محمّد صلى الله عليه وآله وهو من السنّة»[٦].

وقال الصادق عليه السلام: «لا بأس بالخضاب كلّه»[٧].

ولا بأس أن يتدلّك الرجل في الحمّام بالسويق، والدقيق، والنخالة، ولا بأس بأن يتدلّك بالدقيق الملتوت بالزيت، وليس فيما ينفع البدن إسراف، إنّما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن.

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) السهك: محركة ريح كريهة تجدها ممن عرق.
(٥) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٥٦.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.

السابع: الأظفار وقلمها مستحبٌ لشناعة صورتها إذا طالت، ولما يجتمع فيها من الوسخ؛ روي في الكافي، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّما قصّ الأظفار لأنّها مقيل الشيطان، ومنه يكون النسيان»[١].

وعن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ أستر وأخفى ما يسلّط الشيطان من ابن آدم أن صار يسكن تحت الأظافير»[٢].

وعن الحسن بن راشد، «عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم ويدرُّ الرزق»[٣].

وعن محمد بن طلحة، «قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: تقليم الأظفار وقصُّ الشارب، وغسل الرأس بالخطمي في كلّ جمعة ينفي الفقر، ويزيد في الرزق»[٤].

وعن أبي بصير «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما ثواب من أخذ من شاربه، وقلّم أظفاره في كلِّ جمعة؟ قال: لا يزال مطهّراً إلى الجمعة الأُخرى»[٥].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام «قال: تقليم الأظفار يوم الجمعة يؤمن من الجنون، والجذام، والبرص، والعمى، وإن لم تحتج فحكّها حكّاً»[٦].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الكافي ج٦ باب تقليم الأظفار ص٤٩٠ رقم ٦ـ ٧ ـ١ ـ١٠ـ ٨ على الترتيب.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) الفقيه باب غسل الجمعة ص ٢٥ تحت رقم ٨٩، ٩٠، ٩٨، ٩٩.

قال في الفقيه: «وفي خبر آخر «فإن لم تحتج فأمرّ عليها السكّين أو المقراض»[١].

قال: «وتقليم الأظفار يوم الخميس يرفع الرّمد»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من أخذ من أظفاره كلّ خميس لم يرمد ولده»[٣].

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام «من أدمن أخذ أظفاره كلّ خميس لم يرمد عينيه»[٤].

وفي الفقيه، «قال الصادق عليه السلام: من قلّم أظفاره يوم الجمعة لم تشعث أنامله»[٥].

وقال: «من قصّ أظفاره يوم الخميس، وترك واحداً ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر»[٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قلّم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس، وأخذ من شاربه عوفي من وجع الضرس، ووجع العين»[٧].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر ج ٦ ص ٤٩١ رقم ١٤.
(٥) في الفقيه باب غسل الجمعة رقم٩٦، ٩٧، ١٠٠ ١٠٢ على الترتيب.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

وقال موسى بن بكر للصادق عليه السلام: «إنّ أصحابنا يقولون: إنّما أخذ الشارب والأظفار يوم الجمعة، فقال: سبحان الله خذها إن شئت في يوم الجمعة وإن شئت في سائر الأيّام، وقال: قصّها إذا طالت»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله «للرّجال: قصّوا أظافيركم، وللنساء: أتركن من أظافيركنّ فإنّه أزين لكنّ»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «يدفن الرجل أظافيره وشعره إذا أخذ منها وهي سنّة»[٣].

وروي: «أنّ من السنّة دفن الشعر، والظفر، والدّم»[٤].

أقول: وقد ذكرنا دعاء القلم في أخذ الشارب، وأمّا ترتيبه ففي الكتابين[٥] رواية أنّه يبدء بخنصره اليسرى ويختم بخنصره اليمنى، وقد روي بالعكس وغيرهما.

قال أبو حامد ولم أر في الكتب خبراً مرويّاً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنّه روي أنّه صلى الله عليه وآله بدأ بمسبّحة اليمنى وختم بإبهام اليمنى فابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام وفي اليمنى من المسبّحة إلى الخنصر والختم بإبهام اليمنى[٦]. ولمّا تأمّلت في هذا خطر لي من المعنى ما يدلّ على أنّ

(١) المصدر نفسه.
(٢) في الفقيه باب غسل الجمعة رقم ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ على لترتيب.
(٣) المصدر نفسه.،
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الكافي: ج ٦ ص ٤٩٢ رقم ١٦، الفقيه باب غسل الجمعة رقم ٩٢.
(٦) قال العراقي: لم أجد له أصلاً، وقد أنكره أبو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه.

الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلاّ بنور النبوّة، وأمّا العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه، والّذي لاح لي فيه ـ والعلم عند الله ـ أنّه لا بدّ من قلم أظفار اليد والرجل، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثمّ اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها، ثمّ على اليمنى خمسة أصابع والمسبّحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع، ثمّ بعدها ينبغي أن يبتدأ بما على يمينها إذ الشرع يستحبُّ إدارة الطهور وغيره على اليمين، وإن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هو اليمين، وإن وضعت بطن الكفّ فالوسطى هي اليمين، واليد إذا تركت بطبعها كان الكفُّ مائلاً إلى جهة الأرض، إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار، واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكفّ عالياً فما يقتضيه الطبع أولى، ثمّ إذا وضعت الكفّ على الكفّ صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبّحة، إلى أن يعود إلى المسبّحة، فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بإبهامها، ويبقى إبهام اليمنى، وإنّما قدّرت الكفّ موضوعاً على الكفّ حتّى تصير الأصابع كالأشخاص في حلقه ليظهر ترتيبها، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكفّ على ظهر الكفّ، فإنّ ذلك لا يقتضيه الطبع، وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بختصره اليمنى ثمّ يختم بخنصره اليسرى كما في التخليل[1]، فإنّ المعاني الّتي ذكرناها لا يتّجه ههنا إذ لا مسبّحة في الرجل، وهذه الأصابع في حكم صفّ واحد ثابت على الأرض، فيبدأ من جانب اليمين، فإنّ تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين».

أقول: وهذا هو الوجه في الرواية الثانية من طريقنا في اليد، فإنّه لم

---

(١) أشار إلى ما قاله في غسل الرجلين في الوضوء على مذهبه.

ينظر فيها إلى المعاني المذكورة بل اكتفى بما يرى بالنظر الجليل[(١)] مع ترك اليد بطبعها، وأمّا الرواية الأُولى فلعلّ السرّ فيها تحصيل التيامن في كلّ أصبع أصبع، بعد الأُولى مع الترتيب فيها ووضع اليدين على ما يقتضيه الطبع.

قال أبو حامد: «وهذه الدّقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوّة في لحظة واحدة، وإنّما يطول التعب علينا، ثمّ لوسئلنا ابتداء ربّما لم يخطر لنا، وإذا ذكر لنا فعله ﷺ وترتيبه ربّما يتيسّر لنا بإعانته ﷺ - بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى - استنباط المعنى، ولا تظنّنّ أنّ أفعاله ﷺ في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب، بل جميع الأُمور الاختياريّة الّتي يتردّد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معيّن بالاتّفاق، بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم، فإنّ الاسترسال مهملاً كما يتّفق سجيّة البهائم. وضبط الحركات بموازين المعاني سجيّة أولياء الله تعالى، وكلّما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب، وعن الإهمال وتركه سدى أبعد، كان قربه إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر، وكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبيّ ﷺ - وهو قريب من الله - لا بدّ وأن يكون قريباً فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره، فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى، واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله ﷺ، فإنّه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنين[(٢)]، فبدايته باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين ليكون الجملة وتراً، فإنّ للوتر فضلاً على الزّوج، فإنّ الله وتر يحبُّ الوتر، فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد

---

(١) كذا.

(٢) ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٩٥ وفي الكافي ج٦ ص ٤٩٥ رقم ١٢ «كان ﷺ يكتحل قبل أن ينام أربعاً في اليمنى وثلاثاً في اليسرى».

عن مناسبة لوصف من أوصاف الربّ، ولذلك استحبُّ الإيتار في الاستجمار، وإنّما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأنَّ اليسرى لا يخصّها إلاّ واحدة، والغالب أنَّ الواحدة لا تستوعب أُصول الأجفان بالكحل، وإنّما خصّص اليمين بالزيادة، لأنَّ التفضيل لا بدَّ منه للإيتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحقّ[١].

وإن قلت: لِمَ اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج؟ فذلك ضرورة إذ لو جعل لكلّ واحدة وتراً كان المجموع زوجاً إذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحبُّ من رعايته في الآحاد، ولذلك أيضاً وجه وهو أن يكتحل في كلّ واحدة ثلاثاً ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه ﷺ في حركاته لطال الأمر فقس على ما سمعته ما لم تسمعه، واعلم أنَّ العالم لا يكون وارثاً[٢] إلاّ إذا اطّلع على جميع معاني الشريعة، حتّى لا يكون بينه وبين النبيّ ﷺ إلاّ درجة، وهي درجة النبوّة، وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والمورث، إذ المورث هو الّذي حصل المال له واستقلّ بتحصيله واقتدر عليه، والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر

(١) العجب من أبي حامد حيث تفوه بأمثال هذه الكلمات التي لا طائل تحتها ولا ينبغي للمؤمن أن يضيع عمره في إصغاء أمثال هذه الترهات. لأن الخبر الذي ورد «أنه ﷺ يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنين» رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزاز في مسنده عن عقبة بن علي وهو ضعيف. وأيضاً معارض للخبر الذي رواه الكليني كما مرّ، وكذا الخبر الذي رواه أحمد ج ١ من المسند ص ٣٥٤ بالإسناد الحسن عن ابن عباس أنه ﷺ كان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال. وعلى فرض صحة الخبر لعل وجهه تفاوت العينين من جهة القوة والضعف لا ما نسجه أبو حامد من الأباطيل.

(٢) أي للنبي ﷺ كما في الإحياء.

عليه، ولكن انتقل إليه وتلقّاه منه بعد حصوله له، فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقلّ بدركها ابتداء إلاّ الأنبياء عليهم السلام، ولا يستقلّ باستنباطها تلقّياً بعد تنبيه الأنبياء عليها إلاّ العلماء الّذين هم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم».

أسرار الختان

الثامن: غلفة الحشفة، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «الختان سنّة في الرجال ومكرمة في النساء» رواه الخاصّة والعامّة[1]، وكذلك روي عن الصادق عليه السلام.

وفي الفقيه، «روى غياث بن إبراهيم، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه قال: قال عليٌّ عليه السلام: لا بأس أن تختتن المرأة فأمّا الرجل فلا بدّ منه»[2].

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام «قال: ختان الغلام من السنّة، وخفض الجارية ليس من السنّة»[3].

وفي رواية أُخرى: «خفض النساء مكرمة، وليس من السنّة، ولا شيئاً واجباً، وأيُّ شيء أفضل من المكرمة»[4].

قال أبو حامد: «عادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحبُّ وأبعد عن الخطر».

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٧٥ وفيه «مكرمة النساء»، والكافي ج ٦ ص ٣٧ تحت رقم٤.
(٢) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٤.
(٣) الكافي: ج ٦ ص ٣٧ تحت رقم ٢ و ٣.
(٤) المصدر نفسه.

أقول: بل الأولى اليوم السابع فقد ورد بالإسناد الصحيح في الكتابين[١] «أنّه كتب عبد الله بن جعفر الحميريّ إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه روي عن الصالحين عليهم السلام أن اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا، فإنّ الأرض تضجُّ إلى الله تعالى من بول الأغلف، وليس جعلني الله فداك لحجّامي بلدنا حذقٌ بذلك، ولا يحسنونه يوم السابع وعندنا حجّام من اليهود فهل يجوز لليهود أن يختنوا أولاد المسلمين أم لا؟ فوقّع عليه السلام السنّة يوم السابع فلا تخالفوا السنن إن شاء الله».

وفي الكافي، بإسناده عن الصادق عليه السلام «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طهّروا أولادكم يوم السابع، فإنّه أطهر وأطيب وأسرع لنبات اللّحم، وإنّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً»[٢]. وفي معناه غيره من الأخبار.

وبإسناده الصحيح عن عليّ بن يقطين «قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن ختان الصبيّ لسبعة أيّام من السنّة هو أو يؤخّر فأيّهما أفضل؟ قال: لسبعة أيّام من السنّة، وإن أخّر فلا بأس»[٣].

وبإسناده عن الصادق عليه السلام، «قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أسلم الرجل اختتن ولو بلغ ثمانين سنة»[٤].

وفي الفقيه، «روي عن مرازم بن حكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام في

(١) الكافي: ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٣، الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ١٥.
(٢) الكافي: ج ٦ ص ٣٥ تحت رقم ٢.
(٣) الكافي: ج ٦ ص ٣٦ تحت رقم ٧ و ١٠.
(٤) المصدر نفسه.

الصبيّ إذا ختن قال: يقول: «اللّهم إنّ هذه سنّتك وسنّة نبيّك صلواتك عليه وآله، واتّباع منّا لك ولنبيّك بمشيّتك وبإرادتك وقضائك لأمر أردته، وقضاء حتمته، وأمر أنفذته، فأذقته حرّ الحديد في ختانه وحجامته لأمر أنت أعرف به منّي، اللّهمّ فطّهره من الذّنوب، وزد في عمره، وادفع الآفات من بدنه، والأوجاع عن جسمه، وزده من الغنى، وادفع عنه الفقر، فإنّك تعلم ولا نعلم»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أيُّ رجل لم يقلها عند ختان ولده فليقلها عليه من قبل أن يحتلم، فإن قالها كفي حرّ الحديد من قتل أو غيره»[٢].

قال أبو حامد: «وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة، قال صلى الله عليه وآله لأمّ عطيّة - وكانت تخفض -: «يا أُمّ عطيّة أشمّي ولا تنهكي، فإنّه أسرى للوجه، وأحظى عند الزوج»[٣] أي أكثر لماء الوجه، وأحسن في جماعها».

أقول: وفي الكافي وغيره من كتبنا هكذا «إذا أنت خفضت فأشمّي ولا تجحفي، فإنّه أصفى للّون، وأحظى عند البعل»[٤].

وفي رواية أُخرى «أنّه قال صلى الله عليه وآله لأمّ حبيب - وكانت خافضة تخفض الجواري -: «يا أُمّ حبيب العمل الّذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ قالت: نعم يا رسول الله إلاّ أن يكون حراماً فتنهاني عنه، قال: لا بل حلالٌ فادني منّي حتّى أُعلّمك، فدنت منه، فقال: يا أُمّ حبيب إذا أنت فعلت فلا تنهكي

(١) المصدر ص ٤٣٨ تحت رقم ١٦.
(٢) الفقيه ص ٤٣٨ تحت رقم ٢٠.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٥٧، وفيه «أنور الوجه».
(٤) المصدر ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٥.

ـ أي لا تستأصلي ـ وأشمّي فإنّه أشرق للوجه، وأحظى عند الزّوج»[(١)(٢)].

---

(١) الكافي: ج ٦ ص ٣٨ تحت رقم ٦.

الفطرة التي لا تتغير على مر العصور

(٢) أجل لقد تغيرت مواقف وآراء... تراجع الذين كانوا من أشد الناس عداوة للختان... وأصبحوا من أكثر الناس حماساً له.

عادت الفطرة البشرية لتثبت نفسها من جديد أنها الفطرة التي لا تتغير على مر العصور ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

ولم يصل هذا البروفسور ولا غيره من العلماء إلى هذه النتيجة، وإلى الإقرار بفوائد الختان الجمة، إلا بعد تمحيص وتدقيق، وإجراء دراسات عديدة، وقد قام البروفسور «ويزويل» نفسه بإجراء العديد من الأبحاث التي نشرت في مختلف مجلات الأطفال الأميركية الشهيرة.

ويتابع البروفسور ويزويل القول:

«هناك عدة قضايا جعلتني أقتنع بفوائد الختان عند الوليدين وهي:

١ ـ الوقاية من إلتهاب المجاري البولية وإختلاطاتها.

٢ ـ الوقاية من سرطان القضيب.

٣ ـ الوقاية من الأمراض الجنسية.

٤ ـ كون نسبة الإختلاطات الناجمة عن الختان نسبة ضئيلة.

٥ ـ قلة حدوث مشاكل في القضيب عند الأطفال المختونين.

٦ ـ الأدلة العلمية الحديثة التي تشير إلى أن الختان قد يقي ضد مرض الأيدز.

٧ ـ قلة كلفة عملية إجراء الختان في سن مبكرة عنها في سن متأخرة من عمر الطفل.

٨ ـ عدم ثبوت النظرية التي تقول: إن النظافة بالأعضاء الجنسية فقط تقي من حدوث هذه الأمراض عند غير المختونين.

وختم البروفسور مقاله الشيق بالقول:

«لقد خضعت موضوع الختان لسنوات عديدة... وأيقنت أنه يجب أن نختن العديد من الأطفال لنحمي البعض، ولكن... ليست هناك طريقة لمعرفة هؤلاء البعض الذين يمكن أن يصابوا بالأمراض الناجمة عن عدم الختان.

ويجب علينا كأطباء أن نعطي الأبوين معلومات كافية لكي يتخذا قرارهما بشأن ختان=

= الوليد، وأن نوضح لهما أن الختان عند الوليد عملية بسيطة وسريعة ومأمونة إذا ما أجريت من قبل شخص خبير. وحيث أن نسبة الإختلاطات ضئيلة جداً، وأن فوائد الختان كثيرة جداً، فإنني أعتقد أنه يجب أن نجري الختان روتينياً عند كل مولود.
وفي يوم ٨ آذار ١٩٨٨ صوّت أعضاء الجمعية الطبية في كاليفورنيا بالإجماع على أن ختان الوليد وسيلة صحية فعالة.
لقد تراجعتُ تماماً عن عدائي الطويل للختان، وصفقت مرحباً بقرار جمعية الأطباء في كاليفورنيا».
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

نظافة الأعضاء الجنسية

نادراً ما يمكن إرجاع القلفة للوراء أثناء الولادة. وقد لا تنفصل القلفة عن الحشفة تلقائياً حتى سن الخامسة من العمر، وهذا يؤدي إلى وجود جيب بين الحشفة والقلفة تتوضع فيه الجراثيم والأوساخ.
ويقول الدكتور «بولاند» (١٩٩٠م):
«وينبغي عدم محاولة إرجاع القلفة، ومتى أصبح من الممكن إعادتها بسهولة أثناء البلوغ حينئذٍ تنظيف هذه المنطقة بين الحين والآخر».
ولهذا فليس من الغريب أن نجد الإلتهابات تتكرر في هذه المنطقة التي تبقى منعزلة عن النظافة والطهارة حتى سن البلوغ.
ويتابع الدكتور بولاند: بالطبع لا يحدث عند المختونين أي إلتهاب في القلفة ولا تضيف في الحشفة.
وكتب الدكتور شوين في مقالته الرئيسية في مجلة New England Journal of Medicine عام ١٩٩٠ يقول: «لا شك أن ختان الوليد يسهل نظافة الأعضاء الجنسية على مدى العمر وفي مختلف الظروف البيئية ـ فالختان يمنع تجمع الجراثيم الممرضة تحت القلفة في فترة الطفولة. وهناك جرثوم يدعى الايشريشيا القولونية E.coli يعشق هذه المنطقة (ما تحت القلفة عند غير المختونين) ويلتصق بثناياها ويحتمي بخبياها منذ الأيام الأولى من العمر.
هناك جراثيم أخرى معروفة بخبثها وفتكها بالإنسان، وهي أيضاً تهوى الحياة تحت القلفة، وتختبىء هناك إلى أن تسنح لها الظروف فتنقض على من آواها محدثة الإلتهابات والشرور. =

= ومن بين هذه الجراثيم: العصية الزرقاء Pseudomonasوالعصية المتقلبة Proteus والكلبسيلا Klebsiellaوالسراتيا Serratia Û
وأما الجرثوم الآخر الذي كثيراً ما يتواجد في تلك المنطقة عند الكبار غير المختونين فهو العصية العقدية من الزمرة (ب) Group B Streptococci ويمكن لهذا الجرثوم أن ينتقل عبر الممارسة الجنسية، كما أنه يسبب إلتهاباً في الحشفة.

نظافة المناطق الجنسية في البلدان الراقية؟!

ويقول الدكتور شرين مؤكداً أهمية نظافة المناطق الجنسية في الوقاية من سرطان القضيب: «إن الحفاظ على نظافة جيدة في هذه المناطق أمر عسير، ليس فقط في المناطق المتخلفة من العالم بل حتى في دولة كبرى ومتحضرة كالولايات المتحدة التي تضم العديد من الأعراق مع إختلاف شائع في العادات والتقاليد الإجتماعية والمستوى الثقافي والإقتصادي لهذه الأعراق وحتى في بلد متحضر أصغر، غالبية سكانه من عرق واحد، فإن الأدلة العلمية تشير إلى أن العناية بنظافة الأعضاء التناسلية ما تزال سيئة.
ففي دراسة أجريت على أطفال المدارس البريطانيين غير المختونين، وجد أن العناية بنظافة الأعضاء الجنسية سيئة عند ٧٠٪ من هؤلاء الأطفال.
وفي دراسة أخرى من الدانمارك، تبين وجود إلتصاقات Adhesionsفي القلفة عند ٦٣٪ من الأطفال غير المختونين في سن السادسة من العمر، وإنخفضت هذه النسبة إلى ٣٪ من سن السابعة عشر.
وكان ٨٪ من الأطفال غير المختونين في سن السادسة مصابين بضيق القلف Phimosis وهذا يؤكد أن العناية بنظافة وطهارة هذه الأعضاء عند الأطفال غير المختونين أمر صعب المنال طوال فترة الطفولة.
أجل، هذا ما يؤكده رئيس فريق عملي كبير في أميركا نهض لبحث أمر الختان.
فقد لا يخطر على بال البعض أن العناية بهذه الأعضاء عند أطفال أميركا وبريطانيا والدانمارك أمر في هذه الدرجة من السوء.
نعم هذه كلمات قالها واحد من أشهر الأخصائيين في طب الأطفال في العالم، ونشرت في إحدى المجلات الطبية الأميركية عام ١٩٩٠م.
لقد أتى الإسلام بدواء منذ عهد سيدنا إبراهيم، فإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً. =

= قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾، وكان الختان الذي أمره الله به هو إحدى خصال الفطرة التي أرشدنا إليها رسول الإنسانية صلوات ربي وسلامه عليه.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

فماذا فعل الختان عند الأطفال في ذلك العمر؟

وهل وقاهم من إلتهابات الحشفة وتضيقات القلفة؟

وجد الباحثان «هرزوغ» و «ألفارز» في دراسة لهما نشرت عام ١٩٨٦: أن الأطفال غير المختونين أكثر عرضة لمشاكل القضيب في السن ما بين الشهر الرابع والسنة الثانية من العمر. وأكد ذلك الدكتور «فرغسون» في دراسة له نشرت عام ١٩٨٨ فقال: إن الأطفال غير المختونين هم أكثر عرضة للإصابة بمشاكل القضيب، مقارنة مع المختونين، خلال السنوات الثمانية الأولى من العمر. وفي كلتا الدراستين كانت مشاكل القضيب تنحصر أساساً في إلتهاب الحشفة وتضيق القلفة.

هل تكفي العناية الصحية بنظافة الأعضاء الجنسية وتغني عن الختان؟

يقول البروفسور ويزويل في مقالته التي نشرت عام ١٩٩٠ في مجلة (American Family Physician) «لقد إدعى البعض أن العناية بنظافة الأعضاء الجنسية يعطي وقاية مماثلة لتلك التي يمنحها الختان، ولكن هذا مجرد إفتراض، وحتى هذا اليوم، فإنه ليست هناك أية دراسة علمية تؤيد هذا الإفتراض. ولا يوجد أي دليل علمي يشير إلى أن النظافة الجيدة في الأعضاء التناسلية يمكن لها بحال من الأحوال أن تمنع الإختلاطات التي تحدث عند غير المختونين».

وقد أكد تقرير لجنة أطباء الجيش الأميركي أهمية تنظيف العضو الجنسي عند غير المختونين. وأكد الإسلام قبل ذلك بأربعة عشر قرناً أهمية النظافة في تلك الأعضاء، بالإستنجاء وإنتضاح الماء على العضو الجنسي.

الختان والتهاب المجاري البولية

أكدت العديد من الدراسات الحديثة المنشورة عام ١٩٨٩ أن إحتمال حدوث إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين يبلغ ٣٩ ضعف ما هو عليه عند المختونين. =

= ففي دراسة أجريت على أكثر من ٤٠٠،٠٠٠ طفل وطفلة خلال عشر سنوات وجد البروفسور ويزويل إرتفاع نسبة إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال الذكور وذلك نتيجة لحدوث الإلتهاب عند الأطفال غير المختونين.

وقد قدر الباحثون أنه لو لم يجر الختان في الولايات المتحدة فإنه سيكون هناك عشرون ألف حالة أخرى من إلتهاب الحويضة والكلية سنوياً.

والتهاب المجاري البولية عند الوليدين قد لا يكون أمراً بسيطاً، فقد وجد الباحثون أن ٣٦٪ من الوليدين (وعمرهم أقل من شهر واحد) الذين أصيبوا بإلتهاب في المجاري البولية قد أصيبوا في الوقت ذاته بتسمم في الدم بالجرثوم نفسه. كما أنه حدثت بعض حالات إلتهاب اسحايا وقصور في الكليتين.

ولا يقتصر الأمر على هذا فحسب، فإن الإختلاطات الطويلة الأمد لإلتهاب المجاري البولية عند الأطفال قد تكون خطيرة، فقد يحدث تندب في الكلية عند ١٠ ـ ١٥٪ من هؤلاء الأطفال، وقد يحصل إرتفاع في ضغط الدم أو قصور في الكليتين.

جاء في تقرير اللجنة الخاصة المكلفة بدراسة موضوع الختان Task Force on Circumcision في الولايات المتحدة في تقريرها الذي أصدرته عام ١٩٨٩ ونشر في مجلة أمراض الأطفال الأميركية الشهيرة «Pediatrics» في شهر آب (أغسطس) عام ١٩٨٩.

«أظهرت الدراسات التي أجريت على الأطفال الذين أصيبوا بإلتهاب المجاري البولية أن أكثرهم كان من الذكور في الفترات الأولى من العمر، في حين تصبح الإصابة أكثر عند الإناث في المراحل المتأخرة من الطفولة. وأن ٩٥٪ من الأطفال الذين أصيبوا بإلتهاب المجاري البولية كانوا غير مختونين.

وفي دراسة أجريت عام ١٩٨٥ على أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ رجل، وجد أن نسبة الإصابة بإلتهاب المجاري البولية عند غير المختونين كانت أكثر من عشرة أضعاف ما هي عليه عند المختونين. وقد أثبت الباحثون أنه كلما إنخفض عدد الذين يختنون إزدادت معدلات الإصابة بإلتهابات المجاري البولية.

وأكدت دراسة أخرى أجريت في مستشفى عسكري بالولايات المتحدة الفرضية التي تقول أن الختان يمنع تشكل المستعمرات الجرثومية تحت القُلفة، وبذلك يقي من حدوث الإلتهابات البولية عند الأطفال الذكور». =

= وفي دراسة أجريت على ٥٢٦١ طفل ولدوا في المستشفيات العسكرية في أميركا عام ١٩٨٥، وجد البروفسور ويزويل أن هناك إزدياداً كبيراً في معدل حدوث إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين. ثم تابع البروفسور عمله بمراجعة ملفات ٤٢٧،٦٩٨ طفل (منهم ٢١٩،٧٥٥ طفل) ولدوا في المستشفيات العسكرية الأميركية ونشر هذا البحث عام ١٩٨٧.

بيّنت هذه الدراسة أن نسبة حدوث إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين بلغ عشرة أضعاف ما هو عليه عند المختونين.

ووجد الباحثون في دراسة أخرى نشرت عام ١٩٨٨ إزدياداً في تكاثر الجراثيم الممرضة في المنطقة ما خلف القلفة عند غير المختونين في الأشهر الستة الأولى من العمر.

وإفترض الدكتور «روبرتس» عام ١٩٨٦ أن الختان يقي ضد التهابات المجاري البولية بمنعه تشكّل المستعمرات الجرثومية في القلفة.

ولا تنفصل جلدة القلفة ذاتياً عادةً في السنوات الأولى من العمر، ولهذا فإن العناية بنظافة العضو الجنسي تكون غير كافية عند غير المختونين.

ويعتقد الدكتور روبرتس أن إلتصاق الجراثيم يؤدي إلى تشكّل مستعمرات جرثومية في هذه المنطقة وبالتالي يصعد الإلتهاب إلى المجاري البولية والكليتين.

إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال

إن أعراض إلتهاب المجاري البولية شائعة عند الأطفال وتختلف نسبة حدوثه بين الذكور والإناث. وتحدث أعراض لهذا الإلتهاب عند ١،٤ من كل ١٠٠٠ وليد، ويكون في البداية أكثر شيوعاً عند الذكور ثم يصبح أكثر شيوعاً عند الإناث فيما بعد.

وتشيع أعراض الإلتهابات البولية عند الأطفال فيما بين ٧-١١ سنة إذ تبلغ ٢،٥٪.

وتعتبر الجراثيم القولونية أهم أسباب إلتهاب المجاري البولية، ويقدر الخبراء أن ٧٥-٩٠٪ من الإلتهابات تحدث بواسطة جرثوم الإيشريشيا القولونية E.Coli يليه جرثوم المتقلبة Proteus والكلبسيلا Klebseilla.

وقد تصعد الجراثيم إلى الكليتين من المثانة فيحدث إلتهاب الحويضة والكلية ويصاب الطفل بالحمى ونقص الوزن والغثيان والإقياء والإسهال.

وأما إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال الأكبر سناً فيتظاهر بألم أثناء البول، =

= وتعدد التبول وقد يصعب السيطرة على التبول. كما قد يشكو الطفل من ألم في البطن أو يعود للتبول ليلاً في السرير. ويجب مراجعة الطبيب لإجراء الفحوص المخبرية وبدء العلاج بالمضادات الحيوية.

وتقول مجلة اللانسست البريطانية الشهيرة في مقال نشر عام ١٩٨٩ :

«إن ختان الأطفال في الفترة الأولى من العمر يمكن أن يخفض نسبة إلتهاب المجاري البولية عند الأطفال بنسبة ٩٠٪.

وقد وجد «جينزبرغ» أن ٩٥٪ من إلتهابات المجاري البولية عند الأطفال تحدث عند غير المختونين. ولهذه الحقائق العلمية أهمية طبية كبرى، فإن جعل الختان أمراً روتينياً يجري عند كل الأطفال في أميركا يؤدي إلى منع حدوث ٢٠،٠٠٠ حالة من حالات إلتهاب الحويضة والكلية عند الأطفال سنوياً.

وتؤكد الدراسات التي أجريت في هذا المجال الحقائق التالية:

١ ـ أن هذه الإلتهابات تصعد إلى الكليتين من المجاري البولية السفلية ولا تحدث عن طريق الدم.

٢ ـ أن الأعضاء عند الذكور هي عامل هام ـ كما هي عند الإناث ـ في إحداث الإلتهابات البولية.

٣ ـ لأول مرة يثبت علمياً أن إلتهاب المجاري البولية يمكن منعه بطرق أخرى غير إستعمال المضادات الحيوية لمدة طويلة.

٤ ـ إن إلتهاب المجاري البولية ـ بما قد يسببه من إختلاطات ـ يمكن منعه بإستئصال قطعة جلدية صغيرة وسليمة هي القلفة.

الختان وسرطان القضيب

ما هو سرطان القضيب؟

سرطان القضيب مرض نادر يحدث في العقد الخامس أو السادس من العمر. ورغم أن سببه غير معروف بالضبط، إلا أنه من المؤكد أن سرطان القضيب نادر عند المختونين. ويحدث الورم عادة في قلفة أو حشفة القضيب. ويتم التشخيص بأخذ خزعة (قطعة من الورم) وفحصها مجهرياً، ويبدي الفحص النسيجي في ٩٥٪ من الحالات سرطان الخلايا الوسفية Squamous Cell CarcionomaÛ

= ويجب تفريق هذا الورم عن قروح الأفرنجي (السفلس) أو عن القروح الناجمة عن الإلتهابات الجرثومية مثل Haemophilus وعن الكونديلوما Condyloma.

الآراء العلمية الحديثة في سرطان القضيب

نشرت المجلة الطبية البريطانية B.M.J عام ١٩٨٧ ـ وهي من أشهر وأوثق المجلات الطبية في بريطانيا ـ مقالاً عن سرطان القضيب ومسبباته. جاء في هذا المقال: «إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود، وفي البلدان الإسلامية حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة». وأثبتت الإحصائيات الطبية أن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله.

ومنذ بداية القرن العشرين والمقالات الطبية تشير، الواحدة تلو الأخرى إلى أن الختان يقي من حدوث سرطان القضيب.

وسرطان القضيب مشكلة هامة في العديد من بلدان العالم، وعلى الرغم من أن نسبة حدوثه تتراوح بين ٢-٥/ ١٠٠،٠٠٠ فإنه يعتبر في عدد من أقطار الأرض من أكثر سرطانات الرجل حدوثاً إذ يشكل سرطان القضيب ١٢-٢٢٪ من كل سرطانات الرجل في الصين وأوغندا وبورتوريكو.

ومن العوامل المهيئة لحدوث سرطان القضيب إلتهاب الحشفة (Balanitis) وتضيق القلفة (Phimosis). وهذه الأخيرة توجد عند ٥٠ ـ ٩٨٪ من المرضى المصابين بسرطان القضيب.

ولما كان الختان يزيل هذه القلفة من أساسها فإن المختونين لا يحدث لديهم تضيق في القلفة كما أنه يندر جداً أن يحدث إلتهاب الحشفة عندهم وبذلك فإن الختان يقي من حدوث سرطان القضيب. ويبدو أن تضيق القلفة ينجم عن إحتباس اللخن (Smegma) وهي مفرزات تتجمع بين حشفة القضيب والقلفة عند غير المختونين. أما عند المختونين فلا مكان عندهم لتجمع أية مواد ضارة في ذلك المكان.

وقد ثبت أن لهذه المواد التي تتجمع ما بين الحشفة والقلفة والتي تدعى باللخن (Smegma) فعلاً مسرطناً. فقد أجريت تجارب على فئران وضع عندها مفرزات اللخن المأخوذة من الحصان ـ ومن المعلوم أن نسبة سرطان القضيب عالية عند الأحصنة ـ فتبين=

= حدوث السرطان عند هؤلاء الفئران. وقد أشارت دراسة أخرى إلى أن اللخن الإنساني يعتبر عاملاً مسرطناً أيضاً.
ونشرت مجلة المعهد الوطني للسرطان دراسة أكدت فيها أن سرطان القضيب ينتقل عبر الإتصال الجنسي، وأشارت إلى إن الإتصال الجنسي المتعدد بالبغايا يؤدي إلى حدوث هذا السرطان.
ونشرت المجلة الأميركية لأمراض الأطفال(Am.J.Dis.Child) حديثاً مقالاً جاء فيه: إن الرجل غير المختون يعتبر معرضاً لسرطان القضيب، في حين أنه يمكن منع حدوث هذا السرطان إذا ما إتبع مبدأ الختان عند الوليدين. نعم، هذا ما يقرره علماء الطب اليوم، وهذا ما قرره الإسلام، وما أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام. أنها فطرة الله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

ما جاء في كتاب «هريسون» الطبي الشهير

«هناك أكثر من ٤٠ نوعاً من هذا الفيروس، منها ما يسبب ثآليل التناسل Venereal Warts الثآليل الجنسية التي تظهر في منطقة الفرج والعانة ومنها ما يسبب الثآليل الجلدية المعروفة على اليدين أو القدمين Common Warts وقد إرتفعت نسبة حدوث ثآليل التناسل Condylamata accuminata خلال ال ١٠ _ ١٥ سنة الماضية بشكل مخيف، ويعتبر هذا المرض من أكثر الأمراض الجنسية شيوعاً في الولايات المتحدة.
وتحدث الثآليل الجنسية على الجلد والسطح المخاطي للأعضاء الجنسية وما حول الشرج.
وتنتقل هذه الثآليل بواسطة الممارسة الجنسية، فهي تكثر عند الزناة والشاذين جنسياً.
وتتراوح مدة الحضانة ما بين ١ _ ٦ أشهر.
وتتواجد هذه الثآليل عند الرجال عادة في الأخدود الأكليلاني Coronal Sulcus على القضيب (وهي منطقة ما خلف الحشفة).
ويمكن أن توضع في أي مكان على القضيب. وكثيراً ما تتواجد على فتحة الإحليل.
أما الثآليل حول الشرج فتحدث عادة عند الشاذين جنسياً».
أما الإناث فتكون الثآليل عادة على فتحة الشرج والشفرين الكبيرين والصغيرين، وكثيراً ما تشمل منطقة العجان Perineum والشرج والفرج وعنق الرحم. =

= وقد تتوضع هذه الثآليل في الرغامي عند الأطفال نتيجة إكتساب الفيروس أثناء الولادة من الأم المصابة بهذه الثآليل في منطقة الفرج والمهبل.

وماذا يسبب أيضاً هذا الفيروس؟

أظهرت الدراسات النسيجية إن هناك علاقة بين هذا الفيروس وسرطان عنق الرحم وسرطانات الأعضاء التناسلية الأخرى كسرطان القضيب وسرطان الفرج.

هل يمكن منع سرطان القضيب؟

يقول البروفسور ويزويل في مقال نشر في مجلة Pgysician American Family عام ١٩٩٠: «إن سرطان القضيب هو السرطان الوحيد الذي يمكن منع حدوثه بواسطة وقائية هي: ختان الوليد. ويقول: «لقد سجلت الأحصائيات الأميركية أكثر من ٦٠،٠٠٠ حالة من حالات سرطان القضيب منذ عام ١٩٣٠ وحتى الآن. ومن أصل هذا العدد كان هناك أقل من عشر حالات فقط حدثت عند أناس مختونين. ويقدر الخبراء أن إحتمال حدوث سرطان القضيب عند غير المختونين يبلغ واحد لكل ٦٠٠ شخص». ويقول تقرير اللجنة الطبية الخاصة في الجيش الأميركي التي بحثت موضوع الختان عام ١٩٨٩:

«هناك عوامل أخرى - إضافة إلى الختان - تلعب دوراً هاماً في حدوث سرطان القضيب، فإن حدوث هذا السرطان يتعلق بنظافة الأعضاء الجنسية مثلاً.

ففي كثير من دول العالم الثالث التي يكون فيها مستوى النظافة الصحية منخفضاً، فإن نسبة حدوث سرطان القضيب عند غير المختونين يصل إلى ٦ لكل ١٠٠،٠٠٠ (أي ستة أضعاف ما هو عليه في الولايات المتحدة والسويد).

ويقول التقرير: «إن إتخاذ قرار بعدم الإختتان يجب أن يرافقه إلتزام على مدى العمر بالمحافظة على نظافة الأعضاء التناسلية، إذا ما أريد الوقاية من سرطان القضيب».

الختان وسرطان عنق الرحم

سرطان عنق الرحم وسرطان القضيب:

لاحظ الباحثون وجود إرتفاع في نسبة الإصابة بسرطان القضيب وسرطان عنق الرحم في البورتوريكو Peurto Ricu حيث أن معظم الرجال هناك غير مختونين، وقد وجد مارتينير=

= ٨ حالات من سرطان عنق الرحم عند زوجات ٨٨٩ رجل مصاب بسرطان القضيب.
وكانت الدراسات في أوائل السبعينات قد أوحت أن لفيروس الهربس التناسلي (النوع الثاني Type 2) دوراً هاماً في حدوث سرطان عنق الرحم، إلا أن الدراسات الحديثة تركز على دور فيروس Human Papillomavirusمن النوع ١٦، ١٨ في إحداث هذا السرطان.
وهو الفيروس ذاته المتهم في إحداث سرطان القضيب.

سرطان عنق الرحم والأمراض الجنسية

ويقول تقرير أطباء الجيش الأميركي:
«إن هناك علاقة قوية بين حدوث سرطان عنق الرحم وبين الأمراض الجنسية. وإن الفيروسات ترافقا منع هذا السرطان هو فيروس PappillomavirusÛ
ورغم أن هذا الفيروس يرافق حدوث سرطان القضيب، إلا أن الأدلة التي تربط بين سرطان عنق الرحم وبين عدم الإختتان لا تصل إلى نتيجة حتمية».
وقد لوحظ إزدياد حدوث سرطان عنق الرحم عند زوجات الرجال غير المختونين المصابين بهذا الفيروس.
كما أن «كيسلر» قد وجد إنخفاضاً في نسبة سرطان عنق الرحم عند زوجات المختونين.
جاء في كتاب «الأمراض الجنسية» للدكتور محمد علي البار:
«لاحظ الباحثون أن سرطان عنق الرحم نادر عند اليهوديات، كما لوحظ أنه نادر في البلاد الإسلامية والعربية. ومن الدراسات المستفيضة حول هذا الموضوع تبين أن سرطان عنق الرحم منتشر بصورة كبيرة بين المومسات.
وخرج الباحثون بالنتائج حول سرطان عنق الرحم:
أولاً: إن سرطان عنق الرحم مرتبط بالزنا وعدد المخاللين للمرأة الواحدة، فكلما زاد عدد المخاللين والمخادنين كلما زاد إحتمال إصابتها بسرطان عنق الرحم.
ثانياً: إن الإتصال الجنسي بواسطة الزوج لا يسبب سرطان عنق الرحم ما لم يكن الزوج زانياً أو الزوجة زانية.
ثالثاً: تبين أن الختان عامل مهم في كبح ما يسمى عامل الذكر في إيجاد سرطان عنق الرحم لدى المرأة فاليهوديات المتزوجات بيهود هم أقل الناس إصابة بسرطان عنق الرحم في

= الغرب ويعود السبب في ذلك إلى أن اليهود يختتنون، وهذا العامل هو من أهم العوامل في خفض نسبة السرطان لدى اليهوديات في إسرائيل لأن مستواهن الأخلاقي ليس بأفضل من مستوى المرأة الأوروبية أو الأميركية. ويعتبر سرطان عنق الرحم نادر الحدوث جداً في الجزيرة العربية، وذلك لندرة الأسباب المؤدية إليه وهو الزنا وتكرره، وختان الرجل.
وقد وجد الباحثون علاقة وطيدة بين الهربس وسرطان عنق الرحم. فالمصابات بالهربس معرضات للإصابة بسرطان عنق الرحم بنسبة تصل إلى ٨٠٪ عما هي عليه لدى النساء الأخريات غير المصابات بالهربس».

الختان والأمراض الجنسية

جاء في مقال مجلة New England Journal of Medicine المنشور عام ١٩٩٠م: «كان الجيش الأميركي يعتقد دائماً خلال الحرب العالمية الثانية وخلال حرب كوريا وفيتنام أن الختان قد ساعد على منع حدوث إلتهاب الحشفة عند الجنود، وقد ساعد بالفعل أيضاً في الوقاية من حدوث الأمراض الجنسية.
وأكدت دراسة قام بها أطباء الجيش الكندي هذا الرأي حين أثبتوا وجود إزدياد كبير في نسبة حدوث هذه الأمراض عند غير المختونين.
وقد قام حديثاً الدكتور «باركر» بدراسة ١٣٥٠ مريض أسترالي يعالجون بسبب الأمراض الجنسية فوجد إزدياداً واضحاً في حدوث أربعة أمراض جنسية عند المختونين، وهذه الأمراض هي:

١ - الهربس التناسلي Genital herpsÛ
٢ - داء المبيضات CandidiasisÛ
٣ - السيلان GonorrheaÛ
٤ - الزهري SyphilisÛ

ويقول الدكتور «شوين»: «يبدو أن غير المختونين أكثر عرضة للإصابة بالأمراض الجنسية التي تخرب سطوح البشرة epithelialsurfacesكالهربس التناسلي والزهري والثآليل الجنسية وال (Chancroid) فقد وجد الدكتور تايلور رودين أن غير المختونين كانوا أكثر عرضة للإصابة بالهربس التناسلي.
=

= وأشارت الدراسات الحديثة التي أجراها «كوين» عام ١٩٨٨ و«ستام» ١٩٨٨ و«كاميرون» ١٩٨٩ إلى أن الأمراض التي تسبب تقرحات في الأعضاء الجنسية عند الرجال هي عامل هام في إحداث مرض الأيدز.
ولا شك في أن كل الأمراض الجنسية أكثر شيوعاً عند المختونين منها في المختونين. فقد عدد الدكتور Fink (الذي ألف كتاباً عن الختان وطبع عام ١٩٨٨ في كاليفورنيا في الولايات المتحدة) أكثر من ٦٠ دراسة علمية، أثبتت جميعها إزدياد حدوث الأمراض الجنسية عند غير المختونين».

السيلان

السيلان أحد الأمراض الجنسية الشائعة، ويسمى في بعض البلاد العربية: «التعقية» وفي بعضها يسمى «الردة».
ويحدث نتيجة الإتصال الجنسي المشبوه بين شخص مصاب بالمرض مع شخص غير مصاب. ويعتبر الزناة والبغايا والشاذون جنسياً أكثر المجموعات إصابة بالأمراض الجنسية. يقول الدكتور «ستولز» في مقال في مجلة Medicine International عام ١٩٨٩م: «بعد إكتشاف البنسلين في أوائل الأربعينات، إنخفضت نسبة حدوث السيلان في معظم أنحاء العالم إلاّ أنها بدأت بالإرتفاع مجدداً بعد عام ١٩٧٥ في بعض الدول، بينما إستمرت بنفس النسبة في دول أخرى.
وفي حين تنخفض نسبة حدوث السيلان في العالم المتطور، فإن مرضاً جنسياً آخر بد بالإزدياد ويسبب هذا المرض الأخير ما يسمى بالكلاميديا (Chlamydia Trachomatis قال النبي : «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا» أخرجه الحاكم وإبن ماجة والبزار.
ويتظاهر السيلان عند الرجال بحرقة في مجرى البول يتبعها خروج إفرازات ثخينة صفرا متقيحة من مجرى البول. وقد يبقى المرض ساكناً دون أعراض، إلاّ أن المريض ينقل مرضه إلى من يعاشر جنسياً.
وقد يصيب السيلان الفم والبلعوم نتيجة للشذوذ الجنسي وإستخدام الطرق الشاذة في المعاشرة الجنسية.

قال أبو حامد: «فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوّة من مصالح الآخرة الّتي هي أهمُّ مقاصد النبوّة إلى مصالح الدنيا، حتّى انكشف له وهو أُمّيٌّ من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه حيف

= أما النساء فيتظاهر السيلان بالتهاب في عنق الرحم أو إلتهاب في مجرى البول أو إلتهاب في الشرج، أو إلتهاب في الفم والبلعوم عند الشاذات جنسياً.

وقد تحدث الإختلاطات المزمنة عند الرجال كإلتهاب في البروستات أو في البربخ، وقد يؤدي ذلك إلى العقم.

أما في النساء فيحدث إلتهاب في الحوض عند ٢٥ ـ٥٠٪ من المصابات غير المعالجات وقد يحدث إلتهاب في المبيض والرحم والبوقين».

الختان ومرض الإيدز AIDS

«الختان يقي من مرض الإيدز» ذلك هو موضوع مقال نشر حديثاً عام ١٩٨٩ في مجلة Science الأميركية: فقد أورد الدكتور ماركس Marxفي مقالته هذه ثلاث دراسات علمية أجريت في الولايات المتحدة وأفريقيا.

وكانت الدراسات تشير إلى إنخفاض نسبة الإصابة بمرض الإيدز عند المختونين.

وخلص الدكتور ماركس إلى القول بإحتمال وجود علاقة بين عدم الإختتان وبين مرض الإيدز، وقد وجد باحثون آخرون (دكتور سيمونس وزملاؤه) أن إحتمال الإصابة بمرض الإيدز بعد التعرض للفيروس عن غير المختونين يبلغ تسعة أضعاف ما هو عليه عند المختونين، أليس هذا بالأمر العجيب.

حتى أولئك الذين يجرأون على معصية الله بالشذوذ الجنسي يجدون خصلة من خصال الفطرة يمكن أن تدفع عنهم غيلاء هذا المرض الخبيث.

لقد وجدنا الأمر ذاته في الأمراض الجنسية كالزهري والسيلان والهربس التناسلي.

ووجدناه الآن في داء الإيدز، فكيف يجرؤ أولئك على جحد أنعم الله والتمادي في معصيته؟ قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وينبغي أن لا يفهم المرء أنه إن كان مختوناً فهو في مأمن من داء الإيدز، فهذا المرض يحدث عند المختونين وغير المختونين وإن كانت نسبة حدوثه أقل عند غير المختونين.

ضرره، فسبحان من أرسله رحمة للعالمين، ليجمع لهم بيمن بعثته[١] مصالح الدُنيا والدّين ﷺ.

قال: فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزيّن والنظافة، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد أثنتا عشرة:

خمس منها في الرأس: وهي فرق شعر الرأس، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقصُ الشارب.

وثلاثة في اليد والرجل: وهي القلم، وغسل البراجم، وتنظيف الرواجب.

وأربعة في الجسد: وهي نتف الإبط، والاستحداد، والختان، والاستنجاء بالماء، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك».

أقول: وقد ذكر الفقيه: «أنّ الحنيفيّة عشر سُنن: خمس في الرأس، وخمس في الجسد»[٢] ثمّ ذكر ما ذكره أبو حامد سوى غسل البراجم وتنظيف الرواجب.

قال: «والفرق لمن طال شعر رأسه، ومن لم يفرق شعر رأسه فرقه الله يوم القيامة بمنشار من نار، وذكره بدل الاستحداد حلق العانة وهما بمعنى واحد.

قال في النهاية: وفيه: السنّة عشر وعدّ فيها الاستحداد وهو حلق شعر

---

(١) في بعض النسخ [بيمن تقنينه] وهو ليس بصواب لأن النبي عليه الصلاة والسلام ليس بمقنن بل الشارع هو سبحانه وتعالى كما هو المذهب الحق.

(٢) المصدر ص ١٣ تحت رقم ١٠.

العانة بالحديد، ومنه الحديث الآخر: أمهلوا كي تمتشط الشعثة، وتستحدَّ المغيبة، وهو استفعال من الحديد ذكر على سبيل الكناية والتورية.

قال أبو حامد: «وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرُّض للطهارة الظاهرة دون الباطنة، فلنقتصر على هذا، وليتحقّق أنَّ فضلات الباطن وأوساخه الّتي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى».

هذا آخر كتاب أسرار الطهارة ومهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، ويتلوه كتاب أسرار الصلاة ومهمّاتها، والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

أسرار الصلاة
ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي غمر العباد بلطائفه، وعمّر قلوبهم بأنوار الدّين ووظائفه، الّذي فارق الملوك مع التفرّد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء، فقال:

«هل من داع فأستجيب له، وهل من مستغفر فأغفر له» وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب، فرخّص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلّبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات، ولم يقتصر على الرخصة، بل تلطّف بالترغيب والدّعوة، وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلاّ بعد تقديم الهديّة والرشوة، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأقوى سلطانه، وأتمّ لطفه، وأعمّ إحسانه، والصلاة على محمّد نبيّه المصطفى ووليّه المجتبى، وعلى آله وأصحابه، مفاتيح الهدى، ومصابيح الدجى وسلّم.

أما بعد فإنّ الصلاة عماد الدّين، وعصام اليقين، وسيّد القربات، وغرّة الطاعات، وقد استقصينا في فنّ الفقه أُصولها وفروعها ومسائلها وأحكامها، ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بدّ للمريد منه من أعمالها الظاهرة، وأسرارها الباطنة، وكاشفون من دقائق معانيها الخفيّة في معاني الخشوع والاخلاص والنيّة ما لم تجري العادة بذكرها في الفقه، ومرتّبون الكتاب على سبعة أبواب:

الباب الأوّل: في فضائل الصلوات ومتعلّقاتها.

الباب الثاني: في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلاة.

الباب الثالث: في تفصيل الأعمال الباطنة منها.

الباب الرابع: في الامامة والقدوة.

الباب الخامس: في صلاة الجمعة وآدابها.

الباب السادس: في مسائل متفرّقة يعمُّ بها البلوى.

الباب السابع: في سائر الصلوات.

الباب الأول

في فضائل الصلوات، والسجود، والجماعة، والأذان، وغيرها

أقول: ما أورده أبو حامد في هذا الباب من الروايات أكثره ممّا رواه أصحابنا أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصّة بأدنى تفاوت في الألفاظ، فنحن نرويه عنهم عليهم السلام برواية أصحابنا إلاّ قليلاً ممّا فيه زيادة فائدة من رواية العامّة، وما لم يروه أصحابنا ممّا له فائدة معتدٌ بها، ونذكر ما قاله أبو حامد من تحقيقاته وفوائده كلاً في محلّه ناسبين إليه، وكذلك في كلّ باب إن شاء الله، وننقل أكثر ما نرويه عن أهل البيت عليهم السلام من كتابي الكافي، والفقيه، لأنّ جميع ما روي في الكتابين قد صحّ عنهم عليهم السلام، كما شهد به مصنّفاهما في أوّليهما[1].

معنى الصلاة

(١) قال القاضي سعيد القمي: الصلاة هي لغة الرحمة والدعاء؛ فيضاف إلى الله بمعنى الرحمة، وإلى الملائكة بمعنى الرحمة والإستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ ويضاف إلى المؤمنين بالرحمة والدعاء، والأفعال المخصوصة المعلومة شرعاً؛ ويضاف إلى ما سوى الله من جميع المخلوقات من ملك وإنسان وحيوانات ونبات ومعدن بحسب ما فرضت عليه وعينت له قال عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾. و«التسبيح» في لغة العرب تجيء بمعنى «الصلاة».

ثم إعلم، أنّ إشتقاقها:

إمّا من «التصلية» بمعنى تقويم العود بالنار، فكأن المصلّي في توجّهه إلى الله وقصده إيّاه يقوّم ميله إلى الباطل وإعوجاجه والحاصل، من النظر إلى غيره والتوجه إلى ما سواه بالحرارة التي حصلت له من الحركة الصعودية والقرب من شمس الحقيقة المعنوية وفي الخبر: =

= «قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم» أي النيران التي أوقدتموها من التوجّه إلى غير الله، وإحتمال الذنوب الموجبة للنار، حيث حسبتم أنّ ما سواه يملك النفع والضرر، ويحصل منه الخير والشر، وزعمتم أنه يستقيم به عيدانكم، ويعدل به ميزانكم، والتعبير بـ«الظُّهر» لأنّه موضع ما سواه وإن كان ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فاطفئوا هذه النار الموقدة على الظهور المطّلعة على أفئدة هذه الأبدان التي كالقبور ببرد اليقين ونزول غيث الرحمة بإقامة صلاة الخاشعين. ثم إن أردتم التقويم فعدّلوا ظهوركم بتعديل أركان الصلاة وقوّموها بقيامها كما هو حقّها.

وإمّا أن يكون إشتقاقها من «المصلّي» من سباق الخيل، وهو الذي يلي «السابق» في الحلبة، والصلاة ثانية في قواعد الإسلام كما في خبر بنائه على خمسة: شهادة أن لا إله إلاّ الله والصلاة والزكاة والصوم والحج. ولأنّ المصلي ثانٍ في الرتبة على ما مضى من خبر: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» وفي كتاب فلاح السائل لإبن طاووس طاب ثراه قال: جاء الحديث: أنّ رزام مولى خالد بن عبد الله ـ الذي كان من الأشقياء ـ سأل الإمام جعفر بن محمد عليه السلام بحضرة أبي جعفر المنصور عن الصلاة وحدودها: فقال عليه السلام: «للصلاة أربعة آلآف حدٌ لستَ تفي بواحد منها» فقال: أخبرني بما لا يحلُّ تركه ولا تتمُّ الصلاة إلاّ به» فقال عليه السلام: «لا تتمُّ الصلاة إلاّ لذي طهرٍ سابغ وتمام بالغ، غير نازغ زلا زائغ، عرفَ فأخبتَ فثبتَ، وهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنّ الوعد له صُنعَ، والوعيدَ به وقع، بذل عرضه وتمثّل غرضه، وبذل في الله المهجة، وتنكّب إليه المحجّة، غير مرتغم بإرتغام يقطع علائق الإهتمام بغير من له قصد، وإليه وفد، ومنه إسترفد، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فإلتفت المنصور إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبا عبد الله لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تبصّر من العمى ويجلو بنورك الطخيا فنحن نعوم، في سبحات قدسك وطامي بحرك» ـ الحديث.

«الطهر السّابغ»، ما يكون الوضوء فيه بمُدٍّ، وقيل: ما يثني فيه الغسلات، أو ما يروى منه الأعضاء من الماء، أو ما يكون على طريقة أهل البيت عليهم السلام من كيفية الغسلات والمسحات، هذا في الظاهر؛ وأمّا إعتباره في الباطن فكما ورد في أسرار الطهارة. والظاهر هنا من الطهر السابغ، هو التبرّي من الشرك المطلق، ومن المخالفين لأئمة أهل الحق، كما يشعر بذلك معنى قوله: «وتمام بالغ» على ما سنذكره. =

= «والتمام البالغ»، هو البلوغ وكمال الرشد. وأمّا إعتباره في الحقيقة، فهو القول بإمامة عليّ وأولاده عليهم السلام والدخول في زمرة أوليائهم أمّا كون ذلك تمامًا فلقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وأما كونه بالغاً فلقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يريد الولاية.

قوله: «غير نازغ ولا زائغ» كلاهما بالزاي والغين المعجمتين أي غير ناصب عداوة لأهل بيت الوحي والحكمة، ولا مائل عنهم إلى غيرهم من الغاضبين لحقوقهم والمبتزّين لمقاماتهم. وبالجملة، لمّا كانوا هم المختصين بالحق، فالمعاند لهم والمائل عنهم، معاند للحق المطلق ومايل عن طريق الحق.

«عرفَ فأَخْبَتَ فَثَبَتَ» أي عرف الحق، والداعي إليه بالحق، فأخبت إلى الله وإلى مولى الثقلين وأنقاد وإستسلم بالسمع والطاعة الحقيقيّين. ثم ثبت على ذلك اليقين العرفاني كالجبال والرواسي. و«الفاء» في الموضعين لسببيّة ما قبلها لما بعدها: أي إذا عرف ووصل إلى مقام المعرفة، يلزمه الإخبات والخضوع لا محالة ثم يلزمه الثبات على الطريقة المستقيمة.

فهذه الخمسة هي مقدمات الصلاة في الجملة، إذ لا بدّ قبلها من أن يعرف أنه إلى من يتوجّه؟ وأين وسيلته إلى ذلك؟ وهو الإمام الذي في الحقيقة عبارة عن صلاة أهل المعرفة، ولا بدّ أيضاً من أن يثبت على ذلك ليكون قيامه في الصلاة عبارة عن هذا الثبات.

ثم إن قوله عليه السلام: «وهو واقف» إلى قوله: «والوعيد به وقع» إشارة إلى مجمل أسرار «القيام» فإنّ الإستقامة الحقيقية هو أن لا يميل إلى الأضداد في الأخلاق. وهذا مرتبة المؤمنين الكاملين حيث إستوى يأسهم ورجاؤهم وأن يصير من الأولياء الأحرار وذلك مقام الحرية، وهو أعلى درجات السالكين.

ولهذا المقام علامات: قال الله عز من قائل إشارة إلى العلامة الأولى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وقال جلّ مجده إشارةً إلى الثانية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾. فالإستقامة في المقامين هي الخلوّ عن الطرفين والتجرّد عن الوصفين بحيث لا يفرح من وجدان شيء من نعمة أو مدح أو أيّ شيء يورث الفرح، ولا يخرج من فقدان شيء حصل أو يحصل له. وبالجملة إستوى بالنسبة إلى قاطبة الأمور ويقصر نظره إلى نور النّور وأمّا (العلامة) الثالثة، فمسببة عن الأولين، إذ عدم=

= الخوف والحزن والأسى والفرح يوجب وقوع الوعد والوعيد إذ المنتظر يلزمه أحد هذه الأمور كما لا يخفى.

وقوله عليه السلام: «بَذَلَ عَرَضَهُ» إلى قوله: «وتَنَكَّبَ إليه المَحجَّة»، بيان لمقام الرّكوع. أما اللغة: فالعرض (بتحريك المهملتين الأوليين): المتاع أي بذل رأس ماله. والغرض: الهدف وأيضاً المقصود والغاية أي جعل مقصوده من الصلاة نصب عينيه وتنكّب: أي مال. والمحجّة: الطريق أي مال من كلّ جهة إلى الله والخضوع له والمعنى: أنّ الإنحناء في الركوع بأن يخلو بيته كالقوس ويتمثّل له غرضه ليصيبه بسهم نظره إليه فقط ويميل إلى الله بإظهار الإفتقار والذلّة والمسكنة.

وقوله عليه السلام: «غير مرتغم» إلى قوله: «إسترفد»، بيان للسجود وما يتبعه. والجملة الفعلية وقعت وصفاً للإرتغام. وكلمة «غير» للإستثناء. و«الإرتغام» هو اللّصوق بالرّغام الذي هو التراب أي غير مرتغم بإرتغام قاطع للهموم وجاعلها (هماً) واحداً إلاّ لمن إليه قصد أي بعدما أظهر الذلّة في الركوع أتمّها بالسجود، وإرتغام أنفه بالتراب الذي هو محل الذلّة إرتغاماً قاطعاً لجميع الهموم مصيراً همّه واحداً إلى المقصود الأصلي والمطلوب الحقيقي، وذلك بالفناء عن نفسه وعن كلّ شيء.

ثم إذا رفع رأسه من السجود للتشهّد فهو في مقام الوفود إلى الله ذي الجلال والإكرام. والوافد مسترفد وطالب للإنعام فمن كان لله كان الله له: والسلام.

فهذا (المعنى) هو الصلاة التي تمنع من ملاحظة ما سوى الله والنظر إلى غير الله وسيجيء تفصيل هذا الإجمال في ما سيأتي من الأقوال إن شاء الله العزيز المتعال. [أسرار العبادات ص ١٤-١٧].

في زيادات الصلاة

وقال القاضي سعيد القمي: قيل: الحكمة في ذلك أن أصل الصلاة يقتضي الشفعيّة، للقسمة التي وقع عليها بين العبد والربّ ـ كما سبق ـ فأقلّها ركعتان لأنّ الاثنين أوّل الإزواج، فبالإتيان بهما تميز الربّ من العبد كما في الصبح، وإختصّ ذلك به لأنه وقت طلوع النور الغيبي على هياكل الممكن الذي هو الزواج الحقيقي. ومن البيّن، أن الشيئين إذا تألّفا، كانا شيئاً واحداً، فلهذا كانت الركعتان صلاة واحدة فإذا أضيفت ركعة، فذاك للإشارة بأن الركعتين المنقسمتين واحدة. ثم إنّ الشيئين المشار إليهما بالركعتين واحد=

= منهما يحيط بالآخر من جميع وجوهه بخلاف الآخر، فإنه يتضمّن الأوّل من بعض الوجوه لأنّه الدليل عليه كما لا يخفى فالنظر إلى الواحد الأول يعطي الإقتصار على زيادة ركعة وذلك كما في المغرب؛ وأما إذا نظر إلى الأول والثاني من حيث أنّ الأول يتضمن الثاني من جميع الوجوه والثاني يتضمن الأول من بعض الوجوه ظهرت الرباعية (وذلك كما في الظهرين وعشاء الآخرة) وأمّا إذا نظر في أول الأمر إلى إستهلاك الثاني في جميع المراتب وأنّ الأول هو القيّوم. فحينئذٍ تكفي الركعة الواحدة وذلك في الوتر كذا قيل.

وصل: سيأتي أنّ صلاة المغرب إنّما هي لمرتبة الزهراء ﷺ وهذه المرتبة تقتضي الوتريّة لأنّ الإنتاج لا يكون إلاّ عن الفرديّة. والثلاثة أوّل الإفراد، فالزائدة في هذه الصلاة ينبغي أن تكون واحدة لذلك، ولأنّ المرأة لها مرتبة الغيب والإحتجاب، فيغلب عليها جهة الواحد الأول الغائب عن العقول والأبصار. ولمّا كانت الصلوات الأخر الرباعية، لمرتبة الرسول والوليّ والسبطين كالظهر والعصر والعشاء، ولا ريب أن الرجل جامع لمرتبتي الغيب والشهادة، فاللائق بهذه الصلوات زيادة الركعتين لذلك.

ثم إعلم، أنّ هذه الصلاة المكتوبة تجب على من تجب بشرط البلوغ والعقل والطهارة، كما أشار الإمام إليه بقوله: «لا تتم إلاّ لذي طهر سابغ وتمام بالغ» والثاني إشارة إلى العقل والبلوغ، إذ البلوغ التامّ يكون بالعقل وإلاّ فلا ينفع.

وأمّا إعتبار الباطن في هذه الثلاثة، فالبالغ العاقل هو الذي يعقل عن الله أمره ونهيه وكلّ ما ألقاه في سرّه ويفرق بين خواطر القلب فيما هو من الله ومن نفسه، ويميز بين لمّة الملك ولمّة الشيطان فإذا بلغ في المعرفة والتميز إلى هذا الحدّ وعقل عن الله ما يريد منه وسمع قوله القدسي: «وسعني قلب عبدي» وجب عند ذلك طهارة قلبه من كل شيء يخرجه من مناجاة ربّه. وبالجملة يستعمل هذه الطهارة في قلبه وفي كلّ عضو من أعضائه الباطنية التي هي بإزاء الظاهرة على الحدّ المشروع. [أسرار العبادات ص ١٧-١٩].

* * *

أسرار الأذان

قال العلامة التبريزي في أسرار الصلاة قال: إذا سمعت نداء المؤذّن، فاحضر في قلبك نداء يوم القيامة، وتشمّر بظاهرك، وباطنك للإجابة والمسارعة، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء، هم الذين ينادون باللّطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا=

= النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح، والإستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار، فإعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى، والفوز يوم القضاء، ولذلك قال النبيّ ﷺ. أرحنا يا بلال، أرحنا بها وبالنداء إليها، إذ كانت قرّة عينه فيها.

أقول: يعني الأذان نداء اللّقاء، وكما أنّ يوم القيامة ينادون النّاس إلى العرض على الله، فكذلك المؤذنون ينادون المؤمنين إلى مجلس الحضور والمعراج والزيارة، فإن كان حال الإنسان في هذه الدّنيا من المعرفة بحيث يلتذّ بهذا النداء، فالمعرفة في الدّنيا بذر المشاهدة في الآخرة، وإن كان من الجهالة بحيث يسوء من هذا النداء، فهو أيضاً يورث سوء حاله من نداء يوم القيامة، وإن كان من الغافلين، يكون حاله ما يناسب غفلته، فكذلك الحال في سائر مقامات الدين، ونواميس الشرع، فإنّ الإنسان يموت على ما يعيش ويحشر على ما يموت ويحصد ما زرعه في أرض قلبه، فمن عرف موقع الصلاة في معاملته مع ربّه، وعرف أنّها لطف عظيم من الله الرحيم، لا بدّ أن يكون قرّة عينه في الصلاة، ولا بدّ أن ينتظرها كما ينتظر مجالس الأنس مع أحبّائه، ويجيب به نداء الأذان بما يجاب به دعاء الأحبّاء، وإن شئت أن تعرف حقّ ذلك فانظر معاملة الله تعالى معك عند إقبالك عليه وإعترف بأنّك لو بذلت جميع قدرتك في تحصيل حقّ أدب هذا النداء، لا تأتي بجزء من عشر معشار ما يجب عليك بحكم الحكمة والعدل، وإن عرفت ذلك بحقيقة المعرفة، لا تكسل عن أداء ما يمكنك في ذلك ومع ذلك لا يخلو قلبك من حياء التقصير، وعند ذلك يدركك من قبوله تعالى، وشكره العظيم ما لا يبلغه فطنة العلماء، وعقول العقلاء.

وقال: واعتبر بفصول الأذان وكلماته، كيف إفتتحت بالله، وإختتمت بالله، واعتبر بذلك إنّ الله هو الأوّل، والآخر والظاهر والباطن.

أقول: كأنّه أراد إنّ في وضع الأذان كذلك إشارة إلى هذا.

قال: ووطّن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير، وأستحقر الدُّنيا وما فيها، لئلا تكون كاذباً في تكبيرك، وأنف عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل.

أقول: المراد بكل معبود سواه كلّ من يعامل معه بمعنى العبوديّة وإن أنكر ظاهراً عبادته، فإنّ العبادة حقيقة التواضع، والميول والتبعيّة، فيدخل فيه أهواء النفس الّتي هي من أبغض المعبودات الّتي تعبّد في الأرض كما في الخبر، ويدخل أيضاً الشيطان، والدنيا بوجوهها الباطلة.

=

فضيلة الاذان

روى في الفقيه، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «من أذّن في مصر من أمصار المسلمين سنة وجبت له الجنّة»[١].

= وقال: وأحضر النبيّ ﷺ وتأدّب بين يديه، وأشهد له بالرّسالة مخلصاً.
أقول: إخلاصها عبارة عن تخلية القلب من وجوه الإعتراض في أحكام الشرع، حتّى لا يكون في نفسه وقلبه حرج ممّا جاء به، وقضى عليه ولو اضرّ به،
وقال: وصل عليه وآله.
أقول: وتفكّر في معرّفة الصلوات لتكون عالماً بما تدعوه وتطلبه من الله لهم، ووفق بين قلبك ولسانك في ذلك، ليقع عن عناية، ومعرفة لا عن جهل ومجرّد لقلقة اللّسان.
وقال: وحرّك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدّعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال.
أقول: إن أمكنك أن تعتقد بحقيقة قلبك، فأنّ الصلاة معراج العبد وزيارة الرّب لتعتقد أنّها موجبة للفلاح، وإنّها خير الأعمال، ولا ترضى من إتيان أعمالها وأركانها كلّها بالصورة، وأذكارها ومخاطبتها ومناجاتها بلقلقة اللسان، ويتأثر قلبك وروحك من افعالها، وقرائتها ومناجاتها، وتكبيرها الّذي هو المقصود الأصلي منها، بل هو روحها وحقيقتها، فعند ذلك يحصل اللّذة من القراءة، والمناجات، ولطيف المخاطبات كما ورد في الأخبار.
قال: وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله، وتعظيمه واختمه بذلك، كما إفتتحت به، واجعل مبدءك منه، وعودك إليه، وقوامك به، وإعتمادك على حوله وقوّته، فإنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.
يعني إنّ كيفيّة فصول الأذان، يشعر بأنّ مبدء كلّ شيء إنّما هو الله، ومصيرها إليه وقوامك به، وإعتمادك على حوله وقوّته، هذا.
ويستحبّ أن يدعو بعد الإقامة بدعاء التوجه، وهو أن يقول: «اللّهم إنّي أتوجّه إليك بمحمّد وآله، وأقدّمهم بين يدي صلاتي، وأتقرّب بهم إليك، فصلّ عليهم، واجعلني عندك وجيهاً بهم في الدنيا والآخرة، ومن المقرّبين، أنت مننت علينا بمعرفتهم، فاختم لنا بطاعتهم، ومعرفتهم، وولايتهم فإنّها السعادة، فاختم لنا بالسعادة إنّك على كلّ شيء قدير» [أسرار الصلاة للتبريزي ص ١٨٧-١٨٩].

(١) الفقيه باب الاذان والاقامة ص ٧٧ رقم ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ على الترتيب.

وعن الباقر عليه السلام: «المؤذّن يغفر الله له مدّ بصره، ومدّ صوته في السماء، ويصدّقه كلّ رطب ويابس يسمعه، وله من كلّ من يصلّي معه في مسجده سهم، وله بكلّ من يصلّي بصوته حسنة»[١].

وقال عليه السلام: «من أذّن سبع سنين محتسباً، جاء يوم القيامة ولا ذنب عليه»[٢].

وروي: «أنّ الملائكة إذا سمعت الأذان من أهل الأرض قالت: هذه أصوات أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله بتوحيد الله، فيستغفرون الله لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله حتّى يفرغوا من تلك الصلاة»[٣].

وروي: «أنّ من صلّى بأذان وإقامة، صلّى خلفه صفّان من الملائكة، ومن صلّى بإقامة بغير أذان، صلّى خلفه صفٌّ واحدٌ، وحدُّ الصفّ ما بين المشرق والمغرب»[٤].

وفي رواية العبّاس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام «أنّه قال: من أذن وأقام صلّى وراءه صفّان من الملائكة، وإن أقام بغير أذان صلّى عن يمينه واحد وعن شماله واحدٌ، ثمّ قال: اغتنم الصفّين»[٥].

وفي رواية ابن أبي ليلى، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «من صلّى بأذان وإقامة صلّى خلفه صفّان من الملائكة لا يرى طرفاهما، ومن صلّى بإقامة

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الفقيه ص ٧٦ باب الاذان رقم ٢٦، ٢٧، ٢٨ على الترتيب.
(٥) نفس المصدر.

صلّى خلفه ملك»[١].

وروى الحارث بن المغيرة النصري، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «من سمع المؤذّن يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله» فقال مصدّقاً محتسباً: وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، أكتفي بهما عن كلّ من أبى وجحد، وأُعين بهما من أقرّ وشهد» كان له من الأجر عدد من أنكر وجحد، وعدد من أقرّ وشهد»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام لمحمد بن مسلم: يا ابن مسلم: «لا تدعنّ ذكر الله على كلّ حال، ولو سمعت المنادي ينادي بالأذان وأنت على الخلاء فاذكر الله عزّ وجلّ وقل كما يقول المؤذّن»[٣].

أقول: وفي بعض الأخبار أنّه يحولق[٤] عند سماع الجيعلة[٥] «وأنّ من فعل ذلك من قلبه دخل الجنّة» وهو حسن[٦].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الفقيه ص ص ٧٦ باب الآذان رقم ٣١ و ٣٢ على الترتيب.
(٣) نفس المصدر.
(٤) أي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».
(٥) أي «حي على الصلاة، وحي على الفلاح» وهو مصدر جعلي وراجع مكارم الاخلاق ص ٣٤٧ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣١ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٤.

نداء المؤذن وعملية حضور القلب عند سماعه

(٦) قال الزاقي في جامع السعادات: أما الآذان: فإذا سمعت نداء المؤذن، فأخطر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بباطنك وظاهرك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فأعرض قلبك على هذا النداء، =

= فإن وجدته مملوءاً بالفرح والإستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الإبتدار، فإعلم أنه يأتيك النداء بالبُشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال سيد الأنبياء: **«أرحنا يا بلال!»، أي**: أرحنا بها وبالنداء إليها، إذ كانت قرة عينه فيها.
وإعتبر بفصول الآذان وكلماته كيف إفتتحت بالله وإختتمت بالله، واعتبر أن الله جلّ جلاله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير، وإستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذباً في تكبيرك، وأنف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل. وأحضر النبي ﷺ، وتأدب بين يديه، وأشهد له بالرسالة مخلصاً، وصل عليه وآله، وحرك نفسه، واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال وأفضلها. وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذلك كما إفتتحت به. وإجعل مبدءك منه، وعودك إليه، وقوامك به، وإعتمادك على حوله وقوته. فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [جامع السعادات ج ٣ ص ٢٣٨-٢٣٩].

* * *

الإقامة

في سرّهما الجملي وآدابهما الإجمالية

قال الإمام الخميني: إعلم أن السالك إلى الله لا بد له في الأذان أن يعلن للقلب الذي هو سلطان القوى الملكوتية والملكية ولسائر الجنود المنتشرة في الجهات المشتتة للملك والملكوت، إعلان الحضور في المحضر وحيث أنه قد قرب وقت الحضور والملاقاة فيهيىء تلك القوى حتى أنه إن كان من المشتاقين والعاشقين. فلا يفقد الصبر والتحمّل بالتجلّي مفاجاة.
وإن كان من المحجوبين فلا يدخل المحضر المقدس بدون تهيئة الأسباب والآداب فالسرّ الإجمالي للأذان هو الإعلان للقوى الملكوتية والملكية والجيوش الإلهية للحضور، والأدب الإجمالي له هو التنبّه إلى عظمة المقام وخطره وعظمة المحضر والحاضر وتذلّل الممكن وفقره وفاقته ونقصه وعجزه عن القيام بالأمر وعن القابلية للحضور في المحضر إن لم يؤيده اللطف والرحمة للحق جل وعلا ويجبر نقصه.
والإقامة: هي إقامة القوى الملكوتية والملكية في المحضر وإحضارها في الحضور، وأدبها هو الخوف والخشية والحياء والخجل والرجاء الواثق إلى الرحمة غير المتناهية. =

= والسالك لا بد له أن يفهم قلبه في جميع فصول الأذان والإقامة عظمة المحضر والحضور والحاضر ويجعل ذل نفسه وعجزها وقصورها نصب عينيه حتى يحصل الخوف والخشية ومن الجانب الآخر لا بد له أن يريه الرحمة الواسعة والالطاف الكريمة حتى يحصل له الرجاء والشوق، فالقلوب العشقية يغلبها الشوق والجذبة. ويقدم الحب والعشق تضع أقدامها في محضر الأنس، وقلوبهم بواسطة تلك الجذبة الغيبية وبما فيها من عشق المحضر والحاضر تشتغل إلى آخر الصلاة بالمعاشقة والمعانقة مع ذكر الحق وفكره.

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«أفضل الناس من عشق العبادة وعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على يسر أم على عسر».

والقلوب الخوفية يتجلى لها سلطان العظمة وتغلب عليها جذبة القهر وتجعلها في حالة الصعق ويذوّبها الخوف والخشية ويمنعها من كل شيء القصور الذاتي والإستشعار بذلّة نفسه وعجزه.

وفي الحديث عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن لله عبادا كسرت قلوبهم خشيته فأسكتهم عن النطق»).

والحق تعالى يتجلى لأوليائه الكمّل تارة التجلّي اللطفي ويكون العشق والجذبة الحية هاديا لهم، كما في الحديث بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر الصلاة ويشتدّ عشقه وشوقه فيقول لبلال المؤذن: «أرحنا يا بلال» وأخرى يتجلى لهم بتجلي العظمة والسلطنة ويحصل فيهم الخوف والخشية كما نقلت الحالات الخوفية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أئمة الهدى عليهم السلام، وثالثة يتجلى لهم بالتجلي الأحدي الجمعي على حسب طاقة قلوبهم وسعة أوعيتها، ونحن ـ المحجوبين، المشتغلين بالدنيا والمحبوسين في سجن الطبيعة والمغلولين بأغلال الشهوات والآمال، والمحرومين من السعادات العقلية الإلهية الذين لا نصحوا من سكر الطبيعة إلا صبح الأزل، ولا نفيق من نومنا الثقيل أبداً ـ خارجون عن نطاق هذه التقسيمات ومستثنون من نطاق هذا البيان، فآداب الحضور لنا طور آخر والقيام بالوظائف القلبية على شكل آخر ولكن المقدم على الكل أن نخرج من قلوبنا اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله الذي هو من الجنود العظيمة لإبليس ومن القاءات شياطين الإنس والجن ولا نتوهم أن لباس هذه المقامات قد خيّط على إقامة أشخاص خاصة وأيدي=

= آمالنا عنها قاصرة وأرجل سير البشر عنها راجلة فلا نخطو خطوة أصلاً ونبقى بالبرودة والوهم مخلّدين في أرض الطبيعة، لا فليس الأمر على ما نتوهّم.
نعم في نفس الوقت أيضاً أنا أقول: إن المقام الخاص لكمّل أهل الله لا يتيسّر لأحد ولكن للمقامات المعنوية والمعارف الإلهية مدارج غير متناهية ولها مراتب كثيرة يتيسّر للنوع أكثر تلك المقامات والمعارف والحالات والمدارج، إن تركتهم البرودة والتهاون الذي في أنفسهم، وترتفع يد العناد والتعصب لأهل الجهل والعناد عن قلوب عباد الله ولا يكون لهم شيطان طريق سلوكهم، فأدب الحضور بالنسبة إلينا هو أنه حيث أنا في بدء الأمر لم نتجاوز عن مرتبة الحس والظاهر، وليس في أعيننا سوى العظمة والجلالة الدنيوية وليس عندنا أي خبر عن العظمات الغيبية الإلهية، فلا بد لنا أن نرى محضر الحق تعالى كمحضر سلطان عظيم الشأن قد أدرك القلب عظمته وأن نفهم قلوبنا أن كل عظمة وجلال وكبرياء هي تجلٍ من عظمة عالم الملكوت قد تنزّلت في هذا العالم، وأن عالم الملكوت بالنسبة إلى العوالم الغيبية وفي جنبها ليس له قدر محسوس، فنفهّم القلب أن العالم هو المحضر المقدّس لحضرة الحق وأن الحق تعالى حاضر في جميع الأمكنة والاحياز، وبالخصوص فإن الصلاة هي إذن خاص للحضور وميعاد مخصوص للملاقاة والمراودة مع الحضرة الأحدية فإذا جعلنا القلب مستشعراً العظمة والحضور وإن كان ذلك في بدء الأمر مع التكلّف ولكن يستأنس به القلب على التدريج ويكون هذا المجاز حقيقة، فإذا قمنا بالآداب الصورية للتعامل مع مالك الملوك، وأتينا بالآداب الحضورية الظاهرية فيحصل أثر منها في القلب أيضاً، ويستشعر القلب العظمة ويصل الإنسان تدريجياً إلى النتائج المطلوبة وكذلك بالنسبة إلى آثار الحب والعشق فإنها أيضاً تحصل بالتحصيل والرياضة، ففي أول الأمر لا بد أن يعرض على النفس الرحمات الصورية والألطاف الحسية ويوصل إلى القلب مقام الرحمانية والرحيمية والمنعمية كي يستأنس القلب على التدريج ويحصل الأثر في الباطن من الظاهر وتتنوّر مملكة الباطن من آثار الجمال وتحصل النتائج المطلوبة والأنسان إذا قام بالأمر وجاهد في سبيل الله فالحق تعالى يؤيده وينجيه باليد الغيبية من ظلمات عالم الطبيعة وينوّر أرض قلبه المظلمة بإشراق نور جماله ويبدله بها السموات الروحية ومن يقترف حسنه نزد فيها حسنا إن الله غفور رحيم. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٢٨-٢٣١]. =

في بعض آداب تكبيرات الأذان والإقامة وأسرارهما

= **قال الإمام الخميني**: إعلم أن الأذان حيث إنه إعلام الحضور لقوى النفس الظاهرة والباطنة في محضر الحق الربوبي لأجل الثناء على الذات المقدسة على حسب جميع الأسماء والصفات والشؤون والآيات لأن الصلاة كما أشير إليها ثناء جامع ومورد هذا الثناء هو الذات المقدسة على حسب تجلّيها بالإسم الأعظم الذي هو مقام أحدية جميع الأسماء في الحضرة الواحدية ومقام التجلي بالجمع والتفريق والظهور والبطون في حضرات الأعيان والأسماء العينية، فالسالك يتوجّه في بدء الأمر إلى كبرياء الذات المقدسة على حسب هذا الشأن الجامع فيعلن عظمتها وكبرياءها أولاً على قوى مملكة نفسه الملكوتية منها والملكية. وثانياً على ملائكة الله الموكلة على ملكوت السموات والأرضين فيعلن على حسب التكبيرات الأربعة كبرياء الإسم الأعظم على جميع سكنة عوالم الغيب والشهادة في المملكة الداخلية والخارجية، وهذا نفسه إعلان بعجزه عن القيام بالثناء على الذات المقدسة وإعلام قصور نفسه عن إقامة الصلاة وهذا هو من الأمور الشاملة في السلوك والآداب المحيطة على الثناء والعبادة، لا بد أن يكون في جميع أحوال الصلاة نصب عين السالك ولهذا يكرّر في الأذان والإقامة ويكرّرها دائماً في الصلاة ويعاد في حال الإنتقال من كل حال إلى حال آخر حتى يتمكن في قلب السالك القصور الذاتي لنفسه والعظمة والكبرياء للذات المقدسة.

ومن هنا يعلم أدبه أيضاً من أنه لا بد للسالك أن يذكّر القلب وقواه بعجز نفسه وكبرياء الحق.

وبوجه آخر يمكن أن تكون التكبيرات الأولية فى الأذان كل واحدة منها إشارة إلى مقام.

فتكون التكبيرة الأولى: إشارة إلى التكبير عن التوصف ذاتاً.

والثانية: إلى التكبير عن التوصف وصفاً.

والثالثة: إلى التكبير عن التوصف إسماً.

والرابعة: إلى التكبير عن التوصف فعلاً.

فكان السالك يقول: الله أكبر من أن توصف ذاته أو تجليات ذاته والله أكبر من أن توصف صفاته وأسماؤه وأفعاله أوتجلياتها بحسبها.

وفي حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والوجه الآخر الله أكبر فيه نفي كيفيته كأنه يقول - أي المؤذن -: الله أجلّ من أن يدرك الواصفون قدر صفته التي هي=

= موصوف بها وإنما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله تعالى الله عن أن يدرك الواصفون صفته علوّاً كبيراً» الحديث. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٣٨-٢٣٩].

من الآداب المهمة للتكبير

ومن الآداب المهمة للتكبير أن السالك عليه أن يجاهد ويجعل قلبه محلاً لكبرياء الحق جلّ جلاله بالرياضيات القلبية ويحصر كبر الشأن والعظمة والسلطان والجلال بذات الحق المقدسة جلّ وعلا ويسلب الكبرياء عن سائر الموجودات، وإذا كان في القلب أثر من كبرياء أحد لا يراه ولا يعلمه شعاع كبرياء الحق فقلبه مريض ومعلول ومورد لتصرف الشيطان وربما تكون التصرفات الشيطانية سبباً لأن يكون سلطان الكبرياء لغير الحق في القلب أكثر من الحق ويعرفه القلب أكبر من الحق، ففي هذه الصورة يكون الإنسان محسوباً في زمرة المنافقين، وعلامة هذا المرض المهلك إن الإنسان يقدّم رضا المخلوق على رضا الحق ليسخط الخالق لرضا المخلوق. وفي الحديث قال الصادق عليه السلام: **«إذا كبّرت فإستصغر ما بين العلا والثرى دون كبريائه فإن الله إذا إطلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني، وعزّتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ولأحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي»**. يقول عليه السلام: **إذا كبّرت فإستصغر في محضر كبرياء تلك الذات المقدسة ما في الكون من الأرض إلى العرش لأن الله تبارك وتعالى إذا رأى عبداً يكبّر ولكن في قلبه علّة عن حقيقة التكبير ـ يعني أن قلبه لا يوافق ما يجريه على اللسان ـ يقول: يا كاذب أتخدعني وعزّتي وجلالي..** إلى آخر الحديث.

فيا أيها العزيز إن حرمان قلوبنا المسكينة من حلاوة ذكر الحق تعالى وإن لذة مناجاة تلك الذات المقدسة لم ترد في ذائقة أرواحنا ونحن محتجبون عن الوصول إلى قرب الجناب ومحرومون من تجليات الجمال والجلال لأن قلوبنا عليلة ومريضة وقد حجبنا الإخلاد إلى الأرض والإحتجاب بالحجب المظلمة للطبيعة عن معرفة كبرياء الحق وأنوار الجمال والجلال، فما دام نظرنا إلى الموجودات نظراً إبليسياً إستقلالياً فلا نذوق من شراب الوصل، ولا ننال لذة المناجاة، وما دمنا نرى لأحد في عالم الوجود العزّة والكبرياء والعظمة والجلال ونحن في حجاب أصنام التعيّنات الخلقية فلا يتجلى سلطان كبرياء الحق جلّ وعلا في قلوبنا.
=

= فمن آداب التكبير: هو أن السالك لا يتوقف على صورته ولا يكتفي اللفظ فقط ولقلقة اللسان بل ينبّه القلب في أول الأمر بقوة البرهان ونور العلوم الإلهية، على كبرياء الحق وأنّ العظمة والجلال مقصورة على الذات المقدسة جلّت عظمتها وعلى فقر كافة السكنة الإمكانية وقاطبة الموجودات الجسمانية والروحانية وذلّتها ومسكنتها، وبعد ذلك فبقوة الرياضة وكثرة المراودة والأنس التام يحيي قلبه بهذه اللطيفة الإلهية ويعطيه السعادة والحياة العقلية الروحانية، فإذا صار فقر الممكن وذلّته وعظمة الحق وكبرياؤه جلّت قدرته نصب عين السالك ووصل التفكر والذكر إلى حد النصاب وحصل للقلب الأنس والسكينة فيشاهد بعين البصيرة آثار جلال الحق وكبريائه في جميع الموجودات وتعالج العلل والأمراض القلبية فيجد لذة المناجاة وحلاوة ذكر الله ويصير القلب مقراً لسلطان كبرياء الحق جلّ جلاله وتظهر آثار الكبرياء في ظاهر المملكة وباطنها ويوافق القلب واللسان والسر والعلن فتكبّر جميع قوى الباطن والظاهر والملك والملكوت ويرتفع أحد الحجب الغليظة ويقترب السالك مرحلة إلى حقيقة الصلاة التي هي معراج القرب.

وقد أشير إلى بعض ما ذكر في الحديث المنقول عن العلل، عن الصادق عليه السلام في حديث طويل يصف فيه المعراج قال: «أنزل الله العزيز الجبار عليه مَحمَلاً من نور فيه أربعون نوعاً من أنواع النور كانت محدقة حول العرش، عرشه تبارك وتعالى تغشي أبصار الناظرين، أما واحد منها فأصفر، فمن أجل ذلك اصفرّت الصفرة، وواحد منها أحمر، فمن أجل ذلك إحمرّت الحمرة. إلى أن قال: فجلس فيه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فنفرت الملائكة إلى اطراف السماء ثم خرّت سجّداً فقال سبّوح قدّوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرائيل: الله أكبر الله أكبر فسكتت الملائكة وفتحت السماء واجتمعت الملائكة ثم جاءت وسلّمت على النبيّ صلى الله عليه وآله أفواجاً» الحديث.

وفي هذا الحديث أسراراً عظيمة تقصر أيدي آمالنا عنها، وما يمكن أن يذكر منها خارج فعلاً عن مقصدنا كسرّ تنزّل محمل من نور وسرّ كثرة الأنوار، وسر كثرتها النوعية وسر عدد الأربعين وسر تنزيل الله إياها وسر أحاطتها حول العرش، وحقيقة العرش في هذا المقام وسر إصفرار الصفرة وإحمرار الحمرة بواسطتها وسرّ نفور الملائكة وسجودهم وتسبيحهم وتقديسهم وتشبيههم ذلك النور بنور الرّبّ إلى غير ذلك مما يطول البيان في أطراف كل منها، وما يناسب المقام ويشهد على المطلب هو أن الملائكة بواسطة تكبير=

= جبرائيل سكنت وإطمأنت وإجتمعت حول جمع شمع الوليّ المطلق. وفتحت السماء الأولى بواسطة التكبير وخرق أحد الحجب الذي كان في طريق العروج إلى الله وليعلم أن هذه الحجب التي تخرق وترفع في الأذان غير الحجب التي في التكبيرات الإفتتاحية، ولعله تأتي الإشارة إلى ذلك فيما بعد إن شاء الله.

ولعل السر في أن الوارد في الإقامة هو تكبيرتان، إن السالك قد أقام قواه في المحضر وإنتقل من الكثرة إلى الواحدة شيئاً ما فيكبّر الذات والأسماء أو الأسماء والصفات، ولعل تكبير الصفات والأفعال يكون منطوياً في تكبير الذات والأسماء [الأداب المعنوية للصلاة ص ٢٤٨-٢٥٢].

في بعض آداب الشهادة بالالوهية وبيان ربطها بالأذان والصلاة

قال الإمام الخميني: فإعلم أن للالوهية مقامات يعبّر عنها على حسب الجمع بمقامين:

الأول: مقام الالوهية الذاتية. **والثاني**: مقام الالوهية الفعلية.

وإذا كان المقصود من الشهادة على قصر الالوهية في الحق هو الالوهية الذاتية تكون حقيقتها متقاربة مع التكبير، وإذا كانت مشتقة من آله في الشيء أي تحيّر فيه، أو مشتقة من لاه بمعنى إرتفع، أو مشتقة من لاه يلوه بمعنى إحتجب فيعلم ربطه بالأذان والصلاة بعد المراجعة إلى باب التكبير، ويعلم أدبها أيضاً وإعادته وإن لم تكن خالية من بعض الفوائد ولكنها منافية للإختصار.

وإن كان الإله مأخوذ من آله بمعنى عبد ويكون المراد هو المألوه بمعنى المعبود فعلى السالك أن يجعل الشهادة الصورية على قصر المعبودية للحق تعالى جلّت عظمته منطبقة على الشهادة القلبية الباطنية، ويعلم أنه إن كان في القلب معبود سواه فهو منافق في هذه الشهادة فلا بد له أن يوصل الشهادة بالالوهية إلى القلب بكل رياضة ويكسر الأصنام الصغيرة والكبيرة المنحوتة بيد تصرف الشيطان والنفس الأمارة في كعبة القلب ويحطّمها حتى يصير لائقاً لحضور حضرة القدس وما دامت أصنام حب الدنيا والشؤون الدنيوية موجودة في كعبة القلب لا يجد السالك طريقاً إلى المقصد، فالشهادة بالالوهية للإعلان للقوى الملكية والملكوتية أن تجعل المعبودات الباطلة والمقاصد المعوجّة تحت قدمها كي تتمكن من العروج إلى معراج القرب. =

= وإذا كان المقصود من قصر الالوهية، الالوهية الفعلية التي هي عبارة أخرى عن التصرف والتدبّر والتأثير فيكون معنى الشهادة أني أشهد أن لا متصرف في دار التحقق ولا مؤثر في الغيب والشهادة إلا ذات الحق المقدسة جلّ وعلا وإذا كان في قلب السالك إعتماد على موجود من الموجودات وإطمئنان لأحد من العباد فقلبه معتل وشهادته زور ومختلفة، فلا بد للسالك أن يُحكم أولاً بالبرهان الحكمي حقيقة لا مؤثر في الوجود إلا الله ولا يفرّ من المعارف الإلهية التي هي غاية بعثة الأنبياء ولا يعرض عن تذكر الحق والشؤون الذاتية والصفاتية، فإن منبع جميع السعادات هو تذكر الحق. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا. وبعدما وصل بقدم التفكير والبرهان إلى هذه اللطيفة الإلهية التي هي منبع المعارف الإلهية وباب أبواب الحقائق الغيبية فيؤنس القلب معها بقدم التذكر والرياضة حتى يؤمن القلب بها، وهذا أول مرتبة لصدق مقالته وعلامة الإنقطاع إلى الحق وغضّ بصر الطمع والرجاء عن جميع الموجودات ونتيجته التوحيد الفعلي الذي هو من أجلّ مقامات أهل المعرفة، فإذا قصرّ السالك جميع التأثيرات على الحق وغمض عين الطمع عن جميع الموجودات سوى الذات المقدسة يكون لائقاً للمحضر المقدس بل يكون قلبه متوجهاً إلى ذلك المحضر فطرة وذاتاً، ولعلّ تكرار الشهادة لأجل التمكين ويكون المقصود من الشهادة إحدى الشهادتين، ولعله لا يكون تكراراً وتكون إحداهما إشارة إلى الالوهية الذاتية والأخرى إشارة إلى الالوهية الفعلية، ففي هذه الصورة تكون آعادتها في آخر الإقامة للتمكين فلذا لم يذكر هناك بلفظ الشهادة.

تنبيه عرفاني

إعلم أن للشهادة مرتب نكتفي ببعضها على حسب ما يناسب هذه الأوراق.

المرتبة الأولى: الشهادة القولية وهي معلومة، وهذه الشهادة القولية إذا لم تكن مشفوعة بالشهادة القلبية ولو ببعض مراتبها النازلة لا تكون شهادة بل تكون خدعة ونفاقاً كما ذكر في الحديث عن الصادق عليه السلام في باب التكبير.

المرتبة الثانية: الشهادة الفعلية: وهي أن يشهد الإنسان على حسب الأعمال الجوارحية فمثلاً يُدخل في طور أعماله وجريان أفعاله حقيقة لا مؤثر في الوجود إلا الله فكما أن لازم شهادته القولية ألاّ يعلم أحداً مؤثراً إلا الله تكون خريطة أعماله أيضاً كذلك فلا يمدّ يد حاجته إلا إلى المحضر المقدس للحق جلّ وعلا ولا يفتح عين رجائه إلى موجود من=

= نفسه من دون التمسك بولايتهم وسلوكه إلى الشيطان والهاوية.

وبيان علمي كما أن ربط الحادث بالقديم، والمتغيّر بالثابت، محتاج إلى الواسطة، والرابط تكون له وجهتا الثبات والتغير والقدم والحدوث، وإذا لم تكن الواسطة، موجودة فلا يعبر في السنّة الإلهية الفيض القديم الثابت منه إلى المتغيّر الحادث. ولا تحصل الرابطة الكونية الوجودية، والأنظار العلمية لأرباب العلوم البرهانية بالنسبة إلى الرابط بين هذين مختلفة، كما أن للذوق العرفاني إقتضاء آخر يخرج تفصيله عن عهدة هذه الأوراق، وفي الذوق العرفاني الرابط هو الفيض المقدس والوجود المنبسط الذي له مقام البرزخية الكبرى والواسطية العظمة وهو بعينه مقام روحانية الرسول الخاتم وولايته المتحدة مع مقام الولاية المطلقة العلوية.

وقد ورد تفصيل ذلك في رسالتي مصباح الهداية كذلك في الرابطة الروحانية العروجية التي هي عكس الرابطة الكونية النزولية، وبعبارة أخرى في قبض الوجود والرجوع إلى ما بدىء، يحتاج إلى الواسطة وبدونها لا تتحقق الرابطة ولا يتحقق إرتباط القلوب الناقصة المقيدة والأرواح النازلة المحدودة بالتام الذي هو فوق التمام ومطلق من جميع الجهات من دون الوسائط الروحانية والروابط الغيبية، وإذا ظنّ أحد أن الحق تعالى قيّوم لكل موجود ومحيط بكل الألوان من دون وساطة الوسائط كما أشير إلى ذلك في الآية الشريفة: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ فقد إختلطت عنده المقامات وإشتبهت عليه الإعتبارات وخلط مقام كثرة مراتب الوجود بفناء التعينات وليس لهذا البحث ربط كامل بهذه الرسالة، وهذا المقدار أيضاً صار من طغيان القلم.

وبالجملة، التمسّك بأولياء النعم الذين إهتدوا إلى طريق العروج إلى المعارج وأتمّوا السير إلى الله من لوازم السير إلى الله كما أشير إلى ذلك في الأحاديث الكثيرة، وقد عقد في الوسائل باباً في أن العبادة بدون ولاية الأئمة والإعتقاد بإمامتهم باطلة.

وقد روي عن الكافي الشريف بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت باقر العلوم عليه السلام يقول: «واعلم يا محمد أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا فأعمالهم التي يعملونها كرماد إشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد». وفي رواية أخرى، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ=

= الله فيواليه فتكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه وما كان من أهل الإيمان».

وروى الصدوق(قدس سره)، بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «أيّ البقاع أفضل؟ فقلت الله ورسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً». والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تسعها هذه الرسالة.

آداب الشهادة بالرسالة

وأما آداب الشهادة بالرسالة فهي أن يوصل الشهادة بالرسالة من الحق إلى القلب وخصوصاً الرسالة الختمية التي جميع دائرة الوجود من عوالم الغيب والشهود تنعّم تكوينا وتشريعا ووجودا وهداية من سقطات موائد نعمه وإن ذاك السيد الكريم هو الواسطة لفيض الحق والرابط بين الحق والخلق، ولولا مقام روحانيته وولايته المطلقة لم يكن لأحد من الموجودات لياقة الإستفادة عن مقام الإستفادة عن مقام الغيب الأحدي ولما عبر فيض الحق إلى موجود من الموحودات، ولما أشرق نور الهداية في عالم من عوالم الظاهر والباطن، وذاك السيد لهو النور الذي ورد في آية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فإذا دخلت عظمة شرع الدين ورسول رب العالمين في قلب الإنسان يدخل فيه أهمية أحكامه وسننه وعظمتها، فإذا أدرك القلب عظمتها تخضع له سائر القوى الملكية والملكوتية وتنفذ الشريعة المقدسة في جميع المملكة الإنسانية، وعلامة صدق الشهادة أنه تظهر آثارها في جميع القوى الغيبيّة والظاهرة ولا تتخلف عنها كما أشير إليه في السابق.

وقد علم ممّا ذكر إلى الآن إرتباط الشهادة بالرسالة بالآذان وإقامة الصلاة لأن السالك في هذا الطريق الروحاني محتاج إلى التمسك بذاك الوجود المقدّس حتى يعرج بمصاحبته وتأييده هذا العروج الروحاني.

والوجه الآخر، هو أن الشهادة إعلاناً للقوى الملكية والملكوتية بأن الصلاة التي هي معراج المؤمنين ومنبع معارف أصحاب العرفان وأرباب الإيقان هي نتيجة الكشف التام المحمدي صلى الله عليه وآله، وهو صلوات الله عليه وآله بسلوكه الروحاني والجذبات الإلهية والجذوات الرحمانية قد وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى وتبعاً للتجليات الذاتية والأسمائية=

= الموجودات ويظهر الغنى والإستغناء عند العباد الضعفاء ويجتنب عندهم عن الضعف والذلة والعجز، وهذا المعنى وارد في كثير من الأحاديث الشريفة. كما في حديث الكافي الشريف: «إن عزّ المؤمن إستغناؤه عن الناس» وإن من إحدى المستحبات الشرعية إظهار النعمة والغنى، ومن المكروهات طلب الحوائج من الناس.

وبالجملة، على الإنسان أن يجري اللطيفة الإلهية: لا مؤثر في الوجود إلا الله في مملكته الظاهرة.

المرتبة الثالثة: الشهادة القلبية، وهي منبع الشهادات الأفعالية والأقوالية، وما لم تكن تلك لا تكون هذه ولا تتحقق وهي أن يتجلى التوحيد الفعلي للحق في القلب ويدرك القلب بسرّه الباطني حقيقة هذه اللطيفة وينقطع عن سائر الموجودات وينفصل عنها، وعمدة الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة في ترك الطمع في الناس واليأس من العباد والثقة والإعتماد على الله تبارك وتعالى راجعة إلى هذا المقام.

عن الكافي، بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «رأيت الخير كله قد إجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء وردّ أمره إلى الله تعالى في جميع أموره إستجاب الله تعالى له في كل شيء». والأحاديث من هذا القبيل كثيرة.

المرتبة الرابعة: الشهادة الذاتية، والمقصود منها الشهادة الوجودية وهي تتحقق في الكمّل من الأولياء، وفي نظر الأولياء هذه الشهادة بمعنى موحودة في جميع الموجودات، ولعل الآية الشريفة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ إشارة إلى الشهادة الذاتية لأن الحق تعالى في مقام أحدية الجمع يشهد شهادة ذاتية بوحدانية نفسه لأنّ صرف الوجود له أحدية ذاتية، وعند طلوع يوم القيامة يظهر بالوحدانية التامة وتظهر هذه الأحدية أولاً في مرآة الجمع وبعده في مرآة التفصيل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهنا مقامات من المعارف خارجة عن عهدة هذه الأوراق.

عن محمد بن مسعود العياشي في تفسيره، عن عبد الصمد إبن بشير قال: ذكر عند أبي عبد الله بدء الآذان إلى أن قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان نائماً في ظل الكعبة فأتاه جبرائيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه وأمره أن يغتسل به ثم وضع في محمل له ألف ألف لون من نور ثم صعد به حتى إنتهى إلى أبواب السماء فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء وقالت: إلهين إله في الأرض وإله في السماء فأمر الله جبرائيل فقال: الله أكبر الله أكبر=

= فتراجعت الملائكة نحو أبواب السماء ففتحت الباب فدخل حتى إنتهى إلى السماء الثانية فنفرت الملائكة عن أبواب السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فتراجعت الملائكة وعلمت أنه مخلوق ثم فتح الباب فدخل» الحديث.

وقد ورد في حديث العلل ما يقرب من هذا المضمون.

ويعلم من هذه الأحاديث أن الشهادة بالألوهية موجبة لفتح أبواب السماء وخرق الحجاب وباعث لإجتماع ملائكة الله، وهذا الحجاب الذي يخرق بواسطة الشهادة بالألوهية وقصرها في الذات المقدسة من الحجب الغليظة الظلمانية التي ما دام السالك فيها لا يوجد له طريق إلى الحضور في المحضر، وما لم يفتح هذا الباب له فليس له طريق إلى السلوك وهو حجاب الكثرة الافعالية والوقوع في الاحتجاب التكثيري الذي نتيجته رؤية فاعلية الموجودات ومؤثريها وثمرة هذه الرؤية رؤية إستقلالها في الفاعلية والتفويض المحال والشرك الأعظم كما أن نتيجة الشهادة بالالوهية وحصرها في الحق تعالى هو التوحيد الإفعالي وإفناء الكثرات في فعل الحق ونفي التأثير والفاعلية عن الغير وطرد الإستقلال عن غير الحق تعالى، ومن هذه الجهة خرج الملكوتيون عن حجاب كثرة إله في السماء وإله في الأرض بواسطة هذه الشهادة ورجعت إلى الأنس ولإجتماع من النفور والتفرقة وفتحت أبواب السماء. فالسالك أيضاً لابدّ له أن يخرق بهذه الشهادة حجاب نفسه الظلماني ويفتح أبواب السماء لنفسه ويرفع قدما من الحجاب العظيم وهو الإستقلال ليقترب له طريق العروج إلى معراج القرب. ولا تحصل هذه الحقيقة بلقلقة اللسان والذكر القولي، ولهذا لا تتجاوز عباداتنا عن حد الصورة والدنيا، ولا يفتح لنا الباب ولا يرفع لنا الحجاب. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٥٢-٢٥٨].

في بعض اداب الشهادة بالرسالة، وفيها إشارة إلى الشهادة بالولاية

قال الإمام الخميني: إعلم أنه لا يمكن طيّ هذا السفر الروحاني والمعراج الإيماني بهذه الرجل المكسورة والعنان المرخي والعين العمياء والقلب الذي هو بلا نور. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.. فمن المحتوم واللازم لسلوك هذا الطريق الروحاني وعروج هذا المعراج العرفاني التمسك بمقام روحانية هداة طرق المعرفة وأنوار سبل الهداية الذين هم الواصلون إلى الله والعاكفون على الله ولو أراد أحد أن يطوي هذا الطريق بقدم أنانية=

= والصفاتية والإلهامات الأنسيّة كشف حقيقة هذه الصلاة من الحضرة الغيبيّة الأحدية، وفي الحقيقة هي هدية (وسوقات) لأمّته خير الأمم جاء بها من هذا السفر المعنوي الروحاني ومنّ عليهم بها وأغرقهم في بحر النعمة فإذا إستقرّت هذه العقيدة في القلب وتمكن بالتكرار فيدرك السالك عظمة المقام وجلالة المحلّ البتة ويطوي هذه المرحلة بقدمي الخوف والرجاء، والمرجو منه ﷺ أن يؤيده أن شاء الله ويقرّبه إلى مقام القرب الأحدي الذي هو المقصد الأصلي والمقصود الفطري، إذا قام السالك للأمر بمقدار مقدوره وقد ثبت في العلوم الإلهية أن معاد جميع الموجودات إنما يتحقق بتوسط الإنسان الكامل ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ بكم فتح الله وبكم يختم الله وإياب الخلق إليكم. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٥٩-٢٦٢].

في بعض آداب الحيعلات

قال الإمام الخميني: إذا أعلن السائل إلى الله التكبيرات عظمة الحق تعالى عن التوصيف وبالشهادة بالالوهية قصر التوصيف والتحميد بل كل تأثير على الحق وأسقط نفسه عن اللياقة للقيام بالأمر وإختار الرفيق والمصاحب بالشهادة بالرسالة والولاية وتمسك بمقام الخلافة والولاية وتمسك بمقام الخلافة والولاية المقدسة كما قيل الرفيق ثم الطريق وبعد ذلك كله لا بدّ أن يهيّىء القوى الملكية والملكوتية بصراحة اللهجة للصلاة ويعلن لها إعلان الحضور بقوله: «حيّ على الصلاة» وتكرارة للتنبّه التام والإيقاظ الكامل أو أن أحدهما لقوى المملكة الداخلية والأخر لقوى المملكة الخارجية لأنهما أيضاً سلاّك هذا السفر مع الإنسان، كما أشير إلى ذلك فيما مرّ ونشير إليه فيما يأتي وأدب السالك في هذا المقام هو أن يفهم قلبه وقواه ويفهم باطن قلبه قرب الحضور حتى يتهيّأ له ويراقب آدابه الصورية والمعنوية كمال المراقبة ثم يعلن سرّ الصلاة ونتيجتها بقوله: «حيّ على الفلاح وحيّ على خير العمل»، كي يوقظ الفطرة لأن الفلاح والنجاح هي السعادة المطلقة لأن الفطرة طالبة للكمال وتطلب الراحة وحقيقة السعادة هي الكمال المطلق وفطرة جميع البشر عاشقة للسعادة المطلقة لأن الفطرة طالبة للكمال وتطلب الراحة وحقيقة السعادة هي الكمال المطلق والراحة المطلقة وهي في الصلاة التي هي خير الأعمال تحصل قلباً وقالباً وظهوراً وبطوناً لأن الصلاة بحسب الظاهر هي الذكر الكبير والجامع والثناء بالإسم الأعظم المستجمع لجميع الشؤون الإلهية ولهذا كان الآذان والإقامة مفتتحين بالله ومختتمين به=

= ويكرّر الله أكبر في جميع الحالات الصلاة وإنتقالاتها والتوحيدات الثلاثة التي هي قرّة عين الأولياء تحصل في الصلاة وإمتزج فيها صورة الفناء المطلق والرجوع التام وبحسب الباطن والحقيقة هي معراج قرب الحق وحقيقة الوصول إلى جمال الجميل المطلق والفناء في ذاته المقدسة التي تعشقها الفطرة وتحصل بها الطمأنينة التامة والراحة المطلقة والسعادة العقلية التامة ألا إلى الله تطمئن القلوب، فإذا الكمال المطلق وهو الوصول إلى فناء الله والإتصال بالبحر الوجودي غير المتناهي وشهود جمال الأزل والإستغراق في بحر النور المطلق تحصل في الصلاة وفيها أيضاً تحصل الراحة المطلقة والإستراحة التامة والطمأنينة التامة ويحصل ركن السعادة، فالصلاة هي الفلاح المطلق وهي خير الأعمال وعلى السالك أن يفهّم القلب هذه اللطيفة الإلهية بالتكرار والتذكر التام ويوقظ الفطرة فإذا وردت هذه اللطيفة في القلب فالفطرة من حيث إنها طالبة للكمال والسعادة تهتمّ بها وتحافظ عليها وتراقبها، وفي تكرارهما أيضاً النكتة التي ذكرناها.

فإذا وصل السالك إلى ذلك المقام يعلن إعلان الحضور فقد قامت الصلاة فلا بد أن يرى نفسه في حضرة مالك الملوك في العوالم الوجودية وسلطان السلاطين والعظيم المطلق ويفهّم قلبه الأخطار التي في الحضرة ويَرجع الكل إلى القصور والتقصير الإمكاني ويرد المحضر بكمال الإنفعال والخجلة من عدم القيام بالأمر وقدمي الخوف والرجاة ويفد على الكريم ولا يرى لنفسه زاداً وراحلة ويرى قلبه فارغاً عن السلامة ولا يحسب عمله من الحسنات ولا يعدّه أقل شيء فإذا إستحكمت هذه الحال في القلب فالمرجو أن يقع مورداً للعناية، أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

عن محمد بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أذنت وأقمت صلّى خلفك صفان من الملائكة وإذا أقمت صلّى خلفك صف من الملائكة» والأحاديث بهذا المضمون كثيرة. وفي بعض الأخبار: «أن حدّ الصف ما بين المشرق والمغرب».

وفي ثواب الأعمال، قال أبو عبد الله عليه السلام: «من صلّى بأذان وإقامة، صلّى خلفه صفان من الملائكة، ومن صلّى بإقامة من غير أذان، صلّى خلفه صف واحد من الملائكة، قلت له: وكم مقدار كل صف؟ فقال: أقلّه ما بين المشرق والمغرب وأكثره ما بين السماء والأرض». وفي بعض الروايات: «وإن أقام بغير أذان صلّى عن يمينه واحد وعن شماله واحد» إلى غير ذلك من الأخبار. ولعل إختلاف الأخبار بواسطة إختلاف المصلين من=

فضيلة المكتوبة

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[(١)].

وفي الفقية، قال النبي ﷺ: «ما من صلاة يحضر وقتها إلاّ نادى ملك بين يدي النّاس: أيّها النّاس قوموا إلى نيرانكم الّتي أوقدتموها على ظهوركم، فاطفؤوها بصلاتكم»[(٢)].

ودخل رسول الله ﷺ المسجد وفيه ناس من أصحابه فقال: «تدرون ما قال ربّكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: إنّ ربّكم يقول: إنّ هذه الصلوات الخمس المفروضات من صّلاهنّ لوقتهنّ، وحافظ عليهنّ لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنّة، ومن لم يصلهنّ لوقتهنّ ولم يحافظ عليهنّ فذاك إليّ إن شئت عذّبته وإن شئت غفرت له»[(٣)].

= المعارف والخلوص كما يستفاد ذلك من بعض روايات الباب مثل الرواية التي وردت في الصلاة مع الأذان والإقامة في أرض قفراء.

وبالجملة، إذا رأى السالك نفسه إماماً لملائكة الله وقلبه إماماً لقواه الملكية والملكوتية وجمع بالأذان والإقامة قواه الملكية والملكوتية وإجتمعت عليه ملائكة الله، فعليه أن يجعل القلب وهو أفضل قوى الظاهر والباطن وشفيع سائر القوى إماماً، وحيث إن القلب ضامن لقراءة المأمومين ووزرها على عهدته فلا بدّ له أن يحافظ عليه محافظة تامة ويراقبه مراقبة جميلة لكي يحفظ القلب على الحضرة والحضور ويقوم بأدب المقام المقدّس ويغتنم هذا الإجتماع المقدس ويعظّم توجّه ملائكة الله وتأييدهم إيّاه ويعرفه من النعم لوليّ النعمة الحقيقي ويقدّم عجزه وقصوره عن شكر هذه النعم العظيمة إلى مقامه المقدس إنه وليّ النعم. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٦٧-٢٧٠].

(١) سورة النساء: الآية، ١٠٣.

(٢) في الفقيه ص ٥٥ باب فضل الصلاة تحت رقم ٣ و٤ و٥ على الترتيب.

(٣) نفس المصدر.

وقال الصادق عليه السلام: «أوّل ما يحاسب به العبد عن الصلاة فإذا قبلت منه قبل سائر عمله، وإذا ردّت عليه ردّ عليه سائر عمله»(١).

وقال عليه السلام: «صلاة فريضة خيرٌ من عشرين حجّة، وحجّة خيرٌ من بيت مملوّ ذهباً يتصدّق منه حتّى يفنى»(٢).

وسأله معاوية بن وهب عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وأحبّ ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو؟ فقال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾»(٣).

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «الصلاة قربان كلّ تقيّ»(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء»(٥).

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّما مثل الصلاة فيكم كمثل السريّ - وهو النهر - على باب أحدكم، يخرج إليه في اليوم واللّيلة، يغتسل منه خمس مرّات، فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرات، ولم يبق الذنوب على الصلاة خمس

(١) نفس المصدر.
(٢) في الفقيه ص ٥٥ باب فضل الصلاة تحت رقم ٩ و ١٣ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ على الترتيب.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

مرّات»(١). وقال الصادق عليه السلام: «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذّبه، ومن قبل الله له حسنة لم يعذّبه»(٢).

وقال عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حبس نفسه على صلاة فريضة ينتظر وقتها، فصلاّها في أوّل وقتها، فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها، ثمّ مجّد الله عزّ وجل وعظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة أُخرى لم يلغ بينهما، كتب الله له كأجر الحاجّ المعتمر، وكان من أهل علّيين»(٣).

أقول: وفي الصّحيح عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين المسلم وبين أن يكفر إلاّ أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً، أو يتهاون بها، فلا يصلّيها»(٤).

وفي رواية أُخرى: «من ترك صلاة متعمّداً فقد كفر»(٥).

قال أبو حامد: «أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده، كما يقال لمن قارب المدينة: إنّه بلغها ودخلها».

فضيلة إتمام الاركان

في الفقيه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصلاة ميزان من وفّى استوفى»(٦).

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) في الفقيه ص ٥٦ باب فضل الصلاة تحت رقم ٢١.
(٤) محاسن البرقي ص ٨٠، وعقاب الاعمال للصدوق ـ رحمه الله ـ ص ٢٢٣.
(٥) رواه الطبراني في الاوسط كما في الجامع لصغير باب الميم.
(٦) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ١، الكافي ج٣ ص ٢٦٦ تحت رقم ١٣. وأخرجه البيهقي في شعب الايمان كما في الجامع الصغير باب الصاد.

يعني بذلك أن يكون ركوعه مثل سجوده، ولبثه في الأُولى والثانية سواء، من وفى بذلك استوفي الأجر.

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ العبد إذا صلّى الصلاة في وقتها، وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة، تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها، ولم يحافظ عليها رجعت عليه سوداء مظلمة، تقول: ضيّعتني ضيّعك الله»[١].

أقول: وفي الحسن، عن الباقر عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلّى فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده، فقال صلى الله عليه وآله: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني» رواه في الكافي والتهذيب[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله «أنّ الرجلين من أُمّتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنّ ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض»[٣] وأشار إلى الخشوع.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «والله إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة، فأيُّ شيء أشدّ من هذا، والله إنّكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها، إنّ الله لا يقبل إلاّ الحسن فكيف يقبل ما استخفّ به»[٤].

---

(١) الكافي ج٣ ص ٢٦٨ تحت رقم ٤.

(٢) الكافي ج٣ ص ٢٦٨ تحت رقم ٦، والتهذيب ج١ ص ٢٩٤.

(٣) قال العراقي: أخرجه ابن المحبر في العقل من حديث أبو أيوب الانصاري بنحوه، وهو موضوع ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحبر.

(٤) التهذيب ج١ ص ٢٠٤.

وفي الصحيح، عنه عليه السلام قال: «إذا قام العبد في الصلاة فخفّف صلاته قال الله تعالى لملائكته: أما ترون إلى عبدي كأنّه يرى أنّ قضاء حوائجه بيد غيري، أما يعلم أنّ قضاء حوائجه بيدي» رواهما في التهذيب[١].

فضيلة الجماعة

في الفقيه[٢] «قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٣] فأمر بالجماعة كما أمر بالصلاة، وفرض الله تبارك وتعالى على الناس من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، منها صلاة واحدة فرضها الله تعالى في جماعة وهي الجمعة، وأمّا سائر الصلوات فليس الاجتماع عليها بمفروض ولكنّه سنّة، من تركها رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علّة فلا صلاة له، ومن ترك ثلاث جمعات متواليات من غير علّة فهو منافق، وصلاة الرجل في جماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة».

أقول: هذا كلّه مروي عن مولينا الصادق عليه السلام في الصحيح وغيره.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا صلاة لمن لا يصلّي في المسجد مع المسلمين إلاّ من علّة[٤]».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا غيبة إلاّ لمن صلّى في بيته، ورغب عن جماعتنا، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته،

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الفقيه ص ١٠٢ تحت رقم ١.
(٣) سورة البقرة: الآية، ٤٣.
(٤) علل الشرايع ج٢ باب ١٨. وفي الكافي ج٣ ص ٣٧٢ تحت رقم ٦ نحوه.

وسقطت بينهم عدالته، ووجب هجرانه، وإذا رفع إلى إمام المسلمين أنذره وحذّره، فإن حضر جماعة المسلمين وإلاّ أحرق عليه بيته»[١].

وروى شيخنا الشهيد ـ رحمه الله ـ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن سئلت عمّن لم يشهد الجماعة فقل: لا أعرفه»[٢].

قال: وعن الصادق عليه السلام «الصلاة خلف العالم بألف ركعة، وخلف المولى خمس وعشرون[٣]».

قال في الفقيه: وروى محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «لا صلاة لمن لا يشهد الصلاة من جيران المسجد إلاّ مريض أو مشغول[٤]».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقوم: «لتحضرنّ المسجد أو لأُحرقنّ عليكم منازلكم[٥]».

وقال صلى الله عليه وآله: «من صلّى الصلاة الخمس جماعة فظنّوا به كلّ خير[٦]».

وقال صلى الله عليه وآله: «الاثنان جماعة[٧]».

---

(١) أورده الشهيد ـ رحمه الله ـ في النفلية كما في البحار ج١٨ ص ٦١٢.
(٢) النفلية كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٤٨٩.
(٣) النفلية كما في البحار ج١٨ ص ٦١١ وتمام الخبر هكذا: «الصلاة خلف العالم بألف ركعة، وخلف القرشيّ بمائة، وخلف العربي خمسون، وخلف المولى خمس وعشرون».
(٤) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ٢ إلى ٥.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ٦ و ٧.

وسأل الحسن الصيقل أبا عبد الله عليه السلام «عن أقلّ ما يكون الجماعة قال: رجل وامرأة، وإذا لم يحضر المسجد أحد فالمؤمن وحده جماعة، لأنّه متى أذّن وأقام صلّى خلفه صفّان من الملائكة، ومتى أقام ولم يؤذّن صلّى خلفه صفّ واحد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن وحده حجّة، والمؤمن وحده جماعة[(١)]».

وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر ذات يوم فلمّا انصرف أقبل بوجهه على أصحابه، فسأل عن أُناس يسمّيهم بأسمائهم هل حضروا الصلاة؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: غيّبٌ هم؟ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: أما إنّه ليس من صلاة أثقل على المنافقين من هذه الصلاة، وصلاة العشاء الآخرة، ولو علموا الفضل الّذي فيهما لأتوهما ولو حبواً[(٢)]».

وقال الصادق عليه السلام: «من صلّى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة فهو في ذمّة الله عزّ وجلّ، ومن ظلمه فإنّما يظلم الله، ومن حقّره فإنّما يحقّر الله عزّ وجلّ، وإذا كان مطر أو برد شديد فجائز للرجل أن يصلّي في رحله، ولا يحضر المسجد لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا ابتلّت النعال فالصلاة في الرحال[(٣)]».

أقول: ويستحبُ حضور جماعه أهل الخلاف استحباباً مؤكّداً، ولكنّه لا يعتدُ بقراءتهم بل يقرء لنفسه ولو مثل حديث النفس[(٤)].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الفقيه ص ١٠٣ تحت رقم ٨ و ١٠، وحبى الصبي إذا مشى على استه. وقوله: «حقره فإنما يحقر الله عز وجل» في روايات العامة «ومن خفره فإنما يخفر الله عز وجل» والخفر نقض العهد.

(٣) نفس المصدر.

(٤) كما في التهذيب ج١ ص ١٦٢، والكافي ج٣ ص ٣١٥ رقم ١٦.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «من صلّى معهم في الصف الأوّل كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأوّل»[١].

وفي الصحيح، عنه عليه السلام: «يحسب لك إذا دخلت معهم وإن كنت لا تقتدي بهم مثل ما يحسب لك إذا كنت مع من تقتدي به»[٢].

وفي الصحيح، عنه عليه السلام: «ما من عبد يصلّي في الوقت ويفرغ، ثمّ يأتيهم ويصلّي معهم وهو على وضوء إلا كتب الله له خمساً وعشرين درجة»[٣].

قال أبو حامد: «وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى أربعين يوماً الصلوات في جماعة يفوته تكبيرة الإحرام كتب له براءتان: براءة من النفاق، وبراءة من النار»[٤].

وقال ابن عبّاس: من سمع المنادي ثمّ لم يجب لم يرد خيراً ولم يرد به.

ويقال: إنّه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرّي فيقول لهم الملائكة: ما أعمالكم؟

فيقولن: كنّا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة، لا يشغلنا غيرنا.

---

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في الهداية باب التقية ص ١٠.

(٢) التهذيب ج١ ص ٣٢٩، والفقيه ص ١٠٥ رقم ٣٩.

(٣) الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٥.

(٤) أخرجه الترمذي ج٢ ص ٤٠. وقال: لا أعلم أحد رفعه الا ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن حبيب بن أبي حبيب البجلي، عن أنس بن مالك. أقول: ونقله الشهيد - رحمه الله - في الذكرى.

ثمّ يحشر طائفة وجوههم كالأقمار، فيقولون بعد السؤال: كنّا نتوّضأ قبل الوقت.

ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس، فيقولون: كنّا نسمع الأذان في المسجد.

وقال حاتم الأصم: فاتتني الجماعة فعزّاني البخاريُّ وحده، ولو مات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف لأنّ مصيبة الدّين أهون عند الناس من مصيبة الدُّنيا.

وروي أنّ السلف كانوا ويعزُّون أنفسهم ثلاثة أيّام إذا فاتتهم التكبيرة الأُولى، ويعزُّون سبعاً إذا فاتتهم الجماعة، وقد كانوا يبالغون في ذلك حتّى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى باب دار من تخلّف عن الجماعة، إشارة إلى أنّ الميّت هو الّذي يتأخُر عن الجماعة، إشارة إلى أنّ الميّت هو الّذي يتأخّر عن جماعة دون الحيّ.

أقول: فانظر كيف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات حتّى آل الحال إلى ما آل.

فضيلة السجود والقول فيه

في الفقيه، «قال الصادق عليه السلام: أقرب ما يكون العبد إلى الله عزّ وجلّ وهو ساجد إلى الله تعالى واسجد واقترب[1].

(١) المصدر ص ٥٥ تحت رقم ٧. والاية في العلق: ١٩. قال الرضي ـ رضي الله عنه ـ: أن كانت الحال جملة اسمية فعند غير الكسائي يجب معها واو الحال، قال عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» إذ الحال فضلة وقد وقعت موقع العمدة فيجب معها علامة الحالية لان كل واقع غير موقعه ينكر، وجوز الكسائي تجردها من الواو بوقوعها موقع الخبر فتقول: ضربى زيداً أبوه قائم.

وقال عليه السلام «إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويلاه أطاع وعصيت وسجد وأبيت»[1].

وفي الكافي، بإسناده الصحيح، «عن الصادق عليه السلام قال: مرّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله رجلٌ وهو يعالج بعض حجراته، فقال: يا رسول الله ألا أكفيك؟ فقال: شأنك، فلمّا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: حاجتك؟ قال: الجنّة، فأطرق رسول الله، ثمّ قال: نعم، فلمّا ولّى قال له: يا عبد الله أعنّا بطول السجود»[2].

قال أبو حامد: «وروي أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك، ويرزقني مرافقتك في الجنّة، قال: أعنّي بكثرة السجود»[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تقرّب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفيّ»[4].

وقال: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه بها درجة، وحطّ بها عنه خطيئة»[5].

وقال عزّ وجلّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[6] فقيل: هو ما

---

(١) الفقيه ص ٥٦ تحت رقم ١٧، والكافي ج٣ ص ٢٦٤ تحت رقم ٢.
(٢) المصدر ج٣ ص ٢٦٦ تحت رقم ٨.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ونحوه مسلم وأبو داود، راجع الترغيب والترهيب ج١ ص ٢٤٩.
(٤) أخرجه ابن المبارك عن حمزة بن حبيب مرسلاً كما في الجامع الصغير باب الميم.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص ٢٧٦ من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٦) سورة الفتح: الآية، ٢٩.

يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود، وقيل: هو نور الخشوع فإنّه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصحُّ، وقيل: هي الغرر الّتي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء.

أقول: وفي الفقيه، «كان أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يسجد بعدما يصلّي فلا يرفع رأسه حتّى يتعالى النهار»[1].

وروى عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من سجد سجدة الشكر لنعمة وهو متوضّئ كتب الله له بها عشر صلوات، ومحى عنه عشر خطايا عظام»[2].

وفي الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد سجدات، فلمّا ركب قالوا: يا رسول الله إنّا رأينا صنعت شيئاً لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرائيل فبشّرني ببشارات من الله، فسجدت لله شكراً، لكلّ بشرى سجدة»[3].

وفيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذكر أحدكم نعمة الله تعالى فليضع خدّه على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشّهرة فليضع خدّه على قربوسه، فإن لم يقدر فليضع خدّه على كفّه، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم عليه»[4].

وبإسناده، عن هشام بن أحمر قال: «كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام

(١) المصدر ص ٩١ تحت رقم ٥.
(٢) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٦.
(٣) الكافي ج٢ ص ٩٨ رقم ٢٤.
(٤) الكافي ج ٢ ص ٩٨ تحت رقم ٢٥ و ٢٦.

في بعض أطراف المدينة إذ ثنّى رجله عن دابّته فخرّ ساجداً فأطال وأطال، ثمّ رفع رأسه وركب دابّته، فقلت: جعلت فداك قد أطلت السجود؟ فقال: إنّني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببت أن أشكر ربّي»[١].

وفي الفقيه، روى إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «كان موسى بن عمران عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض، وخدّه الأيسر بالأرض»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال موسى: لا يا ربّ، قال: يا موسى، إنّي قلبت عبادي ظهراً وبطناً، فلم أجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك، يا موسى إذا صلّيت وضعت خدّيك على التراب»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ العبد إذا سجد وقال: يا ربّ يا ربّ يا ربّ، حتّى ينقطع نفسه، قال له الربّ تبارك وتعالى: لبيّك ما حاجتك؟»[٤].

وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول في سجوده: «اللهمّ إن كنت قد عصيتك فإنّي أطعتك في أحبّ الأشياء إليك وهو الإيمان بك، منّاً منك عليّ، لا منّاً منّي عليك، وتركت معصيتك في أبغض الأشياء إليك وهو أن أدعو لك شريكاً، منّاً منك علي، لا منّاً منّي عليك، وعصيتك في أشياء على غير وجه مكابرة ولا معاندة، ولا استكبار عن عبادتك، ولا جحود لربوبيّتك،

(١) نفس المصدر.
(٢) الفقيه ص ٩١ تحت رقم ٨ و٩.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الفقيه ص ٩١ رقم ١٠ و١١.

ولكن اتّبعت هواي واستزلّني الشيطان بعد الحجّة عليّ والبيان، فإن تعذّبني فبذنوبي، غير ظالم لي، وإن تغفر لي وترحمني فبجودك وكرمك يا أرحم الراحمين»[١].

وفي الكافي، في الصحيح، «عن الصادق عليه السلام أنّه قال: قل فيه: «يا ربّ الأرباب، ويا ملك الملوك، ويا سيّد السادات، ويا جبّارالجبابرة، ويا إله الآلهة صلّ على محمّد وآل محمد، وأفعل بي كذا وكذا، ثمّ قل: «إنّي عبدك، ناصيتي في قبضتك، ثمّ ادع بما شئت وسله، فإنّه جوادٌ لا يتعاظمه شيء»[٢].

وفي رواية أُخرى: «ادع فيه للدُّنيا والآخرة، فإنّه ربُّ الدُّنيا والآخرة»[٣].

وعن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن الكاظم عليه السلام: قال: «خرجت معه في بعض أمواله فقام إلى صلاة الظهر، فلمّا فرغ خرّ لله ساجداً، فسمعته يقول بصوت حزين ويغرغر دموعه:[٤] «ربّ عصيتك بلساني، ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري، ولو شئت وعزّتك لأكمهتني[٥]، وعصيتك بسمعي، ولو شئت وعزتك لأصممتني، وعصيتك بيدي، ولو شئت وعزتك لكنعتني[٦]، وعصيتك برجلي، ولو شئت وعزّتك لجذمتني[٧]،

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الكافي ج٣ ص ٣٢٣ رقم ٧.
(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٢٣ رقم ٦.
(٤) الغرغرة: ترديد الماء في الحلق. (القاموس).
(٥) الكمه: العمى.
(٦) الاكنع: الاشل.
(٧) «الجذمتني»: أي لقطعتني، والاجذم المقطوع اليد.

وعصيتك بفرجي، ولو شئت وعزّتك لعقمتني، وعصيتك بجميع جوارحي الّتي أنعمت بها عليّ وليس هذا جزاؤك منّي»، قال: ثمّ أحصيت له ألف مرّة وهو يقول: العفو، العفو، ثمّ ألصق خدّه الأيمن بالأرض وسمعته وهو يقول بصوت حزين: «بؤت إليك بذنبي، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذّنوب غيرك، مولاي!» ثلاث مرّات، ثمّ ألصق خدّه الأيسر بالأرض فسمعته يقول: «ارحم من أساء واقترف، واستكان واعترف» ثلاث مرّات، ثمّ رفع رأسه»[1].

قال في الفقيه[2]: «وينبغي لمن يسجد سجدة الشكر أن يضع ذراعيه على الأرض ويلحق جؤجؤه بالأرض»[3].

وفي رواية أبي الحسن الأسدي، أنّ الصادق عليه السلام قال: «إنّما يسجد المصلّي سجدة بعد الفريضة ليشكر الله تعالى ذكره فيها على ما منّ به عليه من أداء فرضه، وأدنى ما يجزىء فيها شكر الله ثلاث مرّات»[4].

وروى أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن حريز، عن مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سجدة الشكر واجبة على كلّ مسلم، تتمّ بها صلواتك، وترضي بها ربّك، وتعجب الملائكة منك، وإنّ العبد إذا صلى ثمّ سجد سجدة الشكر فتح الربُّ تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي، وأتمّ

(١) الكافي ج٣ ص ٣٢٦ رقم ١٩.
(٢) المصدر ص ٩١ تحت رقم ١٢.
(٣) الجؤجؤ ـ بضم الجيم ـ: لصدا.
(٤) الفقيه ص ٩١ رقم ١٣ و ١٤ وللصدوق ـ رحمه الله ـ بيان في معنى الوجه.

عهدي، ثمّ سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه، ملائكتي ماذا له عندي؟ قال: فتقول الملائكة: يا ربّنا رحمتك، ثمّ يقول الربُّ تبارك وتعالى: ثمّ ماذا له؟ فتقول الملائكة: يا ربّنا جنّتك، فيقول تبارك وتعالى: ثم ماذا له؟ فتقول الملائكة: يا ربنا كفاية مهمة، فيقول تبارك وتعالى: ثم ماذا له؟ قال: ولا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي ثمّ ماذا؟ فتقول الملائكة: يا ربّنا لا علم لنا، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي وأقبل إليه بفضلي وأُريه وجهي»[(١)(٢)].

---

(١) نفس المصدر.

في ذكر السجود

(٢) الامام الخميني في الأداب المعنوية: في الحديث الشريف أنه لما نزلت فسبّح بإسم ربّك العظيم قال لنا رسول الله ﷺ: إجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت: سبّح إسم ربك الأعلى، قال لنا رسول الله : إجعلوها في سجودكم.

وفي الحديث الشريف في الكافي: فأول ما اختار لنفسه العلّي العظيم «الحديث». ولعل العلّي هو الأول في الأسماء الذاتية، والعظيم الأول في الأسماء الصفاتية.

واعلم أن في السجود كسائر الأوضاع الصلاتية هيئة وحالة وذكراً وسرّاً وهذه الأمور للكمّل على نحو، وأما للمتوسطين فهيئته إراءة المتربة وترك الإستكبار والعجب وكذلك إرغام الأنف وهو من المستحبات المؤكدة بل تركه خلاف الإحتياط إظهاراً لكمال التخضع والتذكّر والتواضع، وأيضاً هو التوجّه إلى أصله والتذلل لنشأته. ووضع رؤساء الأعضاء الظاهرة على أرض الذلّة والمسكنة وتلك الأعضاء هي محال الإدراك، وظهور التحريك والقدرة وهي الأعضاء السبعة أو الثمانية علامة التسليم التام وتقديم جميع القوى والخروج عن الخطيئة الادمية فإذا قوي تذكر هذه المعاني في القلب فينفعل القلب بها تدريجاً فتحصل حالة هي حالة الفرار من النفس وترك رؤية النفس، ونتيجة هذه الحالة الأنس وتعقبها الخلوة التامة وتظهر المحبة الكلية.

وأما ذكر السجدة فمتقوّم بالتسبيح وهو التنزيه عن التوصيف وعن القيام بالأمر أو التنزيه عن التكثير الأسمائي أو التنزيه عن التوحيد لأن التوحيد تفعيل وهو الذهاب من الكثرة إلى=

= الوحدة وهذا لا يخلو عن شائبة التكثير والتشريك كما أن التوصيف بالعلو الذاتي والتحميد أيضاً ليس خالياً عن شائبة هذه المعاني، والعلّي من الأسماء الذاتية وعلى رواية الكافي هو أول إسم إتخذه الله لنفسه يعني هو أول تجلي الذات لنفسه، والعبد السالك إذا فني عن نفسه في هذا المقام وترك العالم وما فيه فيناله الفخر بهذا التجلي الذاتي.
واعلم أن الركوع حيث إنه أول والسجود ثان فيفترق التسبيح والتحميد فيها بفروق وأيضاً يفرق الرب في المقامين لأن الرب كما قاله أهل المعرفة من الأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية بالإعتبارات الثلاثة، فبناء على ذلك فالرب في الحمد لله رب العالمين لعله من الأسماء الفعلية بمناسبة مقام القيام وهو مقام التوحيد الأفعالي وفي الركوع من الأسماء الصفاتية بمناسبة أن الركوع مقام توحيد الصفات وفي السجود من الأسماء الذاتية بمناسبة أن السجود مقام توحيد الذات. والتسبيح والتحميد الوقعان في كل مقام يكونان مرتبطين بذلك المقام. [الاداب المعنوية للصلاة ص ٥٣٦-٥٣٧].

في بعض أسرار السجدة وذكرها ورفع الرأس منها

قال الإمام الخميني: سجدة الغشي والصعق كما في حديث المعراج نتيجة مشاهدة أنوار العظمة للحق فإذا صار العبد بلا حواس عن نفسه وحصلت له حالة المحو والصعق فتشمله العناية الأزلية ويلهم بالإلهام الغيبي وذكر السجود وتكراره لحصول حالة الصحو والافاقة، فإذا آفاق تشتعل في قلبه نار إشتياق مشاهدة نور الحق ويرفع الرأس عن السجدة فيرى في نفسه بقايا من الأنانية فيشير باليد إلى رفضها فتتجلى له نور العظمة ثانياً ويحرق بقية الأنانية ويفنى من الفناء وتحصل له حالة المحو الكلي المطلق والصعق التام الحقيقي وهو يكبّر الله ﴿ فالمساعد الغيبي بالهامه الاذكار يمكنه في المقام وتعرض له حالة الصحو في هذا المقام وهو صحو الولاية ومنزه عن كل إحتجاب وإختلاط خلقي وحالة التشهد والسلام وهما من أحكام الكثرة، تحصل له أيضاً في هذا الصحو بعد المحو وعند الوصول إلى هنا تتم وتكمل دائرة السير الإنساني. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٤٠].

* * *

حقيقة السجود

النراقي في جامع السعادات: وإذا هويت إلى السجود، جدّد على قلبك غاية الذل والعجز والإنكسار، إذ السجود أعلى درجات الإستكانة، فمكن أعز أعضائك، وهو الوجه، لأذل=

= الأشياء، وهو التراب، ولا تجعل بينهما حاجزاً، بل إسجد على الأرض، لأنه أجلب للخضوع، وأدل على الذل. فإذا وضعت نفسك موضع الذل، وألقيتها على التراب، فاعلم أنك وضعتها موضعها، ورددت الفرع إلى أصله، فإنك من التراب خلقت، وإليه رددت. فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله، وقل: (سبحان ربي الأعلى وبحمده)، وأكده بالتكرار، إذ المرة الواحدة ضعيفة الآثار، فإن رق قلبك، وطهر لبك، فليصدق رجاؤك في رحمة ربك، فإن رحمته تتسارع إلى موضع الذل والضعف، لا إلى محل التكبر والبطر. فإرفع رأسك مكبراً ومستغفراً من ذنوبك، وسائلاً حاجتك، ثم أكد التواضع بالتكرار، وعد إلى السجود ثانياً كذلك. وسئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى السجدة الأولى، قال: «تأويلها: اللهم إنك منها خلقتنا»: يعني من الأرض، وتأويل رفع رأسك،: «ومنها أخرجتنا»، والسجدة الثانية: «وإليها تعيدنا»، ورفع رأسك: «ومنها تخرجنا تارة أخرى». وقال مولانا الصادق عليه السلام: «ما خسر والله ـ تعالى ـ قط من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة، وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافل لاه عما أعد الله تعالى للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعد عن الله تعالى أبداً من أحسن تقربه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده. فاسجد سجود متواضع لله ذليل، علم أنه خلق من تراب يطأه الخلق، وأنه ركب من نطفه يستقذرها كل أحد، وكون ولم يكن، وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح، فمن قرب منه بعد من غيره، إلا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء، والإحتجاب عن كل ما تراه العيون؟ كذلك أراد الله تعالى أمر الباطن. فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله تعالى، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عز وجل: ما اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وإبتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن إشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، وإسمه مكتوب في ديوان الخاسرين». [جامع السعادت ج ٣ ص ٣٥٢-٣٥٥].

* * *

المصلّي في سجوده

قال العارف سعيد القمي: المصلّي في سجوده يطلب أصل نشأته وهو التراب ولذا=

= إستحبّ السجود به وينزّه الله عن ذلك. فالركوع حالة وجوده المستفاد من ربّه، والقيام طلب أصل روحه، والسجود حالة إمكانه وعدمه الذاتي؛ فالركوع حالة برزخية بين القيام والسجود فله نسبة إلى الله والعالم الإلهي الذي منه نوره، ونسبة إلى الأشياء بالفناء والفقر الذاتي الذي هو أصله. وذكر الإسم «الرب» لما قلنا. والتعقيب بـ«الأعلى» لأنه لما طلب بقيامه روحه التي هي من العالم العلويّ، نفى في السجود علوّ نفسه رأساً وأثبته لله تعالى وفي الخبر: إنّه لما نزل قوله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قال رسول الله ﷺ: «إجعلوها في سجودكم». هكذا قالوا.

السجود عندنا إشارة إلى مقام توحيد الذات والحكم بإستهلاك الأشياء والصفات في هذه المرتبة وفناء كلّ شيء سوى الذات الأحدية التي لها البقاء سرمداً. وذكر الإسم «الربّ» فيه لما سبق. و«الأعلى» لكون العلوّ بإعتبار الذات فله العلوّ الأعلى فوق كلّ عال بفناء كل شيء وهلاكه إلاّ وجه ربك ذي الجلال.

قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: لا أطلع على قلب أحد فأعلمُ فيه حبّ الإخلاص لطاعة وجهي وإبتغاء مرضاتي إلاّ تولّيْتُ تقويمه وسياسته، ومن أشتغل بغيرى فهو من المستهزئين بنفسه مكتوبٌ إسمه في ديوان الخاسرين.

حقيقة السجود هو الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «ما أفلح من خلا بربه» إذ الخلوة مع الله لا يتيسّر إلاّ بالفناء عن كلّ شيء حتى عن نفسه وعن كونه فانياً، لأنّ الله لا يخلو مع من يشرك به شيئاً، «وبُشر العاجل» هو أنّ الله معه ويتولى أمره وتقويمه، «وراحة الآجل» هي كونه ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ وقوله: «علم أنه خلق» إشارة إلى الوجه الذي ذكر في الفصل وقوله: «وقد جعل الله معنى السجود» إلى آخره. [راجع حديث الإمام الصادق عليه السلام].

والتقرب بالقلب أوّلٌ، وبالروح ثانٍ، وبالسرّ ثالثٌ. والأوّل هو الفناء عن كلّ شيء والتعلّق بالله ولا ريب أنه يستدعى متعلقاً ومتعلقاً به، والثاني هو الفناء عن نفسه، والثالث هو الفناء عن الفناء وهو مقام محو المحو ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

رفع الرأس من السجود

لمّا إخترق عالم الخلق في نظر الساجد من أجل الدعاوي التي كانت من أوّل الصلاة إلى حين السجود وفيه يرتفع الحجب والأستار ويحترق، ويُحرق سبحاتُ وجهه سبحانه وهي=

فضيلة الخشوع ومعناه

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[2] ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها.

قال أبو حامد: «قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3].

= علم الأنوار، ما أدركه البصرُ من عالم الخلق والآثار، فحينئذٍ يستغرق المصلّي العارف في نور الله تعالى، ويتقلّب فيه بحيث يشاء، فيرفع رأسه من السجود إشارةً إلى أن المحترق منه هو الدعوى، ووصل إلى عالم الأنوار الذي ليس فيه دعوى أصلاً؛ فيستغفر من الدعوى ويتوب إلى ربّه الأعلى برجوعه إلى عالم النّور والضياء.

في صلاة المعراج

في صلاة المعراج على ما في الرواية السابقة: ثم لمّا رفع رأسه من السجدة الأولى، رأى ذلك النور، أي النّور الذي رآه حين الرفع من الركوع، فأدهشه، فسجد، فلما رفع رأسه ثانيةً لم ير ذلك النور فالذي رآه هو نور الله المنبسط على هياكل الموجودات بحيث لم يلتفت إلى الأشياء، إذ السجود مقام فنائها والتكرار لأجل كون الأولى مشوبة بإدراك الأشياء، وإن كان على وجه النفي والسلب، ففي الثانية خلصت عن هذه الشائبة. وعدم رؤيته بعد السجدة الثانية، لأنّه لا مقام بعد ذلك المحو إلاّ الرجوع إلى نفسه.

الطمأنينة في المواضع المستحبة

في الطمأنينة في المواضع المستحبة: المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له في المقامات السابقة عليها أو الملابسة لها من الأنوار المختصّة بكلّ مقام من المقامات. فإذا أسرع وأتى بقدر ما يطلق عليه الإسم فقد فاته علم كثير، ومن ثبت وإستقر بالإطمئنان فيتمكن من أن يناله شأن من الشأن. [العارف القاضي سعيد القمي في أسرار العبادات ص ٦٠-٦٤].

(١) سورة المؤمنون: الآية، ٣.

(٢) سورة الماعون: الآيتان، ٤ و٥.

(٣) سورة طه: الآية، ١٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[٢].

قيل: سكارى من كثرة الهمّ؛ وقيل: من حبّ الدنيا، وهب[٣] أنّ المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بيّن فيه العلّة فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ وكم من مصلّ لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته.

وقال النبي ﷺ: «من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدّم من ذنبه»[٤].

وقال ﷺ: «إنما الصلاة تمسكن[٥] وتواضع وتضرّع وتبأس[٦] وتندّم؛ وتقنع بمدّ يديك فتقول: «اللهم اللهم»، فمن لم يفعل فهي خداج[٧].

---

(١) سورة الأعراف: الآية، ٢٠٥.
(٢) سورة النساء: الآية، ٤٣.
(٣) في الاحياء «قال وهب».
(٤) مر سابقاً عن أحمد أخرجه في مسنده.
(٥) تمفعل من سكن. بمعنى الذل والفقر والخضوع.
(٦) تبأس أي تفاقر وأرى تخشع الفقراء اخباتاً وتضرعاً.
(٧) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ١٦٧ ونحوه الترمذي في السنن ج٢ ص ١٧٥ والنسائي وابن خزيمة. كما في الترغيب ج١ ص ٣٤٨ و٣٤٩. ولفظه: «الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين وتخشع وتضرع وتمسكن» كلها بصيغة الامر. والخداج بكسر الخاء المعجمة ـ ههنا بمعنى الناقص.

وروي عن الله[١] في الكتب السالفة: «أنّه قال: ليس كلُّ مصلّ أتقبّل صلاته، إنّما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتكبّر عليّ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي».

وقال رسول الله ﷺ: «إنّما فرضت الصلاة وأُمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله»[٢] فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الّذي هو المقصود والمبتغي عظمته وهيبته فما قيمة ذكرك.

وقال ﷺ: «وإذا صلّيت فصلّ صلاة مودّع»[٣] أي مودّع لنفسه، مودّع لهواه، مودّع لعمره، سائر إلى مولاه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾[٥].

أقول: ومن طريق الخاصّة: عن الصادق عليه السلام «إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّ لوقتها صلاة مودّع تخاف ألاّ تعود إليها»[٦] ومثله عن النبي ﷺ بطريق حسن.

(١) كذا في النسخ في بعض نسخ الاحياء «قال وهب».

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي بنحو آخر عن عائشة دون قوله ذكر الصلاة وقال الترمذي حسن صحيح. (المغني).

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب والحاكم في المستدرك كما في المغني.

(٤) الانشقاق: ٦. وقوله: «كادح» أي عامل أو ساع في عملك.

(٥) سورة البقرة: الآية، ٢٢٣.

(٦) رواه الصدوق في الامالي ص ١٥٥. وفي الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام ج٢ ص ١٦٥.وفي دعائم الإسلام عن النبي ﷺ كما في مستدرك الوسائل.

قال أبو حامد: «وقال ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاّ بعداً»[١]، والصلاة مناجاة فكيف يكون مع الغفلة.

قيل: يا بن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت، قيل: كيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذن أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن وكلّمته بغير ترجمان.

وعن عائشه قالت: كان رسول الله ﷺ يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه إشتغالاً بعظمة الله[٢].

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»[٣] وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا قام إلى الصلاة سمع وجيب قلبه على ميلين.

وكان عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن، فقيل له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقن منها»[٤].

وروي عن عليٌّ بن الحسين عليه السلام: «أنّه كان إذا توضّأ أصفرّ لونه

---

(١) أخرجه ابن جرير عن الحسن وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس أيضاً كما في الدر المنثور ج ٥ ص ١٤٦. ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره أيضاً.

(٢) عدة الداعي آخر الفصل الاول من الباب الرابع ص ١٠٩.

(٣) رواه الراوندي - رحمه الله - في لب اللباب كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٢٦٦.

(٤) رواه ابن شهر آشوب في التنزيل عن تفسير القيشرى كما في البحار ج١٨ باب آداب الصلاة، ورواه أيضاً جعفر بن أحمد القمي في كتاب زهد النبي ﷺ كما في المستدرك ج١ ص ٢٦٦.

فيقول له أهله: ما هذا الّذي يعترك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم»[١].

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في عُدّة الداعي[٢] إنّ إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل حتّى مدحه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾[٣] وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل[٤]، وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله، وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله[٥]؛ وكان الحسن عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه فقيل له في ذلك، فقال: حقٌّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه؛ ويروى مثل هذا عن زين العابدين عليه السلام.

وفي التهذيب، عن أبي حمزة الثمالي «قال: رأيت عليّ بن الحسين عليه السلام يصلّي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، قال: فسألته عن ذلك، فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت، إنّ العبد لا تقبل منه صلاة إلاّ ما أقبل فيها، فقلت: جعلت فداك هلكنا، قال: كلاّ إنّ الله يتمّ ذلك بالنوافل»[٦].

---

(١) علل الشرايع ص ٨٨ عن أبان بن تغلب.
(٢) الباب الرابع من الكتاب ص ١٠٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٧٥.
(٤) قال الجوهري: **الازيز**: صوت الرعد وصوت غليان القدر، وقد أزت القدر تؤز أزيزاً: غلت وفي الحديث «أنه يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء».
(٥) **النهج** - بالتحريك -: البهر وتتابع النفس.
(٦) المصدر ج١ ص ٢٣٣، ورواه الصدوق - رحمه الله - أيضاً في العلل ص ٨٨.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام «قال: كان عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام في الصلاة تغيّر لونه، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفضّ عرقاً»[١].

وعنه عليه السلام قال: «كان أبي يقول: كان عليُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه إلاّ ما حرّكت الريح منه»[٢].

وعنه عليه السلام: «أنّه سئل عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشياً عليه فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: ما زلت أردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته»[٣] قيل: وكان لسان الإمام في تلك الحال كشجرة طور حين قالت: إنّي أنا الله.

وعنه عليه السلام قال: «لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلا وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلاّ أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة»[٤].

وعنه عليه السلام بسند حسن: «إذا دخلت في صلاتك فعليك بالتخشّع والإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾»[٥].

(١) الكافي ج٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٥، وارفضاض الدموع: ترشيشها.
(٢) الكافي ج٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٤.
(٣) نقله المجلسي - رحمه الله - في البحار ج١٨ ص ١٩٧ من فلاح السائل للسيد ابن طاؤوس، والظاهر المراد بالاية ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كما في فلاح السائل أيضاً رواه عن الكليني - رحمه الله -.
(٤) رواه المفيد - رحمه الله - بنحو أبسط في أماليه كما في المستدرك ج١ ص ٢٦٥.
(٥) الكافي ج٣ ص ٣٠٠ تحت رقم ٣، والاية في المؤمنون: ٣.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[1] أي بجدّ واجتهاد، وأخذه بالجدُّ أن يتجرَّد عند قراءته بحذف جميع المشتغلات والهموم عنه.

وعن الرضا عليه السلام: «أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشتغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطى غيره»[2].

قال أبو حامد: «ويروى عن ابن عباس أنّه قال: قال داود عليه السلام: إلهي من يسكن بيتك؟ وممّن تقبل الصلاة؟ فأوحى الله إليه: يا داود إنّما يسكن بيتي وأقبل الصلاة ممّن تواضع لعظمتي، وقطع نهاره بذكري، وكفَّ نفسه عن الشهوات من أجلي، يطعم الجائع، ويؤوي الغريب، ويرحم المصاب، فذلك يضيء نوره في السماء كالشمس، إذا دعاني لبيّته، وإن سألني أعطيته، أجعل له في الجهل حلماً، وفي الغفلة ذكراً، وفي الظلمة نوراً، وإنّما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا ييبس أنهارها ولا يتغيّر ثمارها»[3].

ويروى عن حاتم الأصم أنّه سئل عن صلاته، فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الّذي أُريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتّى يجتمع جوارحي، ثمّ أقوم إلى صلاتي فأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنّة عن يميني، والنار عن يساري، وملك الموت ورائي، وأظنّها آخر صلاتي ثمّ أقوم بين الرجاء والخوف وأُكبر تكبيراً بتحنّن، وأقرأ القرآن

---

(١) سورة مريم: الآية، ١٢.

(٢) رواه الكليني - رحمه الله - في الكافي ج٢ ص ١٦ رقم ٣.

(٣) رواه البرقي في المحاسن ص ١٥ دون ذكر داود عليه السلام عن الصادق عليه السلام.

بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشّع وأقعد على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب قدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الإخلاص، ثمّ لا أُدري أقبلت منّي أم لا».

وقال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكّر خيرٌ من قيام ليلة والقلب ساه.

أقول: الخشوع في الصلاة خشوعان:

خشوعٌ بالقلب: وهو أن يتفرّغ لجمع الهمّة لها والإعراض عمّا سواها، بحيث لا يكون فيه غير المعبود.

قال الصادق عليه السلام: «إنّما أُريد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[1].

وخشوع بالجوارح: وهو أن يغضّ بصره ويقبل عليها ولا يلتفت ولا يعبث[2]، وبالجملة لا يتحرّك لغير الصلاة، ولا يفعل من المكروهات شيئاً.

وروى في الكافي، بإسناده الصحيح عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما يحسب لك منها ما أقبلت عليه، ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك، ولا تحدّث نفسك ولا تتثاءب ولا تتمطّ[3] ولا تكفّر فإنّما يفعل ذلك المجوس، ولا تلثّم[4]، ولا تحتفز، وتفرّج كما يتفرّج البعير، ولا تقع على قدميك، ولا

---

(١) الكافي ج٢ ص ١٦ تحت رقم ٥.
(٢) روى الصدوق في الخصال ج٢ ص ١٦٥ نحوه.
(٣) التثاؤب: فتح الفم، والتمطي: مد اليدين.
(٤) المتلثم: المتنقب.

تفترش ذراعيك، ولا تفرقع أصابعك فإنّ ذلك كلّه نقصان في الصلاة، ولا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنّها من خلال النفاق، فإنّ الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني سكر النوم، وقال للمنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

قوله عليه السلام: «ولا تكفّر» التكفير هو وضع اليمين على الشمال كما يفعله العامّة، والإحتفاز ـ بالحاء المهملة والزاي ـ أن يتضأم في سجوده وجلوسه، والإقعاء عند أهل اللّغة: أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه، وعند أهل الحديث. أن يجلس على ساقيه جاثياً وليس على الأرض إلاّ رؤوس أصابع الرجلين والركبتين.

وفي الصحيح، عن الباقر عليه السلام: «إيّاك والقعود على قدميك فتتأذّى بذلك ولا تكون قاعداً على الأرض وإنّما قعد بعضك على بعض فلا تصبر للتشهد والدعاء»[2].

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام «لا صلاة لحاقن ولا حاقب»[3] وهو بمنزلة من هو في ثيابه.

والحقن: حبس البول، **والحقب**: حبس الغائط.

ورواه أبو حامد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وزاد «الحاذق» وهو صاحب الخفّ الضيق.

الكافي ج٣ ص ٢٩٩. والاية في سورة النساء: ١٤٢.

رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في المجالس ص ٢٤٨، والمعاني ص ٢٣٧.

الجعفريات ص ٣٦.

و«**الصفن**» وهو رفع إحدى الرجلين. و«**الصفد**» وهو اقتران القدمين. و«**الاختصار**» وهو وضع يديه على خاصرتيه. و«**الصلب**» وهو ذلك مع التجافي بين عضديه. و«**السدل**» وهو إدخال اليدين تحت الثوب في الركوع والسجود، وعقص شعر الرأس للرجال وهو الكفّ. ووضع إحدى الكفّين على الأُخرى، وإدخالهما بين الفخذين في الركوع وهو التطبيق. ونفخ موضع السجود».

وزاد أصحابنا على ذلك كلّه تحديد النظر في شيء والامتخاط والتنخّم والبصاق والتبسّم أمّا القهقهة فمبطلة، والتصفيق إلاّ لضرورة، والعجن باليدين أو إحديهما في النهوض والتبازخ في الركوع - بالتاء المثناة الفوقانية والباء الموحّدة والزاي والخاء المعجمة - وهو تقويس الظهر إلى فوق مع إخراج الصدر. والتدبيخ - بالتاء المثناة الفوقانيّة والدال المهملة والباء الموحّدة والياء المثناة التحتانية والخاء المعجمة - ويروى - بالحاء. أيضاً وهو تقويس الظهر إلى فوق مع طأطأة الرأس، وخشوع القلب يستلزم خشوع الجوارح، ولهذا لمّا رأى النبيُّ ﷺ وآله العابث في الصلاة قال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**»(١) بخلاف العكس، لأنّ القلب هو الأصل وعليه المدار.

فضيلة المساجد ومواضع الصلاة

قـــال الله تـــعـــالـــى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٢).

وفي الفقيه، «روى أبو حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: من صلّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة قبل الله بها منه كلّ صلاة صلاّها

(١) الجعفريات ص ٣٦.
(٢) سورة التوبة: الآية، ١٨.

منذ يوم وجبت عليه الصلاة وكلّ صلاة يصلّيها إلى أن يموت»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «الصلاة في مسجدي كألف صلاة في غيره إلاّ المسجد الحرام فإنّ صلاة في المسجد الحرام كألف صلاة في مسجدي»[(٢)].

وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «المساجد الأربعة ـ : المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة ـ يا أبا حمزة الفريضة فيها تعدل حجّة، النافلة تعدل عمرة»[(٣)].

وقال عليٌ عليه السلام: «صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة [ألف] صلاة، وصلاة في مسجد القبيلة تعدل خمساً وعشرين صلاة، وصلاة في مسجد السوق تعدل اثنتى عشرة صلاة، وصلاة الرّجل في بيته صلاة واحدة»[(٤)].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من بنى مسجداً كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة»[(٥)].

وقال أبو عبيدة الحذّاء ومرّ عليه السلام بي وأنا بين مكّة والمدينة أضع الأحجار، فقلتُ: هذا من ذاك؟ فقال: نعم»[(٦)].

---

(١) الفقيه باب فضل المساجد رقم ٢ و٣.
(٢) نفس المصدر.
(٣) في الفقيه باب فضل المساجد رقم ٥.
(٤) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٥ و ٢٥ و ٢٣ و ٢٤ و ٣٩ و ٤٤.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله عزّ وجلّ، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «من مشى إلى المسجد لم يضع رجليه على رطب ولا يابس إلاّ سبّح الله له إلى الأرضين السابعة»[٢].

وقال عليه السلام: «من تنخّم في المسجد ثمّ ردّها في جوفه لم تمرّ بداء إلاّ أبرأته»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنس المسجد يوم الخميس فأخرج منه من التراب ما يذرّ في العين غفر الله له»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء من السراج»[٥].

وروي: «أنّ في التوراة مكتوباً: أنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة»[٦].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

وروي أنّ البيوت الّتي يصلّى فيها باللّيل يضيىء نورها لأهل السماء كما يضيىء نور الكواكب لأهل الأرض»[١].

ومن أراد دخول المسجد فليدخله على سكون ووقار، فإنّ المساجد بيوت الله وأحبُّ البقاع إليه. وأحبّهم إلى الله عز وجلّ رجلاً أوّلهم دخولاً وآخرهم خروجاً ومن دخل المسجد فليدخل رجله اليمنى قبل اليسرى وليقل: «بسم الله وبالله والسلام عليك أيّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، اللهمّ صلّى على محمّد وآل محمّد، وافتح لنا أبواب رحمتك واجعلنا من عمّار مساجدك، جلّ ثناء وجهك».

وإذا خرج فليخرج رجله اليسرى قبل اليمنى وليقل: «اللّهم صلّى على محمد وآل محمّد وافتح لنا باب فضلك»[٢] هذا كلّه من الفقيه.

وفي الصحيح، عن ابن سنان، عن الصادق عليه السلام «قال: سمعته يقول: إنّ أُناساً كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أبطأوا عن الصلاة في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فيوقد عليهم نار فيحرق عليهم بيوتهم»[٣].

وعنه، عن أبيه، عن عليٍّ عليه السلام: «قال: لا صلاة لمن لم يشهد الصلوات المكتوبات من جيران المسجد إذا كان فارغاً صحيحاً»[٤].

---

(١) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٤٥.
(٢) في الفقيه باب فضل المساجد تحت رقم ٤٧ و ٤٨.
(٣) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ ص ٢٥٢.
(٤) رواه الشيخ في التهذيب ج١ ص ٣٢٧.

وعن النبي ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتّى يركع وليدع الله عقيبهما وليصلّ على النبيّ ﷺ ودعا الله وسأله حاجته[١]».

وعنه ﷺ: «الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يُحدث، فقيل: يا رسول الله وما يحدث؟ قال: الاغتياب»[٢].

قال أبو حامد: «قال النبي ﷺ: «الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مصلاّه الّذي يصلّي فيه: اللهمّ اغفر له اللّهمّ ارحمه. ما لم يحدث أو يخرج من المسجد[٣]».

وقال ﷺ: «من ألف المسجد ألفه الله[٤]».

وقال ﷺ: «إذا رأيتم الرّجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»[٥].

وقال ﷺ: «يكون في آخر الزّمان أُناس من أُمّتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً، ذكرهم الدنيا وحبُ الدُنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة[٦]».

---

(١) أخرج صدره البخاري ج١ ص ١١٤، ومسلم ج٢ ص ١٥٥، والترمذي ج٢ ص ١١٢، وغيره كلهم عن أبي قتادة، وراجع أيضاً البحار ج١٨ باب صلاة التحية والدعاء عند الخروج إلى الصلاة ص ١٤١.
(٢) رواه الصدوق في الأمالي كما في البحار ج١٨ ص ١٣٦.
(٣) أخرجه البغوي في المصابيح ج١ ص ٤٨، والنسائي في السنن ج٢ ص ٥٥.
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٣.
(٥) أخرجه الترمذي ج١١ ص ٢٣٧. وأحمد في المسند ج٣ ص ٧٦.
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه بزيع أبو الخليل ونسب إلى الوضع كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ٢٤.

وقال عليٌ بن أبي طالب عليه السلام: «إذا مات العبد بكى عليه مصلاّه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثمّ قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾[1].

وقال ابن عباس: «تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً[2]».

وقيل: إنّها تشهد له بها يوم القيامة، ويقال: ما من منزل ينزله قوم إلاّ أصبح ذلك المنزل يصلّي عليهم أو يلعنهم.

(١) أخرجه ابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع كما في الدار المنثور ج٦ ص ٣١، والآية في سورة الدخان: ٢٩.

(٢) أخرجه الحاكم وابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور ج٦ ص ٣١.

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة

أقول: ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول: ينبغي للمصلّي إذا فرغ من الطهارة وإزالة الخبث عن البدن والثوب ومحلّ السجود بل كلّ المكان ومن ستر العورة بل من السرّة إلى الركبة بما يجوز لبسه في الصلاة أعني غير الحرير المحض، ولا جلد الميتة، ولا ما لا يؤكل لحمه، ولا شعره ووبره سوى ما استثني أن ينتصب[١] قائماً متوجّهاً إلى القبلة عينها أو جهتها بوقار وخشوع، واضعاً يديه على فخذيه بإزاء ركبتيه، مفرّجاً بين قدميه بقدر ثلاث أصابع مفرّجات إلى شبر، مستقبلاً بأصابع رجليه جميعاً القبلة، مسدلاً منكبيه، مقيماً صلبه، ناظراً إلى موضع سجوده، غير مجاوز بصره عن مصلاّه، ولا رافع له إلا السماء، فإن لم يكن مصلّى فليقرب من جدار، أو يضع بين يديه شيئاً، أو يخطّ خطاً ليستتر بذلك ممّن يمرُّ بين يديه، ويقصر مسافة البصر، ويمنع تفرُّق الفكر، قال الصادق عليه السلام: «لا يقطع الصلاة شيء لا كلب ولا حمار ولا امرأة ولكن استتروا بشيء»[٢].

فإذا استوى قيامه واستقباله وإقباله على الصلاة فليُحضر النيّة بأن يقصد بقلبه أنّه يؤدّي فريضة الظهر مثلاً لله ليميّزه بقوله أؤدي عن القضاء، وبالفريضة عن النّفل، وبالظّهر عن العصر وغيره، ويقارن بها إحدى التكبيرات

---

(١) قوله: «أن ينتصب» مربوط بقوله «ينبغي».
(٢) الكافي ج٣ ص ٢٩٧، التهذيب ج١ ص ٢٢٨.

السبع الإفتتاحية ويجعلها تحريمه، ويرفع بكلٍّ منها يديه فإنّه زينة الصلاة والعبودية ويتأكد للإمام، ويستقبل بكفيّه القبلة، ضامّاً أصابعه سوى الإبهامين غير متجاوز بكفيه أُذنيه، مبتدئاً بالتّكبير حال ابتداء الرّفع، منتهياً بانتهائه، وكذلك في كلّ تكبير في الصلاة، ويقطع همزتي الجلالة وأكبر من غير مدّ، ويضمّ الهاء من الجلالة ضمّة خفيفة من غير مبالغة، ولا يمدّ بين اللاّم والهاء زيادة على العادة، ويجزم راء التكبير ولا يضمّه، ويأتي بالتكبيرات السبع بأدعيتها فعند الثالثة: «اللّهمّ أنت الملك الحقّ، لا إله إلاّ أنت، سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت.

وبعد الخامسة: «لبّيك وسعديك، والخير في يديك والشرّ ليس إليك، والمهديُّ من هديت لا ملجأ منك إلاّ إليك، سبحانك وحنانيك تباركت وتعاليت سبحانك ربَّ البيت[1]».

وفي بعض الأخبار بعد قوله: «والمهديُّ من هديت» «منك وبك ولك وإليك».

وبعد السابعة: «وجهّت وجهي للّذي فطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنامن المسلمين».

وفي بعض الأخبار بدل: «عالم الغيب والشهادة» «**على دين محمّد ومنهاج عليّ**».

(١) قوله: «لبيك وسعديك» أي اقامة على طاعتك بعد اقامة ومساعدة على امتثال أمرك بعد مساعدة «والشر ليس إليك» أي ليس منسوباً إليك ولا صادراً عنك. والحنان ـ بتخفيف النون ـ: الرحمة وبتشديدها ذو الرحمة: وقوله: «سبحانك وحنانيك» أي انزهك عما لا يليق بك تنزيها والحال أني أسألك رحمة بعد رحمة.

ثمّ يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيّطان الرّجيم»، متخافتاً بها، ثمّ يقرء الحمد على الوجه المنقول بالتواتر، مخرجاً للحروف من مخارجها، مراعياً للوقوف في مواضعها، مرتّلاً موالياً لأجزائها عرفاً، آتياً بالبسملة لأنّها جزء منها ويجهر بها في الصبح وأُوليي العشائين والجمعة، ويخافت في غيرها فيما عدا البسملة، ويسكت بعدها بقدر نفس، ثمّ يقرأ سورة كذلك مع بسملتها، وينبغي أن تكون مثل الأعلى والشمس في الظهر والعشاء، ومثل الفتح والتكاثر في العصر والمغرب، ومثل النبأ والدّهر في الصبح، وفي الجمعتين الجمعتين[1] وفي ليلتها وغداتها الجمعة وفي غداة الخميس، والاثنين الدهر، وفي بعض الأخبار القدر في جميع الفرائض، وفي الثانية التوحيد، وفي بعضها بالعكس، ويسكت بعدها كما سكت قبلها، ثمّ يرفع يديه كرفعه في السبع، آتياً بالتكبير وهو قائم، ثمّ يركع واضعاً يمناه على ركبته اليمنى قبل يسراه على اليسرى، مالئاً كفّيه بركبتيه، مُلقماً لهما بأطراف أصابعه مفرّجات، رادّاً لهما إلى خلف، مستوياً ظهره بحيث لو صبّ عليه قطرة من ماء أو دهن لم تزل، مادّاً عنقه مغمّضاً عينيه أو ناظراً إلى ما بين قدميه، ثم يقول: «اللّهمّ لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت وعليك توكّلت وأنت ربّي خشع لك سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي ومخّي وعصبي وعظامي وما أقلّته قدماي، غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر»[2].

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) قوله «أقلته قدماي» أي ما حملته قدماي. والاستنكاف معناه بالفارسية ننلَ داشتن. والاستحسار - بالحاء المهملة والسين - التعب المراد أني لا أجد في الركوع تعباً ولا كلل ولا مشقة بل أجد لذة وراحة. وقوله: «سبحان ربي العظيم وبحمده» يعنى انزه=

ثمَّ يقول: «سبحان ربّي العظيم وبحمده» مرّة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً إلى ما يتّسع له الصدر، فقد عُدَّ للصادق عليه السلام في الركوع والسجود تسعون تسبيحة، ثمَّ ينتصب ويقول: «سمع الله لمن حمده» رافعاً يديه، ثمَّ يقول: «والحمد لله ربّ العالمين أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت»، ثمَّ يكبّر على قياس ما ذكر وهو قائمٌ ويهوي للسجود بخضوع وخشوع، متلقّياً الأرض بكفّيه قبل ركبتيه، مجنّحاً بيديه، باسطاً كفّيه، مضمومتي الأصابع حيال منكبيه ووجهه، ولا يلزقهما بركبتيه، ولا يدنهما من وجهه، ولا يضع شيئاً من جسده على شيء منه في ركوع ولا سجود، ويسجد على الأرض أو ما نبت منها غير مأكول ولا ملبوس عادة، ولا معدن لأنَّ أبناء الدّنيا عبيدٌ لما يأكلون ويلبسون ـ كذا عن الصادق عليه السلام[1].

وقال عليه السلام: «وإن تسجد على الأرض أحبُّ إليَّ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبُّ أن يمكّن جبهته من الأرض، فأنا أُحبُّ لك ما كان رسول الله عليه السلام يحبّه»[2].

وقال عليه السلام: «وإن أفضيت بيديك إلى الأرض فهو أفضل»[3]، وأفضل

= ربي العظيم عما لا يليق بعز شأنه تنزيهاً وأنا متلبس بحمده على ما وفقني له من تنزيهه وعبادته كأن المصلى لما أسند التنزيه إلى نفسه خاف أن يكون في هذا الاسناد نوع تبجح بأنه مصدر لهذا الفعل العظيم فتدارك ذلك بقوله: وأنا متلبس بحمده على أن صيرني أهلاً لتسبيحه وقابلاً لعبادته، فسبحان مصدر ـ كغفران ـ ومعناه التنزيه ونصبه على أنه مفعول مطلق وعامله محذوف سماعاً، والواو في «وبحمده» واو الحال وبعض النحاة يجعلها عاطفة وهو من قبيل عطف الجملة الاسمية على الفعلية (كذا قال الشيخ البهائي في مفتاح الفلاح).

(١) الفقيه ص ٧٣ رقم ١، والعلل ج٢ باب ٤٢، والتهذيب ج١ ص ٢٠٢.

(٢) التهذيب ج١ ص ٢٢٤.

(٣) التهذيب ج١ ص ١٥٧.

المساجد التربة الحسينيّة على مشرفها السلام، فإنّها تنور إلى الأرضين السبع وتخرق الحجب. كذاعن أئمة الهدى صلوات الله عليهم[١]، ويضع مع الجبهة الكفّين والركبتين وإبهامي الرّجلين، ويجعل الأنف ثامنها ويرغم به ويقول ناظراً إلى طرفه: **«اللّهم لك سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكّلت، وأنت ربّي سجد وجهي للّذي خلقه وشقّ سمعه وبصره، الحمد لله ربّ العالمين تبارك الله أحسن الخالقين»**.

ثمّ يقول: **«سبحان ربّي الأعلى وبحمده»** مرّة، أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، إلى ما يتّسع له الصّدر، ثمّ يرفع رأسه ويكبّر جالساً على فخذه الأيسر، وقد وضع ظهر قدمه اليمنى على بطن اليسرى ويقول: **«أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»**.

ثمّ يقول: **«اللّهمّ اغفر لي وارحمني وأجرني وادفع عنّي إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير تبارك الله ربُّ العالمين»**.

ثمّ يكبّر ويسجد السجدة الثانية كالأولى، ثمّ يرفع رأسه ويجلس متورّكاً كما ذكر هنيئة، وهي جلسة الاستراحة، ثمّ يقوم رافعاً ركبتيه قبل كفّيه معتمداً عليهما قائلاً: **«بحولك اللّهم وقوّتك أقوم وأقعد»** وإن شاء يقول: **«وأركع وأسجد»**.

فإذا انتصب قائماً فيأتي بالبسملة والحمد وسورة وأفضلها التّوحيد في جميع الفرائض، ثمّ يسكت بقدر نفس، ثمّ يكبّر للقنوت ويرفع كفّيه تلقاء وجهه، مستقبلاً ببطنيهما السّماء، ضامّاً أصابعهما ما عدا الإبهامين، وينظر

(١) راجع الفقيه ص ٧٢ تحت رقم ٢، والاحتجاج للطبرسي ص ٢٧٤ ومصباح المتهجد ص ٥١١.

إليهما ويأتي بكلمات الفرج، ثمّ يدعو بما شاء وأفضله المؤثورات ويجهر به ويطيل فيه، ففي الحديث: «**أطولكم قنوتاً في دار الدُّنيا أطولكم راحة يوم القيامة**»[(١)]، ثمّ يرفع يديه بالتكبير ويركع ويسجد السّجدتين كما مرّ، ثمّ يجلس للتشهد متورّكاً، لاصقاً ركبتيه على الأرض، مفرّجاً بينهما شيئاً ويقول: ناظراً إلى حجره: «**بسم الله وبالله وخير الأسماء لله أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً نعم الرّسول، اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وتقبّل شفاعته في أمّته وارفع درجته**»، ثمّ يحمد الله مرّتين أو ثلاثاً إن كانت غير ثنائية، ويقوم إلى الثالثة آتياً بما قاله عند نهوضه إلى الثانية، فإذا انتصب قائماً قرء الحمد أو سبّح التسبيحات الأربع فإن ثلّثها وأضاف إليها الاستغفار فهو أفضل، ثمّ يركع ويسجد آتياً بالتكبيرات والأذكار، ثمّ يأتي بالرابعة كذلك إن كانت رباعية، ثمّ يتشهّد ثانياً كما مرّ ويضيف إليه ما في رواية أبي بصير المشهورة، عن الصادق عليه السلام[(٢)] إلى آخر التسليمات المستحبّة، ثمّ يشير بمؤخّر عينيه إلى يمينه ويقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**» ناوياً به الخروج عن صلاته، قاصداً بالخطاب الأنبياء، والأئمة، والحفظة عليهم السلام، فهذه هيئة صلاة المنفرد.

ثمّ يشرع في التعقيب متورّكاً مستقبل القبلة، ملازماً لمصلاّة، مستديماً طهارته، مجتنباً كلّ ما يبطل الصلاة أو ينقص ثوابها، فقد روي: «أن كلّ ما يضرُّ بالصّلاة يضرُّ بالتعقيب، وهو أفضل من الصّلاة تنفّلاً، وأبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد»[(٣)].

---

(١) رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في الامالي ص ٣٠٤.
(٢) راجع التهذيب ج١ ص ١٦٢.
(٣) راجع مفتاح الفلاح ص ٤٩، والكافي ج٣ ص ٣٤٢، والتهذيب ج١ ص٢٦.

والأذكار الواردة فيه عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة، ويأتي بعضها في كتاب ترتيب الأوراد، وأفضلها تسبيح الزهراء عليها السلام، وهو أفضل من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم ـ كذا عن الصادق عليه السلام[1].

فإذا فرغ من التعقيب سجد سجدتي الشكر ويطيلهما ما استطاع، ويفترش ذراعيه فيهما، ويلصق صدره وبطنه بالأرض ويعفّر جبينيه وخدّيه أي يضعهما على العفر ـ بفتحتين وهو التّراب ـ وبوضع الخدّين يتحقّق الفصل بينهما ويدعو فيهما بالمأثور.

تمييز الفرائض والسنن وتفاوت بعضها عن بعض

أقول: جملة ما ذكرناه واشتملت على السنن والهيئات والآداب الّتي ينبغي أن يراعي مريد طريق الآخرة جميعها والفرض منها القيام، والنيّة، وتكبيرة الاحرام، وقراءة الفاتحة على الوجه المنقول بالتواتر والجهر بها أو الإخفات؛ والانحناء في الرُكوع إلى أن ينال راحتاه ركبتيه، والذكر فيه والطمأنينة بقدره، ورفع الرأس منه مطمئناً فيه والسّجدتان على الأعضاء السّبعة، والذكر فيهما، مطمئناً بقدره، ورفع الرأس عنهما والجلوس بينهما مطمئناً، والشهادتان في موضعيهما مع الصّلاة على النبيّ وآله عليهم السلام، والجلوس لهما، والتسليم على خلاف فيه، وهو تحليل الصّلاة كما أن التكبير تحريمها والطهور مفتاحها. وفي وجوب السورة بعد الحمد والقنوت أو استحبابهما خلاف، وكذا في وجوب الجهر بالبسملة في مواضع الإخفات أو استحبابه.

وما عدا هذه فليس بواجب بل هي سنن وهيئات وآداب فيها وفي

(١) الكافي ج٣ ص ٣٤٣ تحت رقم ١٤ و ١٥.

الفرائض، وللكل درجات متفاوتة في الفضل والإهتمام به فأهمّها النيّة، وأفضل الأفعال الأركانية السجود، ثمّ الركوع، ثمّ القيام وهذه الأربعة أركان تبطل الصلاة بتركها عمداً وسهواً ونظيرها من الشروط الطهور، قال الصادق عليه السلام: «الصلاة ثلاثة أثلاث: ثلث طهور، وثلث ركوع، وثلث سجود»[1]، ثمّ الجلوس للتشهد وفيما بين السّجدتين، ثمّ رفع اليدين في التكبيرات ثمّ سائر الهيئات وهي تابعة لذي الفضل في الفضل وما هو منها أدلُّ على الخشوع فهو أفضل، وأفضل الأذكار تكبيرة الإحرام، وهو من الأركان، ثمّ الفاتحة، ثمّ التشهد، ثمّ أذكار الركوع والسجود، ثمّ التسليم، ثمّ السورة وسائر التكبيرات، ثمّ القنوت، ثمّ التعوُّذ، ثمّ دعاء الإفتتاح الأخير، ثمّ الأوّلان، ثمّ سائر الأذكار، هذا ما يناسب طريقتنا في التفاوت والتفضيل ممّا فهمتُه من فحاوي الأخبار، ولم أرمن أصحابنا من تعرّض لذلك[2].

قال أبو حامد: بعد تمييز الفرائض والسّنن على بعض على طريقة العامّة: «فإن قلت: تمييز السّنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصّحة بفوت الفرض دون السّنة ويتوجّه العقاب به دونها فأمّا تمييز سنّة عن سنّة والكلُّ مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكلّ والثواب مرجوٌ على الكلّ فما معناه؟

فاعلم أنَّ اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها،

(١) الكافي ج٣ ص ٢٧٣ تحت رقم ٨.

(٢) في هامش بعض النسخ منه ـ رحمه الله ـ كذا: «لم يتعرض أبو حامد لتفضيل بعض الفرائض على بعض وتفاوتها في الدرجة ولا غيره من أصحابنا وإنما ذلك من خواص هذا الكتاب».

ولنكشف لك ذلك بمثال وهو أنّ الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلاّ بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة.

فالمعنى الباطن: هو الحياة الروح.

والظاهر: أجسام أعضائه.

ثمّ بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمه وتفوت الحياة بفواته؛ كالقلب والكبد والدماغ.

وبعضها لا يفوت به الحياة ولكن يفوت به مقاصد الحياة؛ كالعين واليد والرجل واللّسان.

وبعضها لا يفوت به الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن؛ كالحاجبين واللّحية والأهداب وحسن اللّون.

وبعضها لا يفوت به أصل الجمال ولكن كماله؛ كاستقواس الحاجبين، وسواد شعر اللّحية وتناسب خلقة الأعضاء، وامتزاج الحمرة بالبياض في اللّون، فهذه درجات متفاوته، فكذلك العبادة صورة صوّرها الشرع وتعبّدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنيّة وحضور القلب والإخلاص كما سيأتي، ونحن الآن في أجزائها الظاهرة، فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان يجري منها مجرى القلب والرأس والكبد، إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها، والسنن الّتي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح وغيرهما يجري منها مجري اليدين والعينين والرجلين لا يفوت الصحّة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوّه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه، فكذلك من اقتصر على أقلّ ما يجزيء من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حيّاً مقطوع الأطراف.

وأمّا الهيئات: وهي ما وراء السنن فيجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللّحية والأهداب وحسن اللّون.

وأمّا لطائف الآداب في تلك السنن: فهي مكمّلات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللّحية وغيرها والصلاة عندك قربة وتحفة تتقرّب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يُهديها طالب القربة من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثمّ تردّ عليك في يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها، فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها، ولا ينبغي أن يكون حظّك من ممارسة الفقه أن يتميّز لك السنّة عن الفرض فلا يعبق بفهمك من أوصاف السنّة إلاّ أنّه يجوز تركها فتتركها، فإنّ ذلك يضاهي قول الطبيب: إنّ فقأ العينين لا يبطل وجود الأنسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرّب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهديّة، فهكذا ينبغي أن يفهم مراتب السنن والهيئات والآداب، وكلّ صلاة لم يتمّ الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأوّل على صاحبها تقول: «**ضيعك الله كما ضيعتني**»، فطالع الأخبار الّتي أوردناها في إكمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها»[1].

أسرار القراءة في الصلاة

(١) **قال العارف القاضي سعيد القمي في أسرار العبادات**: شرّع ذلك في حالة القيام، لوجود صفة القيومية في العبد لكونه قائماً والله سبحانه قائم على كلّ نفس فهو للإشعار بأن الله يقوم بأمر العبد وبما فيه صلاحه، وأنه قيّوم السموات والأرض، فما له حديث مع ربه إلاّ بكلام ربه وليس له قيام إلاّ بخدمة سيّده وبإقامته إياه في أيّ مقام شاء، فالقيام مقام توحيد الأفعال ولهذا صار أول أفعال الصلاة المشيرة إلى التوحيدات الثلاثة ولذلك شرّع قراءة الحمد في القيام، لأنّها صريحة في توحيد الأفعال وأن الملك لله المتعال.
ولهذا السورة المباركة أسماء كثيرة منها: أنها «السبع المثاني» والوجه في ذلك أنه قد ورد: أنّ أئمتنا عليهم السلام هم السبع المثاني.
=

= فالسورة إنّما سميّت بذلك، لكونها إشارة إلى أنوارهم من نزولها وعروجها إلى الله وإلى بيان كمالاتهم من حيث الجلاء والإستجلاء وإلى كونهم مظاهر المحامد الإلهية ومرايا الأنوار القدسية وإلى أنّ لهم المقام المحمود ولواء الحمد في اليوم الموعود.

وبالجملة: إشارة إلى أنّهم أهل الحمد بل هم ألسنة الحمد بل هم الحمد وذلك لأنّ نورهم الواحد المخلوق قبل اللّوح والقلم الأعلى والعرش والكرسي والأرض والسماء يسبح الله ويقدّسه ويحمده ولم يخلق هناك شفة ولا لسان ولا بيان ولا ترجمان إلى أن خلقت جميع الحقائق الإلهية بسبب ذكل التسبيح والتحميد.

ولا تستبعدنّ من أن يكون التحميد علّة الخلق والإيجاد إذ الملائكة شأنهم ذلك حيث ظهر من تسبيحهم هذه الأمور من عالمنا هذا، وكذا المؤمن إذا سبح التسبيحات الأربع وغيرها يغرس بها شجرة في قيعان الجنة، وكما ورد: أنّه من بعض الأذكار يخلق الحور والغلمان إلى غير ذلك فافهم.

فإذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة ولم يرَ في وقوفه ولا في تكبيره غير ربّه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ورأى إختصاصه تعالى برداء الكبرياء وإستيثاره بإزار العظمة والبهاء فحينئذٍ يراه متلّبساً بلباس الثناء، فيشرع بعد التسمية بالتحميد فيقول كما علّمه ربّه.

الحمد لله: عواقب الثناء يرجع إلى الإسم المقدّم والنور الأعظم بمعنى كلّ ثناء على كون من الأكوان فعاقبته إلى الله ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] وذلك لأنّ الثناء على أيّ شيء كان فهو على صفاته المحمودة وهي نتائج الصفات الإلهية، فالكلّ لله الذي ظهر لنفسه في صفاته في حقائق الأسماء والصفات ربّ العالمين، الّذي أبدع آثار الأسماء وجوداً نورياً في مرتبة الروح الكلي في العالم الربوبي.

الرّحمن: الذي رحم تلك الحقائق والآثار حيث زعمت بلطافة مرتبتها وصفاء نوريتها في هذه العوالم القدسية أنهم أشياء بأنفسها وأنوار دون الله تعالى، فأظهرها في عالم الشهادة حتى يتّضح لها أنها فاقرة (الذوات هالكة الهويّات) فيعلموا أنهم عباد مربوبون ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا أنفسهم ينصرون، وهذا وإن كان في الظاهر عقوبة مرتّبة على ذلك العصيان إلا أنه رحمة عظيمة وإمتنان.

الرحيم: بأن رحمهم حيث خلصهم من ورطة الطبع بظهور تلك الأنوار في النشأة الإنسانية التي هي الكلمة الجامعة فهو رحمان العالمين ورحيم المؤمنين، وبوجود الإنسان تقوم=

= النشأة الباقية ويتحقق سلطان الآخرة.

فهو، مالك يوم الدين: حيث يملك الكلّ ويحيط بالقلّ والجلّ لإحاطته بالإنسان وتملّكه لهذا السلطان. وبتمام هذه الأسماء الحسنى، يتجلى للعبد السالك أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه معكم أينما كنتم فالأولية لإسم الله والآخرية، لمالك يوم الدين، والظاهرية للرحمن لعمومه، والباطنية للرحيم لإندراج الكل في الإنسان، والمعية لربّ العالمين لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

فلما لم يبقَ في نظر العارف في هذه الحالة شير سوى الله، أظهر توحيده بحرف الخطاب فجعله مواجهاً في قبلته لا على وجه التحديد بل على ما أدّبه الله على لسان نبيّه: «اعبد الله كأنّك تراه» وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۝﴾ وصيغة الجمع في العبادة والإستعانة لأنّ العابدين في العبد كثير من أجزائه وأعضائه وقواه وحدوده وأطرافه والكلّ يطلب العون منه في ذلك، إذ الصلاة عمّ حكمها ظاهر المصلي وباطنه بحيث لم يشذ منه جزء ولا عضو، فلا بدّ من أن يقف بكلّه ويركع بكلّه ويسجد بكلّه.

وبالجملة: يعبد الله بكلّه فمتى لم يكن كذلك في عبادة ربّه كان كاذباً.

في قراءته «إهدنا» ينبغي أن يحضر عنده الإسم الإلهي «الهادي» ويسأله أن يبين له صراطه أو يثبته عليه أو يوفّقه للمشي عليه بحسب حاله، «الصراط»، الذي عليه الرب فيكون الرب تعالى أمامه وناصيته بيده المستقيم، الذي هو الوسط من الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، صراط النبيين والصدّقين والأولياء والصالحين الذين أنعمت عليهم بالهداية إليه غير المغضوب عليهم من الذين دعاهم النبي إلى الإقرار بالرسالة بـ «حيّ على الصلاة» و «الفلاح» فلم يجيبوه، ولا الضالين الذين دعاهم إلى القول بالولاية بـ «حيّ على خير العمل» فلم يجيبوه وإن أجاب بعضهم في الظّاهر لكن ضيّعوه وغصبوه في الأخر. [أسرار العبادات ص ٣٦-٣٩].

الثناء إظهار صفة الكمال

وصل في ذلك: إعلم، أنّ الثناء هو إظهار صفة الكمال والإفصاح بنعوت الجلال والجمال وأنّ الألوهية مجمع الأسماء الحسنى والصفات العليا.

والصادر الأول الذي هو النور الجامع لرمّة الأنوار الإلهية وجملة المحامد السبحانية، أول مظهر لهذه الصفات وأقدم مرأة لتلك الكمالات، فهو نفس تلك المحامد على الإجمال وعين الثناء على وجه الكمال.

=

= فأقول: «الحمد لله» أي النور العقلي والعالم العلوي، إنّما هو مبدع أول لله المتعال ومظهر مقدّم لصفات الجمال والجلال، فله الألوهية العظمى والوحدانية الكبرى.
«رب العالمين» الذي بعلمه ومشيته خلق النفس الكلية الإلهية التي هي عبد مربوب في المسجد الأقصى والبيت المقدس الذي هو المادة الكلية الواقعة في فضاء القدس ومحل قيام الناس لربّ العالمين ومحط ركوعهم مع الراكعين وموضع سجودهم مع الساجدين.
«الرحمن» الذي خلق الطبيعة الكلية بإرادته لترتبط النفس بها إلى مادة كمالاتها الذاتية وتهبط إلى أرض عبادتها وتسعى لقيام الصلاة في هذا المسجد الأقصى.
«الرحيم» الذي أخرج النفوس الشريفة المؤمنة التي إرتاضت في خلوات هذه الليلة الظلماء وإستنارت بنور ربّها ورجعت صافية نقية إلى بارئها حيث نوديت: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٨] فعادت إلى ما بدأت منه في السلسة البدويّة، واجدة ضالتّها التي هي الحكم والأنوار الإلهية في أقصى غرب العالم السفلي، جامعة لعقد الجواهر العقلية التي إنتشرت في معادن الجبال الرواسي فهو مالك يوم الدين حيث يرجع إليه الكلّ برجوعه أولاً إلى تلك النفس الشريفة بحسب الكمال ورجوعها إلى الله ذي الجلال.
فبالإنسان قامت النشأة الدنيا وتقوم النشأة الأخرى، فإذا رجعت هذه اللطايف إلى ربّ العالمين خاطبته بكلامه، واجهته مع فنائها وبقائه فقالت: «إياك نعبد» أن نطلبك في كل ذرة فوجداناك، وتعرّفت إلينا في كلّ شيء فعرفناك حيث تجليت لنا بصفات ذاتك. وكان مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لم يزل يكرر هذه الآية في صلاته حتى سمعها من قائلها.
«وإياك نستعين» في هذا الطلب، فأعتنا بالوصول إلى المطلب، فنحن منك ولك وإليك، تفضّل علينا.
«اهدنا الصراط المستقيم» الذي هو وليّك علي بن أبي طالب عليه السلام وهو منك كما ورد: أنّ علياً ممسوس في ذات الله، ومن الرسول كنفسه، ومن أولاد الرسول عين نورهم، ومن الأنبياء نفس ظهورهم، ومن الكلّ صراطهم. فهو عليه السلام صراط هؤلاء الذين أنعمت عليهم حيث وصلوا به إليك وتوسلّوا به إلى كل خير لديك وكان هو معهم سراً، وهم منه كالأعضاء والقوى.
«غير المغضوب عليهم» من الذين أفرطوا فيه من الغالين فجعلوه إله العالمين.
«ولا الضالين»: الذين لم يصلوا إلى معرفته وما أقاموا في مقامه، فما عرفوه حقّ معرفته، =

= فضلّوا عن صراطه وأضلوا كثيراً عن سبيله والحمد لله رب العالمين. [أسرار العبادات للعارف سعيد القمي ص ٣٩-٤١].

أسرار الفاتحة

وصل آخر: «بسم الله» بعليّ الوليّ الذي هو إسم الله الأعظم والنور المقدم، وقع إبتداء الأشياء وحصّل للأسماء كمال الجلا والإستجلاء.

«الرحمن» الذي بهذا المولى أخرج الأشياء إلى الوجود.

«الرحيم» الذي بهداية عليّ تميز العابد عن المعبود.

«الحمد لله» الكلّ، لله الذي تجلّى بنفسه لنفسه في مرتبة غيبه فترآى نور عليّ الذي هو باطن محمد عليهما وآلهما السلام في هذه المرآة، لأنّه أول ما إختار لنفسه من الأسماء والصفات، إنما هو العلي العظيم، وأنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم.

ورأى رسول الله ﷺ في معراجه علياً يمشي أمامه حتى دخل في النور وكلّم نبينا في المعراج وموسى في الطّور (على لسان عليّ الوصيّ)، وتكلّم عيسى في المهد على لسانه وهو صبي، بوصف ذلك الولي.

«رب العالمين» الذي ظهرت الربوبية بتجلّي المرتبة الإلهية السابقة بنفسها لنفسها على نفسها، فصار عليّ إمام العالمين ونور السموات والأرضين وتعلّمت الملائكة منه العلوم، وقام كلّ بأمره في مقام معلوم، وصاروا بإذنه يعلمون ولا يعصون ويفعلون ما يؤمرون.

«الرحمن» الذي تجلت جوهرة الربوبية فظهرت العبودية فصار عليّ مصوّر الأرحام، ومنبت النبات، ومورق الأشجار، ومثمر الثمار، وقاسم الأرزاق، ومغيث أهل الوفاق ومهلك القرون من أهل النفاق،

«الرحيم» حيث هدى الأنبياء والأولياء بنور عليّ من الظلمات ونجّاهم من البليّات وتفضّل على فقراء الأمّة المرحومة بأن جعله إماماً لهم في الدنيا والآخرة، فصاروا: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وفازوا بالفضيلة (العظمى وفاقوا بذلك) على جميع الأكياس.

«مالك يوم الدين» حيث جعل نواصي العباد بيد عليّ في الدنيا ويوم التّناد، وكذا أعمالهم في الدنيا تُعرض على المولى في الصباح والمساء وحسابهم على عليّ في العقبى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وأنا ...

= سلطانه في دار القرار وجعله قسيم الجنة والنار.

«إياك نعبد» في ولايتنا لعليّ.

«وإياك نستعين» حيث نستعين بهذا الوليّ.

«إهدنا الصراط المستقيم» ثبّتنا على موالاته أو أجعلنا (سائراً) على منهاجه وأوصلنا إليه بأن تجعلنا من المارين عليه أو من منازل هذا الصراط ومن قوى ذلك الإنسان أو أرِنا نوريّته حتى نعرفه بالنورانيّة.

«صراطَ الَّذين أنعَمتَ عليهم» من الأنبياء والأولياء وحيث عرفوه بالنورانية وكان هو معهم سراً.

«غير المغضوب عليهم» من الذين غصبوا حقه وجلسوا مقامه.

«ولا الضالّين» الذين لم يعرفوه حقّ معرفته. [أسرار العبادات للعارف سعيد القمي ص ٤١-٤٢].

معرفة الإمام علي عليه السلام بالنورانية

أمّا معرفته صلوات الله عليه بالنورانية ففي الخبر ما رواه سلمان وأبو ذر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كان ظاهرة في ولايتي أكبر من باطنه خفّت موازينه.

يا سلمان: لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفني بالنورانية، وإذا عرفني بذلك فهو مثمن إمتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً بدينه مستبصراً، ومن قصر ذاك فهو شاك مرتاب.

يا سلمان ويا جندب: إنّ معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي وهو الدين الخالص، يقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ﴾ وهو الإخلاص وقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾ وهو الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدّين الحنيف قوله: و ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي ولايتي فمن والاني فقد أقام الصلاة وهو صعب مستصعب، و ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وهو الإقرار بالأئمة عليهم السلام ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] شهد القرآن، أن الدين الخالص التوحيد والإقرار بالنبوّة والولاية فمن جاء بهذا فقد أتى بالدين القيّم.

يا سلمان، ويا جندب: المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا إلاّ شرح الله صدره لقبوله ولا يشك ولا يرتاب، ومن قال: «لم؟ وكيف؟» فقد كفر فسلّموا الله أمره فنحن أمر الله.

يا سلمان، ويا جندب: إن الله جعلني أمينه على خلقه وخليفته في أرضه وبلاده وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون.

يا سلمان: قال الله عز وجل: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾، فالصبر: محمد صلى الله عليه وآله، والصلاة: =

= ولايتي ولذلك قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل وأنّهما ثم قال: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] فاستثنى أهل ولايتي الذين إستبصروا بنور هدايتي.

يا سلمان: نحن سر الله الذي لا يخفى ونوره الذي لا يطفى ونعمته التي لا تجزى، أوّلنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن عرفنا فقد إستكمل الدين القيّم.

يا سلمان! ويا جندب!: كنت ومحمد نورين، نسبّح قبل المسبحات ونشرق قبل المخلوقات، فقسم الله ذلك النور نصفين نبي مصطفى ووصيّ مرتضى، فقال الله عزّ وجلّ لذلك النصف: كن محمداً وللآخر: كن علياً.

يا سلمان، ويا جندب: وكان محمد الناطق وأنا الصامت ولا بدّ في كلّ زمان من صامت وناطق، فمحمد صاحب الجمع وأنا صاحب الحشر، ومحمد المنذر وأنا الهادي، ومحمد صاحب الجنة وأنا الرجعة، محمد صاحب الحوض وأنا صاحب اللواء، محمد صاحب المفاتيح وأنا صاحب الجنة والنار، محمد صاحب الوحي وأنا صاحب الإلهام، محمد صاحب الدلالات وأنا صاحب المعجزات، محمد خاتم النبيّين وأنا خاتم الوصيّين، محمد صاحب الدعوة وأنا صاحب السيف والسطوة، محمد النبي الكريم وأنا الصراط المستقيم، محمد الرؤوف الرحيم وأنا العليّ العظيم.

يا سلمان: قال الله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ولا يعطي هذه الروح إلا من فوّض الله إليه الأمر والقدرة وأنا أحيي الموتى وأعلم ما في السموات والأرض، وأنا الكتاب المبين.

يا سلمان: محمد مقيم حجة الحق وأنا حجة الحق على الخلق وبذلك الروح عرج به إلى السماء، أنا حملت نوحاً في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، أنا الذي جاوزت موسى في البحر وأهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء والأوصياء وفصل الخطاب، وبي تمّت نبوة محمد، أنا أجريت البحار والأنهار وفجّرت الأرض عيوناً، أنا كابّ الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلّة، أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذي رفعت سمكها بإذن الله عزّ وجلّ، أنا دحوت أرضها. أنا المنادي من مكان بعيد، أنا دابّة الأرض، أنا كما قال رسول الله ﷺ: «أنت يا علي ذو قرنيها وكلا طرفيها ولك الآخرة والأولى».

يا سلمان: إنّ ميّتنا إذا مات لم يمت، ومقتولنا إذا قتل لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغب=

= ولا يلد ولم يولد في البطون ولا يقاس بنا أحد من الناس. أنا تكلّمت على لسان عيسى في المهد، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الرجعة، أنا صاحب الزلزلة، أنا اللوح المحفوظ إلى إنتهى علم ما فيه، أنا أتقلب في الصور كيف شاء الله، من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغير.
يا سلمان: بنا شرف كل مبعوث؛ فلا تدعونا أرباباً وقولوا فينا ما شئتم؛ فينا هلك من هلك وبنا نجى من نجى.
يا سلمان: من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان ورضي عنه، ومن شك وإرتاب فهو ناصب وإن إدّعى ولايتي فهو كاذب.
يا سلمان: أنا والهداة من أهل بيتي سرّ الله المكنون وأولياءه المقرّبون، كلّنا واحد وأمرنا واحد وسرّنا واحد، فلا تفرّقوا فينا فتهلكوا، فإنّا نظهر في كلّ زمان بما شاء الرحمن، فالويل كلّ الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكره إلاّ أهل الغباوة ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.
يا سلمان: أنا الطامّة الكبرى، أنا الآزفة إذا أزفت، أنا الحاقّة، أن القارعة، أنا الغاشية، أنا الصاخة، أنا المحنة النازلة، ونحن الآيات والدلالات والحجب ووجه الله، وأنا كتبت إسمي على العرش فإستقرّ، وعلى السموات فقامت، وعلى الأرض فرست، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الودق فهمع، وعلى النور فسطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجى، وأظلم وعلى النهار فأنار فتبسّم».
[أسرار العبادات للعارف سعيد القمي ص ٤٣-٤٦].

شرح الخطبة

بيان: «لا يكمل»: إمّا على المجرّد فقوله: «إيمانه» بدل من المؤمن وإمّا على المزيد فيه، فالإيمان مفعول. و «قصّر» على صيغة التفعيل. وجندب إسم أبي ذر رضي الله عنه قوله: «وهو الإخلاص» أي التوحيد هو الإخلاص المفهوم من قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ في قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ «ولم يرد» بالتخفيف من الورود. «ونعمته التي لا تجزى» أي النعمة التي لا يقابلها جزاء لكثرة المثوبات أو النعمة التي أعطاها الله بالعناية السابقة قبل الإستحقاق فيكون من النعم المبتدأة. و «صاحب الرجعة» لرجوعه عليه السلام في رخر الومان. و «فصل الخطاب» أي الخطاب الفاصل وفي الخبر: أنه معرفة الألسنة=

= التي في الإنسان والحيوان. «يا علي أنت ذو قرنيها وكلا طرفيها»، الضمير: إمّا للجنة كما وقع ذكر الجنة قبلها في خبر و «القرن» بمعنى الجانب فيكون قوله «وكلا طرفيها» للبيان أي يسلك جميع مسالك الجنة أي الحسن والحسين عليهما السلام، وإمّا للأمّة كما ورد في خبر آخر من إظهارها فيكون المعنى: أنت أوّل هذه الأمّة لكونه عليه السلام أقدام إسلاماً وكذا أولى الناس بالأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وتظهر في آخر الزمان أيضاً، أو المعنى أنه ذو شجّتين في قرني رأسه أحدهما من عمرو بن عبد ود، والآخر من إبن ملجم لعنهما الله. والضمير في قوله: «لا يلد ولم يولد» ضمير الغائب منهم. قوله: «فلا تدعونا أرباباً» أي لا تقولوا بألوهيّتنا من أجل هذه الصفات وفي الخبر: «نزّهونا عن الربوبية وإرفعوا عنّا حظوظ البشرية فلا يقاس بنا أحد من الناس فأنّا نحن الأسرار الإلهية المودَعة في الهياكل البشرية والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية وقولوا بعد ذلك ما إستطعتم فإنّ البحر لا ينزف وعظمة الله لا توصف». قوله «رَسَت» أي ثبتت ووقفت. و «ذرت» (بالتخفيف) أي هبّت وطارت. و «الودق»: المطر. و «همع» أي صار همعاً (بكسر الميم) ماطراً. و «دمع السحاب» أي خرج ماؤها كالدّمع لماء العين و «تبسّم النهار» كناية عن طلوع الشمس كما أن حين التبسّم يظهر الأسنان. هذا تفسير الألفاظ.

وأمّا تفسير المعاني، ففي خبر المفضّل، عن الصادق عليه السلام: إنّ ذلك كله يرجع إلى «الأمر» وذلك لأنه ما تنزّل شيء إلاّ بأمر ربّك؛ فتبصّر! وأمّا سرّ ذلك فقد ذكر عليه السلام في أول الخبر أنّ «معرفته معرفة الله وأنّ معرفة الله معرفته» ومن البيّن أنه لا يعرف الله إلا بالله.

في كتاب علل الشرايع في الباب الذي ذكر فيه علل فضل بن شاذان رحمه الله، قال عليه السلام: فإن قيل: فلِمَ بدأ بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟ قيل: إنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك أنّ قوله: «الحمد لله» إنما هو أداء لما أوجب على خلقه من الشكر وشكر لما وفّق عبده للخير «رب العالمين» تمجيد له وتحميد وإقرار بأنه الخالق المالك لا غير. «الرحمن الرحيم» إستعطاف وذكر لربه ونعمائه على جميع خلقه. «مالك يوم الدين» إقرار بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة بما أوجب له ملك الدنيا. «إياك نعبد» رغبة وتقرباً إلى الله وإخلاصاً بالعمل دون غيره. «وإياك نستعين» إستزادة من برّه وتوفيقه وعبادته وإستدامة لما أنعم عليه ونصره. «إهدنا الصراط المستقيم» إسترشاد لأدبه واعتصام بحبله وإستزادة=

= في المعرفة بربه. ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما تقدّم من نعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم. ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إستعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين بأمره ونهيه. ﴿ولا الضالين﴾ إعتصاماً من أن يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً فقد إجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة وأمر الدنيا والآخرة ما لا يجمعه شيء من الأشياء. [أسرار العبادات ص ٤٧-٤٨].

تفسير سورة الفاتحة عن بعض العرفاء

ولبعض العرفاء، في تفسير هذه السورة المباركة طريقة لطيفة لا تخلو عن فوائد شريفة نحن ننقله بعباراته:

قال: سورة فاتحة الكتاب إنّما سمّي بها لأنه فتح عليك بفاتحة لذيذ مناجاته فكانت كلّ مزيد.

بسم الله الرحمن الرحيم: حكى عن أبي العباس بن عطا أنه قال: «الباء» برّه لأرواح أنبيائه بإلهام الرسالة والنبوة، و «السين» سرّه مع أهل المعرفة بإلهام القربة والإنس، و «الميم» منّه على المريدين بدوام النظر إليهم بعين الشفقة والمرحمة.

وقال الجنيد: في «بسم الله» هيبته وفي «الرحمن»، عونه وفي «الرحيم»، مودّته ومحبته.

وقيل: «الباء» في «بسم الله»، أنّه بالباء ظهر الأشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن وبإستتاره قبحت وسمجت.

قال محمّد بن موسى الواسطي: ما دعى الله أحد بإسم من أسمائه إلا ولنفسه في ذلك نصيب إلاّ قوله الله فإن هذا الإسم يدعوه إلى الوحدانية وليس للنفس فيه نصيب.

حكي أنّ أبا الحسين النوري، بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب ويقول في ولهه ودهشته: الله الله وهو قائم يدور فأخبر الجنيد بذلك فقال: أنظروا: محفوظ عليه أوقاته أم لا؟ فقيل: إنّه يصلّي الفرائض فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً. ثم قال: حتّى نزوره، إمّا نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه وهو في ولهه فقال: يا أبا الحسين! ما الذي دهاك؟ قال: أقول: الله الله، زيدوا عليّ. فقال له الجنيد: إنظر هل قولك «الله الله» أم قولك قولك؟ إن كنت القائل «الله الله»، فلست القائل له، وإن كنت تقول بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله! فقال: نعم المؤدّبُ أنت وسَكَنَ عن ولهه. =

= وكان الشبلي رحمه الله يقول: لم لا تقول: لا إله إلاّ الله قال: لا أنفي به ضدا.

وقيل: إن الإشارة في «الألف» هو قيام الحقّ بنفسه وإنفصاله عن جميع خلقه فلا إتصال له بشيء كامتناع الألف أن يتّصل بشيء من الحروف إبتداءً، بل تتصل الحروف به على حدّ الإحتياج إليه وإستغنائه عنهم.

وقيل: في قوله الله: إن «الألف» إشارة إلى الوحدانية، و «اللاّم» إشارة إلى محو المحو في كشف الهاء.

وقيل: من قال الله بالحرف فإنه لم يقل الله لأنه خارج عن الحروف والحواس والأهام والأفهام، ولكن رضي منّا بذلك لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال.

وقيل: في قوله الله: إنّ الأسماء كلها داخل في هذا الإسم وخارج منه: يخرج من هذا الإسم معاني الأسماء كلّها ولا يخرج هذا الإسم من إسم سواه وذلك أنّ الله تفرد بهذا الإسم دون خلقه وشارك خلقه في إشتقاقات أساميه.

كتب أبو سعيد الخرّاز إلى بعض إخوانه: هل هو إلاّ الله؟ وهل يقدر أحد أن يقول الله إلاّ الله؟ وهل يرى الله إلاّ الله؟ وهل عرف الله إلاّ الله؟ وهل كان قبل العبد وقبل الخلق إلاّ الله؟ وهل الآن في السّماوات والأرضين وما بينهما إلاّ الله؟ أو يكونوا فكانوا بالله ولله.

قال أبو سعيد الخرّاز: رأيت حكيماً فقلت له: ما غاية هذا الأمر؟ قال الله. قلت: فما معنى قولك: الله؟ قال: نقول: اللّهم دلّني عليك وثبّتني عندك ولا تجعلني ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً منك وأقرّ فراري عند لقائك.

قوله: «الرّحمن»: بإسمه «الرحمن»، خرج جميع الكرامات للمؤمنين مثل الإيمان والطاعات والولاية والعصمة وسائر المنن والنعم وكلّ نعمةٍ تدوم. ولا يستحقّ أحد من المخلوقين هذا الإسم لأنّ المخلوق عاجز عن إعطاء شيء لأحد يدوم ويبقى.

وأيضاً، فإنّ رحمته الرحمانية للمريدين، بها يتفضّلون عما دون الرحمن. ولمّا عمّت في العاجلة على الوليّ والعدوّ في معايشهم وأرزاقهم وغير ذلك، سمّي رحماناً. قال الواسطي: «الرحمن» لا ينصرف إليه أحد إلاّ بصرف رحمانيته.

والرحيم: يتقرّب إليه بالطاعة لأنه شارك فيه رسوله فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قوله جلّ وعلا: «الرحيم» يقال إنّ معنى الرحيم هو ما يخرج من الرحمة الرحيمية لمعاش الخلق ومصالح أبدانهم فلذا لم يمنعوا أن يتسمّوا بـ «الرحيم» ومنعوا=

= بالتسمية بـ «الرحمن». ويقال: إنّ معنى «الرحيم»: أي بالرّحيم وصلتهم إلى الله وإلى الرحمن. و «الرحيم» نعت محمدٍ ﷺ في قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، كان معناه أن يقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم أي بمحمد وصلتهم إلى أن قلتم بسم الله الرحمن الرحيم. هو الذي يقبلك بجميع عيوبك إذا أقبلت عليه ويحفظك أنت في العاجلة وإن أدبرت عنه لإستغنائه عنك مقبلاً ومدبراً.

قوله عزّ وعلا: «الحمد لِلهِ ربّ العالمين»: قال إبن عطا: معناه: الشكر لله إذا كان منه الإمتنان على تعليمنا إيّاه حتّى حمدناه.

وقيل: معناه: أنت المحمود بجميع صفاتك وأفعالك.

وقيل: الحمد لله: لا حامد لله إلا الله.

وقال الواسطيّ: الناس في الحمد على ثلاث درجات:

قالت العامة: الحمد لله على العادة.

وقالت الخاصة: الحمد لله شكراً على اللذّة.

وقالت الأئمة: الحمد لله الذي لم ينزلنا منزلاً إستقطعنا النعم عن شواهد ما أشهدنا الحق من حقه.

قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد لله فقال له: أتمُّها كما قال الله: «ربّ العالمين» وقال الرجل: «من العالمين»؟ حتى نذكر مع الحق» فقال: قلة يا أخي فإنّ المحدث إذا قورن به القديم لا يبقى له أثر.

وقيل في قوله: «الحمد لله رب العالمين»: حمدي نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلّة، وحمد الخلق إيّاي مشوب بالعلل. وحمده نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده فحمد نفسه عنهم ليكون النعمة أهنأ لهم حيث أسقط عنهم به ثقل رؤية المنة.

قوله تعالى: «الرّحمن الرحيم»، «الرحمن» بالإشراف على أسرار أوليائه والتجلّي لأرواح أنبيائه، و «الرحيم» بالعطف على أنفس الخلايق برّهم وفاجرهم ببسط معايشهم في الدنيا.

وقيل: «الرحمن» خاصّ الإسم عامّ الفعل والرحيم عامّ الإسم خاص الفعل. =

= وقيل: الرحمن بذاته والرحيم في نعوته وصفاته. وجلّ الحق أن يدرك حقيقة أساميه أحد لأنّ أسماءه بلا علّة وإنما يظهر للخلق نصيبهم من الأسامي لا حقيقتها لأنّه أظهر الأسامي للإثبات رحمة للخلق لا إشرافاً على صفاته ونعوته قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ وكيف يدرك من الجهات لا تضمنه والسّنات لا تأخذه والأوقات لا تداوله ومصنوعه لا يحاوله، والرحمة لا تجليه، والأدوات لا تؤديه، والإشارات لا تدانيه؟ لم يلتبس به حال، ولا نازعه بال، لا الصفات أوجدته، ولا الأسامي ربته، بل هو موجد كلّ موجود وخالق كلّ موصوف.

روي عن الأمام جعفر الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه أنه قال: الرحمن الذي يرزق العباد ظاهراً وباطناً، فرزق الظاهر من الأقوات من المأكولات والمشروبات ورزق الباطن العقل والمعرفة والفهم وما ركب فيه من أنواع البدائع كالسمع والبصر والشمّ والذّوق واللّمس والظنّ والهمّة.

قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال إبن عطا: يجزي يوم الحساب كلّ صنف بمقصودهم فيجازي العارفين بالقرب منه وبالنظر إلى وجهه الكريم أرباب المعاملات بالجنّات.

وقيل: حق العبيد إذا شاهدوا مليكهم أن يتمنّوا المملكة عند مشاهدة مليكهم.

وقيل: «مالك يوم الدين» يوم الكشف والإشهاد لتجزي كل نفس بما تسعى.

وقيل: إنّها خمسة أسامي الله، وربّ العالمين، والرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين. فإستدعى الألوهية الوله، والربوبية رؤية المنّة، والرحمن رؤية الشفقة، والرحيم رؤية التعطّف، والمالك القطع عن المملكة بالإتصال إلى مالكها.

قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: إياك نعبد بقطع العلائق والأغراض، وإياك نستعين على الثبات على هذه الحالة فإنّا بك لا بنا.

وأيضاً: إيّاك نعبد بالإخلاص، وإياك نستعين على ترك ريائنا.

وأيضاً: إياك نعبد بأبداننا، وإياك نستعين على المكاشفة لأسرارنا.

إياك نعبد عبادة من يعلم أنه بتوفيقك وتيسيرك عبدك، ونستعين على قبولها.

إياك نعبد بأمرك، ونستعين بفضلك.

إياك نعبد فأهّلنا لعبادتك، وإياك نستعين فلا تحرمنا معونتك.

=

= وقال الجنيد: إن الله تعالى خصّ قوماً بمعرفة عبوديّته فأقرّوا له بالعبودية فقالوا: «إيّاك نعبد» ثم أخرجهم عن ذلك فعرّفهم نفسه وما تولى الله لهم من ذلك فقالوا: «إياك نستعين» على عبادتنا أي لا يمكن أداءها إلاّ بك، فبك عبدناك وبك إستعنا على شكر النعمة فيه.

قوله عز شأنه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

قيل: معناه: مل بقلوبنا إليك، فأقم بهممنا بين يديك، وكن دليلنا منك إليك حتى لأنقطع عما لديك.

وقيل: أرشدنا إلى طريق المعرفة حتى نستقيم معك بخدمتك فهذا دعاء المريدين في هذه الآية.

وقيل: أرنا طريق هدايتك كي نستقيم معك على توحيدك فهذا دعاء المؤمنين.

وقيل: إهدنا طريق أنسك فنفرح ونطرب بقربك فهذا دعاء العارفين.

وقيل: إهدنا بك إليه لنستغني بهدايتك عن وسائط المقامات والمجاهدات.

وقيل: إهدنا أي إكشف عنا ظلمات أحوالنا لننظر في خفي غيبك.

وقال أبو عثمان في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أرشدنا لإستعمال السّنن في أداء فرائضك.

وقيل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نتنى بهدايتك عن الشيطان فإنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقيل: الصراط المستقيم هو الإفتقار إليك كما قيل لأبي حفص: بماذا تقدم على ربّك؟ قال ما للفقير أن يقدّم به على الغني سوى فقره.

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي مقام الذين أنعمت عليهم بالمعرفة وهم العارفون. وأنعَمَ الأولياء بالصدق والرضا واليقين، وأنعم على الأبرار بالحلم والرأفة، وأنعم على المريدين بحلاوة الطاعة وأنعم بالمؤمنين بالأستقامة.

وحكي عن محمد بن الفضل أنه قال: صراط من أنعمت عليهم بقبول ما فرضت.

وحكي عن مالك بن أنس أنه سئل عن قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فقال: الذين أنعمت عليهم بمتابعة محمد ﷺ.

وقيل: «صراط الذين أنعمت عليهم» بمشاهدة المنعم دون النعمة. وقيل: بالأسلام ظاهراً والإيمان باطناً قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾: قال إبن عطا: غير المخذولين ولا=

= المطرودين ولا المهانين ولا الضالين الذين ضلّوا عن طريق هدايتك ومعرفتك وسبيل ولايتك.

وقيل: غير **المغضوب عليهم** بطلب الأعواض على أعمالهم **«ولا الضالين»** عن طريق الشكر بتيسير الخدمة عليهم.

وقيل: **«غير المغضوب عليهم»** بترك حسن الأدب في وقت القيام لخدمتك **«ولا الضالين»** عن رؤية ذلك منك ـ إنتهى. [أسرار العبادات ص ٤٨-٥٥].

سر الكتب الإلهية والنبوة والولاية في فاتحة الكتاب

وفي مشارق الأنوار في تفسير السورة المباركة: إعلم أنّ سر الكتب الإلهية وسرّ النبوة والولاية والإسم الأكبر، وأسرار الغيب في فاتحة الكتاب وسر الفاتحة في مفتاحها، وهو ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وفيها إشارات ثلاث:

الأولى، قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ والمراد من هذا الذكر والوحدة قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ لأنّها ذكر الله وحده.

الثانية، إنّ عدد حروفها تسعة عشر وعدد إسمه الـ «واحد» تسعة عشر فهي محتوية على الوحدة والتوحيد، والواحد صفة الأحد، فالواحد هو النّور الأول وهذا ذكر الذات بظاهر إسمها الأعظم.

والثالثة، قوله: «بسم الله» إشارة إلى باطن السّين وسرّ السين الذي بين الباء والميم الذي قال فيه أمير المؤمنين: «أنا باطن السّين، أنا سرّ السين» وهو الإسم المخزون وهو باطن الإسم الأعظم، أما سر الباء فإنها للنبوّة، والنقطة للولاية لقوله عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء». والـ «سين» عدد حروفه مائة وعشرون وهي إسم عليّ وحروف «ميم» عددها إثنان وتسعون وهي إسم محمد صلى الله عليه وآله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نشهد أنّ جميع المحامد بجوامع الكلم من كلّ مادح وحامد فإنّها لله ربّ العالمين يستحقها ويستوجبها ويجزي عليها قسطاً وعدلاً.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي طوّق بإحسانه أهل سماواته وأرضه، أخرجهم بلطفه من كتم العدم وأفاض عليهم من سحائب كرمه فرائض النعم ونوافلها، ووسعهم بجوده وإيجاده ومنّه. فهو ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الذي كل شيء ملكه ومملوكه فله الملك للعباد والعدل في المعاد، لكنه يملك من أراد وإن تقطّعت أكباد ذوي العناد.

=

= وإذا قلنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نقرّ بأن الموصوف بهذه الصفات هو المعبود الحق فنقول هناك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نسأل بعد الحمد أن يهدينا إلى حبّ عليّ لأنه الصراط المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم آل محمد الذين لأجلهم خلق الكون والمكان ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم أعداؤهم الذين يبدل الله صورهم عند الموت ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم شيعة أعدائهم. إنتهى. [أسرار العبادات ص ٥٥ - ٥٦].

أسرار سورة القدر المباركة

ولنذكر بعد ذلك تفسير سورة القدر المباركة لأنّها في شأن الأئمة الطاهرة ولذلك أمر رسول الله ﷺ في صلاة المعراج بقراءتها في الركعة الثانية بعدما أمر في الركعة الأولى بقراءة التوحيد للتلازم الواقعي بين مدلوليهما، بل الولاية كما مر مراراً مندرجة في التوحيد. قال الله عزّ من قائل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أي أمرنا بنزول عليّ عليه السلام من عالم الغيب الذي هو مدلول الضمير. ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: بسبب ليلة الله التي هي فاطمة عليها السلام لأنه لو لم ينزل من السماء لم يكن لها كفو أبداً وما طلعت أنوار أئمة الهدى ولا بدّ في المشيّة من طلوعها لأنّه لولاهم ما نزل أمر من السماء.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ كرّر الليلة المباركة لتعدد مظاهرها:

فإحديها: إشارة إلى مرتبة فاطمة عليها السلام بحسب نفسها.

والثانية: بأنّ تلك الليلة إنّما هي من زمان غروب شمس النبوّة من حين فوت النبي إلى صبح ظهور القائم عليه السلام.

والثالثة: أنّها ظهرت بإجمالها في واحدة أو ثلاث ليال من شهر رمضان. ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝﴾ هذه الليلة خير من ألف مؤمن لأنّها لولاها ما آمن أحد بالله وما عرف الله وما عبد الله، وكذا السنون التي من زمان غيبة النبي إلى ظهور القائم خير من السنين التي قبل بعثته؛ وكذا الليلة التي في شهر رمضان من ظهور سلطان آل محمد خير من ألف شهر ملك في بنو أمية. ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أي بسبب هذه الليلة ونزول هذا النور فيها تنزّلت الجواهر العقلية والأنوار الإلهية التي بمنزلة القوى والأرواح للنفس الكلية الإلهية في عالم الشهادة؛ وتنزل الروح التي هي بعبارة أخرى نفس هذه الليلة المباركة في تلك الليلة الطويلة التي =

= غابت فيها شمس النبوّة، وتنزل الملائكة والروح جميعاً في الليلة القصيرة من شهر رمضان من كلّ أمر من الأمور الإلهية وإلقاء الجواهر العقلية المتلبّسة بالألبسة الكونية على قائم آل محمد صلى الله عليهم أجمعين. ﴿سَلَٰمٌ﴾ ورحمة للعالمين. هذه الليالي الثلاث من زمان فقدان جمعيّة النبي ﷺ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ فجر يوم القيامة بظهور قائم الأئمة الطاهرة صلى الله عليهم أجمعين وعجّل فرجهم ونصرتهم للدين. [أسرار العبادات للعارف سعيد القمي ص ٥٦-٥٧].

* * *

التدبر في وظائف القراءة ومعانيها

قال الشهيد الثاني في أسرار الصلاة: ووظائفها لا تكاد تنحصر، ولا تحيط بها قوة البشر، وإنّ الإعتناء بشأنها يخرج عن وضع الرسالة؛ لأنّها كلام الله جلّ جلاله، المشتمل على الأساليب العجيبة، والأوضاع الغريبة، والأسرار الدقيقة، والحكم الأنيقة، وليس المقصود منا مجرّد حركة اللسان، بل المقصود معانيها وتدبُّرها؛ ليستفيد منها حكمةً وحقائقَ وأسراراً، وترغيباً وترهيباً، وأمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وذكر أنبيائه ونعمه، إلى غير ذلك من الفوائد.

فإذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فإعلم أنّه عدّوك، ومترصّد لصرف قلبك عن الله تعالى، حسداً لك على مناجاتك مع الله تعالى، وسجودك له، مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها. وأنّ إستعاذتك بالله منه بتركك ما يحبّه وتبديله بما يحبّ الله تعالى، لا بمجرّد قولك: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

فإنّ من قصده سبع أو عَدوٌّ ليفترسه أو يقتله، فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت في مكانه، فإنّ ذلك لا ينفعه بل لا يفيده إلاّ تبديل المكان. فكذلك من يتّبع الشهوات التي هي محلّ الشيطان ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرّد القول، فليقرن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله تعالى من شرّ الشيطان، وحصنُه: «لا إله إلاّ الله»؛ إذ قال الله تعالى في ما أخبر عنه نبيّنا ﷺ: «لا إله إلاّ الله حصني». والمتحصّن به من لا معبود له سوى الله تعالى. فأمّا من إتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله.

ومن دقائق مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبُّر فعل الخيرات؛ ليمنعك عن فهم ما تقرأ.

=

= فإعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإنّ حركة اللسان غير المقصودة، بل المقصود معانيها كما مرّ.

والناس في القراءة على ثلاثة أقسام:

فمنهم: من يحرك لسانه بها ولا يتدبّر قلبه لها، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه وتهديده بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، ودعاء نبيّه ﷺ:

بل ولمن لاكها بين لحييه ثمّ لا يتدبّرها.

ومنهم: من يحرّك لسانه، وقلبه يتبع اللسان، فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره، وهذه درجة أصحاب اليمين.

ومنهم: من يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً، ثمّ يخدم اللسان قلبه فيترجمه، وهذه درجة المقرّبين. وفرق جليّ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب - كما في هذه الدرجة - وبين أن يكون معلّمه - كما في الدرجة الثانية - فالمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

[أسرار الصلاة للشهيد الثاني].

ترجمة الحمد

وتفصيل ترجمة المعاني - على سبيل الإختصار -: أنّك إذا قلت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ فانو به التبرّك لإبتداء القراءة بكلام الله تعالى، وافهم أنّ معناه أنّ الأمور كلّها بالله، وأنّ المراد ها هنا بالإسم هو المسمّى، وإذا كانت الأمور كلّها بالله فلا جرم كان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [ومعناه أنّ الشكر لله؛ إذ النعم من الله، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخّر من الله، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر إلتفاته إلى غير الله.

فإذا قلت: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأحضر في قلبك أنّ العالمين كلّها مربوب مثلك بربوبيّته، مستغرق في نعمته.

فإذا قلت: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أحضر في قلبك أنواع لطفه لتتضح لك رحمته، فينبعث بها رجاؤك.

ثم إستشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، أمّا العظمة؛ فلأنّه لا ملك إلاّ له، وأمّا الخوف؛ فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

= ثمّ جدّد الإخلاص بقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [وجدّد العجز والاحتياج والتبرُّؤ عن حولك وقوّتك، بقولك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلاّ بإعانته، وأنّ المنّة له؛ إذ وفّقك لطاعته، واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين.

ثمّ إذا فرغت عن التفويض بقولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ وعن التحميد، وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعيّن سؤالك، ولا تطلب إلاّ أهمّ حاجاتك، وقل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي يسوقنا إلى جوارك، ويفضي بنا إلى مرضاتك.

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً، واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، دون الذين غضب الله تعالى عليهم من الكفّار الزائغين من اليهود والنصارى والصابئين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر النبي ﷺ:

قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، يقول العبد: الحمد لله ربّ العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي وأثنى عليّ.

وهو معنى قوله:

سمع الله لمن حمده.

فلو لم يكن من صلاتك حظّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته، فناهيك به غنيمةً فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟.

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السورة فلا تغفل عن أمره ونهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأخبار أنبيائه، وذكر منّه وإحسانه. فلكلّ واحد حقّ، فالرجاء حقّ الوعد، والخوف حقّ الوعيد، والعزم حقّ الأمر والنهي، والإتعاظ حقّ الموعظة، والشكر حقّ تذكّر المنّة، والإعتبار حقّ أخبار الأنبياء.

فيما يتعلق بقراءة القرآن

وتفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحلّ.

وبالجملة، ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم، والفهم يختلف بحسب=

= وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر. والصلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات. فهذا حقّ القراءة وهو أيضاً حقّ الأذكار والتسبيحات.
ثمّ تراعي الهيئة في القراءة زيادة على التدبّر فرتّل ولا تسرد؛ فإنّ ذلك أيسر للتأمّل. وتفرّق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتجميد والتعظيم.
ورُوي أنّه:
يقال لقاريء القرآن: إقرأ وارق ورتّل، كما كنت ترتّل في الدنيا.

ومن وظائف القراءة من الأثر قول الصادق عليه السلام

من قرأ القرآن ولم يخضع له، ولم يرقّ قلبه، ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه، فقد إستهان بعظم شأن الله تعالى وخسر خُسراناً مبيناً. فقاريء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، فإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده. وإذا إتّخذ مجلساً خالياً وإعتزل من الخلق ـ بعد أن أتى بالخصلتين الأُولبين ـ إستأنس روحه وسرّه بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعظم لطفه بهم، ومقام إختصاصه لهم بقبول كراماته، وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب حينئذٍ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة؛ لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة. فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك، ومنشور ولايتك؟ وكيف تجيب أوامره ونواهيه؟ وكيف تمتثل حدوده؟ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾، فرتّله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده. [أسرار الصلاة للشهيد الثاني].

* * *

في آداب القراءة في الصلاة خاصة

قال الإمام الخميني: إعلم أن للقراءة في هذا السفر الروحاني والمعراج الإلهي مراتب ومدارج نكتفي ببعضها حسب ما يناسب هذه الرسالة:
المرتبة الأولى: ألا يشتغل القاريء إلا بتجويد القراءة وتحسين العبارة، ويكون همّه التلفّظ بهذه الكلمات فقط وتصحيح مخارج الحروف حتى يأتي بتكليف ويسقط عنه أمر، ومعلوم =

= أن التكاليف لهذه الأشخاص موجبة للكلفة والمشقة وقلوبهم منها منضجرة وبواطنهم عنها منحرفة وليس لهم حظ من العبادة إلا أنهم ليسوا معاقبين بعقاب تاركها إلا أن يتفضّل عليهم من خزائن الغيب ويقعوا مورداً للإحسان والإنعام بمجرد لقلقة اللسان، ويتفق لهذه الطائفة أحياناً أن ألسنتهم مشغولة بذكر الحق وقلوبهم عنه عارية وبريئة ومتعلقة بالكثرات الدنيوية والمشاغل الملكية، وهذه الطائفة داخلة في الصلاة بحسب الصورة ولكنهم بحسب الباطن والحقيقة مشغولان بالدنيا ومآربها والشهوات الدنيوية، ويتفق أحياناً أن قلوبهم أيضاً مشغولة بالتفكير في تصحيح صورة الصلاة. ففي هذه الصورة قد دخلوا في صورة الصلاة بحسب القلب واللسان، وهذه الصورة منهم مقبولة ومرضية.

المرتبة الثانية: هم الذين لا يقتنعون بهذا الحد بل يرون الصلاة وسيلة لتذكر الحق ويعدّون القراءة تحميداً وثناء على الحق، ولهذه الطائفة مراتب كثيرة يطول ذكرها ولعله أشير إلى هذه الطائفة في الحديث الشريف القدسي: **«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي»** فإذا قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ يقول الله: ذكرني عبدي وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول الله: حمدني عبدي وأثنى عليّ، وهو معنى سمع الله لمن حمده.

وإذا قال ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الله: عظّمني عبدي.

وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾ يقول الله: مجّدني عبدي، وفي رواية فوّض إليّ عبدي وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذا بيني وبين عبدي.

وإذا قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». وحيث أن الصلاة قد قسمت بحسب هذا الحديث الشريف بين الحق والعبد فلا بدّ للعبد أن يقوم بحق المولى إلى حيث حقّه ويقوم بأدب العبودية الذي ذكره في هذا الحديث حتى يعمل الحق تعالى شأنه معه باللطائف الربوبية كما يقول تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

آداب العبودية في القراءة

والحق تعالى قد قام آداب العبودية في القراءة على أربعة أركان:

الركن الأول: التذكر، ولا بد أن يحصل في بسم الله الرحمن الرحيم وينظر العبد السالك إلى جميع دار التحقق بالنظر الإسمي الذي هو الفناء في المسمّى ويعوّد القلب أن يكون طالباً للحقّ ومحبّاً للحق في جميع ذرّات الممكنات وفطرة تعلّم الأسماء التي فطر بها في مخمّر ذاته المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ لا بدّ وأن تصل من=

= حضرة إسم الله الأعظم إلى مرتبة الفعلية والظهور بمقتضى جامعية نشأة الظهور، ويحصل هذا المقام من الخلوة مع الحق وشدّة التذكر والتفكر في شؤون الإلهية حتى ينتهي إلى حدّ يكون قلب العبد حقانياً ولا يكون في جميع زوايا قلبه إسم سوى الحق. وهذه مرتبة من الفناء في الألوهية، والقلوب المنكوسة القاسية للجاحدين لا تستطيع إنكارها بهذا البيان الذي بيّناه إلا أن يكون جحوده جحوداً إبليسياً، فإن تلك القلوب والعياذ بالله متنفرة بالطبع عن إسم الحق وذكره وتنقبض إذا جرى حرف من المعارف الإلهية أو ذكر من أسماء الله ولا يفتحون بصيرتهم إلا إلى الشهوات البطنية والفرجية، وفي هذه الطائفة أفراد لا يعتقدون للأنبياء والأولياء عليهم السلام أيضاً سوى المقامات الجسمانية والجنة الجسمانية التي يُقضى فيها الوطر الحيواني، ويحسبون عظمة المقامات الأخروية كالعظمة الدنيوية بسعة الجنات والأنهار الجارية وكثرة الحور والغلمان والقصور، وإذا سمعوا كلاماً عن العشق والمحبة والجذبة الإلهية فيحملون على صاحبه بالألفاظ الركيكة والكلمات القبيحة، فكأن هذا الكلام سبّ لهم فيجبرونه، هؤلاء مأمورون من قبل الشيطان قد قعدوا على الصراط المستقيم الإلهي بمقتضى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. ولا يتركون أحداً يحصل له الأنس مع إلهه ويخلص من ظلمات التعلّق بالشهوات الحيوانية التي منها التعلّق بالحور والقصور.

ومن الممكن أن يستشهد هؤلاء بشواهد من أدعية الأنبياء وأهل بيت العصمة عليهم السلام بأنهم أيضاً كانوا يطلبون الحور والقصور وهذا من قصور هذه الطائفة حيث أنهم لم يفرقوا بين حبّ كرامة الله حيث يكون النظر فيه إلى كرامة المحبوب وإعطائه الذي هو علامة المحبة والعناية وبين حب الحور والقصور وأمثالها إستقلالاً، الذي هو في خميرة الشهوة الحيوانية، فحب كرامة الله هو حب الله ويسري إلى الكرامة والعناية بالتبع (عاشقم برهمه علم ازاواست).

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وإلا فما لعليّ والحور والقصور؟ وأي تناسب بينه وبين الأهواء النفسانية والشهوات الحيوانية؟ من كانت عبادته عبادة الأحرار فلا يكون جزائه جزاء التجار.. قد أرخى عنان القلم وبعدت عن المطلب، وبالجملة من عوّد نفسه على قراءة الآيات والأسماء الإلهية من كتاب التكوين والتدوين الإلهي يصوّر قلبه بالتفريح على الصورة الذكرية والآيتية ويتحقق=

= باطن الذات بذكر الله وإسم الله وآيات الله كما فسر وطبّق الذكر بالرسول الأكرم وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وآلهما والأسماء الحسنى بأئمة الهدى وكذلك فسّرت وطبّقت آيات الله عليهم، صلوات الله عليهم، فهم الآيات الإلهية وأسماء الله الحسنى وذكر الله الأكبر ومقام الذكر من المقامات العالية الجليلة لا يسع في مجال البيان وحيطة التقرير والتحرير، وتكفي لأهل المعرفة والجذبة الإلهية وأصحاب المحبة والعشق الآية الشريفة الإلهية ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. وقال الله تعالى لموسى: «يا موسى أنا جليس من ذكرني». . وفي رواية الكافي، قال رسول الله ﷺ: «من أكثر ذكر الله أحبه الله»، وفي الوسائل، بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: «يا بن آدم إذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، يا بن آدم إذكرني في خلاء أذكرك في خلاء يا بن آدم إذكرني في ملا أذكرك في ملا خير من ملئك». وقال: «ما من عبد ذكر الله في ملا من الناس إلا ذكره الله في ملا من الملائكة».

أسرار التحميد

الركن الثاني: التحميد وهو قول المصلّي الحمد لله رب العالمين.

إعلم أن المصلّي إذا تحقق بمقام الذكر ورأى جميع ذرّات الكائنات وعوالي الموجودات ودوانيها أسماء إلهية وأخرج عن قلبه جهة الإستقلال ونظر إلى الموجودات عوالم والشهود بعين الإستظلال تحصل له مرتبة التحميد ويعترف قلبه أن جميع المحامد من مختصات الذات الأحدية وليست لسائر الموجودات فيها شركة لأنه ليس لها كمال من عند أنفسها حتى يقع الحمد والثناء لها.

أسرار التعظيم

الركن الثالث: هو التعظيم، وهو يحصل في الرحمن الرحيم:

إن العبد السالك إلى الله إذا حصر المحمدة في ركن التحميد على الحق تعالى وسلب الكمال والتحميد عن الكثرات الوجودية يقرب من أفق الوحدة وتعمي بالتدريج عينه الرائية للكثرة وتتجلى لقلبه الصورة الرحمانية التي هي بسط الوجود والصورة الرحيمية التي هي بسط كمال الوجود. ويصف الحق بالإسمين المحيطين الجامعين المضمحلة فيهما الكثرات فيحصل للقلب بواسطة التجلي الكمالي الهيبة الحاصلة من الجمال بتنزل عظمة الحق في قلبه، وإذا تمكنت هذه الحالة في قلبه ينتقل إلى الركن الرابع. =

أسرار التقديس

= **الركن الرابع**: الذي هو مقام التقديس الذي هو حقيقة التمجيد. وبعبارة أخرى تفويض الأمر إلى الله، وهو عبارة عن رؤية مقام مالكية الحق وقاهريته وزوال غبار الكثرة وإنكسار أصنام كعبة القلب، وظهور مالِكيّة بيت القلب والتصرف فيه بلا مزاحمة الشيطان، ويصل في هذه الحالة إلى مقام الخلوة. ولا يمكن بين العبد والحق حجاب وتقع **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** في تلك الخلوة الخاصة ومجمع الأنس، ولهذا قال: هذا بيني وبين عبدي وإذا إشتملته العناية الأزلية وأفاق يسأله الإستقامة في هذا المقام والتمكين في حضرته بقوله: **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾**، وفهذا فسّر إهدنا بألزمنا وأدِبنا وثبّتنا وهذا لأولئك الذين خرجوا من الحجاب ووصلوا إلى المطلوب الأزلي. وأما أمثالنا أهل الحجاب لا بد وأن نسأل الهداية من الحق تعالى بمعناها المعروف.

تكميل: يظهر من الحديث الشريف أن الصلاة كلها قسمت بين الحق والعبد وقد ذكر الحمد من باب النموذج والمثل فبناء على هذا نقول: إن التكبيرات الصلاتية أعمّ من الإفتتاحية وغيرها التي تقال في خلال إنقلاب الأحوال الصلاتية كلها حظ الربوبية قسمة الذات المقدسة، فإن قام العبد السالك إلى الله بهذه الوظيفة العبودية وأدّى حق الربوبية بمقدار ما في وسعه فيؤدي الحق تعالى أيضاً بألطافه الخاصة الأزلية حق العبد وهو فتح باب المراودة والمكاشفة، كما أشار إليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة حيث يقول: **«فإذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه»**. إلى أن قال: **«فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذاً بمخاطباته فاعلم أنه قد صدّقك في تكبيرك، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة إنه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه»**.

وعلى هذا المقياس ففي كل حال من الأحوال الصلاتية وكل فعل من أفعالها حق للحق تعالى لا بد للعبد من القيام به وهو آداب العبودية في ذلك المنزل وللعبد حظ ونصيب يعطيه الحق تعالى باللطف الخفي والرحمة الجلية بعد قيام العبد بآداب العبودية، وإذا رأى نفسه في هذه المقامات الإلهية محروماً فيعلم أنه لم يقم بآداب العبودية وعلامة ذلك للمتوسطين أن لا تذوّق ذائقة القلب لذة المناجاة وحلاوة العبادات ويحرم عن البهجة والسرور والإنقطاع إلى الحق. =

= والعبادة التي خلت عن اللذة والحلاوة عبادة بلا روح ولا يستفيد القلب منها.

فيا أيها العزيز آنس قلبك بآداب العبودية وأذق ذائقة الروح حلاوة الذكر، وهذه الطفية الإلهية تحصل في بدء الأمر بشدة التذكر والأنس بذكر الحق، ولكن في حال الذكر لا يكون القلب ميّتاً ولا تستولي عليه الغفلة، فإذا آنست قلبك بالتذكر فتشملك العنايات الأزلية بالتدريج ويفتح على قلبك أبواب الملكوت وعلامة ذلك التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل حلول الفوت.

اللهم أعطنا نصيباً من لذة مناجاتك وحلاوة مخاطبتك واجعلنا في زمرة الذاكرين والنقطعين إلى عزّ قدسك، وهب لقلوبنا الميّتة حياة دائمة وأقطعها عمّن سواك ووجهها إليك إنك ولي الفضل والإنعام. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٣٦٢-٣٦٨].

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب

قال أبو حامد: «ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب، ثمّ لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها، ثمُ لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كلّ ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة».

اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أنّ أدلّة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ وظاهر الأمر للواجب والغفلة تضادُ الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؛ وقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ نهي وظاهره للتحريم؛ وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ تعليل لنهي السكران وهو مطّرد في الغافل المستغرق الهمّ بالوساوس وأفكار الدنيا، وقوله ﷺ: «إنما الصلاة تمسكنٌ وتواضعٌ»[١] حصر بالألف واللاّم وكلمة إنّما للتحقيق والتمحيق[٢] وقد فهم الفقهاء من قوله ﷺ: «إنّما» الشفعة فيما لم يقسم الحصر والإثبات والنفي، وقوله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلاّ بعداً»[٣].

---

(١) مر سابقاً.
(٢) كذا في النسخ في الإحياء «والتوكيد».
(٣) مر سابقاً.

وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء؛ وقال ﷺ: «كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب» وما أراد به إلا الغافل[١] وقال ﷺ أيضاً: «ليس للعبد من صلاته إلاّ ما عقل»[٢].

والتحقيق فيه أنّ المصلّي مناج ربّه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتّة.

وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة، شديدة على النفس، وكذا الصوم قاهر للقوى، كاسر لسطوة الهوى الّذي هو آلة الشيطان عدوّ الله، فلا يبعد أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة، وكذلك الحجّ أفعاله شاقّة شديدة، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن.

أمّا الصلاة: فليس فيها إلاّ ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود.

أمّا الذكر: فإنّه محاورة ومناجاة مع الله تعالى، فامّا أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة، أو المقصود الحروف والأصوات إمتحاناً للّسان بالعمل كما يمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم، وكما يمتحن البدن بمشاقّ الحجّ ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق.

ولا شكّ في أنّ هذا القسم باطلٌ فإنّ تحريك اللّسان بالهذيان ما أخفّه على العاقل فليس فيه امتحان من حيث أنّه عملٌ بل المقصود الحروف من

---

(١) رواه ابن ماجة وأحمد الطبراني والبيهقي بالفاظ مختلفة وفي لفظ الطبراني: «رب قائم حظه من قيامه السهر» راجع الجامع الصغير باب الراء.

(٢) نقله النوري ـرحمه اللهـ في المستدرك ج١ ص ٢٦٤ من كتاب غوالى اللئالى.

حيث أنّه نطق ولا يكون نطقاً إلاّ إذا أعرب عمّا في الضمير، ولا يكون معرباً إلاّ بحضور القلب فأيُّ سؤال في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ إذا كان القلب غافلاً، وإن لم يقصد كونه تضرعاً ودعاء فأي مشقّة في حركة اللّسان به في الغفلة لا سيّما بعد الاعتياد؟ هذا حكم الإذكار بل أقول: لو حلف الأنسان وقال: لأشكرنّ فلاناً وأُثني عليه وأسأله حاجة ثمّ جرت الألفاظ الدالّة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبرّ في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة، وذلك الإنسان حاضرٌ وهو لا يعرف حضوره ولا يراه ولا يصير باَرّاً في يمينه، إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كان يجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلاّ أنّه في بياض النهار غافل لكونه مستغقر الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر باَرّاً في يمينه.

ولا شك في أنّ المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرُّع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوبٌ عنه، فلا يراه ولا يشاهده، بل عو غافلٌ عن المخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوبٌ عنه، فلا يراه ولا يشاهده، بل هو غافلٌ عن المخاطب ولسانه يتحرّك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة الّتي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان بها، هذا حكم القراءة والذكر.

وبالجملة فهذه الخاصيّة لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل، وأمّا الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعاً، ولو جاز أن يكون معظّماً لله بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظّماً لصنم موضوع بين يديه وهو غافلٌ عنه، أو يكون معظّماً للحائط الّذي بين يديه وهو غافلٌ، وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلاّ مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من

المشقّة ما يقصد الامتحان به، ثمّ يجعل عماد الدّين، والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدّم على الحجّ وسائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص ما أرى أنّ هذه العظمة كلّها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة، إلاّ أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإنّ ذلك يتقدّم على الصوم والزكاة والحجّ وغيرها بل الضحايا والقرابين الّتي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال، قال الله تعالى فيه: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[1] أي الصفة الّتي استولت على القلب حتّى حملت على امتثال الأوامر وهي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة والأدب في أفعالها فهذا ما يدلّ من حيث المعنى على الاشتراط حضور القلب.

حضور القلب في الصلاة

فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت القلب شرطاً في صحّتها خالفت به إجماع الفقهاء فإنّهم لم يشترطوا إلاّ حضور القلب عند التكبير.

فاعلم أنّه قد تقدّم في كتاب العلم أنّ الفقهاء لا يتصرّفون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا في الطريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل أو تعزير السلطان، فأمّا أنّه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه، على أنّه لا يمكن أن يُدعى الإجماع فيه، فقد نقل عن بعض السلف أنّه قال: من لم يخشع فسدت صلاته.

وقال آخر: كلُّ صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

وروي أيضاً مسنداً عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أنّ العبد ليصلّي الصلاة

(١) سورة الحج: الآية، ٢٧.

لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها»[١] وهذا لو نقل من غيره لجعل مذهباً فكيف لا يتمسّك به؟

وقال عبد الرحمن بن زيد: أجمعت العلماء على أنّه ليس للعبد من صلاته إلاّ ما عقل منها فجعله إجماعاً، وما نقل من هذا الجنس من الفقهاء المتورّعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى».

أقول: وقد ورد مضمون هذا الحديث عن الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم في ألفاظ متعدّدة وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

قال: «والحقّ الرجوع إلى أدلّة الشرع؛ والآيات والأخبار ظاهرة في هذا الشرط إلاّ أنّ مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيّد بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كلّ البشر إلاّ الأقلّين.

وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلاّ أن يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو في اللّحظة الواحدة، وأولى اللّحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك.

ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلّيّة، فإنّه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً، وأحضر القلب لحظة، وكيف لا؟ والّذي صلّى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله، ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره.

ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشدّ من حال التارك وكيف لا؟

(١) مر عن غوالي اللئالي لابن أبي جمهور الاحسائي.

والّذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلّم بكلام الغافل المستحقر أشدُّ حالاً من الّذي يُعرض عن الخدمة.

وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل، ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحّة مع الغفلة وإنّ ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه.

ومن عرف سر الصلاة علم أنّ الغفلة، تضادّها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أنّ قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكلّ ما ينكشف من أسرار الشرع، فلنقتصر على هذا القدر من البحث، فإنّ فيه مقنعاً للمريد الطالب لطريق الآخرة، وأمّا المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن، وحاصل الكلام أنّ حضور القلب هو روح الصلاة وأنّ أقلّ ما يبقى به رمق الرّوح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك، وبقدر الزيادة عليه ينبسط الرّوح في أجزاء الصلاة، وكم من حيّ لا حراك به قريب من ميّت، فصلاة الغافل في جميعها إلاّ عند التكبير حيٌّ لا حراك به.

المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة

أعلم أنّ هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستّ جمل وهي حضور القلب، والتفّهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء، فلنذكر تفاصيلها ثمّ أسبابها ثمّ العلاج في اكتسابها.

أما التفاصيل: فالأوّل حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلّم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما ولا

يكون الفكر جارياً في غيرهما، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب، ولكن التفهّم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللّفظ، ولا يكون حاضراً مع معنى اللّفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللّفظ هو الّذي أردناه بالتفهّم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهّم المعاني للقرآن والتسبيحات، وكم من معان لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله.

ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنّها تفهّم أُموراً تلك الأمور تمنع من الفحشاء لا محالة.

وأمّا التعظيم: فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل ربّما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهّم لمعناه ولا يكون معظّماً له فالتعظيم [له] زائدٌ عليهما.

وأمّا الهيبة: فزائدة على التعظيم، بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأنّ من لا يخاف لا يسمّى هائباً، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمّى مهابة، بل الخوف من السلطان المعظّم يسمّى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وأمّا الرّجاء: فلا شكّ في أنّه زائد فكم من معظّم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرّته، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنّه خائف بتقصيره عقاب الله عزّ وجلّ.

وأمّا الحياء: فهو زائد على الجملة لأنّ مستنده استشعار تقصير وتوهّم ذنب ويتصوّر التعظيم والخوف والرّجاء من غير حياء حيث لا يكون توهّم تقصير وارتكاب ذنب.

أسباب هذه المعاني الستة

فاعلم أنّ حضور القلب سببه الهمّة فإنّ قلبك تابع لهمّك فلا يحضر إلاّ فيما يهمّك، ومهما أهمّك أمرٌ حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخّرٌ فيه، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطّلاً بل كان حاضراً فيما الهمّة مصروفة إليه من أمور الدّنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلاّ بصرف الهمّة إلى الصّلاة.

والهمّة لا تنصرف إليها ما لم يتبيّن أنّ الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأنّ الآخرة خيرٌ وأبقى وأنّ الصلاة وسيلة إليها فإذا أُضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدُنيا ومهانتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلاة.

وبمثل هذه العلّة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممّن لا يقدر على مضرّتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الّذي بيده الملك والملكوت والنفع والضرُ فلا تظنّنّ أنّ له سبباً سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان، وطريقه مُستقصى في غير هذا الموضع.

وأمّا التفهم: فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمّر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادّها أعني النزوع عن تلك الأسباب الّتي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك الموادُ لا ينصرف عنها الخواطر، فمن أحبّ شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى أنّ من أحبّ غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر.

وأمّا التعظيم: فهي حالة للقلب تتولّد من معرفتين:

إحديهما: معرفة جلال الله وعظمته وهي من أُصول الإيمان فإنّ من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه.

الثانية: معرفة حقارة النفس وخسّتها وكونها عبداً مسخّراً مربوباً حتّى يتولّد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبّر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرّب لا ينتظم حاله التعظيم والخشوع، فإنّ المستغني عن غيره، الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة، ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة لأنّ لقرينة الأُخرى وهي معرفة حقارة النّفس وحاجتها لم تقترن إليه.

وأمّا الهيبة والخوف: فحالة للنفس تتولّد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيّته فيه مع قلّة المبالاة به وإنّه لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرّة، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدّفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض، وبالجملة كلّما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

وأمّا الرّجاء: فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنّة بالصّلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة.

وأمّا الحياء: فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حقّ الله، ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلّة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظّ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله، والعلم بأنّه مطّلع على السريرة وخطرات القلب وإن دقّت

وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمّى الحياء.

فهذه أسباب هذه الصفات، وكلٌ ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف الّتي ذكرناها، ومعنى كونها يقيناً انتفاء الشكّ واستيلاؤها على القلب، وبقدر اليقين يخشع القلب، ولذلك قالت عائشة: كان النبيُّ ﷺ يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه(١).

وقد روي «أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك، وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يديّ فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق(٢).

وروي أنّه أوحي إليه «قل لعصاة أُمتّك: لا يذكروني فإنّي آليت على نفسي أنّ من ذكرني ذكرته وإذا ذكروني بالغفلة ذكرتهم باللّعنة»(٣) هذا في عاص غير غافل، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان؛ وباختلاف المعاني الّتي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمّم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة، وإلى من يتمّم ولم يغب قلبه في لحظة، بل ربما كان مستوعب الهمّ بها بحيث لا يحسُّ بما يجري بين يديه، ولذلك لم يحسّ بعضهم

(١) قد مر سابقاً.
(٢) ما عثرت عليهما في أصل.
(٣) نفس المصدر.

بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدّة ولم يعرف قطُّ من على يمينه ويساره، ووجيب قلب إبراهيم الخليل صلوات الله عليه كان يسمع على ميلين، وجماعة كانت تصفرُّ وجوههم وترتعد فرائصهم وكلُّ ذلك غير مستبعد، فإنَّ أضعافه مشاهدة في همّ الدّنيا وخوف ملوك الدُّنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتّى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثّه بمهمّ ويخرج ولو سئل عمّن حواليه وعن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همّه به عن ثوبه والحاضرين حوله، ولكلّ درجات ممّا عملوا، فحظُّ كلّ واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فإنَّ موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء، ومن وجود النعيم بها واللّذة. ولقد صدق فإنّه يحشر على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه، فمن صفات القلوب يصاغ الصور في الدّار الآخرة ولا ينجو إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أنَّ المؤمن لا بدَّ وأن يكون معظّماً لله، وخائفاً منه، وراجياً ومستحيياً من تقصيره، فلا ينفكُّ عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كان قوّتها بقدر قوّة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلاّ تفرُّق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا تلهي عن الصلاة إلاّ الخواطر الرّدية الشاغلة، فالدّواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر، ولا يدفع الشيء إلاّ بدفع سببه فليعلم سببه، وسبب توارد الخواطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً.

أمّا الخارج: فما يقرع السمع أو يظهر للبصر، فإنّ ذلك قد يختطف الهمّ حتّى يتبعه ويتصرّف فيه، ثمّ ينجرُ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ويكون الأبصار سبباً للافتكار، ثمّ يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ومن قويت رتبته وعلت همّته لم يلهه ما يجري على حواسّه، ولكن الضعيف لا بدّ وأن يتفرّق به فكره، فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغضّ بصره أو يصلّي في بيت مظلم، ولا يترك بين يديه ما يشغل حسّه، ويقرب من حائط عند صلاته حتّى لا يتّسع مسافة بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة، وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم، سعته بقدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمّ، والأقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضّون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم.

أقول: قال الشهيد الثاني -رحمه الله- [(١)]: ينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده وغيره من الأمور المعلومة شرعاً، فإن تعذّر القيام بها مع فتحهما فالغمض أولى لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر انتهى كلامه.

ويمكن أن يقال: إنّ الغضّ الّذي هو من خشوع الجوارح المأمور به يغني عن الغمض فلا حاجة إلى ترك السنّة من وظيفة النظر، اللّهمّ إلاّ أن يشتغل بالتأمّل في موضع سجوده وما بين قدميه ونحوهما فحينئذ لا يبعد ما قاله رحمه الله.

(١) أسرار الصلاة ص ١٧٧.

قال أبو حامد: «وأمّا الأسباب الباطنة فهي أشدُّ فإنَّ من تشعّبت الهموم به في أودية الدّنيا ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغضُّ البصر لا يغنيه فإنَّ ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يردَّ النفس قهراً إلى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعدَّ له قبل التحريم بإن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطّلع، ويفرغ قلبه قبل التّحريم بالصلاة عمّا يهمّه، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره، قال النبيُّ ﷺ لعثمان بن أبي شيبة: «إنّي نسيت أن أقول لك: تخمّر القُدير الّذي في البيت فإنّه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم»[(١)] فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذه الدّواء المسكّن فلا ينجيه إلاّ المسهل الّذي يقمع مادّة الدّاء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأُمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شكَّ في أنّها تعود إلى مهمّاته وأنّها إنّما صارت مهمّاً بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق، فكلُّ ما يشغله عن صلاته فهو ضدُّ دينه وجند إبليس عدوّه، فامساكه أضرُّ عليه من إخراجه فيتخلّص عنه بإخراجه.

كما روي: «أنّه ﷺ لمّا لبس الخميصة الّتي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلّى فيها نزع بعد صلاته وقال: اذهبوا بها إلى أبي جهنم فإنّها ألهتني آنفاً عن صلاتي وآتوني بأنبجانيّة أبي جهم وأمر بتجديد شراك نعله، ثمّ نظر

---

(١) قال العراقي: الحديث أخرجه أبو داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان ابن طلحة كما في مسند أحمد ووقع للمصنف أنه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم.

إليه في الصلاة إذ كان جديداً فأمر أن ينزع منها ويردّ الشراك الخلق[١].

وكان ﷺ قد احتذى نعلاً فأعجبه حسنها فسجد فقال: تواضعت لربّي كيلا يمقتني ثمّ خرج بها فدفعها إلى أوّل سائل لقيه، ثمّ أمر علياً عليه السلام أن يشتري له نعلين سبتيّين جرداوين فلبسهما[٢].

وكان في يده ﷺ خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: «شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم»[٣].

أقول: ونسبة أمثال هذه إلى رسول الله ﷺ لا يليق بجلالة قدره ويشبه أن يكون من اختلاقات العامّة ذبّاً عن الطعن في أئمتّهم بما يشبهها كما هو دأبهم والعلم عند الله.

قال أبو حامد: «وقيل: إنّ بعضهم صلّى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسيٌّ طار في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة ثمّ لم يدر كم صلّى فجعل حائطه صدقة ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاته، وهكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادّة الفكر، وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدّواء القامع لمادّة

---

(١) قال الفيومي في المصباح: **الخميصة**: كساء أسود معلم الطرفين ويكون من خز أو صوف وإن لم يكن معلماً فليس بخميصة، وظاهر النووي في شرحه على صحيح مسلم: أن الكساء إذا كان له علم فهو خميصة وإذا لم يكن له علم فهو انبجانية ا هـ وهي - بالباء المفتوحة - كما في القاموس في مادة ن ب ج ومنبج - كمجلس - موضع، وكساء منبجاني وانبجاني بفتح بائهما نسبة على غير قياس. والخبر رواه مسلم في صحيحه ج٢ ص ٧٨ ونحوه النسائي في السنن ج٢ ص ٧٢. وابن ماجه تحت رقم ٣٥٥٠.

(٢) أخرجه ابن حقيق في شرف الفقراء بسند ضعيف. (المغني)

(٣) أخرجه النسائي في سننه ج٨ ص ١٩٥ عن ابن عباس.

العلّة ولا يغني غيره فإنّ ما ذكرناه من التلطّف بالتسكين والردّ إلى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة، والهمم الّتي لا تشغل إلاّ حواشي القلب.

فأمّا الشهوة القويّة المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة، ومثاله رجلٌ تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوّش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له: إن هذا سير السواني[1] ولا ينقطع.

فإن أردت الخلاص فاقلع الشجرة، فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرّعت أغصانها أنجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذّباب إلى الأقذار، والشغل يطول في دفعها فإنّ الذُّباب كلّما ذُبَّ آب ولأجله سمّى ذباباً فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلّما يخلو العبد عنها، ويجمعها أصل واحد وهو حبُّ الدنيا وذلك رأس كلّ خطيئة، وأساس كلّ نقصان ومنبع كلّ فساد، ومن انطوى باطنه على حبّ الدُّنيا حتّى مال إلى شيء منها لا ليتزوّد منها ويستعين بها على الآخرة فلا يطمعنّ في أن يصفو له لذّة المناجاة في الصلاة فإنّ من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمّة الرّجل مع قرّة عينه فإن كانت قرّة عينه في الدُّنيا انصرف لا محالة إليها همّه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة وردّ القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدّواء ولمرارته استبشعه أكثر الطباع، وبقيت العلّة مزمنة وصار الداء عضالاً حتّى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عنه فإذن لا مطمع فيه لأمثالنا، وليته

(١) السانية: الناقة التي يستقى عليه من البئر، جمعها سوان.

سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس لنكون ممّن خلطوا عملاً صالحاً وآخر شيئاً.

وعلى الجملة فهمّة الدنيا وهمّة الأخرة في القلب مثل الماء الّذي يصبُّ في قدح فيه خلٌّ فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخلُّ لا محالة ولا يجتمعان».

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول: حقّك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أوّلاً عن التنبيهات الّتي في شروط الصلاة وأركانها.

أمّا الشروط والسوابق: فهي الأذان، والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والانتصاب قائماً والنيّة.

أقول: وكان ينبغي أن يذكر الوقت والمكان والتوجّه بالتكبيرات أيضاً ونحن نذكرها في التفصيل إن شاء الله.

عند سماع نداء المؤذن

قال: «فإذا سمعت نداء المؤذّن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمّر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء هم الّذين ينادون باللّطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملّواً بالفرح والاستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال ﷺ: «أرحنا يا بلال»[1] أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذا كانت قرّة عينه فيها».

---

(١) قال العراقي: حديث ارحنا يا بلال أخرجه الدار قطني في العلل من حديث بلال ولابى داود نحو من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح.

أقول: قال بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ[١] واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله، واعتبر بذلك أنّ الله جلّ جلاله هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، ووطّن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير، واستحقر الدنيا وما فيها لئلاّ تكون كاذباً في تكبيرك، وانف عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل، وأحضر النبيّ ﷺ وتأدّب بين يديه، وأشهد له بالرسالة مخلصاً وصلّ عليه وآله، وحرّك نفسك، واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة وما يوجب الفلاح وما هو خير الأعمال وأفضلها، وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذكره كما افتتحت به، واجعل مبدأك منه وعودك إليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوّته، فإنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[٢].

---

(١) راجع اسرار الصلاة ص ١٨٦ و١٨٥.

الصلاة معجون سماوي وتركيب إلهي

(٢) **النراقي في جامع السعادات**: إعلم أن الصلاة معجون سماوي، وتركيب إلّهي، ركّبت من أجزاء كثيرة مختلفة، متفاوتة في الفضل والإهتمام بها. فبعضها بمنزلة الروح، وبعضها بمثابة الأعضاء الرئيسية، وبعضها بمنزلة سائر الأعضاء.

وتوضيح ذلك: أن الإنسان ـ مثلاً ـ لما كان حقيقة مركبة من أجزاء معيّنة، فهو لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلاّ بمعنى باطن هو الروح، وأعضاء محسوسة بعضها في جوفه وبعضها في ظاهره. وهذه الأعضاء متفاوتة المراتب، إذ بعضها مما ينعدم الإنسان بعدمه وتزول الحياة بزواله، كالقلب والدماغ والكبد والمعدة وأمثالها، وبعضها وإن لم ينعدم بعدمه أصل الحياة، آلاّ أنه ترتفع به تمامية الإنسان ويصير ناقصاً، كاليد والرجل والعين وأمثالها، وبعضها يفوت بفواته الحسن، كالحاجبين واللحية والأهداب وأمثالها، وبعضها يفوت بفواته كمال الحسن لا أصله، كإستقواس الحاجبين، وتناسب الخلقة، وسواد شعر اللحية، وإمتزاج البياض بالحمرة، وأمثال ذلك. وكذلك الصلاة حقيقة مركّبة، وصورة صورها الشرع من أمور متفاوتة، وتعبدنا بإكتسابها.

فروحها: النية، والقربة، وحضور القلب، والإخلاص.

= وأعمالها الأركانية: من تكبيرة الاحرام، والركوع، والسجود، والقيام، بمنزلة الأعضاء الرئيسية، فتفوت بفواتها الصلاة على الإطلاق، ولا يمكن تحققها وصحتها بدونها. وسائر الأعمال الواجبة: من الفاتحة، والسورة، وأذكار الركوع، والسجدتين، والطمأنينة فيهما، وفي رفع الرأس عنهما، والتشهد، والتسليم، وغير ذلك من الأعمال الواجبة التي تبطل الصلاة بتركها عمداً لا سهواً، بمنزلة اليدين والرجلين وآلات التناسل وغير ذلك، مما قد تفوت الحياة بزوالها وقد لا تفوت به، والأعمال المسنونة، والهيئات المندوبة، والآداب المستحبة: من القنوت، ودعاء الإفتتاح، وغير تكبيرة الإحرام من التكبيرات، والتعوذ، والزائد عن قدر الواجب في التشهد والتسليم من الأذكار، وغير ذلك مما لا تبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً، ولكن تخرج بها عن الحسن والكمال وزيادة الأجر والثواب، فهي بمنزلة الحاجبين وإستقواسهما واللحية والأهداب وتناسب الخلقة، وغير ذلك مما يفوت بفوات بعضها الحسن والجمال وبفوات بعض كمالها، ويصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه.

وإذا عرفت ذلك: فاعلم - يا حبيبي - أن صلاتك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك، كوصيفة يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين إليهم. وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد إليك في يوم العرض الأكبر، فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها، فمن أداها على النحو المأمور به، بأعمالها الواجبة والمندوبة، وشرائطها الظاهرة والباطنة، مع الإخلاص وحضور القلب، كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سوياً شاباً جميلاً عاقلاً كاملاً إلى ملك من الملوك. ومن إقتصر على أعمالها الظاهرة، وغفل من الحضور والتوجه والقربة والإخلاص، كان كمن أهدى عبداً ميتاً بلا روح إلى ملك من الملوك. ومن ترك عمداً شيئاً من واجباته، كان كمن أهدى عبداً مقتولاً إليه. ومن إقتصر على أقل ما يجزى كان كمن أهدى إليه عبد حي أعمى، أو أصم، أو أبكم، أو مقطوع الأطراف، أو هرماً، أو قبيح المنظر، أو مجروح الأعضاء، أو أمثال ذلك.

فتنبه أيها الغافل، وتأمل في أنك إذا أهديت تحفة إلى ملك من ملوك الدنيا، بل إلى من دونه بمراتب كثيرة، من الأمراء والحكّام، كيف تجتهد وتسعى في تجويدها وتحسينها ليقبلها، فما بالك أيها المغرور تغفل وتتساهل من تحسين هديتك وتحفتك إلى ملك الملوك الذي منه بدؤك وإليه عودك؟! وقد ورد: أن كل صلاة لا يتم الإنسان ركوعها=

= وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها يوم العرض الأكبر، ونقول: «ضيعك الله كما ضيعتني». [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٢٢-٣٢٣].

حقيقة الصلاة

لا بحث لنا عما يتعلق بظاهرها من الأجزاء والشرائط والأحكام، إذ بيانها على عهدة الفقه. فلنشر إلى المعاني الباطنة التي بها تتم حياتها، وإلى الأسرار والآداب الخفية الباطنة المتعلقة بأجزائها وشرائطها الظاهرة، لتكون ملحوظة للعبد عند فعلها.

فنقول: المعاني الباطنة، التي هي روح الصلاة وحقيقتها، سبعة:

الأول ـ الإخلاص والقربة، وخلوّها عن شوائب الرياء.

الثاني ـ حضور القلب: وهو أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، حتى يكون العلم مقروناً بما يفعله وما يقوله، من غير جريان الفكر في غيرهما. فمهما إنصرف الفكر عن غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه، فقد حصل حضور القلب. ثم حضور القلب قد يعبر عنه بالإقبال على الصلاة والتوجه، وقد يعبر عنه بالخشوع بالقلب، فإن الخشوع في الصلاة خشوعان: خشوع بالقلب: وهو أن يتفرغ لجمع الهمة لها، والأعراض عما سواها، بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود. وخشوع بالجوارح: وهو أن يغض بصره، ولا يلتفت، ولا يعبث، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ولا يفرقع أصابعه، وبالجملة: لا يتحرك لغير الصلاة، ولا يفعل شيئاً من المكروهات، وربما عبر ذلك بالخضوع.

الثالث ـ التفهم لمعنى الكلام: وهو أمر وراء حضور القلب. فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ، ولا يكون حاضراً مع معناه. فالمراد بالتفهم هو إشتمال القلب على العم بمعنى اللفظ. وهذا مقام يتفاوت فيه الناس، إذ ليس يشترك الناس في تفهم معاني القرآن والتسبيحات، فكم من معان لطيفة يفهمها بعض المصلين في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ولا يفهمها غيره. ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فإنها تفهم أموراً تمنع تلك الأمور عن الفحشاء والمنكر لا محالة.

الرابع ـ التعظيم: وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم. إذ الرجل ربما يخاطب غيره، وهو حاضر القلب فيه، ومتفهم لمعناه، ولا يكون معظماً له.

الخامس ـ الهيبة: وهي زائدة على التعظيم لأنها عبارة عن خوف منشأه التعظيم، لأن من=

= لا يخاف لا يسمى هائباً، ثم كل خوف لا يسمى مهابة، بل الهيبة خوف مصدره الإجلال.
السادس ـ الرجاء: ولا ريب في كونه زائداً عما ذكر. فكم من رجل يعظم ملكاً من الملوك، ويهابه ويخاف سطوته، ولا يرجو بره وإحسانه، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله، كما أنه خائف بتقصيره عقابه.
السابع ـ الحياء: ومستنده إستشعار تقصير وتوهم ذنب، وهو زائد على التعظيم والخوف والرجاء، لتصورها من غير حياء، حيث لا يكون توهم تقصير وإرتكاب ذنب.

حضور القلب

إعلم أن كون الأمور المذكورة روح الصلاة وحقيقتها، والمقصود الأصلي منها، أمر ظاهر. إذ الغرض الأصلي من العبادات والطاعات هي تصفية النفس وتصقيلها، فكل عمل يكون أشد تأثيراً فيهما يكون أفضل. ولا ريب في أن المقتضى لصفاء النفس وتجردها وتصفيلها عن الكدورات من الصلاة ليس إلا الأمور المذكورة، وليس لنفس الحركات الظاهرة كثير مدخلية فيها.

وكيف لا يكون حضور القلب والخشوع روح الصلاة ولا يتوقف كمال الصلاة عليه، مع أن المصلي في صلاته ودعائه منج ربه؟ ولا شك أن الكلام مع اغفلة ليس مناجاة، وأيضاً الكلام إعراب عمّا في الضمير، ولا يتأتى الإعراب عما في الضمير إلا بحضور القلب، فأي سؤال في قوله: «إهدنا الصراط المستقيم» إذا كان القلب غافلاً؟ ولا شك أيضاً أن المقصود من القراءة والاذكار الثناء والحمد والتضرع والدعاء، والمخاطب هو الله ـ تعالى ـ، فإذا كان قلب العبد محجوباً عنه بحجاب الغفلة، ولا يراه ولا يشاهده، بل كان غافلاً عن المخاطب، ويحرك لسانه بحكم العادة. فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب، وتجديد ذكر الله، ورسوخ عقد الإيمان بها. هذا حكم القراءة والذكر.

وأما الركوع والسجود، فالمقصود منهما التعظيم قطعاً، والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة، وإذا خرج عن كونه تعظيماً، لم يبقَ إلا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقّة ما يقصد الإمتحان به. كما في أفعال الحج، وإعطاء المال في الزكاة، وإمساك النفس عن الشهوات في الصوم. فكيف يجعل مجرد هذه الحركة مع خفّتها وسهولتها عماد الدين، والفاصل بين الكفر والإسلام، وتقدم على سائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركها على الخصوص؟ ولكون الحضور والخشوع والخشية عمدة ما يقصد به من الصلاة، تظاهرت=

= الآيات والأخبار على الترغيب عليها وفضيلتها ومدح أهلها، وعلى ذم الغفلة والتفكر في أمور الدنيا والوساوس الباطلة عند الإشتغال بالصلاة، وقد تظاهرت الأخبار أيضاً بأن الأنبياء والأوصياء وأكابر الأولياء كانوا عند إشتغالهم في الصلاة في غاية الإقبال والخشوع والخوف. قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. والغفلة تضاد الذكر، فمن كان غافلاً في صلاته لا يكون مقيماً للصلاة لذكره. وقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾، ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين، لا لأنهم سهوا عنها وتركوها. قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.

قيل: المراد: سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا. ولو حمل على ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا، إذ بين فيه العلة. وقال: حتى تعلموا ما تقولون. وكم من مصل لم يشرب الخمرة وهو لا يعلم ما يقول في صلاته. وقال رسول الله ﷺ: «من صلى ركعتين، لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا، غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه». وقال: «إذا صليت فريضة، فصلّ لوقتها صلاة مودع يخاف إلاّ يعود فيها». وقال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة، وأمر بالحج والطواف، وأشعرت المناسك، لإقامة ذكر الله، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغي عظمة ولا هيبة، فما قيمة ذكرك؟!».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: إنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم جائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فلذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة علماً، أكلاه بعزتي، وأستحفظه بملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه. فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس، لا تيبس ثمارها، ولا تتغير عن حالها».

وفي أخبار موسى: «يا موسى، إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تبغض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً. وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك. وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل، وناجني بقلب وجل، ولسان صادق». وأوحى إليه عليه السلام: «قل لعُصاة=

= أمتك: لا تذكروني، فإني آليت على نفسي إن من ذكرني ذكرته، وإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة». وفي بعض الأحاديث القدسية: «ليس كل مصل أتقبل صلاته، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتكبر على عبادي، وأطعم الفقير الجائع لوجهي». وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشتغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره».

وقال الصادق عليه السلام: «لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلا وجبت له الجنة، فإذا صليت، فأقبل بقلبك على الله ـ عز وجل ـ، فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل على الله ـ عز وجل في صلاته ودعائه، إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين، وأيده مع مودتهم إياه بالجنة».

وقال الباقر عليه السلام: «إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها، فما يرفع له إلا ما أقبل عليه بقلبه، وإنما أمروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة».

وروي: «أن إبراهيم الخليل كان يسمع تأوهه على حد ميل، وكان يسمع له في صلاته أزيز كأزيز المرجل». وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك.

وقال بعض أزواجه: «كان النبي صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه».

وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أخذ في الوضوء، يتغير وجهه من خيفة الله.

وكان عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل زيتلزن، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان».

وروى: «أنه وقع نصل في رجله عليه السلام، فلم يمكن أحداً من إخراجه، فقالت فاطمة عليها السلام: أخرجوه في حال صلاته، فإنه لا يحسن حينئذٍ بما يجري عليه. فأخرج وهو في صلاته، فلم يحس به أصلاً».

وكانت الصديقة فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خفية الله.

وكان الحسن بن علي عليهما السلام إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: «حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه».

وكان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إذا توضأ إصفر لونه، فقال له: ما هذا الذي=

= يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: «إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم».

وقال أبو حمزة الثمالي: «رأيته يصلي، فسقط رداؤه عن منكبه، فتركه حتى فرغ من صلاته، فسألته عن ذلك، فقال: ويحك! أتدري بين يدي من كنت؟ شغلني والله ذلك عن هذا! أتعلم أنه لا يقبل من صلاة العبد إلا ما أقبل عليه؟ فقال له: يا بن رسول الله، هلكنا إذاً. قال: كلا! إن الله يتم ذلك بالنوافل».

وروى: «أنه عليه السلام إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً».

وروى: «أنه عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة، لا يتحرك منه إلا ما حركت الرياح منه».

وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن حالة لحقته في الصلاة حين خرّ مغشياً عليه، فقال: «ما زلت أكرر آيات القرآن، حتى بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهة مما أنزلها».

قيل. وكان لسان الأمام عليه السلام في تلك الحالة كشجرة طور حين قالت: «إني أنا الله».

وسأل بعض الأكابر عن صلاته، فقال: «إذا جاءت الصلاة، أسبغت الوضوء، وأتيت الموضوع الذي أريد الصلاة فيه، فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى الصلاة، فاجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحنن، وأقرأ القرآن بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك اليسرى، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟».

ثم، على ما عرفت من كيفية صلاة الأنبياء والأولياء، مع مشاهدة كيفية صلاتك وصلاة الناس، تعلم: أن الناس ينقسمون في صلاتهم: إلى غافل يتم صلاته ولا يحضر قلبه في لحظة، وإلى من يغفل في بعض صلاته ويحضر قلبه في بعض منها، وهذا تختلف حاله بحسب قلة كل من الحضور والغفلة وكثرتهما، وزيادة أحدهما على الآخر، فله مراتب غير متناهية وإلى من يتم صلاته ولا يغيب قلبه لحظة، بل يكون حاضر القلب في جميع صلاته، وربما كان مستوعب الهم بنا، بحيث لا يحس بما يجري بين يديه، كما لا يحس =

مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بإخراج النصل من رجله الشريفة.

= وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره. وكان وجيب الخليل يسمع على ميلين. وكان جماعة تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم عند الصلاة. وكل ذلك غير مستبعد، فإن أضعافه مشاهدة في هم الدنيا وخوف ملوك الدنيا، مع ضعفهم وعجزهم، وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم. حتى يدخل الرجل على ملك أو وزير، ويحدثه بمهم ويخرج، ولو سئل عمن كان على حواليه وعن ثوب الملك، إذا كان غير قادر على الإخبار عنه، لإشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾.

فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه. فإن موضوع نظر الله القلوب، دون ظاهر الحركات. ولذا قال بعض الصحابة: «يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة، من الطمأنينة والهدوء، ومن وجود النعم واللذة والبهجة بها». فالمحظوظ حال القلب لا حال الشخص. ولذا قيل: «من صفات القلوب تصاغ الصور في دار الآخرة، ولا ينجو: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٢٧-٣٣١].

صلاة الغافل

تنبيه: دفع أشكال

قال النراقي إن قيل: المستفاد من ظواهر المذكورة، إن صلاة الغافل ليست مقبولة إلا بقدر ما أقبل عليه منها، والفقهاء لم يشترطوا إلا حضور القلب عند النية والتكبير، فكيف التوفيق؟

قلنا: فرق بين القبول والأجزاء، فإن المقبول من العبادة ما يقرب العبد إلى الله، ويترتب عليه الثواب في الآخرة، والمجزي منها ما يسقط التكليف عن العبد، وإن لم يترتب عليه ثواب ولم يقربه إلى الله، والناس مختلفون في تحمل التكليف. فإن التكليف إنما هو بقدر الوسع والطاقة، فلا يمكن أن يكلف الجميع بإحضار القلب في جميع الصلاة، إذ لا يقدر على ذلك إلا الأقلون. وإذا لم يمكن إشتراط الإستيعاب للضرورة، فلا مراد له إلا أن يشترط ما ينطلق عليه الإسم، ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه، فإقتصر على التكليف بذلك. ونحن - مع ذلك - نرجو ألاّ يكون في حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية، فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً، =

= وأحضر القلب لحظة، وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلاً عند الله، ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره؟ والحاصل: إن الإقبال والحضور هو روح الصلاة، وإن أقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير، فالنقصان منه هلاك، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة، وكم من حي لا حراك فيه قريب من الميت، فصلاة الغافل في جميعها، إلا عند التكبير، حي لا حراك فيه. [جمع السعادت ج ٣ ص ٣٣٢].

شرائط الصلاة

قال النراقي: إعلم أن للمعاني الباطنة المذكورة أسباباً لا تتحقق بدونها.

أما حضور القلب: فسببه الإهتمام.

فإن قلت: كل أحد تابع لهمه، فلا يحضر إلا فيما يهمه، ومهما أهمه أمر حضر فيه قلبه، شاء أو لم يشأ، فهو مجبول عليه مسخر فيه، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً، بل كان حاضراً فيما يهمه من أمور الدنيا. فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب في الصلاة إلا بصرف الهمة إليها، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتيقن أن الآخرة خير وأبقى، وإن الصلاة وسيلة إليها. وإذا أضيف إلى هذا العلم بحقارة الدنيا ومهانتها، حصل من مجموع ذلك حضور القلب في الصلاة.

ولكون الباحث والسبب لإحضار القلب في أمر إنما هو الإهتمام والأعتناء بشأنه، ترى قلبك يحضر إذا حضرت بين ملك من ملوك الدنيا، بل بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على نفعك وضررك. فإذا كان لا يحضر قلبك عند المفاجأة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضرر، فلا تظنن أن له سبباً سوى ضعف الإيمان واليقين. فينبغي حينئذٍ السعي في تقوية اليقين والإيمان.

وأما التفهم: فسببه ـ بعد حضور القلب ـ إدمان الفكر، وصرف الذهن إلى إدراك المعنى. وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب، مع الإقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة بقطع موادها، أعني النزوع عن الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها. وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فإن من أحب شيئاً أو بغض شيئاً أو خاف من شيء. أكثر ذكره. فذكر المحبوب والمبغوض والمخوف يهجم على القلب بالضرورة. ولذا ترى أن من أحب غير الله أو كان قلبه مشغولاً بعداوة أحد أو بالخوف عنه، لا تصفو له صلاة عن الخواطر. =

= وأما التعظيم: فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين:

إحداهما: معرفة جلالة الله وعظمته، فإن من لا يتعقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه، وهذه المعرفة من أصول الإيمان.

الثانية: معرفة حقارة النفس وخستها وذلتها، وكونه عبداً مسخراً مربوباً لا يقدر شيئاً من النفع والضر. وتتولد من المعرفتين: الإستكانة والإنكسار والخشوع لله، فيعبر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلالة الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع، فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه، يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة والجلال، ونعوت القدرة والكمال، ولا يكون خاشعاً معظماً له، لأن معرفة حاجة النفس وحقارتها لم تقترن إليه.

وأما الهيبة والخوف: فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله ـ تعالى ـ وسطوته ونفوذ مشيته فيه، مع قلة المبالاة به، وإنه لو أهلك الأولين والآخرين لم تنقص من ملكه ذرة، مع تذكر ما جرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع. وكل ما زاد العلم بالله وبصفاته وأفعاله زادت الخشية والهيبة.

وأما الرجاء: فسببه معرفة لطف الله ـ تعالى ـ وكرمه وعميم أنعامه ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة. فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه، إنبعث منها الرجاء.

وأما الحياء: فسببه إستشعار التقصير في العبادة، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله، ويقوي ذلك بمعرفة عيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث باطنها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها، مع العلم بجميع ما يقتضيه جلال الله وعظمته، والعلم بأنه مطلع على السرائر وخطرات القلب، وإن دقت وخفيت. وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً، إنبعثت منها ـ بالضرورة ـ حالة تسمى: بالحياء. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٣٣-٣٣٥].

طريق تحصيل المعاني الباطنة

قال النراقي: إعلم أن العلاج في تحصيل المعاني المذكورة، أعني الحضور والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، هو تحصيل أسباب هذه المعاني، وقد عرفت أسبابها. وطرق العلاج في تحصيل هذه الأسباب إنما يتم بأمرين:

الأول: معرفة الله، ومعرفة جلاله وعظمته واستناد الكل إليه، ومعرفة كونه عالماً بذرات=

= العالم وبسرائر العباد، ويلزم أن تكون هذه المعرفة يقينية، ليترتب عليها الأثر. إذ ما لم يحصل اليقين بأمر، لا يحصل التشمر في طلبه والهرب عنه. وهذه المعرفة هي المعبر عنها بالإيمان. ولا ريب في كونها موجبة لحصول المعاني المذكورة وأسبابها. إذ المؤمن يكون البتة حاضر القلب مع ربه عند مناجاته، ومتفهماً لما يسأله عنه، معظماً له، وخائفاً منه، ومستحيياً من تقصيره.

الثاني: فراغ القلب، وخلوه من مشاغل الدنيا. فإن إنفكاك المئمن العارف، المتيقن بالله وبجلاله وعظمته، وبإطلاعه عليه من المعاني المذكورة في صلاته، لا سبب له إلا تفرق الفكر، وتقسم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة، ولا تلهى عن الصلاة إلا الخواطر الردية الشاغلة، فالدواء في إحضار القلب هو دفع كل تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه.

وسبب توارد الخواطر، إما أن يكون أمراً خارجاً، أو أمراً في ذاته باطناً.

والأول: ما يظهر للبصر، أو يقرع على السمع. فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه، ثم ينجر منه الفكر إلى غيره، ويتسلسل فيكون الإبصار أو الإستماع سبباً للإفتكار، ثم يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض. ومن قويت رتبته وعلت همته، لم يلهه ما يجري على حواسه. ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق فيه فكره. فعلاجه: قطع هذه الأسباب، بأن يغض بصره، أو يصلي في بيت مظلم، ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه، يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره، ويتحرز من الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصبوغة، والعمارات العالية المرتفعة. ولذلك كان المتعبدون يصلون في بيت مظلم ضغير، سعته بقدر السجود، ليكون أجمع للهم. والأقوياء كانوا يحضرون المساجد، ويغضون البصر، ولا يتجاوزنه موضع السجود، كما ورد الأمر به، ويرون كمال الصلاة في إلاّ يعرفوا من على يمينهم وشمالهم.

وأما الثاني: أعني الأسباب الباطنة، فهي أشد. فإن من تفرقت همومه، وتشعبت خواطره في أودية الدنيا، لم ينحصر فكره في فن واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغض البصر لا يغنيه، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل. فهذا علاجه: ان يرد نفسه قهراً إلى فهم ما يقرؤه، ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم، بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة، وخطر المقام بين يدي الله - تعالى -، =

= وهول المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه من أمر الدنيا، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره، فهذا طريق تسكين الأفكار.

فإن لم تسكن أفكاره بهذا الدواء المسكّن، فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعمال العروق، وهو أن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب، ولا ريب في أنها تعود إلى مهماته، وهي إنما صارت مهمة لأجل شهواته، فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق.

فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه، فإمساكه أضر عليه من إخراجه، فيتخلص عنه بإخراجه.

وهذا هو الدواء القامع لمادة العلّة، ولا يغني غيره. فإن ما ذكر من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر، إنما ينفع في الشهوات الضعيفة، والهم الذي لا يشغل إلا حواشي القلب.

وأما الشهوة القوية المرهقة، فلا ينفع معها التسكين، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك، وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة. ومثاله مثال رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره، فتعود العصافير، فيعود إلى السفير بالخشبة، فقيل له: إن هذا سير الواني ولا يتقطع، فإن أردت الخلاص فإقطع الشجرة.

فكذلك شجرة الشهوة، إذا إستعملت وتفرعت أغصانها، إنجذبت إليها الأفكار إنجذاب العصافير إلى الأشجار، وإنجذب الذباب إلى الأقذار، والشغل يطول في دفعها. فإن الذباب كلما ذبّ آبّ، ولأجله سمي: ذباباً، وكذلك الخواطر.

وهذه الشهوات كثيرة قلما يخلو العبد منها، ويجمعها أصل واحد، وهو حب الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأساس كل نقصان، ومنبع كل فساد. ومن إنطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يطمعنّ في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة. فإن من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته، وهمة الرجل مع قرة عينه، فإن كانت قرة عينه في الدنيا إنصرف همه لا محالة إليها. ولكن - مع هذا - لا ينبغي أن تترك المجاهدة، ورد القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة، فهذا هو الدواء، ولمرارته إستبشعته الطباع، وبقيت العلة مزمنة، وصار الداء عضالاً. حتى أن الأكابر إجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيهما بأمور الدنيا، فعجزوا=

= عنه. فإذا لا مطمع فيه لأمثالنا، ويا ليت سلم لنا من الصلاة ثلثها أو ربعها من الوساوس، لنكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وعلى الجملة: فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل، فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محالة، ولا يجتمعان. ثم جميع ما ذكر إنما هو في الخواطر المتعلقة بالأمور المهمة من الدنيا، حتى إذا خرجت هذه الأمور من القلب، خرجت منه هذه الخواطر أيضاً. وقد تكون الخواطر من مجرد الوساوس الباطنة والخيالات الفاسدة، من دون تعلقها بشغل وعمل دنيوي يكون لها، ومن دون إختيار للعبد في خطورها وعدم خطورها. والأمر فيها أصعب، وإن كان لقلع حب الدنيا وشهواتها عن القلب مدخلية عظيمة في زوالها أيضاً، إذ مادة هذه الوساوس أيضاً، إما حب المال وحب الجاه، أو حب غيرهما من الأمور الشهوية الدنيوية. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٣٥-٣٣٨].

* * *

في الآداب القلبية للصلاة

قال الإمام الخميني: فأنت أيها العزيز إغتنم وقت المناجاة هذا بالقدر الميسور والمقدار المقدور وقم بآدابه القلبية وفهّم قلبك أن وسيلة الحياة الأبدية الأخروية ومنبع الفضائل النفسانية ورأس مال الكرامات غير المتناهية هو المراودة والمؤانسة مع الحق ومناجاته وخصوصاً الصلاة فإنها معجون روحاني قد هيّئ بيدي الجمال والجلال للحق وأجمع وأكمل من جميع العبادات، فبقدر ما يمكنك حافظ على أوقاتها وإنتخب أوقات فضيلتها فإن فيها نوراً ليس في غيرها من الأوقات وأقلل فيها من الإشتغالات القلبية بل إقطعها، وهذا يحصل بأن تقسّم وتعيّن أوقاتك وتعيّن للصلاة المتكفّلة لحياتك الأبدية وقتاً خاصاً لا يكون لك فيه أشغال أخر ولا تكون للقلب تعلّقات أخرى، ولا تجعل الصلاة تزاحم الأمور الأخر كي تستطيع أن تريح القلب وتحضره، والآن نذكر الأحاديث الواردة في أحوال المعصومين عليهم السلام على قدر إقتضاء المقام فلعلّه بالتدبّر في حالات أولئك الأكرمين يتمّ التنبيه وتدرك عظمة الموقف وأهمية المقام وخطره وتستيقظ من نوم الغفلة.

فعن بعض أزواج النبي أنها قالت: «كان رسول الله يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء». =

= ورُوي عن علي عليه السلام: «كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول عليه السلام: جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها».

ونقل السيد إبن طاووس في فلاح السائل: كان الحسين عليه السلام «إذا توضأ يتغير لونه ويضطرب مفاصله فقيل له في ذلك فقال: حق لمن يقف بين يدي ذي العرش أن يصفرّ لونه وتضطرب مفاصله» ونقل عن الحسن عليه السلام أيضاً مثل ذلك.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: «كان إذا حضر للوضوء إصفرّ لونه فيقال له: ما الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: ما تدرون بين يدي من أقوم؟»

ونحن أيضاً إذا تفكرنا قليلاً وفهّمنا قلبنا المحجوب أنّ أوقات الصلاة هي أوقات الحضور في جناب القدس بحضرة ذي الجلال، وأن الحق تعالى ملك الملوك والعظيم المطلق في تلك الأوقات دعا عبده الضعيف الذي هو لا شيء إلى مناجاته وأذن له بالدخول إلى دار الكرامة حتى يفوز بالسعادات الأبدية ويجد السرور والبهجات الدائمية لَكنّا مبتهجين ومسرورين من دخول وقت الصلاة بمقدار معرفتنا وإذا إستشعر القلب عظمة المقام وخطره فيحصل فيه الخوف والخشية بمقدار فهمه العظمة وحيث أن قلوب الأولياء مختلفة وحالاتهم متفاوتة على حسب التجليات اللطفيّة والقهرية وإستشعار العظمة والرحمة فحيناً يحملهم إشتياق الملاقاة وإستشعار الرحمة والجمال على السرور والبهجة ويقولون: أرحنا يا بلال، وحيناً يجعلهم التجليات بالعظمة والقهر والسلطنة في حالة الصعق ويرتعشون ويرتعدون.

وبالجملة أيها الضعيف إن الآداب القلبية للأوقات هي أن تهيىء نفسك للورود إلى حضرة مالك الدنيا والآخرة ومخاطبة الحق جل وعلا ومكالمته، فانظر بعين إلى ضعفك ومسكنتك وذلّتك وعجزك وإلى العظمة والجلال والكبرياء للذات المقدسة جلّت عظمته، ذلك أن الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين في جناب عظمته مصعوقون، وبالعجز والمسكنة والذلّة معترفون فإذا نظرت هذه النظرة وفهّمت قلبك فليستشعر القلب الخوف ويرى نفسه وعباداته لا شيء وانظر بعين أخرى إلى سعة رحمة الذات المقدسة وكمال عطفها وإحاطة رحمانيتها حيث أنه أذن للعبد الضعيف مع ما له من أنواع التلوّثات وكمال عجزه ومسكنته في الدخول إلى حضرة قدسه ودعاه إلى مجلس أنسه بتشريفات من إهباط=

= الملائكة وإنزال الكتب السماوية وبعث الأنبياء والمرسلين من دون أن يكون لهذا الممكن المسكين سابقة إستعداد أو يتصوّر لحضرته جل وعلا ونعوذ بالله أو لملائكة الله أو الأنبياء عليهم السلام في هذه الدعوة والحضور نفع فإذا توجّه القلب إلى ذلك فيحصل له الأنس البتة ويستشعر الرجاء فهيىء نفسك للحضور بقدمي الخوف والرجاء والرهبة والرغبة بقلب خجل وفؤاد وجل وإستشعار الإنكسار والذلة والضعف والمسكنة ولا ترَ لنفسك أية لياقة للحضور في هذا المحضر ولا تعدّ نفسك لائقاً للعبادة والعبودية وترَ الاذن في الدخول في العبادة والعبودية من شمول الرحمة وعميم اللطف فحسب لحضرة الأحدية جلّت قدرته، فإنك إذا جعلت ذلّتك نصب عينيك وتواضعت لذات الحق المقدسة بروحك وقلبك وعرفت نفسك وعبوديتك كلا شيء يتلطف الحق تعالى ويرفعك ويخلّعك بخلعة كراماته. [الأداب المعنوية للصلاة ص ١٩٨-٢٠٠].

في بعض الآداب القلبية للإستقبال

قال الإمام الخميني: إعلم أيها السالك إلى الله أنك إذا صرفت وجهك الظاهر من الجهات المتشتتة لعالم الطبيعة وتوجهت إلى النقطة الواحدة فقد إدّعيت فطرتين من الفطر التي خمّرت بيد الغيب وإختفيت في ذاتك وقد خمّر الحق تعالى طينتك بها بيدي الجلال والجمال وقد أظهرت هاتين الحالتين الفطرتين الصورة ظاهرة دنيوية وأشهدتهما بها وأقمت البينة على عدم احتجاجك من نور هاتين الفطرتين الإلهيتين، والبيتان هما صرف الظاهر عن الغير والتوجه إلى القبلة التي هي محل ظهور يد الله وقدرة الله، وهاتان الفطرتان الالهيتان أحداهما هي التنفّر عن النقص والناقص، والثانية هي العشق للكمال والكامل، وهذان اللذان أحدهما أصلي ذاتي والثاني تبعي ظلّي من الفطر التي خمرت بها جميع عائلة البشر ومن دون إستثناء أحد منهم.

ففي جميع سلسلة البشر مع إختلافهم في العقائد والأخلاق والطبائع والأمزجة والأمكنة والعادات في البدوي منهم والحضري والوحشي والمتمدن والعالم والجاهل والإلهي والطبيعي. هاتان الفطرتان مخمرتان وإن كانوا هم محجوبين عن هذه الفطرة ويختلفون في تشخيص الكمال والنقص والكامل والناقص، فذاك الوحشي السفّاك الفتّاك القتّال يرى الكمال في أن يغلب على نفوس الناس وأعراضهم ويرى السفك والقتل كمالاً فيصرف فيه عمره، وذاك الطالب للدنيا الطالب للجاه والمال يرى الكمال بالمال والجاه ويعشقهما. =

= وبالجملة فصاحب كل مقصد يرى مقصده كمالاً وصاحبه كاملاً ويعشقه ويتنفّر عن غيره. فالأنبياء عليهم السلام والعلماء بالله وأصحاب المعرفة قد جاؤوا ليخرجوا الناس عن الإحتجاب ويخلصوا نور فطرتهم من ظلمات الجهل ويفهموهم الكامل والكمال، فإنهم بعدما عرفوا شخص الكمال والكامل فالتوجّه إليه وترك غيره لا يحتاج إلى الدعوة بل نور الفطرة هو أعظم هاد إلهي وهو موجود في جميع سلالة البشر.

وفي هذا المعجون الإلهي، أعني الصلاة التي هي معراج القرب الإلهي الاستقبال إلى القبلة والتوجّه إلى النقطة المركزية ورفع اليد وصرف الوجه عن الجهات المتفرقة إدعاء بأن الفطرة قد تيقّظت وخرج نور الفطرة عن الإحتجاجات وهذا الإدّعاء حقيقي بالنسبة إلى الكمّل وأصحاب المعرفة.

وأما بالنسبة إلينا أصحاب الحجاب فأدبه أن نفهّم القلب أنه لا كمال ولا كامل في جميع دار التحقق سوى الذات المقدسة الكاملة على الاطلاق فإن تلك الذات المقدسة كمال بلا نقص وجمال بلا عيب وفعلية بلا شوب القوة وخير بلا إختلاط بالشرّ ونور بلا شوب ظلمة، وما يوجد في جميع دار التحقق من الكمال والجمال والخير والعزّة والعظمة والنورانية والفعلية والسعادة فهو من نور جمال تلك الذات المقدسة وليس لأحد شركة للذات المقدسة في كمالها الذاتي، وليس لموجود جمال ولا كمال ولا نور ولا بهاء إلا بجمال تلك الذات المقدسة وكمالها ونورها وبهائها.

وبالجملة، إن العالم قد تنوّر بجلوة جماله المقدس وأعطي له الحياة والعلم والقدرة وإلا فجميع دار التحقق كانت في ظلمة العدم وكمون الليس وبطون البطلان بل من كان قلبه منوّراً بنور المعرفة يرى كل شيء غير نور جمال الجميل باطلاً ولا شيء، ومعدوماً أزلاً وأبداً.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع هذا الشعر للبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل

قال صلى الله عليه وآله: «هذا الشعر أصدق شعر قاله العرب» فإذا فهّمت قلبك بطلان جميع دار التحقق وفهمته كمال الذات المقدسة، فلا تحتاج في توجه القلب إلى القبلة الحقيقية والعشق لجمال الجميل على الإطلاق والتنفّر من جميع دار التحقق سوى جلوة الذات المقدسة إلى أعمال رويّة بل فطرة الله بنفسها تدعو الإنسان إليه بالدعوة الجبلّيّة الفطرية وتكون وجّهت=

= وجهي للذي فطر السموات والأرض لسان الذات والقلب والحال وتكون أني لا أحب الافلين لسان فطرة الإنسان.

فإعلم أيها الفقير أن العالم بوجهته السوائية زائل وداثر وفانٍ وباطل ليس لأحد من الموجودات من قبل نفسه شيء وليس في ذاته جمال ولا بهاء ونور وسناء، والجمال والبهاء منحصر بالذات المقدسة، فتلك الذات المقدسة كما أنها متفردة في الالوهية ووجوب الوجود، متفردة بالجمال والبهاء والكمال أيضاً بل متفرّدة بالوجود، وإن الذلّ والعدم الذاتي والبطلان ثابتة في ناصية ما سواه، فاصرف قلبك الذي هو مركز لنور فطرة الله من الجهات المتشتة للأباطيل والاعدام والنواقص ووجهه إلى مركز الجمال والكمال وليكن لسان فطرتك في ضميرك الصافي. عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا إستقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه وإستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرّك عظمة الله تعالى وإذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق وقف على قدم الخوف والرجاء».

وهذا الدستور الشريف دستور جامع لأمثالنا المحجوبين الذين لا نستطيع أن نحافظ دائماً على حالات قلوبنا ونجمع بين الوحدة والكثرة ونتوجّه إلى الحق والخلق فحينئذٍ لا بد لنا أن نيأس من الدنيا وما فيها عند التوجّه إلى الحق وإستقبال القبلة ونقطع طمعنا عن الخلق وشؤونه ونخرج عن روحنا وقلبنا المشاغل القلبية والشواغل الروحية لنصير لائقين للحضور في الحضرة ويتجلى في سر روحنا جلوة من جلوات العظمة، فإذا وجدنا نور العظمة على مقدار إستعدادنا نتذكر رجوعنا إلى الحق ووقوفنا في محضره المقدس يوم يظهر لكل نفس ما عملت وردّوا إلى الله مولاهم الحق ويقع خط البطلان على جميع الأهواء النفسانية والمعبودات الباطلة، ففي محضر هذا العظيم الشأن الذي جميع دار التحقق هي جلوة من جلوات فعله فإن مسكيناً مثلك ومثلي لا بد وأن يرد بقدمي الخوف والرجاء ويقوم على تينك القدمين وإذا رأينا الضعف والفتور والمسكنة والفقر والذلّة لأنفسنا والعظمة والحشمة والجلال والكبرياء في الذات المقدسة فنقع في الخوف والخشية على خطر المقام وإذا وجدنا الرحمة والعطوفة والإلطاف غير المتناهية والكرامات اللانهائية نكون راجين ورملين. [الأدب المعنوية للصلاة ص ٢٠٥-٢٠٨]. =

• • •

وقوف المربوب في محل التوقف

= **القاضي القمي في أسرار العبادات**: إعلم أنّ «الوقت» هو ما أنت فيه من حالك من جهل أو معرفة، ومن سيّئة أو حسنة. و «الإستواء» هو وقوف المربوب في محلّ التوقف أنّه هل يقصد العبادة لأداء ما يلزمه من حق العبودية أو لما يلزمه من أداء حقّ سيده من حقوق الإلهيّة؛ فهو في تلك الحال من وقت الطلوع إلى أن تزول الشمس فيترجّح له عند ذلك أن يعبده لما يستحقه الربوبية من الإنعام عليه، حيث يرى إمحاء حقوق العبودية عند إستيلاء نور الألوهية محو الأظلال في النّور الغالب عند ذلك الوقت، (فيصلي «الظهر» لذلك. ثمّ لمّا رأى أنّ الشمس تميل إلى الإنخفاض فيشرع في «العصر» لكيلا ترجح طرف العصر، فلا تخلص له العبادة فيصلّي «العصر لذلك» فلا يزال يرقب ذلك النّور ويتضرّع إلى الله حتى الغروب، فإذا غربت وحرمت من شروقها فحينئذٍ يترقّب آثارها؛ فيصلي «المغرب» لذلك ويبقى في ظلمة اللّيل مهجوراً، فيشرع في السؤال والبكاء يراعي نجوم الليل حيث هي أثر من آثارها؛ فيصلّي «العشاء» ثمّ لمّا يظهر له ذلك النور يزيد في التضرّع والبكاء ويتنفّل ويتنفس الصعداء إلى أن يطلع الصبّح فيرى آثار القبول؛ فيؤدّي فرض «الصباح» ولا يزال مراقباً إلى أن ينجلي؛ فالعبد بين عبادتين يدعو ربّه خوفاً من حدّ الزوال إلى الغروب الشفقي، وطمعاً في أن لا يكون حجاب بعد ذلك في بقية ليله إلى حدّ الإستواء. هذا ما قالوا في هذا المقام، وهو لأرباب الوقت وأبناء الأكوان من تمام الكلام.

صلاة الظهر وقت الرسول ﷺ

إعلم إنّه قد ورد: أنّ الصلاة هي العهد من الله وأنها «الأمانة» وأنّ «الولاية» هي «الأمانة». وفي معنى «قد قامت الصلاة»: أنّ «بعليّ قامت الصلاة» وفي خطبته عليه السلام: «إنّي صلاة المؤمنين وصيامهم» إلى غير ذلك. وفي أخبار المعراج: أنّ رسول الله لمّا أسري به إلى السماء وصار إليها دخل وقت الزّوال فأمر بالصلاة مع النبيّين والملائكة المقرّبين صلاة الظّهر ركعتين، فهي أوّل صلاة فرضها الله تعالى. ولا ريب أن الإسراء وإن قد وقع غير مرّة فإنّما كان باللّيل.

صلاة العصر وقت الإمام علي عليه السلام

وأيضاً، قد ورد في الأخبار المستفيضة: أنّ الشمس خلقت من شعاع نوره ؛ فعلي هذا=

= الزوال هو وقت إستواء النور المحمدي في حدّ الكمال ورؤيته نفسه بحيث إستوت نسبته إلى كلّ ما دونه من الموجودات التي خلقت من نوره، والأنوار التي إستنارت بضياء وجوده وصعوده إلى قاب قوسين ـ السلسلة البدويّة والعوديّة ـ ووصوله إلى معدّل النهار من فلكه الكلي المحيط بجميع الأفلاك الروحانية والجسمانية؛ فصلاة الظهر هو رسول الله .

وأمّا وقت العصر، فهو مرتبة عليّ عليه السلام من الرسول بالإتصال، إذ العصر واقع في القوس الصعودي للشمس كما أنّ قبل الزوال واقع في القوس النزوليّ لها إذ كما سيجيء في خبر طلوع الشمس وغروبها: هو أنّ الطلوع هو الإبتداء من الله، والغروب هو العروج إليه. «والولاية» هي جهة الحقيّة فميل الشمس إلى المغرب هو جهة النبي إلى الله وهي مرتبة عليّ عليه السلام؛ فتبصّر. ولقول الله عزّ من قائل: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ فقد ورد: أنّها «العصر» وفي آخر: إنّها عليّ عليه السلام وقد روي عنهم عليهم السلام: أنّهم النمط الأوسط؛ فصلاة العصر هو عليّ عليه السلام و (لكون الإتحاد الذي بين النبي والوالي) لذا إستحبّ في طريقة الخواص الجمع بين الصلاتين.

صلاة المغرب وقت الزهراء عليها السلام

وأمّا المغرب، فهو وقت فاطمة عليها السلام، لأنّها الليلة الإلهية وليلة القدر ففي تفسير فرات بن إبراهيم المحدث في تفسير ليلة القدر عن الصادق عليه السلام: «إنّ «الليلة» هي فاطمة الزهراء «والقدر» هو الله تعالى. فهي عليها السلام ليلة الله؛ ولأنّها لمّا وُلدتْ، زاد النبيّ في المغرب ركعةً واحدة شكراً لله، فصارت صلاة المغرب التي هي فاطمة عليها السلام وتراً، إذ النتيجة المطلوبة منها عليها السلام لا يكون إلاّ عن الفردية، وأوّل الأفراد هي الثلاثة فبحصول الموضوع والمحمول والوسط يحصل الإنتاج. وقد ورد في تفسير قوله سبحانه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، إنّ «البحرين» عليّ وفاطمة عليهما السلام و«البرزخ» رسول الله ، فهما الموضوع والمحمول، والبرزخ الوسط رسول الله ، لأنّ له نسبة إلى أحدهما بالأخوّة وإلى الآخر بالأبوّة.

العشاء والصبح أوقات الأئمة الباقية عليهم السلام

وأمّا العشاء والصبح، فهما أوقات الأئمة الباقية، إذ الركعات التي فيهما ستة=

= وأسماؤهم عليهم السلام ستة: الحسن والحسين وعليّ ومحمد وجعفر وموسى وقد ورد: أنّ رسول الله زاد في مولد كلّ من الحسَنَين على أصل الواجبة التي هي ركعتان، وكعتين (شكراً لله) وأوجب الإخفات في هاتين، (فهم عليهم السلام الصلوات الليلية والركعات الإخفاتية)، ولذا صاروا مختفين في ظلمة دولة الظلمة، فإذا ظهر تباشير صبح يوم القيامة يخرج قائم آل محمد من هذه الظلمة ويدفع هذه الأخلاط الفاسدة (فتكون صلاة الصبح للقائم الحجة) اللّهم عجل فرج آل محمد صلواتك عليه وآله.

إعلم أنه قد ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار: أنّ الشمس عند الزوال لها حلقة يدخل فيها فإذا دخلت زالت فيسبّح كلّ شيء دون العرش، وهي الساعة التي يصلّي فيها الربّ تعالى وهي الساعة التي يؤتى بجهنّم يوم القيامة.

وأمّا صلاة العصر: فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة، فأمر الله ذريته هذه الصلاة إلى يوم القيامة وإختارها لهذه الأمة.

وأمّا صلاة المغرب: فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم فصلى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لقبول توبته.

وأمّا صلاة العشاء: فإنّ للقبر ظلمةً وليوم القيامة ظلمة «فأمرني الله عز وجل - وأمتي بهذه الصلاة في ذلك الوقت لتنور القلب» وللصراط ظلمة وللحشر ظلمة.

وأمّا صلاة الغداة: فإن الشمس إذا طلعت تطلع على قرني شيطان. فأمر الله عباده أن يعبدوا الله رغماً لأنف الشيطان. وفي رواية: لأن الفجر وقت نزول الملائكة النهارية وصعود الملائكة الليلية. [أسرار العبادات ص ٢٥-٢٩].

* * *

حكمة أوضاع الصلاة

قال السيد حيد الآملي في أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة:

ضابطة كلية في حكمة أوضاع الصلاة على الوضع المخصوص مطابقاً للعقل والنقل والكشف:

أعلم أيها السامع كحل الله عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق، أن جميع الأوضاع الإلهية والقوانين الربانية مبنية على رعاية الزمان والمكان والاخوان، صورية كانت أو معنوية أو كلاهما.

أما الزمان: فمثل زمان الصلوات والصوم والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الأعياد والزيارات والاجتماعات المستحسنة.

=

= **وأما المكان**: فمثل مكة والمدينة والمسجد الحرام والكعبة والمسجد الأقصى والصخرة ومسجد الكوفة ومسجد البصرة ومدافن الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومشاهد الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

وأما الإخوان: فكالأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وأولى العزم من الرسل والأئمة الراشدين وخلفاء الله في الأرضين والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ثم الملائكة على العموم ثم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل على الخصوص وأمثالهم من الملائكة وعباد الله الصالحين، وبيان ذلك مفصلاً وهو:

إن الزمان من حيث الزمان وإن كان واحداً لكن فيه زمان مخصوص بوقت الصلوات والصوم والعبادات المذكورة، بحيث لا تحصل تلك العبادات بدونه، وذلك من خصوصيته وشرفه على باقي الزمان المطلع عليه النبي أو الرسول بالوحي الخاص من عند الله، كما أن الصلاة مثلاً فإنها لا تصح قبل وقتها كما لا تصح بعد وقتها، وكذلك جميع العبادات، ومثال ذلك مثال شخص يتوفى ويوصي لأولاده بكنز في موضع معين، ويعين لهم أن من الحائط الفلاني يعدون عشر خطوات إلى الجانب الفلاني ويأخذون الكنز، فأولاده لو عدوا إحدى عشرة خطوة ما لقوا الكنز، وكذلك التسع، فيجب عليهم محافظة الأعداد ورعاية الجانب المعين، حتى يلقون كنزهم، فكذلك في العبادات والأزمان المقررة لها.

فإنها لو وقعت مثلاً في غير وقتها لا يقبل منها شيء ولا يحصل لصاحبها ثواب أصلاً، وكذلك المكان، لأن المكان من حيث هو المكان وإن كان واحداً لكن لبعض الأمكنة خصوصية وشرف ليس لغيرها، ولا يحصل المقصود بدونه، كالكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى وغير ذلك من الأمكنة المخصوصة، وكذلك الإخوان، لأن الإخوان من حيث هم إخوان وإن كانوا واحداً لكن لبعضهم خصوصية وشرف ليس للبعض الآخر منها شيء، كالأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وأمثالهم، وعند التحقيق لم يكن وضع الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والأعياد والحج وأمثال ذلك إلا لأجل اجتماع هذه الثلاث، فإن الصلوات اليومية في المحلات مشتملة عليها، وصلاة الجمعة والجماعة في المدينة كذلك، والحج والزيارات في الأقاليم كذلك، أعني المكان الذي يصلون فيه الصلوات أو يحجون فيه الحج ويقضون المناسك أو يزورون فيه الزيارات، وهو مكان مخصوص معين موسوم ببيت الله وبيت عبيده جامع للزمان والإخوان، لأن الصلاة لا بد لها من الوقت المعين في ذلك المكان، وذلك الوقت هو=

= الزمان، ولا بد من جماعة يصلون فيه الصلاة أو يحجون فيه الحج، وذلك الجماعة هم الاخوان، فحصل في فعل واحد المكان والزمان والاخوان، والحكمة في ذلك إجابة دعائهم فيما يدعون الله من الخير. واستحقاق الفيض الإلهي على نفوسهم فيما يستحقونه بالاستحقاق الذاتي والاستعداد الجبلي الذي لا يحصل بدون هذا الاجتماع على الأغلب وبل لا يمكن إلا به، لأن لكل اجتماع وصورة حكمة وفائدة لا توجد في غيرها كالأعداد مثلاً، فإن في الثلاث خاصية ليس في الأربع وبالعكس، وكذلك بالنسبة إلى جميع الأعداد من العشرة والمائة والألف وما بين هذه المراتب، وقيل: إن هذا الترتيب وإن كان من اقتضاء ترتيب الوجود لكن من حيث الحقيقية ليس إلا من اقتضاء الحقيقة المحمدية التي هي جامعة لهذه المراتب صورة ومعنى، وإليه الأشارة بقوله: «**أوتيت جوامع الكلم وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، لأن هذا الكلام من اقتضاء التثليث الغالب عليه وعلى حقيقته كالنبوة والرسالة والولاية، والإسلام والإيمان والإيقان، والوحي والإلهام والكشف وأمثال ذلك من حيث المعنى، وكالمحبة للطيب والنساء والقيام بالصلاة وأمثالها من حيث الصورة لقوله: «حبب لي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة».

والغرض من تقديم هذه المقدمات أنه: لما اقتضى ذاته الاجتماعات بين الأشياء والائتلاف بين الموجودات خصوصاً بين نوع الإنسان، كان غالباً عليه وضع أمثال هذه الأوضاع التي توجب الائتلاف والاجتماع، لأن العلة الغائية من ظهوره وظهور الأنبياء والرسل لم يكن إلا هذا، ومعلوم أن اجتماع طائفة مخصوصة من موضع مخصوص على وضع مخصوص مراراً متعددة في يوم واحد أو أكثر أو أقل يكون موجباً لاشتداد المحبة بينهم واستحكامه بقدر استعدادهم واستحقاقهم، كصلاة الجماعة في المحلة وصلاة الجمعة في المدينة والحج في كل سنة من مكة وغير ذلك من الاجتماعات، فإن العقل الصحيح يحكم بالائتلاف والمحبة بينهم بلا خلاف، وقد شهد به الكتاب الكريم في مواضع شتى، وتفصيل ذلك: وهو أن المحبة كما تحصل من اجتماعهم في كل يوم خمس مرات في محلتهم، تحصل أيضاً من اجتماعهم كل جمعة في المدينة والمسجد الجامع، وتُحصل أيضاً في بعض الشهور والأوقات في موضع معين من الأعياد والزيارات وتحصل أيضاً من اجتماع أهل الأقاليم في موضع معين للحج، لأن هذه الأوضاع ما وضعت إلا لأجل هذا كما سبق ذكره، وفي غير المحبة أيضاً فوائد أخر، كالمعاملات بينهم والمناكحات وغير ذلك من المعارف بين أهل كل إقليم وكل بلدان التي توجب تلك=

= المعارف معارف أخر وهلم جرا، ولهذه الأوضاع أسرار وأبحاث لا يحتمل بعض ذلك هذه المقامات، لأنها يحتاج إلى مجلدات معتبرة، والغرض أن الكل مبني على الزمان والكل والإخوان.

وإذا عرفت هذا فاعلم: أن معراج النبي مشتمل على هذا، وكذلك بحسب المعنى أيضاً، وحيث إن المعراج معراجان: صوري ومعنوي، نشرع أولاً في بيان المعراج الصوري ثم في بيان المعراج المعنوي، لأن فيه اختلافاً كثيراً بين العلماء والعوام، وبين الحكماء والصوفية.

المعراج الصوري

هو أن النبي ﷺ أراد أن يحصل له هذه الاجتماعات الثلاثة بحسب الصورة، كما كان له حاصلاً بحسب المعنى في جميع الأمكنة الشريفة في السماوات والعرش وما بينهما، فمجيئه بحسب الصورة من المسجد الحرام إلى مسجد الكوفة ثم منه إلى المسجد الأقصى، ثم عروجه منه إلى السماوات السبع ثم إلى الكرسي ثم إلى العرش كما أخبر به الخبر والقرآن كان لأجل ذلك، أي لأجل الاجتماعات الثلاثة المذكورة، أما من طرفه أو من طرف سكان تلك الأمكنة واستدعائهم منه، فإن هذه الاجتماعات علة في إفاضة كمالاته عليهم، وسبب في زيادة كمالهم منه، لأنه يخرجهم من نقصهم ويوصلهم إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعداداتهم وقابلياتهم، أما الخبر فكخبر ليلة الإسرى وله طول وعرض، وأما القرآن فكقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١]، وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يدل على عبوره على تلك الأمكنة الشريفة بحسب الصورة كما سنبينه في موضوعه إن شاء الله تعالى، وورد أنهم التمسوا من الله تعالى هذه الصورة المشتملة على هذه الاجتماعات، والحق تعالى أمر نبيه بذلك، أي بالعبور والعروج على تلك الأمكنة بجسده من حيث الصورة، حتى ورد أنه أراد أن يخلع نعليه عند عروجه إلى السماء كما خلع موسى عليه السلام عند صعوده إلى الطور، فقالت الملائكة: يا نبي الله لا تخلع، فإنا نريد أن تصل بركة نعليك إلى أمكنتنا، وهذا كله ليس ممتنعاً ولا مستحيلاً على الله تعالى، لأنه ممكن مقدور، والله تعالى قادر على الممكنات والمقدورات، وأيضاً قد تقرر في الحكمة الإلهية والقوانين الربانية أن الأنبياء والأولياء=

= والكمّل والأقطاب، لهم هذه الخصوصية وهذا التصرف في الملك والملكوت، لأن الشخص إذا صار كاملاً واستحق خلافة الله تعالى في ملكه وملكوته حصل له التصرف فيهما بما أراد كتصرف بعض أولياء الله في الأرض بالطي والنشر، ومنه تصرف آصف في الأرض بطيه حين أراد حضور تخت بلقيس، وكتصرف موسى عليه السلام في الماء بشقه حين أراد هلاك فرعون ونجاة أهله، وكتصرف سليمان عليه السلام في الهواء بالركوب عليه والسير به بما أراد كما أخبر به الكتاب الكريم، وكتصرف إبراهيم عليه السلام في النار حين أُلقي فيها بالتبريد والخمود وعدم الإحراق، وكتصرف نبينا صلى الله عليه وآله بعد تصرفه في هذه الأربع حين أراد ظهور المعجزة في ملكوت القمر وشقه بحيث رآه الكفرة وغيرهم من المسلمين، وكتصرف شمعون الذي هو من أوصياء عيسى عليه السلام في ملكوت الشمس بردها من المغرب إلى المكان الذي أراد، وكتصرف علي عليه السلام بعد الكل في ملكوت الشمس بردها أيضاً إلى مكان الصلاة مرتين، مرة في المدينة ومرة في أرض بابل كما هو مذكور في كتب الشيعة والسنة، وكتصرف إدريس عليه السلام في ملكوت السماوات بصعوده عليها وبقائه فيها إلى الآن، وكتصرف عيسى عليه السلام كذلك وعروجه إليها، وأيضاً قد تقرر أن الملك والجن يتشكلون بأي شكل أرادوا ويدخلون في أي عالم كان، والإنسان أشرف منهم بالاتفاق، بل وهم مأمورون بسجدة الإنسان وخدمته ومطاوعته ومتابعته في جميع الأمور، فكيف لا يتمكن هو من أمثال هذه وهم يتمكنون؟، وبل يجب أن يكون هو أقدر منهم على ذلك وأمثاله، ويعرف صدق هذا أيضاً من قصة الأبدال وكيفية تبديلهم من صورة إلى صورة أخرى، وحضورهم في أمكنة مختلفة على صورة واحدة وكذلك في ظهور جبرائيل بصورة دحية الكلبي في هذا العالم مراراً متعددة وغيره من الملائكة، كظهورهم لأجل النبي صلى الله عليه وآله في يوم بدر وحنين وغير ذلك، وإذا سلمت هذا كله وسلمت أن الإنسان أشرف المخلوقات وأعظمها، وسلمت أن نبينا صلى الله عليه وآله أعظم نوع الإنسان وأشرفه، فلم لا تسلم أن كل إنسان كامل تمكن منه مثل هذه التصرفات؟، ولم ما تسلم أن أشرف الأنبياء والأولياء يمكن منه مثل هذه التصرفات وأكثر؟، لأن العروج إلى السماء أقل تصرف من تصرفه في ملكوت القمر وملكوت الشمس وتصرفه في جبرائيل عليه السلام حين أراد نزوله، وكم مثل ذلك في هذا الباب، فافهم جيداً واعتقد صدقاً فإنه لا ينفعك غير هذا، وإذا فهمت هذا وتقرر عندك أن المعراج الصوري حق وصدق فلنشرع في بيان المعراج المعنوي وهو هذا وبالله التوفيق. =

المعراج المعنوي

= فذلك معلوم محقق متفق عليه أكثر الناس، فإنه عبارة عن وصوله إلى الحق تعالى في تلك الليلة المعينة المسماة بليلة الاسرى بطريق التوحيد الذاتي المسمى بأحدية الفرق بعد الجمع، واطلاعه على حقائق الأشياء على ما هي عليه لقوله: «أرنا الأشياء كما هي» ولقوله: «علمت في تلك الليلة علوم الأولين والآخرين»، وهذا المقام له مناسبة إلى مقام إبراهيم عليه السلام حين قال تعالى في حقه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]، ومناسبة النبي إلى إبراهيم عليهما السلام بحكم القرآن ومطابقة البرهان معلوم محقق أيضاً، ومعلوم أن مثل هذا المعراج لا يحتاج إلى حركة صورية ولا مسافة جسمانية، بل إلى عدم الحركة ظاهراً وباطناً، أما ظاهراً فلأن الحركة الظاهرة عبارة عن السير بحسب الصورة من مكان إلى مكان آخر، وهذا المعراج غير محتاج إليه، وأما باطناً فلأن الحركة في الباطن عبارة عن الفكر من المبادىء إلى المقاصد بحسب المعنى، والفكر في هذا الطريق حجاب باتفاق أهل الله، كما قال علي عليه السلام: عرفت الله بترك الأفكار، فلا يكون حصول هذا المقام المعبر عنه بالمعراج إلا بطرح الحركتين وقطع النظر عنهما وعن جميع ما يطلق عليه اسم الغير، وقد سبق ذكره مراراً، ومن هذا قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي كان قطب الوقت وإمام زمانه عقلاً ونقلاً وكشفاً: من عرف الفصل عن الوصل، والحركة عن السكون فقد بلغ القرار في التوحيد، والمراد بالفصل الفرق الأول والكثرة الرسمية الخلقية، وبالوصل الجمع الذي هو بازاء الفرق المذكور، وبالحركة السلوك، وبالسكون القرار في عين أحدية الذات، وقد يعبر عن الوصل بفناء العبد عن أوصافه في أوصاف الحق، وهو التحقق بأسمائه المعبر عنها بالإحصاء، كما قال عليه السلام: من احصاها دخل الجنة، وعن الفصل باحتجاب العبد بأوصافه وأوصاف الخلق واعتبارهم مطلقاً، لأن كل من احتجب برؤية الغير وهو منفصل عن الحق ومشاهدته في عين التوحيد.

وإذا تقرر هذا فاعلم أن الأسفار المعنوية المعبر عنها بالمعراج أربعة بالاتفاق، **الأول**: هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهي نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الاسمائية، **الثاني**: هو السير في الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى، وهي نهاية الحضرة الواحدية، **الثالث**: هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة=

= الأحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية.

والرابع: هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع، وأن لكل واحدة من هذه الأسفار بداية ونهاية، أما بدايتها فقد عرفتها من ابتداء سير كل مرتبة ونهايتها، فنهاية السفر الأول وهو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة، ونهاية السفر الثاني هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنية، ونهاية السفر الثالث هو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول في أحدية الجمع، ونهاية السفر الرابع عند الرجوع عن الحق إلى الخلق في مقام الاستقامة هو أحدية الجمع والفرق، بشهود اندراج الحق في الخلق واضمحلال الخلق في الحق، حتى يرى العين الوحدة في صور الكثرة، وصور الكثرة في عين الوحدة، وليس هناك نهاية ولا سفر غير هذه الأربعة، وكذلك العروج بالنسبة إلى الكل نبياً كان أو رسولاً أو ولياً أو وصياً، والتفاوت بينهم يقع بحسب الاستعداد والاستحقاق، وهذا المعراج يجوز أن يكون في ليلة واحدة ويجوز أن يكون في ساعة واحدة، ويجوز أن يكون في طرفة عين، ويجوز أن يكون بعد مجاهدة أربعين سنة، وبل أربعين ألف سنة وأكثر وأقل، لأنه ليس له حد محدود ولا زمان مخصوص، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وإذا عرفت هذا فاعلم أن قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١] شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، فإن قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، معناه سبحان الذي اسرى بعبده الحقيقي الذي هو محمد عليه السلام ليلاً، أي في ليلة الكثرة الخلقية الرسمية الاعتبارية ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، أي القلب الحقيقي الحرام على غيره الدخول فيه ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، أي حضرة الروح وعالم المشاهدة الذي هو أقصى مراتب المشاهدات، وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، أي من نعم الحقائق والمعارف ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، أي لنريه من آياتنا الدالة على ذاتنا وصفاتنا وأسمائنا وأفعالنا، وبل على مشاهدتنا في عوالمنا الروحانية والجسمانية، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، أي لأنه هو السميع الحقيقي باستدعاء عبده، البصير باستحقاق كل واحد منهم.

وبيانه مرة أخرى أوضح من ذلك وهو أن المسجد الحرام يكون قلبه الحقيقي الحرام=

= على غير الحق تعالى، لأنه محله الخاص ومنزله المخصوص لقوله فيه: لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، ونسبة هذا القلب إلى المسجد الحرام الذي هو قبلة أهل العالم، لأنه أرض قبلة جميع أعضائه الظاهرة والباطنة، وقواه الصورية والمعنوية، وأنه أول صورة ظهرت من صور الإنسان حين كان نطفة أو علقة أو مضغة، كما أن الكعبة أول بيت وضع للناس ببكة مباركاً، والمسجد الأقصى يكون روحه الذي هو المضاف إليه لقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، لأنه أقصى مراتب المشاهدة وأعلى درجة الكشف لقول الإمام عليه السلام: وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك، ولقول جده صلى الله عليه وآله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، ونسبته إلى المسجد الأقصى الذي هو قبلة أهل الشرق من أمة عيسى عليه السلام، لأن الروح من عالم الروحانيات الذي هو بالنسبة إلى العالم كالمشرق كما قررناه، لأنه قبلة قلب الإنسان، كما أن القلب قبلة جميع الجسد، والكعبة مثلاً بالنسبة إلى المسجد، والمسجد بالنسبة إلى الحرم، لأن البدن بمثابة الحرم والقلب بمثابة المسجد والروح بمثابة الكعبة وقوله: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ إشارة إلى الروح وما حوله، وتقديره أي باركنا حوله بنعم المعارف والحقائق والأسرار والدقائق، وكان العلة في ذلك أي في العروج، لنريه من آياتنا الأنفسية دون الآفاقية مشاهدة ذاتنا وصفاتنا في ذاته وصفاته مشاهدة شهود وعيان، ونجعله بعد ذلك سميعاً لأقوالنا وأسرارنا، بصيراً لإشاراتنا ورموزنا، لأنه الخليفة في ملكنا وملكوتنا، وإليه الأمر في آفاقنا وأنفسنا، ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، أي له الحكم فيهما والنصب والعزل تارة بالنسبة إلى أهلها، وإليه يرجعون في حوائجهم وقضائها، أعني في مصالحهم الدينية والدنياوية، وكأنه من لسان مثل هذا الخليفة قيل ما قد قيل:

قلمي ولوحي في الوجود بمده ... قلم الإله ولوحه المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته ... ما شئت اجري والرسوم حظوظ

وكذلك خلق الله تعالى آدم على صورته، وكذلك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١-٤]، وكذلك أنا الحق، ومن مثلي، وهل في الدارين غيري، وأمثال ذلك لا يخفى على أهله، هذا من حيث الأنفس.

وأما من حيث الآفاق فسبحان الذي أسرى بعبده في ليلة الكثرة الخلقية المشار إليها بالغير ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الذي هو عالم الجسم والجسمانيات الحرام فيه دعوى الوجود=

= والبقاء على غيره من الموجودات في المخلوقات ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الذي هو عالم الروحانيات والمجردات ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بنعم مشاهدة العقول والنفوس وحقائق المعارف الملكوتية والجبروتية ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، أي من آياتنا الآفاقية والأنفسية التي هي مظاهرنا الاسمائية والصفاتية، واللام في لنريه لام التعليل، ومعناه أن عروجه إلى هذه العوالم المختلفة كان لأجل هذه المشاهدة كشفاً وذوقاً، كما كان قبل هذا علماً وبياناً، وتقديره أي لنريه حقائق آياتنا ودقائق مظاهرنا ليشاهدنا في عالمي الآفاق والأنفس كشفاً وذوقاً بطريق التوحيد الجمعي المحمدي المعبر عنه بأحدية الفرق والجمع الذي هو مشاهدة الكثرة في عين الوحدة، ومشاهدة الوحدة في عين الكثرة من غير الاحتجاب بأحدهما عن الآخر لقوله فيه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤] أيضاً: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] دال على هذا، لأنه إثبات في عين النفي ونفي في عين الإثبات ولا يتيسر الجمع بين هذين النقيضين إلا بطريق التوحيد المذكور، وقوله في الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ معناه أنه هو السميع باستدعاء كل طالب الذي يطلب بلسان حاله واستعداده لقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، البصير باستحقاق كل عبد أزل الآزال وأبد الآباد بحيث يعطي لكل أحد منهم ما يناسب ويوافق مقامه ومنهم النبي ﷺ، فإنه كان سميعاً باستدعائه الأزلي، بصيراً باستعداده الجبلي، وأعطاه ما كان مناسباً لحاله، موافقاً لمقامه، ولهذا قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، فإنه علمه في هذه الليلة علم الأولين والآخرين، والجواد الكريم لا يعطي شيئاً إلا على الوجه الذي ينبغي، أعني لا أزيد ولا أنقص، بل بموجب القسط والعدل المعبر عنهما بوضع كل شيء موضعه، هذا آخر المعراجين الصوري والمعنوي، وإذا تقرر هذا وعرفت سر الاجتماعات المشتملة على الزمان والمكان والاخوان وغير ذلك من الأسرار، فلنرجع إلى الغرض والبحث الذي نحن بصدده من بحث الصلاة وأوضاعها وأعدادها وغير ذلك من الحكمة المترتبة عليها، وهي هذه: اعلم أنه قد سبق قبل هذا أن هذه الأصول الخمسة والفروع الخمسة بأسرها هي وضع الأنبياء والرسل بأمر الله وإذنه لتكميل الناقصين ووصولهم إلى كمالهم المعين لهم في العلم=

= الإلهي، وقد سبق أيضاً أن هذا لم يكن يتيسر إلا بتكميل قوتي العلم والعمل المعبرة عنهما بالقوة النظرية والقوة العملية، وقد سبق أن الناس في وصولهم إلى كمالهم لو كانوا محتاجين إلى أكثر من ذلك لوجب على الله تعالى بيانه، وعلى الأنبياء والرسل تبيانه، ولكن لم يكن لهم احتياج إلى غير هذا، فما أمرهم الله تعالى به، ولا أمر نبيه أن يأمرهم، كالطبيب الحاذق الذي يعطي المريض الدواء، فإنه يعطيه الدواء الذي ينبغي، لا أزيد ولا أنقص، فافهم جيداً، وقد سبق أن هذه كلها ضوابط كلية وقواعد حملية مقررة بين الأنبياء والرسل لأجل إزالة النقصان من بين الناس وإيصالهم إلى كمالهم، كالقاعدة المقررة بين الأطباء الصورية لأجل إزالة المرض وإيصال الصحة إلى المرض، وما وقع الخلاف بينهم في هذا أصلاً إلا في بعض الفروع في بعض الأزمان لأجل مصلحة تلك الزمان وأهلها، الذي عند التحقيق هو أصل الاتفاق وعين الوفاق لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وإذا تقرر هذا كله يجب عليك أن تعرف كل ما كان النبي أو الرسول أعظم كان وضعه لهذه الأصول وترتيبه لهذه الفروع أعلى وأعظم، ونبينا عليه السلام بالاتفاق أشرف الأنبياء وأعظمهم، فيجب أن يكون وضعه أعظم الأوضاع وأشرفها، ولهذا صارت صلاته التي هي أحد الفروع جامعة لجميع العبادات الشرعية التي وضعوها الأنبياء والرسل بأجمعهم، وبل جامعة لجميع العبادات التي كلف بها المخلوقات بأسرها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وبيان ذلك مفصلاً، وهو أن المصلي حالة الصلاة يصدق عليه أنه في الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، أما الصلاة فلقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]، فإن هذا يشهد بأن لكل موجوده صلاة وتسبيح، وإذا كان كذلك فالمصلي حالة الصلاة يكون موافقاً مع جميع الموجودات مطابقاً لأوضاعهم التكليفية، هذا من حيث اللغة وأن الصلاة بمعنى الدعاء أو الاطاعة، وأما من حيث الاصطلاح فإن الصلاة عبارة عن هيئة جامعة مشتملة على أفعال مخصوصة في زمان مخصوص مترتبة على قيام وقعود وركوع وسجود وتسبيح وتهليل، فذلك أيضاً يصدق على المصلي أنه موافق مع الكل جامع لجميع العبادات، لأن الموجودات كلها من الروحانية والجسمانية، أعني العلوية والسفلية لها تسبيح وتهليل وركوع وسجود وقيام وقعود، كما شهد به القرآن الكريم. =

= أما في القيام والحركة المستقيمة موافق مع نوع الإنسان، لأن حركاتهم مستقيمة بالاتفاق، لأنها الذات الألفية.

وأما في الركوع والحركة الأفقية فمع الحيوان مطلقاً، فإن حركاتهم بالاتفاق أفقية.

وأما في السجود والحركة المنكوسة فمع النبات مطلقاً، فإن حركاتها بالاتفاق منكوسة، وليست الحركات بخارجة عن هذه الثلاث، ولا المركبات عن النبات والحيوان والإنسان المعبرة عنها بالمواليد، وإن شئت قلت: في القيام موافق مع الملائكة التي تكليفهم القيام دائماً، وفي الركوع مع الملائكة التي تكليفهم الركوع دائماً، وفي السجود مع الملائكة التي تكليفهم السجود دائماً، وكذلك في جميع الحركات والأوضاع المخصوصة بالصلاة، وإلى مجموع ذلك أشار الحق تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ...﴾ [الحج: ١٨] الآية، والمراد، بالسجدة في الآية ليست إلا الصلاة لغة واصطلاحاً، كما يقال: فلان ساجد أي فلان يصلي، أو يقال: فلان كثير السجدة أي كثير الصلوات، ويجوز أيضاً بمعنى الإطاعة والانقياد لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦] أي يطيعان لأمره وإرادته، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن وكلام العرب.

وأما تكبيرة الإحرام: فمع الكل على العموم، وعلى الخصوص مع الحجاج والقاصدين لبيت الله الحرام.

وأما في النية: التي هي القصد بالقلب إلى الفعل فمع الكل، لأن الكل قاصدون إليه متوجهون إلى حضرته، وإن لم يكن لهم بذلك علم لقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] الآية، ولقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ...﴾ [البقرة: ١٤٨] الآية.

وأما في التسبيح والتهليل: فمع جميع الموجودات لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وبالخصوص مع الملائكة لقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكذلك في جميع الأذكار والأدعية والحركات والسكنات.

وأما في الصلاة على النبي والسلام عليه وعلى آله: فمع الله تعالى جل ذكره ومع الملائكة=

= والمؤمنين بأسرهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأما في عدد الركعات من الثنائي والثلاثي والرباعي: فمع أمة كل نبي من الأنبياء الواضعين للشريعة، فإنه ورد أن بعض الأنبياء كانت صلاته ركعتين لا غير وبهما يأمر أمته، وكذلك الثلاث والأربع، أعني كان لبعض الأنبياء ركعتان وللبعض ثلاث وللبعض أربع، وقيل: الركعتان لآدم عليه السلام: والثلاث: لنوح عليه السلام والأربع: لإبراهيم عليه السلام، أو مع الملائكة في صلاتهم المعبرة بالجناح لقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر: ١]، وذلك لأن صلاة كل موجود في الحقيقة هي التي هو عليه من القابلية والاستعداد كما سبق ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، وعند قوله: ﴿كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]، والغرض أن المراد بالجناح المعبر عنه بالصلاة، القوة التي بها يتصرف الملائكة في العالم علوياً كان أو سفلياً، وقد أشار إلى هذا المولى الأعظم كمال الدين عبد الرزاق قدس الله سره في تأويله للقرآن وهو قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾ عبر عن جهات التأثير الكائنة في الملكوت السماوية والأرضية بالأجنحة، جعلها الله رسلاً مرسلة إلى الأنبياء بالوحي وإلى الأولياء بالإلهام وإلى غيرهم من الأشخاص الإنسانية وسائر الأشياء بتصريف الأمور وتدبيرها، فما يصل به تأثيرهم إلى ما يتأثر منه فهو جناح، وكل جهة تأثير جناح، مثلاً إن لقوة العاقلتين العملية والنظرية جناحان للنفس الإنسانية، والمدركة والمحركة الباعثة والمحركة الفاعلة ثلاثة أجنحة للنفس الحيوانية، والغاذية والنامية والمولدة والمصورة أربعة أجنحة للنفس النباتية، ولا تنحصر أجنحتها في هذا العدد، بل لهم بحسب تنوعات التأثيرات أجنحة، ولهذا حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح، وورد أيضاً أنه يدخل كل صباح ومساء في نهر الحياة ثم يخرج وينفض أجنحته، **فيخلق** سبحانه من قطراته ملائكة لا عدد لها، وإلى كثرة أجنحتها أشار عقيبه بقوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، ليعلم أن هذا أمر ممكن والله تعالى قادر عليه، **هذا مشاركته** مع الكل في صلاة واحدة وهذا الكل موجودات ممكنة، وأما مشاركته مع الحق تعالى في الكل فقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه أخبر عن الله تعالى=

= أنه قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ يقول الله: أثنى علي عبدي، يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③﴾، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④﴾، يقول الله: فوض إلي عبدي، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾، يقول الله: هذا بيني وبين عبدي، فيقول العبد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥﴾ إلى آخر السورة، يقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

وقد نطق في هذا بعض العارفين قدس الله روحه الزكية وأفاض على تربته المراحم الربانية بعين هذه العبارة، وهو لطيف نذكرها هاهنا بسطاً للخاطر وتشوقاً للناظر، وذلك قوله: واعلم أن التعاشق بين الروح والبدن وتواصلهما إنما يقتضي صعود الهيئة البدنية إلى الروح، ونزول الهيئة الروحانية إلى البدن، فكما أن الفكر في المعارف والحقائق وسماع ذكر الحبيب ومطالعة صفات جماله وجلاله ومشاهدة عظمته وبهائه يوجب اقشعرار البدن بقوة إشعاره واضطراب جوارحه، وسماع ذكر العدو ومكائده في مساويه وفي كل ما تكرهه النفس يهيج الغضب ويحمر اللون والعين وتملأ العروق وتعظمها وتحمي البدن وتشوش الحركات، فكذلك خشوع الجوارح وخضوع البدن وتنظيفه ونزاهته وتطهيره وذكر الله تعالى باللسان وتحميده وتمجيده، ومواطأة الباطن فيها للظاهر بالنية والاعراض عن الملاذ الحسية والامتناع عنها بكف الحواس وتذكر أحوال الملكوت والجبروت والتشبه بهما وبالمقربين من عباد الله المخلصين، يوجب عروج القلب والروح إلى الحضرة القدسية والإقبال إلى الحق والاستفاضة من عالم الأنوار وتلقي المعارف والحقائق عنه والاستمداد من عالم الملكوت والجبروت، فوضعت عبادة شاملة لهيئة الخضوع والخشوع واتعاب الجوارح مع شرائط التنزيه والتنظيف وقصد القربة وصدق النية والأذكار المشيرة إلى نعمه تعالى وتعظيمه وتحميده وتمجيده وثنائه بما يليق بحضرته وغاية التذلل لعظمته والإذعان لأمره وحكمه هي الصلاة، وكررت في اليوم والليلة بعدد الحواس الخمس، فإنها مشاعر للنفس الإنسانية تطلع بها على أحوال العالم الظلماني، ومخارج لها يخرج منها إلى العالم السفلي فتبعد عن الحق، ومداخل تدخل بها الهيئة الظلمانية الغاسقة من المواد الهيولانية وأحوال الجواهر الجسمانية وكدوراتها وتغيراتها، =

= فيتكدر القلب ويتغير ويتلوث ويحتجب عن عالم النور ويتشوش وينقطع عن الحضور، فوضعت بازائها خمس صلوات، وعينت أوقاتها وركعاتها بمقتضى الحكمة الإلهية، ومنعت بها عن استعمال تلك الحواس، وأغلقت عليها تلك الأبواب لينقطع إمداد الظلمة، وينفتح باب الباطن الذي إلى جناب الحق والعالم النوراني بالحضور والنية والتوجه إلى الحق، كما قال عليه السلام: «لا صلاة إلا بحضور القلب» وجعل أولها صلاة الظهر عند الزوال بعد الاستواء، كما قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، فإن الاحتياج إليها إنما هو عند ميل الروح الإنساني إلى الغروب في الأفق الجسماني وتواريه بالحجاب الظلماني واحتجاب نوره بالجوهر الغاسق الهيولاني، وأما حال الاستواء والبقاء على الفطرة الأولى والاستيلاء على ظلمة الهيولي على ما كان عليه حال آدم عليه السلام في الجنة قبل الهبوط، فهو في مقام المشاهدة حافظاً للميثاق داخلاً في زمرة العشاق فلم يكلف بهذه الأوضاع، وكذا حال شدة التأثير في المواد البدنية والاشتغال بالأمور الطبيعية، فإن الصلاة فيها لم تفد وجعل عدد ركعاتها أربعاً، بإزاء أول أركان وجوده في هذه النشأة التي هي العناصر الأربعة، فإن أول مراتب الإسلام تسليم أول أصول وجوده. وإن جعل العبادة شكر النعمة، فهي أول نعم الله عليه، والشكر أصله إنما هو بتصور النعمة من المنعم، فهو إقرار بأنها منه لا من نفسه، وإذا كانت منه فليس له شيء منها فقد سلمها إليه، وكذا الشكر باللسان إنما هو بالثناء عليه بأنه فاطر الكل ومالكه، كقوله المصلي: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقراءته للفاتحة وجوباً على الأصح، وكذا الجوارح فإنه انقياد للأمر وخروج عن حوله وقوته وقدرته وإرادته وعلمه، وإلا لم يطع بترك مراده واختياره وما يهوى من حركاته وأفعال بمقتضى طبعه وهوى نفسه إلى مراد الحق منه، فهذه أقسام الشكر، فإنها ثلاثة كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وكلها راجعة إلى الفناء في التوحيد.

ثم صلاة العصر: وإنما جعلت أربعاً لكونها بإزاء ما يلي الأركان الأولى من الأخلاط الأربعة، فإنها يحدث منها أولاً بالامتزاج، وكلما قرب البدن إلى الروح بالاعتدال، بعد الروح من جناب الحق وعالم النور بالانجذاب إليه، فلهذا يكون وقتها أقرب إلى الغروب. =

= ثم صلاة المغرب: عند الاحتجاب ثلاث ركعات بإزاء القوى الثلاث التي هي رؤساء البدن بحسب بقاء الشخص، وهي القوى الطبيعية والحيوانية والنفسانية، فإن حدوثها بأفول الروح في أُفق الجسد وتمام احتجابه، ولهذا خصت بالمغرب.

ثم صلاة العشاء: أربعاً بازاء الأعضاء الأربعة التي هي أُصول الأعضاء ومبادىء قواها التي يتم بها أمر البدن المسماة اعضاء رئيسة، وهي الثلاث، الدماغ والكبد والانثيان. فإنها محال القوى التي تبنى عليها حياة الإنسان وبقاؤه بالشخص والنوع وتكمل جسده واستقرت سلطنته واشتد أمره وقوي، ولهذا خص وقته بدخول الغسق وحصول الوقت ووقت النوم، فإن كمال أعضاء البدن يوجب استنامة الروح إليه واستغراقه، وإذا انتهى زمان ازدياد القوى البدنية والأعضاء، وتمت سلطتها وكملت بكمال البدن، وفرغ الروح من غمراته والاقبال إلى الطبيعة بالإمداد لتمامه، أقبل إلى عالمه وظهر نور عقله وابتداء تجرده وانتبه من نومه وظهر القلب أوجدت بإدراك الكليات واستخراجها من الجزئيات، كانقضاء مدة الليل بطولها، وطلع الصبح المعنوي بظهور نور شمس الروح ورجوعها إلى الأفق الشرقي من عالمه باعتبار، والغربي الذي أفل فيه باعتبار آخر.

وجاء وقت صلاة الصبح: وخص وقتها للمناسبة وجعلت ركعتين بازاء الروح والبدن، كما أن الإنسان قبل البلوغ وظهور العقل كان شيئاً واحداً جسماً طبيعياً فصار بذلك شيئين.

وأما أوضاعها وأركانها على الترتيب المعلوم، فإن القيام في الركعة الأولى إشارة إلى مقام الفطرة الإنسانية وهيئة النفس الناطقة القائمة من بين الموجودات، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٤ و٥]، والركوع إشارة إلى مقام النفس الحيوانية التي يليها في هذه النشأة الجامعة، فإن الحيوانات راكعة، والاعتدال إشارة إلى صيرورتها بنور الناطقة نوعاً آخر له خصوصيات اعتدالية وهيئات كمالية يستوي بها ويعتدل ويتخلق بالأخلاق الحميدة الملكية ويتصف بالفضائل الجميلة الإنسانية والسجود إشارة إلى مقام النفس النباتية، فإن النبات ساجد، ورفع الرأس منه معلوم من بيان الاعتدال من الركوع، والسجود الثاني إشارة إلى أن هذه النفس بسبب صيرورتها في الإنسان نوعاً أشرف ممتازاً عن سائر أنواع النبات بالانقلاع عن الأرض والتصرف وتوليد الأخلاط الأربعة وغير ذلك من التصرفات العجيبة التي حصلت لها من خواص الإنسان المشار إليه برفع الرأس من السجود لم يزد مرتبتها، بخلاف الحيوانية المدركة الكاسية=

= للملكات الفاضلة، بل بقيت على حالها في عدم الإدراك والإرادة والاشتغال بما يخصها من الأفعال النباتية بالطبع، **وأما القيام في الركعة الثانية**: فهو إشارة إلى العالم العقلي وانخراطه بذلك في سلك الجبروت بكمال التجرد بالتعقل بالفعل، **وأما ركوعها**: فهو صورة الانخراط في سلك الملكوت السماوية بالتنزه عن ملابس الشهوة والغضب والتأثير في الجهة السفلية، **وأما ترفعها عنه بالاعتدال**: فهو زيادة في مرتبتها باستعداد الولاية وكمال المعرفة، **وأما سجودها**: فهو إشارة إلى النفوس الشريفة الكوكبية وهيئآتها في أجرامها، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦]، **وأما الاعتدال**: فمعلوم مما مر، والرجوع إلى السجود هو البقاء على حال التأثير في العالم الجسماني والاقبال إليه مع شرفها. **والتشهد**: هو بلوغ الروح بهذه العبادة الحقيقية إلى مقام المشاهدة مطلقاً إلى ما في العالمين، واصلاً إلى محل القرب بالمتابعة، مستقراً متمكناً فيما حصل له من المواصلة، معايناً لما اعتقد من حقيقة الشهادتين واجداً لما طلب من متابعة النبي محققاً لمعنى قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، لأن السلام هو الفيض النازل من عند الله والمدد الفائض الواصل من العالم القدسي إلى هذه النفوس المكمل إياها بتجريدها عن صفات النقص وآفات النفس، وتكميلها بالكمالات الخلقية والوصفية الإلهية، فيجعلها اسماً من أسمائه لاتصافها بما أمكن لكل واحد منها من صفاته، هذا آخر كلام ذاك العارف قدس الله روحه ونور ضريحه، وهو مما يدل على نهاية كماله وكشفه في الاطلاع على حقائق أسرار الصلاة وأوضاعها، وافاد هذه الحقائق الكشفية والدقائق الذوقية من تأخر عنه، جزاه الله خيراً، فإنه به وبأمثاله من الكمل والاقطاب ظهرت الأسرار. وكشف عنها نقاب الاحتجاب.

هذا بالنسبة إلى حكمة أوضاعها المخصوصة بها، وأما بالنسبة إلى الصوم وأن المصلي حين الصلاة في حكم الصائم، وحكم باقي العبادات المذكورة فذلك يندرج تحت بيان علة تقديم الصلاة على غيرها وترجيحها عليه، وتحت بيان علة حصر الفروع في الأعداد المذكورة، وكل ذلك يحتاج إلى ضابطة أخرى كلية جامعة لجميع ذلك مفصلاً، وهي هذه:

علة تقدم الصلاة على غيرها

ضابطة أخرى كلية في بحث الفروع وانحصارها في الخمسة، وعلة تقدم **الصلاة على** غيرها، وأن المصلي جامع للكل، ثم علة تقديم كل واحدة منها على الأخرى.

اعلم أن الفروع أيضاً قد اختلف الناس فيها، لأن بعض الناس اضافوا إلى الصلاة **الطهارة**، =

= وإلى الصوم الاعتكاف، وإلى الزكاة الخمس، وإلى الحج العمرة، وإلى الجهاد المرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحيث إن هذا غير معتبر عند الكل، فلنشرع في الأشهر والأظهر المتفق عليه الكل وهو الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، والحق أنها منحصرة في هذه الاعداد، يعني أنها لا ينبغي أكثر منها ولا أقل، والدليل على حصرها فيه، وهو أن الوجوب إما يتعلق بالنفس فقط كالصلاة والصوم، وإما يتعلق بالمال فقط كالزكاة، وإما يتعلق بالنفس والمال معاً كالحج والجهاد، وإذا كان كذلك فلا يحتاج المكلف إلى أكثر من ذلك في تحصيل كمالاته، ولا يمكن تحصيلها بأقل منها، فيجب الحصر حينئذٍ فيها وهذا هو المطلوب، ويحتاج هذا المكان إلى مثال مناسب في هذا الباب، وهو أن الله تعالى حكيم كامل، والأنبياء والرسل عليهم السلام كما سبق ذكرهم اطباء النفوس ومعالجو القلوب، وأوضاعهم وقوانينهم في الشرائع كالمعاجين والأشربة لمرضى الناس ومصحاهم، فلو عرفوا هناك دواء لدائهم وأمراضهم أنفع وأنسب من هذا لأمروا به وأظهروه للناس ليستعملوه في إزالة أمراضهم ودفع دوائهم، لأن ذلك كان وجاباً عليهم وعلى الله تعالى أيضاً، لأن هذا كله من قبيل اللطف واجب عليهم وعلى الله كما بيناه مراراً بحيث لا يجوز الإخلال به، فعرفنا أن هذا الدواء المعبر عنه بالفروع كافٍ في إزالة مرض الجهل والكفر والشك والنفاق، وذلك تقدير العزيز العليم.

ومثال آخر، وهو أنه كما لا يجوز أكثر من ذلك فكذلك لا يجوز أقل منه. كما أن الطبيب الصوري مثلاً إذا أمر بشيء من الأشربة والمعاجين لدفع المرض الصوري وإزالة الداء الحسي، لا يجوز للمريض أن يزيد عليه شيء ولا ينقص منه شيء، فإنه إن فعل ذلك يكون إما موجباً لزيادة المرض أو سبباً للهلاك، فكذلك الطبيب المعنوي الذي هو النبي أو الرسول فإنه إذا أمر بشيء من التكاليف الشرعية والقوانين الإلهية لدفع إزالة الجهل وداء الكفر والنفاق، لا يجوز للمريض المعنوي أن يزيد عليه شيء ولا ينقص منه شيء، فإن ذلك يكون إما موجباً لزيادة المرض المعنوي، أو سبباً للهلاك الأبدي والشقاء السرمدي، فالأصول والفروع أكثر من ذلك لا ينفع ولا أنقص، فإن زاد عليهما أحد من عنده شيء لا يكون إلا موجباً لزيادة مرضه أو سبباً لهلاكه. وإن نقص أيضاً كذلك، وكذلك كل واحدة منهما، فإن من صلى الظهر مثلاً خمس ركعات لا تنفعه مع أنها طاعة، لأنه خروج عن وضع الشارع وأوامره. وكذلك باقي الفروع والأصول، فافهم ذلك جيداً، والله أعلم=

= وأحكم. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الصلاة جامعة لجميع العبادات الأربعة الباقية

وأما علة تقديم كل واحدة من هذه الفروع على الأخرى وترجيحها عليها كالصلاة على الصوم والصوم على الزكاة إلى آخرها، فإن الصلاة جامعة لجميع العبادات الأربعة الباقية بخلاف غيرها، فإن المصلي حال صلاته في الصوم والزكاة والحج والجهاد، أما صلاته فإنه ما دام مستقبلاً القبلة متوجهاً إلى الكعبة مشتغلاً بالركوع والسجود والقيام والقعود فهو في حكم المصلي، وأما صومه فلأنه ما دام مشغولاً بالصلاة فهو لازم للإمساك من المأكول والمشروب وجميع المفطرات، وكل من كان كذلك فهو في حكم الصائم، وأما زكاته فلأن الزكاة هي اخراج الحقوق مما في ملكه وتصرفه. وبدنه ملكه، بحكم: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** وقال النبي ﷺ أيضاً: **«لكل شيء زكاة وزكاة البدن الطاعة»** فكلما كان هو في الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة والتسبيح والنية التي هي القصد بالقلب إلى الفعل والحركات المتبعة بالجوارح والأعضاء بكون هو مخرجاً للزكاة حقيقة، وأما حجه فلأنه ما دام متوجهاً إلى الكعبة، مستقبلاً إلى القبلة، محرماً عن كل فعل يبطل صلاته، قاصداً رضاء الله وطاعته، طائفاً حول قلبه بأن لا يدخل فيه غير الله كما قال عليه السلام: **«لا صلاة إلا بحضور القلب»** فهو في حكم الحج بلا خلاف، لأن الحج الصوري هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء المناسك الصورية، وهذا قصد إلى بيت الله الحرام الذي هو القلب وما حوله لأداء المناسك المعنوية فيكون هو بذلك من الحجاج الحقيقي دون المجازي الصوري، وأما جهاده فلأن الجهاد عبارة عن محاربة أعداء الدين ومقابلتهم لكي يقبلوا الإسلام ويطيعوا أوامر الله ونواهيه، والمصلي حال الصلاة في المحاربة مع نفسه الأمارة التي هي في حكم الأعداء والكفرة للدين الحقيقي والإسلام المعنوي، لقول النبي ﷺ: **«اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»** لكي تطيع صاحبها وتقبل أوامره ونواهيه، ويشهد بذلك قوله ﷺ: **«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»** لأنه لما سئل عن معناه قال: **«الجهاد الأكبر هو جهاد النفس»** وكل من كان كذلك لا شك أنه يصدق عليه أنه في الجهاد، وفي الصلاة أبحاث كثيرة خلاصتها ما تلوناه عليك، فافهم وتدبره فإنه السر المصون.

وأما تقديم الصوم على الزكاة فلأنه يتعلق بالنفس خاصة، والزكاة تتعلق بالمال خاصة، والنفس أعز من المال وأعظم وأسبق، فيجب تقديمه، ولهذا قال تعالى: **«الصوم لي وأنا=**

= اجزي به» وذلك لأنه فعل لا يدخله شك ولا شبهة ولا رياء ولا عجب، وبل هو صادر من محض الإخلاص، لأن صاحبه إن لم يكن كذلك لا يصوم، لأنه متمكن عن الأكل والشرب من غير اطلاع أحد عليه، فعرفنا أنه من خوفه من الله وطلب رضائه يفعل هذا الفعل، فيجب حينئذٍ أجره وجزاؤه على الله، وكل فعل يكون كذلك ويكون هو على النفس خاصة دون المال يجب تقديمه.

وأما تقديم الزكاة على الحج: فلأنها على المال فقط، ويتكرر كل سنة وبل كل ساعة لأجل تتالي المكاسب وتعاقب المرابح، والحج ليس بواجب في العمر إلا مرة واحدة مع الاستطاعة، فيجب تقديم الواجب في كل سنة بل كل ساعة على الواجب في العمر مرة.

وأما تقديم الحج على الجهاد: فلأنه يحتاج إلى اخراج مال كثير ويجب على كل مستطيع، ويمكن أن لا يجب الجهاد على أحد ولا يحتاج إلى مال كثير، لأن الجهاد مشروط بشرائط كثيرة، ومع فقدان الشرائط لا يحصل المشروط ولا يجب أيضاً، وإن أردنا بالجهاد الجهاد الحقيقي المذكور فالجهاد مقدم على الكل حتى الصلاة، فإن كل من لا يحارب نفسه ما يتمكن أن يقوم أن يتوضأ ويصلي، وهذا أمر وجداني يجده كل عاقل من نفسه، وفيه أبحاث كثيرة وأسرار جليلة لا يخفى على أهلها، وسيجيء أكثرها عند بيان كل واحد منها.

هذا على طريق أهل الله وأرباب التحقيق، وأما على الظاهر وأرباب التقليد فلها تفسير آخر لا بد منه، وذلك أنهم قالوا: إن تقديم الصلاة على الصوم لأن الصلاة واجبة على العموم وفي جميع الحالات، والصوم ليس كذلك، لأنه عبادة مخصوصة بزمان مخصوص، وأيضاً الصلاة تجب على كل عاقل مكلف متمكن من فعلها، وتجب في الصحة والمرض، وعلى النائم على الفراش والمستلقي والقاعد وفي الحرب وفي البر والبحر وغير ذلك من الحالات، لأنه لا يسقط بوجه من الوجوه، والصوم يسقط عن العجائز والشبان والعطاش والمرأة الحاملة إذاكانت قليلة اللبن والحائض حين حيضها وأمثال ذلك، وأيضاً الصلاة تتكرر في كل يوم خمس مرات والصوم في كل سنة مرة واحدة فالصلاة تكون بالتقديم أولى.

وأما تقديم الصوم على الزكاة: فلأن الصوم يجب على النفس والزكاة يجب على المال، وليس كل أحد صاحب مال حتى يجب عليه، ولكن كل أحد صاحب نفس ويجب عليه الصوم فيكون أولى بالتقديم لعمومه.
=

= **وأما تقديم الزكاة على الحج**: فلأن الزكاة تجب في كل سنة مراراً متعددة في الذي لم يكن فيه حؤول الحول شرطاً، وفي الذي يكون حؤول الحول شرط مرة واحدة، والحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة مع الاستطاعة، فتكون الزكاة أولى بالتقديم من غيرها.
وأما علة تقديم الحج على الجهاد: فلأن الحج واجب على العين، والجهاد واجب على الكفاية، وفرق كثير بينهما، وأيضاً الجهاد لا يجب إلا مع حضور الإمام المعصوم أو من أمره به، وهذا المعنى في أكثر الأوقات مفقود، ويشهد به زماننا هذا، فيكون الحج أولى بالتقديم منه لعمومه، وهاهنا أسرار كثيرة غير هذه، لأنه يمكن تأويل هذه الصورة بوجوه كثيرة غير هذا، هذا آخر بيان الفروع وعلة تقديم كل واحدة منها على الأخرى بعد بيان الأصول على الوجه المذكور، وكأن الله تعالى إلى هذه العشرة من الأصول والفروع أشار وقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، لأن بهذه العشرة تحصل السعادة الأبدية والخلود في الجنة الصورية والمعنوية، رزقنا الله الوصول إليهما بمحمد وآله الأبرار الأخيار، وإذا فرغنا من بحث الأصول والفروع والمقدمات المتعلقة بهما، وحكمة أوضاع الصلاة والمعراج الصوري والمعنوي، وعلة تقديم كل واحدة من الفروع على الأخرى وغير ذلك من اللطائف والنكات، فلنشرع أولاً في الصلاة على طريق الطوائف الثلاث من أهل الشريعة والطريقة والحقيقة، ثم في باقي الفروع على الترتيب المعلوم.

صلاة أهل الشريعة

فالصلاة عندهم مشتملة على ثلاثة أجناس: أفعال وكيفيات وتروك، وكل واحدة مهما على قسمين، مفروض ومسنون، بحيث تصير هذه الثلاث من الصلوات الخمس ألفاً وثلاثمائة وثلاثة وستين فعلاً وكيفية وتركاً، ولسنا نحن بصدد تحقيق هذا المجموع ولا تعداده، بل نحن في صدد أن نذكر هاهنا ما يجب على المكلف القيام به في ركعة واحدة من الأفعال والكيفيات لا غير، لأن الباقي يحصل العلم به بأدنى تأمل، أما الأفعال الواجبة في أول ركعة من الصلاة فهي ثلاثة عشر فعلاً، القيام مع القدرة أو ما يقوم مقامه مع العجز عنه، والنية وتكبيرة الإحرام والقراءة والركوع والسجود الأول والتسبيح فيه ورفع الرأس منه والسجود الثاني والذكر فيه ورفع الرأس عنه، **وأما الكيفيات الواجبة منها: فثماني** عشرة كيفية، مقارنة النية لتكبيرة الإحرام واستدامة حكمها إلى عند الفراغ، **والتلفظ بالله** أكبر وقراءة الحمد وسورة معها مع القدرة والاختيار، والجهر فيما يجهر والاخفات فيما=

= يخافت، والطمأنينة في الركوع والطمأنينة في الانتصاب منه، والسجود على سبعة أعظم: الجبهة واليدين والركبتين وإبهامي الرجلين، والطمأنينة في السجدة الأولى والانتصاب منها، وفي السجدة الثانية كذلك، يصير الجمع أحد وثلاثون فعلاً وكيفية، وفي الركعة الثانية مثلها إلا تجديد النية وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة يبقى سبعة وعشرون، يصير الجميع في الركعتين ثمانية وخمسين فعلاً وكيفية، وينضاف إلى ذلك ستة أشياء: الجلوس في التشهد والطمأنينة فيه، والشهادتان والصلاة على النبي والصلاة على آله، تصير الجميع أربعة وستين فعلاً وكيفية، فإن انت صلاة الفجر انضاف إلى ذلك مثلها إلا تجديد النية وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة أشياء، ويسقط قراءة ما زاد على الحمد يبقى ستون فعلاً وكيفية في الركعتين الأخيرتين يصير الجميع مائة وأربعة وعشرين فعلاً وكيفية، هذا ترتيب صلاة أهل الشريعة على طريقة أهل البيت عليهم السلام بحسب الظاهر، وأما بحسب الباطن فذلك يتعلق بأهل الطريقة كما سنذكره الآن وهو هذا:

صلاة أهل الطريقة

فالصلاة عندهم قربة إلى الحق تعالى، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله: **«الصلاة قربان كل مؤمن»** والمراد بهذا القرب القرب المعنوي دون الصوري المعبر عنه عند القوم بقرب المكانة دون المكان، وبقرب الفرائض دون النوافل، وقد ورد أيضاً: إن الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة والقربة هي الطريقة والوصلة هي الحقيقة، وقيل: الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده، فالقربة بالحق موقوف على سجوده الحقيقي الذي هو الصلاة المعبر عنه بالفناء، أما من الأوصاف في أوصاف الحق وهو مخصوص بأهل الطريقة، وأما من الذات في ذات الحق وهو مخصوص بأهل الحقيقة، وإليه أشار الحق في قوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، أعني تفني ذاتك ووجودك في ذات الحق ووجوده، تبقى به أبداً دائماً، وهذا مقام أهل الحقيقة.

وحيث نحن في بيان صلاة أهل الطريقة وقربهم بالحق بفنائهم من أوصافهم في أوصاف الحق تعالى فالبحث في هذا الباب أولى، وذلك سيجيء بعد هذا بلا فصل إن شاء الله تعالى، وقد أشار إلى صورة هذا البحث بعض العارفين رضوان الله عليه في صورة مثال مناسب نذكره هاهنا، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده وهو قوله:

اعلم على الجملة أن الصلاة صورة صورها رب الأرباب كما صور الحيوان بصورة مثلاً، =

= فروحها النية والإخلاص وحضور القلب، وبدنها الأعمال، وأعضاؤها الأصلية الأركان، وأعضاؤها الكمالية الأبعاض، فالإخلاص والنية فيها تجري مجرى الروح، والقيام والقعود تجري مجرى البدن، والركوع والسجود تجري مجرى الرأس واليد والرجل، وإكمال الركوع والسجود بالطمأنينة وتحسين الهيئة تجري مجرى حسن الأعضاء وحسن اشكالها وألوانها، والاذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس والأعضاء كالأذن والعين وغيرهما، ومعرفة معاني الأذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوى الحس المودعة في آلات الحس كقوة البصر وقوة السمع والشم والذوق في معادنها.

واعلم أن تقربك في الصلاة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة إلى السلطان. فيجب عليك أن تعرف حينئذٍ أن فقد النية والإخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة، والمهدي للوصيفة الميتة مستهزئ بالسلطان فيستحق سفك الدم، وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الأعضاء، وفقد الأركان يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة، وجذع الأنف والأذنين، وعدم حضور القلب وغفلته عن معرفة معاني القراءة والأذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والأذن، ولا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان، ثم اعلم أن الصلاة الناقصة غير صالحة للتقرب بها إلى الله عز وجل ونيل الكرامة، وإن أوشك أن يرد ذلك على المهدي ويزجر، وأيضاً أصل الصلاة التعظيم والاحترام للسلطان الحقيقي، وإهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والاحترام، فكيف تقبل وكيف تحصل لصاحبها القرب والكرامة، فالواجب عليك وعلى كل مصل بالصفة المذكورة أن يحفظ روح الصلاة ويراعيها، وهو الإخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة واتصاف القلب في الحال بمعانيها.

فلا يسجد ولا يركع: إلا وقلبه خاشع متواضع على موافقة ظاهره، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع القالب، ولا يقول الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر من الله تعالى.

ولا يقول وجهت وجهي: إلا وقلبه متوجه بكل وجهه إلى الله عز وجل ومعرض عن غيره.

ولا يقول الحمد لله: إلا وقلبه طافح بشكر نعمه عليه فرح به مستبشر.

ولا يقول إياك نعبد وإياك نستعين: إلا وهو مستشعر ضعفه وعجزه، وأنه ليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، كما قال لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ **[آل عمران: ١٢٨]**، وكذلك في جميع الأذكار والأفعال يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، **لا يسأل** عما يفعل وهم يسألون.
=

= وإذا تحقق هذا وتقرر فاعلم أن صلاتهم بعد قيامهم بالصلاة المخصوصة بأهل الشريعة على كمال أركانها وأفعالها، هي توجهم أولاً بقلبهم إلى القبلة الحقيقية والكعبة المعنوية التي هي القلب الحقيقي المعبر عنه ببيت الله الحرام لقوله تعالى: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**» ولقول نبيه ﷺ: «**قلب المؤمن بيت الله**»، بالنية الخالصة والإخلاص التام والحضور الكامل، لقوله ﷺ: «**لا صلاة إلا بحضور القلب**»، ولقوله عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ولقوله الجامع لهذا المعنى كله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ثم يكبر تكبيرة الإحرام ويحرم على نفسه جميع ما يخالف أمره ويتجاوز رضاه من الأقوال والأفعال. ثم يشرع في القراءة وهي الحمد لله رب العالمين، وذلك هو القيام بشكر نعمه وأياديه بالثناء الجميل عليه، والقيام بوظائف عبادته على اختلاف أنواعها، والإقرار بالوحدانية في مقام الجمعية غير منحرف إلى طرفي الإفراط والتفريط، ثم في الاستعانة والإقرار بالعبودية وهي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإن ذلك إشارة إلى التوحيد الفعلي والوصفي بإضافة الأفعال والأوصاف إليه في المرتبتين، لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى التوحيد الفعلي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى التوحيد الوصفي، ولهذا جاء عقيبهما ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، لأنه إضافة الهداية وإضافة النعمة على الأنبياء والأولياء بل على الكل إليه، وهذا هو كمال التوحيد الحقيقي، ومعناه عند المحققين ثبتنا على هذا الذي نحن عليه من الاستقامة على الصراط المستقيم، لأن هذا صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والرسل، وأكد في تحقيق الصراط بالمستقيم ليخرج عنه غير المغضوب عليهم ولا الضالين، لأن ذلك صراط غير مستقيم، وقيل: إنه ورد في اليهود والنصارى، وذلك من حيث التعبير وهو صادق على كل منحرف من الصراط المستقيم الذي هو الحد الأوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في أصول الأخلاق الحقيقية التي هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولفظ ﴿اهْدِنَا﴾ لو لم يكن بمعنى ثبتنا على هذا الذي نحن فيه لكان عبثاً وبل مهملاً، لأن الأنبياء والأولياء ﷺ بالاتفاق كانوا على الصراط المستقيم، وكذلك تابعيهم من المؤمنين والمسلمين لقوله تعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧] فلو كان اهدنا حينئذٍ بمعنى طلب الهداية إلى الصراط=

= المستقيم لكان يلزم الفساد المذكور ويؤدي إلى تحصيل الحاصل وطلب ما عندهم من الهداية، وهذا غير جائز عنه. فلم يبقَ إلا أن يكون المعنى المذكور، ثم يركع أي يتواضع لله تعالى ويرجع إلى نفسه بالسكر والمذلة والافتقار التي هي من مقتضيات ذاته، لأن الركوع هو الرجوع قهقرى إلى عدمه الأصلي وإمكانه الذاتي، لأنه حركة أفقية حيوانية كما أن القيام حركة مستقيمة إنسانية ألفية، وليس معنى القهقرى إلا هذا، أي الرجوع إلى أصله المخلوق منه لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، ولهذا جاءت عقيبه حركة منكوسة التي هي السجود، لأنها مخصوصة بالنبات، لأن النبات دائماً في النكس، والنكس إشارة إلى الرجوع الأصلي، ولهذا نزل من الاستقامة والحركة الإنسانية إلى الحيوانية والحركة الحيوانية، ثم من الحيوانية إلى النباتية والحركة المنكوسة، لأنه من حيث الصورة صعد من النباتية إلى الحيوانية ومن الحيوانية إلى الإنسانية المشار إليه في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝﴾ [التين: ٤، ٥]، لأن أحسن التقويم بالاتفاق هو تقويم الحقيقة الإنسانية، وأسفل سافلين بالاتفاق هي الرجوع إلى المرتبة الحيوانية ثم إلى النباتية، وكذلك قوله: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، لأنه إشارة إلى هذا الرجوع، لأن النور المعبر عنه بالوراء المحصل للكمال لا يحصل إلا بعد الرجوع، إلى مقره الأصلي صورة ومعنى، ويشهد به قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝﴾ [الفجر: ، ٢٧، ٢٨] ينفعه هذا الرجوع ومشاهدة هذا الفقر والمذلة في طريق الفناء ظاهراً وباطناً، ويسهل عليه ترك اللذات والشهوات المشتملة عليهما، حتى إذا شاهد عظمة الباري وحقارة نفسه في ذلك قام بتعظيم الله وتبجيله غاية التعظيم والتبجيل بلسان الحال والمقال وقال: «سبحان ربي العظيم وبحمده»، ولذلك ثمرة هذا التعظيم والتبجيل بعد مشاهدته مذلته وانكساره، والرجوع إلى العدم الأصلي الانتصاب والاستقامة الموجبتان لمشاهدة حاله مع الحق وحال الحق معه في تبديل أوصافه بأوصاف الحق وتهذيب أخلاقه به حتى قال: «سمع الله لمن حمده»، لأن هذا أخبار عن شهوده الحق مع الكل وشهود الكل معه، بحيث يسمع كلام الكل من غير مانع وحاجب سيما مع نفسه، فإنه كان يسمع بنفسه من قائله كما سبق ذكره من قول الإمام: كنت أكرر آية حتى سمعت من قائلها، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه يشهد بذلك صريحاً، وفيه أسرار أخر ليس هذا موضعها، وعن هذا أخبر الحق تعالى أيضاً في كتابه الكريم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤]، وحديث يجوز هذا من =

= الشجرة الصورية النباتية لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وكذلك في حديثه القدسي: كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، الحديث، وليس هذا ببعيد من الشجرة المباركة الإنسانية المشار إليه بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وبقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وحديث يجوز هذا من الشجرة الصورية النباتية لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وإن كان في التحقيق أيضاً ليس هذه الشجرة وهذه البقعة المباركة إلا الإنسان وصورته ومعناه لقوله عليه السلام: «من رآني فقد رأى الحق» لأن مشاهدة الحق على ما ينبغي ليس بممكن إلا في الصورة الإنسانية لقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن الوادع» وأشار الشبلي رحمة الله عليه أنا أقول وأنا أسمع وهل في الدارين غيري، ما كان إلا في هذا المقام، ويشهد به أيضاً قول الإمام العارف ابن الفارض:

ولو كنت بي من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلتي

لأن هذا إشارة إلى الفناء والرجوع إلى العدم الأصلي ثم إلى البقاء والوصول إلى العالم القدسي المعبر عنه بالحضرة الإلهية، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، ثم يسجد أي يرجع أيضاً إلى أصله قهقراً حتى يصل إلى المرتبة النباتية وحركتها المنكوسة المخصوصة بها. لأن السجدة عبارة عن تعفير اشرف الأشياء في الإنسان وأجلها الذي هو الوجه بأخس الأشياء في الوجود الذي هو الأرض، كسراً لنفس الساجد وإذلالاً له. وهذا الكسر والإذلال في المرتبة الثانية إشارة إلى الفناء بعد الفناء، لأن الفناء الأول كان من الصفات والأخلاق وهذا الفناء عن الوجود والذات، لأن القرب الحقيقي كما هو موقوف على الفناء الوصفي، والوصل الحقيقي موقوف على الفناء الذاتي المخصوص بأهل الحقيقة كما أشرنا إليه، ولهذا قال فيه: «سبحان ربي الأعلى وبحمده»، لأن السالك ما دام في مقام الكثرة ومشاهدة مظاهر الصفات فهو بعيد، لأنه يعبد ربه المقيد لا الرب المطلق، لكن إذا وصل إلى التوحيد الذاتي خلص من ذلك وقال بلسان الحال: «سبحان ربي الأعلى وبحمده»، أي الأعلى من ربه الخاص، ومعلوم أن قيام الأرباب المقيدة ليس إلا بالرب المطلق، ومن هذا خاطب نبيه وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، وربه في الحقيقة ليس إلا الرب المطلق الذي هو منتهى كل رب ومقصد كل إليه، وذلك لأنه مظهر الاسم الله الذي هو الاسم الأعظم، =

= ومظهر الأعظم لا يكون إلا أعظم، فافهم، وهذا لو لم يكن كذلك لم يصدق عليه تعالى أنه رب الأرباب ولا أحسن الخالقين، وها هنا أبحاث تعرف من بحث الأسماء ومظاهرها، ثم يسلم أي يسلم الأمر كله إلى الله ويرجع عن السير بنفسه إلى السير فيه الذي هو مقام البقاء الحاصل من الرضا والتسليم الجامع للتوحيد الفعلي والوصفي، وإليه إشارة الحق بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وفيه قيل:

وكلت إلى المحبوب أمري كله فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، وبرهان صادق على هذا المعنى، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠]، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، هذا آخر صلاة أهل الطريقة بقدر هذا المقام.

صلاة أهل الحقيقة

فالصلاة عندهم عبارة عن الوصلة الحقيقية والشهود الحقيقي اللذين فوق القرب المذكور المخصوص بأهل الطريقة كما سبق تقسيمه من قولهم: الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة، والوصلة هي الحقيقية، ومن قولهم: الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده، وقد ورد في اصطلاحهم تقسيم آخر أوضح منه، وهو أنهم جعلوا العبّادة على ثلاثة أقسام، وخصصوا كل قسم منه بطائفة من الطوائف الثلاث، وذلك قولهم: العبادة هي غاية التذلل للعامة، والعبودية للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، والعبودة لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبودية، فهم يعبدونه في مقام أحدية الفرق بعد الجمع، وهؤلاء هم أهل الحقيقة المختصين بمقام العبودة دون العبودية، لأن ذلك خاص بأهل الطريقة الذين هم من الخواص وأهل الوسط كما بيناه عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وبون بعيد بين أهل العبودية وأهل العبودة وبين الخاص وخاص الخاص، وبالجملة صلاتهم عبارة عن مشاهدة محبوبهم بعين المحبوب لا غير، لقوله ﷺ: =

= «رأيت ربي بعين ربي، وعرفت ربي بربي» وورد عنه ﷺ: «حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» والمراد رعاية مراتب الثلاث، لأن الأول إشارة إلى القيام بالشريعة علماً وعملاً وطيب الأخلاق وتهذيبها قوة وفعلاً، والثاني إلى القيام بالطريقة ذوقاً ووجداناً الذي هو إما محبة نساء النفس لإخراج ذرية المعاني والحقائق عنها بالفعل كما هو مركوزة فيها بالقوة، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١] الآية، أو محبة الخارجة لإخراج الذرية الصورية الذي هو السعي والاجتهاد في إبراز المعدومات إلى الوجود، والثالث إلى القيام بالصلاة الحقيقية التي هي مشاهدة المحبوب وقرة العين بها، كما ورد في تعريف الإحسان حين سئل النبي ﷺ عن معناه وقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وقد نطق بعض العارفين في الخبر الأول الوارد عن النبي ﷺ وتحقيق الصلاة وحصول المشاهدة منها وهو مناسب لهذا المقام نذكره ها هنا ثم نرجع إلى غيره وهو قوله بعد بيان الطيب والنساء والدقائق التي فيهما:

أما قوله ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» فلأنها مشاهدة، وذلك لأنها مناجاة بين الله وبين عبده كما قال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وهي عبادة مقسومة بين الله وبين عبده بنصفين، فنصفها لله ونصفها للعبد كما ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى، وهو الذي ذكرناه أولاً أنه قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل يقول العبد: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ يقول الله: ذكرني عبدني، يقول العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾، فيقول الله حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾، يقول الله: اثني على عبدي، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، يقول الله مجدني عبدي، ثم يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فأوقع الاشتراك في هذه الآية دون الآيات التي سبقت، فإنها كانت خالصة لله، فيقول العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، يقول الله: فهؤلاء لعبدي لعبدي ما سأل، فخلص هؤلاء لعبده كما خلص الأول له تعالى، فعلم من هذا وجوب قراءة الحمد، فمن لم يقرأها لم يصل الصلاة المقسومة بين الله وبين عبده، ولما كانت مناجاة فهي ذكر، ومن ذكر الحق فقد جالس=

= الحق وجالسه الحق، فإنه صح في الخبر الصحيح الإلهي أنه قال تعالى: أنا جليس من ذكرني، ومن جالس من ذكره وهو ذو بصر حديد رأى جليسه، فهذه مشاهدة ورؤية، فإن لم يكن ذا بصر لم يره، فمن هنا يعلم المصلي رتبته، هل يرى الحق هذه الرؤية في هذه الصلاة أم لا؟ ثم قال: وأما قوله: جعلت قرة عيني في الصلاة ولم ينسب الجعل إلى نفسه، فإن تجلي الحق للمصلي إنما هو راجع إليه تعالى لا إلى المصلي، فإنه لو لم يذكر هذه الصفة عن نفسه لأمره بالصلاة على غير تجلٍ منه له، فلما كان منه ذلك بطريق الامتنان كانت المشاهدة بطريق الامتنان، فقال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وليس إلا مشاهدة المحبوب التي تقر بها عين المحب من الاستقرار، فتستقر العين عند رؤيته، فلا ينظر معه إلى شيء غيره في شيء وغير شيء، ولذلك نهى عن الالتفات في الصلاة، فإن الالتفات شيء يختلسه الشيطان من صلاة العبد، فيحرمه مشاهدة مربوبه، بل لو كان محب هذا الملتفت ما التفت في صلاته إلى غير قبلته بوجهه، والإنسان يعلم حاله في نفسه، هل هو بهذه المثابة في هذه العبادة الخاصة أم لا؟ فإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، فهو يعرف كذبه من صدقه في نفسه، لأن الشيء لا يجهل حاله، فإن حاله ذوقي، ثم قال: اعلم أن الرؤية والسماع والشهود من العبد المصلي للحق قد يكون بقوة الإيمان واليقين. حتى يكون جلية اليقين بمثابة الإدراك البصري، والسمعي، أعني في قوة الضروريات والمشاهدات، وقد يكون ببصر القلب، أي نور البصيرة والفهم، أعني بنور تجلي الصفات الإلهية للقلب حتى صار العالم عياناً. وقد يكون بالرؤية الحسية البصرية، فيتمثل له الحق متجلياً مشهوداً له مشاهدة عين قاسماً للصلاة (بينه وبين عبده)، ويعرف هذا من الخبر الوارد في التجلي الإلهي يوم القيامة، وتنوع ظهوره بحسب اعتقاد كل معتقد فيه، ثم قال فانظر علو رتبة الصلاة وإلى أين تنتهي بصاحبها، فمن لم تحصل له درجة الرؤية في الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين، لأنه لم ير من يناجيه، فإن من لم يسمع ما يرد الحق عليه فيها فما هو ممن ألقى السمع، ومن لم يحضر فيها مع ربه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصل أصلاً، ولا هو ممن ألقى السمع وهو شهيد، وإلى مثل هذه المشاهدة أشار الحق تعالى وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤]، وكذلك النبي ﷺ في قوله: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: =

= «أفأعبد ما لا أرى؟» وفي قوله: «الحق أبين وأظهر مما ترى العيون» وفي قوله: «وهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» وفي قوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» وفي مثل هذه المشاهدات الجلية والصلاة الحقيقية يصدق عليهم أنهم في صلاتهم مشاهدين، لأن الصلاة الدائمة عند التحقيق ليست إلا مشاهدة الحق على الوجه المذكور المخصوصة بأعظم عباده وأخص أوليائه، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه، وقد جمع الله تعالى هذه كلها في عبده الكامل الأوحدي، رزقنا الله الوصول إليهم، والجمع بعباده الذين رزقهم كمالات الأولى والأخرى.

وإذا تقرر هذا وتحقق أن المراد بصلاة أهل الحقيقة المشاهدة والوصول إلى المحبوب، فلنشرع في ترتيب صلاتهم وكيفية أركانها على الوضع المخصوص، وهو هذا:

اعلم أن صلاتهم بعد قيامهم بصلاة أهل الشريعة وصلاة أهل الطريقة عبارة عن قيام العارف بما هو مأمور به من الاستقامة على الطريق المستقيم التوحيدي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وتلك الاستقامة إشارة إلى استقامة الكامل في مقام التكميل، والسير بالله بعد الفراغ من السير إلى الله والسير في الله الذي هو عبارة عن أحدية الفرق بعد الجمع، ثم توجهه من الحضرة الفعلية والوصفية المعبر عنهما بالحضرة الواحدية والحضرة الربوبية إلى الحضرة الأحدية الذاتية التي هي قبلة العارفين وكعبة المحققين بنية أن لا يشاهد في الوجود غيره أصلاً، ثم تكبيرة الإحرام بمعنى أن يحرم عليه التوجه إلى غير بابه، وصدور الفعل منه بغير رضائه، لقوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، مع القيام بقوله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. ثم قراءة الفاتحة بالمعنى المذكور الذي هو التقسيم بين الله وبين عبده مع المشاهدة الجلية العينية في هذه القراءة المشار إليها في قوله وقول أنبيائه مطابقاً لقوله في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم يركع ركوعاً أي يتواضع لله تواضعاً يتخاضع معه الملك والملكوت لقيامة بخلافة الله فيهما، واحتياج الكل إليه في الوجود وتوابعه من الكمالات المترتبة عليه، ثم يسجد سجوداً يفنى فيه وجود الموجودات والمخلوقات بأسرها مع افناء وجوده وإفناء هذا الفناء أيضاً لشهوده العيني=

= معنى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ثم ينزهه ويقدسه في الحركتين بالتعظيم والتبجيل تنزيهاً وتقديساً يوجب التقديس عن جميع النقائص السلبية والثبوتية، مشاهداً معنى قوله: «**سبحان ربي العظيم وبحمده**» في الأولى، ومعنى قوله: «**سبحان ربي الأعلى وبحمده**» في الثانية على ما سبق ذكرها. ثم يشهد بوحدته الذاتية المطلقة والأحدية الوجودية الصرفة المنفية عندها جميع الاعتبارات بكل الاعتبارات مطابقاً لقوله وقول اكمل عباده في كتابه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ثم يسلم لهذا التوحيد من قلبه وروحه بشهوده الحقيقي الذي هو مخصوص بهما خاصة من غير مانع ودافع، لقوله تعالى المتقدم: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ولقوله أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، لأن التسليم لله لا يصح إلا بتسليم رسوله، وكذلك تسليم رسوله إلا بتسليم وليه المعبر عنه بأولي الأمر لقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ويشهد بذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهاهنا أبحاث وأسرار تريد بسطاً عظيماً نختصر على ذلك ونعتمد على من له استعداد استخراج باقي الأسرار من أهل الله خاصة، فإن ذلك لا يخفى على أهله.

فجماعة يكون اعتقادهم في الأصول والفروع بهذه المثابة التي عرفتها من أول الأصول الخمسة في الجزء الأول من هذا الكتاب، (يعني كتابه: أسرار الشريعة واطوار الحديقة) ومن الجزء الثاني الفروع الخمسة إلى هذا المكان، ويكون اطلاعهم على الحقائق الإلهية والدقائق الربانية إلى هذه الغاية، وقيامهم بالشريعة والطريقة والحقيقة بهذه المرتبة، كيف ينسب إليهم عدم الاعتقاد في الأصول والفروع وقلة القيام بالأوضاع الإلهية والقوانين النبوية؟ جل جنابهم عن أمثال ذلك، وذلك لأن أكثر علماء الظاهر ومجموع أرباب التقليد من العوام بمجرد استماع قول الجهال من الصوفية في الإباحة والإهمال في الأوضاع الشرعية، اعتقدوا أن اعتقاد أرباب التوحيد على هذا، وأنهم ذهبوا إلى أن كل من وصل إلى الله تعالى سقطت عنه التكاليف الشرعية والعبادات الدينية، حاشا وكلا، نعوذ بالله عن نسبة أمثال ذلك إليهم، بل اعتقادهم واتفاقهم على أن كل من وصل إلى الله تعالى أو إلى بعض حضراته، طاعته تكون أكثر وعبادته تكون أعظم ومجاهدته ومشقته على هذا المثال أشد وأصعب، كما كان حال=

= رسول الله ﷺ مع كمال وصوله إليه وقربه لديه، ويعرف هذا من الخبر الوارد عن عائشة وهو أنه ﷺ كان يقوم بالليل ويصلي حتى تورمت قدماه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما ورد فيك ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الرحمن: ٢]؟، فقال في جوابها: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»، يعني إذا كان نعمة الله على هذه المثابة أفلا أكون عبداً شكوراً له ولنعمه، وسورة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝﴾ [المزمل: ١ - ٣]، وسورة: ﴿طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝﴾ [طه: ١، ٢] ما ورد إلا في مجاهدته ورياضته وقيامه بالليل وظمئه وسهره صلّى الله عليه وعلى نفسه القدسية، وحال باقي الأنبياء والرسل عليهم السلام في هذا المعنى مشهور معروف، وقد شهد بصحته القرآن والأخبار النبوية والولوية صلى الله عليهما، هذا بالنسبة إلى الأنبياء والرسل، وأما بالنسبة إلى الأولياء والأوصياء فيعرف هذا من حال أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه كان يستغرق في الصلاة ومشاهدة الحق فيها، بحيث إذا أراد أولاده عليهم السلام اخراج النصل عن رجله كانوا يصبرون حتى يشتغل بالصلاة ويخرجون النصل من رجله ويشهدونها وما له به حس من غاية الاستغراق، ولأجل أداء صلاته في وقتها رجعت الشمس من المغرب مرتين في المدينة ومرة في أرض بابل، وله في زماننا هذا مسجد يسمى بمسجد الشمس كما ردت مرة أُخرى قبلها لأجل شمعون وصي عيسى عليه السلام فلو لم تكن الصلاة عندهم في غاية الاعتبار ما تعلق خاطرهم بأدائها إلى هذه الغاية، ولا قبل الحق تعالى دعاءهم فيها، وقد ورد أن ولده المعصوم زين العابدين عليه السلام كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان يقول: رضيت أن تكون جميع هذه الصلوات مقابلة لركعتين من صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك ورد في كل واحد واحد من أولاده صلوات الله عليهم مثل ذلك، وأبلغ هذا بالنسبة إلى الأولياء المعظمين، وأما بالنسبة إلى المشايخ من أهل الله وخاصته رضوان الله عليهم فينقسم ما ورد عنهم إلى قسمين، أقوال وأفعال.

أما الأقوال فقال بعضهم: إن الكامل من لا يطفئ نور عرفانه تورعه، وتوجيهه إن الكمال الكمل إنما يتحقق بالجمع بين العرفان الحقيقي والورع التام، فلا بد أن يكون الكامل جامعاً بينهما حتى به يكون كاملاً، فأما من إذا وصل إلى تمام المعرفة بشهود الحقائق تاه به واتقدت نورانية علمه، فاطفأت صور الأعمال الظاهرة ونورها الحاصل عن الورع عما حماه الله على أهل طاعته، فانطفأ نور الورع بنور العرفان، فليس حينئذٍ بكامل ولا متحقق=

= بالكامل ولا بنور العرفان، وكذلك من اكتفى بنور الورع من نور العرفان واتكل عليه وجعله سلماً إلى كماله دون الوصول إلى الحقائق الشهودية بنور المعرفة فليس بكامل أيضاً ولا متحققاً بمقام الكمل، بل الكامل القائم بالأمرين الجامع بين النورين نور العرفان ونور الورع، وسر هذا الجمع إنما يظهر من سر معرفة الانطباق بين الظاهر والباطن وحصول العلم بالارتباط بينهما، فإن به يتحقق الارتباط بين نوري العرفان والورع، هذا توجيه كلام ذلك العارف وهو موافق لما نحن بصدده من نزاهته عما ينسب إليهم مما لا يليق.

وقال آخر: الوصول بالحقيقة ترك ملاحظة العمل، وتوجيه ما ذكره هذا العارف اجمالاً أن الواصل إلى الحقيقة لا يتحقق عنده فعل ولا فاعل غيره تعالى، فلا يلاحظ حينئذٍ شيئاً من الأعمال، ولا يلزم من عدم ملاحظة العمل من حيث وجوده عن فاعله في نظر المحجوبين عدم ملاحظة فعله ووجوب تركه، فإن الملاحظة الأولى لا تنافي الثانية والحديث الوارد عن سلطان الأولياء والوصيين عليه السلام بقوله: ما عبدتك... الحديث دال على هذا المعنى وبه يعرف سر معنى الإخلاص في العمل وتوجه النفس فيه إلى سر العبودية دون ملاحظة الخصوص والمخاوف أو غيرهما من الأعراض الحاجبة عن الوصول والاتصال بالمعبود، هذا على سبيل الاجمال، وإلا فالتفصيل ليس هذا موضعه، تركناه خوف الإطالة، وعليك بملاحظة هذا السر، فإن به يندفع أوهام الإباحية والملاحدة.

وأما الأفعال فورد عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال: طاحت الضمارات وفنيت الإشارات وما نفعتنا إلا ركيعات صليناها في جوف الليل، وورد عن الشيخ الكامل سعد الدين الحموي قدس الله سره أنه كان يصلي كل ليلة ويوم كذا وكذا ركعات، ومن أوراده المشهورة عقيب كل صلاة يعرف صدق هذا وكذلك الشيخ شهاب الدين الكبير السهروردي قدس الله سره، وكذلك أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه الذي كان سقاء في دار جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وكذلك الشيخ الأعظم محيي الدين الأعرابي فإنه صلى بعدد كل نبي وولي ركعتين بعد قيامه بجميع ما وجب عليه، وكذلك في كل الزيارات التي كانت في المغرب والشام ومصر والإسكندرية ومكة والمدينة وبيت المقدس، ويعرف صدق هذا من فتوحاته وأسرار الصلاة التي ذكرها فيها.

والغرض من هذا كله أن هؤلاء القوم ليسوا في شيء مما يظنون فيهم علماء الظاهر وأرباب التقليد من العوام، الذين هم بقايا ذرية كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يستهزئون بأهل الله=

= وأرباب التوحيد والتأويل، ويتغامزون في حقهم وينكرون طريقتهم لا اليوم خاصة، وعند التحقيق ليس إنكار هذا اليوم إلا نتيجة ذلك اليوم، لأن هؤلاء المنكرين الذين هم في هذا الصدد ليسوا إلا أولادهم وأولاد أولادهم، لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، نعوذ بالله منهم ومن أمثالهم، ونعم ما قال الشاعر في هذا المعنى:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقد قال بعض العارفين: إن كل شخص يكون عارياً عن فضيلة لا يصدق بوجود تلك الفضيلة في آخر، بل وينكر عليه، لأن أهل الله في مقام المتابعة التامة والأسوة الحسنة المشار إليها في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقد سبق عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة أن الأسوة الحسنة هي القيام بجميع المراتب الشرعية، فمن المراتب المذكورة هذه المتابعة، والأسوة لا تقتضي المخالفة في شيء أصلاً، فكيف يصدر منهم ما يخالف هذا وما ظنوا فيهم الجهال والعوام الذين هم بقايا الذرية المذكورة، ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، وعند التحقيق ليست قضية هؤلاء القوم مع تلك الجماعة إلا قضية إبراهيم عليه السلام مع أمة موسى وعيسى عليهما السلام، لأنهم كانوا يقولون: إن إبراهيم منا لا من المسلمين، حتى كذبهم الله تعالى في دعواهم وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، فإن بعض الناس ينسبونهم إلى الإلحاد والكفر والزندقة، وبعض الناس إلى الحلول والاتحاد والتشبيه، والحال أنهم منزهون عن تصوراتهم الباطلة وتوهماتهم الكاذبة، كإبراهيم عليه السلام عن تصور تلك الجماعة وتوهم تلك الطائفة، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» إشارة إليهم، وكذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته» وكم ذا وأين أولئك، أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً، يحفظ الله حججه وبيناته بهم حتى=

= يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه، آه. آه. شوقاً إلى رؤيتهم، أيضاً إشارة إليهم، وفيهم قيل:

لله تحت قباب العز طائفة ... أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
هم السلاطين في اطمار مسكنة ... استبعدوا من ملوك الأرض إقبالا
غبر ملابسهم سم مطاعمهم ... جروا على الفلك الخضراء أذيالا

ومع ذلك حيث إن الأنبياء والرسل الذين كانوا من عند الله ما خلصوا من ألسن الطاعنين والجاحدين، لأنهم كانوا ينسبونهم إلى الشعر والسحر والكهانة والجنون وغير ذلك، كما قالوا: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] فليس بعجب إن لم يخلصوا هؤلاء القوم من طعنهم وجحودهم، وذلك أيضاً أسوة بهم لقولهم: البلاء موكل بالأنبياء ثم بالأولياء ثم بالأمثل فالأمثل، وفي هذا المعنى قيل:

وما أحد عن ألسن سالما ... ولو أنه ذاك النبي المطهر
فإن كان مقداماً يقولون اهوج ... وإن كان مفضالاً يقولون مبذر
وإن كان سكيتاً يقولون أبكم ... وإن كان منطيقاً يقولون مهذر
وإن كان صواماً وبالليل قائماً ... يقولون زراق يرائي وينكر
فلا تحتفل بالناس في الذم والثنا ... ولا تخش غير الله فالله أكبر

هذا آخر بحث الصلاة على الطوائف الثلاث وما يتعلق بها من المقدمات والأفعال والكيفيات بقدر هذا المقام. [أسرار الشريعة واطوار الطريقة وأنوار الحقيقة ص٢٠٧ - ٢٥٤].

الوقت

التأهل للمثول في حضرته والفوز بطاعته

أقول: وأمّا الوقت فقد قال بعض علمائنا[١] ـ رحمهم الله جمعياً ـ: استحضر عند دخوله أنّه جعله الله تعالى لك لتقوم فيه بخدمته، وتتأهل للمثول في حضرته والفوز بطاعته وليطهر على قلبك السرور وعلى وجهك البهجة عند دخوله لكونه سبباً لقربك ووسيلة إلى فوزك فاستعد له بالطهارة والنظافة ولبس الثياب الصالحة للمناجاة كما تتأهب عند القوم على ملك من ملوك الدنياالله وتلقاه بالوقار والسكينة والخوف والرجاء قال: واستحضر عظمه الله وجلاله ونقصان قدرك وكماله.

وقد روي عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عنكل شيء وكان علي عليه السلام إذا حضرت وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين. فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الوضوء اصفر لونه إلى غير ذلك.[٢]

---

(١) المصدر نفسه.

في آداب أوقات الصلاة

(٢) **قال الإمام الخميني في الاداب المعنوية للصلاة:** إعلم أن لأهل المعرفة وأصحاب القلوب على قدر قوة معرفتهم للمقام المقدس الربوبي وإشتياقهم إلى مناجاة حضرة الباري عز إسمه مراقبة ومواظبة لأوقات الصلاة التي هي ميقات المناجاة وميعاد الملاقاة مع الحق، ولا يزالون يراقبون ذلك فالمجذوبون لجمال الجميل والعاشقون لحسن الأزلي والمشغوفون به والسكارى من كأس المحبة والمصعوقون من قدح ألست الذين فرغوا عن الكونين وأعرضوا عن جميع أقاليم الوجود وتعلقوا بعز قدس جمال الله فلهم دوام=

= الحضور وليسوا مهجورين عن الذكر والفكر والمشاهدة والمراقبة لحظة واحدة.

والذين هم أصحاب المعارف وأرباب الفضائل والفواضل وهم شرفاء النفس وكرماء الطينة فلا يختارون على المناجاة مع الحق شيئاً ويطلبون من الخلوة مع الحق ومن مناجاته نفس الحق ويرون أن العزة والشرف والفضيلة والمعرفة كلها في تذكر الحق ومناجاته فهم إذا توجهوا إلى العالم ونظروا إلى الكونين يكون توجههم ونظرهم إليها توجه العارفين لها ونظرهم، ويتطلبون الحق في العالم ويطلبونه ويرون جميع الموجودات جلوة للحق ولجمال الجميل.

فهم يواظبون على أوقات الصلاة بتمام أرواحهم وقلوبهم وينتظرون وقت المناجاة مع الحق ويحضرون أنفسهم ويهيئونها لميقات الحق فقلوبهم حاضرة ويطلبون من المحضر الحاضر ويحترمون المحضر لأجل الحاضر ويرون أن العبودية هي المراودة والمعاشرة مع الكامل المطلق فإشتياقهم إلى العبادة من هذا الباب والذين يؤمنون بالغيب وعالم الآخرة ويعشقون كرامات الحق جل جلاله ولا يستبدلون النعم الأبدية الجنانية واللذات والبهجات الدائمة السرمدية بالحظوظ الدائرة الدنيوية واللذائذ الناقصة المؤقتة المشوبة، فهؤلاء أيضاً في وقت العبادة التي هي بذور النعم الأخروية يحضرون قلوبهم ويقومون بالأمر بإقبال وإشتياق وينتظرون أوقات الصلاة فإنها وقت حصول النتائج وإكتساب الذخائر ولا يختارون على النعم الدائمة شيئاً فهؤلاء أيضاً حيث أن قلوبهم خبيرة بعالم الغيب وقد آمنت قلوبهم بالنعم الأبدية واللذائذ الدائمة لعالم الآخرة يغتنمون أوقاتهم ولا يضيّعونها أولئك أصحاب الجنة وأرباب النعمة هم فيها خالدون.

هذه الطوائف التي ذكرت، وبعضها التي لم يذكر لهم من العبادة نفسها أيضاً لذائذ على حسب مراتبهم ومعارفهم وليس لهم كلفة وتكليف فيها أصلاً.

وأما نحن المساكين المبتلين بالآمال والأماني والمقيدين بسلاسل الهوى والهوس والمنغمرين في البحر المسجور الظلماني للطبيعة الذين ما وصلت إلى شامّة أرواحنا رائحة من المحبة والعشق وما ذاقت ذائقة قلوبنا لذة من العرفان والفضيلة، فلسنا لا من أصحاب العرفان والعيان ولا من أرباب الإيمان والإطمئنان، نرى العبادات الإلهية تكليفاً وكلفة والمناجاة مع قاضي الحاجات تحميلاً وتكليفاً لا نركن إلى شيء غير الدنيا. التي هي معلف للحيوانات ولا نتعلق بسوى دار الطبيعة التي هي معتكف للظالمين قد عميت أبصار=

الطهارة

طهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

قال أبو حامد: «وأمّا الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثمّ في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثمّ في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبّك الّذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهّر بها باطنك فإنّه موضع نظر معبودك».

أقول: وقد ذكرنا في كتاب أسرار الطهارة كلاماً عن مولانا الصادق عليه السلام وآخر عن بعض علمائنا فتذكّر.

ستر العورة

أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى

قال أبو حامد: «وأمّا ستر العورة فاعلم، أنّ معناه تغطية بدنك من

= قلوبنا عن جمال الجميل وهجرت ذائقة أرواحنا ذوق العرفان.

نعم إن رئيس سلسلة أهل الحق وخلاصة أصحاب المحبة والحقيقة يترنم بقوله: أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فيا رب ما هذه البيتوتة التي كانت لمحمد معك في دار الخلوة والأنس؟. وما هذا الطعام والشراب الذي أذقته بيدك هذا الموجود الشريف أخلصته من جميع العوالم، ففي شأن ذلك السيد العظيم أن يقول: «لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل» فهل هذا الوقت من أوقات عالم الدنيا والآخرة أو أنه وقت الخلوة في قاب قوسين وطرح الكونين..

إن موسى عليه السلام صام صوماً موسوياً أربعين يوماً ونال إلى ميقات الحق، وقال تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ ومع ذلك أين هذا اليقات من الميقات المحمدي ولا نسبة بينه وبين الوقت الأحمدي.

إن موسى في الميعاد خوطب بخطاب فاخلع نعليك وقد فسرّ بمحبة الأهل والرسول الخاتم قد أمر في ميعاده بأن يحب علياً، وفي القلب من هذا السر جذوة ما أبرز منها شيء. [الأداب المعنوية للصلاة ص ١٩٥-١٩٧].

أبصار الخلق، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رأيك في عورات باطنك وفضائح سرّك الّتي لا يطّلع عليها إلاّ ربّك، فاخطر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها وتحقّق أنّه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر، وإنّما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذلّ به نفسك وتستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيىء الآبق الّذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف».

أقول: وفي مصباح الشريعة قال مولانا الصادق عليه السلام: «أزين اللّباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(١) وأمّا اللّباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها عباده ذرّية آدم عليه السلام ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله تعالى بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك إلى العجب والرياء والتزيّن والمفاخرة والخيلاء فإنّها من آفات الدّين ومورثة القسوة في القلب، وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته، وألبس باطنك بالصدق كما ألبست بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ حيث خلق أسباب اللّباس لتستّر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والإنابة لتستر بها عورات الباطن من الذّنوب أخلاق السوء، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره واحذر أن يفني عمرك بعمل غيرك ويتّجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإنّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في

(١) سورة الأعراف: الآية، ٢٦.

العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الآجل، وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الآفات، غائص في بحر رحمة الله تعالى يفوز بجواهر الفوائد من االحكمة والبيان وما دام ناسياً لذنوبه جاهلاً لعيوبه راجعاً إلى حوله وقوّته لا يفلح إذاً أبداً»(١)(٢).

---

(١) إلى هنا منقول من مصباح الشريعة الباب السابع.

التوجه إلى جهة القبلة

(٢) **قال القاضي سعيد القمي في أسرار العبادات**: التحديد فيها هو خروج العبد من كلّ شيء حتّى إختياره وتوجهه إلى مقصده ومختاره حيث لم يكن ذلك التوجّه التامّ في كل أوقات الليالي والأيام. وإذا كانت الصّلاة دخولاً في حرم الحق فهي نور، ولا بد للنور من أن يصير سبباً لكشف بعض الأمور بحسب حال السالك في صفاء قلبه ونوريّة ذلك، ألا ترى أنّ أكثر الناس يتذكّرون حال الصلاة أكثر ما ينسون في سائر الحالات.

ومن جملة ما يكشف للعابد أن يعرف أنّ إختياره مستهلك في إختيار مولاه، وأن لا ملجأ منه إلى ما سواه. ولما كان الحق من حيث غيبه سبحانه يستحيل أن يتعلق به المعرفة، فمن المحال أن يستقبل ذاته بقلب من هو في منزل البعد والغربة، وإنّما الممكن أن يعلمه من حيث جهة الممكن وبالمقايسة إليه في إفتقاره في كلّ شأنه إليه، وتمييزه تعالى بأنه لا يتّصف بصفات المحدثات ويعرف بالسّلوب والإضافات، فلذلك شرع التوجه إلى جهة القبلة لأهل البعد عن حرم الكبرياء والعظمة؛ هذا ما قالوا في تحديد القبلة، ولكلّ في ذلك وجهة.

سيجيء إن شاء الله في أسرار الحج، أنّ الكعبة والمناسك التي فيها إشارات إلى مقامات العهود السابقة وأحوال المواثيق المأخوذة في موطن: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وما فوقها من المواطن الربوبية والألوهية هي العهد من الله فيجب حين التحقق بالعهد من التوجه إلى الكعبة لتمامية التذكر والله المستعان. [أسرار العبادات ص ٢٩-٣٠].

* * *

المراقبة لباب المسجد

قال التبريزي في أسرار الصلاة: في المكان أقول ومن الأمكنة أيضاً شريف وغير شريف، =

= وسعيد ونحس، وأمره في ذلك مثل الزمان ولهذه الأمة المرحومة أن يشكروا الله تعالى، ويثنوا على رسول الله في تسهيل أمر المكان، حيث جعل لهم الأرض كلّها مسجداً بمعنى جواز الصلاة كلّها فيها، ومع ذلك فقد ورد الحث الأكيد في تعاهد المساجد، وعدم التخلّف في الصلاة المفروضات عنها، لا سيّما لجيرانها، حتّى ورد أنّه لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد، فعلى العبد المراقب أن يعقل معنى المسجد وحق أدبه وتعظيمه وقبح التخلف عن حضوره وأن لله في جعل المساجد والأذن لحضورها شكراً عظيماً على العباد، سوى ما جعل لهم من المثوبات بحضورها، والعبادة فيها، فإنّ المسجد بيت الله، والمقصود من كون الكعبة والمسجد بيتاً لله، مع أنّ نسبة الأرض كلّها إلى الله سواء، ليس مكان أقرب إليه من الآخر، إنّ الله يعامل معها معاملة البيت أي جعله من المكان في مكانة البيت، بمعنى أنّه جعلها محلاّ لملاقاته، ومجلس أنسه، وزيارته أي يعامل فيها مع عبّاده وزوّاره معاملة الحضور، والصحبة، وإذا إتّخذ ربّنا كلّ مكان أردناه بإختيارنا أي ننسبه إليه ونتّخذه محلاً لملاقاته، وحضوره وزيارته مسجداً، أو عالمنا فيه ما أردناه يكون معنى ذلك أنّه جعل إختيار مجلس الملاقات، والحضور إلينا، وهذا من أجل المكارم، ثمّ إنّ الذي يفهم من معاملات الله مع عبيده في جميع الأزمان والحالات، إنّه تعلى يعاملهم أولاً بحلم وكرم وإحسان، وفضل وإنعام، ورضوان بما هو خارج عن حوصلة العقول، وينعمهم قبل وجودهم، ويعد وجودهم بنعم لا تحصى، ويحلم عند معصيتهم، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ولا يغيّر عليهم نعمة، ويتمشى معهم مشية الرب الودود العطوف الكريم الجواد الرحيم الرؤوف، ويدعوهم كلّما أعرضوا عنه، ويقبل إليهم كلّما أدبروا في جميع حالاتهم إلى أن يتجاوزا في العناد والجحود، بحيث يجب في حكم الحكمة الإلهيّة أخذهم، فعند ذلك يظهر سلطان الجلال والقهر، ولا يقوم له شيء.

فإذاً يطالبهم بحكم العدل، ويفضحهم بقبيح فعالهم، وينتقم منهم بأشدّ الإنتقام مثلاً، يدعو عباده في سمع عقولهم بلسان حال السموات والأرضين وما فيهنّ وما بينهن من جميع الموجودات. وبلسان حال أنفسهم من عقلهم وروحهم ونفسهم وقلبهم وخيالهم، وحواسهم وسائر قواهم، وأعضائهم وجوارحهم كلّها، وبلسان الأنبياء والأوصياء والعلماء، والحوادث الكوّنية ووجوه الحكمة المودعة في نظم العالم وغيرها بالإقرار بتوحيده، والإيمان بوجوده، وقدرته وعنايته، ويحلم عنهم إذا إستكبروا عن قبول هذه=

= كلّها، حتّى يؤكدها بإنحاء الإعجاز بوجوه معجزات الأنبياء خلال هذه المدّة، برأفة ورحمة أشد وأكرم من رأفة الأمّ الرؤوف والأب العطوف حتّى ينقضي عناده وجحوده للحقّ بحكم العقل والحسّ والعيان، فعند ذلك أخذهم بما لا يقوم له السّماوات والأرضون، ويرسل عليهم عذاباً من ريح صرصر عاتية، أو صيحة أو نار أو ماء يهلكهم عن آخرهم، ويسوقهم بهذه الجنود إلى عذاب الآخرة، نار جهنّم إلى نار عذابها شديد، وحرّها صديد، ومقامعها حديد، وقعرها بعيد نعوذ بالله منها، وممّا يوقعنا فيها، بوجود أوليائه السابقين وأحبائه المقرّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالجملة كما أنّ الله هو الرحمن الرحيم، ودود عطوف كريم كذلك هو شديد العقاب، ذي البطش الشديد فلا تغرر بربّك الكريم، وحسن صنيعه بك حتّى تتجاوز عن الحدّ ولا يجعل الشيطان الغرور كرم هذا الربّ الكريم، سبب غرورك حتّى يهويك في مكان سحيق، فإنّ من علائم الإستدراج أن يزيد الكرم والحلم في الجرئة على المعصية، وهو أن عظمة الله في نظر العبد، وتفكّر في حسن صنع الله معك في دعوتك إلى بيوته، وتكريمك بحسن الطلب، والإصرار والتوفيق، والوعد بالمثوبات والكرامات، وقبح صنيعك في الغفلة عن هذه المواهب الجزيلة والإعراض عن هذه الدعوة الكريمة الجميلة فاحذر من أن يكون حلمه عنك في إعراضك عنه إستدراجاً، وطالب نفسك أن يحمد هذه النعمة العظيمة، ويشكرها، ويستقبلها بحسن القبول، فإنّ من علائم عدم الإستدراج التوفيق بحمد النعمة، كما ورد بذلك الرواية.

ثمّ عليك عند قصد المساجد وإحرام حضور بيت الله أن تعرف أدب الحضور بقدر وسعك، فإنّ المعروف بقدر المعرفة، والأدب سبب للقرب، ومن أحسن أدب حضور الرب الحقّ قربه والقرب سبب القبول، بل هو نفس القبول وغاية القبول ونهاية كلّ مأمول، ولكن مقياسك في معرفة حقّ أدب حضور هذا الملك العظيم ميزان أدب حضور سلاطين الدنيا، فحقّ أدب حضور بساطه ما بين نسبة العبد والربّ، فكما أنّ نسبة عظمة هؤلاء السلاطين مع عظمة الله لا يقدر بقدر، فكذلك نسبة حقّ أدب حضوره مع حقّ أدب حضورهم.

وإذا تمهّد ذلك تعرف أنّك لا تقدر على حقّ أدب حضوره، ولا أحد غيرك، فليكن هذا على ذكر منك.
=

= ثمّ أنظر معاملتك وأدبك في حضوره، وإنّك على تقصيرك، وقصورك وإستحيي عن قبح فعالك، فليكن عليك رهبة الخاشعين وذلّ إعتراف الخاطئين، حتّى يلجأك ذلك على الإلتجاء بباب كرمه في طلب توفيق من أدب الحضور، ويقول لسان حالك: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» فينفتح بذلك أبواب القبول ويعرفك كاشف السوء بإجابة المأمول، وإعمل بالصدق بما حكى في مصباح الشريعة في ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: وإذا بلغت باب المسجد، فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً، لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلاّ الصدّيقون، وهب القدوم إلى بساط خدمة هيبة الملك فإنّك على خطر عظيم أن غفلت، وإعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك بفظله ورحمته قبل منك يسير الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك بإستحقاقه الصدق، والإخلاص عدلاً بك، حجبك وردّ طاعتك وإن كثرت، وهو فعّال لما يريد، وإعترف بعجزك وتقصيرك، وفقرك بين يديه، فإنّك قد توجّهت للعبادة، والمؤانسة به، وإعرض أسرارك عليه، ولتعلم أنّه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه واخل قلبك من كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلاّ الأطهر والأخلص، فانظر من أي ديوان يخرج إسمك، فإن ذقت حلاوة مناجاته، ولذيذ مخاطباته وشربت كأس رحمته وكراماته، من حسن إقباله عليك وإجابته، فقد صلحت لخدمته، فادخل فلك الاذن والأمان، وإلاّ فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل، وقصر عنه العمل، وقضى الاجل، واذا علم من قلبك صدق الالتجاء اليه، نظر اليك بعين الرأفة والرحمة والعطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريم يحبّ الكرامة بعباده المضطّرين إليه المحدقين على بابه لطلب مرضاته، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾.

هذا وحقّ الله أنّه كلام صدر من عين صافية من عيون الحكم الربّانية، جامع الأصول عالم المراقبة، وإذا عرف عبد مقام نكات تعبيراته، ولطائف إشاراته، يتعلّم منه فروع أكثر أبواب المراقبات في سائر العبادات، والمعاملات وإذا وفق عبد للعمل بما فيه إنفتح له من كلّ باب من أبواب معارفه ألف باب والله الموفّق للصواب.

أقول: إذا سمعت هذه المراقبة لباب المسجد، وعلمت أدب حضور العبادات، ووظائف العبوديّة في الطاعات، لا يعظم عليك بعد ذلك ما ورد في الأخبار والروايات من فضل=

= جزاء الأعمال فهذه الفضايل إنّما هي لهؤلاء العاملين، لا مثلي ومثلك من الغافلين، ثمّ إنك إن كسلت عن إتيان هذه الخدمة، والتأدّب بهذا الأدب، فلك أن لا تتركه كلّ الترك وتعمل منه بقدر الميسور، ولا تنسى حقّ ما عليك في عملك، ويكون عليك خجل التقصير، ولتقف لا محالة عند باب المسجد، وتقرأ آية أمّن يجيب المضطر، وتلتجيء إجمالاً في إصلاح حال مسجدك، وإن واظبت على ذلك أيضاً فإنك تجد فيه خيراً كثيراً. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ١١٢-١١٦].

* * *

التوجه إلى مصلاك

قال القاضي سعيد القمي في التوجه: ثمّ توجّه إلى مصلاّك الذي هو مرتبتك من حضرة مولاك بالخروج عن دنياك والذهول عن جميع متمنّاك والصعود إلى مرقاك، بالأذان؛ واخرق السماء الدنيا وإحكم عليها بالفناء، بالتكبيرات الأربع على جهاتها الأربع: والسماء الثانية، بشهادتك على مولاك بالوحدانية إذ في هذا المقام تستشعر بالأثنوة؛ والسماء الثالثة، بشهادتك على نبيّ الرحمة بالرسالة الكلية والولاية الجمعية؛ والرابعة بـ «حيّ على الصلاة»؛ والخامسة، بـ «حيّ على الفلاح»؛ والسادسة، بـ «حي على خير العمل»؛ والسابعة، بإعادة التكبير والتهليل لإظهار الثبات على السبيل؛ ثم استقم كما أمرت بذكر الإقامة، وقم في خدمة المولى كأنّك صلاة قائمة حتى تستعد بذلك لإمامة صفوف الملائكة. [أسرار العبادات ص ٣١].

* * *

فرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله

التبريزي في أسرار الصلاة: وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: إذا استقبلت القبلة، فآيس من الدّنيا، وما فيها والخلق، وما هم فيه وفرّغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ وقف على قدم الخوف والرّجاء.

أقول: لا بدّ للمؤمن من الخوف والرجاء، وهما أصل كلّ خير بعد الايمان، لأن المراد لكلّ أحد السعادة، وهي سعادة عند المؤمن كلقاء الله، والانس به ولا سبيل إليها إلا بتحصيل محبّته ولا تحصل إلاّ بالذكر، ولا يتيسّر الذكر والفكر إلاّ بالنزوع عن مشاغل الدنيا، والالف بشهواتها ولا يمكن إلا بالانقلاع عن حبّها، وحبّ مشتهياتها، ولا تنقمع=

= أصولها إلا بالصبر عنهما، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء، وحقيقة الخوف هو تألّم القلب، واحتراقه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي، سواء كان المكروه بحصول شقاوة، أو فقدان سعادة، ولا تنافي بينه بين الرجاء، بل بينهما تلازم، والذي بينهما تناف هو القنوط والرجاء والأمن والخوف.

ثمّ أن الخوف أمّا عن نفس المؤلم، أو عن سببه.

الأول: كالنار وسائر أنواع ما يعذّب به الانسان، سواء كان في الدنيا أو الآخرة.

والثاني: كالكفر والمعاصي، ومنشئهما كلّه ويختلف خوف الخائفين في كلا القسمين.

أما الأول: فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدنيا، وقد يكون الموت وسكراته، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته، وضيقه وضنكه، وقد يكون من السؤال، وقد يكون من هول المطلع، وقد يكون من أهوال القيامة، ومواقفها، وقد يكون من الحساب، وقد يكون من الصراط، وقد يكون من حياء العرض على الله، وقد يكون من فضيحة هتك الستور على رؤوس الاشهاد، وقد يكون من نار جهنّم، وحيّاتها وعقاربها، وزقّومها وضريعها، وغسلينها، وحميمها ومقامعها، وقرينها واغلالها، وسلاسلها، وقد يكون من حرمان الجنّة، ودار النعيم، والملك العظيم المقيم، وقد يكون من نقص الدرجة، وهي أيضاً كثيرة: خوف الوقوف، خوف الأعراض خوف الحجاب، خوف الغضب، خوف المقت.

وأمّا الثاني: فقد يكون خوف أحدهم من الكبائر التي قارفها، وقد يكون من ملكاته السيّئة، من شدّة شهوته وغضبه، وقد يكون من حقوق الناس، وطبقات العباد، وقد يكون من البطر بكثرة النعم، أو خوف الاستدراج بها، وقد يكون من الوقوع في معصيته، أو الموت قبل التوبة، أو نقض التوبة، أو من القساوة أو من الاعوجاج، والميل عن الاستقامة، أو خوف اطّلاع الله على سريرته في حال معصيته، أو غفلة أو من عدم قبول عباداته أو ردّ مناجاته، كأن يقال عند تلبيته: لا لبّيك، ولا سعديك، أو من ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله، أو من سوء الخاتمة، أو السابقة، والصالحين والطالحين والعبّاد والزهّاد، والمتّقين والصدّيقين، والعارفين مختلفة في هذه المخاوف.

ولا يذهب عليك انّ الكاملين من العباد يخافون من جميع هذه المخاوف ومخصوصون ببعضها أيضاً، والله تعالى يتولّى رياضة قلوبهم في كلّ وقت، بخوف ورجاء، وأخصّ ما=

= يخافون منه خوف الوقوف، والاعراض، وخوف السابقة المؤدية بسوء الخاتمة.
ثمّ اعلم أنّ أخوف الناس من الله أعلمهم بالله.
لذا قال رسول الله ﷺ: أنا أخوفكم من الله، فأنّهم يخافون من الله بجميع ما ذكر، ولا لشيء من هذه المخاوف، بل بسر قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ولكن قد يشغلهم الله من مقتضى خوفهم، فلا يظهر من أحدهم، أو في بعض حالاتهم، آثار الخوف، وقد يكون بالعكس رجائهم وخوفهم في بعض حالاتهم، فيظهر منهم ما يكاد يتقطّع منه القلوب ويبهر منه العقول، وقد يكون في بعضهم ظهور سلطان الخوف أكثر من بروز حقائق الرجاء. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ١٣٢-١٣٥].

* * *

ستر الأسرار الإلهية

القاضي سعيد القمي في أسرار العبادات في ستر العورة: ذلك إشارة إلى ستر الأسرار الإلهية التي يؤدي كشفها إلى عدم إحترام الجاهل ذلك الجناب الأعزّ الأحمى. و«العورة» أصلها الميل كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾. أي أنّها مائلة تريد السقوط، ومنه «الأعور» فإنّ نظره مائل إلى جهة واحدة؛ فالعارف ينبغي أن يستر عن الجاهل الأسرار المنكشفة له من جهة الحق في صلواته والأنوار المائلة إليه من جهة العلوّ بالتجلي في خطاباته.

في اللباس: الموحّد العارف، هو الذي لا يرى نفسه في الصلاة ويغيب عنها وعن كلّ شيء تحت الأنوار الإلهية، وينخلع عن نفسه وعن كلّ ما يلابسه ويخلع بلباس التقوى من كلّ ما عدا مقصوده حتى يرى أنّ الحقّ يقيمه ويقعده فيصح قوله: بحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد.

في طهارة اللباس: «النجاسة»، هي البعد وقد سبق في ذي بعد. و«الصلاة» هي القربة والوصلة والعبد لا يمكن أن يحضر مع الله في كلّ حال إلاّ الأقلّون من الرجال وذلك لما جبلّ عليه الإنسان من الغفلة والذهول عن هذه الحضرة فيجب عليه في أوقات الرخصة أن يتطهّر قلبه من هذه النجاسة، وعلى محاذاة الباطن يطهّر ظاهرة من الأدناس ويتنزّهه من نجاسة اللباس.

مكان المصلي

القدوم إلى بساط خدمته

أقول: وأمّا المكان فقد قال بعض علمائنا[١] ـ رحمهم الله ـ: استحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك الملوك تريد مناجاته والتضرُّع إليه والتماس رضاه ونظره إليك بعين الرّحمة، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة والمشاهد المطهّرة مع الإمكان فإنّه تعالى جعل تلك المواضع محلاً لاجابته ومظنّة لقبوله ورحمته، ومعدناً لمرضاته ومغفرته على مثال حضرة الملوك الّذين يجعلونها وسيلة لذلك فادخلها ملازماً للسّكينة والوقار ومراقباً للخشوع والانكسار، سائلاً أن يجعلك من خلّص عباده وأن يلحقك بالماضين منهم، وراقب الله كأنّك على الصراط جائز، وكن متردّداً بين الخوف والرجاء وبين القبول والطرد، فيخشع حينئذ قلبك ويخضع لبّك وتتأهّل لأن يفيض عليك الرّحمة وتنالك يد العاطفة، وترعاك عين العناية.

قال الصادق عليه السلام: «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون، ولا يؤذن لمجالسته إلاّ الصّديقون، وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملك فإنّك على خطر عظيم إن غفلت، واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة وأجزل عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلاً بك حجبك وردّ طاعتك وإن كثرت هو فعّال لما يريد، واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فإنّك قد توجّهت للعبادة له والمؤانسة به واعرض أسرارك عليه وليعلم أنّه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه، وأخل قلبك عن كلّ

---

(١) أسرار الصلاة ص ١٨٤.

شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلاّ الأطهر والأخلص، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجاباته، وقد صلحت لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان وإلاّ فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الأمل وقضى الأجل، وإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرّحمة والعطف، ووفّقك لما يحبُّ ويرضى فإنّه كريمٌ يحبُّ الكرامة لعبادة المضطّرين إليه المحدقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[1].

الاستقبال

إذا استقبلت القبلة استفرغ قلبك من كل شاغل

قال أبو حامد: «وأمّا الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله أفترى أن صرف القلب من سائر الأُمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك هيهات فلا مطلوب سواه وإنّما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتّى لا تبغي على القلب فإنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، واعلم أنّه كما لا يتوجّه الوجه إلى جهة البيت إلاّ بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلاّ بالتفرُّغ عمّا سوى الله تعالى، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته أُمّه»[2].

أقول: وممّا روي في هذا الباب عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أما يخاف

---

(١) سورة النمل، الآية ٦٢، والخبر في مصباح الشريعة الباب الثاني عشر.

(٢) نقلهما الشهيد الثاني - رحمه الله - في اسرار الصلاة.

الّذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار»[١].

قيل: هذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلاة، فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك أن يدوم تلك الغفلة عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقله للأمور العلوية وعدم فهمه للعلوم، وعن مولانا الصادق عليه السلام: «إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك من كلّ شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلُّ نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق، وقف على قدم الخوف والرجاء»[٢][٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مصباح الشريعة الباب الثالث عشر.

إن الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت

(٣) **النراقي في جامع السعادات**: وأما الإستقبال، فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله، وهذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يصرف وجه القلب عن سائر الأشياء إلى الله، فإن الأعمال الظاهرة تحريكات للبواطن على ما يناسبها، فضبط الجوارح وتسكينها بالإثبات في جهة واحدة لأجل الا تبقى على القلب، لأنها إذا توجهت إلى جهات متعددة يتبعها القلب في التوجه إلى أشياء متعددة، فأمر الله بصرفها إلى شطر بيته، ليتذكر القلب صاحبه، ويتوجه إليه، ويثبت على ذلك كما تثبت الأعضاء على جهة واحدة. قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ مقبل على المصلي ما لم يلتفت»، وهذا الإلتفات يشمل إلتفات إلى الجهات، فكذلك يجب حراسة السر عن الإلتفات إلى غير الله وغير الصلاة، فإن إلتفت إلى غير الله وغير الصلاة، فذكره بإطلاع الله عليه، وقبح غفلة المناجي عمّن يناجيه وعمّا يقول له حين المناجاة، لا سيما إذا كان من يناجيه ملك الملوك. وألزم قلبك الخشوع، فإن الخلاص عن الإلتفات ظاهراً وباطناً ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، ولذا قال رسول الله ﷺ ـ وقد رأى مصلياً يعبث بلحيته ـ: «أما هذا، لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، فإن الرعية بحكم الراعي». وفي الدعاء: «اللهم أصلح الراعي والرعية»، وهو القلب والجوارح.

الإعتدال

قم بين يديه قيامك بين يدي ملوك الزمان

قال أبو حامد: «وأمّا الإعتدال قائماً فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله، فليكن رأسك الّذي هو أرفع أعضائك مطرقاً متطأطأ متنكّساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلّل والتبرّي عن الترأس والتكبّر، وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطّلع[1] عند التعرُّض للسؤال، اعلم في الحال أنّك قائم بين يدي الله وهو مطّلع عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدي ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ

= وبالجملة: ينبغي لكل مؤمن صرف وجهه إلى بيت الله للصلاة، أن يصرف وجه قلبه إلى صاحب البيت، وكما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها، فكذلك لا ينصرف وجه القلب إلى الله إلا بالتفرغ عما سوى الله، وقد قال رسول الله : «إذا قام العبد إلى صلاته، وكان هواه وقلبه إلى الله، إنصرف كيوم ولدته أمه». وقال : «أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار؟!» قيل: هذا نهي عن الإلتفات عن الله، وملاحظة عظمته في حال الصلاة، فإن الملتفت يميناً وشمالاً غافلاً عن الله وعن مطالعة أنوار كبريائه، ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه، فيتحول وجه قلب كوجه قلب الحمار في قلة عقله للأمور العلوية وعدم فهمه للمعارف. وقال الصادق عليه السلام: «إذا إستقبلت القبلة، فآيس من الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، وإستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله ـ تعالى ـ، وعاين بسرّك عظمة الله ـ عز وجل ـ، وأذكر وقوفك بين يديه، قال الله ـ تعالى ـ:
﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.
وقف على قدم الخوف والرجاء».

(١) المطلع ـ بفتح اللام ـ قال الجزرى هو مكان الاطلاع من موضع عال، يقال: هذا الجبل من مكان كذا أي متناه ومصعده.

ومرقوب بعين كالئة[١] من رجل صالح من أهلك أو ممّن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنّه يهدأ عند ذلك أطرافك ويخشع جوارحك ويسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنّك تدّعين معرفة الله وحبّه أفلا تستحين من اجترائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده و تخشينّ الناس ولا تخشينه وهو أحقُّ أن يخشى، ولذلك لما قيل للنبيّ ﷺ: كيف الحياء من الله فقال: «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك»[٢].

التوجه

عليك بانحطاط همتك عند القيام بوظائف خدمته

أقول: وأمّا التوجّه فقد قال بعض علمائنا[٣]: إذا توجّهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغّر نفسك وخسّة عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همتّك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته.

وتفكّر عند قولك: «**اللّهم أنت الملك الحقّ**» في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع على نفسك بالذُّل والانكسار والاعتراف بالذُّنوب والاستغفار عند قولك: «**عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت**».

(١) **أكلاء بصره في الشيء**: ردده فيه مصوباً ومصعداً.
(٢) قال العراقي: أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابي هريرة، وروى البيهقي في شعب الايمان من حديث سعيد بن زيد نحوه مرسلاً.
(٣) معني به الشهيد الثاني - رحمه الله- في اسرار الصلاة ص ١٨٧.

واحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، ومثّل نفسك بين يديه وأنّه قريب منك يجيب دعوة الدّاعي إذا دعاه، ويسمع نداءه، وأنّ بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قولك: **«لبيك وسعديك والخير في يديك»** ونزّهه من الأعمال السيّئة وأفعال الشرّ، وأبدله بها محضّ الهداية والإرشاد عند قولك: **«والشرُّ ليس إليك، والمهديُّ من هديت»**.

واعترف له بالعبودية، وأنّ قوام وجودك وبدءه ومعاده منه بقولك: **«عبدك وابن عبديك، منك وبك ولك وإليك»** أي منك وجوده، وبك قوامه، ولك ملكه، وإليك معاده، وهو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى، فاحضر في ذهنك هذه الحقائق وترقّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدّقائق وتلقّى الفيض من العالم الأعلى.

النية

الاخلاص في النية مفتاح القبول

قال أبو حامد: «وأمّا النيّة فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه، وطلباً للقربة منه، متقلّداً للمنّة بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظّم في نفسك قدر مناجاته، وانظر من تناجي وكيف تناجي، وبما ذا تناجي، وعند هذا ينبغي أن تعرق جبينك من الخجلة، وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفرّ وجهك من الخوف».

أقول: روي عن مولانا الصادق عليه السلام: «أنّ الإخلاص بجميع حواصل الأعمال وهو معنى مفتاحه القبول»[1] وأدنى حدّ الإخلاص بذل العبد طاقته، ثمّ

---

(١) نقله المحدث النوري عن مصباح الشريعة وفيه: «الاخلاص يجمع فواضل الاعمال». وهو معنى مفتاحة القبول راجع المستدرك ج١ ص ١٠ لكن في اسرار الصلاة مثل ما في المتن.

لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافاته بعمله لعلّه أنّه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز، وأدنى مقام المخلص لله في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار، والفوز بالجنّة، وقال عليه السلام: صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلّص النيّة لله في الأمور كلّها، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1] ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوّته وضعفه وصاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه[2].

---

(١) مصباح الشريعة الباب الرابع، والآية في الشعراء: ٨٩.

في حقيقة النية في العبادات

(٢) **قال الإمام الخميني**: اعلم أن النية عبارة عن التصميم والعزم على إتيان شيء وإجماع النفس على إتيانه بعد تصوّره والتصديق بفائدته والحكم بلزوم إتيانه وهو حالة نفسانية ووجدانية تكون بعد هذه الأمور ونعبّر عنها بالهمة والعزم والإرادة والقصد، وهي موجودة في جميع الأمور الإختيارية ولا يمكن تخلّف فعل إرادي عنها، وهذا الأمر موجود في تمام العمل من أوله إلى آخره حقيقة من دون شائبة مجاز فيه ولا يلزم أن تكون حاصلة في الذهن في أثناء العمل أو في أوله تفصيلاً ويتصوّر الفاعل هذا المقصد والتصميم فعلاً بل ربما يكون أن الإنسان يأتي بالعمل بذلك التصميم والعزم وهو ذاهل وغافل بالكلية عن الصورة التفصيلية للعمل وعن التصميم، ولكن تلك الحقيقة موجودة، ويوجد العمل في الخارج بتحريكها كما هو واضح وجداناً في الأفعال الإختيارية.

وبالجملة، هذا التصميم والعزم الذي هو عبارة عن النيّة في لسان الفقهاء رضوان الله عليهم موجود في كل عمل بلا تخلّف بحيث لو أراد أحد أن يوجد العمل الإختياري بدونه فهو غير ممكن له ومع ذلك فإن وسوسة الشيطان الخبيث ودعابة الواهمة تجعلان العقل محكوماً لهما وتعميان هذا الأمر الضروري على الإنسان المسكين، وعوضاً من أنه يصرف عمره في معارف التوحيد ومعرفة الحق والسعي وراءه يوسوس له إبليس الخبيث ويصرف=

= نصف عمره في أمر ضروري وشيء واجب الحصول.

إن للشيطان حبائل ومكائد كثيرة فيلزم أحداً لترك أصل العمل وفي آخر إذا يئس من أنه يترك أصل العمل فيلزمه بالرياء والعجب وسائر المفسدات، وإذا لم يوفّق لهذا الأمر فيبطل عمله من طريق التظاهر بالقداسة فيوهن عبادات جميع الناس في نظر الأنسان وينسب الناس إلى عدم المبالاة ثم يلزمه أن يصرف جميع عمره في النيّة مثلاً التي هي أمر ملازم للعمل أو في التكبيرة أو في القراءة التي هي كلها من الأمور العادية ولا تحتاج إلى مؤونة، وبالآخرة لا يرضى عن الإنسان إلا بأن يبطل عمله بإحدى الطرق المذكورة.

إن للوسواس شؤوناً كثيرة وطرقاً عديدة لا نستطيع أن نبحث الآن في جميعها ونستقصي جميع شؤونها، ولكن الوسوسة في النية لعلها أكثر أضحوكة وأعجبها بين أنواع الوسوسات لأنه إذا أراد أحد أن يقوم بكلّ قواه وفي جميع عمره أن يأتي بأمر واحد إختياري بدون نيّة لا يمكن له أن يكون هذا في عهدته ومع ذلك ترى واحداً مسكيناً مريض النفس وضعيف العقل يعطّل نفسه في كلّ صلاة مدّة مديدة لكي توجد صلاته مع النية والعزم، فمثل هذا الشخص كمن يتفكر مدة مديدة لأن يهيىء نية وعزماً لذهابه إلى السوق أو لتغذّيه. فالصلاة التي ينبغي أن تكون لهذا المسكين معراج قربه ومفتاح سعادته وبالتأدب بآدابها القلبية والإطّلاع على أسرار هذه اللطفية الإلهية يكمل ذاته ويؤمن النشأة الحياتية، فهو يغفل عن ذلك كله بل لا يراها ضرورية لنفسه بل يعد جميعها باطلة ويصرف رأس ماله العزيز في خدمة الشيطان وإطاعة الوسواس الخنّاس ويجعل الموهوب من الله سبحانه الذي هو نور الهداية محكوماً لحكم إبليس.

فعن عبد الله بن سنان قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة وقلت: هو رجل عاقل فقال أبو عبد الله عليه السلام وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان، فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: سله هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو فإنه يقول لك: من عمل الشيطان.

وبالجملة لا بد للإنسان أن يجذر هذا الجذر بكل ما تيسّر له من الرياضة والكلفة، فإنه يمنع الإنسان عن جميع السعادات والخيرات، فمن الممكن أن تكون عبادات الانسان في طول أربعين سنة غير صحيحة حتى بحسب الصورة وتكون فاقدة لأجزائها الصورية الفقهية فضلاً عن الآداب الباطنية والشرعية. =

= ومما يضحك الثكلى أن بعض هؤلاء الأشخاص المبتلين بالوسواس يرون أعمال جميع الناس باطلة ويحسبون أنهم لا يبالون بدينهم مع أن هذا الوسواس نفسه إن كان مقلّداً فمرجع تقليده أيضاً واحد من الناس المعروفين، وإن كان هو من أهل الفضل فليرجع إلى الأخبار ويرى أن رسول الله وأئمة الهدى عليهم السلام أيضاً كانوا في هذه الأمور كمتعارف الناس، فهذه الطائفة الوسواسية فقط من بين الناس يعملون على خلاف رسول الله والأئمة المعصومين عليهم السلام وفقهاء المذهب وعلماء الملّة ويعدّون أعمال الناس جميعاً كلا شيء وعملهم موافقاً للإحتياط ويرون أنفسهم مبالين بالدين.

فمثلاً في باب الوضوء، الأخبار البيانية لوضوء رسول الله متواترة على الظاهر بأنه يصبّ غرفة من الماء على وجهه وغرفة إلى يمينه وغرفة إلى شماله، وقد قام إجماع فقهاء الإمامية على التحقيق بأن هذا الوضوء صحيح وظاهر كتاب الله أيضاً هو ذلك، وفي الغسل بل الغرفة الثانية إستشكل بعض ولكن الغرفة الثانية بل الغسل الثاني أيضاً لا بأس به وإن كان في إستحبابه كلام ولكن الغسل الثالث بدعة ومبطل للوضوء بلا إشكال رواية وفتوى.

فالآن إنظر إلى عمل الوسواسي المسكين فهو لا يكتفي بعشرين غرفة تسبغ كل غرفة منها تمام اليد وتحسب غسلة تامة فوضوؤه حينئذٍ باطل بلا أشكال، فهذا الشقيّ الضعيف العقل يرى هذا العمل الذي أتى به طاعة للشيطان ووسوسته صحيحاً وموافقاً للإحتياط ويرى أعمال سائر الناس باطلة.

فمن هنا يعلم وجه صدق الحديث الشريف الذي عدّه من السفهاء، فيعلم أن من يرى العمل الذي يخالف عمل رسول الله صحيحاً والعمل الذي يكون موافقاً لعمله صلى الله عليه وآله باطلاً فهو إمّا خارج عن الدين أو سفيه لا عقل له، وحيث إن هذا المسكين ليس بخارج عن الدين فهو سفيه لا عقل له لا محالة ومطيع للشيطان ومخالف للرحمن وليس لهذه المعصية والداء العضال علاج سوى التفكر في الأمور التي ذكرناها والمقايسة لعمله بعمل المتدينين والعلماء والفقهاء رضوان الله عليهم، فإن رأى نفسه مخالفاً لهم فيرغم أنف الشيطان ولا يعتني بذاك اللعين فإذا وسوس له الشيطان في وساوسه بأن عملك باطل يجيبه إذا كان عمل جميع فقهاء الأمة باطلاً فليكن عملي أيضاً باطلاً، فمن المرجو أنه إذا خالف الشيطان مدّة ويستعيذ في ضمن هذا إلى الحق تعالى بالعجز والحاجة من شرّه، أن يزول هذا المرض وتنقطع عين طمع الشيطان عنه كما أنه في الروايات قد ذكرت هذه الطريقة لدفع كثرة=

= الشك الذي هو أيضاً من إلقاءات الشيطان.
ففي الكافي الشريف، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إذا كثر عليك السهو فامض على صلاتك فإنه يوشك إن يدعك إنما هو من الشيطان».
وفي رواية أخرى عن الباقر أو الصادق عليهما السلام قال: «لا تعوّدوا الخبيث من أنفسكم نقض الصلاة فتطمعوه فإن الشيطان خبيث معتاد لما عوّد فليمض أحدكم في الوهم ولا يكثرنّ نقض الصلاة فإنه إذا فعل ذلك مرّات لم يعد إليه الشكّ». قال زرارة: ثم قال: «إنما يريد الخبيث أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم»..
وهذه المعالجات المهمّة في جميع الأمور التي تكون من إلقاءات الشيطان ومن دعابات الواهمة الشيطانية، وقد قررت في الأحاديث الشريفة لذلك أدعية أيضاً فمن أرادها أيضاً فليراجع الوسائل ومستدركها في أواخر كتاب الخلل. [الأداب المعنوية للصلاة ٢٨٩-٢٩٣].

مهمات آداب النية الإخلاص

قال الإمام الخميني: من مهمات آداب النية وهو في نفس الوقت من مهمات جميع العبادات ومن المقررات الكلية الشاملة الإخلاص وحقيقته تصفية العمل عن شائبة سوى الله وتصفية السرّ عن رؤية غير الحق تعالى في جميع الأعمال الصورية واللبّية والظاهرية والباطنية وكمال الإخلاص ترك الغير مطلقاً وجعل الإنّيّة والأنانية والغير والغيرية تحت قدميك، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] أي أن الله تعالى قد اختار لنفسه الدين الخالص فإذا كان لشيء من الحظوظ النفسانيّة والشيطانية دخل في الدين فلا يكون خالصاً وما ليس بخالص فإن الله لم يختره وما كانت فيه شائبة الغيرية والنفسانية فهو خارج عن حدود دين الحق. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.. [البينة: ٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله على ما نقل: «لكل إمرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ويمكن أن تكون هذه الآية المباركة متكفلة لجميع مراتب الإخلاص:
أحدهما: الهجرة الصورية التي تقع بالبدن وهذه الهجرة إذا لم تكن خالصة لله بل كانت=

= للحظوظ النفسانية فليست هجرة إلى الله ورسوله وهذه هي مرتبة الإخلاص الصوري الفقهي.

والثانية: الهجرة المعنوية والسفر الباطن الذي مبدؤه البيت المظلم للنفس وغايته لله تعالى ورسوله الذي مرجعه الحق أيضاً لأن الرسول بما هو رسول ليس له إستقلال بل هو آية ومرآة وممثل، فالهجرة إليه هجرة إلى الحق، فمحصلّ معنى الآية الشريفة على حسب هذا الإحتمال هو أنه من هاجر بالهجرة المعنوية وسافر بالسفر القلبي العرفاني وخرج من بيت النفس ومنزل الأنانية وهاجر إلى الله من دون رؤية نفسه ونفسانيته وحيثيّته فجزاؤه على الحق تعالى، وإذا كان السالك في سلوكه إلى الله طالباً لحظ من الحظوظ النفسانية ولو كان هو الوصول إلى المقامات بل ولو كان هو الوصول إلى قرب الحق بمعنى وصول نفسه إلى الحق فليس هذا السلوك سلوكاً إلى الحق بل السالك لم يخرج بعد من البيت بل هو مسافر في جوف البيت من ركن إلى ركن ومن زاوية إلى زاوية، فالسفر إذا كان في مراتب النفس وللوصول إلى الكمالات النفسانية فليس بسفر إلى الله بل هو سفر النفس إلى النفس، ولكن لا بد للسالك من هذا السفر في سفره، إلى الله ولا يقدر أحد أن يسافر السفر الرباني من دون السفر النفساني غير الكمّل من أولياء الله وهذا الشأن للكمّل فقط ولعل الآية الشريفة: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٥] تشير إلى هذه السلامة من التصرفات الشيطانية والنفسانية في جميع مراتب السير، في الليالي المظلمة الطبيعية التي هي ليلة القدر للكمّل حتى طلوع فجر القيامة الذي هو للكمّل رؤية جمال الأحدية، وأما غيرهم فليسوا سالمين في جميع مراتب السير بل في أوائل الأمر فلا يكون سالك خارجاً من التصرفات الشيطانية فاعلم أن هذه المراتبة من الإخلاص أي السلامة من أول مرتبة السير إلى الله إلى آخر مراتبها وهي حصول الموت الحقيقي بل ما بعد الحياة الثانوية الحقانية وهي الصحو بعد المحو لا تتيسر لأهل السلوك والمتعارفين من أصحاب المعرفة والرياضة وآية هذا النحو من الخلوص هي أنه لا سبيل لغواية الشيطان عليهم وطمع الشيطان مقطوع عنهم بالمرّة كما قال تعالى في الآية الشريفة ناقلاً عن ذاك الخبيث: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وقد نسب الإخلاص هنا إلى عين العبد لا إلى فعله وهذا مقام فوق الإخلاص في العمل ولعل المراد من الحديث النبوي المعروف من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع=

= الحكمة من قلبه إلى لسانه، هو الإخلاص بجميع مراتبه يعني الإخلاص العملي والصفاتي والذاتي ولعله يكون ظاهراً في الإخلاص الذاتي وتكون بقية مراتب الإخلاص من لوازمه، وشرح هذا الحديث الشريف وبيان المقصود من ينابيع الحكمة وكيفية جريانها من القلب إلى اللسان ومدخلية الخلوص في هذا الجريان وخصوصية الأربعين صباحاً خارج عن نطاق البيان في هذه الرسالة ويحتاج إلى رسالة مستقلة، والرسالة المعروفة بتحفه الملوك في السير والسلوك المنسوبة إلى العارف بالله بحر العلوم المرحوم فعمدة نظره شرح هذا الحديث الشريف وهي رسالة لطيفة وإن كانت لا تخلو من المناقشات، ولذا لا يراها البعض من تأليفات هذا السيد الجليل وليس ببعيد. [الأداب المعنوية للصلاة ص ٢٩٤-٢٩٦].

* * *

قال القاضي سعيد القمي: إذا تخطيتَ هذه العقبات التي بمنزلة العتبات ووصلت إلى حضرة السرادقات فاقصد دخول الحضرة قصداً خالصاً له سبحانه بالخروج عن حالة كنت فيها مع الله إلى حالة فوقها. إذ في الحقيقة ليس ثمّ شيء خارج عن الحق لا يتجلى فيه، فالعباد المكرّمون يقصدون حالاً مخصوصاً معه سبحانه ليس له سابقاً لهم، وآخرون يرون أنفسهم بُعداء عنه تعالى بحسب مرتبتهم أو رؤية الغير في حضوره فهؤلاء قصدهم القربة والتخلّص عن البُعد والفرقة. [أسرار العبادات ص ٣٢].

وقال في رفع اليدين: يشعر هذا الرّفع ـ ظهر الكف مستقبلاً للقبلة ـ بأنّ كلّ ما يملكه الله إياه أو يمكن تملّكه فإنه رماه إلى خلفه وجعل كفّه صفراً منه. ثم إنّ الله يعطيه في كلّ حال من أحوال الصلاة جزاء ذلك الفعل، فإذا ملك الجزاء تركه، فيعطيه ما هو أفضل إلى أن وصل إلى السجدة فيترك الكلّ ويفنى عنه ويبقى مع الله.

وأيضاً، هذا الرفع للإشارة إلى أنّ الإقتدار لله وأن يديه خالية عن الإقتدار، فمن رفعها إلى الصّدر إعتبر كون الحق في قلبه، ومن رفعها إلى الادنين إعتبر كون الحق فوقه. [أسرار العبادات ص ٣٣].

وقال: في دعاء التوجيه: قيل: التوجيه من الله بالله إلى الله مع الله في الله لله على الله: من الله إبتداءً، وبالله تأييداً، وإلى الله غايةً وإنتهاءً، ومع الله مراقبة، وفي الله رغبة، ولله قربةً، وعلى الله توكلاً.

أقول: يمكن أن تكون تلك الإشارات مجتمعة في دعائه فالتوجيه في «وجّهت» =

= من الله وبالله لأنّه لا قوة إلا بالله ومنه الإبتداء، وقوله: «علم الغيب والشهادة» يفيد المعيّة، و«الحنيفيّة» يفيد الرغبة. و«الإسلام» هو الإنقياد التام و«تفويض الأمر إلى الملك العلام» يفيد التوكل. و«كون العبادة والمحيي والممات لله» ظاهر، و«عدم الشرك» يفيد الإنتهاء إلى الله، إذ ليس في نظره سوى الله بل الكلّ هالك عند الله.

اجعل الله نصب عينك في قبلتك ومناجتك

قال في الوقوف: لمّا كان العبد يناجي ربّه في صلاته ويجعله نصب عينيه في قبلته والمناجاة (مفاعلة) وهي تكون بين الطّرفين فينبغي إذا تكلّم بالتسمية أن يرى أن الله يسمعها وأن يقف حتى يسمع قوله تعالى: ذكرني عبدي وإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقف حتى يسمع من الله قوله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، يسمع قوله سبحانه: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، يسمع قوله عز من قائل: مجّدني عبدي وفي رواية: فوض إليّ عبدي؛ فالأول راجع إلى الحق بحسب ما يليق به ومن حيث نسبة العالم إليه، والثاني من حيث يقتضي نسبة العالم إليه فقط، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ مراعياً حديث: «اعبد الله كأنّك تراه» ومخاطباً إياه: بإياك نطلب حتى يسمع قوله عزّ شأنه: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»، وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، يسمع قوله جلّ جلاله: هذا هو الذي لعبدي. ومن تقسيم الحمد، يظهر أنّ الصلاة قسّمت بين الله وبين العبد فكما أن من أول السورة إلى ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، لله خالصاً ومن ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ - إلى آخر السورة - للعبد خاصة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، آية برزخية وقع فيها الإشتراك بين العبد والرب، فكذلك السجود لله خالصاً لفناء العبد، والقيام للعبد، خاصة لقيامه في خدمة مولاه، والركوع حالة مشتركة يظهر منها إستلاء الأنوار الإلهية على موطن العبد ففيه بقية ما من العبد المربوب، ونصيب ماله من الشهود، وستزيدك بياناً في الوقت الموعود.

فيما روى من صلاة المعراج أنّ رسول الله ﷺ لمّا أمر بالصلاة والتكبير، كبّر فسكت فقال الله تعالى: يا محمد! سمّ بإسمي فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ ثمّ سكت فقال الله تعالى: إحمدني فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهكذا يسكت في كلّ آية ويؤمر بلاحقتها فعلى هذا، فالسكتات المستحبة إنما هي إنصات لصدور الأمر وإستماع لخطاب الله عز وجل. [أسرار العبادات ص ٣٤]. =

في الإستعاذة

= **قال في الإستعاذة: قال الله عز وجل من قائل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾** [النحل: ٩٨] **إعلم أن المصلّي يناجي ربّه وهو قاصر عن معرفة ما ينبغي أن** يتكلم ويخاطب ربه في وقت مناجاته، فعلّم الله عباده أن يناجوه بكلامه سيما القرآن فإنّه لا صلاة إلاّ بها فلا بدّ أن يستعيذ بالله حين قراءة كلامه وأوان رخصة مناجاته من رئيس أهل البُعد والتبعيد ومن كلّ خطرة يوقعها في الخاطر من ملاحظة غيره تعالى من حيث الضرّ والنفع بل من حيث الشيئية والوجود.

قيل: «العارف إذا تعوّذ، ينظر في الحال الموجب للتعوّذ وفي حقيقة ما يتعوّذ منه وفيما يعاذ به فإذا غلب عليه أنّ كلّ شيء فهو بيد سيّده وإنّه في نفسه محلّ التصرّف يقول: **«أعوذ بك منك»** وهذه هي إستعاذة التوحيد حيث يستعيذ فيه من الإتحاد والحلول والقول بهما، ومن نزل من هذه الدرجة إستعاذ بما يلايم مما لا يلايم فعلاً أو صفة فيقول: **«أعوذ برضاك من سخطك»** فقد خرج من حظّ نفسه، ومن نزل من هذه أيضاً يقول: **«أعوذ بمعافاتك من عقوبتك»** فهذا في حظّ نفسه. «وللناس فيما يعشقون مذاهب».

وإعلم، أنّه ذكر في الإستعاذة إسم الله لأنّه الجامع لحقائق جميع الأسماء وفي حقيقة كلّ إسم واقع في مقابلة كل خاطر سوى الله.

في البسملة

قال في البسملة: قال الله تعالى تعليماً لعباده في أوائل كلامه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] **وقال عزّ من قائل: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾** [الأنعام: ١١٨] **وفي الخبر الخاصيّ: أن المراد بالفاكهة ولحم الطير وأمثالهما، هي العلوم والمعارف التي تظهر من العالم وتنبت في أرض قابليّته لأكل النفوس الماشية لديه للتعلّم فالحقائق والمعارف الإلهية، نبات مغروس في الحياة وحيوان يرعى في «جنة الصفات» تأكُلها النفوس الأنسانية التي وصلت إلى إقليم العقل وأفق القدسيات وفي الخبر العامي: «إذا إستطعَمَ الإمامُ مَنْ خلفَه فلْيُطعِمْه» أي إذا طلب قرآناً في الصلاة حين نَسِيَ أو وَهَمَ، فليقرأ عليه المأموم فسمّى القرآن طعاماً، فلا بدّ قبل القراءة من البسملة لهاتين الجهتين.**

وأيضاً، ينبغي للعبد في جميع حركاته وسكناته: أن يعتقد أنّه لا قوة إلا بالله ولا إستعانة=

التكبير

إذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك

أقول: وأمّا التكبير فمعناه الله سبحانه أكبر من كلّ شيء، أو أكبر من أن يوصف، أو أن يدرك بالحواسّ، أو يقاس بالناس.

قال أبو حامد: «فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك وإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنّك كاذبٌ وإن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم إنه ﷺ رسول الله، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتّخذته إلهك وكبّرته، فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاماً باللّسان المجرد وقد تخلّف القلب عن

= على شيء إلاّ به سيّما في سيره إلى الله ودخوله في حضرة الكبرياء، هذا إذا كانت «الباء» للإستعانة؛ وأن يبتدىء في كلّ أموره وشؤونه بإسمه تعالى ليذكّر نفسه أنه الأوّل والآخر وأنّ السير منه وفيه ومعه وإليه، هذا إذا كانت للملابسة؛ وأن يسم نفسه بسمة عبادة الله وعلامة الإفتقار إليه عزّ وجلا، وذلك إذا كانت لتعدية «الإسم» المشتقّ من «الوسم» كما في الخبر؛ وأن يكون «ذكره» إسم الله و «قراءته» إسم الله تعالى فيتعلق «بالذكر» أو «القراءة»؛ وأن يكون «تحميده» بإسم الله، إذ الحمد لا يكون إلا بالإسم فيتعلق بالحمد المتأخر عنه في الذكر، هذا عند البعض أرجح من سائر التقديرات؛ فإذا قال العارف: بسم الله، علّق «الباء» بما في الحمد من معنى الفعل.

ثم أنّه ذكر في البسملة ثلاثة أسماء: الإسم الله لكونه للأسماء كالذات للصفات، فينبغي ذكره أولاً من حيث أنه دليل على الذات كأسماء الأعلام وإن لم يقو قوتها ثم الرحمن الرحيم من حيث كونهما أسمين له تعالى لا من حيث المرحومين ولا من حيث إتّصافه بالرحمة العامّة والخاصة، إذ من المقرّر عند علماء الإشارة أنه مهما ورد إسم إلهي لا يتقدّمه ذكر كون من الأكوان ولا يتأخر عنه فإنّ العارف ينظر إليه من حيث يدلّ على الذات فقط وأما إذا لم يكن كذلك فإنه يدلّ على الإتصاف أو التأثير، فسقط توهّم التكرار بحسب الإسمين في البسملة والحمد، مع كونها جزءاً منه. [أسرار العبادات ص ٣٤-٣٧].

مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظنّ بكرم الله وعفوه».

أقول: وفي مصباح الشريعة[(١)]، عن الصادق عليه السلام، «إذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه، فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنّك عن قربي والمسرّة بمناجاتي».

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذّاً بمخاطباته فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك له وإلاّ فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنّه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه[(٢)].

---

(١) الباب الثالث عشر.

التنبيه على لزوم التحقق بحقيقة التكبير

(٢) **قال العلامة التبريزي:** هذا كاف في التّنبيه على لزوم التّحقق بحقيقة التّكبير وآية تصديقه، وإن شئت أن تعرف حقيقته فارجع إلى عرفك وإلى نفسك فانظر إذا تريد أنت من تكبير ولدك وخدمك لك، واعلم أنّ كلّ كبير وعظيم تقدر أن يتخيّله أعظم وأكبر من كلّ شيء فهو أيضاً صغير حقير في جنب كبريائه، فيجب بحكم العقل أن يكون تكبيرك لربّك بقدر قدرتك، وإستطاعتك وببذل كلّ مجهودك، ثمّ تعترف بقصورك، لأنّ حقّ تكبيره خارج عن قدرتك هذا.

والأولى أن يقصد به أنّه تعالى أكبر من أن يوصف، هذا في التّكبير.

وأمّا الدّعاء الأوّل، فيجب بحكم الصّدق أن يعامل العبد مع الله تعالى معاملة من يقول بأنّ الله تعالى هو الملك الحقّ، أي المالك بالاستحقاق لجميع العوالم، وجميع العالمين ولا ينقص ذلك بأن يتصرّف في ملكه تعالى بغير رضاه، وبأن يرضى لأن يفعل الله في ملكه ما يشاء وإذا إستشعر من نفسه قصوراً في القيام بمقتضى ذلك فيستغفره.

وأمّا الدعاء الثاني، فليحضر نفسه، وحقيقته وقلبه وقالبه وكلّه لإجابة دعوة الرّبّ =

= بالقيام بوظائف هذا المحضر الجليل، ويعلم أنه قريب يجيب نداءه ويسمع دعاءه وأنّ بيده الخيرات والسّعادات كلّها، ولا يرى الخير في يد غيره، ولا يتوقّعه من غيره، وأن يتنزّهه من الظّلم والشّر، ويعتقد أنّ الظّلم منه على نفسه، والشرّ من جهته، ثمّ يستدرك ذلك بأنّ وجوده وبدئه ومعاده، وقوامه منه، وبه وإليه وأنّ الشر وإن كان مني، لكن خالقه أيضاً هو الله، ولا ضار ولا نافع في الوجود إلا الله ولا ملجأ ولا منجا إلاّ إليه، ثمّ ليعلم أنّ من كان مؤمناً بأنّ الخير كلّه بيده الله، لا يرغب إلى أحد إلاّ الله ومن كان مؤمناً بأن لا ضارّ إلاّ الله لا يرهب أحداً غير الله، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، والحمد لله.

وأمّا القيام فحقيقة القيام هو المثول بين يدي الله لأداء حقّ العبودية وإستجلاب خيرات الرّبوبية، والإستيناس به جلّ جلاله، والإلتذاذ بمخاطباته في كلامه، وبمناجاته في دعائه، والعلاج لطول مقام يوم القيامة، ودفع هول المطّلع ويستشعر بالوقوف على الرّجلين الوقوف في مقام الخوف والرجاء، وبإطراق الرأس على إلزام القلب التّذلّل والتّواضع والتّبري عن التّرأس والرّياسة، والتكبّر، وليعلم أنّ له مقاماً بين يدي الله يوم القيامة، وخطره إنّما يناسخ بكمال هذا القيام، فليجد كلّ جدّه في تصحيح قيامه في صلاته، وليعلم أنّ سريرته وضمايره مكشوفة عند ربّه، يعلم من سرايره ما لا يعلم هو، فليراقب أن لا يخالف سريرته رضا ربّه، فلا محالة يكون تواضعه في هذا المقام الخطير، مثل تواضعه عند القيام في نحضر سلطان من سلاطين الدُّنيا، كيف يراقب في مكالمته، ومشافهته أن لا يخالف رضاه، ولا يسهو عن قصد معاني ما يخاطبه، وإشارات مخاطبات السّلطان، ولا يكون الله جلّ جلاله ملك الملوك، جبّار الجبابرة أهون عليه من بشر مثله.

* * *

اداب التكبير قبل الركوع

قال الإمام الخميني: الظاهر أن هذا التكبير من متعلقات الركوع ولأجل تهيّؤ المصلي للدخول إلى منزل الركوع. وأدبه أن ينظر المصلي إلى مقام عظمة الحق وجلاله وعزة الربوبية وسلطتها ويجعل ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها نصب عينيه. وفي هذه الحال يكبر الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته عن الربوبية وذل العبودية، ويلزم أن يكون توصيف العبد السالك الحق تعالى وتسبيحه وتقديسه إيّاه لإطاعة الأمر محضاً ولأذن الحق تعالى في التوصيف والعبادة وإلا فليس له تلك الجسارة أن يجازف بالتوصيف=

= والتعظيم في المحضر الربوبي، عبد ضعيف مثله وهو في الحقيقة لا شيء. وما فيه فهو أيضاً من المعبود العظيم الشأن. في مقام يقول علي بن الحسين بلسانه الذي هو لسان الله: «**أفبلساني هذا الكالّ أشكرك؟**». (فما يتأتى من بعوضة ضئيلة) فإذا أراد العبد السالك أن يرد منزل الركوع الخطير فلا بد له من التهيّؤ لذاك المقام وأن يلقي بيده توصيفه وتعظيمه وعباداته وسلوكه على قفاه ويرفع يديه إلى حذاء الأذن ويقلب كفيه الخاليتين حذاء القبلة ويرد منزل الركوع صفر اليدين وخالي الكفين وبقلب مملوء بالخوف والرجاء. خوف التقصير والقصور عن القيام بمقام العبودية والرجاء الواثق بمقام الحق المقدس حيث شرّفه وأذن له بالدخول إلى هذه المقامات التي هي للخلّص من الأولياء والكمّل من الأحبّاء. [الأداب المعنوية للصلاة ص ٥٢١-٥٢٢]. ولعل الرفع بهذه الكيفية هو ترك لمقام القيام وترك الوقوف إلى ذاك الحدّ وإشارة إلى عدم التزوّد من منزل القيام. والتكبير إشارة إلى التعظيم والتكبير عن التوصيفات التي صدرت في منزل القيام. وعند أهل المعرفة حيث أن الركوع منزل توحيد الصفات فتكبير الركوع تكبير عن هذا التوحيد، ورفع اليد إشارة إلى رفض صفات الخلق. [الأداب المعنوية للصلاة ص ٥٢١-٥٢٢].

* * *

الله أكبر من كل شيء

قال القاضي سعيد القمي: في التكبيرات الإفتتاحية: ثم اشرع في فتح الأبواب بالتكبير على فناء الأسباب، وليكن ذلك حيث ترى نفسك أو شيئاً آخر، إذ التكبير لا يعقل إلاّ بوجود الغير أو تقدير وجوده وحيث تخرق بهذه التكبيرات الحجب السبعة التي هي ملكوت السماوات وباطنها رافعاً يديك بكلّ تكبيرة لخرق حجاب مستور ورفع ستر من الستور حاكماً عليها بالفناء والدّثور، ففي الخبر: قال السائل: «الله أكبر من كلّ شيء» فقال عليه السلام «أين الشيء؟ بل هو أكبر من أن يوصف».

تكبيرة الإحرام هي تكبيرة المنع

وقال في تكبيرة الإحرام: تكبيرة الإحرام هي تكبيرة المنع، لأنها تمنع العبد من أن يخطر بباله شيء في حرم الكبرياء إلاّ لأجل الحكم عليه بالبطلان والفناء، وتمنع الأشياء من أن تُشاركه تعالى في هذا الكبرياء، فهو أكبر من أن يقيّده حال بل هو مقلّب الحال والأحوال، وأعظم من أن يحيط به وصف أو نعت بل هو أعلى من الفوق والتحت.

دعاء الاستفتاح

اجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال

قال أبو حامد: «وأما دعاء الاستفتاح فأوّل كلماته قولك: **«وجهت وجهي للّذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً»** وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنّك إنّما وجهّته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدّس عن أن يحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنّما وجه القلب هو الّذي يتوجّه به إلى فاطر السماوات والأرض فانظر إليه أمتوجّه هو إلى أمانيه وهممه في البيت والسوق، ومتّبع للشهوات أم مقبل على فاطر السماوات والأرض وإيّاك وأن يكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله إلاّ بانصرافه عمّا سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقاً.

وإذا قلت: **«حنيفاً مسلماً»** فينبغي أن يخطر ببالك أنّ المسلم هو الّذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال.

وإذا قلت: **«وما أنا من المشركين»** فاخطر ببالك الشرك الخفيّ فإنّ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[١] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن منفيّاً من هذا الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك أن وصفت نفسك بأنّك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فإنّ اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قلت: **«محياي ومماتي لله»** فاعلم أنّ هذا حال عبد مفقود لنفسه

(١) سورة الكهف: الآية، ١١٠.

موجود لسيّده وأنّه إن صدر ممّن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأُمور الدنيا لم يكن ملائماً للحال.

وإذا قلت: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فاعلم أنّه عدوّك ومترصّد لصرف قلبك عن الله، حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفّق لها وأنّ استعاذتك بالله منه بترك ما يحبّه وتبديله بما يحبُّ الله لا بمجرّد قولك وإنّ من قصده سبعٌ أو عدوٌ ليفترسه أو يقتله فقال: «**أعوذ منك بذلك الحصن الحصين**» وهو ثابت على مكانه إنّ ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلاّ تبديل المكان فكذلك من يتّبع الشهوات الّتي هي محابُّ الشيطان ومكاره الرّحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوُّذ بحصن الله عزّ وجلّ عن شرّ الشيطان وحصنه لا إله إلاّ الله إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبيّنا ﷺ: «لا إله إلاّ الله حصني»[1] والمتحصّن به من لا معبود له سوى الله فأمّا من اتّخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله، واعلم أنّ من مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ.

فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فإنّ حركة اللّسان غير مقصودة بل المقصود معانيها، وأمّا القراءة فالنّاس فيها ثلاثة رجل يتحرّك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرّك لسانه وقلبه يتبع اللّسان فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره وهو درجة أصحاب اليمين، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً ثمّ يخدم اللّسان قلبه فيترجمه، ففرق بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب أو يكون معلّم القلب، والمقرّبون لسانهم ترجمان يتبع القلب

(١) في الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب راجع عيون اخبار الرضا ص ٢٧٥.

ولا يتبعه القلب»[١].

تفصيل ترجمان المعاني

«إنك إذا قلت: «بسم الله الرّحمن الرّحيم» فانوِ به التبرُّك لابتداء القراءة لكلام الله، وافهم أنَّ معناه أنَّ الأُمور كلّها بالله وأنَّ المراد بالاسم ههنا هو المسمّى وإذا كانت الأُمور بالله فلا جرم كان «الحمد لله» ومعناه أنَّ الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخّر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله، فإذا قلت: «الرّحمن الرحيم» فأحضر في قلبك أنواع لطفه ليتّضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك، ثمّ استثر من قلبك له التعظيم والخوف بقولك: «مالك يوم الدّين» أمّا العظمة فلأنّه لا ملك إلاّ له وأمّا الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الّذي هو مالكه، ثمّ جدّد الاخلاص بقولك: «إيّاك نعبد» وجدّد العجز والإحتجاج والتبرّي عن الحول والقوّة بقولك: «إيّاك نستعين» وتحقّق أنّه ما تيسّرت طاعتك إلاّ بإعانته وأنَّ له المنّة إذا وفّقك لطاعته، واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلاً لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللّعين، ثمّ إذا فرغت عن التعوُّذ ومن قولك: «بسم الله» وعن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعيّن سؤالك ولا تطلب إلاّ أهمّ حاجاتك وقل: «أهدنا الصراط المستقيم» الّذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً واستشهاداً بالّذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، دون الّذين غضب عليهم من الكفّار والزائغين من اليهود والنصارى والصائبين، فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: «قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، يقول العبد: «الحمد لله ربّ العالمين» فيقول الله: حمدني عبدي وأثنى عليّ وهو معنى قوله: «سمع الله لمن حمده» ـ الحديث إلى آخره ـ» فإن لم يكن لك من صلواتك حظّ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله، وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السورة فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منّه وإحسانه فلكلّ واحد حقٌّ فالرجاء حقُّ الوعد، والخوف حقّ الوعيد، والعزم حقُّ الأمر والنهي، والاتعاظ حقُّ الموعظة، والشكر حقُّ ذكر المنّة، والاعتبار حقُّ الأمر والنهي، والاتّعاظ حقُّ الموعظة، والشكر حقُّ ذكر المنّة، والاعتبار حقُّ أخبار الأنبياء، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء =

القيام

عندما يخشع الباطن يخشع الظاهر

«وأمّا دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال ﷺ: «إنّ الله مقبل على المصلّي ما لم يلتفت»[١] وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى غير الصلاة فإن التفت إلى غيرها فذكّره باطّلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود إليه، وألزم الخشوع للقلب فإنّ الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، قال ﷺ وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته: **«أمّا هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»**[٢] فإنّ الرعيّة بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء: **«اللهمّ أصلح الراعي والرّعية»**[٣] وهو القلب والجوارح وكلّ ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظّم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك، ومن يطمئنُّ بين يدي غير الله

= القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها ينكشف أسرار الكلمات فهذا حقُّ القراءة وهو حقُّ الأذكار والتسبيحات أيضاً، ثمّ يراعي الهيئة في القراءة فيرتّل ولا يسرد ولا يعجّل فإنّ ذلك أيسر للتأمّل ويفرّق بين نغماته في آية الرّحمة، والعذاب، والوعد، والوعيد، والتمجيد، والتعظيم، والتقديس، والتسبيح، والتحميد، كان بعضهم إذا مرّ بمثل قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] يغضُّ صوته كالمستحي عن أن يذكر بكلّ شيء ويقال لصاحب القرآن: «اقرء وارق، ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا». (الفيض الكاشاني).

أقول: ومثله ورد عن أهل البيت عليهم السلام من طريق الخاصّة أيضاً.

(١) أخرجه أبو داود ج١ ص ٢٠٩، وأخرجه النسائي والدارمي أيضاً كما في مشكاة المصابيح ج١ ص ٩١.

(٢) مر سابقاً.

(٣) ما عثرت على اصل له في كتب الفريقين.

خاشعاً وتضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن إطّلاعه على سرّه وضميره وتدبّر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾(١)(٢).

---

(١) الشعراء: ٢١٨ و٢١٩.

كمال قيام البدن أن يكون على طمأنينة وسكون

(٢) **قال التبريزي في أسرار الصلاة**: في القيام، وهو مسؤول بين يدي الله للخدمة والعبادة وإظهار العبوديّة بالقلب والجوارح كلّها، وكمال قيام البدن أن يكون على طمأنينة وسكون وهيبة وحياء، مطاطاً رأسه ناظراً إلى موضع سجوده مقيماً نحره وصلبه مرسلاً يديه على فخذيه، غير عابث بهما، ولا مشتغل برفع رجليه، ومستقبلاً برؤوس أصابع رجليه إلى القبلة، وصافاً بهما إليها، وفاصلاً بينهما بأصبع إلى شبر، وثابتاً عليهما، وكمال مثول القلب أن يكون ذاكراً لقوله تعالى الّذي يريك حين تقوم، وأن يكون سكون عليه تحت الأوامر الإلهيّة وخجل وإستحياء من إستشعار القصور، والتقصير، في همّته لأداء حق العبودية بقدر الإمكان، ومشيراً بإرسال اليدين، وصفّ القدمين للكون في مقام الخدمة، واقفاً على قدم الخوف والرجاء، وقاصداً بإطراق الرأس التبري من الكبر والترأس، وليكن ذاكر الهول المطّلع، وليقدر في نفسه لا محالة أنّه حاضر بين يدي واحد من ملوك الدنيا، خائناً مقصراً، فكيف يكون حاله، ويكون بشراشر وجوده ناظر إلى ما يصدر عنه من عتاب، خطاب، وردّ وقبول، وكيف تهدء أطرافه، وتسكن جوارحه، وإذا لم تسمع نفسه العوّاد باللّعب والعبث، واللهو عن عظايم الأمور، وحقائق العزائم بالجد في الخشوع، والإستكانة بقدر حضور هذا الملك، عند حضور ملك الملوك تعالى جلّت عظمته، فعليه أن يعاتب نفسه، ويقول: أنا أستحيي يا خبيث أن يكون هو جلّ جلاله عندك أهون من عبد مملوك لا يقدر لنفسه نفعاً، ولا ضرّا ولا موتاً، ولا حياة ولا نشوراً، وإلى ما تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عند مالكي وسيّدي أهون هالك، فإن لم يكن لك الحياء، ولم تنفعل من الخطاء والجفاء فعليك أن تخاف من خطر مقامك، وسوء حالك لقبيح فعالك، وقد ورد في الرواية قال رسول الله ﷺ: «أما يخاف من يحوّل وجهه في الصلاة، أن يحوّل الله وجهه وجه حمار».

قال بعض المحقّقين: المراد أنّه أما يخاف من يلتفت عن الله وعظمته في حال الصلاة، أن يديم الله غفلته، فيكون وجه قلبه كوجه قلب حمار.

= فبالجملة هول المطلع أمر عظيم.
وروي أنّ الحسن عليه السلام كان يبكي عند ذكر هول المطّلع. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ١٧٠-١٧١]. روي عنه عليه السلام أيضاً أنّه بكى عند وفاته، وسأل عن بكائه قال: أبكي من هول المطّلع [أسرار الصلاة للتبريزي ص ١٧٠ ـ ١٧١].

* * *

في السر الاجمالي للقيام

قال الإمام الخميني: إعلم أن أهل المعرفة يرون القيام إشارة إلى التوحيد الأفعالي، كما أن الركوع عندهم إشارة إلى التوحيد الصفاتي والسجود إلى التوحيد الذاتي، ويأتي بيانهما في محلّهما، وأما بيان أن القيام إشارة إلى التوحيد الفعلي هو أن نفس القيام إشارة إلى هذا المقام وضعاً وفي القراءة إشارة إليه لفظاً.

إما أن القيام فيه إشارة إليه وضعاً، هو أن القيام إشارة إلى قيام العبد بالحق ومقام قيّوميّة الحق وهو التجلّي بالفيض المقدّس والتجلي الفعلي، وتظهر في هذا المقام فاعلية الحق وتستهلك جميع الموجودات في التجلي الفعلي وتضمحل تحت كبريائه الظهوري، والأدب العرفاني للسالك في هذا المقام أن يتذكر بهذه اللطيفة الإلهية ويترك التعينات النفسية ما إستطاع ويذكر للقلب حقيقة الفيض المقدس ويوصل إلى باطن القلب نسبة قيّوميّة الحق وتقوّم الخلق بالحق، فإذا تمكنت هذه الحقيقة في طلب السالك تقع قراءته بلسان الحق ويكون الذاكر والمذكور هو الحق وينكشف له معنى «أنت كما أثنيت على نفسك وأعوذ بك منك» ببعض مراتبه ويجد قلب العارف بعض أسرار الصلاة، كما أن في النظر إلى محل السجود وهو التراب والنشأة الأصلية وخضوع الرقبة ونكس الرأس الذي هو لازم للخضوع إشارة إلى الذلّ والفقر الإمكاني والفناء تحت عزّ الكبرياء وسلطانه: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وهو الغني الحميد. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٧٥-٢٧٦].

في آداب القيام

على السالك ان يرى نفسه في محضر الحق

قال الامام الخميني: وهي أن يرى السالك نفسه حاضراً في محضر الحق ويعلم أن العالم محضر الربوبية ويحتسب نفسه من حضّار المجلس والمقيم بين يدي الله ويوصل إلى قلبه=

= عظمة الحاضر والمحضر ويفهم القلب أهمية المناجاة مع الحق تعالى وخطره ويحضّر قلبه قبل الورود في الصلاة بالتفكر والتدبّر ويفهمه عظمة المطلب ويلزمه بالخضوع والخشوع والطمأنينة والخشية والخوف والرجاء والذل والمسكنة إلى آخر الصلاة ويشارط القلب أن يراقب هذه الأمور ويحافظ عليها ويتفكر ويتدبر في أحوال أعاظم الدين وهداة السبيل أنهم كيف كانت حالاتهم في الصلاة وكيف كانوا يتعاملون مع مالك الملوك ويتخذ من أحوال أئمة الهدى أسوة لنفسه ويتأسى بهؤلاء الأعاظم ولا يكتفي من تاريخ حياة أعاظم الدين وأئمة بسنة وفاتهم ويومها وسنة تولدهم ويومه ومقدار أعمارهم الشريفة وأمثال تلك من الأمور التي لا تترتب عليها فائدة جليلة بل يكون عمدة سيره في سيرهم الإيماني والعرفاني وسلوكهم، كذلك أنه كيف كانت معاملتهم في العبودية وكيف كان مشيهم في السير إلى الله وأي مقدار كانت مقاماتهم العرفانية التي تستفاد من كلماتهم الإعجازية فيا أسفاً، إنّنا نحن أهل الغفلة وسكر الطبيعة والمغرورون بالآمال خلفاء الشيطان الخبيث في جميع الأمور ولا نستيقظ أبداً من النوم الثقيل ولا نخرج عن النسيان الكثير وإن إستفادتنا من مقامات أئمة الهدى ومعارفهم قليلة، بل ولا شيء يذكر أصلاً وإكتفينا من تاريخ حياتهم بالقشر والصورة وصرفنا النظر بالكلية عما هو غاية لبعثه الأنبياء عليهم السلام. وفي الحقيقة ينطبق علينا المثل المعروف (استسمن ذو ورم). ونحن نذكر في هذا المقام بعض الروايات الواردة في هذا الباب فلعله يحصل التذكر لبعض الإخوان المؤمنين والحمد لله وله الشكر.

وعن محمد بن يعقوب، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً».

وبإسناده عنه عليه السلام قال: «كان أبي يقول: كان علي بن الحسين إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حرّكت الريح منه».

وعن محمد بن علي بن الحسين في العلل، بإسناده عن أبان بن تغلب قال: «قلت لأبي عبد السلام عليه السلام أني رأيت علياً بن الحسين إذا قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر، فقال لي: والله إن علياً بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه».

وعن السيد علي بن طاووس في فلاح السائل في حديث فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تتم الصلاة إلا لذي طهر سابغ وتمام بالغ غير نازغ زلا زائغ عرف فوقف وأخبت فثبت فهو=

= واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنه الوعد له صنع والوعيد به وقع يذل عرضه ويمثل عرضه وبذل في الله المهجة وتنكب إليه المهجة غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الإهتمام بعين من له قصد وإليه رفد ومنه إسترفد فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي بها أمر وعنها أخبر وإنها هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر». الحديث.

وعن محمد بن يعقوب، بإسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وأمّا حقوق الصلاة: فإن تعلم أنه وفادة إلى الله وأنك فيها قائم بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام العبد الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكين المتضرع المعظم مقام من يقوم بين يديه بالسكينة والوقار وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبته التي أحاطت بها خطيئته وإستهلكتها ذنوبه، ولا قوة إلا بالله».

عن النبي صلى الله عليه وآله: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وعن فقه الرضا عليه السلام: «فإذا أردت أن تقوم إلى الصلاة فلا تقم إليها متكاسلاً ولا متناعساً ولا مستعجلاً ولا متلاهياً ولكن تأتيها على السكون والوقار والتؤدة وعليك الخشوع والخضوع، متواضعاً لله عزّ وجلّ متخاشعاً عليك الخشية وسيماء الخوف راجياً خائفاً بالطمأنينة على الوجل والحذر فقف بين يديه كالعبد الآبق المذنب بين يدي مولاه فصف قدميك وانصب نفسك ولا تلتفت يميناً وشمالاً وتحسب كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث.

وفي عدة الداعي روى «أن إبراهيم عليه السلام كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل حتى مدحه الله بقوله: إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل، وكذلك يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خفية الله» إلى غير ذلك من الأخبار.

والأخبار الشريفة في هذه الموضوعات أكثر من أن تسعها هذه الرسالة، وفي التفكير فيما ذكر منها كفاية لأهل التذكر والتفكر بالنسبة إلى الآداب الصورية وبالنسبة إلى الآداب القلبية وكيفية القيام بين يدي الله.

وتفكر في حالات علي بن الحسين ومنجاته مع الحق تعالى وأدعيته اللطيفة التي تعلّم آداب العبودية لعباد الله تعالى، لا أقول أن مناجاتهم عليهم السلام كانت لتعليم العباد فإن هذا=

= الكلام بلا مغزى وباطل صادر من الجهل لمقام الربوبية، ومعارف أهل البيت فإن خوفهم وخشيتهم كانت أكثر من جميع الناس وقد تجلت عظمة الحق وجلاله في قلوبهم أكثر من الكل ولكني أقول: لا بد أن يتعلم عباد الله منهم كيفية العبودية والسلوك إلى الله تعالى، فإذا قرأوا أدعيتهم ومناجاتهم فلا تكون القراءة لقلقة اللسان بل يتفكرون في كيفية تعاملهم مع الحق وإظهارهم التذلل والعجز والحاجة للذات المقدسة ولعمر الحبيب أن علي بن الحسين من أعظم النعم منّ بها ذات الحق المقدسة على عباده وأنزله من عالم القرب والقدس لأجل تفهيم عباده طرق العبودية ولتسألنّ يومئذٍ عن النعيم.. وإذا سئلنا لماذا ما قدّرنا هذه النعمة وما إستفدنا من هذا الرجل العظيم؟ فلا نحير جواباً غير أن ننكس برؤوسنا ونحترق بنار الندامة والأسف ولا ينفع حينذاك الندم.

فيا أيها العزيز، فالآن لك الفرصة والعمر العزيز الذي هو رأس مالك موجود وطريق السلوك إلى الله مفتوح وأبواب رحمة الحق مفتوحة والسلامة وقوة الأعضاء والقوى مستقرة ودار زرع الملك قائمة، فاصرف همّتك واعرف قدر هذه النعم الإلهية وإستفد منها وتحصّل الكمالات الروحانية والسعادات الأزلية والأبدية وخذ نصيباً من هذه المعارف الكثيرة التي بسطها القرآن الشريف السماوي وأهل بيت العصمة عليهم السلام على بسيط أرض الطبيعة المظلمة ونوّروا العالم بالأنوار الساطعة الإلهية فنوّر أرض طبيعتك المظلمة بالنور الإلهي ونوّر بنور الحق تعالى بصرك وسمعك ولسانك وسائر القوى الظاهرة والباطنة وبدّل هذه الأرض الظلمانية إلى أرض نورانية بل إلى سماء عقلانية ففي يوم تبدّل الأرض غير الأرض وإن لم تتبدل أرضك غير الأرض ولم تتنور بنور الرب فلك ظلمات ومشقات وأنواع الوحشة والظلمة والذلة والعذاب، فالآن القوى الظاهرة والباطنة لنا مظلمة بالظلمات الشيطانية وأنا أخشى من أنه إن بقينا على هذه الحال فالبتدريج تتبدل الأرض الهيولانية التي فيها نور الفطرة أرضاً سجّينيّة مظلمة خالية من نور الفطرة ومحجوبة عن جميع أحكام فطرة الله وتلك شقاوة ليس بعدها سعادة وظلمة لا يعقبها نور ووحشة لا ترى وجه الإطمئنان وعذاب ليس وراءه راحة فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.. أعوذ بالله من غرورات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء فإن عمدة المقصد والمقصود للأنبياء العظام وتشريع الشرائع وتأسيس الأحكام ونزول الكتب السماوية وخصوصاً القرآن الشريف الجامع الذي صاحبه ومكاشفة نور الرسول الخاتم المطهّر صلى الله عليه وآله هي نشر التوحيد=

= والمعارف الإلهية وقطع جذور الكفر والشرك والحول وعبادة الّهين إثنين وسر التوحيد سار وجار في جميع العبادات القلبية والقالبية بل كان يقول الشيخ العارف الكامل شاه آبادي روحي فده: إن العبادات إجراء التوحيد من باطن القلب إلى ملك البدن.

وبالجملة: النتيجة المطلوبة من العبادات هي تحصيل المعارف وتمكين التوحيد وسائر المعارف في القلب، وهذا المقصد لا يحصل إلا بأن يستوفي السالك الحظوظ القلبية للعبادات ويعبر من الصورة والقالب إلى الحقيقة واللبّ ولا يتوقف في الدنيا والقشر فإن الوقوف في هذه الأمور أشواك في طريق سلوك الإنسانية، والذين يدعون إلى الصورة فقط وينهون الناس عن الآداب الباطنية ويقولون أنّه لا معنى للشريعة ولا حقيقة لها سوى هذه الصورة والقشرة فهم شياطين الطريق إلى الله وأشواك سبيل الإنسانية ولا بد أن يستعاذ من شرّهم إلى الله فإنهم يطفئون للإنسان نور فطرة الله الذي هو نور المعرفة والتوحيد والولاية وسائر المعارف ويسدلون عليه حجب التقليد والجهالة والعادات والأوهام ويمنعون عباد الله عن العكوف بجنابه والوصول إلى جماله الجميل ويصدّون عن طريق المعارف ويوجهون إلى الدنيا وزخارفها والجهات المادية والجسمانية وعوارضها القلوب الصافية الطاهرة لعباد الله التي زرع في خميرتها الحق تعالى بذر المعرفة بيدي جماله وجلاله وأرسل الأنبياء العظام وأنزل الكتب السماوية لتربية ذاك البذر وتنميته، ويصرفون تلك القلوب عن الروحانية والسعادات العقلية ويحصرون العوالم الغيبية والجنات الموعودة في المأكولات والمشروبات والمنكوحات وسائر المشتهيات الحيوانية، هؤلاء يظنون أن الحق تعالى إذ بسط بساط الرحمة الواسعة وأنزل الكتب بتلك التشريفات الكثيرة وأهبط الملائكة المعظّمة وبعث الأنبياء العظام لإدارة البطن والفرج.

وغاية معارفهم أنك إذا حفظت بطنك وفرجك في الدنيا تصل إلى شهواتك في الآخرة، فهؤلاء لا يهتمون بالتوحيد والنبوّات بمقدار ما يهمّهم الجماع الذي يكون مدّته خمسمئة سنة!! ويحسبون جميع المعارف مقدمة لتأمين البطن والفرج، وإذا أراد حكيم إلهي أو عارف ربّاني أن يفتح إلى عباد الله باباً من الرحمة ويقرأ لهم درساً من الحكمة الإلهية لا يمتنعون عن أيّة تهمة وغيبة وأيّ سبّ وتكفير، بالنسبة إلى هؤلاء وقد إنغمروا في الدنيا إلى حدّ ويهتمون بشهوات بطونهم وفروجهم إلى غاية لا يحبّون من حيث لا يشعرون أن تكون في دار التحقق سعادة سوى الشهوات الحيوانية مع أنه لو كانت في العالم سعادات=

اسرار الركوع والسجود

في الركوع أدب وفي السجود قربٌ

«وأمّا الركوع والسجود: فينبغي أن تجدّد عندهما ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه، ومتّبعاً سنّة نبيّه ﷺ، ثمّ تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر

= عقلية فلا تضر بطنهم وفرجهم فأمثالنا ممّن لم يتجاوزوا حد الحيوانية ولا يتيسّر لنا غير الجنّة الجسمانية وإدارة البطن والفرج، وهي أيضاً نأملها بتفضّل الله سبحانه ولكن لا نظنّ أن السعادة منحصرة فيها.

وجنة الحق تعالى محصورة بهذه الجنة الحيوانية، بل للحق تعالى عوالم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، وإن أهل المحبة الإلهية ومعرفة الله سبحانه لا يعتنون بشيء من تلك الجنّات ولا يتوجّهون إلى عالم الغيب والشهادة وأنّ لهم جنة اللقاء، وإن أردنا إن نذكر الآيات القرآنية والأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة في هذا الباب لكان مخالفاً لوضع هذه الرسالة.

وهذا المقدار أيضاً كان من طغيان القلم والمقصود العمدة هو توجيه قلوب عباد الله لما خلقوا له وهو معرفة الله سبحانه التي هي فوق جميع السعادات وليس شيء مقدماً عليها وليس مقصودنا من الذين هم أشواك سلوك الطريق علماء الإسلام العظام وفقهاء المذهب الجعفري الكرام عليهم رضوان الله بل بعض الجهلة والمتحلين للعلم فإنهم من جهة القصور والجهل لا التقصير والعناد صاروا قطاع طريق عباد الله، وأعوذ بالله من شر طغيان القلم والنيّة الفاسدة والمقصود الباطل. والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٧٩-٢٨٥].

* * *

القيام إشارة إلى توحيد الأفعال

قال القاضي سعيد القمي في القيام: قيامك في الصّلاة إقامتك نفسك في حضرة مولاك غير مالك لها نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا موتاً في دنياك وأخراك، مرسلاً يديك للإشعار بذلك غير مكفّر لهما، فإنّ التكفير جبر وكفر، ولا متحرّكاً ولا مبايناً للبدن، فإنّه تفويض وشرك بل واضعاً إياهما على الرّكبتين ليظهر الأمر بين الأمرين؛ فالقيام إشارة إلى توحيد الأفعال، وقد سبق الكلام فيه في سابق المقال. [أسرار العبادات ص ٣١].

ذلك عزّ مولاك واتّضاعك وعلوّ ربّك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبّح ربّك وتشهد له بالعظمة وأنّه أعظم من كلّ عظيم، وتكرّر ذلك على قلبك لتؤكّده بالتكرار، ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنّه راحمٌ ذلّك وتؤكّد الرّجاء في نفسك بقولك: **«سمع الله لمن حمده»** أي أجاب الله لمن شكره، ثمّ تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: **«الحمد لله ربّ العالمين»**.

أقول: ثمّ تزيد في الخشوع والتذلّل فتقول: **«أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت»**.

وفي الفقيه[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن معنى مدّ العنق في الرُّكوع فقال: تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي».

وفي مصباح الشريعة[٢]، عن الصادق عليه السلام: «لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة إلاّ زيّنه الله تعالى بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه، والرُّكوع أوّل والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني، وفي الرُّكوع أدب وفي السجود قربٌ، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله عزّ وجلّ بقلبه مُتذلّل وجل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين، وحكي أنّ ربيع بن خثيم كان يسهر باللّيل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح يزفر وقال: آه سبق المخلصون وقُطع بنا. واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحطّ عن همّتك في القيام بخدمته إلاّ بعونه، وفرّ بالقلب من

---

(١) ص ٨٥ تحت رقم ٢٥.

(٢) الباب الخامس عشر.

وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أُصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم»[1].

الركوع الحقيقي

(١) **بيان إجمالي**: الركوع الحقيقي إشارة إلى الفناء عن الصفات وعن التشريك فيها مع الله تعالى بقرينة تفريع التزيين بنور البهاء والإظلال تحت ظلّ الكبرياء، إذ بعدما فنى العابد من الأسماء والصفات يبقى ببقاء الله المعبر عنه بظلّ الكبرياء، إذ الكبرياء إنّما هي بحسب الذات وقوله: **«الركوع أول والسجود ثان»**، يؤيّد ذلك إذ ما لم يصر فانياً عن الأوّل لم يتحقق بالثاني.

وأمّا قوله: فاركع - إلى آخر الباب، فإشارات إلى لطايف أحوال الركوع:
أنّ الركوع إنما هو خشوع لله وتذلّل وإقرار بأنه ما أدّى في قيامه بخدمته حقها فيلجأ إليه كأنّه يتحسّر على ما يفوته ويجتمع ما يعطيه الله من فوائد الراكعين بفضله.

والثانية: إستواء الظهر المستحب في الركوع، إشارة إلى أنه وإن قصر في القيام بالخدمة لكن أتى بالخضوع والذلّة من دون أعوجاج من إفتقار إلى أحد سوى الله.

والثالثة: إنّ الانحناء هو الإنحطاط من المرتبة التي حسبها لنفسه حالة القيام من المشاركين في الصفة، فأزاله بإظهار الخضوع والذّلة وإعتقاد أنّ القيام بالخدمة ليس إلاّ بعون الله إذ لا قوة إلاّ بالله.

والرابعة: إن هذا الإنحناء هو فرار بالقلب عن وساوس الشيطان حيث يخطر في القيام الإستقلال والمدخليّة في شيء، فأزالها بالركوع وإظهار الذلّة والخشوع.

و«الإطلاع» على صيغة الإفعال بمعنى الإشراف والإستيلاء. [أسرار العبادات ص ٥٩-٦٠].

الركوع هو الخضوع

قال القاضي سعيد القمي في رفع الرأس من الركوع: لمّا كان الركوع هو الخضوع لأجل ما رأى المصلي في قيامه أنه قام بنفسه فيركع بجميع أعضائه ويخفض بتمام جوارحه لإزالة ذلك، فجازاه الله بأن يظهر له أنّ الله هو الذي قوّاه وأقام نشأته فيرفع رأسه ويقول نيابة عن الله فإن الله يقول على لسان عبده: «سمعَ اللهُ لِمَنْ حمِدَهُ» في ركوعه حيث نسب الكلّ إليه وإعتقد أنه القيّوم والقائم على كلّ نفس بما كسبت.

وقال في صلاة المعراج: إن رسول الله ﷺ لمّا تطأطأ رأسه للركوع، رأى عرشه العظيم=

قال أبو حامد: «ثمّ تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة، فمكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب، وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنّه أجلب للخضوع وأدلّ على الذلّ، وإذا وضعت نفسك موضع الذلّ فاعلم أنّك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله، فإنّك من التراب خلقت وإليه رددت، فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل: «سبحان ربّي الأعلى» وأكّده بالتّكرار فإنّ المرّة الواحدة ضعيفة الآثار، فإذا رقّ قلبك وطهر لبّك فليصدق رجاؤك في رحمة ربّك، فإنّ رحمته تتسارع إلى الضعف والذّلّ لا إلى التكبّر والبطر فارفع رأسك مكبّراً وسائلاً حاجتك ومستغفراً من ذنوبك، ثمّ أكّد التواضع بالتكرار وعد إلى السجود ثانياً كذلك».

أقول: وفي الفقيه[١]، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل ما معنى السجدة الأُولى؟ قال: تأويلها: «**اللّهمّ إنّك منها خلقتنا**» يعني من الأرض، وتأويل رفع رأسك: «**ومنها أخرجتنا**» والسجدة الثانية: «**وإليها تعيدنا**»، ورفع رأسك: «**ومنها تخرجنا تارة أُخرى**».

وفي مصباح الشريعة[٢]، عن الصادق عليه السلام: «ما خسر والله من أتى

= فقال: «سُبحانَ ربِّيَ العظيمِ وبحمدِهِ» ولمّا رفع رأسه رأى نوراً أدهشه، فخرّ مغشيّاً عليه وسجد. ولعلّ هذا العرش هو عرش الوحدانية إذ الوحدانية هي مرتبة الأسماء ومجمع قاطبة الصفات والأنوار. ففي تلك الرؤية، رأى الوجود مظاهر تلك الأنوار بل لم يرَ إلاّ تلك الأنوار والأضواء. فقد عرفت أنّ الركوع مقام توحيد الصفات والأسماء. [أسرار العبادات ص ٦١].

(١) المصدر ص ٨٦ تحت رقم ٣٢.

(٢) الباب السادس عشر.

بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه غافل لاه عمّا أعدّ الله للساجدين من أُنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع لله، ذليل علم أنّه خُلق من تراب تطأه الخلق، وأنّه ركّب من نطفة يستقذرها كلُّ أحد [وكوّن ولم يكن] وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرُّب إليه بالقلب والسرّ والرُّوح، فمن قرب منه بعُد من غيره، ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلاّ بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون كذلك [أراد الله] أمر الباطن فمن كان قلبه متعلّقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيدٌ عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: لا أطلع على قلب عبد فأعلم فيه حبَّ الإخلاص لطاعة وجهي، وابتغاء مرضاتي إلاّ تولّيت تقويمه وسياسته [وتقرّبت منه] ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»[2][3].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية، ٤.

(٢) قال الإمام الخميني: وفي هذا الحديث الشريف إشارات وبشارات ورداً ووظائف، كما أن التزين بنور بهاء الله بشارات للوصول إلى مقام التعلم الإسمائي: وعلّم آدم الأسماء كلها.. والتحقق بمقام الفناء الصفاتي وحصول حالة الصحو من ذلك المقام لأن تزين الحق تعالى العبد بمقام نور البهاء هو تحقيق الله العبد بمقام الأسماء الذي هو حقيقة تعليم الأسماء وإظلاله في ظلّ الكبرياء وهو من الأسماء القهرية وتمكين الله العبد في فنائها إفناء العبد عن نفسه وبعد هذا المقام إكساؤه بكسوة الأصفياء إبقاؤه بعد الإفناء. ومن هنا يعلم أن السجود فناء ذاتي كما قال أهل المعرفة لأن الركوع أول وهو هذه=

= المقامات، والسجود ثان فليس هو إلا مقام الفناء في الذات، ويعلم أيضاً أن القرب المطلق الذي يحصل في السجود لا يتيسرّ إلا بحصول الركوع على الحقيقة، ومن أراد أن يصلح للثاني لا بد أن يحصل القرب الركوعي وأدب الركوع، ثم إنه عليه السلام بعد بيان لطائف الركوع والسجود وسرائرهما أشار إلى آدابه القلبية للمتوسطين وهي أمور بعضها من الأمور العامة ذكرناها في المقدمات وبعضها خاص بالركوع. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٢٧-٥٢٨].

في رفع الرأس من الركوع

وسرّه الرجوع عن الوقوف في الكثرات الأسمائية، كما قال عليه السلام: وكمال التوحيد نفي الصفات عنه لأن العابد السالك بعدما حصلت له حالة الصحو من الفناء الأسمائي يشاهد قصوره وتقصيره وذلك لأن مبدأ الخطيئة الأدمية التي على الذريّة أن تجبرها هو التوجه إلى الكثرات الأسمائية التي هي باطن الشجرة فإذا عرف العبد لنفسه وهي ذرية آدم خطيئتها ولآدم وهو الأصل خطيئته فيطلع على مقام تذلّله ونقصانه ويتهيأ لرفع خطيئته بخفض الجناح في حضرة الكبرياء ويقيم صلبه عن هذا المقام ويرفع الكثرات الأسمائية بعد رفع الرأس بالتكبير ويتوجّه إلى منزل الذلّة والمسكنة وأصل الترابية صفر اليد. وآدابه المهمّة هي عرفان عظم خطر المقام وإذاقته القلب بالتذكر التام والمجاهدة في التوجّه إلى حضرة الذات وترك التوجّه إلى النفس حتى إلى مقام ذلّة نفسه.

وإعلم أيها العزيز أن التذكر التام لحضرة الحق والتوجّه المطلق بباطن القلب إلى تلك الذات المقدسة موجب لأنفتاح العين الباطنية للقلب ويحصل به لقاء الله وهو قرّة عين الأولياء ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٢٩].

في آداب الانحناء الركوعي

(٣) قال الإمام الخميني: إعلم أن عمدة أحوال الصلاة ثلاثة، وسائر الأعمال والأفعال مقدّماتها ومهيئات لها.

الأول: القيام.

الثاني: الركوع.

والثالث: السجود.

وأهل المعرفة يرون هذه الثلاثة إشارة إلى التوحيدات الثلاثة، ونحن ذكرنا تلك المقامات=

= في كتاب (سر الصلاة) على حسب الذوق العرفاني والآن نبين هذه المنازل بلسان آخر يناسب العامة فنقول:
بما أن الصلاة معراج كمالي للمؤمن مقرّب لأهل التقوى فهي متقوّمة بأمرين أحدهما مقدمة للآخر:
الأول: ترك رؤية النفس الذي هو باطن التقوى.
الثاني: حبّ الله وطلب الحق وهو حقيقة المعراج والقرب، ولهذا ورد في الروايات الشريفة: الصلاة قربان كل تقي كما أن القرآن أيضاً نور الهداية ولكن للمتقين: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴿٢﴾﴾.
وبالجملة: هذان المقامان، يحصلان في هذه المقامات الثلاثة بالتدريج.
ففي حال القيام: ترك لرؤية النفس على حسب مقام الفاعلية ورؤية فاعلية الحق وقيومية الحق المطلق.
وفي الركوع: ترك لرؤية النفس على حسب مقام الصفات والأسماء ورؤية لمقام أسماء الحق وصفاته.
وفي السجود: ترك لرؤية النفس مطلقاً وحب الله وطلب لله مطلقاً وجميع منازل السالكين من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضح لأصحاب البصيرة ولأهل العرفان والسلوك، فإذا توجّه السالك في هذه المقامات بأن سرّ هذه الأعمال والتوحيدات الثلاثة لكل مقام هو أدقّ وألطف، فمن الضروري للسالك أن يراقبه مراقبة أكثر لأن خطر المقام أشدّ والزلل فيه أكثر، ففي مقام الركوع حيث أن للسالك دعوى أنه ليس في دار الوجود علم ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة سوى من الحق تعالى، وهذه الدعوى دعوى عظيمة والمقام دقيق للغاية ولا ينبغي هذه الدعاوى لأمثالنا فلا بد أن نتوجه بباطن ذاتنا إلى جناب الحق المقدّس بالتضرّع والمسكنة والذلّة ونعتذر عن القصور والتقصير وجد نقصاناً بعين العيان وشهود الوجدان، فلعله يصدر عن المقام المقدس توجّه وعناية ويصير حال الإضطرار سبباً للمساعدة من الذات المقدسة: أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. [الآداب المعنوية للصلاة ٥٢٣-٥٢٤].

* * *

فلذلك أمر بالركوع

قال القاضي سعيد القمي في الركوع: لمّا كان المصلّي في وقوفه بين يدي ربّه له نسبة إلى=

أسرار التشهد

التشهد ثناء على الله

قال بعض علمائنا[١]: إذا جلست للتّشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة والأهوال العظيمة، فاستشعر الخوف التامّ والرهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع

= القيوميّة وذلك مما يوهم التشبيه وإن كان في الإسم عند أهل الحق المعرفة، فبالحريّ أن ينتقل من هذه الحالة إلى حالة مختصّة بالعبد من الخضوع، فلذلك أمر بالركوع لأنّه لما نظر - في قيامه وفي ما قرأ فيه - إلى عظمة الله وتنزُّهه عن الإفتقار إلى الغير في فعل أو صفة فيسبّحه بإسم «الرب» - الذي هو من الأمهات ومن الأسماء الكثيرة الدور في الآيات، مضافاً إلى المربوب، إذ العلماء يتفاضلون في مراتب المعرفة: فمنهم من يسبّحه عما يعتقد فيه الآخر (ومنهم من يسبّحه من وجوه آخر) - متعقباً بالإسم «العظيم» لكون الركوع متسبباً من رؤية عظمته تعالى وعدم شركة غيره معه في شيء من الأشياء. فإذا فرغ من التسبيح عقّبه بالتحميد مشيراً إلى أنّ التسبيح متلبّس بالتحميد، لا يخلو منه، لضرورة إضافة التسبيح إلى إسم من الأسماء وذكر الإسم تحميد بل التسبيح نفسه تحميد كما لا يخفى وفي الخبر: لمّا نزل قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ قال رسول الله ﷺ: «إجعلوها في ركوعكم» هذا ما قالوا في الركوع مع زيادات منّا لطيفة.

الركوع على ما أرى إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات وقد عرفت أنّ القيام مقام توحيد الأفعال، وذلك لأنّ المصلّي لما تحقّق بالتوحيد الفعلي ولا ريب أن هذه الأفعال إنّما هي آثار الأسماء فيرى أنّ الأسماء مع كثرتها إنّما جمعت تحت إسم واحد جامع لحقائقها فيدخل تحت سلطان ذلك الإسم ويفنى عن إستقلاله بالفعل بل على الفعل رأساً، ويكتفي بكونه في الحقيقة من الحقايق المندرجة تحت ذلك الإسم الأسنى فيخضع له بالإنحناء مشيراً إلى نفي الفعل عن نفسه وإكتفائه من آثاره ببقاء إسمه في الأسماء، فإذا رأى سلطان الإسم وعظمته فيذكر بعد الإسم «الربّ» ما إختار الله لنفسه أولاً من الأسماء وهو «العظيم» إذ العظمة بالنسبة إلى الأسماء وبإعتبار الصفات الحسنى كما أنّ الأعلى بإعتبار الذات من دون إعتبار النعوت والصفات.

(١) يعني به الشهيد - رحمه الله - في اسرار الصلاة.

على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين، فاجعل يدك صفراً من فوائدها، إلاّ أن يتداركك الله برحمته ويقبّل عملك الناقص بفضله وارجع إلى مبدء الأمر وأصل الدّين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله تعالى الّذي من دخله كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره واشهد له بالوحدانيّة وأحضر رسوله الكريم ونبيّه العظيم ﷺ ببالك واشهد له بالعبوديّة والرسالة وصلّ عليه وعلى آله، مجدّداً عهد الله بإعادة كلمتي الشهادة متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب العبادة فإنّهما أوّل الوسائل وأساس الفواضل وجماع أمر الفضائل، مترقّباً لإجابته ﷺ لك بصلاتك عشراً من صلاته إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه الّتي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً.

وقال الصادق عليه السلام: «التشهّد ثناء على الله فكن عبداً له في السرّ، خاضعاً له في الفعل كما أنّك له عبدٌ بالقول والدعوى، وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك، فإنّه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقّق عبوديتك له بربوبيّته لك وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة إلاّ بقدرته ومشيّته وهم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلاّ باذنه وإرادته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1]، فكن لله عبداً ذاكراً بالقول والدعوى، وصل صدق لسانك بصفاء سرّك، فإنّه خلقك فعزّ وجلّ أن تكون إرادة ومشيّة لأحد إلاّ بسابق إرادته ومشيّته فاستعمل العبوديّة في الرّضاء بحكمته وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة على نبيّه محمّد ﷺ فأوصل صلاته بصلاتك، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته،

---

(١) سورة القصص: الآية، ٦٨.

وانظر ألاّ تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ»(١)(٢).

---

(١) مصباح الشريعة الباب السابع عشر.

(٢) قوله عليه السلام: «وإن تحقق عبوديتك» إلى قوله: «أداء أوامره»، إشارة إلى حقيقة التشهد كما قلنا، وإلى سرّ ما يذكر فيه من الشهادة بالألوهية. وقوله: «قد أمرك»، إشارةٌ إلى سرّ ذكر الشهادة بالرسالة والصلاة على الرسول. وقوله: «وأمره»، عطفٌ على «أمرك» أي أمر الرسول لمجازاتك بالشفاعة. وقوله: «تعلم»، إمّا عطفٌ على قوله «أتيت» لكون الماضي في الشرط بمعنى المضراع أو عطفٌ على علّة مقدرة للصلاة على النبي؛ والله أعلم. [أسرار العبادات ص ٦٥].

قال التبريزي في أسرار الصلاة: ولا تغفل عمّا في هذه الكلمات الشريفة من الإشارات، لا سيّما قوله: «وتحقق عبوديتك له بربوبيّته»، فإن تحققّ العبوديّة بالربوبية، إنّما يتمّ بالتّفويض الكامل، والتّسلم المطلق من جميع الجهات، ولا يتحققّ ذلك إلاّ بأن يعلم العبد أن لا نفس، ولا لحظة إلاّ بقدرته، ومشيّته وإذا علم ذلك، واعتقد به إعتقاداً مباشراً لقلبه، وعلماً صادقاً مؤثراً في أفعاله وأعماله، لا يرى في الوجود مؤثراً إلاّ الله، ولا في الكون فاعلاً غيره، وحينئذٍ ينقطع إلى ربّه، وينقطع طمعه عن النّاس، وعن حوله وقوّته، فيتمّ له التوحيد العلمي، فيكون في شهادته بالتّوحيد صادقاً، وأما من لا يرى الخير إلاّ في المال مثلاً ولا يرى معطياً، ولا مانعاً إلاّ النّاس، فهو مضادٌ لتوحيد الله، ومنافق في شهادته بأن لا إله إلاّ الله، والله يشهد أنّ المنافقين لكاذبون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، مصيبة عظم رزئها، وجلّ عقابها. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ٢٧٢].

قال الإمام الخميني: وفي هذا الحديث الشريف إشارات إلى الأدب القلبية للعبادات وحقائقها وأسرارها فيقول: التشهّد ثناء على الحق جل وعلا بل قد أشرنا سابقاً أيضاً أن مطلق العبادات ثناء على الحق إما بإسم أو بأسماء أو بتجل من التجليات وإما بأصل الهوية، ويشير عليه السلام إلى عمدة الآداب وهي أنه كما أنك تعبد الله في الظاهر وتدّعي العبودية فاعبده في السر أيضاً حتى تسري العبودية السريّة القلبية إلى الأعمال الجوارحية أيضاً ويكون العمل والقول خارطة الباطن والسر وتسري حقيقة العبودية إلى جميع أجزاء الوجود أعم من الأجزاء الظاهرية والأجزاء الباطنية ونحظى كل من الأعضاء بحظ من=

= التوحيد ويوصل اللسان الذاكر الذكر إلى القلب ويفيد القلب الموحّد المخلص التوحيد والإخلاص إلى اللسان ويطلب العبد الربوبية من حقيقة العبودية ويخرج عن عبادة النفس ويوصل ألوهية الحق إلى القلب وليعلم أن ناصية العباد بيد الحق ولا يقدرون على التنفس والنظر إلا بقدرة الحق تعالى ومشيته وإنهم عاجزون عن التصرف في مملكة الحق بجميع أنواع التصرفات وإن كان تصرفاً تافهاً إلا بإذن وإرادة من ذاته المقدسة كما قال تعالى: وربك يخلق ما يشاء ويختار كل ما أراد ليس لأحد إختيار في أمره إستقلالاً والله منزه عن الشريك في التصرف في مملكة الوجود فإذا أوصلت هذه اللطيفة إلى القلب يكون شكرك للحق على الحقيقة ويسري الشكر إلى أعضائك وأعمالك، فكما أن اللسان والقلب لا بد أن يكونا مترافقين في طريق العبودية ففي هذا التوحيد الفعلي أيضاً لا بدّ أن يكون صدق اللسان موصولاً بصفاء سرّ القلب لأن الحق جل وعلا هو الخالق ولا مؤثر غيره. وجميع الإرادات والمشيئات ظلّ إرادته ومشيته الأزلية السابقة.

ثم إن العبد بعد آداب الشهادة بوحدانية الحق وألوهيته يتوجّه إلى المقام المقدس للعبد المطلق والرسول الخاتم. وعلى المصلّي أن يتنبه من تقدّم مقام العبودية على الرسالة أن قدم العبودية مقدمة لجميع مقامات السالكين.. والرسالة شعبة من العبودية، وبما أن الرسول الخاتم عبد حقيقي فانٍ في الحق فإطاعته إطاعة الحق والشهادة بالرسالة موصولة بالشهادة بالوحدانية، والعبد السالك لا بد أن يراقب نفسه الا يقصّر في طاعة الرسول التي هي طاعة الله لئلا يحرم من مساعدة الوليّ المطلق في بركات العبادة وهي الوصول إلى جناب القدس ويعلم أنه لا يرخّص لأحد في الدخول إلى جناب القدس ومحل الأنس إلا بمساعدة وليّ النعم والرسول الأكرم.

* * *

حقيقة التشهد الاستحضار

القاضي سعيد القمي: حقيقة «التشهّد» هو الإستحضار فإنّه تفعُّل من الشهود وهو الحضور. والإنسان مأمور في صلاته بالحضور. والحاضر إنّما يخاطب بالعلم. فمن النّاس من يكون علمه بالله على ما ينتجه النظر الفكري، والعارف يترك ذلك وإن كان حاصلاً له ويرجع في ذلك إلى ما قالته الأنبياء وما نطق به القرآن، وإلى ما عقل عن الله وأخذ منه، فيشهد له تعالى بالألوهية، ولنبيّه بالرسالة، ولأوصيائه بالخلافة على النحو الذي أفاضه الله عليه. لمّا كان التشهُّد بعد كمال الركعتين وتمام السجدتين، وقد علمت=

= أن السجدة عبارةٌ عن مقام فناء الفناء ومحو المحو، وفي فضل الله تعالى حيث وعد أن يلبس الفاني بقاء من بقائه ويخلع عليه صحواً من خُلَع أصفيائه، فالتشهد هي حالة بقاء العبد ببقاء الله ورؤية أنّ الأمر بيد الله وأنّ الملك لله الواحد القهّار. [أسرار العبادات ص ٦٤].

* * *

في التشهُّد الخروج من الفناء إلى البقاء

قال الإمام الخميني: إعلم أن الشهادة بالوحدانية والرسالة في الأذان والإقامة وهما من متعلقات الصلاة ومهيّئات الورود فيها، وفي التشهد وهو الخروج من الفناء إلى البقاء ومن الوحدة إلى الكثرة. في آخر الصلاة تذكّر العبد السالك أن حقيقة الصلاة حصول التوحيد الحقيقي والشهادة بالوحدانية من مقاماتها الشاملة التي تكون مع السالك من أول الصلاة الى آخرها وفيها أيضاً سرّ أولية الحق جل وعلا وآخريته، وفيها أيضاً سرّ عظيم وهو أن سفر السالك من الله والى الله كما بدأكم تعودون. .

فللسالك أن يتوجّه في جميع المقامات الى هذا المقصد يوصل الى القلب حقيقة وحدانية الحق وألوهيته ويصنع القلب الهيا في هذاالسفر المعراجي لتكون شهادته حقيقية وتتنزّه عن النفاق والشرك، وفي الشهادة بالرسالة ايضاً لعلها إشارة إلى أن مساعدة الوليّ المطلق والنبي الخاتم في هذا المعراج السلوكي من المقامات الشاملة التي لابدّ للسالك أن يتوجه اليها في جميع المقامات ويتضح سرّ الاولية والآخرية الذي هو من مقامات الولاية لأهلها وليعلم أن ثمة فرقاً بين الشهادة في أول الصلاة والشهادة في التشهّد، لأن الشهادة في أولها شهادة قبل السلوك وهي شهادة تعبدية او تعقلية وهذه الي في آخرها شهادة بعد الرجوع وهي شهادة تحققية أو تمكّنيّة.

فللشهادة في التشهد خطر عظيم لأنها دعوى التحقيق والتمكن ودعوى الرجوع الى الكثرة بلا إحتجاب وحيث أن هذا المقام الشامخ غير حاصل لأمثالنا بل ليس من المتوقع أيضاً حصوله ونحن في هذه الحال، فالادب في حضرة الباري أن ننظر الى قصورنا وذلتنا ونقصنا وعجزنا ومسكنتنا ونتوجه الى جنابه المقدس بحالة الانفعال ونقول: إلهنا ليس لنا من مقامات الأولياء ومدارج الاصفياء وكمال المخلصين وسلوك السالكين حظ سوى ألفاظ معدودة، واقتنعنا عن جميع المقامات بقيل وقال ولا تحصل منه كيفية ولا حال، الهنا ان حب الدنيا وتعلقاتها حجبنا عن حضرة القدس ومحفل الأنس إلا أن تساعدنا نحن الساقطين بلطفك الخفيّ وتجبر ما سبق منا فلعلنا نستيقظ من نوم الغفلة ونجد طريقاً الى محضر القدس [الأداب المعنوية للصلاة ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤].

معنى السلام
أحضر نفسك عند فراغك من التشهد

قال بعض علمائنا: «وإذا فرغت من التشهّد فأحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقرّبين وقل: «السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته» إلى آخر التسليم المستحبّ، ثمّ أحضر في بالك النبيّ ﷺ وبقيّة أنبياء الله وأئمّته عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المقرّبين المحصين لأعمالك وقل: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاّعبين، وكيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب وإن كان بعيداً عن درجات القبول، منحطّاً عن أوج القرب والوصول، وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدوا هم الرّد عليك أيضاً ثمّ يقصدوا مقصدك بسلام ثان، فإذا فعلتم ذلك فقد أدّيتم وظيفة السلام واستحققتم من الله عز وجلّ مزيد الإكرام، وأصل السلام مشترك بين التحيّة الخاصّة وبين الاسم المقدّس من أسماء الله تعالى والمعني هنا على الأوّل ظاهر وعلى الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله تعالى للتفأل بالسلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده.

قال الصادق عليه السلام: «معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان» أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه ﷺ خاضعاً له خاشعاً منه فله الأمان من بلاء الدّنيا وبراءة من عذاب الآخرة. والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والانصافات، وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم، وصحّة معاشرتهم وإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدّي معناه فاتّق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك إلاّ تدنّسها بظلمة

المعاصي، ولتسلم منك حفظتك أن لا تبرمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثمّ صديقك ثمّ عدوّك فإنّ من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وأن أفشاه في الخلق»[(١)(٢)].

---

(١) مصباح الشريعة الباب الثامن عشر.

كيف يصح التسليم؟

(٢) **قال العارف القاضي سعيد القمي**: قيل: إنّ التسليم لا يصح من المصلّي إلا أن يكون حال الصلاة مناجياً ربّه غائباً عن كل ما سواه من الأكوان والحضار. فإذا أراد الخروج منها ومن أفعالها إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة سلّم عليهم سلام القادم لغيبته في صلاته عن الأكوان وعنهم لكونه عند ربّه؛ فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة ووساوس النفس ومناجاة الأبالسة، فكيف يسلّم عليهم فإنّه ما برح من عندهم! فهلاّ يستحيي هذا المصلّي حيث يُشعِر بسلامه أنّه كان في صلاته عند ربّه خارجاً عن مجلس الجماعة ولم يكن كذلك! وأمّا سلام العارف، فلإنتقاله من حالة إلى حالة، فله تسليمه على من ينتقل عنه، وتسليمه على من ينتقل إليه» أقول: فالتسليمات التي على النبي وعلى سائر الأنبياء وعلى عباد الله الصالحين إنّما هي للخروج من عندهم والتسليمة الأخيرة التي للحاضرين إنّما هي للدخول عليهم. [أسرار العبادات ص ٦٦].

* * *

قال التبريزي في أسرار الصلاة: تفطن يا عاقل من هذه الكلمات بحكم تسليمك على النّاس، وقلبك لا يحب له سلامة جميع النّعم، أو بعضها، هل هذا الانفاق؟ وهل للمسلم أن يتوقّع لمثل هذا السّلام، ما أعدّ الله للمسلم من الكرامات، فهكذا تقول في لسانك: السّلام عليك ورحمة الله وبركاته، وتؤذيه بعملك وفعلك فتفطّن من ذلك على موقع سلامك لنبيّك، وأئمّتك عليهم السلام في صلاتك، أو في زيارتك، فإنّ من ظلم النّاس وشيعتهم وذرّيّتهم، وأخذ منهم مالاً، وزارهم بذلك المال، لا سيّما إذا كان ملابساً بعين هذا المال، عند التسليم، أو بقوّته لأداء التّسليم، فما حكم سلامه، لا سيّما إذا كان مع مخالفته في الباطن، مخالفاً لرضاه في الزّي والهيئة أيضاً، بأن يكون لبس لباس أعدائه، وتشبّه بأعدائه في اللّباس والهيئة، وروّج بذلك أعداء الدّين، وخلاف أحكام الله، فهل=

= سلامه في هذا الحال سلام وتحية، أو هو مستهزىء بنفسه؟ بل يمكن أن يكون بعض هذه التسليمات، والزيارات بمثابة السهام على قلوبهم الزكيّة، والعياذ بالله، واللجاء إليه من أمثال هذه الفضائح في الزيارات، الّتي هي من أفضل القربات، قل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾.

هذا ولا تقنع في تشهّدك بقدر الواجب تبعاً للمتعارف، وإعمل فيه لا محالة بعض فقرات التشهّد الكبير، وكذا لا تدع في سلامك التسليم على الأئمة، بما ورد، وعلى الأنبياء والملائكة، فإن تبعية السّلف صار داء عضالاً لا ينجو منها إلاّ الأوحدي، وإتّسع مجراها حتّى في العبادات، والقربات، مثلاً أرى الشيعة مولعين لذكر الشهادة بالولاية في أذانهم، مع إعتقادهم أنّه لم يرد به رواية، وإن كان هذا الإعتقاد باطلاً ويتركون السّلام على الأئمة في صلاتهم، مع إعتقادهم بإستحبابه، وهل هذا إلاّ من جهة التعارف، وعدمه. [أسرار الصلاة للتبريزي].

* * *

تكبيرات الإختتام

قال العارف سعيد القمي في تكبيرات الإختتام: هي نتائج التوحيدات الثلاثة المشتملة عليها الصلاة وهي تذكار لتكبيرات الإفتتاح أعيدت لتذكر الحكم بفناء الكل:

فالأولى: الله أكبر من أن يكون معه شيء.

والثانية: الله أكبر من أن يوصف.

والثالثة: الله أكبر من أن يجري في ملكه إلاّ ما يشاء وبعبارة أخرى: ليس في العالم الأعلى ولا الأوسط ولا الأسفل إلاّ الله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ والحمد لله.

قد صدر عن بعض الأولياء في حالته التي له مع الله إشارات إجمالية إلى أسرار الصلاة.

فقال: صلاةُ العارفين طيران الأرواح في فضاء السرمديّة وصفاء الديمومية وحركاتهم رَوَغانُ الطلب في عالم الطرب: فإستقبالهم الكعبة إستقبالهم في الحال ونَفيُ الجهات ونياتهم تمكّن القلوب في مشاهدة الغيوب، وإستفتاحهم هو التقوى من كلّ شيء سوى الله، وقراءتهم ألحانُ الأرواح في قفص الأشباح، وركوعهم خفضُ أجنحة الهمة في بحار المنّة، وسجودهم زوائدُ الحبّ في مدارج القُرب، ورفعُ أيديهم الخلوّ في مربع السموّ وتشهُّدهم إستحضارُ الخيرات وإدراك المشاهدات في المكاشفات، وتكبيرهم تهذيب=

= الإدراك من الإمساك، وتسبيحهم إزدحام الذكر عن الفكر، وتسليمهم خروج عن ضيق الرسومات في الإنبساط. [أسرار العبادات ص ٦٧].

السلام عقيب الصلاة هو الأمان

يقول الإمام الصادق عليه السلام: معنى السلام عقيب الصلاة هو الأمان بمعنى أن من أدّى الأوامر الإلهية والسنن النبوية بالخشوع القلبي فيأمن من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي يأمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر بالخشوع القلبي موجب لقطع الشيطان: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.. ثم يشير عليه السلام إلى سرّ من أسرار السلام ويقول: السلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه وهذه إشارة إلى مظهرية الموجودات للأسماء الإلهية ولا بد للعبد السالك أن يظهر هذه اللطفية الإلهية التي أودعت واختفت في باطن ذاته وخميرته ويستعملها في جميع المعاملات والمعاشرات والأمانات والإرتباطات ويشير بها إلى مملكة باطنه وظاهره ويستعملها في المعاملات مع الحق ودين الحق تعالى لئلا يخون الوديعة الإلهية فتسري حقيقة السلام إلى جميع قواه الملكية والملكوتية وفي جميع عاداته وعقائده وأخلاقه وأعماله لتسليم نفسه من جميع التصرفات، وعرّف عليه السلام التقوى طريقاً لتحصيل هذه السلامة.

وليعلم أن للتقوى مراتب ومنازل:

فتقوى الظاهر: هي حفظ الظاهر عن القذارات وظلمة المعاصي القالبية وهذه هي تقوى العامة.

وتقوى الباطن: هي حفظه وتطهيره عن الإفراط والتفريط وعن التجاوز عن حد الإعتدال في الأخلاق والغرائز الروحية وهذه تقوى الخاصة.

وتقوى العقل: حفظه وتطهيره عن الصرف في العلوم الإلهية، والمراد من العلوم الإلهية ما يكون مرتبطاً بالشرائع والأديان الإلهية وهذه تقوى أخصّ الخواص، وتقوى القلب حفظه عن مشاهدة غير الحق ومذاكراته وهذه تقوى الأولياء..

والمقصود من الحديث الشريف الذي يقول الحق تعالى فيه أنا جليس من جالسني.. هذه هي الخلوة القلبية. وهذه الخلوة هي أفضل الخلوات، والخلوات الأخر مقدمة لحصول هذه الخلوة. فمن إتصف بجميع مراتب التقوى يسلم دينه وعقله وروحه وقلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنة وتسلم حفظته الموكلة به ولا تمل ولا تنضجر ولا تتوحش منه، ومن كان بهذه الصفة تكون معاملاته ومعاشرته مع صديقه وعدوه بطريق السلامة بل ينقطع جذر العداوة عن باطن قلبه وإن كان الناس يعادونه، ومن لم يكن سالماً في جميع المراتب فهو=

صلاة الخاشعين

قال أبو حامد: «ثمّ ادع في آخر صلاتك يعني بعد التشهد بالدّعاء المأثور مع التواضع والخشوع، والضراعة والابتهال، وصدق الرّجاء وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين، وانو ختم الصّلاة به، واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لا تمام هذه الطاعة، وتوهّم أنّك مودّع لصلاتك هذه وأنّك ربما لا تعيش لمثلها، قال ﷺ: «صلّ صلاة مودّع» ثمّ أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا يقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فتردُّ صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بفضله وكرمه،

= محروم من فيض السلام بمقدار عدم سلامته وقريب من أفق النفاق بمقدار ذلك نعوذ بالله منه والسلام [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٥٣-٥٥٥].

آداب السلام

قال الإمام الخميني: إعلم إن العبد السالك إذا رجع عن مقام السجود الذي سره الفناء وحصلت له حالة الصحو والشعور ورجع من حالة الغيبة عن الخلق إلى حال الحضور فيسلم على الموجودات سلام من رجع من السفر والغيبة ففي إبتداء الرجوع من السفر يسلم على النبي الأكرم لأنه بعد الرجوع من الوحدة إلى الكثرة، فالحقيقة الأولية هي تجلي حقيقة الولاية «نحن الأولون السابقون» ثم يتوجّه إلى أعيان سائر الموجودات على طريق التفصيل والجمع ومن لم يكن في صلاته غائباً عن الخلق ولم يسافر إلى الله فالسلام بالنسبة إليه بلا حقيقة وليس إلا لقلقة لسان فالأدب القلبي للسلام مرتبط بالأدب في جميع الصلاة وإذا لم يحصل له في هذه الصلاة التي هي حقيقة المعراج عروج ولم يخرج عن بيت النفس فلا سلام له، وأيضاً إذا كان له السلامة من تصرفات الشيطان وتصرفات النفس الأمّارة ولم يكن للقلب علة في طول هذا المعراج الحقيقي فسلامه حقيقي وإلا فلا سلام له. نعم السلام على النبي ﷺ بناء على ذلك سلام حقيقي لأنه ﷺ في هذا السفر المعراجي وفي هذا السير إلى الله صعوداً ونزولاً متصف بالسلامة وفي جميع السير عار وبريء من تصرفات غير الحق. [الآداب المعنوية للصلاة ٥٥١].

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الّذين هم على صلواتهم يحافظون، والّذين هم على صلاتهم دائمون، والّذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الّذي تيسّر له منها ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسّر، وفي مداومة ذلك ينبغي أن يجتهد.

وأمّا صلاة الغافلين فإنّها مخطرة إلاّ أن يتغمّده الله برحمته والرّحمة واسعة والكرم فائض، فنسأل الله تعالى أن يغمرنا برحمته ويتغمّدنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلاّ الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته.

واعلم أنّ تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله وأداءها بالشروط الباطنة الّتي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب، تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السماوات والأرض وأسرار الربوبيّة إنّما يكاشفون في الصّلاة لا سيّما في السجود إذ يتقرّب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[1] ويكون مكاشفة كلّ مصلّ على قدر صفائه عن كدورات الدّنيا ويختلف ذلك بالقوّة والضعف والقلّة والكثرة والجلاء والخفاء حتّى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله، كما كشف لبعضهم الدّنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها.

ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من أفعاله، ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة، وتكون

(١) سورة العلق: الآية، ١٩.

لتعّين تلك المعاني في كلّ وقت أسباب خفيّة لا تحصى وأشدُّها مناسبة الهمّة فإنّها إذا كانت مصروفة إلى شيء معيّن كان ذلك أولى بالانكشاف، ولّما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلاّ في المرائي الصّقيلة، وكانت المرائي كلّها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا ببخل من جهة المنعم بالهداية بل بخبث متراكم الصدء على مصبّ الهداية وتسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر، ولو كان للجنين عقل مثلاً لأنكر إمكان وجود إنسان في متّسع الهواء، ولو كان للطفل تمييزٌ ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السماوات والأرض وهكذا الإنسان في كلّ طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النّبوّة، وقد خُلق الخلق أطوار فلا ينبغي أن ينكر كلُّ واحد ما وراء درجته نعم لمّا طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عمّا سوى الله فقدره فأنكروه، ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقلّ من أن يؤمن بالغيب ويصدّق به إلى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر «إنّ العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلّون بصلاته ويؤمّنون على دعائه، وإنّ المصلّي لينثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد: لو علم المصلّي من يناجي ما التفت، وإنّ أبواب السماء تفتح للمصلّين وإنّ الله يباهي ملائكته بصدق المصلّي ففتح أبواب السّماء»[1] ومواجهة الله إيّاه بوجهه كناية عن الكشف الّذي ذكرناه.

ئ

وفي التوراة مكتوب: «يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديّ مصلّياً باكياً فأنا الله الّذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال: فكنّا نرى أن تلك الرقّة

(١) قال العراقي: لم أجده في أصل.

والبكاء والشرح والفتوح الّذي يجده المصلّي في قلبه من دنوّ الرّب تعالى من القلب وإذا لم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان فلا معنى له إلاّ الدنّو بالهداية والرّحمة وكشف الحجاب ويقال: إنّ العبد إذا صلّى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كلُّ صفّ منهم عشرة الآف وباهى الله به مائة ألف ملك. وذلك أنّ العبد قد جمع في الصلاة بين القيام، والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وهكذا الراكعون والقاعدون، فإنّ ما رزق الملائكة من القربة والرّتبة لازم لهم، مستمرٌ على حالة واحدة، لا يزيد ولا ينقص، ولذلك قالوا: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1] وفارق الإنسان الملائكة في الترقّي من درجة إلى درجة، فإنّه لا يزال يتقرّب إلى الله فيستفيد مزيداً وباب المزيد مسدودٌ عليهم وليس لكلّ واحد إلاّ رتبته الّتي وقف عليها وعبادته الّتي هو مشغول بها، لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2]، ومفتاح مزيد الدّرجات هي الصلوات قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع، ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال في آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3] فوصفهم بالفلاح أوّلاً وبوارثة الفردوس آخراً وما عندي أنّ هذرمة اللّسان[4] مع

(١) أشار إلى قوله تعالى في الصافات: ١٦٤.
(٢) اشارة إلى قوله تعالى في سورة الانبياء: ١٩و٢٠.
(٣) الآيات في سورة المؤمنون.
(٤) أن سرعة اللسان.

غفلة القلب ينتهي درجتها إلى هذا الحدّ ولذلك قال في أضدادهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝﴾[1] والمصلّون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتّعون بقربه ودنوّه من قلوبهم نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزيّنت أقواله وقبحت أفعاله إنّه الكريم المنّان القديم الإحسان».

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين

اعلم أنّ الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فإنّه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة، فإنّ موجب الخشوع معرفة اطّلاع الله على العبد، ومعرفة جلاله، ومعرفة تقصير العبد؛ فمن هذه المعارف يتولّد الخشوع وليست مختصّة بالصلاة، ولذلك روي عن بعضهم أنّه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله وخشوعاً له، وكان الربيع بن خثيم من شدّة غضّه للبصر وإطراقه يظنُّ بعض الناس أنّه أعمى وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول: وبشّر المخبتين، أما والله لو رآك محمدٌ لفرح بك. وفي آخر لأحبّك، ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدّادين فلمّا نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيّاً عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشيّاً عليه إلى الساعة الّتي صعق فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله الخوف، وكان الرّبيع يقول: ما دخلت في صلاة قطُّ فأهمّني فيها إلاّ ما أقول وما يقال لي.

(١) المدثر: ٤٢.

ويروى عن بعضهم أنّه كان يصلّي يوماً في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتّى انصرف من الصلاة وتأكّل[١] طرف من أطراف بعضهم واحتيج إلى القطع فلم يمكن منه، فقيل: إنّه في الصلاة لا يحسُّ بما يجرى عليه فقطع وهو في الصلاة».

أقول: ومثل هذا ينسب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه وقع في رجله نصل فلم يمكن من إخراجه فقالت فاطمة عليها السلام: أخرجوه في حال صلاته فإنّه لا يحسُّ بما يجري عليه حينئذ، فأُخرج وهو عليه السلام في صلاته.

قال: «وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة فإذا دخلت في الصلاة خرجت من الدُّنيا.

وكان أبو الدّرداء يقول: من فقه الرجل أن يبدء بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغٌ.

وكان بعضهم يخفّف الصلاة خيفة الوسواس فروي أنّ عمّار بن ياسر صلّى صلاة فأخفّها فقيل له: خفّفت يا أبا اليقظان فقال: هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: إنّي بادرت سهو الشيطان، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ العبد ليصلّي الصلاة فلا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول: إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها[٢]».

---

(١) في القاموس: أكل العضو ـ كفرح ـ وائتكل، وتأكل من باب التفعيل ـ. أكل بعضه بعضاً، والاسم كغراب وكتاب. والاكلة ـ كفرحة ـ: داء في العضو.

(٢) مر عن غوالي المثالي وأخرجه أبو داود ج١ ص ١٨٤ بأدنى اختلاف.

واعلم أنّ الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلّت عليه الأخبار وإن كان الفقيه يقول: إنّ الصلاة في الصحّة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلّت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل(١).

في الخبر قال عيسى عليه السلام: يقول الله تعالى: بالفرائض ينجو منّي عبدي وبالنوافل يتقرّب إليّ عبدي.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالى: لا ينجومنّي عبدي إلاّ بأداء ما افترضت عليه».

وقال بعضهم: إنّ العبد يسجد السجدة وعنده أنّه تقرّب بها إلى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته هلكوا. قيل: وكيف ذاك؟ قال: يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فتدلُّ هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أنّ الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وأنّ مجرّد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد.

في الامامة والقدوة

من وظائف الإمام

أقول: قد ذكر أبو حامد في هذا الباب وظائف كلّ من الإمام والمأموم زيادة على المنفرد على طريقته. ونحن نذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق:

(١) راجع مسند أحمد ج٤ ص ٦٥ و١٣٠، وسنن النسائي ج١ ص ٢٣٢.

من وظائف الإمام أن يكون مؤمناً ـ أي اثنى عشرياً ـ عدلاً ـ أي موثوقاً بدينه وأمانته ـ كم ورد في الأخبار ورخّص في الاكتفاء بكونه غير معلوم الفسق.

ففي الفقيه، قال الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا يصلّى خلفهم: المجهول، والغالي وإن كان يقول بقولك، والمجاهر بالفسق وإن كان مقتصداً»[١] فإنّ المراد بالمجهول المجهول المذهب والاعتقاد دون العدالة لأنّه جعله قسيم المجاهر بالفسق، وكذا المراد بالمقتصد المقتصد في الاعتقاد أي لا يكون غالياً ولا مفرطاً كما هو ظاهر.

وفي التهذيب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا كان الرّجل لا تعرفه يؤم الناس ويقرأ القرآن فلا تقرأ خلفه واعتدّ بصلاته»[٢].

وفي الفقيه، قال عليُّ بن محمّد، ومحمّد بن عليّ عليهما السلام: «من قال بالجسم فلا تعطوه شيئاً من الزكاة ولا تصلّوا خلفه»[٣].

وكتب أبو عبد الله البرقيُّ إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: يجوز جعلت فداك الصلاة خلف من وقف على أبيك وجدّك عليهما السلام؟ فأجاب لا تصلّ وراءه»[٤].

وسأل عمر بن يزيد أبا عبد الله عليه السلام عن إمام لا بأس به في جميع أُموره، عارف غير أنّه يُسمع أبويه الكلام الغليظ الّذي يغيظهما تقرء خلفه؟ قال: «لا تقرأ أخلفه ما لم يكن عاقّاً قاطعاً»[٥].

---

(١) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢١.
(٢) المصدر ج١ ص ٣٣١، وذلك لأن الاصل في المسلمين العدالة.
(٣) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٤.
(٤) المصدر ص ١٠٤ تحت رقم ٢٥.
(٥) المصدر ص ١٠٤ رقم ٢٦ إلى ٢٨.

وروى محمّد بن عليّ الحلبّي، عنه عليه السلام أنّه قال: «لا تصلّ خلف من يشهد عليك بالكفر، ولا خلف من شهدت عليه بالكفر»[١].

وروى سعد بن إسماعيل، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «سألته عن الرّجل يقارف الذّنب نصلّي خلفه أم لا؟ قال: لا»[٢].

ومنها: أن يكون طاهر المولد أي لا يعلم كونه ولد زناً وأن يكون ذكراً سالماً من الجذام والبرص والحدّ الشرعي والأعرابيّة واللّحن والقعود وإن كان لعذر إلاّ أن يؤمّ لمثله في الجميع، ولم يجوّز السيّد المرتضى إمامة الأنثى مطلقاً وجوّزها الآخرون لمثلها، ويكره إمامة المسافر للحاضر وبالعكس، والمقيّد للمطلقين، وصاحب الفالج للأصحّاء، والمتيمّم للمتوضّين، والأعمى للبصراء في الصحراء إلاّ أن يوجّه إلى القبلة، والعبد إلاّ لأهله.

ومنها: أن لا يتقدّم للإمامة على قوم يكرهونه، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين، فإن كان الأقلّون هم أهل الخير والدّين فالنظر إليهم أولى.

وفي الحديث: «ثلاثة لا يجاوز صلاتهم رؤوسهم: العبد الآبق، وامرأة زوجها ساخط عليها، وإمام قوم وهم له كارهون»[٣].

وينبغي أن يقدّموا صاحب المسجد الراتب فيه وساكن المنزل، ثمّ الأعلم بالسنّة والأفقه في الدّين، ثمّ الأقرء للقرآن، ثمّ الأقدم هجرة، ثمّ الأكبر سنّاً.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٩٧١ ونحوه الشيخ في الامالي ص ١٢١ والترمذي ج٢ ص ١٥٤.

وفي بعض الأخبار تقديم الثلاثة الأخيرة مع ترتيبها المذكور على الأعلم[١] لكن ما ذكرناه هو الأصحّ.

وفي الفقيه: «قال رسول الله ﷺ: إمام القوم وافدهم، فقدّموا أفضلكم»[٢].

وقال ﷺ: «إن سرّكم أن تزكو صلاتكم فقدّموا خياركم»[٣].

وقال أبو ذرّ ـ رضي الله عنه ـ: إنّ إمامك شفيعك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيعك سفيهاً ولا فاسقاً»[٤].

وكما ينهى عن تقدُّمه مع كراهتهم فينهى عنه إن كان وراءه من هو أفقه منه وأقرء.

ففي الفقيه: «قال رسول الله ﷺ: من صلّى بقوم وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة»[٥].

نعم إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدُّم، فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدّم مهما قدّم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة، ولا ينبغي عند ذلك المدافعة إلاّ لمن لم يتعوّد ذلك فإنّه ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الإخلاص في الصلاة حياءً من المقتدين لا سيّما في جهره بالقراءة.

---

(١) راجع الكافي ج٣ ص ٣٧٦ والفقيه ص ١٠٣ رقم ١١. والتهذيب ج١ ص ١٢٢.
(٢) الفقيه ص ١٠٣ رقم ١٢ و١٤ و١٥.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

وإذا خيّر بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة لأنّها أفضل، ولا يكره الجمع بينهما عندنا لوقوعه عن النبيّ ﷺ كما رواه أصحابنا وأنّه ﷺ ربما كان يؤذّن ويقيم غيره وربما كان بالعكس.

ولا خطر في الإمامة كما زعمه أبو حامد لأنّ الإمام لا يضمن عندنا سوى القراءة كما رواه في الفقيه، عن الصادق عليه السلام[1]، فعليه يحمل قول النبيّ ﷺ: «الإمام ضامن والمؤذّن مؤتمن»[2] أو على أنّه يضمن ما يتركه المأموم سهواً من الأذكار غير تكبيرة الافتتاح كما رواه فيه[3] عن عمّار الساباطي: «أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن رجل سهى خلف إمام بعد ما افتتح الصلاة فلم يقل شيئاً ولم يكبّر ولم يسبّح ولم يتشهّد ولم يسلّم؟ فقال: قد جازت صلاته وليس عليه شيء إذا سهى خلف الإمام ولا سجدتا السهو لأنّ الإمام ضامن لصلاة من صلّى خلفه».

وروى محمّد بن سهل، عن الرّضا عليه السلام أنّه قال: «الإمام يحمل أوهام من خلفه إلاّ تكبيرة الافتتاح»[4].

قال الصدوق: «والّذي رواه أبو بصير، عن الصادق عليه السلام حين قال له: أيضمن الإمام الصلاة؟ فقال: لا، ليس بضامن» ليس بخلاف خبر عمّار وخبر الرضا عليه السلام، لأنّ الإمام ضامن لصلاة من صلّى خلفه متى سهى عن شيء منها غير تكبيرة الافتتاح وليس بضامن لما يتركه المأموم متعمّداً.

---

(١) المصدر ص ١٠٣ رقم ١٦.
(٢) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨١. وأبو داود ج١ ص ١٢٣.
(٣) أي في الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٩٩.
(٤) الفقيه ص ١١٠ تحت رقم ١٢٠.

قال: ووجه آخر وهو أنّه ليس على الإمام ضمان لإتمام الصلاة بالقوم لأنّه ربما حدث به حدث قبل أن يتمّها أو يذكر أنّه على غير طهر.

وتصديق ذلك ما رواه جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أحدهما عليه السلام قال: «سألته عن رجل صلّى بقوم ركعتين ثمّ أخبرهم أنّه ليس على وضوء؟ قال: يتمّ القوم صلاتهم فإنّه ليس على الإمام ضمان»[1].

قال أبو حامد: «قال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من أئمّة المصلّين لأنّ هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوّة، وهذا بالعلم، وهذا بعماد الدّين، وهو الصلاة».

ومنها: أن يؤمّ مخلصاً لوجه الله ومؤدّياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته ـ قال أبو حامد ـ.

قال: «فأما الإخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجراً، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان ابن أبي العاص الثقفيّ فقال: «واتخذ موذّناً لا يأخذ على الأذان أجراً»[2] والأذان طريق إلى الصلاة والإمامة عين الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجرّ فإن أخذ رزقاً من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد النّاس فلا يحكم بتحريمه ولكنّه مكروه والكراهية في الفرائض أشدُّ منها في النوافل، وتكون أُجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة.

وأمّا الأمانة فهي الطهارة باطناً عن الفسوق والكبائر والإصرار على

(١) راجع الفقيه ص ١١٠ رقم ١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود ج١ ص ٨١٢٦ والنسائي ج٢ ص ٢٣.

الصغائر فالمرشّح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده فإنّه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم.

وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنّه لا يطّلع عليه سواه، فإن تذكّر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريحٌ فلا ينبغي أن يستحي بل ليأخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه.

ومنها: أن يؤخّر المؤذّن الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر: «ليتمهّل المؤذّن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره»[١] وذلك لأنّه نهي عن مدافعة الأخبثين[٢] وأمر بتقديم العشاء على العشاء[٣] طلباً لفراغ القلب ـ كذا قال أبو حامد ـ.

قال: «ولا ينبغي أن يؤخّر الصلاة لانتظار كثرة الجمع، بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أوّل الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة، وقد قيل: كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجنازة لن ينتظروا الخامس».

ومنها: أن لا يتنفّل حال الإقامة ويقوم للصلاة عند قول المؤذّن: «**قد قامت الصلاة**» ولا يتكلّم بعده، قال الصادق عليه السلام: «إذا قال المؤذّن: «**قد قامت الصلاة**» ينبغي لمن في المسجد أن يقوموا على أرجلهم ويقدّموا بعضهم»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١ ص ٢٠٤.

(٢) راجع التهذيب ج١ ص ٢٩٩.

(٣) راجع سنن ابن ماجة تحت رقم ٩٣٣، ومسند أحمد ج٢ ص ٢٠.

(٤) رواه الشيخ ـ رحمه الله ـ في التهذيب ج١ ص ١٢٦ على ما رقم ولا يخفى ما في رقومه من السهو والخلط والاشتباه وص ٢٥٧ حسبما رقمناه صحيحاً.

وفي الصحيح، عنه عليه السلام قال: «إذا قال المؤذّن: «**قد قامت الصلاة**» فقد حرم الكلام على أهل المسجد إلاّ أن يكونوا قد اجتمعوا من شتّى وليس لهم إمام، فلا بأس أن يقول بعضهم لبعض: تقدّم يا فلان»[١].

ومنها: أن لا يقف المأموم قدّام الإمام بل يتأخّر عنه، أمّا التساوي في الموقف فجوّزه الأكثرون ومنعه آخرون وهو أحوط إلاّ إذا كانا اثنين فيقف المأموم عن يمين الإمام بلا خلاف، وينبغي للمرأة الواحدة مع التأخّر الوقوف إلى جهة يمين الإمام، والصبيُ يتقدّمها وإن كان عبداً، ولو كان الإمام امرأة وقلنا بجواز ذلك وقفت النساء إلى جانبيها وكذا العاري المصلّي بالعراة غير أنّه يبرز بركبتيه.

ويكره الوقوف في الصف وحده ففي الحديث: «لا تكوننّ في العثكل»[٢] فإن تعذّر الدُخول في الصف لضيق ونحوه جرّ إلى نفسه غيره فإن تعذّر قام بحذاء الإمام.

ومنها: أن يكون في الصفّ الأوّل أهل الفضل أي المزيّة الكاملة من علم أو عمل أو عقل، وفي الثاني من دونهم، وهكذا قال النبيُ صلى الله عليه وآله: «ليليَنّي أولو الأحلام، ثمّ الّذين يلونهم»[٣] ثمّ الصبيان، ثمّ النساء.

---

(١) رواه الشيخ في التهذيب ج١ ص ١٤٩.

(٢) في التهذيب ج١ ص ٣٣٣ حسب ما رقمناه باسناده عن ابي عبد الله عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تكونن في العثكل، قلت: وما العثكل؟ قال: أن تصلي خلف الصفوف وحدك فإن لم يمكن الدخول في الصف قام حذاء الإمام أجزأه فإن هو عاند الصف فسدت عليه صلاته».

(٣) أخرجه النسائي في سننه ج ٢ ص ٩٠، وأبو داود أيضاً في المجلد الأول ص ١٥٦ في السنن.

وقال الباقر عليه السلام: «ليكن الّذين يلون الإمام أولي الأحلام منكم والنهي، فإن نسي الإمام أو تعايا قوّموه»[١].

وقال الكاظم عليه السلام: «الصلاة في الصفّ الأوّل كالجهاد في سبيل الله»[٢].

وروى في الكافي: «أنّ فضل ميامن الصفوف على مياسرها كفضل الجماعة على صلاة الفرد»[٣].

ومنها: أن لا يكبّر الإمام حتّي يسوّي الصفوف فيلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى خللاً أمر بالتسوية، قيل: كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامّون في الكعاب، ورأى النبيُّ صلى الله عليه وآله رجلاً بادياً صدره من الصفّ فقال: عباد الله لتسوُنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم»[٤].

وفي الفقيه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقيموا صفوفكم فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من قدّامي ومن بين يديّ، ولا تخالفوا فيخالف الله بين قلوبكم»[٥].

وفي التهذيب، عنه عليه السلام: «سوُّوا بين صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم، لا يستحوذ عليكم الشيطان»[٦]، وفي حديث آخر: «أنّ تسوية الصفوف من

(١) الكافي ج٣ ص ٣٧٢، والتهذيب ج١ ص ٣٢٩.
(٢) الفقيه ص ١٠٥ تحت رقم ٥٨.
(٣) المصدر ج٣ ص ٣٧٣. رقم ٨.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢ ص ٣١، والنسائي في السنن ج٢ ص ٨٩، وأبو داود في السنن ج١ ص ١٥٣.
(٥) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٢.
(٦) المصدر ص ٣٣٣ حسبما رقمناه و٢٠١ حسبما رقم.

تمام الصلاة»[١].

وعن النبيّ ﷺ: «ما من خطوة أحبُّ إلى الله من خطوة تمشيها تصل بها صفاً»[٢].

وفي الفقيه، روى الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا أرى بالصفوف بين الاساطين بأساً؛ وقال: أتمّوا صفوفكم إذا رأيتم خللاً ولا يضرُّك أن يتأخّر وراءك إذا وجدت ضيقاً في الصفّ الأوّل إلى الصفّ الّذي خلفك وتمشي منحرفاً»[٣].

وروى زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «ينبغي الصفوف أن تكون تامّة، متواصلة بعضها إلى بعض، ولا يكون بين الصفّين ما لا يتخطّى يكون قدر ذلك مسقط جسد إنسان إذا سجد»[٤].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن صلّى قوم وبينهم وبين الإمام ما لا يتخطّى فليس ذلك الإمام لهم بإمام، وأيُّ صفّ كان أهله يصلّون بصلاة إمام وبينهم وبين الصفّ الّذي يتقدّمهم ما لا يتخطّى فليس تلك لهم بصلاة، وإن كان ستر أو جدار فليس تلك لهم بصلاة إلاّ من كان بحيال الباب، قال: وقال: هذه المقاصير[٥] إنّما أحدثها الجبّارون وليس لمن صلّى خلفها مقتدياً بصلاة من فيها صلاة؛ قال: وقال: أيّما امرأة صلّت خلف إمام وبينها وبينه ما لا

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٣٣، ومسلم في الصحيح ج٢ ص ٣٠
(٢) رواه الصدوق ـ رحمه الله في الخصال ج١ ص ٢٦ باب الاثنين.
(٣) المصدر ص ١٠٥ تحت رقم ٥٣، وص ١٠٦ تحت رقم ٥٤.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) جمع مقصورة وهي محراب كان حولها بناء يحجب الإمام عن المأمومين.

يتخطّى فليس لها تلك بصلاة، قال: قلت: فإن جاء إنسان يريد أن يصلّي كيف يصنع وهي إلى جانب الرَّجل؟ قال: يدخل بينها وبين الرجل وتنحدر هي شيئاً»[١].

ومنها: أن ينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحّت صلاة القوم إذا نووا الإقتداء ونالوا فضل القدوة، ويجب عليهم نيّة الإيتمام وتعيين الإمام ومتابعته في الأفعال إذا كان مرضياً بمعنى عدم تقدُّمهم عليه بل إمّا يتأخّرون عنه أو يقارنونه، وفي الحديث النبويّ: «إنّما جعل الإمام إماماً ليؤتمّ به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا»[٢].

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ: إنّ من المأمومين من لا صلاة له وهو الّذي يسبق الإمام في ركوعه وسجوده ورفعه، ومنهم من له صلاة واحدة وهو المقارن له في ذلك، ومنهم من له أربع وعشرون ركعة وهو الّذي يتّبع الإمام في كلّ شيء، فيركع بعده ويسجد بعده ويرفع منهما بعده[٣].

قال أبو حامد: «لا ينبغي إن يساوق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخّر فلا يهوي للسجود إلاّ إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يهوي للركوع حتّى يستوي الإمام راكعاً، وقد قيل: إنّ الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام: طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الّذين يكبّرون ويركعون بعد ركوع الإمام، وطائفة

---

(١) الفقيه ص ١٠٦ تحت رقم ٥٥.
(٢) أخرجه البغوى بنحو ابسط في المصابيح ج١ ص ٧٧. وابن ماجه في السنن تحت رقم ١٢٣٨.
(٣) راجع المجلد الثامن عشر من البحار ص ٦٢٧.

بصلاة واحدة وهم الّذين يساوقونه، وطائفة بلا صلاة وهم الّذين يسبقون الإمام.

وقد اختلف في أنَّ في الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال فضل جماعتهم وإدراكهم لتلك الرّكعة؟ ولعلَّ الأولى أنَّ ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقّهم مرعيٌّ في ترك التطويل عليهم».

أقول: وقد سأل جابر الجعفي، أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هذه المسألة فقال: «ما أعجب ما تسأل عنه يا جابر انتظر مثلي ركوعك فإن انقطعوا وإلاّ فارفع رأسك»[1].

ولو رفع المأموم رأسه عن الركوع أو السجود أو أهوى إليهما قبل الإمام أعاد مطلقاً وقيل: بل إنّما يعيد مع النسيان دون العمد لإبطال تعمّد الزيادة في الرّكن، وأكثر الروايات المعتبرة مع الأوّل وإن كان الثاني أشهر، ويجوز أن يكون تعمّد الزيادة مغتفراً ههنا.

وهل يجب متابعة الإمام في الأقوال أم يستحبُّ؟ أكثر أصحابنا على الثاني والمتابعة أحوط.

ومنها: أن يسرَّ الإمام بالتكبيرات الستّ الافتتاحيّة ويجهر بتكبيرة الإحرام ويُسمع من خلفه جميع الأذكار لا سيّما التشهّد ولا يسمعه من خلفه شيئاً ولا يقرء المأموم خلف الإمام المرضيّ بل ينصت في الجهريّة ويسبّح في الإخفاتيّة، ففي الصحيح، عن الباقر عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) التهذيب ج١ ص ٢٥٩.

يقول: من قرأ خلف إمام يأتمُّ به بعث على غير الفطرة»[١].

وفي معناه أخبار أُخر عن أهل البيت عليهم السلام، نعم إذا كانت الصلاة جهريّة ولا يسمع شيئاً حتّى الهمهمة فيستحبُّ القراءة حينئذ كما ورد في الروايات المعتبرة[٢] وفي بعضها لا بأس إن صمت وإن قرأ وكذا إذا كان مسبوقاً وكانت الرّكعة من الأوليين وللإمام من الأخيرتين فيقرء حينئذ أيضاً كما في بعض الرّوايات المعتبرة، وقيل: ترك القراءة في غير الصورتين المذكورتين مستحبٌ وليس بواجب، وقيل: يختصُ بالجهريّة، وقيل: فيه أقوال أُخر منتشرة، والأصحُ ما قلناه لأنّ قراءة الإمام بدلٌ عن قراءة المأموم؛ وفي الصّحيح، عن بكر بن محمّد الأزدي، عن الصادق عليه السلام قال: «إنّي أكره للمرء أن يصلّي خلف الإمام صلاة لا يجهر فيها بالقراءة فيقوم كأنّه حمار، قال: قلت: جعلت فداك فيصنع ماذا؟ قال: يسبّح»[٣].

أمّا الإمام الغير المرضيّ فلا يسقط القراءة خلفه، بل يجب الإيتان به ولو بمثل حديث النفس والإقتصار على الحمد كما يستفاد من الروايات المعتبرة[٤].

وفي الصحيح: «قلت: من لا أقتدي به في الصلاة؟ قال: افرغ قبل أن يفرغ فإنّك في حصار فإن فرغ قبلك فاقطع القراءة واركع معه»[٥].

---

(١) الكافي ج٣ ص ٣٧٨. والتهذيب ج١ ص ٣٣٠.

(٢) راجع الكافي ج٣ ص ٣٧٧ رقم ٢ و٣، وعلل الشرايع ص ١١٦، والتهذيب ج١ ص ٢٥٤، والاستبصار ج١ ص ٤٢٧.

(٣) التهذيب ج١ ص ٣٣١، قرب الاسناد ص ١٨. والفقيه ص ١٠٧.

(٤) راجع الكافي ج٣ ص ٣٧٣، والاستبصار ج١ ص ٤٢٩ والتهذيب ج١ ص ٢٥٥.

(٥) التهذيب ج١ ص ٣٣١.

ويستحبُ أن يقول المأموم عند فراغ الإمام من الفاتحة: الحمد لله ربّ العالمين، وكذا عند قوله: «سمع الله لمن حمده» ولا يأتي هو بالسمعلة.

ويكره أن يخصّ الإمام نفسه بالدعاء دون المأمومين فإنّه خيانة.

ومنها: أن يصلّي الإمام صلاة أضعف من خلفه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «آخر ما فارقت عليه حبيب قلبي أن قال: يا عليُّ إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك ولا تتّخذنَّ مؤذّناً يأخذ على أذانه أجراً»[1].

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام «قال: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله: الظهر والعصر فخفّف الصلاة في الركعتين فلمّا انصرف قال له الناس: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذلك؟ قالوا: خفّفت في الركعتين الأخيرتين، فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبيّ»[2].

وفي حديث سماعة من كان يقوى على أن يطوّل الرُكوع والسجود فليطوّل ما استطاع ـ إلى أن قال ـ فأمّا الإمام فإنّه إذا قام بالناس فلا ينبغي أن يطوّل بهم فإنّ في الناس الضعيف ومن له الحاجة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا صلّى بالناس خفّف بهم»[3].

قال أبو حامد: التخفيف أولى سيّما إذا كثر الجمع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا صلّى أحدكم بالنّاس فليخفّف فإنّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلّى لنفسه فليطوّل ما يشاء»[4].

---

(١) الفقيه ص ٧٦ تحت رقم ٧، والتهذيب ج١ ص ٢١٧.
(٢) التهذيب ج١ ص ٣٣١، ورواه الصدوق في علل الشرايع ص ١٢٢ بنحو أوجز نقله ابن فهد في عدة الداعي كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٤٩٧.
(٣) التهذيب ج١ ص ١٥٥.
(٤) أخرجه النسائي ج٢ ص ٩٤، وأحمد في المسند ج٢ ص ٢٧١، ومسلم ج٢ ص ٤٣.

وقد كان معاذ بن جبل يصلّي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجلٌ من الصلاة وأتمّ لنفسه، فقالوا: نافق الرجل، فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ فزجر معاذاً وقال: أفتّانٌ أنت؟ أقرء سورة **«سبّح» و«السماء والطارق» و«الشمس وضحاها»**[1].

أقول: هذا الخبر رواه الصدوق في الفقيه بأدنى تفاوت[2].

قال في الذكرى: ولو علم من المأمومين حبَّ الإستطالة استحبّ له التطويل.

وفي بعض الأخبار دلالة عليه ولكن ينبغي أن يقيّد بما إذا كان علمه حاضراً بهم.

ومنها: أن لا يقوم الإمام من مصلاّه إلى أن يتمّ المسبوقون صلاتهم كما ورد في الروايات المعتبرة وأن يستنيب إذا فرغ قبلهم أو عرض له حاجة ويدرك المأموم الركعة والفضيلة بإدراك الركوع ويجعله أوّل صلاته فيتمّ ما بقي عليه وإن لحق في سجدتي الأخيرة قال الفضل، ويستأنف صلاته وإن كان في التشهّد الأخير يتبعه ناوياً ويقوم من غير تجديد نيّة وكلّما يتشهّد الإمام، وليس له محلّ تشهّد تجافى ولم يتمكّن من القعود ويتّبع الإمام في التشهّد فإنما التشهد بركة، فإذا كان له محلّ التشهّد دون الإمام فليلبث قليلاً إذا قام الإمام بقدر ما يتشهّد ثمّ يلحق الإمام - كذا عن الصادق عليه السلام في ٢
الصحيح -[3].

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٩٨٦، ورواه غيره.
(٢) المصدر ص ١٠٦ تحت رقم ٦٦.
(٣) الكافي ج٣ ص ٣٨١، والتهذيب ج١ ص ٢٥٩.

فهذه جمل آداب القدوة والإمامة.

فضل الجمعة وشروطها وآدابها وسننها

يوم الجمعة يوم عظيم

اعلم أنّ يوم الجمعة يوم عظيم، عظّم الله به الإسلام وخصّص به المسلمين، وقال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[١] حرّم الاشتغال بأمور الدنيا وبكلّ صارف عن السعي إلى الجمعة.

وقال عليه السلام: «إنّ الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا»[٢].

وقال عليه السلام: «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه»[٣].

وفي لفظ آخر: «فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»[٤].

أقول: من طريق الخاصّة ما رواه في التهذيب بإسناده الصحيح، عن أبي بصير؛ ومحمّد بن مسلم، عن مولينا الباقر عليه السلام قال: «من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية طبع الله على قلبه»[٥].

---

(١) سورة الجمعة: الآية، ٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في حديث طويل تحت رقم ١٠٨١، ورواه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ١٧٠.

(٣) رواه أبو يعلى بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ١٩٣.

(٤) نفس المصدر.

(٥) المصدر ج١ ص ٣٢١، ورواه البرقي في المحاسن ص ٨٥.

وعن النبيّ ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه»[(١)].

وفي رواية: «من ترك ثلاث جمع متعمّداً من غير علّة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق»[(٢)].

وفي رواية: «لينتهينّ أقوامٌ عن وَدْعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثمّ ليكوننّ من الغافلين»[(٣)].

وعنه ﷺ في خطبة طويلة حثّ فيها على صلاة الجمعة: «إنّ الله فرض عليكم الجمعة فمن تركها في حياتي أو بعد موتي وله إمامٌ عادلٌ استخفافاً بها أو جحوداً لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برَّ له حتّى يتوب»[(٤)]:

قال أبو حامد: «واختلف رجل إلى ابن عبّاس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة؟ فقال: في النار، فلم يزل يتردّد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول: في النار».

وفي الخبر: «أنّ أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له وأخّره لهذه الأُمّة وجعله عيداً لهم فهم أوّل الناس به سبقاً

---

(١) أخرجه النسائي ج٣ ص ٨٨، وابن ماجه بلفظ آخر تحت رقم ١١٢٥. وأبو داود بلفظه ج١ ص ٢٤٢.

(٢) نقله الشهيد في رسالة الجمعة: كما في الوسائل أبواب صلاة الجمعة رقم ٢٦.

(٣) أخرجه النسائي ج٣ ص ٨٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه كما في الدر المنثور ج٦ ص٢١٨.

وأهل الكتابين لهم تبع»[١].

وقال ﷺ: «إنَّ الجحيم تسعَّر في كلّ يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلّوا في هذه الساعة إلاّ يوم الجمعة فإنّه صلاة كلّها وإن جهنّم لا تسعّر فيه»[٢].

أقول: ومن طريق الخاصّة، ما رواه في الفقيه، «عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الشمس كيف تركد كلّ يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركودٌ؟ قال: لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل يوم الجمعة أضيق الأيّام، فقيل له: ولم جعله أضيق الأيّام؟ قال: لأنّه لا يعذّب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده»[٣].

وفي عُدّة الداعي، «عن النبيّ ﷺ: يوم الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفّى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عزَّ وجلَّ فيها أحدٌ شيئاً إلاّ أعطاه ما لم يسأل حراماً، وما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر إلاّ وهو يشفق من يوم الجمعة أن تقوم القيامة فيه»[٤].

وفي الفقيه، روى أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٠٨٣ بلفظ آخر وهكذا رواه البزاز بسند صحيح كما في مجمع الزوائد ج٢ ص ١٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود بنحو أوجز ـ ج١ ص ٢٤٩ من ال سنن، ورواه القاضي نعمان في دعائم الاسلام كما في المستدرك ج١ ص ٤١٨.

(٣) المصدر ص ٦٠ رقم ٢ باب ركود الشمس.

(٤) المصدر ص ٢٨، وأخرج نحوه ابن ماجة تحت رقم ١٠٨٤ وأبو داود ج١ ص ٢٤٠.

تبارك وتعالى لينادي كلّ ليلة جمعة من فوق عرشه من أوّل اللّيل إلى آخره ألا عبدٌ مؤمنٌ يدعوني لآخرته ودنياه قبل طلوع الفجر فأُجيبه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ قد قتّرت عليه رزقه يسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسّع عليه؟ ألا عبدٌ مؤمنٌ سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأُعافيه؟ ألا عبد مؤمنٌ محبوس مغموم يسألني أن أُطلقه من حبسه فاخلي سربه، ألا عبد مؤمن مظلوم يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فأنتصر له وآخذ له بظلامته؟ قال: فما يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر»[1].

وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسنيُ ـ رضي الله عنه ـ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: «قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الّذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرّفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك إنّما قال: إنّ الله تبارك وتعالى ينزّل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي هل من سائل فأُعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشرّ أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتّى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء، حدّثني بذلك أبي، عن جدّي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وروي أنّه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة، وكان

---

(١) المصدر ص ١١٣ و ١١٤ تحت رقم ٢٤ و٢٥.

(٢) نفس المصدر.

اليوم الّذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين بغدير خمّ يوم الجمعة، وقيام القائم عليه السلام في يوم الجمعة، وتقوم القيامة في يوم الجمعة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[1][2].

وروى محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يعقوب لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[3] قال: أخّرها إلى السحر ليلة الجمعة»[4].

وروى أبو بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: «إنّ العبد المؤمن ليسأل الله جلّ جلاله الحاجة فيؤخّر الله عزّ وجلّ قضاء حاجته الّتي سأل إلى يوم الجمعة ليخصّه بفضل يوم الجمعة»[5].

وروى داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾[6] قال: الشاهد يوم الجمعة»[7].

وروى المعلّى بن خنيس، عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلنّ بشيء غير العبادة فإنّ فيها يغفر للعباد وتنزل عليهم الرحمة»[8].

(١) سورة هود: الآية، ١٠٣. الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) سورة يوسف: الآية، ٩٨.
(٤) الفقيه ص ١١٣ رقم ٢٧.
(٥) الفقيه: ص ١١٣ رقم ٢٨.
(٦) سورة البروج: الآية، ٣.
(٧) الفقيه: ص ١١٣ رقم ٢٩.
(٨) الفقيه ص ١١٣ إلى ١١٤ رقم ٣٠ إلى ٣٣.

وروى الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويومها يوم أزهر، ومن مات ليلة الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر، ومن مات يوم الجمعة كتب له براءة من النار»(١).

وروى هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «في الرّجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال: يستحبُّ أن يكون ذلك يوم الجمعة فإنَّ العمل يوم الجمعة يضاعف»(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أطرفوا أهليكم كلَّ يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللّحم حتّى يفرحوا بالجمعة» إلى هنا من الفقيه(٣).

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل»(٤).

وفي الخبر المشهور: «الجمعة حجُّ المساكين»(٥).

شروط الجمعة

أقول: إنّما تجب الجمعة على كلِّ مكلّف ذكر حرّ، حاضر، سالم من العمى والمرض والتمريض المنحصر فيه والهِمِّ، وكلِّ ما يؤدّي مع التكليف بها إلى الحرج بشرط وجود إمام يكون على شرائط القدوة وقد مرَّ ذكرها،

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) المصدر ص ١١٤ رقم ٤٧.
(٥) أخرجه ابن الزنجي في ترغيبه والقضاعي عن ابن عباس، ورواه ابن عساكر عن ابن عباس هكذا «الجمعة حج الفقراء». كما في الجامع الصغير باب الجيم.

وجود أربعة نفر ذكور غيره من المسلمين المكلّفين الأحرار الحاضرين غير بعيدين جميعاً بفرسخين، وتجزىء حينئذ عن فرض الظهر بشروط ثلاثة هي شروط صحّتها: الخطبتان، والجماعة، وعدم جمعة أُخرى بينهما أقلُّ من فرسخ، فإن اتّفقتا معاً بطلتا وإلاّ فالمتأخرة خاصّة، ولا يجزىء الظهر عنها إلاّ إذا كانوا أقلّ من سبعة أو يكون هناك تقيّة أو أثارة فتنة.

وأكثر هذه الشروط مجمعٌ بين أصحابنا، منصوص به في الصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام وإنّما الخلاف في موضعين:

أحدهما: إنحصار الشروط فيما ذكر، فقد قيل باشتراط حضور إمام الأصل عليه السلام أو نائبه المأذون من قبله عليه السلام بالإذن الخاصّ أيضاً وإلاّ لم تشرع.

والثاني: عدم إجزاء الظهر عنها فقد قيل بإجزائه عنها في زمن غيبة الإمام عليه السلام مطلقاً وإنّ وجوبها حينئذ تخييريٌّ وإن كانت الجمعة أفضل، ومن الأصحاب من زعم اشتراط النائب العام، وهو الفقيه الجامع لشرائط الفتوى في أصل الوجوب في الغيبة.

والكلُّ ضعيف مقدوحٌ لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع معتبر كما بيناه في كتابنا المسمى: بمعتصم الشيعة في أحكام الشريعة».

وروى المحمّدون الثلاثة[1] في الصحيح، عن زرارة، عن أبي جعفر

---

(١) يعني بهم مؤلفي كتب الأربعة: محمد بن يعقوب الكليني، ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه، ومحمد بن الحسن الطوسي - رحمهم الله تعالى - راجع الكافي ج٣ ص ٤١٩، والفقيه ص ١١١، والتهذيب ج١ ص ٢٥١.

الباقر عليه السلام قال: «فرض الله على الناس من الجمعة خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله في جماعة وهي الجمعة ووضعها عن تسعة، عن الصغير، والكبير، والمجنون، والمسافر، والعبد، والمرأة، والمريض، والأعمى، ومن كان على رأس فرسخين».

وفي الصحيح عنه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له: على من تجب الجمعة؟ قال: تجب على سبعة نفر من المسلمين، ولا جمعة لأقلّ من خمسة من المسلمين أحدهم الإمام فإذا اجتمع سبعة ولم يخافوا أمّهم بعضهم وخطبهم»[1].

وفي الموثّق، عن الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: إذا كان قوم في قرية صلّوا الجمعة أربع ركعات فإن كان لهم من يخطب لهم جمّعوا إذا كانوا خمسة نفر، وإنّما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين»[2].

والأخبار في هذه المعاني كثيرة، والّذين وضع الله عنهم الجمعة متى حضروها لزمهم الدخول فيها سوى غير المكلّف والمرأة، ويحتسبون من العدد سوى المسافر والعبد لأنّ الساقط عنهم إنّما هو السعي ولذا من كان على رأس فرسخين يجب عليه مع الحضور قطعاً، ويستفاد من بعض الأخبار إجزاء الجمعة عن المرأة أيضاً.

ويجب تقديم الخطبتين على الصلاة والطهارة فيهما والقيام إلاّ مع العجز واشتمال كلّ منهما على حمد الله والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله، والوعظ، وقراءة سورة في الأُولى والدعاء في الثانية.

---

(١) الفقيه ص ١١١ تحت رقم ٢.
(٢) التهذيب ج١ ص ٣٢١. والاستبصار ١ ص ٤٢٠.

وقيل: باستحباب القراءة والدعاء، ويستحبُ قراءة آية في الثانية أيضاً والأُولى أن يعمل بالمأثور في وجوب عربيّتهما ورفع الصوت بهما بحيث يسمع العدد، والفصل بينهما بجلسة خفيفة، والإصغاء لهما وترك الكلام في أثنائهما أو استحباب ذلك كلّه خلاف، أمّا استقبال الناس، والسلام عليهم أوّل ما يصعد وردُّهم له، والجلوس حتّى يفرغ المؤذّنون والتعمّم شاتياً وقائظاً، والتردّي ببرد يمنيّة، والاعتماد على سيف أو قوس أو عنزة[١]، وبلاغة الخطيب، واتّصافه بما يأمر به، وانزجاره عمّا ينهى عنه فكلّها مستحبّة.

قال أبو حامد: «ولا يستعمل غريب اللّغة ولا يمطّط[٢] ولا يتغنّى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة، ولا يسلّم من دخل والخطيب يخطب فإن سلّم لم يستحقّ جواباً والإشارة بالجواب حسن، ولا يسمّت العاطس أيضاً[٣].

آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهي عشر جمل: **الأُولى**: أن يستعدّ لها يوم الخميس عزماً عليها واستقبالاً لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنّها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة.

قال بعض السلف: إنّ لله فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلاّ من سأله عشيّة الخميس ويوم الجمعة.

---

(١) العنزة ـ بالمهملة ـ مثل نصف الرمح أو أكبر وفيها سنان.

(٢) تمطط في الكلام مده ولون فيه.

(٣) تسميت العاطس وتسميته: الدعاء له.

ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيّضها ويعدُّ الطيِّب إن لم يكن عنده، ويفرغ قلبه من الأشغال الّتي يمنعه من البكور إلى الجمعة ويجامع أهله في هذه اللّيلة أو في يوم الجمعة، فقد استحبَّ ذلك قومٌ وحملوا عليه قوله ﷺ: «رحم الله من بكّر وابتكر وغسل واغتسل»[1] ـ وهو حمل الأهل على الغسل ـ، وقيل: معناه غسل ثيابه، فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا يتمُّ أدب الاستقبال، ويخرج عن زمرة الغافلين الّذين إذا أصبحوا قالوا: ما هذا اليوم؟

قال بعض السلف: أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها وراعاها من الأمس، وأخسّهم نصيباً من أصبح فيقول: أيش هذا اليوم؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها.

أقول: وفي الفقيه: «كان موسى بن جعفر عليه السلام يتهيّأ يوم الخميس للجمعة»[2].

وفيه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يشرب أحدكم الدواء يوم الخميس، فقيل: يا أمير المؤمنين ولم؟ لئلاّ يضعف عن إتيان الجمعة»[3].

الثانية: إذا أصبح ابتدء بالغسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يبكّر فأقربه إلى الرواح أحبُّ ليكون أقرب عهداً بالنظافة.

فالغسل مستحبٌّ استحباباً مؤكّداً وذهب بعض العلماء إلى وجوبه.

---

(١) راجع سنن النسائي ج٣ ص٩٥ و٩٧، وابن ماجة تحت رقم ١٠٨٧. ورواها بلفظ آخر، وفي مجمع الزوائد عن الطبراني أيضاً.

(٢) المصدر ص ١١٢ تحت رقم ١٢.

(٣) الفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٨.

أقول: وكذا الخلاف فيه بين علمائنا ـ رحمهم الله ـ والأكثر على استحبابه، وفي الصحيح عن عليّ بن يقطين، عن الرضا عليه السلام «قال: سألته عن الغسل في الجمعة والأضحى والفطر، قال: سنّة وليس بفريضة»[(١)].

وفي الصحيح، عن عبد الله بن المغيرة عن الرضا عليه السلام «قال: سألته عن الغسل يوم الجمعة، فقال: واجب على كلّ ذكر وأُنثى عبد أو حرّ»[(٢)]، وحمل على تأكّد الاستحباب.

وقال الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه: وغسل يوم الجمعة واجبٌ على الرجال والنساء في السفر والحضر إلاّ أنّه رخّص للنساء في السفر لقلّة الماء، ومن كان في سفر ووجد الماء في يوم الخميس وخشي أن لا يجده يوم الجمعة فلا بأس بأن يغتسل الخميس للجمعة فإن وجد الماء يوم الجمعة اغتسل وإن لم يجد أجزأه.

فقد روى الحسن بن موسى بن جعفر، عن أُمّه، وأُمّ أحمد بن موسى قالتا كنّا مع أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في البادية ونحن نريد بغداد فقال لنا يوم الخميس: اغتسلا اليوم لغد ـ يوم الجمعة ـ فإنّ الماء غداً بها قليلٌ قالتا: فاغتسلنا يوم الخميس للجمعة.

وغسل يوم الجمعة سنّة واجبة ويجوز من وقت طلوع الفجر يوم الجمعة إلى قرب الزوال وأفضل ذلك ما قرب من الزّوال، ومن نسي الغسل أو فاته فليغتسل بعد العصر أو يوم السبت، ويجزىء الغسل للجمعة كما

---

(١) رواه الشيخ في التهذيب ج١ ص ٣١.

(٢) الكافي ج٣ ص ٤١ تحت رقم ١، والتهذيب ج١ ص ٣١.

يكون للزواج والوضوء فيه قبل الغسل»[1] انتهى كلام الصدوق ﷺ.

وقد بيّنّا فيما سبق أنّ الحق أنّ الوضوء يسقط مع الغسل مطلقاً، أيّ غسل كان كما ذهب إليه السيد المرتضى ﷺ وإن كان المشهور بين أصحابنا عدم سقوطه إلاّ في غسل الجنابة وأمّا قوله: ويجزىء الغسل للجمعة كما يكون للزواج فمعناه أنّه يجزىء لهما غسل واحد وهذا حقٌّ، فإنّ الصحيح أنّ الأغسال يتداخل بعضها في بعض إذا اجتمعت أسبابها كالوضوء، يدلُّ على ذلك الرّوايات الصحيحة عن أهل البيت ﷺ.

قال ﷺ[2] ويقول المغتسل للجمعة: «اللّهمّ طهّرني وطهّر قلبي وأنق غسلي وأجر على لساني مدحتك».

وقال الصادق ﷺ: «من اغتسل للجمعة فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهّرين» كان طهراً من الجمعة إلى الجمعة».

وقال الصادق ﷺ: «غسل يوم الجمعة طهورٌ وكفّارةٌ لما بينهما من الذنوب من الجمعة إلى الجمعة».

وقال الصادق ﷺ في علّة غسل يوم الجمعة: «إنّ الأنصار كانت تعمل في نواضحها وأموالها فإذا كان يوم الجمعة حضروا المسجد فتأذّى الناس بأرواح آباطهم وأجسادهم فأمرهم رسول الله ﷺ بالغسل فجرت بذلك السنّة».

---

(١) المصدر ص ٢٥ تحت رقم ٦ و٧.

(٢) يعني الصدوق - ﷺ - في الفقيه ص ٢٥.

وروي: «أنّ الله تبارك وتعالى أتمّ صلاة الفريضة بصلاة النافلة، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة، وأتمّ الوضوء بغسل يوم الجمعة»[١].

أقول: وفي رواية أُخرى: «ما كان في ذلك من سهو أو تقصير أو نسيان»[٢]، وعن الأصبغ بن نباتة أنّه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول له: والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة فإنّه لا يزال في طهر إلى يوم الجمعة الأُخرى»[٣].

الثالثة: الزينة وهي مستحبّة في هذا اليوم وهي في ثلاثة: الكسوة، والنظافة، وتطيّب الرائحة.

أمّا النظافة: فبالسواك، وحلق الشعر، وقلم الظفر، وقصُّ الشارب، وسائر ما سبق في كتاب الطهارة، فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود وليتطيّب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة ويوصل به الرّوح والراحة إلى مشام الحاضرين في جواره، وأحبُّ طيب الرّجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه.

أقول: روى هذا في الكافي، عن الصادق عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

وفيه عنه عليه السلام «قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الطيب في الشارب

---

(١) الاحاديث كلها في الفقيه ص ٢٥ رقم ٨ و٩ و١٠ و١١.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤٢ تحت رقم ٤ و٥.
(٣) نفس المصدر.
(٤) المصدر ج٦ ص ٥١٢ رقم ١٧.

من أخلاق النبيّين وكرامة للكاتبين»[1].

وفيه، في التهذيب عن مولينا الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليزيّن أحدكم يوم الجمعة يغتسل، ويتطيّب، ويسرّح لحيته، ويلبس أنظف ثيابه، وليتهيّأ للجمعة، وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار، وليحسن عبادة ربّه، وليفعل الخير ما استطاع، فإنّ الله يطلع على الأرض ليضاعف الحسنات»[2].

وفي الفقيه، عن الصادق عليه السلام: «قلّموا أظفاركم يوم الثلثاء، واستحمّوا يوم الأربعاء وأصيبوا من الحجامة حاجتكم يوم الخميس، وتطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة»[3].

وفيه عن الرّضا عليه السلام: «ينبغي للرّجل أن لا يدع أن يمسّ شيئاً من الطيب في كلّ يوم فإن لم يقدر فيوم ويوم لا، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعة لا يدع ذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم الجمعة ولم يصب طيباً دعا بثوب مصبوغ بزعفران فرشّ عليه الماء ثمّ مسحه بيده ثمّ مسح به وجهه»[4]. وفي الكافي ما يقرب من صدر هذا الحديث بإسناد صحيح.

وفيه، عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليتطيّب أحدكم يوم الجمعة ولومن قارورة امرأته»[5].

وفيه، عنه عليه السلام: «حقّ على كلّ مسلم في كلّ جمعة اخذ شاربه

(١) المصدر ج٦ ص ٥١٠ رقم٥، وراجع ج٣ ص ٤١٧ منه.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤١٧، والتهذيب ج١ ص ٢٤٨.
(٣) المصدر ص ٣١ تحت رقم ١٢٧.
(٤) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٢. وفي الكافي ج٦ ص ٥١٠ تحت رقم ٤.
(٥) الكافي ج٦ ص ٥١١ تحت رقم ١٣و ١٠.

وأظفاره ومسُّ شيء من الطيب»[١].

وقد ورد في الحثّ على الطيب أحاديث متكثرة تتضمّن أنّه من أخلاق المرسلين، وأنّه يقوّي القلب، ويزيد في الرّزق، ويحفظ العقل، وأنّ صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب، وأنّ الملائكة تستنشق ريح الطيب من المؤمن، وأنّ ما أنفق في الطيب ليس بسرف، وأنّ رسول الله ﷺ كان ينفق في الطيب أكثر ما ينفق في الطّعام[٢].

قال أبو حامد: «وأمّا الكسوة فأحبّها البيض من الثياب إذ أحبُّ الثياب إلى الله تعالى البيض، ولا يلبس ما فيه شهرة، ولبس السواد ليس من السنّة ولا فيه فضل، بل كره جماعة النظر إليه لأنّه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ، والعمامة مستحبّة في هذا اليوم ففي الخبر: «أنّ الله وملائكته يصلّون على أصحاب العمائم يوم الجمعة»[٣].

أقول: ومن طريق الخاصّة، ما رواه في الكافي[٤]، «عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ألبسوا البياض فإنّه أطيب وأطهر، وكفّنوا فيه موتاكم».

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: البسوا ثياب القطن، فإنّها لباس رسول الله ﷺ وهو لباسنا»[٥]. وعنه عليه السلام: «إنّ الله يبغض شهرة

(١) نفس المصدر.
(٢) راجع الكافي ج٦ ص ٥١٢ تحت رقم١ إلى ١٨.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الالف.
(٤) المصدر ج٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ١و٢.
(٥) الكافي ج٦ ص ٤٤٦ تحت رقم ٤.

اللّباس»[١].

وعن الحسين صلوات الله عليه: «من لبس ثوباً يشهره كساه الله يوم القيامة ثوباً من النّار»[٢].

وفيه، وفي الفقيه: «كان رسول الله ﷺ يكره السواد إلاّ في ثلاث: الخفّ، والعمامة، والكساء»[٣].

وفي الفقيه: «يستحبُّ أن يعتمّ الرجل يوم الجمعة وأن يلبس أحسن ثيابه وأنظفها ويتطيّب ويدّهن بأطيب دهنه»[٤].

وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام: «أنّ الثوب النّقي يكبت العدوّ»[٥] وقيل: إنّه يذهب بالهمّ.

الرابعة: البكور إلى الجامع ويدخل وقته بطلوع الفجر وفضله عظيم، وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله إيّاه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه.

وقد قال ﷺ: «من راح إلى الجمعة في الساعة الأُولى فكأنمّا قرّب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنمّا قرّب بقرة، ومن راح في الساعة

(١) المصدر ج٦ ص ٤٤٤ رقم ١ والشهرة: ظهورالشيء في شنعة حتى يشهره الناس.
(٢) المصدر ج٦ ص ٤٤٥ تحت رقم ٤.
(٣) الكافي ج٦ ص ٤٤٩، والفقيه ص ٦٨ تحت رقم ١٨.
(٤) المصدر ص ١١٤ تحت رقم ٤٤.
(٥) المصدر ج٦ ص ٤٤١ تحت رقم ١.

الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما أهدى دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر»[١] فمن جاء بعد ذلك فإنّما جاء لحقّ الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الأُولى إلى طلوع الشمس، والثانية إلى ارتفاعها، والثالثة إلى انبساطها حتّى ترمض الأقدام، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال.

وقال ﷺ: «ثلاث لو يعلم الناس ما فيهنّ لركضوا الإبل في طلبهنّ: الأذان والصف الأول، والغدوّ إلى الجمعة»[٢].

وفي الخبر: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضّة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم»[٣].

أقول: روي هذا في الكافي والفقيه[٤] بالإسناد الصحيح عن مولينا الباقر عليه السلام قال: «إنّ الملائكة المقرّبين يهبطون في كلّ جمعة معهم قراطيس الفضّة وأقلام الذّهب فيجلسون على أبواب المسجد على كراسيّ من نور فيكتبون من حضر الجمعة الأوّل والثاني والثالث حتّى يخرج الإمام فإذا خرج الإمام طووا صحفهم».

(١) أخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ٩٩ وفيه «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه الخ» وهكذا رواه مسلم ج٣.
(٢) أخرجه ابن النجار عن أبي هريرة بلفظ آخر كما في الجامع الصغير باب الثاء.
(٣) رواه النسائي في السنن ج٣ ص ٩٨ بلفظ آخر.
(٤) الكافي ج٣ ص ٤١٣ تحت رقم ٢، والفقيه ص ١١٤ تحت رقم ٤٦.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «فضّل الله الجمعة على غيرها من الأيّام، وإنّ الجنان لتزخرف وتزيّن يوم الجمعة، وإنّكم تتسابقون إلى الجنّة على قدر سبقكم إلى الجمعة، وإنّ السماء لتفتح لصعود أعمال العباد»[١].

قال أبو حامد: «وكان يرى في القرن الأوّل سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوّة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيّام العيد حتّى اندرس ذلك فقيل: أوّل بدعة أُحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع، وكيف لا يستحي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكّرون إلى البيع والكنايس يوم السبت والأحد وطلاب الدُّنيا كيف يبكّرون إلى رحاب الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب الآخرة، ودخل ابن مسعود الجامع بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتمّ لذلك وجعل يقول لنفسه معاتباً إيّاها: رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد.

الخامسة: في هيئة الدّخول فينبغي أنْ لا يتخطّى رقاب الناس ولا يمرّ بين أيديهم والبكور يسهّل عليه ذلك فقد ورد وعيدٌ شديدٌ في تخطّي الرقاب وهو أنّه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطّاه الناس، وفي المرور بين يدي المصلّي قال صلى الله عليه وآله: «لأن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرّ بين يدي المصلّي»[٢] ومهما كان الصف الأوّل متروكاً خالياً فله أن يتخطّى رقاب الناس لأنّهم تركوا حقّهم وتركوا موضع الفضيلة وإذا لم يكن في المسجد إلاّ من يصلّي فينبغي أن لا يسلّم فإنّه تكليف جواب في غير محّله.

---

(١) رواه الكليني في الكافي ج٣ ص ٤١٥ تحت رقم ٩.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ج١ ص ١٦١، والنسائي ج٢ ص ٦٦.

السادسة: أن يجلس قريباً من اسطوانة أو حائط حتّى لا يمرُّوا بين يديه إذ سوّى ﷺ في حديث آخر بين المارّ والمصلّي حيث صلّى على الطريق أو قصّر في الدفع فقال: «لو يعلم المارّ بين يدي المصلّي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرٌ له من أن يمرَّ بين يديه»(١).

والأُسطوانة والحائط المفروش حدُّ المصلّي، فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه.

قال ﷺ: «ليدفعه فإن أبى فليدفعه، فإن أبى فليقاتله إنّه شيطان»(٢) فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئاً طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحدّه.

أقول: وقد أشرن إلى ذلك من طريق الخاصّة فيما سبق.

وفي الكافي، والتهذيب، بإسناد حسن، عن الحلبيّ، عن الصادق عليه السلام قال: «سألته عن الرّجل أيقطع صلاته شيء ممّا يمرُّ بين يديه؟ فقال: لا يقطع صلاة المسلم شيء ولكن ادرء ما استطعت»(٣).

وفيهما، بإسناد صحيح، عن الصادق عليه السلام: «قال: كان رسول الله ﷺ يجعل العنزة بين يديه إذا صلّى»(٤).

وعن الرّضا عليه السلام «في الرّجل يصلّي، قال: يكون بين يديه كومة من

(١) أخرج نحوه أبو داود في السنن ج١ ص ١٦٠ والنسائي ج٢ ص ٦٦.
(٢) أخرجه أبو داود ج١ ص ١٦٠.
(٣) الكافي ج٣ ص ٢٩٧، والتهذيب ج١ ص ٢٢٨. يعنى ادفعوا آفة المار بالاستتار.
(٤) الكافي ج٣ ص ٢٩٦، والتهذيب ج١ ص ٢٢٧.

تراب أو يخطّ بين يديه بخطّ»[١].

السابعة: أن يطلب الصفّ الأوّل فإنّ فضله كثير كما رويناه في الخبر: «من غسّل واغتسل وبكّر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له ذلك كفّارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام». وفي لفظ آخر: «غفر الله له إلى الجمعة الأُخرى» وقد اشترط في بعضها: «ولم يتخطّ رقاب الناس»[٢].

أقول: وفي لفظ آخر هكذا: «من غسّل واغتسل، فبكّر وابتكر، ودنا وأنصت، ولم يلغ كان له بكلّ خطوة كأجر عبادة سنة صيامها وقيامها»[٣].

وقد مضى أنّ معنى غسّل - بالتشديد - حمل الأهل على الغسل وبالتخفيف غسل الثياب. وقيل: غسل مواضع الوضوء، وهو إنّما يصحُّ عند من أوجب الوضوء مع الغسل، ولو فسّر بغسل اليدين من الدّنس والتفث لكان له وجهاً، و«بكّر» أي في الاغتسال و«ابتكر» أي إلى المسجد و «دنا» أي من المنبر، و«أنصت» أي إلى الخطبة.

قيل: في بعض الأخبار: «إنّ الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر لمن وراءه».

قال أبو حامد: «فمن تأخّر على هذه النيّة إيثاراً وإظهاراً لحسن الخُلق فلا بأس وعند هذا يقال: الأعمال بالنيات».

أقول: وكذا إذا نوى إيثار فضيلة الصف الأوّل للأفضل.

---

(١) التهذيب ج١ ص ٢٤٤، والاستبصار ج١ ص ٤٠٧.
(٢) أخرجهما الحاكم في المستدرك ج١ ص ٢٨٢ و٢٨٣.
(٣) أخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ٩٥، وابن ماجة تحت رقم ١٠٨٧.

الثامنة: أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضاً بل يشتغل بجواب المؤذِّن ثمّ باستماع الخطبة، قال عليٌّ عليه السلام «يكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام يخطب»، وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال لصاحبه والإمام يخطب: أنصت أوصه فقد لغا[١]، ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له»[٢] وهذا يدلُّ على أنَّ الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي حصاة لا بالنطق، ومن عجز عن الإستماع بالبعد فلينصت لأنَّ ذلك يتسلسل ويفضي إلى هينمة[٣] ينتهي إلى المستمعين وإذا كان يكره الصلاة في وقت الخطبة فالكلام أولى.

أقول وفي الفقيه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا كلام والإمام يخطب ولا التفات إلاّ كما يحلّ في الصلاة، وإنّما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين وجعلتا مكان الركعتين الأخيرتين فهي صلاة حتّى ينزل الإمام»[٤].

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «لا بأس أن يتكلّم الرجل إذا فرغ الإمام من الخطبة يوم الجمعة ما بينه وبين أن تقام صلاة»[٥].

التاسعة: أن يراعي في قدوة الجمعة ما يراعي في غيرها ـ كذا قال أبو حامد ـ: ثمّ أورد ذكراً للفراغ منها.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ج٢ ص ٣٠٠.

(٢) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب العروس كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٤٠٩. ومثله في الفقيه ص ٤٦٧ في حديث المناهي.

(٣) أي الصوت الخفي.

(٤) الفقيه ص ١١٢ تحت رقم ١٤ و١٥.

(٥) نفس المصدر.

أقول: ولمّا لم تكن هذه المراعاة ممّا يختصُّ بالجمعة وما عطفه عليه من الذكر الخاصّ بعد الفراغ لم يرد من طريق الخاصّة فنحن نذكر بدله ما قاله بعض علمائنا ـ رحمهم الله ـ[1] في هذا المقام.

قال: ويختص الجمعة باستحضار أنّ يومها يومٌ عظيم وعيدٌ شريف، خصّ الله به هذه الأُمّة، وجعله وقتاً شريفاً لعباده ليقربّهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال، وتلافي ما فرّط منهم في بقيّة الأُسبوع من الإهمال، وجعل أهمّ ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته صلاة الجمعة وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله الجسيم وخصّها من بين سائر الصلوات الّتي هي أفضل القربات بالذكر الخاصّ فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينبّه له من له حظ من المعاني ومن أهمّ رمزها ههنا التعبير عن الصلاة بذكر الله، ونبّه بهذا على أنّ الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات والرُكوع والسجود بل ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فإنّ هذا وأشباهه هو السرُفي كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[3] إذ كان سببهما القوةُ النزوعيّة إذا خرجت عن حكم العقل، وهذا كلّه إنّما يتمُ مع التوجّه التامّ إلى الله تعالى

---

(١) يعني به الشهيد في اسرار الصلاة ص ٢٢١ من طبعة الملحق بكشف الفوائد.
(٢) سورة الجمعة: الآية، ٩.
(٣) سورة العنكبوت: الآية، ٤٥.

وملاحظة جلاله الّذي هو الذكر الأكبر والكثير[١] على ما ورد في بعض تفسيراته فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الاستعداد بهذه المثابة لا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيىء والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه في الوقت الشريف والنوع الشريف من العبادة.

وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدّنيا بالمثول في حضرته والفوز بمخاطبته في وقت معيّن أما كنت تتأهّب له بتمام الاستعداد والتهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيّب وغير ذلك مما يليق بحال الملك.

ومن هنا جاء استحباب الغسل يوم الجمعة، والتنظف، والتطيّب، والتعمّم، وحلق الرأس، وقصّ الشارب، والأظفار وغير ذلك من السنن، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف، وعمل مخلص، وقصد متقرّب، ونيّة خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدُّنيا إن لم تعظم همّتك عن ذلك، ولا تقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهية ومطلب نفسك من الطيب والزينة فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك، وكلّما أمكنك تكثير المطالب الّتي يترتّب عليها الثواب بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها، فانو بالغسل يوم الجمعة سنّة الجمعة والتوبة ودخول المسجد، وبالثياب الحسنة والطيب سنّة رسول الله ﷺ وتعظيم المسجد واحترام بيت الله تعالى، فلا يحبُّ أن تدخله زائراً له إلا طيّب الرائحة وأن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته، ويقصد به دفع الرّوايح الكريهة عن نفسه حسماً لباب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه

(١) في آيتين من الكتاب العزيز.

بالرّوائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فقد قيل: إن من تعرّض للغيبة وهو قادرٌ على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

وإذا حضرت للصلاة فأحضر قلبك فهم مواقع الموعظة واستعدّ لتلقيّ الأوامر والنواهي على وجهها، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة والخطيب والمنبر واستماع الناس وتحريم الكلام خلالها ووجوب الإصغاء إليها فاعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقرّبين الّذين يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشريف ويعرضونهم على الحضرة الالهيّة ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة فقد روي أنّ الملائكة المقربين تقف على أبواب المساجد ـ الحديث ـ فإذا أحضرت هذا ببالك وأنّ الملائكة يستمعون وهم حولك والله سبحانه ناظر إليك لزمك ارتداء الهيبة واذراع السكينة وتجلبب الخشية، وعند ذلك تستحق أن تفاض عليك الرّحمة، وتحفك البركة، وتصير صلاتك مقبولة ودعوتك مسموعة، وأكثر في ذلك اليوم من الذكر والاستغفار والدُعاء وتلاوة القرآن والصلاة على النبيّ وآله صلى الله عليهم والصدقة فإنّ اليوم شريف، والفضل فائض، والجود تامّ، والرّحمة واسعة، فإذا كان المحلّ قابلاً تمّت السعادة وحصلت الإرادة، وتذكّر أنّ في يوم الجمعة ساعة لا يردّ الله فيها دعوة مؤمن، فاجتهد أن تصادفها داعياً أو مستغفراً أو ذاكراً فإنّ الله يعطي الذاكر فوق ما يعطي السائل وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل فإن لم يمكن فإلى العصر، وكن حسن المراقبة، مجتمع الهمّة عسى أن تظفر بتلك الساعة، فقد قيل: إنّها مبهمة في جميع اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه

(١) سورة الأنعام: الآية، ١٠٨.

ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر في جميع السنة ليحافظوا عليها.

وروي أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس وساعة أُخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس، واجعل هذا اليوم خاصّة من الأُسبوع لآخرتك فعساه أن يكون كفّارة واستداركاً لبقية الأُسبوع، ويكفيك في الاهتمام بالجمعة وظائفها أنّ الله سبحانه جعلها أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار وصرّح به العلماء الأخيار حيث دلّ على أنّ الواجب أفضل من الندب وأنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات، وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات، وأنّ الصلاة الوسطى من بينها أفضل الخمس، والمختار أنّها الظهر والجمعة أولى من الظهر فتكون أفضل منها لو أمكن تصوُّر فضل لها، وحينئذ فتكون أفضل الأعمال وهذا بيان واضح يوجب تمام الاهتمام بشأنها وأبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر بها: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقد ورد الأمر بقراءة سورتها وسورة المنافقين فيها ليتكرّر سماع الحثّ عليها فيها، وقد قال في سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾[1] فكرّرهذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين.

قال أبو حامد:

العاشرة: أن يلازم المسجد حتّى يصلّي العصر، فإن وقف إلى المغرب فهو الأفضل، فإن لم يأمن التصنّع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى

---

(١) سورة المنافقون: الآية، ٩.

اعتكافه، أو خاف الخوض فيما لا يعني، فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً لله تعالى، متفكّراً في آلائه، شاكراً على توفيقه، خائفاً من تقصيره، مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتّى لا يفوته السّاعة الشريفة.

ففي الخبر المشهور: «إنّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلاّ إعطاه»[١] وفي خبر آخر: «لا يصادفها عبدٌ يصلّي» واختلف فيها: فقيل: إنّها عند طلوع الشمس.

وقيل: عند الزوال.

وقيل: مع الأذان.

وقيل: إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة.

وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة.

وقيل: آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار.

وقيل: قبيل غروب الشمس، وكانت فاطمة عليها السلام تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتأثر عن أبيها صلى الله عليه وآله[٢].

وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتّى يتوفّر الدواعي على مراقبتها.

---

(١) رواه الصدوق - رحمه الله - في معاني الاخبار ص ٣٩٩ وفيه: «لا يراقبها رجل» وأخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ١١٥ كما في المتن.

(٢) راجع معاني الاخبار ص ٤٠٠ رقم ٥٩.

وقد قيل: إنّها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كنقل ليلة القدر، وهذا هو الأشبه وله سرٌ لا يليق بعلم المعاملة ذكره، ولكن ينبغي أن يصدّق بما قال ﷺ: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها»[١].

ويوم الجمعة من تلك الأيّام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرّضاً لها بإحضار القلب، وملازمة الذكر، والنزوع عن وساوس الدنيا، فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات».

أقول: ويستحب أن يدعو قبيل غروب الشمس بدعاء السمات المنقول عن أهل البيت عليهم السلام وهو مشهور[٢].

وقد ذكر أبو حامد من الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق، الّذي يعمُّ جميع النهار أشياء أُخر، ولمّا كان ما ذكرناه في الجملة التاسعة قد تضمّن خلاصة ذلك والمعتبر منه عندنا طوينا ذكرها.

(١) أخرجه الطبراني عن محمد بن مسلمة بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب الالف.

(٢) راجع مصباح الكفعمي ص ٤٢٣.

الباب السادس

أسرار الوقت في الصلاة

«في مسائل متفرّقة يعمُّ البلوى بها ويحتاج المريد إلى معرفتها، فأمّا المسائل الّتي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه».

أقول: ما ذكره أبو حامد في هذا الباب من المسائل بعضه قد مضى ذكره في كلامنا على طريقة أهل البيت عليهم السلام، وبعضه قليل الجدوى عندنا، فأنا أذكر بدل ذلك مسائل أُخرى مهمّة، مع قليل ممّا ذكره ممّا سوى القسمين، وأذكر ما يتعلّق بالقبلة والتقصير والصلاة على الراحلة، وماشياً، وفي السفينة، في كتاب آداب السفر من ربع العادات كما فعله وهو إن شاء الله.

مسألة: لكلّ من الصلوات الخمس وقتان، أوّلهما للفضيلة، والآخر للإجزاء على المشهور.

وقيل: بل الأوّل للمختار والآخر للمضطر، فالأوّل للظهر والزوال إلى أن يصير الفيىء مثل الشاخص، والثاني إلى أن يبقى للغروب مقدار أداء العصر، والأول للعصر الفراغ من الظهر ولو تقديراً إلى أن يصير الفيىء مثلي الشاخص، والثاني إلى الغروب؛ والأوّل للمغرب الغروب إلى ذهاب الشفق الغربيّ، وربما قيل بانحصار وقته في ذلك وأنّ له وقتاً واحداً، والثاني إلى أن يبقى لانتصاف اللّيل مقدار أداء العشاء؛ والأوّل للعشاء الفراغ من المغرب ولو تقديراً إلى ثلث اللّيل، والثاني إلى نصفه؛ والأوّل للصبح طلوع الفجر الثاني المتسيطر في الأفق إلى اسفرار الصبح والثاني إلى طلوع الشمس.

وظاهر عبارة الصدوق اشتراك تمام الوقت في كلّ من الظهرين والعشائين بين الصلاتين من غير اختصاص ولا يخلو من قوّة.

وقيل: أوّل أوّل العشاء ذهاب الشفق الغربيّ، وآخر آخرها ثلث اللّيل.

وقيل: آخر آخر المغرب ذهاب الشفق، وقيل: ربع اللّيل.

وقيل: يمتدُّ وقت العشائين إلى طلوع الفجر وحمل على المضطرّ.

وفي الفقيه، عن الصادق عليه السلام «أوّل الوقت رضوان الله وآخره عفو الله»[1].

وفي الكافي، بإسناده الصحيح عن بكر بن محمّد الأزدي، عن الصادق عليه السلام قال: «لفضل الوقت الأوّل على الأخير خيرٌ للرّجل من ولده وماله»[2].

وفي التهذيب، بإسناده الصحيح، عن سعد بن أبي خلف، عن الكاظم عليه السلام قال: «الصلوات المفروضات في أوّل وقتها، إذا أُقيم حدودها أطيب ريحاً من قضيب الآس حين يؤخذ من شجرة في طيبه وريحه وطراوته، فعليكم بالوقت الأوّل»[3].

وفي الصحيح، عن زرارة والفضيل، عن الباقر عليه السلام: قال: «إنَّ لكلّ صلاة وقتين غير المغرب، فإنَّ وقتها وجوبها ووقت فوتها غيبوبة الشفق»[4].

وحمل على تأكّد استحباب المبادرة بها جمعاً بين الأخبار، والضمير في

---

(١) المصدر ص ٥٨ تحت رقم ٥ وزاد فيه: «والعفوة لا يكون الا من ذنب».
(٢) المصدر ج٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٧ ومثله في الفقيه ص ٥٨.
(٣) المصدر ج١ ص ٢٤٥. ومثله في ثواب الاعمال للصدوق ٣٥.
(٤) الكافي ج٣ ص ٢٨٠ تحت رقم ٩ وفيه: «سقوط الشفق». والمراد بفوتها فوت فضيلتها.

وجوبها راجع إلى الشمس والوجوب: السقوط قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[١] والمراد به ههنا الغروب، ويستحبُّ التفريق بين كلّ من الطهرين والعشائين، وادّعى الشهيد معلوميّته من مذهب الإماميّة كمعلوميّة جواز الجمع، واستثنى المفيد ظهري الجمعة وحدّ بأن يؤتى بالثانية من انقضاء فضيلة الأولى؛ وقيل: بأن يؤتى بها بعد نافلتها وهو أظهر كما يستفاد من بعض الروايات مضافاً إلى إطلاق ما دلّ على فضيلة أول الوقت فالأوّل، نعم إن فرغ من نافلة المغرب ولّما يذهب الشفق انتظر ذهابه للعشاء، لكن لا يؤخّر العشاء إن أدرك الذهاب ولّما يتنفّل، والخبر المشعر بفضيلة تأخيرهاعنه ضعيف.

ووقت صلاة الجمعة الزّوال إلى أن يمضي مقدار الأذان والخطبة وركعتي الفرض وما يلزم ذلك من صعود المنبر ونزوله والدّعاء أمام الصلاة، فإذا مضى ذلك فقد فاتت ولزم أداؤها أربعاً بلا خطبة وهو ظاهر عبارة أبي الصلاح والجعفي، ويدلُّ عليه ما رواه في التهذيب، بإسناده الصحيح، عن الباقر عليه السلام قال: «إنّ من الأمور أموراً مضيّقة وأموراً موسّعة وإنّ الوقت وقتان والصلاة ممّا فيه السعة فربما عجّل رسول الله صلى الله عليه وآله وربما أخّر إلاّ صلاة الجمعة، فإنّ صلاة الجمعة من الأمر المضيّق، إنّما لها وقت واحد حين تزول الشمس»[٢]، والأكثر على امتداد وقته إلى أن يصير ظل كلّ شيء مثله ولا حجّة لهم يعتدُّ بها.

وقيل: يمتدُّ بامتداد الظهر التفاتاً إلى مقتضى البدليّة وأصالة البقاء فيحمل الرّواية على الأفضليّة ولا يخلو من قوّة وإن كان الأوّل أقوى لاستغنائه عن التأويل.

مسألة: يُعرف الزّوال بزيادة الظلّ بعد نقصه أو حدوثه بعد عدمه

---

(١) الحج: ٣٦. أي سقطت جنوبها إلى الأرض.

(٢) المصدر ج١ ص ٢٤٩ ومثله في الكافي ج٣ ص ٢٧٤ تحت رقم ٢.

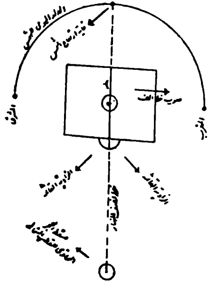
ويميل الشمس إلى الحاجب الأيمن لمن استقبل نقطة الجنوب ويميل الظل عن خطّ نصف النهار إلى جهة المشرق، ويُعرف الغروب باستتار القرص وغيبته عن النظر مع انتفاء الحائل كما يستفاد من صحاح الأخبار.

وقيل: بل بذهاب الحمرة المشرقيّة، وإليه ذهب الأكثر وهو أحوط لصلاة المغرب والإفطار، ويعرف انتصاف اللّيل بانحدارالنجوم الطالعة عند الغروب عن سمت الرأس وبمنازل القمر وقاعدة غروبه وطلوعه، ويعرف الفجر الأوّل بالضوء المستدق المستطيل الّذي يتوسط بينه وبين الأُفق ظلمة والفجر الثاني بازدياد ذلك الضوء بحيث يأخذ طولاً وعرضاً وينبسط في عرض الأُفق ويتصل به.

قال أبو حامد: «وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوّله إلاّ أن يتعلّم منازل القمر إذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدلّ بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإنَّ القمر يطلع مع الفجر ليلة ستّ وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر، هذا هو الغالب ويتطرّق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول، وتعلّم منازل القمر من المهمّات للمريد حتّى يطّلع به على مقادير الأوقات باللّيل وعلى الصبح».

قال: «والزوال يعرف بزيادة ظلّ الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة المشرق إذ يقع للشخص ظلّ عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع والظلُ ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن يبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظلّ فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظلّ في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة مدركة بالحسّ دخل وقت الظهر ويعلم قطعاً أنّ الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلاّ بما يدخل تحت الحسّ، والقدر الباقي من الظلّ الّذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف.

ومنتهى طوله بلوغ الشمس أوّل الجدي ومنتهى قصره بلوغها أوّل السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين من الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي باللّيل ويضع على الأرض لوحاً مربّعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهّمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثمّ توهّمت خطّاً من مسقط الحجر إلى الضلع الّذي يليه من اللّوح لقام الخطّ على الضلع على زاويتين قائمتين، أي لا يكونن الخطُّ مائلاً إلى أحد الضلعين ثمّ تنصب عموداً على اللّوح نصباً مستوياً في موضع علامة (.) وهو بإزاء القطب فيقع ظلّه في أوّل النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خطّ (الف) ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خطّ (ب) بحيث لو مدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي، غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع، فإذا انحرف الظلُّ عن الخطّ الّذي على اللّوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس، وهذا يدرك بالحسّ تحقيقاً في وقت هو قريب من أوّل الزوال في علم الله».



أقول: ولتعرُف ذلك طرق أُخرى بعضها أوضح وأسهل ممّا ذكره وقد أوردنا طرفاً منها في كتابنا المعتصم.

مسألة: لا يجوز التعويل على الظنّ في دخول الوقت مع التمكّن من العلم، ويجوز مع عدمه التعويل على الأمارات لو انكشف فساد ظنّه أعاد على الأصح.

وقيل: إن دخل الوقت وهو متلبّس بها ولو قبل التسليم لم يُعد وعليه الأكثر، ومن أدرك ركعة من آخر الوقت فقد أدرك الصلاة تامّة، فلو أدرك قبل الغروب أو الانتصاب مقدار خمس لزمته الفريضتان، وكذا لو أدرك قبل الانتصاف مقدار أربع على مذهب الصدوق، ولو اشتغل بالعصر أو العشاء أوّلاً فإن ذكر وهو في صلاته عدل بنيّته، وإن فرغ أجزأته إن لم تقع في الوقت المختصّ بالأُولى وعلى قول الصدوق أجزأته مطلقاً.

مسألة: يكره التنفّل بعد دخول وقت الفريضة سوى الرواتب في أوقاتها المخصوصة كما يأتي والأكثر على تحريمه، وكذا القول في التنفّل لمن عليه فريضة ويكره ابتداء النافلة بعد صلاتي الصبح والعصر حتّى تطلع الشمس وتغرب وعند قيامها في غير يوم الجمعة أمّا ما له سبب كالطواف والزيارة وتحيّة المسجد والاستسقاء فلا بأس كذا في المشهور وليس في الروايات قيد الابتداء ولا التنقّل بل مطلق الصلاة، نعم في الصحيح، عن الباقر عليه السلام قال: «أربع صلوات يصلّيهنّ الرّجل في كلّ ساعة، صلاة فاتتك فمتى ذكرتها أدّيتها، وصلاة ركعتي طواف الفريضة، وصلاة الكسوف، والصلاة على الميّت، هذه يصلّيهن الرجل في الساعات كلّها»[1].

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «خمس صلوات لا يترك على كلّ

(١) الكافي ج٣ ص ٢٨٨، والخصال ج١ ص ١١٨، والفقيه ص ١١٦.

حال: إذا طفت بالبيت، وإذا أردت أن تحرم، وصلاة الكسوف، وإذا نسيت فصلّ إذا ذكرت، والجنازة»[١].

قال أبو حامد: «في النهي عن أوقات الكراهية مهمّات ثلاثة:

أحدها: التوقّي عن مضاهاة عبدة الشمس.

والثاني: الاحتراز من انتشار الشياطين، إذ قال ﷺ: «إنّ الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها، فإذا ارتفعت فارقها، فإذا استوت قارنها، فإذا أزالت فارقها، فإذا تضيّفت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقها»[٢]، ونهى عن الصلاة في هذه الأوقات ونبّه على العلّة.

والثالث: أنّ سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الأوقات، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال، ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعث الدواعي، والإنسان حريص على ما منع منه، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريص وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصّصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذراً من الملال بالمداومة وتفرُّجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر، ففي الاستطراف والاستحداد لذّة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استثقال وملال، ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرّداً، ولا ركوعاً مجرّداً، ولا قياماً مجرّداً، بل رتّبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة، فإنّ القلب يدرك من كلّ عمل منها لذّة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملال، فإذا كانت هذه أُموراً مهمّة في النهي عن أوقات الكراهية إلى

---

(١) التهذيب ج١ ص ١٨٤، والكافي ج٣ ص ٢٨٧ تحت رقم ٢.

(٢) أخرجه النسائي ج١ ص ٢٧٥.

غير ذلك من أسرار أُخر، ليس في قوّة البشر الاطّلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمّات لا تترك إلاّ بأسباب مهمّة في الشرع مثل قضاء الصلوات، وصلاة الاستسقاء، والخسوف، وتحيّة المسجد، فأمّا ما ضعف منها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي».

أقول: ومن طريق الخاصة، ما رواه في الكافي[١] في الصحيح عن الباقر عليه السلام قال: «تصلّى على الجنازة في كلّ ساعة إنّها ليست بصلاة ركوع وسجود إنّما تكره الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها الّتي فيها الخشوع والرّكوع والسجود، لأنّها تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان[٢]».

---

(١) المجلد الثالث ص ١٨٠.

(٢) ذكر فيه وجوه: **أحدها**: أن الشيطان ينصب قائماً في وجه الشمس عند طلوعها لكون طلوعها بين قرينه فيكون مستقبلاً لمن يسجد للشمس فيصير عبادتهم له فنهوا عن الصلاة في ذلك الوقت مخالفة لعبدة الشمس.

وثانيهما: أن يراد بقرنيها حزباه اللذان يبعثهما لاغواء الناس، يقال: هؤلاء قرناى أي امتى ومتبعى.

وثالثهما: أنه من باب التمثيل شبه الشيطان فيما تسول لعبدة الشمس ويدعوهم إلى معاندة الحق بذوات القرون التي يعالج الاشياء ويدافعها بقرونها.

ورابعها: يراد بالقرن القوة من قولهم أنا مقرن له أي مطيق والمختار هو الوجه الاول لمعاضدة الروايات.

أقول: هذا البيان كان في هامش نسخة الكافي الطبع الحجري ونسبه إلى المجلسي - رحمه الله - ولكن ليس في مرآة العقول ولعله في البحار أو كان المجلسي الأول.

وفي المرآة قوله عليه السلام: «بين قرني الشيطان» قال في النهاية: فيه أن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان أي ناحيتى رأسه وجانبيه، وقيل: القرن: القوة أي حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون كالمعين لها. **وقيل**: بين قرينه أي امتيه الاولين والآخرين=

وفي رواية أُخرى، عن الصادق عليه السلام: «أنّ رجلاً قال له: إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان؟

قال: نعم إنّ إبليس اتّخذ عرشاً بين السماء والأرض فإذا طلعت الشمس وسجد في ذلك الوقت الناس قال إبليس لشياطينه: إنّ بني آدم يصلّون لي» رواه في الكافي[١].

وفي الفقيه[٢]، روي لي جماعة من مشائخنا، عن أبي الحسين محمّد بن جعفر الأسدي رضي الله عنهم، أنّه ورد عليه فيما ورد من جواب مسائله من محمّد بن عثمان العمري قدس سرّه، وأمّا ما سألت من الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها فلئن كان كما يقوله الناس إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان فما أرغم أنف الشيطان بشيء أفضل من الصلاة فصلّها وأرغم الشيطان».

مسألة: إذا صلّى مع النجاسة جاهلاً ولم يعلم بها حتّى خرج الوقت صحّت بلا خلاف بين أصحابنا، وإن علم بها في الأثناء فإن أمكنه نزعه مع الستر أو تبديله أو تطهيره استمرّ وإلاّ استأنف إلاّ إذا استيقن سبقها على الصلاة فيستأنف مطلقاً.

= وكل هذا تمثيل لمن يسجد للشمس عند طلوعها فكان الشيطان سول له ذلك فاذا سجد لها كان كأن الشيطان مقترن بها. انتهى. وقال النووى في شرح المسلم: أي حزبيه الذين يبعثها للاغواء وقيل: جانبي رأسه فإنه يدني رأسه إلى الشمس في هذين الوقتين ليكون الساجدون لها كالساجدين له ويخيل لنفسه ولأعوانه أنهم يسجدون له وحيتئد يكون له ولشيعته تسلط في تلبيس المصلين انتهى. هذا أخرما في المرآة ولشارح الخصال بالفارسية بيان لهذا الحديث طبع في آخر مجلده الثالث فمن أراد الاطلاع فليراجع هناك.

(١) المجلد الثالث ص ٢٨٩ تحت رقم ٨.

(٢) ص ١٣٢ تحت رقم ٥.

وقيل: بالتفصيل وإن استيقن السبق.

وقيل: يستأنف مطلقاً مع سعة الوقت وإن علم بها بعد الفراغ، فإن كان عالماً بها قبلها ولكنّه نسي فيجب عليه الإعادة مع بقاء الوقت دون خروجه.

وقيل: يعيد مطلقاً وعليه الأكثر.

وقيل: لا يعيد مطلقاً وإن لم يكن علمها فلا يعيد مطلقاً.

وقيل: يعيد مع بقاء الوقت، وما اخترناه هو الّذي يقتضيه الجمع بين أخبار الصحيحة، وما قالوا يقتضيه خصوص بعضها، وإن لم يمكنه التطهير صلّى فيه كما في الأخبار الصحيحة ويجوز نزعه الصلاة عرياناً قاعداً مومياً للخبرين المنجبر ضعفهما بالشهرة ولتعارض الستر والقيام واستيفاء الأفعال مع المانع، لكنّ الأولى الأوّل وفاقاً لابن الجنيد.

وقيل: بل يجب النزع حتماً وليس بشيء.

مسألة: من أحدث في الصلاة حدثاً بطلت صلاته وكذلك لو تكلّم، أو تقهقه، أو التفت فاحشاً، أو فعل فعلاً كثيراً خارجاً عنها مع تعمّد الجميع والفعل القليل غير مبطل وأن كره، وكذا الكثير مع السهو إذا لم تنمح معه صورة الصلاة فتبطل، والمرجع في القلّة والكثرة إلى العرف لعدم التحديد في الشرع، نعم كلُ ماورد في الأخبار المعتبرة جواز فعله فهو في حيّز القليل كقتل البرغوث والحيّة والعقرب والبقّة والنملة والذباب، وحمل الصبي الصغير وإرضاعه، والإشارة باليد والإيماء بالرأس ورفع القلنسوة من الأرض ووضعها على الرأس، ورمي الغير بالحصى طلباً لإقباله والتصفيق لذلك إلى غير ذلك.

وفي الصحاح المستفيضة[1]: لو أنّ رجلاً رعف في صلاته وكان عنده ماء أو من يشير إليه بماء فيناوله فمال برأسه فغسله فليبن على صلاته ولا يقطعها، وفي بعضها ينفتل ويغسل أنفه ويعود في صلاته وإن تكلّم فليعد صلاته وحمل على ما إذا لم يكثر فمحى صورة الصلاة جمعاً بينها وبين الصحيح الآخر بحمله على الماحي.

مسألة: من ترك ركناً من أركان الصلاة الخمسة عمداً أو سهواً بطلت صلاته إلاّ أن يتداركه قبل الدخول في الآخر وكذا إن زاده على المشهور، ولو شكّ فيه فإن كان محلّه باقياً أتى به وإلاّ فقد مضت صلاته، ومن سها عن غير الركن تداركه قبل الدخول في الركن ويمضي بعده ويقضيه إن كان سجوداً أو تشهّداً أو قنوتاً وإلاّ فلا، وإن شكّ فيه أتى به إن كان في محلّه ومضى إن دخل في فعل آخر ومن زاد ركعة فما زاد بطلت صلاته وإن كان سهواً وفيه قول آخر.

وإن نقص أتمّ ولو بعد الفراغ وفعل المنافي عند الصدوق للصحاح المستفيضة والأكثر على وجوب الإعادة إن كان المنافيّ ممّا يبطل الصلاة عمداً وسهواً كالحدث والفعل الكثير الماحي للصورة للأخبار المعتبرة ويمكن حملها على الإستحباب، وربما يخصُّ بغير الرباعيّات.

مسألة: من نسي سجدة واحدة أو التشهد الأوّل إلى أن يركع أو تكلّم في الصلاة ناسياً أو سلّم في غير موضعه أو شكّ بين الأربع والزيادة أو لم يدر زاد في صلاته أم نقص، أو لم يدر زاد ركوعاً أم نقصه، أو زاد سجدة أم نقصها وكان قد تجاوز محلّها، أو قام أو قعد في غير محلّهما سجد

---

(١) راجع وسائل الشيعة أبواب قواطع الصلاة الباب الثاني.

سجدتي السهو المسمّيتين بالمرغمتين لإرغامهما الشيطان.

وقيل: وفي كلّ زيادة ونقصان، ومحلّهما بعد التسليم كما في الصحاح المستفيضة[١].

وقيل: قبله للخبر

وقيل: إن كان للنقصان فقبل وإن كان للزيادة فبعد للآخر، وحملا على التقيّة وصورتهما في المشهور أن ينوي ثمّ يكبر ثمّ يسجد ثم يرفع رأسه ثمّ يسجد ثانية، ثمّ يرفع رأسه ويتشهّد شهداً خفيفاً ثمّ يسلّم يقول فيهما: «بسم الله وبالله اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد» أو «بسم الله وبالله السلام عليك أيّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته» والظاهر من الأخبار عدم وجوب ما عدا السجدتين.

مسألة: من شكّ في عدد الثنائيّة أو الثلاثيّة أو الأُوليين من الرباعيّة، أو لم يدر كم صلّى مطلقاً بطلت صلاته على المشهور وجوّز الصدوق البناء على الأقلّ أيضاً ولا يخلو من قوّة ولو ظنّ أحد الطرفين بني عليه، وكذا في كلّ فعل ولو شكّ فيما زاد على الاثنتين من الرباعيّة بنى على الأكثر وأتمّ ثمّ احتاط بما شكّ فيه على المشهور، وللصدوق قول آخر، والمحتاط بها إن كانت واحدة تخيّر بين ركعتين من جلوس أو واحدة من قيام، وإن كانت مردّدة بين الركعة والركعتين صلّى اثنتين من قيام وأُخريين من جلوس، ولا بدّ في صلاة الاحتياط من نيّة وإحرام وتشهّد وتسليم لأنّها منفردة.

مسألة: لا شكّ للمأمومين مع حفظ الإمام ولا له مع حفظهم ويجوز رجوع الظانّ منهما إلى المتيّقن، والشاكُّ إلى الظّان، ولا حكم للشكّ مع كثرته فلا يلتفت مطلقاً، بل يبني على وقوع المشكوك فيه وإن كان في محلّه،

(١) راجع الوسائل أبواب الخلل الواقع في الصلاة الباب الثاني والثلاثون.

ويستحبُّ لكثير السهو أن يطعن فخذه اليسرى بإصبعه اليمنى المسّبحة ثم يقول: «بسم الله وبالله وتوكّلت على الله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» فإنّه يزجره ويطرده كذا عن النبيّ ﷺ[١].

الوسوسة في نية الصلاة

مسألة: قال أبو حامد: «الوسوسة في نيّة الصلاة سببها خبل[٢] وفي العقل أو جهل بالشرع لأنّ امتثال أمر الله مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حقّ القصد، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضيلته متصلاً بدخوله مقبلاً على بوجهي سفّه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظّماً إلاّ إذا قام لشغل آخر أو في غفلة، واشتراط كون الصلاة ظهراً أداة فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الإقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيماً، فإنّه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدّة لم يكن معظّم، ثمّ هذه الصفات لا بدّ أن تكون معلومة وأن تكون مقصودة، ثمّ لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وأنّما يطول نظم الألفاظ الدالّة عليها إمّا تلفظاً باللّسان وإمّا تفكّراً بالقلب، فمن لم يفهم نيّة الصلاة على هذا الوجه فكأنّه لم يفهم النيّة فليس فيه إلاّ أنّك دعيت إلى أن تصلّي في وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فإنّ هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأمّلها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضادٌ للغروب وللغفلة، وإن لم يكن مفصّلاً فإنّ من علم الحادث

---

(١) رواه الكليني - رحمه الله - في المجلد الثالث من الكافي ص ٣٥٨ تحت رقم ٤.

(٢) الخبل - بالتحريك - نقصان في العقل وفساد فيه.

مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حال واحدة وهذا العلم يتضمّن علوماً هي حاضرة وإن لم تكن مفصّلة، وإنّ من علم الحادث فقد علم الموجود المعدوم، والتقدُّم والتأخّر والزمان. وأنّ التقدُّم للعدم وأنّ التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أنّ العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له: هل علمت التقدُّم قطُّ أو التأخّر أو العدم أو تقدُّم العدم أو تأخّر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدّم والمتأخّر؟ فقال: ما عرفته قطّ كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله: إنّي أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس، فإنّ الموسوس يكلّف نفسه أن يحضر في قلبه الظبريّة والأدائيّة والفرضيّة في حالة واحدة فيفصّلها بألفاظها وهو يطالعها وذلك محالٌ ولو كلّف نفسه ذلك في القيام لأجل العالم لتعذّر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس، وهو أن يعلم أنّ امتثال أمر الله في النيّة كامتثال أمر غيره ثمّ أزيد عليه على سبيل التسهيل والرّخصة.

وأقول: لو لم يفهم الموسوس النيّة إلاّ بإحضار هذه الأُمور مفصّلة ولم يتمثّل في نفسه الامتثال دفعة واحدة فأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوّله إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلاّ وقد حصلت النيّة كفاه ذلك ولا يكلّفه أن يقرن الجميع بأوّل التكبير أو آخره فإنّ ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النيّة فعدم وقوع ذلك دليل على أنّ الأمر على التساهل فكيف ما تيسّرت النيّة للموسوس ينبغي أن يقنع به حتّى يتعوّد ذلك ويفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإنّ التحقيق يزيد فيه.

وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلّقة بالنيّة يفتقر العلماء إلى معرفتها فأمّا العامل فربما يضرُّ سماعها ويهيّج عليه الوسواس فلذلك تركنا ذكرها».

الباب السابع

في سائر الصلوات

أسرار صلوات الفرائض

أقول: وهي عندنا قسمان من فرائض ونوافل:

القسم الاول: الفرائض وهي خمس:

الأولى: صلاة العيدين:

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل بن درّاج: «صلاة العيدين فريضة»[١].

ويشترط فيهما ما يشترط في الجمعة سوى الخطبتين فإنّ الأصحّ عدم اشتراطهما فيها لاستحبابهما، وعدم وجوب استماعهما وهما بعد الصلاة هنا وتقديمهما بدعة.

وكيفّيتهما مثل كيفيّة خطبتي الجمعة غير أنّ الإمام يذكر في خطبة الفطر ما يتعلّق بالفطرة من الشرائط والقدر والوقت وفي الأضحى ما يتعلّق بالأضحيّة، ومع اختلال الشرائط يستحبُ الإتيان بها فرادى في جواز الجماعة فيها حينئذ نظر والأحوط المنع.

---

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١.

ويستحبُ الإصحار[١] بها في غير مكّة ومباشرة الأرض والسجود عليها وأن يطعم قبل خروجه في الفطر وبعد عوده في الأضحى ممّا يضحّى به، وأن يخرج بعد الغسل متطيّباً غير العجائز فإنّهنّ يخرجن تفلات[٢]، لابساً أحسن ثيابه، ماشياً حافياً على سكينة ووقار، ذاكراً لله تعالى، داعياً بالمأثور، متعمّماً مترذياً وهما هنا آكد، ذاهباً من طريق، عائداً بآخر، وأن يقول المؤذن بأرفع صوته عند القيام إليها: الصلاة ثلاثاً.

ثمّ يصلّي الإمام بالناس ركعتين، يقرأ في الأولى: الشمس، وفي الثانية: الغاشية، وفي رواية، في الأولى: الأعلى، وفي الثانية: الشمس، فإذا فرغ من القراءة في الأولى كبّر ثم رفع يديه ويقول: «**اللّهم أهل الكبرياء والعظمة، وأهل الجود والجبروت، وأهل العفو والرّحمة، وأهل التقوى والمغفرة، أسألك بحقّ هذا اليوم الّذي جعلته للمسلمين عيداً ولمحمّد ﷺ ذخراً وكرامة ومزيداً أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تدخلني في كلّ خير أدخلت فيه محمّداً وآل محمّد، وأن تخرجني من كلّ سوء أخرجت منه محمّداً وآل محمد صلواتك عليه وعليهم، اللّهمّ إنّي أسألك خير ما سألك عبادك الصالحون وأعوذ بك ممّا استعاذ منه عبادك الصالحون**».

وإن أضاف إليه ما أورده في الفقيه[٣] من الزوائد فهو أفضل، ثمّ يكبّر ثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ويأتي بعد كلّ منها بالدُّعاء المذكور رافعاً يديه، ثمّ يكبّر للرُّكوع فيركع ويسجد سجدتين، ثمّ يقوم إلى الثانية ويصنع كما صنع في الاولى إلاّ إنّه يكبّر أربعاً عقيبها أربع قنوتات.

(١) الاصحار: الاجهار وكونها في الصحراء.
(٢) أي غير متطيبات.
(٣) ص ١٣٥ تحت رقم ٣٠ و٣٧.

وفي بعض الرّوايات[١]: أنّ التكبيرات والقنوتات قبل القراءة إليه ذهب جماعة وحمله آخرون على التقيّة لموافقته لمذهب العامّة.

فإذا فرغ من الصلاة، أتى بدعاء زين العابدين عليه السلام المذكور في الصحيفة الكاملة[٢].

وينبغي أن يكبّر في الفطر عقيب أربع صلوات أوّلها المغرب، وآخرها صلاة العيد يقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا» وفي الأضحى عقيب خمس عشرة أوّلها الظهر يوم النحر لمن كان بمنى وعقيب عشرة لغيره ويزيد على المذكور: «الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أولانا».

ويكره الخروج بالسلاح والتنفّل في ذلك اليوم إلى الزّوال إلاّ ركعتين في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة، والسفر بعد طلوع الفجر، أمّا بعد طلوع الشمس فحرام لاستلزامه الإخلال بالواجب.

وإذا اجتمع عيد وجمعة، تخيّر من صلّى العيد في حضور الجمعة وعدمه، كما ورد في الصحيح، عن الصادق عليه السلام، ورواه العامّة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٣]، وقيل: بل يجب الحضور، وقيل: يختصُّ التخيير بمن كان منزله بعيداً، والأوّل أصحُّ.

ويستحبُّ إحياء ليلتي العيدين بالصلاة والدعاء والذكر.

(١) راجع وسائل الشيعة باب كيفية صلاة العيدين.
(٢) الدعاء الثامن والاربعون.
(٣) راجع الفقيه ص ١٣٥ تحت رقم ٢٠، وسنن ابن ماجه تحت رقم ١٣١٠ وبعده.

فعن النبيّ ﷺ: «من أحيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم يموت القلوب»[١].

وعن عليّ عليه السلام: «أنّه كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال من السنة وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر»[٢].

قال الشهيد ـ رحمه الله ـ: تحصيل فضيلة الإحياء بمعظم اللّيل تنزيلاً لأكثر الشيء منزلته.

وعن ابن عبّاس: الإحياء أن تصلّي العشاء في الجماعة.

ويستحبُ الغسل ليلة الفطر والأُضحيّة يوم الأضحى أو بعده إلى يومين.

وقيل: بوجوبها، وفي الصحيح الأُضحيّة واجبة على من وجد من صغير أو كبير وهي سنّة[٣]، وفي رواية: «سئل فما ترى في العيال؟ قال: إن شئت فعلت وإن شئت لم تفعل فأمّا أنت فلا تدعه»[٤].

ومن لم يجد ينبغي أن يتصدّق بثمنها ويقول عند الذبح: «وجهّت وجهي للّذي فطر السماوات ـ إلى قوله ـ: وأنا من المسلمين، اللّهمّ منك ولك بسم الله والله أكبر، اللّهمّ تقبّل منّي» وإن أشرك فيها أحداً يقول: اللّهمّ

---

(١) ثواب الأعمال ص ٧٤.
(٢) قرب الاسناد ص ٢٦، ومصباح المتهجد ص ٤٥٠.
(٣) الفقيه ص ٢٧٣ تحت رقم ١ و٢.
(٤) المصدر نفسه.

هذا عنّي وعن فلان، روي «أنّ النبيّ ﷺ ضحّى بكبش وذبح بيده وقال: بسم الله والله أكبر هذا منّي ومن لم يضحّ من أُمّتي»[١].

ويأكل منها ويطعم إخوانه والفقراء ولابأس بادخار لحمها ولو بعد ثلاثة أيّام وتحريمه منسوخ.

أسرار صلاة العيد

قال بعض علمائنا: [٢] وأمّا العيد فأحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وإفاضة المواهب على من قبل صومه وقام بوظائفه، فأكثر من الخشوع في صلاتك والابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك، والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد، فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وإنّما هو عيد من أمن من الوعيد وسلم من النقاش والتهديد واستحقّ بصالح أعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف والتنظيف والتطييب وغيره من أسباب التهيّؤ للإقبال بالقلب على ربّك والوقوف بين يديه عسى أن تصلح المناجاة والخضوع لديه، فإنّه مع ذلك يوم شريفٌ، وزمانٌ منيف، يقبل فيه خير الأعمال، وتستجاب فيه الدعوات، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله،ولم يجعل عيداً بسببه من المأكل والمشرب واللّباس وغير ذلك من متاع الدنيا، وإنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه على من عامله بمتاجر الآخرة.

---

(١) وفي الفقيه: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين ذبح واحداً بيده فقال: اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أهل بيتي وذبح الاخر فقال: اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي».

(٢) أسرار الصلاة ص ٢٢٣.

أسرار صلاة الآيات

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل: «وصلاة الخسوف فريضة»[١] وتجب بكسوف أحد النيّرين والزلزلة والأصحُّ وجوبها للريح المظلمة وغيرها من أخاويف السماء المخوِّفة لعامّة الناس كما يستفاد من الصحاح، وقيل: بل يستحبُّ لذلك، وقيل: يجب للريح المخوِّفة والظلمة الشديدة خاصّة، ويشترط فيها زيادة على شرائط الصلوات العلم بالآية لاستحالة تكليف الغافل، نعم يجب القضاء في الكسوفين مع الاستيعاب إذا لم يعلم وهو فرض مستأنف وهي عشر ركعات وأربع سجدات يكبّر ويقرأ الحمد وسورة ثمّ يركع ثمّ يرفع رأسه ويقرأ الحمد وسورة وهكذا إلى خمس مرّات، ثمّ يسجد سجدتين، ثمّ يقوم ويفعل مثل ذلك، وإن شاء أن يفرّق سورة واحدة على كلّ من الخمس جاز، ولا يقرأ الحمد حينئذ إلاّ في الاولى والسادسة.

ويستحبُّ الغسل لها مع استيعاب القرص، أداء كانت أو قضاء، وأن يصلّي تحت السماء جماعة وأن يطيلها بقدر الآية وأن يكون سجوده بقدر ركوعه وقراءته وأن يعيدها إن فرغ قبل الإنجلاء أو يدعو حتّى ينجلي، وأن يقول عند الزلزلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١﴾[٢] ويدعو ويكبّر عند الرياح رافعاً بهما صوته.

قال بعض علمائنا[٣]: وأمّا الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة، ووجل الخلائق والتجاءهم

---

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١.

(٢) سورة فاطر: الآية، ٤١.

(٣) أسرار الصلاة ص ٢٢٣.

واجتماعهم في تلك العرصة وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستيصال، فأكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخشوع والخضوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة، والمسامحة على الهفوة والزلّة، وتب إلى الله من جميع ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس، مطرق الرأس، مستحي من التقصير، فيقبل توبتك ويسامح هفوتك، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة، ويحبُّ النفوس الخاشعة والأعناق الخاضعة والتململ من ثقل الأوزار والحذر من منقلب الاصرار.

أقول: روي في الفقيه[1]، عن سيّد العابدين عليه السلام أنّه قال في حديث له: «أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلاّ من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى وراجعوه».

قال: وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك وتعالى، تجريان بتقديره، وتنتهيان إلى أمره، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم»[2].

وانكسفت الشمس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصلّي بهم حتّى كان الرجل ينظر إلى الرجل قد ابتلّت قدمه من عرقه[3].

وسأل عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن الريح والظلمة تكون في السماء والكسوف، فقال الصادق عليه السلام: «صلاتهما سواء»[4].

---

(١) ص ١٤١ تحت رقم ١.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤٦٣.
(٣) الفقيه ص ١٤٢ تحت رقم ٣ و٤ و٥.
(٤) نفس المصدر.

أسرار صلاة الآيات

قال الصادق عليه السلام في صحيح جميل: «وصلاة الخسوف فريضة»[١] وتجب بكسوف أحد النيّرين والزلزلة والأصحُّ وجوبها للريح المظلمة وغيرها من أخاويف السماء المخوّفة لعامّة الناس كما يستفاد من الصحاح، وقيل: بل يستحبُّ لذلك، وقيل: يجب للريح المخوّفة والظلمة الشديدة خاصّة، ويشترط فيها زيادة على شرائط الصلوات العلم بالآية لاستحالة تكليف الغافل، نعم يجب القضاء في الكسوفين مع الاستيعاب إذا لم يعلم وهو فرض مستأنف وهي عشر ركعات وأربع سجدات يكبّر ويقرأ الحمد وسورة ثمّ يركع ثمّ يرفع رأسه ويقرأ الحمد وسورة وهكذا إلى خمس مرّات، ثمّ يسجد سجدتين، ثمّ يقوم ويفعل مثل ذلك، وإن شاء أن يفرّق سورة واحدة على كلّ من الخمس جاز، ولا يقرأ الحمد حينئذ إلاّ في الاولى والسادسة.

ويستحبُّ الغسل لها مع استيعاب القرص، أداء كانت أو قضاء، وأن يصلّي تحت السماء جماعة وأن يطيلها بقدر الآية وأن يكون سجوده بقدر ركوعه وقراءته وأن يعيدها إن فرغ قبل الإنجلاء أو يدعو حتّى ينجلي، وأن يقول عند الزلزلة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[٢] ويدعو ويكبّر عند الرياح رافعاً بهما صوته.

قال بعض علمائنا[٣]: وأمّا الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة، ووجل الخلائق والتجاءهم

(١) الفقيه ص ١٣٣ تحت رقم ١.
(٢) سورة فاطر: الآية، ٤١.
(٣) أسرار الصلاة ص ٢٢٣.

واجتماعهم في تلك العرصة وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستيصال، فأكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخشوع والخضوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة، والمسامحة على الهفوة والزلّة، وتب إلى الله من جميع ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس، مطرق الرأس، مستحي من التقصير، فيقبل توبتك ويسامح هفوتك، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة، ويحبُّ النفوس الخاشعة والأعناق الخاضعة والتململ من ثقل الأوزار والحذر من منقلب الاصرار.

أقول: روي في الفقيه[1]، عن سيّد العابدين عليه السلام أنه قال في حديث له: «أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلاّ من كان من شيعتنا فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى وراجعوه».

قال: وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تبارك وتعالى، تجريان بتقديره، وتنتهيان إلى أمره، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد فإذا انكسف أحدهما فبادروا إلى مساجدكم»[2].

وانكسفت الشمس على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصلّي بهم حتّى كان الرجل ينظر إلى الرجل قد ابتلّت قدمه من عرقه[3].

وسأل عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن الريح والظلمة تكون في السماء والكسوف، فقال الصادق عليه السلام: «صلاتهما سواء»[4].

---

(١) ص ١٤١ تحت رقم ١.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤٦٣.
(٣) الفقيه ص ١٤٢ تحت رقم ٣ و٤ و٥.
(٤) نفس المصدر.

وفي العلل الّتي ذكرها الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام قال: «إنّما جعلت للكسوف صلاة لأنّه من آيات الله تعالى لا يدري الرحمة ظهرت أم العذاب، فأحبَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله أن يفزع أُمتّه إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عزّ وجلّ»[١].

أسرار
صلاة الطواف

وهي ركعتان بعده، واجبتان مع وجوبه مستحبّتان مع استحبابه، والقول باستحبابهما مطلقاً شاذّ، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٢] ويستحبُّ أن يقرأ فيهما بالتوحيد والجحد كما ورد في الأخبار[٣].

قال بعض علمائنا:[٤] وأمّا صلاة الطواف فاستحضر عندها جلالة البيت بجلالة ربّ البيت، واعلم أنّك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق والحاكم المحقّق فإنّه وإن كان في جميع أحوالك مطّلع على سريرتك محيط بباطنك وظاهرك، لكن الحال في ذلك المواطن أقوى والمراقبة فيه أتمّ وأولى، والغفلة ثمّة أصعب وأدهى، وأين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه وبين النائي عنه والبعيد منه، وإن كان علمه شاملاً للجميع ومحيطاً بالكلّ فليزد ذلك في خشوعك وإقبالك، وليحذر بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك، ومن ثمّة كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً

(١) نفس المصدر.
(٢) سورة البقرة: الآية، ١٢٥.
(٣) الكافي ج٤ ص ٤٢٣.
(٤) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص ٢٢٤.

والحسنة أيضاً فيها مضاعفة، وتفكّر فيمن سبق من الأنبياء المقرّبين والأولياء الصالحين فترى آثارهم وقربهم وما أورثهم عملهم وحبّهم من السعادة المخلّدة والنعمة المؤبّدة المجدّدة على مرّ الدُهور، المطّردة على كلّ العصور وتأسّ بهم في الأعمال وكمال الإقبال، وليكن ذلك ونظائره مقدّمة على الصلاة لا مقارنة، فإنّ وظيفة الصلاة هي الإقبال بها خاصّة، وترقّ من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج.

أسرار

صلاة الجنازة

وفرضها كفائيٌ يسقط عن جميع المطّلعين بفعل بعضهم وهي خمس تكبيرات بينهنّ أربع دعوات بعد النيّة والاستقبال، وجعل رأس الجنازة إلى يمين المصلّي في غير المأموم، ووضع الميّت مستلقياً بحيث لو اضطجع على يمينه كان بإزاء القبلة، بعد التغسيل والتكفين.

ويستحب فيها الطهارة ورفع اليدين في كلّ تكبيرة سيّما الأُولى، ووقوف الإمام عند وسط الرجل وصدر المرأة، ويتقدّم الرجل هنا ولوكان المأموم واحداً، وأن يؤمّ أولى الناس به أو يأمر من يحبُّ إلاّ أن يوصي الميّت ذلك لغيره، وأن يخلع نعليه ويقف بعد الفراغ حتّى ترفع الجنازة وأن يصلّي في المواضع المعتادة ليكثر المصلّون، ففي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «إذا مات الميّت فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا: «اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلاّ خيراً وأنت أعلم به منّا» قال الله تبارك وتعالى قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما أعلم ممّا لا تعلمون»[١].

(١) الكافي ج٣ ص ٢٥٤ تحت رقم ١٤.

ومن أدرك الإمام في الأثناء تابعه وأتمّ التكبيرات بعد فراغه متتابعاً كما ورد في الأخبار الصحيحة[١].

والأصحُ عدم تعيين لفظ في الدعاء لاختلاف الأخبار فيه، ولما ورد بأسناد حسن، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس فيها دعاءٌ موقّت تدعو بما بدا لك»[٢] خلافاً لجمع من المتأخّرين حيث أوجبوا الشهادتين عقيب الأُولى، والصلاة على النبيّ وآله عقيب الثانية، والدعاء للمؤمنين عقيب الثالثة، وللميّت عقيب الرابعة.

وبعض قدمائنا جعل الأفضل جمع الأذكار الأربعة عقيب كلّ تكبيرة وهو أقرب إلى الاحتياط والأخبار المعتبرة.

والأولى أن يعمل بصحيح أبي ولاّد، عن الصادق عليه السلام[٣] وهو: **«أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، اللّهمّ إنّ هذا المسجّى قدّامنا عبدك ابن عبدك وقد قبضت روحه إليك وقد احتاج إلى رحمتك، وأنت غنيٌ عن عذابه، اللّهمّ ولا نعلم من ظاهره إلاّ خيراً وأنت أعلم بسريرته، اللّهمّ إن كان محسناً فضاعف في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن إساءته»** يكرّره بين كلّ تكبيرتين.

وإن كان مستضعفاً يقول بعد الصلاة على النبي وآله والدعاء للمؤمنين: **«اللّهمّ اغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم»**.

وإن كان مجهولاً يقول: **«اللّهمّ هذه النفوس أنت أحييتها وأنت أمتّها**

---

(١) راجع الفقيه ص ٤٢ تحت رقم ٢٦.
(٢) الكافي ج٣ ص ١٨٥ تحت رقم ١.
(٣) الكافي ج٣ ص ١٨٤ تحت رقم ٣.

اللّهمّ ولّها ما تولّت وأحشرها مع من أحبّت».

وللطفل يقول: **«اللّهمّ اجعله لأبويه ولنا سلفاً وفرطاً وأجراً»**.

وإن كان جاحداً للحقّ يقول: **«اللّهمّ املأ جوفه ناراً وقبره ناراً وسلّط عليه الحيّات والعقارب»**.

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «مات رجل من المنافقين فخرج الحسين بن عليّ عليه السلام يمشي فلقى مولى له فقال له: إلى أين تذهب؟ فقال: أفرّ من جنازة هذا المنافق أن أُصلي عليه، فقال له الحسين عليه السلام: قم إلى جنبي فما سمعتني أقول فقل مثله قال: فرفع يديه فقال: **«اللّهمّ اخز عبدك في عبادك وبلادك، اللّهمّ أصله أشدّ نارك، اللّهمّ أذقه حرّ عذابك، فإنّه كان يوالي أعداءك ويعادي أولياءك ويبغض أهل بيت نبيّك»**[1].

أقول: ويقتصر حينئذ على أربع تكبيرات، هكذا جرت السنّة.

وتجوز الصلاة الواحدة على الجنائز المتعددة بلا خلاف وفي العكس أقوال.

والأخبار في فضل الصلاة على الجنازة وتشييعها وتربيعها كثيرة.

قال بعض علمائنا[2]: وأمّا الجنازة فأحضر عند مشاهدتها ووضعها بين يديك ما قد خلّفته من الأهل والأولاد وتركته من الأموال وقدمت على الله صفر اليد، لم يصحبها إلاّ الأعمال الصالحة وما تاجرته من أعمال الآخرة الرابحة، وتأمّل بهجته كيف ذهبت وجلدته كيف تحوّلت، وعن قريب يمحو التراب صورته، وتزيل الأرض بهجته، وما قد حصل له من يتم أولاده وترمّل

---

(١) الفقيه ص ٤٣ تحت رقم ٤٦، والكافي ج٣ ص ١٨٨ تحت رقم ٢.

(٢) يعني الشهيد في اسرار الصلاة ص ٢٢٥.

نسائه وتضيّع أمواله، وخلوّ مسجده ومجلسه وانقطاع آثاره، بعد طول أمله وكثرة حيلة وانخداعه بمؤاتاة الأسباب، وغفلته عن الدخول في هذا التراب، والقدوم على ما سطر عليه في الكتاب، وركونه إلى القوّة والشباب، واشتغاله عمّا بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وكيف كان يتردّد ويشيّع غيره من الأموال، والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد فسد لسانه، وكيف كان يضحك وقد تغيّرت أسنانه، وكيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلا عشر سنين وفي وقت لم يكن بينه وبين الموت إلاّ شهراً وأقلّ، وهو غافلٌ عمّا يراد به حتّى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فقرع سمعه نداء الجبّار إمّا بالجنّة أو النار، ولينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته وسيكون عاقبته كعاقبته فلينهض حينئذ إلى الاستعداد وليشتغل باكثار الزاد، فإنّ المسافة بعيدة، والعقبة كؤودٌ، والخطر شديدٌ، والندامة بعد الموت غير نافعة فهذا الفكر وأمثاله يحصّل قصر الأمل والاستعداد بصالح العمل، ومحلّه خارج الصلاة كما مرّ.

أسرار الصلاة التي أوجبها المكلف على نفسه

الصلاة الّتي أوجبها المكلّف على نفسه بنذر أو يمين أو عهد فإنّه يجب عليه الإيفاء بها حسبما شرطه كمّاً وكيفاً ومكاناً وزماناً ما لم يكن الشرط منافياً لحقيقة الصلاة ولو لم يكن له مزيّة ففي انعقاده قولان أصحّهما ذلك وفي الإجزاء بالإتيان بها بدونه وجهان قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[1]، وقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[3] إلى غير ذلك.

(١) سورة المائدة: الآية، ١.
(٢) سورة الدهر: الآية، ٧.
(٣) سورة النحل: الآية، ٩١.

قال بعض علمائنا: وأمّا صلاة النذر والعهد ونحوهما فليستشعر قبولها والرغبة في القيام بها والإهتمام بشأنها وفاء لعهد الله وامتثالاً لأمره ولا يرم بها توهّما أنّها ليست واجبة بالإصالة فقد لحقت بمثلها في العظمة والجلالة وليمثّل في نفسه أنّه لوعاهد ملكاً من ملوك الدنيا على عمل من الأعمال بحيث يكون فعله له بمرأى منه ومسمع كيف يكون إقباله على عمله واجتهاده في إصلاحه وإتقانه، وامتلاء قلبه منه ومراقبته لنظر الملك بمجرّد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد فلا يجعل نظر الله سبحانه دون نظر عبيده فإنّ ذلك عنوان النفاق وانموذج الشرك.

قال: وهكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها ويقوم بمرتبتها وأدبها ولا يقتصر على ما بيّناه من الوظائف بل يترقّى بنظره إلى ما يفتح الله عليه من المعارف فإنّ أبواب الفيض مفتوحة، وأنوار الجود هابطة مبذولة، واصلة إلى النفوس الإنسانيّة على قدر استعدادها.

القسم الثاني

النوافل وهي يومية وغير يومية

أسرار صلاة النوافل

أمّا اليوميّة فهي أربع وثلاثون ركعة في كلّ يوم وليلة ضعف الفرائض يكون معها إحدى وخمسين ركعة، وقد ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام: «أنّ علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، وتعفير الجبين، والتختّم باليمين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[١].

يصلّي ثمان إذا زالت، وثمان بعد الظهر، وأربع بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء تعدّان بواحدة، وثلاث عشرة ركعة بعد انتصاف اللّيل إلى الفجر الثاني، منها ركعتان نافلة الفجر وفي بعض الصحاح أقلّ من ذلك بإسقاط أربع الظهر وركعتين بعد المغرب واللّتين بعد العشاء، وحمل على ما يتأكّد فيه الاستحباب من ذلك.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «لا تصلّ أقلّ من أربع وأربعين ركعة»[٢]، يعني مع الفريضة.

وفي الصحيح، عن الباقر عليه السلام قال بعد عدّ النوافل: «إنّما هذا كلّه

---

(١) التهذيب ج٢ ص ١٧.

(٢) التهذيب ج١ ص ١٤٤.

تطوّع وليس بمفروض، إنّ تارك الفريضة كافر، وإنّ تارك هذا ليس بكافر ولكنّها معصية لأنه يستحبُّ إذا عمل الرجل عملاً من الخير أن يدوم عليه[1]».

والإيتان بالنوافل يقتضي تكميل ما نقص من الفرائض بترك الإقبال بها، ففي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «أنّ العبد ليرفع له من صلاته ثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له إلاّ ما أقبل منها بقلبه، وإنّما أُمروا بالنوافل ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة[2]».

والأخبار في فضل التهجّد، وصلاة اللّيل كثيرة.

ومن فاته صلاة اللّيل فقام قبل الفجر، فصلّى الوتر وسنّة الفجر كتبت له صلاة اللّيل كذا، في الصحيح عن الصادق عليه السلام[3].

والمراد بالوتر الركعات الثلاث والتسليم بعد أُولييها لا ينبغي تركه، وإن ضاق الوقت عن الخمس اقتصر على ركعتي الفجر، وإن تلبّس بأربع من صلاة اللّيل فطلع الفجر أتمّها، ويجوز الإيتان بجميعها أيضاً بعد الفجر أحياناً ولا تتّخذ ذلك عادة، وكلّما خاف ضيق الوقت خفّف بالاقتصار على الحمد.

ويستحبُّ الاستغفار في قنوت مفردة الوتر مائة مرّة أو سبعين وإطالة الدعاء والذكر فيه بالمأثور كما هو مذكور في مظانّه.

---

(١) التهذيب ج١ ص ١٣٥.
(٢) مر سابقاً وروى نحوه القاضي نعمان في دعائم الإسلام كما في المستدرك ج١ ص ١٧٧. وفي المحاسن ص ٢٩ أيضاً وكذا في التهذيب ج١ ص ٢٣٣.
(٣) التهذيب ج١ ص ٢٣٢ و٢٣٣.

وفي الفقيه[(١)]، «قال أبي - رضي الله عنه - في رسالته إليّ: اعلم يا بنيّ إنّ أفضل النوافل ركعتا الفجر، وبعدهما ركعة الوتر، وبعدها ركعتا الزوال، وبعدهما نوافل المغرب، وبعدها تمام صلاة اللّيل، وبعدها تمام نوافل النهار».

وفيه «قال الصادق عليه السلام: كلّما فاتك باللّيل فاقضه بالنهار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[(٢)] يعني أن يقضي الرجل ما فاته باللّيل بالنهار وما فاته بالنهار باللّيل، واقض ما فاتك من صلاة اللّيل أيّ وقت شئت من ليل أو نهار ما لم يكن وقت فريضة»[(٣)].

وقال الصادق عليه السلام: «قضاء صلاة اللّيل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمّد المخزون»[(٤)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالعبد يقضي صلاة اللّيل بالنهار فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أشهدكم أنّي قد غفرت له»[(٥)].

وروى بريد بن معاوية العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «أفضل قضاء صلاة اللّيل في الساعة الّتي فاتتك آخر اللّيل، وليس بأسٌ أن تقضيها

---

(١) ص ١٣ باب أفضل النوافل.
(٢) الفرقان: ٦٢.
(٣) الفقيه ص ١٣٢ رقم ١ و٦ و٧.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

بالنهار وقبل أن يزول الشمس» انتهى كلام الفقيه[١].

ويجوز تقديم صلاة اللّيل أوّل اللّيل في السفر وعند الضرورة إلاّ أنّ القضاء أفضل منه عند أهل البيت عليهم السلام.

ويزيد في رواتب يوم الجمعة أربع ركعات لأنّه نقص من فريضة ركعتين فيصلّى فيه عشرين ركعة، والأخبار في توزيعها مختلفة ففي بعضها ستّ ركعات ارتفاع النهار، وستّ ركعات قبل نصف النهار، وركعتين إذا زالت الشمس قبل الجمعة، وستّ ركعات بعد الجمعة. وفي بعضها غير ذلك، ومنها ما يدلّ على أزيد من ذلك، ومنها ما يدلّ على أقلّ، ومنها ما يدلّ على أنّه قبل الفريضة أفضل. وفي خبر أنّها بعدها أفضل و هو محمول على ما إذا لم يصلّها حتّى دخل وقت الفريضة والعمل بمضمون الكلّ حسن.

ويزيد في شهر رمضان على هذه الرواتب ألف ركعة على المشهور بين أصحابنا لأخبار مستفيضة بذلك وهي مختلفة في توظيفها وتوزيعها على اللّيالي وأنكره الصدوق رحمه الله ولو أخبار صحيحه[٢].

ولكلّ ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك وأخويه رجب شعبان صلاة خاصّة زيادة على الرواتب والألف مذكورة في مظانّها.

أسرار الصلاة الغير يومية

فمنها: صلاة تحيّة المسجد عند دخوله إذا لم يكن وقت صلاة فإن اشتغل بفرض أو قضاء أو راتبة تأدّى به التحيّة وحصل الفضل، إذ المقصود

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع الفقيه ص ١٨٦ باب الصلاة في شهر رمضان.

أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصّة بالمسجد قياماً لحقّه، ولهذا يكره دخوله على غير وضوء.

ومنها: صلاة الاستسقاء، وهي مستحبّة عند غور الأنهار، وفتور الأمطار استحباباً مؤكّداً، وهي ركعتان وخطبتان بعدهما على هيئة العيدين بعينها إلاّ أنه يذكر في قنوتاته وخطبته ما يناسب نزول المطر وأفضله المأثور عن أهل البيت عليهم السلام.

وفي الفقيه، كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا استسقى قال: «**اللّهمّ اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، واحي بلادك الميتة**»[1] يردّدها [ثلاث] مرّات.

ويستحبُ فيه الغسل وصيام الناس ثلاث أيّام، وخروجهم يوم الثالث، وكونه الاثنين وإلى الصحراء حفاة على سكينة ووقار بين أيديهم المؤذّنون وإخراجهم الشيوخ والأطفال والعجائز والبهائم معهم، وتفريقهم بين الأطفال وأُمّهاتهم ليكثر البكاء والعجيج ولمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وآله: «**لولا صبيان رضّع ومشايخ ركّع وبهائم رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً**»[2].

قيل: ولو خرج أهل الذّمّة متميّزين لم يمنعوا وإذا فرغ الإمام من الخطبتين أو كان في أثناء الثانية يقلّب رداءه فيجعل الّذي على يمينه على يساره وبالعكس تفألاً بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ يستقبل القبلة فيكبّر الله مائة تكبيرة ثمّ يلتفت إلى الناس عن يمينه فيسبّح الله مائة تسبيحة، ثمّ يلتفت إليهم عن يساره فيهلّل الله مائة تهليلة، ثمّ يستقبل الناس

---

(١) المصدر ص ١٣٩ رقم ١٥.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني عن مسافع الديلمي كما في الجامع الصغير باب اللام.

فيحمد الله مائة تحميدة، في كلّ ذلك يرفع صوته، ثمّ يرفع يديه فيدعو، ثمّ يدعون، ويكرّر والخروج لو تأخّرت الإجابة.

قال أبو حامد: «ولا بأس بالدّعاء إدبار الصلوات في الأيّام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدُّعاء آداب وشروط باطنة من التوبة وردّ المظالم».

ومنها صلاة جعفر بن أبي طالب ويسمّى بصلاة التسبيح، وصلاة الحبوة وهي من وكيد النوافل وشهيرها بين العامّة والخاصّة.

روى في التهذيب[1]، بإسناده الصحيح «عن بسطام، عن الصادق عليه السلام أنّه قال له رجل: جعلت فداك أيلتزم الرّجل أخاه؟ فقال: نعم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر أتاه الخبر أن جعفراً قد قدم فقال: والله ما أدري بأيّهما أنا أشدُّ سروراً بقدوم جعفراً أو فتح خيبر، قال: فلم يلبث أن جاء جعفر قال: فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله فالتزمه وقبّل ما بين عينيه قال: فقال له الرّجل: الأربع ركعات الّتي بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر جعفراً أن يصلّيها؟ فقال: لمّا قدم عليه قال له: يا جعفر ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك؟ قال: فتشرّف النّاس ورأوا أنّه يعطيه ذهباً أو فضّة، قال: بلى يا رسول الله، قال: صلّ أربع ركعات متى ما صلّيتهنّ غفر الله لك ما بينهنّ، إن استطعت كلّ يوم وإلاّ فكلّ يومين أو كلّ جمعة أو كلّ شهر أو كلّ سنة فإنّه يغفر لك ما بينهما، قال: كيف أصلّيها؟ قال: تفتتح الصلاة ثمّ تقرأ ثم يقول: خمس عشرة مرّة وأنت قائم: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر**» فإذا ركعت قلت ذلك عشراً، وإذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت فعشراً، وإذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت الثانية فعشراً، وإذا

(١) المجلد أول ص ٣٠٧ حسبما رقمناه.

رفعت رأسك فعشراً، فذلك خمس وسبعون تكون ثلاث مائة في أربع ركعات فهي ألف ومائتان».

وفي الصحيح «عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن الكاظم عليه السلام قال: قلت له: أيُّ شيء لمن صلّى صلاة جعفر؟ قال: لو كان عليه مثل رمل عالج وزبد البحر ذنوباً لغفرها الله له، قال: قلت: هذه لنا؟ قال: فلمن هي؟ إلاّ لكم خاصّة[1]».

وفي صحيح أبي حمزة الثمالي المرويّ في الفقيه[2]: «أنّ التسبيح قبل القراءة وأنّ صورته الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله، والأوّل أشهر وعليه الأكثر.

وفي الرّواية الأُولى: أنّه يقرأ فيها بالتوحيد والجحد.

وفي الثانية: أنّه يقرأ بالزلزلة والنصر والقدر والتوحيد.

وفي ثالثة: الزّلزلة والعاديات والنصر والتوحيد والكلُّ حسن.

وينبغي أن يقوم في آخر سجدة منها: **«يا من لبس العزّ والوقار[3]، يا من تعطّف بالمجد وتكرّم به، يا من لا ينبغي التسبيح إلاّ له، يا من أحصى كلّ شيء علمه، يا ذا النعمة والطول، يا ذا المنّ والفضل، يا ذا القدرة والكرم أسألك بمعاقد العزّ من عرشك وبمنتهى الرّحمة من كتابك وباسمك**

(١) الفقيه ص ١٤٥ رقم ٤ والتهذيب ج١ ص ٣٠٨.
(٢) المصدر ص ١٤ رقم ١.
(٣) هكذا في الفقيه وفي الكافي ج٣ ص ٤٦٧: «سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطف وهكذا إلى آخره بلفظ «سبحان».

الأعظم الأعلى وكلماتك التامّات أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تفعل بي كذا وكذا».

ويجوز أن يجعل هذه الصلاة من النوافل اليوميّة وقضائها لصحيحة ذريح، عن الصادق عليه السلام[1] «قال: إن شئت صلّ صلاة التسبيح باللّيل، وإن شئت في السفر، وإن شئت جعلتها من نوافلك، وإن شئت من قضاء صلاة» وأفضل أوقاتها يوم الجمعة صدر النهار كماورد عن صاحب الأمر عليه السلام، ويجوز تجريدها من التسبيح ثمّ قضاؤه بعدها وهو ذاهب في حوائجه لمن كان مستعجلاً كما ورد في رواية أبان، عن الصادق عليه السلام[2].

ومنها: صلاة الاستخارة، في الكافي[3] بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «صلّ ركعتين واستخر الله، فوالله ما استخار الله مسلم إلاّ خار له البتّة».

وبإسناده عن الباقر عليه السلام «قال: كان عليُّ بن الحسين عليه السلام إذا همّ بأمر حجّ أو عمرة أو بيع أو شراء أو عتق تطهّر، ثمّ صلّى ركعتي الاستخارة فقرأ فيهما بسورة الحشر وبسورة الرّحمن، ثمّ يقرأ المعوذّتين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ إذا فرغ وهو جالس ثم يقول: «**اللّهمّ إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فصلّ على محمّد وآل محمّد ويسّره لي على أحسن الوجوه وأجملها، اللّهمّ إن كان كذا وكذا شرّاً لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فصلّ على محمد وآله واصرفه عنّي، ربّ صلّ على**

(١) في الكافي ج٣ ص ٤٦٦، والفقيه ص ١٤٥ تحت رقم ٧.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣.
(٣) الكافي ج ٣ ص ٤٦٦ تحت رقم ٣.

محمّد وآله وأعزم لي على رشدي وإن كرهت ذلك أو أبته نفسي[١].

وبإسناده، عن مرازم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أراد أحدكم شيئاً فليصلّ ركعتين ثمّ ليحمد الله فليثن عليه وليصلّ على محمّد وأهل بيته ويقول: **«اللّهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسّره لي وأقدره وإن كان غير ذلك فاصرفه عنّي»** فسألته أيّ شيء أقرأ فيهما؟ فقال: أقرأ فيهما ما شئت وإن شئت قرأت فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[٢].

وبإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ربما أردت الأمر يفرق منّي فريقان أحدهما يأمرني والآخر ينهاني، قال: فقال: إذا كنت كذلك فصلّ ركعتين واستخر الله مائة مرّة ومرّة ثمّ انظر أجزم الأمرين لك فافعله فإنّ الخيرة فيه إن شاء الله ولتكن استخارتك في عافية فإنّه ربما خير للرجل في قطع يده وموت ولده وذهاب ماله»[٣].

وبإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت أمراً فخذ ستّ رقاع فاكتب في ثلاث منها: **«بسم الله الرّحمن الرّحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعل»**. وفي ثلاث منها: **«بسم الله الرّحمن الرّحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعل»**.

ثمّ ضعها تحت مصلاّك ثمّ صلّ ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرّة: **«أستخير الله برحمته خيرة في عافية»**.

---

(١) الكافي ج٣ ص ٤٧٠ تحت رقم ٢.
(٢) الكافي ج٣ ص ٤٧٢ تحت رقم ٦ و٧.
(٣) نفس المصدر.

ثمّ استو جالساً وقل: «**اللّهمّ خر لي واختر لي في جميع أُموري في يسر منك وعافية**».

ثمّ اضرب بيدك إلى الرقاع فشوّشها وأخرج واحدة، واحدة فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الّذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله، وإن خرجت واحدة افعل والأُخرى لا تفعل، فأخرج من الرقاع إلى خمس، فانظر أكثرها فاعمل به، ودع السادسة لا تحتاج إليها»(١).

ومنها الصلاة في طلب الرزق، روى في الكافي بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي ذو عيال وعليّ دين وقد اشتدّت حالي فعلّمني دعاء إذا دعوت الله به رزقني الله ما أقضي به ديني وأستعين به على عيالي.

فقال: يا عبد الله توضأ وأسبغ وضوءك ثمّ صلّ ركعتين تتمّ الرّكوع والسجود فيهما.

ثمّ قل: «**يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجّه إليك بمحمّد نبيك نبيّ الرّحمة يا محمّد يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربك وربّ كلّ شيء أن تصلّي على محمد وعلى أهل بيته وأسألك نفحة من نفحاتك وفتحاً يسيراً واسعاً ورزقاً ألمّ به شعثي وأقضي به ديني وأستعين به على عيالي**»(٢).

وعن الصادق عليه السلام: من جاع فليتوضأ وليصلّ ركعتين، ثمّ يقول: «**يا**

---

(١) الكافي ج٣ ص ٤٧٠ رقم ٣.

(٢) المصدر ج٣ ص ٤٧٣ رقم ٢ وقوله: «نفحة من نفحاتك» النفحة: فوح الطيب واللم: الجمع والشعث، محركة ـ: انتشار الامر والم الله شعثه قارب بين شتيت أموره.

ربّ إنّي جائع فأطعمني» فإنّه يطعم من ساعته[١].

ومنها صلاة الحوائج: روى في الكافي، عن عبد الرحيم القصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إنّي اخترعت دعاءً قال: دعني من اختراعك إذا نزل بك أمرٌ فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: كيف أصنع؟

قال: تغتسل وتصلّي ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة، وتشهد تشهّد الفريضة، فإذا فرغت من التشهّد وسلّمت قلت: **«اللّهم أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وبلّغ روح محمّد منّي السلام وأرواح الأئمّة الصادقين سلامي، واردد عليّ منهم السلام والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته، اللّهمّ إنّ هاتين الركعتين هديّة منّي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأثبتني عليهما ما أمّلت ورجوت فيك وفي رسولك يا وليّ المؤمنين»**.

ثمّ تخرُّ ساجداً وتقول: **«يا حيُّ يا قيّوم، يا حيّ لا يموت، يا حيُّ لا إله إلاّ أنت يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الرّاحمين»**، أربعين مرّة.

ثمّ ضع خدّك الأيمن فتقولها أربعين مرّة، ثمّ ضع خدّك الأيسر فتقولها أربعين مرّة، ثمّ ترفع رأسك وتمدُّ يدك فتقول أربعين مرّة، ثمّ تردُّ يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبّابتك وتقول ذلك أربعين مرّة، ثمّ خذ لحيتك بيدك اليسرى وابك أو تباك وقل: **«يا محمّد يا رسول الله أشكو إلى الله وإليك حاجتي وأشكو إلى أهل بيتك الراشدين حاجتي وبكم أتوجّه إلى الله في حاجتي»**.

(١) الكافي ج٣ ص ٤٧٥ تحت رقم ٦.

ثمّ تسجد وتقول: **«يا الله يا الله ـ حتّى ينقطع نفسك ـ صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا وكذا»**.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنا الضامن على الله تعالى أن لا يبرح حتّى يقضي حاجته»[1].

وفيه[2] عن مقاتل بن مقاتل، «قال: قلت للرضا عليه السلام: جعلت فداك علّمني دعاء لقضاء الحوائج، فقال: إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى مهمّة فاغتسل والبس أنظف ثيابك وشمّ شيئاً من الطيب، ثمّ ابرز تحت السماء فصلّ ركعتين تفتح الصلاة فتقرأ فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمس عشرة مرّة، ثمّ تركع فتقرأ خمس عشرة مرّة، ثمّ تتمّها على مثال صلاة التسبيح غير أنّ القراءة خمس عشرة مرّة، فإذا سلّمت فاقرأها خمس عشرة مرّة، ثمّ تسجد فتقول في سجودك: **«اللّهمّ إنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك فهو باطل سواك فإنك أنت الله الحقّ المبين اقض لي حاجة ـ كذا وكذا ـ الساعة الساعة»** وتلحّ فيما أردت.

وفيه[3]، عن الصادق عليه السلام قال: «من توضّأ فأحسن الوضوء وصلّى ركعتين فأتمّ ركوعهما وسجودهما ثمّ جلس فأثنى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ سأل حاجته فقد طلب الخير في مظانّه ومن طلب الخير في مظانّه لم يخب».

وفيه في الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت حاجة فصلّ ركعتين وصلّ على محمّد وآل محمّد وسل تعطه[4]».

---

(١) المصدر ج٣ ص ٤٧٦ رقم ١.
(٢) المصدر ج٣ ص ٤٧٧ تحت رقم ٣.
(٣) الكافي ج٣ ص ٤٧٨ تحت رقم ٥، وص ٤٧٩ تحت رقم ١٠.
(٤) نفس المصدر.

ومنها: صلاة من خاف مكروهاً في الكافي[١]، عن الصادق عليه السلام قال: «كان عليٌّ عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

وفيه[٣]، عن حريز، عنه عليه السلام قال: «اتّخذ مسجداً في بيتك فإذا خفت شيئاً فالبس ثوبين غليظين من أغلظ ثيابك وصلّ فيهما، ثمّ أجث على ركبتيك فاصرخ إلى الله وسله الجنّة وتعوّذ بالله من شرّ الّذي تخافه وإيّاك أن يسمع الله منك كلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك».

ومنها: صلاة الشكر، في الكافي[٤]، عن الصادق عليه السلام قال في صلاة الشكر: «إذا أنعم الله عليك بنعمة فصلّ ركعتين تقرأ في الأُولى: بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وتقرأ في الثانية: بفاتحة الكتاب و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾، وتقول في الركعة الأُولى في ركوعك وسجودك: «**الحمد لله شكراً شكراً وحمداً**»، وتقول في الركعة الثانية في ركوعك وسجودك: «**الحمد لله الّذي استجاب دعائي وأعطاني مسألتي**».

ومنها: صلاة من أراد سفراً في الكافي[٥]، عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما استخلف عبدٌ على أهله بخلافة أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفراً يقول: «**اللّهمّ إنّي أستودعك نفسي، وأهلي، ومالي،**

(١) المجلد الثالث ص ٤٨٠ تحت رقم ١.
(٢) البقرة: ٤٥.
(٣) المصدر ج٣ ص ٤٨٠ تحت رقم ٢.
(٤) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ١.
(٥) المجلد الثالث ص ٤٨٠.

ودیني، ودنياي، وآخرتي، وأمانتي، وخواتيم عملي إلاّ أعطاه الله ما سأل».

ومنها صلاة من أراد أن يتزوّج، أو يدخل بأهله، في الكافي[1]، عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إذا تزوّج أحدكم كيف يصنع؟ قلت لا أدري، قال: إذا همّ بذلك فليصلّ ركعتين يحمد الله ثمّ يقول: «اللّهمّ إنّي اريد أن أتزوّج فقدّر لي من النساء أعفهنّ فرجاً، وأحفظهنّ لي في نفسها وفي مالي، وأوسعهنّ رزقاً، وأعظمهنّ بركة، وقدّر لي ولداً طيّباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد مماتي».

وفي رواية أنّه يصلّي ركعتين عند دخوله عليها ويأمرها بذلك، ثمّ يمجّد الله ويصلّي على محمّد وآل محمّد، ثمّ يدعو الله ويأمر من معها أن يؤمّنوا على دعائه ويقول: «اللّهمّ ارزقني إلفها وودّها ورضاها أرضني بها ثمّ أجمع بيننا بأحسن اجتماع وأسرّ ايتلاف، فإنك تحبّ الحلال وتكره الحرام»[2].

ومنها: غير ذلك من الصلوات وهي كثيرة مذكورة في الكتب المصنّفة لذلك مع كيفيّاتها وآدابها وفيما ذكرناه كفاية هنا إن شاء الله وفي الخبر: «الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر ومن شاء استقلّ»[3].

هذا آخر الكلام في كتاب أسرار الصلاة ومهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، ويتلوه إن شاء الله كتاب الزكاة ومهمّاتها، والحمد لله

---

(١) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ٢.

(٢) المجلد الثالث ص ٤٨١ تحت رقم ٢.

(٣) رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات، عن الصادق عليه السلام كما في المستدرك ج١ ص ١٧٧، ورواه علي بن بابويه في كتاب الامامة والتبصرة كما في البحار.

أوّلاً وآخراً(١).

(١) في التسبيحات الأربعة التي تقرأ في الركعة الثالثة والرابعة من الصلاة وأسرارها وآدابها القلبية بالمقدار المناسب وهي متقومة بأركان أربعة

الركن الأول: في التسبيح

التسبيح هو التنزيه عن التوصيف بالتحميد والتهليل. وهو من المقامات الشاملة، والعبد السالك لا بد أن يتوجّه إليه في جميع العبادات ويحفظ قلبه عن دعوى التوصيف والثناء على الحق ولا يظنن أن في إمكان العبد القيام بحق العبودية فضلاً عن القيام بحق الربوبية الذي إنقطعت عنه أعين آمال الكمل وتقاصرت عن ذيله أيدي الأكابر من أصحاب المعرفة فلهذه الجهة قالوا إن كمال المعرفة لأهل المعارف عرفان عجزهم.

نعم حيث أن الرحمة الواسعة للحق جل وعلا شاملة لنا نحن العباد الضعاف فرخّص لنا نحن المساكين بالدخول إلى جناب خدمته بسعة رحمته. وتفضل بإجازة الورود في مثل هذا المقام المقدّس المنزّه الذي إنقصمت ظهور الكروبيين عن الدنّو منه. وهذا من أعظم التفضلات والأيادي للذات المقدسة لولي النعمة على عباده يعرف قدرته أهل المعرفة والأولياء الكمّل وأهل الله على قدر معرفتهم وأمّا نحن المحجوبين المتأخرين عن كل مقام ومنزلة والمحرومين المهجورين من كل كمال ومعرفة فعنه غافلون بالكلية. والأوامر الإلهية ـ وهي في الحقيقة أفضل النعم العظيمة غير المتناهية نحسبها من التكلف والكلفة ونقوم بها بالضجر والكسالة. ومن هذه الجهة حرمنا وحجبنا عن نورانيته بالكلية.

وليعلم أن التحميد والتهليل حيث إنهما متضمنان للتوحيد الفعلي وفيهما شائبة التحديد والتنقيص بل شائبة التشبيه والتخليط فيلزم العبد السالك أن يجعل نفسه في حصن التسبيح والتنزيه الحصين ليتهيأ للورود فيه ويفهّم باطن قلبه أن الحق جلّت عظمته منزّه عن التعينات الخلقية والتلبس بملابس الكثرات كي يتنزّه وروده في التحميد عن شائبة التكثير. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٥٩-٥٦٠].

الركن الثاني: التحميد

وهو مقام التوحيد الفعلي الذي يناسب حال القيام ويناسب القراءة أيضاً. فلهذا كانت هذه التسبيحات في الركعتين الأخيرتين قائمة مقام الحمد والمصلي مختار أن يقرأ الحمد مكانها.

ونستفيد التوحيد الفعلي كما ذكرنا في الحمد من حصر الحمد بالحق تعالى، وتقصر يد العبد عن المحامد بالكلية ونوصل إلى سامعة القلب: هو الأول والآخر والظاهر=

= والباطن، ونذيق ذائقة الروح حقيقة «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» ونضع رؤية النفس وحبها تحت قدمي السلوك كي نصل إلى مقام الحمد ونخلّص القلب من مشقة تحمل ثقل منّة الخلق. [الآداب المعنوية للصلاة].

الركن الثالث: التهليل وله مقامات

إحداهما: مقام نفي الألوهية الفعلية وهو عبارة أخرى عن لا مؤثر في الوجود إلا الله، وهذا يؤكد حصر الحمد بل يوجب الحصر ويسبب له، لأن مراتب الوجود الإمكانية ظلّ حقيقة وجود الحق جلت قدرته وربط محض وليس لشيء منها بوجه من الإستقلال والقيام بنفسه فلهذا لا يصح أن ينسب التأثير الايجادي إليها بوجه لأن اللازم في التأثير الإستقلال في الإيجاد والإستقلال في الإيجاد مستلزم للإستقلال في الوجود، وبعبارة أهل الذوق حقيقة الموجودات الظلّية ظهور قدرة الحق في المرائي الخلقيّة. ومعنى لا إله إلا الله مشاهدة فاعلية الحق وقدرته في الخلق ونفي التعينات الخلقيّة وإفناء مقام فاعلية الخلق في الحق وإفناء تأثيرهم فيه تعالى.

ومن مقامات التهليل: نفي المعبود غير الحق ولا إله إلا الله أي لا معبود سوى الله. وبناء على هذا مقام التهليل نتيجة لمقام التحميد لأنه إذا إنحصرت المحمدة في ذات الحق المقدسة فالعبودية أيضاً تنزل حملها في ذلك المقام المقدس وتنتفي جميع عبوديات الخلق للخلق وكلها لرؤية المحمدة ويكون هذا هو المعبود وتنكسر الأصنام بأجمعها.. وللتهليل مقامات أخر لا تناسب هذا المقام. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٦١].

الركن الرابع: التكبير

وهو أيضاً التكبير عن التوصيف، فكأن العبد في بدء وروده في التحميد والتهليل ينزّه عن التوصيف وبعد الفراغ منه أيضاً ينزهّه ويكبّره عن التوصيف حتى يكون تحميده وتهليله محفوفاً بالأعتراف بالتقصير والتذلل، ولعل التكبير في هذا المقام هو التكبير عن التحميد والتهليل لأن فيه شائبة الكثرة كما ذكر. ولعل في التسبيح تنزيهاً عن التكبير، وفي التكبير تكبيراً عن التنزيه لتسقط دعاوى العبد بالكلية ويتمكن في التوحيد الفعلي ويكون مقام القيام بالحق ملكة لقلبه ويخرج عن التلوين وتحصل له حالة التمكين.

والعبد السالك لا بد أن يحصّل لقلبه في هذه الأذكار الشريفة، وهي روح المعارف حالة=

= التبتّل والتضرّع والإنقطاع والتذلّل ويعطى لباطن القلب صورة الذكر بكثرة المداومة، ويمكّن في باطن القلب حقيقة الذكر حتى يكون القلب متلبّساً لباس الذكر وينزع عن نفسه لباسها وهو لباس البعد. فيصير القلب الهيا حقانياً وتتحقق فيه حقيقة الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ وروحها. [الأداب المعنوية للصلاة ص ٥٦١-٥٦٢].

في الآداب القلبية للقنوت

القنوت هو قطع اليد عن غير الحق

قال الامام الخميني: إعلم أن القنوت من المستحبات المؤكدة لا ينبغي تركه بل الأحوط الإتيان به لأن بعض الأصحاب قال بوجوبه، وظاهر بعض الروايات أيضاً الوجوب وإن كان الأقوى في الصناعة الفقهية عدم الوجوب كما هو المشهور بين العلماء الأعلام وهو على هذه الكيفية الخاصة المتعارفة بين الإمامية رضوان الله عليهم بمعنى أنه متقوم برفع اليد حذاء الوجه وبسط باطن الكفين نحو السماء والدعاء بالمأثور أو غير المأثور ويجوز الدعاء بكل لسان عربياً كان أو غير عربي والعربي أحوط وأفضل.

وقال الفقهاء: أفضل الأدعية فيه دعاء الفرج، ولم ير الكاتب دليلاً فقهياً معتداً به للأفضلية ولكن مضمون الدعاء دالّ على أفضليته التامة لأنه مشتمل على التهليل والتسبيح والتحميد وهي روح التوحيد كما ذكرنا.

وهو مشتمل أيضاً على الأسماء العظيمة الإلهية كالله والحليم والكريم والعليّ والعظيم والرب.

وهو أيضاً مشتمل على ذكر الركوع والسجود وهو مشتمل أيضاً على أسماء الذات والصفات والأفعال.

وهو مشتمل أيضاً على تجليات الحق جل وعلا، وهو مشتمل أيضاً على السلام على المرسلين، وإن كان الأحوط تركه ولكن الأقوى جوازه.

وهو مشتمل أيضاً على الصلاة على النبي وآله عليهم السلام. فكان هذا الدعاء بإختصاره مشتملاً على جميع الوظائف الذكرية للصلاة، ويمكن إثبات أفضليته. بقول الفقهاء رضوان الله عليهم، إما بالتسامح في أدلة السنن، وإن كان للكاتب فيه تأمّل وإمّا بالكشف عن دليل معتبر خفي عنّا كما هو مبنى الإجماع في نظر المتأخرين.

= ومن الأدعية الشريفة التي لها فضل عظيم. وهو مشتمل أيضاً على آداب مناجاة العبد الحق. ومشتمل على تعداد العطايا الكاملة الإلهية الذي يناسب حال القنوت وهو حال المناجاة والإنقطاع إلى الحق مناسبة تامة وبعض المشايخ العظام رحمة الله كان مواظباً ومداوماً عليه تقريباً، وهو دعاء: «يا من أظهر الجميل». وهو من كنوز العرش وتحفة الحق تعالى لرسول الله ولكل من فقراته فضائل وثواب كثير كما في توحيد الشيخ الصدوق رحمه الله.

ومع أن الصلاة جميعها إظهار للعبودية وثناء على الله فإن الذات المقدسة للحق جل وعلا فتح باب المناجاة والدعاء للعبد بالخصوص في حال القنوت وهو حال المناجاة والإنقطاع إلى الحق، وشرّفه بهذا التشريف، فالأفضل في أدب عبودية العبد السالك أيضاً أن يراعي أدب المقام المقدس الربوبي ويراقب أدعيته لتكون مشتملة على تسبيح الحق تعالى وتنزيهه، وتتضمن ذكر الحق وتذكّره ويكون ما يسأل الحق تعالى في هذه الحالة الشريفة من سنخ المعارف الإلهية وطلب فتح باب المناجاة والأنس والخلوة والإنقطاع إليه ويحترز عن سؤال الدنيا والأمور الخسيسة الحيوانية والشهوات النفسانية فيصيبه الخجل في محضر الأطهار ويصير بلا حرمة ووقار في محضر الأبرار.

أيها العزيز.. إن القنوت هو قطع اليد عن غير الحق والإقبال التام على عزّ الربوبية ومدّ يد السؤال خالية الكف إلى الغني المطلق والكلام عن البطن والفرج وذكر الدنيا في هذا الحال، حال الإنقطاع كمال النقصان وتمام الخسران.

أيا روحي.. حيث إنك الآن بعدت عن وطنك وهجرت مجاورة الأحرار وإبتليت بهذه الدار المظلمة ذات التعب والمحن الكثيرة فلا تنسج على نفسك كدود القزّ.

أيا عزيزي.. إن الله الرحمن قد خمّر فطرتك بنور المعرفة ونار العشق، وأيّدها بأنوار كالأنبياء وعشاق كالأولياء فلا تطفىء هذه النار بتراب الدنيا الدنيّة ورمادها، ولا تكدّر ذاك النور بكدورة التوجّه إلى الدنيا وظلمتها وهي دار الغربة، فإنك إذا توجّهت إلى الوطن الأصلي وطلبت الإنقطاع إلى الحق من الحق وعرضت عليه حالة هجرانك وحرمانك بقلب موجع وأظهرت حال مسكنتك وإضطرارك ووجعك فيدركك الإمداد الغيبي وتساعد مساعدة باطنية وتجبر النقائص إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضّل، وإذا قرأت في القنوت من فقرات المناجاة الشعبانية لإمام المتقين وأمير المؤمنين وأولاده=

= المعصومين عليهم السلام وهم أئمة المعارف والحقائق وخصوصاً قوله عليه السلام: «إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك..» إلى آخره.. ولكن تقرؤه بحال الإضطرار والتبتّل والتضرّع، لا بقلب ميّت كقلب الكاتب فهو أنسب لهذه الحال.

وبالجملة، مقام القنوت في نظر الكاتب كمقام السجود، فذاك توجّه وإقبال على ذلّ العبودية وتذكّر مقام عزّ الربوبية، وهذا إقبال على العز الربوبي وتذكر عجز العبودية وذلّها وهذا على حسب مقام المتوسطين، وأمّا على حسب مقام الكمّل فكما أن السجود مقام فناء العبد وترك الغير والغيرية، فالقنوت مقام الإنقطاع إلى الحق وترك الإعتماد على الغير وهو روح مقام التوكل.

وبالجملة، حيث إن القيام مقام التوحيد الأفعالي وهذا التوحيد يتمكن من الركعة الثانية ففي القنوت تظهر نتيجته فيقدم العبد كشكول السؤال إلى الحق وينقطع عن الخلق ويفرّ منهم. [الأداب المعنوية للصلاة ص ٥٦٣-٥٦٦].

في التعقيب

قال الامام الخميني: وهو من المستحبات المؤكدة ويكره تركه أيضاً، ويتأكد الإستحباب في الصبح والعصر، والتعقبات المأثورة كثيرة: منها التكبيرات الثلاثة الإختتامية والمشايخ العظام يواظبون بأن يرفعوا أيديهم في كل تكبيرة منها إلى حذاء الأذن ويبسطون باطن كفهم حذاء القبلة كالتكبيرات الإفتتاحية، وإثباتها مشكل، وإن أمكن إستفادة رفع اليد ثلاث مرات من بعض الروايات ولعله يكفي رفع اليد والتكبير ثلاثاً وقراءة دعاء «لا إله إلا الله وحده» إلى آخره..

وإذا كان رفع اليد مستحباً كما يواظب عليه المشايخ فهو تمكين للأسرار التي ذكرناها. ولعله إشارة إلى طرد صلاته وعباداته لئلا يتطرق العجب ورؤية النفس إلى قلبه. والتكبيرات الثلاثة لعلها إشارة إلى التكبير عن التوحيدات الثلاثة التي هي مقومة روح جميع الصلاة، فالأدب القلبي لهذه التكبيرات هو أن يطرد المصلي في كل رفع لليدين توحيداً من التوحيدات الثلاثة ويكبر وينزه الحق جل وعلا توصيفات نفسه وتوحيداته ويعرض عجزه وذلّته وقصوره وتقصيره في المحضر المقدّس للحق جل وعلا، ونحن ذكرنا في رسالة سرّ الصلاة الأسرار الروحية لهذه التكبيرات، وذكرنا رفع اليد على نحو لطيف في تلك الرسالة وهو من ألطاف الحق تعالى لهذا المسكين وله الشكر والحمد. =

= ومن جملة التعقيبات الشريفة، التسبيحات للصديقة الطاهرة سلام الله عليها التي علّمها رسول الله لتلك المعظمة وهي أفضل التعقيبات. وفي الحديث: «أنه لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام».

وعن أبي خالد القماط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم». والمعروف عند الأصحاب في ترتيبها التكبير أربعاً وثلاثين مرة والتحميد ثلاثاً وثلاثين مرة والتسبيح ثلاثاً وثلاثين مرة، ولا يبعد أن يكون هذا الترتيب أفضل لا المتعين، بل الإنسان مخير في التأخير والتقديم في التحميد والتسبيح، بل لعله مخير في تأخير التكبير وتقديم التسبيح أيضاً، ولكن الأفضل والأحوط هو الترتيب المشهور، وآدابها القلبية هي التي ذكرت في التسبيحات الأربعة والزائد عليها أن هذه الأذكار حيث أنها وردت بعد الصلاة والتسبيح فيها هو التكبير والتنزيه عن القيام بحق العبودية، وفي التكبير أيضاً تنزيه وتكبير عن اللياقة للعبادة لمحضر قدسه، وأيضاً تنزيه وتكبير عن المعرفة وهي غاية العبادة، فعلى العبد السالك أن يتفكر في تعقيب الصلاة في نقصه وعبادته وغفلانه في حال الحضور وهي بنفسها ذنب في مذهب العشق والمحبة ويتوجه إلى حرمانه من حظوظ الحضور والمحضر المقدس للحق ويجبره بالمقدار الميسور في التعقيبات التي هي فتح باب آخر للرحمة من الحق تبارك وتعالى، ويوصل هذه الأذكار الشريفة إلى القلب ويحيي بها قلبه فلعله تختم خاتمته بالحسن والسعادة.

وفي التحميدات لتسبيحات الصديقة عليها السلام ثبت هذه المحمدة - وهي القيام بالعبودية - يثبتها للهوية الالهية ويراها ويعدّها من تأييد الذات المقدسة وحولها وقوّتها ويوصل حقائق هذه الأمور إلى سر القلب ويذيق الفؤاد سر هذه اللطائف ليحيي القلوب بذكر الحق ويجد القلب الحياة الدائمة بالحق، وحيث أن الصبح إفتتاح الإشتغال بالكثرات والورود على الدنيا، والإنسان مواجه لمخاطرة الإشتغال بالخلق والغفلة عن الحق فينبغي للإنسان السالك اليقظان أن يتوسّل إلى الحق تعالى في ذلك الوقت الدقيق للورود في هذه الدار المظلمة وينقطع إلى حضرته، فإذا رأى نفسه غير وجيه في ذلك المحضر الشريف فيتوسل بأولياء الأمر وخفراء الزمان وشفعاء الإنس والجان يعني الرسول الخاتم والأئمة المعصومين عليهم السلام، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعاً وواسطة، وحيث إن لكل يوم=

= خفيراً ومجيراً فيتعلق يوم السبت بالوجود المبارك لرسول الله ، ويوم الأحد لأمير المؤمنين عليه السلام ويوم الإثنين للإمامين الهمامين السبطين عليهما السلام، ويوم الثلاثاء للحضرات السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، ويوم الأربعاء للحضرات الكاظم والرضا والتقيّ والنقيّ عليهم السلام، ويوم الخميس للعسكري عليه السلام، ويوم الجمعة لوليّ الأمر عجّل الله فرجه الشريف، فيناسب أن يتوسل بعد صلاة الصبح للورود في هذا البحر المهلك الظلماني والمصيدة المهيبة الشيطانية بخفراء ذلك اليوم ويسأل الحق تعالى رفع شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بشفاعتهم فإنهم مقربون لجناب القدس والمحارم لخلوة الانس ويجعلهم وسائط في الإتمام وقبول العبادات الناقصة والمناسك غير اللائقة، فالحق تعالى شأنه كما جعل محمداً وأهل بيته وسائط الهداية وعيّنهم الهداة لنا ونجّى الأمة ببركاتهم من الضلالة والجهل فيرمّم بشفاعتهم قصورنا ويتمم نقصنا ويقبل إطاعاتنا وعباداتنا غير اللائقة إنه وليّ الفضل والإنعام.
والتعقيبات المأثورة مذكورة في كتب الأدعية فلينتخب كل ما يناسب حاله ويتم هذا السفر الشريف بالخير والسعادة. [الآداب المعنوية للصلاة ص ٥٦٨-٥٧٠].

* * *

صلاة الليل

يحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطير إلى وكره

قال التبريزي في أسرا الصلاة: الأخبار في فضيلتها متواترة، سوى ما نزل فيها من الآيات. ولم يكن منها إلاّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ لكفى فسبحان الله ما أعظم شأنها وأجلّ خطرها، حيث جزائها المقام المحمود وأنا أكتفي من ذكر أخبار فضيلتها بهذه الجملة.
في كتاب السّير إلى الله.
وأشير ممّا ورد في خزى من إستخفّ بها وتركها، إلى ما رواه في البلد الأمين من قول الصّادق عليه السلام: ليس من شيعتنا من لم يصّل صلاة اللّيل، وإلى ما ورد عنه عليه السلام قوله عليه السلام: أبغض الخلق إلى الله جيفة باللّيل، وبطّال بالنّهار.
وما ورد عن النّبيّ قال: وما نام أحداً اللّيل كلّه إلا بال الشّيطان في أذنه، وجاء يوم القيامة مفلساً، وما من أحد ألاّ وله ملك يوقظه من نومه كلّ ليل مرّتين، يا عبد الله أقعد لتذكّر ربّك، ففي الثّلثة إن لم يتنبّه يبول الشّيطان في أذنه. =

= **أقول**: لا تكن كافراً بهذه الأخبار وآمن بها وإنّي أشهد الله:
إنّي أعرف من المتهجّدين من كان يسمع من يوقظه، ويناديه وقت تهجده في أوائل أمره، بلفظة آقا.
فيقوم لورده.
وإن كان لك قلب ربّما إستشعر بسائر ما ورد في إثراتها.
وبالجملة إن كنت مؤمناً بهذه الفضائل لصلاة اللّيل، لا تتركها، ولا تضيّعها قطعاً فإنّ الإنسان لحبّ الخير لشديد، أما سمعت قوله في الحديث القدسي: ويحنّون إلى غروب الشّمس، كما يحنّ الطّير إلى وكره وقت الغروب، فإنّ من آمن بصلاة اللّيل هذا الإنسان من يبذل في التّقرّب إلى سلاطين الدّنيا، وإشرافها، والخلوة معهم، ماله وأهله، بل يتنافس في ذلك ببذل روحه، وحياته.
والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، ولا تصغ إلى من يعتذر عن تركها بغلبة النّوم، وعدم الإنتباه، لأنّ هذا العذر مردود بوجوه:
منها: قول أمير المؤمنين عليه السلام لمن قال له: إنّي نمت البارحة من وردي قال: أنت رجل قيّدتك ذنوبك.
ومنها: أنّ النّوم عن مثل هذا الأمر العظيم غير ممكن، غالباً الا ترى هذا الخلق الطالبين إلى الدّنيا، لو دعى أحدهم سلطان زمانه إلى خلوته في جوف اللّيل، لا ينام عن وقت دعوته، بل لا ينام في أوّل الوقت أيضاً، ويشتغل بفكر مجلسه، وصحبته مع السلطان، وأنت إذا تأمّلت في أحوال نفسك، تقطع بأنّك إذا إستيقنت بأنّه يأتيك في جوف الليل من يعطيك ألف دينار، لا تقدر أن تنام من شوقك إلى هذا المال، ومن خوف فوته بنومك.
ومنها: أنّك قادر لا محالة على أن تنام عند من يوقظك، إلى أن تعتاد ذلك فلست بمعذور.
وبالجملة: النّوم عن مثل هذا الخبر خزي، لا يقاس به خزي في الدّنيا أبداً.
والنائمون عن صلاة الليل طوائف:
طائفة منهم يشتغلون أوّل الليل إلى قريب الإنتصاف في مجالسهم، بالخوض فيما لا يعنى، بل الخوض فيما ينهى عنه، بل الخوض بإغتياب المسلمين، ويل ويل، ويأكلون، ويشربون حتى إذا بلغت الحلقوم، ثمّ ينامون في أنعم فراش، وأروع مكان، وهذا النّائم=

= لا بدّ أن ينام من صلاة الليل، لأنّه من أوّل الليل إنّما هيّأ أسباب النّوم بإختياره، بل يمكن أن يقال أنّه لم ينم بعزم الإنتباه. بل ولا برجائه، لأنّ زيادة الأكل والشرب، يسير سبباً لبخار المعدة، وسكر الدّماغ، وذلك موجب لكثرة النّوم، والإستيقاظ في أوّل الليل من أسباب النّوم في آخره، وهكذا معصية أوّل الليل من أسباب النّوم في آخره، وهكذا الفراش النّاعم، والمكان المروح، يورث زيادة النّوم، وثقل الإنتباه، ومثل هذا الشّخص إذا إعتذر بعدم الإنتباه، فعذره مردود.

مثله من شرب دواء يزيل عقله في وقت الصلاة ثم إعتذر بأنّي لم أعقل وقت الصلاة.

نعم قد ينام من تهيّأ لا لإنتباه بالتخلّي من هذه الأسباب، بل بالتوسّل بما ورد في الأخبار في الإستيقاظ، والإنتباه لطفاً من الله اللّطيف عليه في سياسته أمر عبوديّته، حفظاً له من العجب، أو تعرضاً له بزيادة الأجر من كثرة أسف فوت التّهجّد، وقضاء لما فات عنه وزيادة، ولكن الّذي يستفاد من الاخبار، انّ ذلك لا يكون ألا قليلاً، ليلة او ليلتين.

أمّا من نام عنها لمرض، أو لعذر سماويّ، فهو ايضاً على وجهين:

أحدهما: من جهة اللّطف الإلهي كما مرّ، فإبتلاه بالمرض، أو غيره من الاعذار، ونومه بهذا الحال، والإبتلاء أفضل عنده من صلاته وتهجّده.

وقد ورد في الأخبار انّ لمثل هذا العبد، يكتب مثل الّذي كان يعمل سابقاً قبل إبتلائه به.

وفي بعضها: أنّ محرابه ومصلاّه وأبواب السّماء الّتي كان يرفع منها عمله، إنّما تبكي عليه.

وثانيهما: من باب الخزي والنّكال بسبب كثرة ذنوبه الّتي صارت سبباً لسلب توفيقه.

ثمّ إنّ النّاس من أتاه الخبيث من جهة اليمين، فغرّه بترك التجهّد بتخّيل إن إشتغاله بالمطالعة في العلوم أفضل، وربّما إشتغل من أوّل اللّيل إلى آخره، ونام عن فريضة الصّبح متخيّلاً إنّ مطالعته أفضل من صلوته، والأغلب في ذلك الإغترار.

لأنّ تحصيل العلوم، وإن كان أفضل بمراتب من العبادات البدنيّة، ولكن له شروط:

منها: كونه من العلوم النّافعة.

ومنها: كون التّحصيل على التّرتيب الشّرعي، ولا يكون على خلافه كتحصيل العلم الّذي وجوبه كفائي، وترك الّذي وجوبه عيني.

مثلاً: إذا أمكن للإنسان العلم بالمسائل بطريق التّقليد، والعلم بتزكية النّفس أيضاً بطريق=

= التقليد، أو الإجتهاد، ترك علم تزكية النفس رأساً، وإشتغل بتحصيل المسائل بطريق الإجتهاد، فإنّ ذلك غير جايز، وهكذا إذا فرغ من تحصيل العلوم اللاّزمة عيناً، وأراد الإشتغال بالعلوم الواجبة كفاية، فليكن ما يشتغل به من ذلك أهمّها، فإن إشتغل بغير الأهم، وترك الأهم، لا سيّما إذا كان ذلك الإختيار من جهة الميل النفساني، لا يكون ذلك عبادة لله، وأيضاً قد يشتغل الإنسان بعد ملاحظة هذه الوجوه في الأهم، وليكن أكثر إشتغاله من مقدّمات هذا الأهم في غير الأهم منها، بل في غير اللازم ممّا يعد عند العامّة من الفضائل.

ومنها: كون تحصيلها قربة إلى الله، وهذا من أشكل الشرائط، وأغمضها، فيها هلك من هلك.

وبالجملة: كون تحصيل العلوم مرضياً لله، وعبادة خالصة لله لا يوجد في الخارج إلا نادراً، وظنّي أنّه لا يوجد في مائة ألف واحد وكان بعض إخواني المحصلين من الأتقياء، يقول: أنا بعدما أمكنني أن أشرك الله جلّ جلاله في تحصيلي العلوم، فضلاً عن أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، ولعمري إنّ هذا حال أغلب المتّقين من المحصلين، وإن لم يشعروا به، وكيف لغير المتّقين الّذين لهم في تحصيل العلوم أغراض فاسدة، من التمكّن والإستيلاء بالعلوم على الحكم في الأموال، والأعراض، والنفوس بالاهواء، والعياذ بالله، والّلجاء إليه من هذه المهالك، ثم الإغترار، وخيال أنّ هذا التحصيل أفضل من التهجّد، وصلاة الليّل، كيف والمتقّون إنما يعالجون تصحيح نيّاتهم في تحصيل علومهم بصلاة الليّل، والتهجّد، والتضرّع في جوف الليّل، ولعمري إنّ هذا الطّريق في تصحيح النيّات الواجبة العينيّة لسدّ الّطرق، وإنّه العروة الوثقى الّتي لا إنفصام لها.

وحكى لي شيخي وسنادي في العلوم الحقّة، أنّه ما وصل أحد من طلابّ الآخرة إلى شيء من المقامات الدّينية، إلاّ من المتهجدين وظنيّ انيّ بعدما سمعته، منه وجدته في رواية ايضاً، هذا وما رويناه عن الصّادق عليه السلام من قوله عليه السلام: ليس من شيعتنا بل وفي غير هذه الرّواية، ليس منّا من لم يصل بصلاة الّليل، كاف في دفع هذه الوسوسة، ولقد أجاد شيخنا العلاّمة الأنصاري رحمه الله في جواب من سئله عن ترجيح المطالعة، وصلاة الّليل، قال في جوابه: يا هذا هل تشرب القرشة؟ قال نعم قال: صل صلاة الليل مكان قرشتين، هذا جواب متين فيه تعويض على فساد هذا التخيّل، وأنّه من الغرور بوجه مليح، فكأنّه=

= قال: إنك إذا كنت بهذا المثابة من المراقبة في الأحوال، والإخلاص في الأعمال، حتّى إستشكل عليك الأمر في صلوة اللّيل من جهة أنّها مرجوحة بالنّسبة إلى المطالعة، وتحصيل العلوم، كيف خفى عليك أنّك تشتغل بشرب القرشة الّتي إختلفت الأقوال في أنّه حرام، أو مكروه، أو مباح، كيف لاحظت المعارضة بين المندوبين من جهة ضيق الوقت عنهما معاً وأنت مشتغل بما هو حرام، أو مكروه، أو مباح، فيا لله من هذا الخطب الفظيع، أن يدلس الخبيث على العلماء، إنّ إشتغاله بمطالعة هذه العلوم المعلومة المرسومة، الّتى أغلبها لا يمكن تصحيح قصد لها شرعي بوجه من الوجوه الصّحيحة، أفضل من الإستغفار في الإسحار، والخلوة مع العزيز الغفّار، كيف والعلم الّذي لا يبعث الإنسان على التهجّد، هو علم لا نور فيه، ولا ثمرة له، ولا خير، والعلم على ما قاله الصّادق عليه السلام، ملازم مع الخشية، وصاحب الخشية لا يمكنه ترك التهجّد ويفزع إليها من خشيته.

وأيضاً المؤمن إنّما يرى صلاة اللّيل أزيد أثراً في تحصيل العلم من المطالعة وقد كان شيخنا رحمه الله أوصى لنا أن نلجىء إلى الله، ونتضرّع إليه عند تحيّرنا في المطالب العلميّة، وقد جرّ بنا ذلك والسرّ في كون التهجّد، والدّعاء من أسباب تحصيل العلم، إنّ العلم كما صرّح به في بعض الروايات، ليس بكثرة التعلّم، بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء، والتّهجّد إنّما ينوّر القلب، ويثبت النّور في قلب المؤمن، وهكذا المناجات في اللّيل، كما روى عن الصّادق عليه السلام أنّه إذا تخلّى العبد بسيّده في جوف اللّيل المظلم، وناجاه أثبت الله النّور في قلبه فإذا قال: يا ربّ يا ربّ ناداه الجليل جلّ جلاله: لبّيك عبدي سلني أعطك وتوكّل عليّ أكفك الحديث، وكيف كان من كان له تتبّع ما في أخبار أهل البيت عليهم السلام وأحوال السلف من مشائخنا العظام (رضي الله عنهم) لا يشكّ في أنّ صلوة اللّيل ليس ضد تحصيل العلم، بل من أسبابه القريبة القويّة، وكثيراً ما عرفنا من المحصّلين، من كان من المتهجّدين، وصار ذلك سبباً لإستقامة فهمه، وجودة ذهنه في الوصول إلى المطالب الحقّة في المسائل العلميّة، وإرتقى إلى المراتب العالية من العلم، بخلاف الطّالبين منهم المجدّين في مطالعة الكتب العلميّة، وقلّما خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة، نعم ربّما يوجد فيهم أيضاً مدقق مشكك، ولكن لا يكون محققاً، ولا يكون في علمه بركة كاملة، بل يقلّ خيره ونوره، ور يوفّق لفوائد العلم هذا. =

= وقد خرجنا في هذا المقام عمّا أردنا من الإيجاز لعقدة كان في قلبي من قديم الأيّام، عفى الله عن القول بالأهواء، وعن طغيان القلم.

ثمّ إنّ المؤمن لا بدّ أن يكون في أوّل يومه وأوّل ليله في فكر تهجّده وتهيّئة أسبابه بالنوم في النّهار، وأوّل اللّيل، وتهيّئة أسبابه من المكان المناسب، وكتب الدّعوات، وماء الوضوء والسّواك، والسّراج وقراءة آية: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ﴾.

أقول: هذا من المجرّبات عند المتهجّدين، وورد أيضاً عن النبيّ ﷺ: من أراد قيام اللّيل، وأعدّ مضجعه فليقل: اللّهم لا تؤمنيّ مكرك، ولا تنسني ذكرك، ولا تجعلني من الغافلين، أقوم ساعة كذا وكذا فإنّه يوكّل الله به ملكاً ينبّهه في تلك السّاعة.

وبالجملة: من جهة أن الحال في أوّل اللّيل، مؤثرة في توفيق آخر اللّيل، لا بدّ لطالب التهجد الجدّ في القيام على وظائف آداب النوم على مرضات الرّبّ تعالى، ليوفّقه على مرضاته في آداب القيام والتهجّد، ومن الوظائف المهمّة أن يحاسب نفسه عند نومه من أوّل قيامه في اللّيلة الماضية، إلى حاله الحاضر محاسبة كاملة، كما قرّر في محلّه، ثم ليعلم أن النّوم أخ الموت، وإنّ عند النّوم يقبض الله روحه، ويتوفّاه كما يتوفّى روح الميّت، ويذكر بل ويقرء قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فيأخذ عند النّوم عدّة الموت الصّغير، ويعلم أنّه إن لم يعد الله روحه إلى بدنه، فهو ميّت لا يقوم أبداً، وإن أعاده فبفضل جديد، فيقول عن قلبه ولسانه: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾، ويتذكّر إنّ النّائمين كلّهم يقولون ذلك، بلسان حالهم وكثيراً منهم يردّ عليه، بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وينام على طهارة وذكر، ويعمل بأهمّ ما ورد في هذا الحال، من الأدعية والإذكار مسلماً روحه، ونفسه وقلبه وقالبه، وأموره كلّها لله، ويقول بلسان حاله، روح إلى الله. [أسرار الصلاة للتبريزي ص ٢٨٨-٢٩٥].

أسرار الزكاة ومهماتها

أسرار الزكاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أفقر وأغنى، وأمات وأحيى، وأضحك وأبكى، وأوجد وأفنى، الّذي خلق الإنسان من نطفة تمنى، ثمّ تفرّد عن الخلق بوصف الغنى، ثمّ خصّص بعض عباده بالحسنى، فأفاض عليه من نعمه ما أيسر به واستغنى، وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى، إظهاراً للامتحان والابتلاء، ثمّ جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى، وبيّن أنّ بفضله تزكّى من عباده من تزكّى، ومن غناه زكّى ماله من زكّى، والصلاة على محمّد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله المعصومين وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى، وسلّم كثيراً.

أمّا بعد: فإنّ الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام وأردفها بذكر الصلاة الّتي هي أعلى الأعلام فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾[1].

وقال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة»[2] وشدّد الوعيد على المقصّرين فيها، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حقّ الزكاة.

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١١٠.

(٢) راجع الكافي ج٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام.

(٣) سورة التوبة: الآية، ٣٤.

وعن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «بشر الكانزين بكّي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكّي من قبل أقفائهم يخرج من جباههم» وفي رواية: «أنّه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفه[١]، ويوضع على نغض كتفه حتّى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل» وقال أبو ذرّ: «انتهيت إلى النبيّ ﷺ وهو جالس في ظلّ الكعبة فلمّا رآني قال: هم الأخسرون وربّ الكعبة، فقلت: من هم؟ قال: الأكثرون أموالاً إلاّ من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليلٌ ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدّي زكاتها إلاّ جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلّما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتّى يقضى بين الناس»[٢].

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه[٣]، بإسناده الصحيح عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلاّ حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر، وسلط عليه شجاعاً أقرع، يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل، ثمّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤]، وما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلاّ

---

(١) النغض ـ بفتح النون وضمها ـ اعلى الكتف وقيل: هو العظم الرقيق، وفي النهاية في حديث أبي ذر. «بشر الكنازين». والخبر في صحيح البخاري ج٢ ص ١٢٧ بادنى اختلاف في اللفظ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ج٣ ص٧٤، ونحوه النسائي في السنن ج٥ ص ١٠، وأيضاً البخاري ج٢ ص ١٤١ و ١٢٦ عن أبي هريرة.

(٣) ص ١٥١ تحت رقم ١.

(٤) سورة آل عمران: الآية، ١٨٠.

حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها، وتنهشه كلُّ ذي ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاته إلاّ طوّقه الله عز وجل ريعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة»[١].

وبإسناده الصحيح، عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يمنع درهماً من حقّ إلاّ أنفق اثنين في غير حقّه، وما من رجل يمنع حقّاً من مال إلاّ طوّقه الله عزّ وجل حيّة من نار يوم القيامة»[٢].

وبإسناده الصحيح، عن معروف بن خرّ بوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنّه لم يقم الصلاة»[٣].

---

(١) الريعة: واحدة الريع ـ بالكسر ـ: المرتفع من الأرض والجمع الريعان. والمراد ههنا أصل أرضه التي فيها الكرم والنخل والزراعة الواجبة فيها الزكاة أي يصير الأرض طوقاً في عنقه إلى يوم يحشر. وقد يقرأ في بعض النسخ [الربعة] بالباء الموحدة. وفي معاني الأخبار ص ٣٣٥ «ربقة أرضه» بالراء الموحدة والقاف. وقوله: «يحيد» من حاد يحيد حيداً وحيداناً عن الطريق مال وعدل. وقوله: «فقضمها» قضم الشيء: كسره باطراف أسنانه وأكله. والظلف من البقرة ونحوها بمنزلة الحافر من الفرس والقدم من الإنسان. والكرم ـ بفتح الكاف وسكون الراء ـ: العنب. وفي معاني الأخبار «قال الاصمعي: القاع: المكان المستوى ليس فيه ارتفاع ولا انخفاض، وقال أبو عبيد: وهو القيعة أيضاً، قال الله تعالى: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ وجمع قيعة قاع، قال الله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦﴾. والقرقر: المستوى أيضاً، ويروى: «بقاع قفر» ويروى: «بقاع قرق» وهو مثل القرقر في المعنى قال الشاعر:

كـان أيـديـهـن بـالـقـاع الـقـرق ... أيدي عذارى يتعاطين الورق. ا هـ

والشجاع ضرب من الحيات، والاقرع ما سقط شعر رأسه منها لكثرة سمه.

(٢) الفقيه ص ١٥٢ تحت رقم ٦.

(٣) الفقيه ص ١٥١ تحت رقم ٢.

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ فرض للفقراء من أموال الأغنياء ما يكتفون به، ولو علم أنّ الّذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم، وإنّما يؤتى الفقراء فيما أُوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة»(١).

وفي الصحيح، عنه عليه السلام قال: «إذا منعت الزكاة منعت الأرض وبركاتها»(٢).

قال أبو حامد: وإذا كان هذه التشديدات مخرجة في الصحيحين فصار من مهمّات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجليّة والخفيّة ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني من معرفتها مؤدّي الزكاة وقابضها، وينكشف ذلك في أربعة فصول:

الأوّل: في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها.

الثاني: في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة.

الثالث: في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه.

الرابع: في صدقة التطوّع وفضلها.

أقول: وأزيد خامساً في زكاة الجسد وأجعلها أبواباً لتقبل التفصيل بالفصول ولتوافق سائر الكتب.

(١) المصدر ص ١٥٠ الحديث الاول، وفي الكافي ج٣ ص ٤٩٦ مثله.
(٢) الكافي ج٣ ص ٥٠٥ تحت رقم ١٧.

في أنواع الزكوات وأسباب وجوبها

أقول: ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول وبالله التوفيق: الزكاة قسمان زكاة مال، وزكاة فطر، ولّما حرم الله الزكاة على بني هاشم لأنّها من أوساخ أيدي الناس فرض لهم الخمس في الغنائم الّتي لم يفرض فيها الزكاة إكراماً لهم وتعظيماً فههنا ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: زكاة المال وإنّما تجب على مالكه البالغ العاقل الحرّ المتمكّن من التصرّف في الذهب والفضّة المسكوكين، والإبل والبقر والغنم السائمة الغير العاملة والحنطة والشعير والتمر والزبيب المملوكة بالزراعة أو المنتقلة إليه قبل انعقاد الحبّ وبدء الصّلاح بشرط بلوغ كلّ من التسعة النصاب المعتبر فيه، وحؤول الحول على النصاب في الخمسة الأوّل كلُّ ذلك بإجماعنا والنصوص المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام، والقول بإشتراط الأنوثة في الأنعام شاذٌ، واشتراط وضع المؤن كلّها في الغلاّت كما هو المشهور لا دليل عليه يعتدُّ به بل يدفعه ظاهر الأخبار حيث استثنى فيها حصّة مقاسمة السلطان خاصّة.

ونقل في الخلاف على خلافه الإجماع إلاّ من عطاء، ويشهد له أيضاً وجوب العشر فيما المؤونة فيه أقلّ ونصفه فيما هي فيه أكثر، ولا تجب الزكاة في غير ما ذكر ولا بدون القيود والشروط المذكورة على الأصحّ المشهور بين أصحابنا لحصر الوجوب في الأجناس التسعة في الصحاح المستفيضة ولنفيه صريحاً فيما ظنّ فيه ممّا سوى ذلك في الأخبار المعتبرة.

وقيل بوجوبها في غلاّت الصبيّ والمجنون ومواشيهما لظاهر بعض الأخبار[١] وهو مأوّل، وأوجب في الخلاف ما يخرج يوم الحصاد والجداد

(١) كما في الكافي ج٣ ص ٥٤٢.

في الضغث بعد الضّغث والحفنة بعد الحفنة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[١] وحمل على الاستحباب، لما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «أنّ هذه من الصدقة»[٢].

وفي رواية: «ليس ذلك الزكاة ألا ترى أنّه تعالى قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قال السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ: وهذه نكتة منه عليه السلام مليحة لأنّ النهي عن السرف لا يكون إلاّ فيما ليس بمقدّر والزكاة مقدّر[٣].

وفي رواية أُخرى: «في الزرع حقّان: حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه.

أمّا الّذي تؤخذ به: فالعشر ونصف العشر.

وأمّا الّذي تعطيه: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ يعني من حضرك الشيء بعد الشيء ولا أعلمه إلاّ قال: الضغث ثمّ الضغث حتّى تفرغ»[٤].

وفي الفقيه، قال الصّادق عليه السلام: ولا تحصد باللّيل، ولا تصرم باللّيل، ولا تجدّ باللّيل، ولا تضحّ باللّيل، ولا تبذر باللّيل لأنّك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد، ومتى فعلت ذلك باللّيل لم يحضرك المساكين والسؤّال ولا القانع ولا المعتر»[٥].

---

(١) سورة الأنعام: الآية، ١٤١.

(٢) راجع الكافي ج٣ ص ٥٦٥ باب الحصاد والجداد والجداد: صرام النخل أي قطع ثمرتها.

(٣) الانتصار ص٤٣.

(٤) الكافي ج٣ ص ٥٦٤.

(٥) المصدر ص ١٥٩ تحت رقم ٣، والكافي ج٣ ص ٥٦٥ تحت رقم ٣.

ويستحبُّ الزكاة على المشهور في العلس والسلت وفي كلّ ما أنبت الأرض ممّا يكال أو يوزن عدا الخضر من بقل وقثّاء وبطّيخ ونحوها بشرط بلوغه النصاب وفي مال التجارة بشرط قيام رأس المال طول الحول وبلوغ قيمته نصاب أحد النقدين وإن كان للصبيّ أو المجنون إذا اتّجر لهما الولي وفيما فرّ به من الزكاة وما شكّ في بلوغه النصاب وما غاب سنتين فصاعداً بحيث لا يتمكّن من التصرُّف فيه فيزكّى لسنة، وفي أُناث الخيل السائمة بشرط الحول وفي مال التجارة إذا كان على النقيصة أحوال فيزكّي لسنة وفي نماء العقار المتّخذ له كالخان والحمام وشبههما وفي الحليّ المحرّم كالخلخال للرّجال والمنطقة للمرأة وكالأواني المتّخذة من الذّهب والفضّة، كلُّ ذلك منصوص عن أهل البيت عليهم السلام سوى الأخيرين، فلم أجد فيهما نصّاً وفيما سوى الأربعة الأجناس من الحبوب قول بالوجوب شاذٌ، وكذا في مال التجارة، والمستفاد من بعض الأخبار أنّهم عليهم السلام إنّما أفتوا فيهما بالزكاة تقيّة وعلى هذا فالاستحباب أيضاً غير ثابت، وزكاة القرض على المقترض إلاّ إذا أدّاه المقرض، والدَّين لا يمنع الزكاة سواء كان له وفاء من غيره أو لا، استوعبه النصاب أو لا، ولا يضمُّ مال غيره إلى ماله وإن اختلطا جدّاً ولا يفرّق بين ماليه وإن تباعدا جدّاً أو أدرك بعض الغلاّت قبل بعض ولا بين جنس واحد وإن اختلفت أفراده في النفاسة والرّداءة جداً أو في الصنف كالمعز والضأن والبقر والجاموس والعرابيّ والبخاتي ولا يجبر قصور جنس بآخر وإن اشتركا في كونهما ثمناً أو قوتاً أو نحو ذلك كلّ ذلك لإجماعنا وصحاحنا المستفيضة والخبر المخالف للأخير شاذٌ، والمرجع في السوم والعامليّة إلى العرف، وقيل بل يعتبر في السوم الأغلبيّة، وقيل الاستمرار طول الحول فلو علفها ولو يوماً استأنف الحول.

وحدُّ الحول دخول الشهر الثاني عشر بالنصّ والإجماع.

في النصاب والقدر

وأمّا النصاب والقدر فلا شيء فيما دون عشرين ديناراً وفيه نصف دينار، ثمّ في كلّ أربعة عُشر دينار، ولا فيما دون مائتي درهم وفيه خمسة، ثمّ في كلّ أربعين درهم، والضابط فيهما ربع العشر وفي الذّهب قول بالأربعين والدّينار أوّلاً شاذّ، والدّينار مثقال وهو قدر وثلاثة أسباع درهم، والدّرهم ستّة دوانيق والدانق قدر سبع حبّات من أوسط الشعير ولا شيء في المغشوشة، ما لم يعلم أنّ الصافي منها نصاب والأحوط استعلامه بالسبك أو نحوه.

وفي حكم النقدين مال التجارة قدراً ونصاباً وكذا نماء العقار، ولا شيء فيما دون خمس من الإبل وفيها شاة، ثمّ كلّما زادت خمس زادت شاة إلى ستّ وعشرين فبنت مخاض وهي ما دخلت في الثانية إلى ستّ وثلاثين فبنت لبون وهي ما دخلت في الثالثة إلى ستّ وأربعين فحقّة وهي ما دخلت في الرابعة إلى إحدى وستّين فجذعة ـ بفتح الجيم ـ وهي ما دخلت في الخامسة إلى ستّ وسبعين فبنتا لبون إلى إحدى وتسعين فحقتّان إلى مائة وإحدى وعشرين ففي كلّ خمسين حقّة وفي كلّ أربعين بنت لبون كذا في النصّوص المستفيضة وعليه علماؤنا كافّة سوى ابن أبي عقيل وابن الجنيد فإنهما أسقطا النصاب السادس وأوجبا بنت المخاض في خمس وعشرين إلى ستّ وثلاثين موافقاً للجمهور وهو شاذّ، ولا شيء فيما دون الثلاثين من البقرة وفيها تبيع حوليٌّ أو تبيعة وفي كلّ أربعين مسنّة بالنصّ والإجماع ـ والتبيع في اللّغة ما يكون في السنة الأُولى من ولد البقر وحوليّته ـ أي إكمال حوله ـ مستفاد من النصّ. والمسنّة شرعاً ما دخلت في الثالثة بلا خلاف ولم نقف في اللّغة على مدلولها ـ ، ولا شيء فيما دون أربعين من الغنم وفيها شاة إلى مائة وإحدى وعشرين فشاتان إلى مائتين وواحدة فثلاث بلا خلاف إلى ثلاثمائة وواحدة ففي كلّ مائة شاة وقيل فأربع إلى أربعمائة فصاعداً ففي كلّ مائة شاة، وخبر الاوّل أصحُ سنداً وأوضح متناً إلاّ أنّ الثاني أشهر وعليه الأكثر ولعلّه لموافقة الأوّل للعامّة.

وفي هذا المقام سؤال وجواب مشهوران[١] وفي عدّ السمينة المعدّة للأكل وفحل الضراب من النصاب خلاف، وفي الصحيح ليس في الأكيلة ولا في الرُبّى[٢] الّتي تربّى اثنين ولا شاة لبن ولا فحل الغنم صدقة ولا شيء فيما دون ثلاثمائة صاع من الغلاّت وفيها فصاعداً العشر إن سقيت من السّماء أو بجريان الماء أو بقربه منها بانجذاب العروق وإلاّ فنصف العشر بإجماع العلماء كافّة والصحاح المستفيضة والضابط عدم توقّف ترقية الماء إلى الأرض على آلة من دولاب ونحوه وتوقّفه على ذلك ومع تساوي السقين ثلاثة أرباع العشر وإلاّ فالأغلب. والصّاع يزيد على المن التبريزيّ بنصف عشر المن تقريباً، وفي كلّ عتيق من الخيل ديناران، وفي كلّ برزون دينار بالنصّ والإجماع.

في زكاة الفطرة

المطلب الثاني: زكاة الفطرة وإنما تجب على البالغ العاقل الحرّ الّذي يفي دخله بها وبخرجه الضروري، وضابطه على المشهور من يملك مؤونة سنة له ولعياله وفي الخلاف من يملك نصاباً أو قيمته، وقيل: عينه خاصّة، وقيل: من فضل له صاع عن قوت يومه.

---

(١) في هامش بعض النسخ «ملخص السؤال أنه إذا وجب في أربعمائة ما وجب في ثلاثمائة وواحدة فأي مدخل للزائد؟ والجواب أنه إذا تلف من الاربعمائة واحدة بعد الحول بلا تفريط نقص من الواجب جزء من مائة جزء شاة ولو كانت ناقصة عن الاربعمائة ولو واحدة وتلف شيء لم يسقط من الفريضة شيء ما دامت ثلاثمائة وواحدة وربما يناقش في عدم سقوط شيء من الفريضة في صورة النقص عن الاربعمائة لأن مقتضى الاشاعة توزيع التالف الحقين وإن كان الزائد على النصاب عفواً اذ لا منافاة بينهما ـ منه رحمه الله».

(٢) الربى ـ كحبلى ـ: الشاة إذا ولدت وإذا مات ولدها أيضاً وقال أبو زيد: الربى من المعز وقال غيره: من المعز والضأن جميعاً وربما جاء في الابل أيضاً. كما في الصحاح وغيره.

وفي الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنّه سئل عن رجل يأخذ الزكاة عليه صدقة الفطرة؟ قال: لا»[1]. وفي آخر: «ليس على من لا يجد ما يتصدّق به حرج».

وفي الموثّق عنه عليه السلام قال: «من لم يكن عنده من الفطرة إلاّ ما يؤدّي عن نفسه وحدها يعطي بعض عياله ثمّ يعطي الآخر عن نفسه يرددونها فيكون عنهم جميعاً فطرة واحدة»[2] وحمل على الاستحباب.

ويجب إخراجها عن نفسه، وعن جميع من يعوله ولو تبرُعاً، صغيراً كان أو كبيراً، حرّاً أو عبداً، مسلماً أو كافراً.

وفي الصحيح، عن عمر بن يزيد قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرّجل يكون عنده الضيف من أخوانه فيحضر يوم الفطر فيؤدّي عنه الفطرة؟ قال: نعم الفطرة واجبة على كلّ من يعول من ذكر أو أُنثى صغير أو كبير حرّ أو مملوك»[3].

وفي رواية أُخرى: «كلُ من ضممت إلى عيالك من حرّ أو مملوك فعليك أن تؤدّي الفطرة عنه»[4].

ومن استكمل له شرائط الوجوب ببلوغ أو زوال جنون أو غنى أو

(١) التهذيب ج١ ص ٣٦٩، والاستبصار ج٢ ص ٤٠، والخبر الاخر في التهذيب ج١ ص ٣٧٠، والاستبصار ج٢ ص ٤٢ رقم ١٣.
(٢) الكافي ج٤ ص ١٧٢، والتهذيب ج١ ص ٤٦٩، والفقيه ص ١٩٨ تحت رقم ٦.
(٣) الفقيه ص ١٩٨، والكافي ج٤ ص ١٧٣ تحت رقم ١٦.
(٤) الكافي ج٤ ص ١٧٠ تحت رقم ١، والتهذيب ج١ ص ٣٦٩.

حصول ولد له أو مملوك، فإن كان قبل مضيّ صلاة العيد أي الزّوال استحبّت وإلاّ سقطت.

وكلُّ من وجبت فطرته على غيره سقطت عن نفسه وإن كان لو انفرد وجبت عليه كالضيف الغني والزّوجة لقول النبيّ ﷺ: «الاثنى في صدقة»[١] وفي الضيف قول آخر.

وكلُّ من اقتات قوتاً فعليه أن يؤدّي فطرته من ذلك القوت كما يستفاد من الرّوايات[٢]، وقيل بانحصارها في الغلاّت الأربع الزكويّة، وأضاف إليها الآخرون الأرز والأقت واللّبن وتجزىء القيمة بلا خلاف، وقدرها صاع بالإجماع والصحاح المستفيضة.

اقسام الخمس

المطلب الثالث: الخمس وإنّما يجب في الغنائم وهي الفوائد فمنها ما غنم في الحربيّين[٣]، قلّ أو كثر واشتراط المفيد بلوغه عشرين ديناراً شاذٌّ، وفي حكمه مال البغاة عند الأكثر وفي ما يسرق أو يؤخذ غيلة[٤] قولان وقيل: إذا غزا قوم بغير إذن الإمام عليه السلام فغنيمتهم كلّها له للخبر[٥] وفيه ضعف وله معارضٌ أقوى.

---

(١) راجع مختلف الشيعة ج٢ ص ٢٥ و ٢٦ الاختلاف في المسألة والخبر منقول هناك.
(٢) راجع الفقيه ص ١٩٨ تحت رقم ٤، والتهذيب ج١ ص ٣٧٠، والاستبصار ج٢ ص ٤٢، والكافي ج٤ ص ١٧٣.
(٣) كذا ولعل الصواب «من» مكان «في».
(٤) الغيلة: الخديعة ويقال: قتله غيلة أي خدعه فذهب به إلى موضع فقتله.
(٥) الكافي ج٥ ص ٤٣ والتهذيب ج١ ص ٣٨٨.

ومنها: المعادن كلّها حتّى الملح والكبريت وفي مثل المغرة[١] وطين الغسل وحجارة الرّحى والجصّ والنورة إشكال لانتفاء النصّ الخاص والشكّ في إطلاق اسم المعدن عليها ويشترط فيها بلوغه عشرين ديناراً على الأصحّ للخبر الصّحيح[٢].

ومنها: الكنوز بشرط أن لا يكون للأرض مالك يعرفه فإنّه حينئذ لقطة وألحق به أكثر المتأخّرين كلّ ما وجد في دار الإسلام وعليه أثره وهو ضعيف. ويشترط فيه بلوغه نصاب الزكاة للخبر الصحيح[٣].

ومنها: ما يخرج بالغوص كاللّؤلؤ والمرجان والعنبر وفي اعتبار النصّاب فيه ثمّ في كونه ديناراً أو عشرين إشكال، والدينار مرويٌّ في الفقيه مرسلاً[٤].

ومنها: أرباح التجارات والصناعات والزّراعات على المشهود لعموم ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ وللنصوص المستفيضة بل المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام وفي بعضها: «حتّى الخياط يخيط قميصاً بخمسة دوانيق فلنا منه دانق إلاّ من أحللناه من شيعتنا لتطيب لهم به الولادة»[٥] وأضاف إليها بعضهم الميراث والهبة والهديّة والعسل الجبلي والمنّ والصمغ وشبهه، وحمله آخرون على الاستحباب وظاهر بعض قدمائنا العفو عن هذا النوع مطلقاً كما يظهر من الصحاح المستفيضة الّتي لا معارض لها كصحيح الحارث بن المغيرة النصري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: إنّ لنا أموالاً من غلاّت

(١) بالفتح والسكون وفتح الراء: الطين الاحمر.
(٢) التهذيب ج١ ص ٣٨٩، وله معارض رواه في ص ٣٨٤ و٣٨١ أيضاً.
(٣) رواه المفيد في المقنعة ص ٤٦.
(٤) ص ١٥٨ باب الخمس الخبر الاول.
(٥) راجع التهذيب ج١ ص ٣٨٤.

وتجارات ونحو ذلك، وقد علمت أنّ لك فيها حقّاً قال: فلم أحللناه إذاً لشيعتنا إلاّ لتطيب ولادتهم وكلُّ من والى آبائى فهم في حلّ ممّا في أيديهم من حقّنا فليبلّغ الشاهد الغائب»[١].

وفي الصحيح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «هلك الناس في بطونهم وفروجهم لأنّهم لا يؤدُّون إلينا حقّنا ألا وإنّ شيعتنا من ذلك وأبناءهم في حلّ»[٢].

وفي بعض الصحاح: «يحلُّ لهم ذلك إلى أن يقوم قائمنا»[٣] والأخبار كثيرة في هذا المعنى.

وقال ابن الجنيد: لا يصحُّ التحليل إلاّ لصاحب الحقّ في زمانه إذ لا يسوغ تحليل ما يملكه غيره وأجابه الشيخ المحقّق نجم الدّين الحلّي بأنّ الإمام لا يحلُّ إلاّ ما يعلم أنّ له الولاية في تحليله، نعم يتوجّه اختصاص العفو بحقّهم دون حقوق الأصناف الباقية إلاّ أن نقول باختصاص هذا النوع من الخمس كلّه بالإمام عليه السلام كما يأتي الكلام فيه.

متى يجب الخمس؟

وإنّما يجب الخمس بعد المؤونة الّتي يفتقر إليها إخراج الكنز والمعدن بلا خلاف لأنّها وصلة إلى تحصيله فكانت من الجميع كالشريكين وفي اعتبار النصاب بعدها أو قبلها وجهان، وفي الأرباح بعد مؤونة سنة له ولواجبي نفقته ومندوبيها، والنّذور والكفّارات ومأخوذ الظالم غصباً أو مصانعة،

(١) التهذيب ج١ ص ٣٩١.
(٢) التهذيب ج١ ص ٣٩١ في خبر طويل.
(٣) التهذيب ج١ ص ٣٩١.

والهديّة والصلة اللاّئقتين بحاله، ومؤونة الحجّ الواجب عام الاكتساب، وضروريات أسفار الطاعات، والتزويج ونحوه وكذا قاله أصحابنا.

وفي النصوص: «أنّ الخمس بعد المؤونة»[1] وفيه إجمال ولو كان له مال آخر لا خمس فيه ففي احتساب المؤونة منه أو من الكسب أو منهما بالنسبة أوجه، ولا مدخل للحول في شيء من الأنواع بلا خلاف، نعم يحتاط في الأرباح بالتأخير إلى كماله لاحتمال تجدُّد مؤونة.

---

(1) الفقيه ص ١٥٨.

الباب الثاني
في الأداء وشروطه وآدابه الباطنة والظاهرة

الشروط والآداب الظاهرة

أقول: وهي ستّة **الأوّل**: النيّة ـ وهي واجبة فيه بإجماع العلماء إلاّ الأوزاعي ـ مقارنة للدّفع أو متأخّرة عنه، أمّا التقدُّم فلا ولا بدّ فيها من التعيين والقربة وإن كان له مال غائب فقال: هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً وإلاّ فهو نافلة جاز لأنّه إن لم يصرّح به فكذلك يكون عند إطلاقه ولا يفتقر إلى تعيين الجنس الّذي يخرج منه بلا خلاف.

قال في المعتبر: والنيّة اعتقاد بالقلب، فإذا اعتقد عند دفعها أنّها زكاة تقرباً إلى الله كفى ذلك، وتجزىء نيّة الوكيل والولي عنه وفي نيّته عند دفعه إلى الوكيل قولان أصحّهما الإجزاء ونيّة السلطان تقوم مقام نيّة المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدُّنيا أعني في قطع المطالبة عنه أمّا في الآخرة فلا بل تبقى ذمّته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة.

الثاني: البدار به عقيب الحول وهو مستحبٌ على الأصحّ وقيل بوجوبه مع وجود المستحقّ ويدفعه ظاهر الأخبار المفيدة لجواز التأخير سيّما إذا قصدته البسط أو دفعها إلى الأفضل، نعم يضمن بالتأخير مع وجود المستحقّ لا بدونه، وينبغي عزلها فوراً وجد المستحقّ أو لم يجد، ولا ضمان حينئذ إلاّ بالتفريط ولا يجوز تقديمها إلاّ على سبيل القرض والإحتساب بعد الوقت مع بقاء الوجوب والاستحقاق، وقيل: بل يجوز تقديمها شهرين، وفي الفطر

تمام شهر رمضان والأوّل أصحّ لما روي في الحسن عن الصادق عليه السلام: «أنّه سئل يزكّي الرّجل ماله إذا امضى ثلث السنة؟ قال: لا أيصلّي الأُولى قبل الزّوال»[١] وفي جواز تأخيرها في الفطر عن الصلاة قولان والأكثر على العدم وقيل: يجوز تأخيره إلى الزوّال ويدخل وقت وجوبها فيه بغروب ليلة العيد وقيل: بل بطلوع فجره والأوّل أصحّ.

ووقت الوجوب في الغلّتين انعقاد الحبّ، وفي الثمرتين صيرورتهما حصرماً[٢] وتمراً وقيل: عنباً وتمراً وقيل: زبيباً وتمراً، أمّا الإخراج ففي الغلّتين التصفية، وفي الثمرتين الزبيبيّة والتمريّة بلا خلاف.

ويجوز الدفع على رؤوس الأشجار والخرص على أصحاب النخيل والكروم وتضمينهم حصّة الفقراء لفعل النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك، ولاحتياج أربابها إلى الأكل والتصرف.

الثالث: أن لا يدفع القيمة في الأنعام بدلاً عن الفرض إلاّ مع عدم الفرض وهو واجب عند المفيد خلافاً لآخرين فيجوّزون القيمة، وإن وجد الفرض وله الخيار في دفعه ما شاء مع تعدُّد ما هو بصفة الواجب وليس له أن يدفع المريضة ولا الهرمة ولا ذات عوار بلا خلاف وإن انحصر السنّ الواجب فيها إلاّ أن يشاء المصدّق إلاّ أن يكون كلّه كذلك فلم يكلّف شراء الصحيح.

ويجزىء ابن لبون عن بنت مخاض مع فقدها بلا خلاف، فمع فقدهما تخيّر في ابتياع أيّهما شاء وإن كان شراء بنت المخاض مع الإمكان أولى، ومن ليس عنده ما وجب عليه دفع الأخفض بسنة مع شاتين أو عشرين درهماً أو أعلى بسنة وأخذ ذلك بالنصّ والإجماع ولا يجزىء هذا في ما عدا الإبل

(١) الكافي ج٣ ص ٥٢٤ تحت رقم ٩.
(٢) الحصرم ـ بالكسر ـ اول العنب ما دام أخضر.

والواجب في الشاة المسمّى، وقيل: بل يجب جذع من الضأن أو ثنيّ من المعز وهو أحوط.

والجذع في اللّغة ما بلغ ستّة أشهر والثنيّ فيها ما دخل في الثالثة من فسرّه من متأخّرينا بما دخل في الثانية فلعلّ مستنده العرف ودفع القيمة في النقدين وافغلات مجزىء عندنا بالنص والإجماع وكذا في الفطر والأفضل فيه دفع التمر لأنّه أقرب إلى الأكل وفي الصحيح: «لأن أُعطي صاعاً من تمر أحبُّ إليّ من أن أُعطي صاعاً من ذهب[1]».

والأصحّ تعلّق الماليّة بالعين وإن جاز العدول إلى القيمة تسهيلاً للمالك.

الرابع: أن لا ينقلها إلى بلد آخر سيّما في الفطر، فإنّ أعين المساكين في كلّ بلد تمتدُّ إلى أموالها وفي النقل تخييب للظنون وهذا ليس بواجب على الأصحّ لو ورد جواز النقل في الصحاح[2] وإن وجد المستحقُّ في البلد خلافاً للخلاف وجماعة مع وجود المستحقّ لأنّ فيه نوع خطر وتغرير بها وتعرض لإتلافها وأُجيب بأنه مندفع بالضمان فإنّه يضمن بنقلها حينئذ بلا خلاف أمّا الإجزاء فإجماعي ومع فقدان المستحقّ لا ضمان ولا إثم إلاّ مع التفريط قولاً واحداً.

الخامس: أن لا يعطى الفقير أقلّ ممّا يجب في النصاب الأوّل وأوجبه الأكثرون لما ورد في الصحيح: «لا يعطى أحدٌ من الزكاة أقلّ من خمسة دراهم وهو أقلُّ ما فرض الله عزّ وجلّ من الزكاة في أموال المسلمين، فلا تعطوا أحداً أقلّ من خمسة دراهم فصاعداً»[3] وفي معناه رواية أُخرى، وفي

---

(١) التهذيب ج١ ص ٣٧٢، والمقنعة ص ٤٠.

(٢) راجع الكافي ج٣ ص ٥٥٤، والفقيه ص ١٥٦، والتهذيب ج١ ص ٣٦١ و٣٦٢.

(٣) الكافي ج٣ ص ٥٤٨، والمقنعة ص ٤٠، والمحاسن ص ٣١٩، والتهذيب ج١ ص ٣٦٦.

رواية في الفطر: «لا تعط أحداً أقل من رأس»[1] واستحبّه الآخرون إلاّ أن يجتمع جماعة لا يتسّع لهم فالبسط أولى تعميماً للنفع ودفعاً لأذيّة المؤمن، وفي بعض الصحاح جواز إعطاء الدّرهم والثلاثة ولا حدّ للأكثر إجماعاً، وفي الصحيح: «أعطه من الزكاة حتّى تغنيه»[2] وفي الموثّق: «إذا أعطيته فأغنه»[3]، ولا يجب بسطها على الأصناف الثمانية عندنا، بل لوخصّ بها شخصاً واحداً من بعضها جاز بإجماعنا والصحاح المستفيضة ولا ينافيه الآية الشريفة[4] إذ اللاّم فيها للاختصاص لا الملك والتشريك، وفي الخمس قولان أحوطهما البسط لعقد النصّ فيه وأوجب المفيد المفاوتة بين الفقراء بحسب فقههم وديانتهم، وفي الأخبار ما يؤيّده، وفي الصحيح: «يفضّل الّذي لا يسأل على الّذي يسأل[5]».

السادس: أن يحملها إلى الإمام أو نائبه الخاصّ ومع الغيبة الفقيه المأمون لأنّهم أبصر بمواقعها[6]، وأوجب المفيد وجماعة ذلك في الماليّة وآخرون على استحبابه مطلقاً.

---

(١) التهذيب ج١ ص ٣٧٣ وقال المحقق في المعتبر ص ٢٩١: الرواية مرسلة فلا تقوى أن تكون حجة الاولى أن يحمل ذلك على الاستحباب تفصيلاً من خلاف الاصحاب ويدل على جواز الشركة ما رواه اسحاق بن المبارك [التهذيب ج١ ص ٣٧٣] قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن صدقة الفطر قلت: «أجعلها فضة واعطيها رجلاً واحد واثنين؟ قال: تفرقها أحب إلي» فأطلق استحباب التفرقة من غير تفصيل.

(٢) الكافي ج٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٤ باختلاف يسير في اللفظ.

(٣) الكافي ج٣ ص ٥٤٨ تحت رقم ٣ و٤.

(٤) ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

(٥) الكافي ج٣ ص ٥٥٠ تحت رقم ٣، والفقيه ص ١٥٧ تحت رقم ٥٦.

(٦) يعنى أبصر بمواقعها التي عينها الشارع.

دقايق الاداب الباطنة في الزكاة

اعلم أنّ على من يريد طريق الآخرة بزكاته وظائف: الأولى فهم وجوب الزكاة ومعناه، ووجه الامتحان فيها، وأنّها لِم جعلت من مباني الإسلام مع أنّها تصرُّف ماليٌ وليست من عبادات الأبدان وفيه ثلاثة معان:

الأوّل: أنّ التلفّظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحّد محبوبٌ سوى الواحد الفرد، فإنّ المحبّة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللّسان قليل الجدوى، وإنّما يمتحن درجة الحبّ بمفارقة المحبوبات، والأموال محبوبة عند الخلق لأنّها آلة تمتّعهم بالدُّنيا، وبسببها يأنسون بهذا العالم، وينفرون عن الموت مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الّذي هو مرموقهم[1] ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[2] وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله، والمسامحة بالمال أهون.

ولمّا فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس ثلاثة أقسام: فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده، ونزلوا عن جميع أموالهم، فلم يدّخروا ديناراً ولا درهماً وأبوا أن يتعرّضوا لوجوب الزكاة عليهم حتّى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة من مائتي درهم فقال له: أمّا على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأمّا نحن فيجب علينا بذل الجميع.

أقول: وأحسن منه ما قاله مولانا الصادق عليه السلام: «حين سأله رجل في

---

(١) رمق الشيء إذا أطال النظر إليه.

(٢) التوبة: ١١١. والمهجة: الدم أو دم القلب. و الروح.

كم تجب الزكاة من المال؟ فقال له: الزكاة الظاهرة: أم الباطنة تريد؟ فقال: أُريدهما جميعاً، قال:

أمّا الظاهرة: ففي كلّ ألف خمسة وعشرون.

وأمّا الباطنة: فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[1]، «وفي الكافي[2]، عن عبد الملك بن عمرو الأحول قال: «تلا أبو عبد الله هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[3] قال: فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال: هذا الإقتار الّذي ذكره الله في كتابه، ثمّ أخذ قبضة أُخرى فأرخى كفّه، ثمّ قال: هذا الإسراف، ثمّ أخذ قبضة أُخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها وقال: هذا القوام».

قال أبو حامد:

«**القسم الثاني**: درجتهم دون هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادّخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعّم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البرّ مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة، وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أنَّ في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد، قال الشعبي بعد أن قيل له: هل في المال حقٌّ سوى الزكاة؟! قال: نعم أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية[4]، واستدلّوا

(١) الكافي ج٣ ص ٥٠٠.
(٢) المصدر ج٤ ص ٥٤ تحت رقم ١.
(٣) الفرقان: ٦٧. والاقتار: التضييق، والقوام حالة الوسطى.
(٤) سورة البقرة: الآية، ١٧٧.

بقوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾[١]، وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حقّ المسلم على المسلم، ومعناه أنّه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة والّذي يصحّ في الفقه من هذا أنّه مهما ارهقت حاجة كان إزالتها فرض كفاية إذا لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال: ليس على الموسر إلاّ تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً فلا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه، ويحتمل أن يقال: يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الإقراض أي لا يجوز تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والإقراض نزول إلى الدّرجة الأخيرة من درجات العوام، وهي درجة.

القسم الثالث: الّذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه، وهو أقلّ المراتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبّهم للآخرة قال الله تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾[٢] يحفكم أي يستقص عليكم فكم بين عبد اشتري منه ماله ونفسه بأنّ له الجنّة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده ببذل الأموال».

أقول: وعن مولانا الصادق عليه السلام بإسناد حسن: «أنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن بها دمه وسمّي مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزّكاة؟ فقلت: أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال: سبحان الله أما تسمع الله

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٢٥٤.

(٢) سورة محمد: الآية، ٣٧ «فيحفكم» أي يجهدكم، ويطلب منكم جميع أموالكم أو يستقص كما في المتن.

تعالى يقول في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[(١)] قال: قلت: فماذا الحقُّ المعلوم الّذي علينا؟ قال: هو والله الشيء يعمله الرَّجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[(٢)] قال: هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعير، ومنه الزكاة، فقلت: إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعنا كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال: لا ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك، قال: قلت له: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[(٣)] قال: ليس من الزكاة، قلت: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[(٤)] قال: ليس من الزكاة، قلت له: قوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٥)] قال: ليس من الزكاة، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة»[(٦)].

وفي الفقيه[(٧)]، عنه عليه السلام قال: «إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله عزّ وجلّ، ولم يعطكموها لتكنزوها».

قال أبو حامد:

«المعنى الثاني: التطهير عن صفة البخل فإنّه من المهلكات قال صلى الله عليه وآله:

---

(١) سورة المعارج: الآيتان، ٢٤ و ٢٥.
(٢) سورة الماعون: الآية، ٧.
(٣) سورة الدهر: الآية، ٨.
(٤) سورة البقرة: الآية، ٢٧٤.
(٥) سورة البقرة: الآية، ٢٧١.
(٦) الكافي ج٣ ص ٤٩٩.
(٧) المصدر ص ١٦٢ تحت رقم ١٤.

«ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[١] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وسيأتي في ربع المهلكات[٣] وجه كونه مهلكاً وكيفيّة التفصّي عنه[٤] وإنّما تزول صفة البخل بأن يتعوّد بذل المال فحبُّ الشيء لا ينقطع إلاّ بقهر النفس على مفارقته حتّى يصير ذلك اعتياداً، فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنّما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

المعنى الثالث: شكر النعمة فإنّ لله على عبده نعمةً في نفسه وفي ماله، فالعبادات البدنيّة شكر لنعمة البدن والماليّة شكر لنعمة المال، وما أخسّ من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه ثمّ لا تسمح نفسه بأن يؤدّي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله.

أسرار وقت أداء الزكاة

الوظيفة الثانية في وقت الأداء: من آداب وقت الأداء عند ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال، وإيصالاً للسرور إلى قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوّقه عن الخيرات، وعلماً بأنّ في التأخير آفات مع ما يتعرّض العبد له من العصيان لو أخّر عن وقت الوجوب.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الأوسط عن أنس كما في الجامع الصغير، ورواه الصدوق في الخصال ج١ ص ٤٢.

(٢) سورة الحشر: الآية، ٩.

(٣) راجع المحجة البيضاء.

(٤) أي التخلص منه.

أقول: وليكن التقديم بالعزل أو على سبيل القرض لما قد عرفت من عدم إجزائه بدون ذلك:

قال: «ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن، فينبغي أن يغتنم فإنّ ذلك لمّة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمن فما أسرع تقلّبه، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لّمة عقيب كلّ لمّة للملك، فليغتنم الفرصة وليعيّن لزكاته إن كان يؤدّيها جميعاً شهراً معلوماً، وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته، وذلك كشهر رمضان فقد كان ﷺ أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً[(١)]، ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنّه أُنزل فيه القرآن، وذو الحجّة أيضاً من الشهور الكبيرة الفضل، فإنّه شهر حرام وفيه الحجُ الأكبر وفيه الأيّام المعلومات وهي العشر الأوّل، والأيّام المعدودات وهي أيّام التشريق، وأفضل أيّام رمضان العشر الأواخر، وأفضل أيّام ذي الحجّة العشر الأول[(٢)].

---

(١) البخاري ج٤ ص ٢٢٩.

إيتاء الزكاة ولاية أهل البيت (ع)

(٢) **قال العارف سعيد القمي**: إعلم أنّ الزكاة - في اللغة: النّماء والزيادة والقرب والصلاح والطهارة. سميّت بها الصّدقة الواجبة الشرعية:

لأنّها الموجب لزيادة الثواب حيث يكون بعشرة فصاعداً أو لزيادة المال ونمائه.

ولكونها مما يُقرّبُ بها إلى الله: بالإطاعة والإمتثال لأمره أو بالتخلّق بإسمه المعطي والمغني والجواد إلى غير ذلك من الأسماء المناسبة.

ولتطهيره المال من حقوق الله - ذي الجلال - ومن حقوق الآدميين وتطهير القلوب من أوساخ حبّ المال والميل إلى جمعه.

ولكونها ممّا يصلح بإعطائها شأنُ الفقير أو أموال الأغنياء لأنّ الله كلّف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة وحقيق على الله أن يمنع رحمته من منع حق الله.

= وإن فيه من أداء شكر نعم الله والطمع في الزيادة مع ما فيه من الرأفة والرحمة لأهل الضعف وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين.

وهو عظة لأهل الدنيا وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة والخوف من أن تصير الأغنياء أمثال الفقراء. ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً وأنّ الناس ما إفتقروا ولا إحتاجوا إلاّ بذنوب الأغنياء كذا ورد في الأخبار. وقد سبق وجه تأخير الزكاة عن الصلاة وتقديمها على سائر العبادات.

وأقول: ها هنا أنّه قد ورد في الخبر في تفسير دين القيّمة: إنّ الحنيفة هو الإسلام والإقرار برسالة سيد المرسلين ، وإقامة الصلاة هي الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه صلاة المؤمنين وبه يصلون إلى الله، وإيتاء الزكاة ولاية أهل البيت لأنّ الإنفاق الواجب هو الذي تحيى به القلوب وتنجو به الأرواح من العذاب وهو معرفة آل محمد الذي بمعرفتهم يحصّل الحياة الأبدية.

ثم إعلم أنّ الزكاة زكاتان: زكاة الأموال والأعيان، وزكاة الرؤوس والأبدان.

أما الثاني فقسمان: زكاة الفطر، وزكاة الأعضاء والقوى؛ والأولى تكون في النقدين والأنعام الثلاث والغلاّت الأربع، ففي الأوّلين رُبع العُشر لكن نصابها يختلف، وفي الثاني أيضاً ربع العشر: أما في الغَنَم فظاهر، وأما في البقر فلأنّ نصابه الأول وإن كان ثلاثين لكن الكمال والإستقرار على الأربعين، وأما في الإبل فلأنّه وإن كان النصاب الأول فيها خمسة لكن الظاهر أنها توازي الأربعين من الغنم ولهذا تكون فيها شاة؛ وفي الثوالث العُشر أو نصفه. ويظهر من ذلك كلّه أنّ بناء الزكاة إنّما هو على الكسر العُشري من بين الكسور النسبيّة وإنّ الأغلب فيها رُبع العُشر في ما سوى الغلاّت. [أسرار العبادات ص ٧١-٧٢].

مفاتيح أسرار الزكاة

ونحن نذكر في أسرارها بعون الله تعالى مفاتيح:

أحدهما: لسرّ إختصاص الكسر العشري من بين الكسور بالزكاة مطلقاً وإستقرار ذلك الكسر نفسه في الغلات. =

والثاني: سرّ إختصاص ربع العشر بما سوى الغلات.

= والثالث: بيان زكاة القوى والأعضاء وما يتعلق بها ومن الله المعونة في البدو والخاتمة:

المفتاح الأول: في بيان السر الذي إختصّت به نسبة العشر من بين النّسب بالزكاة مطلقاً، وأنها جرت في الغلات. وذلك لأن توافق النسبة والأضعافية التي للحسنات لكون الحسنة تجازى بعشر أمثالها فيكون هذا الكسر في نمائه عشرة أمثاله في المجازاة يعدل الواحد فكأنّه أعطى الكلّ لله وبرأ نفسه من نسبة الملك إليها فيثاب حينئذٍ بالسبعين والسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء.

وأمّا سر جريانها في الغلاّت فهو أنّ الإنسان فيه جزء من النبات، فقد ورد عن النبي : «أكرموا عمّتكم النخلة» بل هو نبات سماوي كما قال عز من قائل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴿١٧﴾﴾ وفي الخبر: إنّما الكرم الرجل المؤمن. وهذا الجزء واحد من عشرة لأنّ له من العقل حصّته وكذا من النفس والهيولي والصورة والجسم والأعراض والمعدن والنبات والحيوان والصورة الإنسانية، فله من النبات نصيب العُشر بالوضع الأهلي، وأما نصف العشر فهو تفضُّل من الله على الأغنياء حيث كثرت عليهم المؤنة فيما يسقى بالدّلاء.

المفتاح الثاني: في بيان سر إختصاص رُبع العُشر بما سوى الغلات: أمّا أصل العشر فلما ذكرنا من الوجهين، وأمّا ربع العُشر فلما روى عن أبي عبد الله مولانا الصادق عليه السلام قال: «إنّما جعل الله الزكاة في كلّ ألف خمسة وعشرين درهماً لأنّه خلقَ الخَلْقَ، فعلم غنيهم وفقيرهم وقويّهم وضعيفهم، فجعل من كلّ ألفٍ خمسة وعشرين مسكيناً: لولا ذلك، لزادهم الله لأنّه خالقهم وهو أعلم بهم».

أقول: فعلى هذا يكون في كل أربعين إنساناً مسكين واحد على قياس رُبع العُشر، كما الأمر في الزكاة التي نحن بصددها كذلك. وأما سرّ هذا الخبر الشريف، فأن تعلم أوّلاً أنه كما الأعمال التي تصعد من الخلق إلى الله، يزيد الواحد منها عشرة إلى السبعين والسبعمائة فصاعداً لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴿٢٦١﴾﴾ كذلك الأنوارُ التي تنزل من السماء والحقائقُ التي تُقبل إلى النشأة الدنيا، يتشر نورها إلى حدٍّ يمكن أن يستضيء بنورها من الحقائق الأرضية المناسبة لها، وكما أنّ تلك الأعمال الخلقيّة كانت فاقرة ضعيفة النور في عالمها وكلّما صعدت إزدادت نوراً وبهاءً إلى ما شاء الله، كذلك هذه=

= الحقائق النورية النازلة، كلّما تفرقت من معدن ظهورها الذي هو أكمل أشخاص ذلك الزمان ضعفت نوريّتها إلى حد يغلب عليها جهة ظلمة هذه الدار. فكلما غلبت النوريّة، قويت النّسبةُ إلى المبدأ الأعلى وضعفت الرغبة إلى الدار الدنيا؛ فلا يهمّ بجمع زخارفها فيغلبُ عليه الفقرُ والمسكنة، وكلما ضعفت النوريّةُ غلبت الجهةُ الدنيوية فيركن إليها وإلى تحصيل متاعها وجمع كلّ ما هو زينة الحياة الدنيا والجملة، فالواحدة من جهة الخلق، إذا صعدت إلى الله، إرتاشت وكلّما قربت من عالم الأمر إستدّت نوريّتُها، فصارت عشرة أو سبعين أو سبعمائة إلى غير ذلك من الأعداد التي نطق الشارع بتعيينها في كل واحد من العبادات. والواحدة من عالم الأمر، إذا تنزّلت إلى عالم الخلق إنتشرت وتفرّقت نوريّتُها وضوءُها وصارت بحيث يستضيء ببعض تلك الأنوار كلّ العوالم الوجودية وببعض منها أمّةٌ من الأمم وببعضها جماعةٌ قلّت أو كثُرت إلى أن انتهى النور إلى مرتبة يستضيء به الأربعون، لا أقلّ من ذلك، كما ستعرف إن شاء الله.

أما سرّ الأعمال: فإنّها للمرور على كلّ سماء من السبّع وعلى العرش والكرسي إذا صارت مقبولة فيها غير مردودة إلى صاحبها، يستزيد بها شرفاً وبهاءً ويكتسب ضياءً ونماءً كما هو المصرّح به في خبر صعود الأعمال وذلك: لأن السماوات خلقت من أنوار مختلفة في الإضاءة والنورية، فما لم تصر هذه الأعمال في النورية من جنسها، لم يمكن أن تصعد إليها كما لا يخفى، أو لأنه لما صارت مقبولة في كلّ سماء جُوزيَت بما يناسب تلك المرتبة فيزيد نوراً على نور، أو لأنّه يصير بسبب قبول الملائكة الموكلة مكتوبة في كلّ سماء فيلتذُّ صاحبها برؤيتها مقبولة في نفسها وفي السماوات مع العرش والكرسي وهي عشر مراتب، فلذلك ورد عشرة أمثالها. ثم إنّ لجماعة لم يبلغ مرتبتهم وعلومهم إلى ما سوى هذه التسع؛ وأما السبعون والسبعمائة فما زاد، فهي لجماعة يقتدرون على خرق الحجب السبعين والسبعمائة وغيرهما؛ فتبصّر.

وأمّا سرّ الأنوار: فهو وإن كان قد قرع سمعك فيما أفدناك من خلق الأصفياء من تنفّس الأنبياء والأولياء، لكنّي أظنّك تحتاج ها هنا إلى تثقيف عصاك بضرب آخر من الكلام في الخبايا التي في الزوايا:

إعلم أنّ من المستبين في القواعد العقلية والشواهد النقلية أنّ السماوات والأرض وما بينهما وما تحتهما والعرش والكرسي وما فيهما وما فوقهما إنما تقوم بوجود خليفة الله كما=

= يدل عليه خبر المعراج: من أن في كل سماء وفي ما فوقها صورة علي عليه السلام، والملائكة يزورونها ويتبركون بها ويستفيدون منها؛ ومن أنّ الإمام لو لم يكن في الأرض ساعةً لسخت بأهلها ومارت موراً إلى غير ذلك من الأخبار. ثم إنّ خلفاء الله وأولياءه، يتفاوتون بحسب مراتبهم وتفاوت درجاتهم إلى ما لا أكمل منه لإنتهاء الحدود الخلقيّة بالضرورة وهو الذي يقوم به وجود جميع الأنبياء والأولياء، وكذلك النشآت الوجودية من الأولى إلى الأخرى وهو الكامل الذي لا أكمل ولا أقرب منه إلا الله جلّ وعلا وهو نبيُّنا سيد الكونين؛ وأمّا العالمين بحكم النص والكشف بل العقل الصريح الصرف فكما إستنارت بنوره الذي هو نور الأنوار جميعُ عوالم الوجود ولبسوا من ضوئه الذي هو نورٌ على نور حِليةَ الظهور والشهود، فكذا إستنارت بنور كلٌ من إكتسب من نوره وصح نسبة القرب إليه وإلى خلفائه من الأنبياء والأولياء والأصفياء والمؤمنين والأتقياء طائفةٌ من شيعتهم وأمّتهم فبعضهم بالنسبة إلى أمة وبعضهم بالنظر إلى طائفة مخصوصة وبعضهم بالقياس إلى أهل محلّته وبعضهم بالإعتبار إلى أهل بيته على إختلاف مراتب نوريّتهم وتفاوت درجات أشعتهم وتلك سنّة الله التي جرت لعباده وعلى ذلك بعثوا حيث بعثوا من الله برسالاته. وأقلُ تلك الإضاءة وما لا يمكن أن يكون بعده مرتبة، هو أن يستنير بذلك النور أربعون بيتاً من بيوت الأبدان العنصرية مع كون عنصر ذلك الوليّ من جملة الأربعين.

وسرّ ذلك السرّ، إنّ الجهات الخلقيّة أربع، كما ورد وسيجيء في هذا الكتاب إن شاء الله إنّ الأسم الذي هو المخلوق الأول له أربعة حدود سيما عالم الأجسام الذي هو عالم الجهات والكميات، فالجهات المستنيرة للمؤمن المسكين الأقلّي النور من كل جهة، عشرة أبدان مع ذلك المؤمن الذي بمنزلة المركز فيصير أربعين.

وأمّا خصوصية العشرة من كل جهة سوى اليسار فإنه تسعة ومع ذلك المؤمن عشرة، فهو أنّ النور الذي من عالم الأمر واللطيفة الغيبية التي هي الروح لمّا صدرت من القلم الأعلى، وقعت على اللوح ثم تنزلت إلى العرش والكرسي فمرت على السماوات السبع فإكتسبت في كل واحد من المنازل العشرة التي من اللوح إلى فلك القمر، قوةً بها يقوى على إضاءة ما حولها: فلذلك أفادت من كل جهة من جهات الأربع عشرة سوى جهة الشمال فإنها جهة ضعيفة غلبت عليها الخَلقيّة.

وهذه الجهات وإن كانت مستنيرة بذلك النور إلاّ أنّ الغالب عليها الظّلمة بحسب كدورة=

= ذواتها، فلذلك يكون رُكونُها إلى الزخارف الدنيوية وإكتساب منافع تلك الدّار الفانية أكثرَ، والسعيُ في عمارتها وإكتساب نقودها وحبوبها وأنعامها أغلبَ. والمؤمن الذي هو صاحب النور، إنما الغالب عليه جهة الفقر والفاقة إلى الله والإقبال إلى المبدأ الأعلى والتجافي عن دار الغرور والإنقطاع إلى دار السرور ورفض الشهوات الدنيوية من حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة، فلذلك صار - في العناية الإلهية والحكمة الربانية - وجودٌ واحد فقير في الأربعين، سنّةً جارية ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ فالمؤمن بالنسبة إلى غيره كالقلب بالقياس إلى الأعضاء والقوى، يصل فيضه إليها ويحيى بحياته وهي تُوصل إليه ما إكتسبت من خالص الغذاء. وعسى أن يكون النصيب القلبي أيضاً على هذه النّسبة من الأعضاء أي نسبة رُبع العُشر، إذا تصفحنا تشريح الأعضاء وتتبّعنا قسطَ كلّ واحد منها؛ والله أعلم.

تذييل: ولنتكلّم على طراز آخر من الكلام لبيان سرّ هذا المرام فنقول:
لا شكّ أنّه إذا شرع نور متأصّل في النوريّة من أنوار عالم الأمر في الهبوط من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل الأدنى، لمصلحة يراها خالقُ الأنوار أو ذنبٍ صدر من هذا النور في مجلس الأبرار، فسقط بذلك جناحه الذي طار بها في عالم الأنوار، فهبط حتى إرتاش، فطار إلى مقام الأسرار أو غير ذلك من العلل المذكورة في محلّها المرموزة عند أهلها؛ فمن المستبين أنّ هذا الهبوط والظهور حركةٌ نزوليّة من ذلك النّور تدريجية لظهوره في مشهد الظهور. وذلك لضيق العالم السفلي من ظهور النور فيه دفعةً، وعدم سعة أعيُن أهله من أن تُطيق لشروق ضوء هذه الشمس فجأة، ولأن النزول إنّما يلزمه التدريج خصوصاً إذا كان من عالم رفيع المكان إلى عالم آخر حضيض البُنيان، فمن الضّرورة أن تكون المادة المتعينة لشروق ذلك النّور القابلة لهذا الظهور، متحركةً حركة صعودية بإزاء الحركة النزولية وعلى محاذاتها بالحقيقة، حتى تستعد لموافاة ذلك النور في منتهى مسافتيهما بحيث يكون عُليا درجات تلك المادة يوافي قُصياً طبقات نزول ذلك النور فيحصل قاب قوسين أو دائرة من خطّين.

وأيضاً، لأنّ تلك الحركة من هذا النور إنما هي بروزة من مكامن هذه المادة وظهوره من بواطن تلك الحاملة القابلة فكلّما يقطع هذا النور منزلاً من منازل المادة، تحرّكت هي للإستعداد لظهور نور أتمّ من الأول والقبول لفعل أكمل؛ فيجب من ذلك أن تكون الحركة=

= الصعودية للمادة على موازاة الحركة النزولية لهذه اللطفية الإلهية.

ثم إنه ممّا قد كان من المعلوم عند ذوي البصائر الصافية، أنّ للمخلوق أربع جهات محيطة ـ سواء كان من الأمور العالية أو السافلة ـ وأنّ الأمر النازل من القلم الأعلى، إنّما ينزلُ أولاً في اللوح الذي هو الكتاب المبين، ثم إلى العرش المجيد والكرسي الكريم، ثم إلى السماوات السبع كما قال عز من قائل: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ إلى أن إنتهى إلى عالمنا هذا، الذي هو منتهى الحركة من وجه، فإذا أُنزل منزل اللوح، إستنار ذلك «الأمر» بأربع جهاته التي له، فيظهر في تلك المادة أربع أنوار، يحيى بكل نورٍ شخص من أنواع ذلك النور المتأصّل بالتبعية، لا أقلّ من ذلك، وإلاّ فمن الأنوار مَن يستضيء به جماعة أو أمّة أو عالمٌ من العوالم الوجودية لأنّ الأرواح مما يلزمه إحياء المواد في كل موطن وقعت وسريان الحياة أينما ظهرت كما سمعت في خبر السامري من أنّ خوار العجل من فيض ما قُبِضَت من أثر الرسول حيث مشى جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ على ذلك التراب وأنّ من أثر الروح سريان الحياة كما في الخبر.

وكذلك لذلك النور في كل نزول في مادة من المواد العرشية والكرسوية والسماوية، أربعُ ظهورات في مادّتها موجبة لإضاءة أربع جهات من جهاتها، تحصل من كل منها حياة لما حولها من الأشخاص وما يناسبها من أفراد الناس إلى أن ينتهي إلى الأربعين الذي هو المظهر الأصلي لذلك النور.

فأقلُّ ما يكون للأنوار النازلة إلى هذا العالم، تسعةٌ وثلاثون شعاعاً على معنى أنه إذا قدّر الله ظهور نورٍ من الأنوار وقضى أن يُظهر آثاره في هذه الدار، فأدنى مراتب النور في الإضاءة لما حوله وأقلها في الإفادة هو الذي يستضيء بنوره ويستفيد من ضوئه هذا العدد من أشخاص نوعه. فهذا العدد من توابع ذلك النور وفروعه ومما يحيى بحياته ويوجد بنور وجوده. وقِس على ذلك الذس قلنا حكمَ النّور الذي هذا النور من أضوائه وأتباعه، ثم تدرّج إلى أن تنتهي إلى نور الأنوار والسيّد المختار الذي خُلقَت العوالم الوجودية بتبعيته.

وبالجملة لذلك وجب على السنّة الإلهية والحكمة الربانية أن تكون هذه الأجناس الزكوية إنما يخرج منها ربع العُشر الذي هو أقل نسب الأشعة إلى النور الأصلي وأدنى مراتب تبعية الأشخاص الإنسانية للكامل منها. ومما يدل على أنّ الأربعين عددٌ بنزل فيه الروح من أعلى علّيين إلى قرار مكين، أنّ تخمير طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في أربعين صباحاً وفي اليوم=

= الأربعين نُفِخَ فيه الروحُ وإستضارَ جسده المبارك بنور هذا الفتوح وكذا النطفة تصير بعد الأربعين علقة، وهكذا في مراتبها المتواردة عليها ومنازلها التي يتفق في حركاتها، وأنّ بعثه نبينا الذي هو سيّد الخلق وأكمل أهل الغرب والشرق كان في الأربعين والبعثة لكلّ نبي إنّما يكون بعد العروج إلى أقصى معارج كماله المتصوَّر في حقه ولنبينا إلى الصعود إلى قصيا الدرجات الممكنة في الواقع، وإنّ إخلاص العبادة لله تعالى في أربعين صباحاً موجب لظهور الأنوار الإلهية والحكمة الرباني؛ والله أعلم وأحكم.

تذنيب: ويخطر بالبال سرّ آخر لبيان أنّه جرى في العناية الإلهية، أن يكون في الأربعين من الأشخاص الإنسانية واحدٌ فقيرٌ ولعلّ هذا البيان قريب من عكس البيانات السابقة فنقول:

إعلم أنّ من الواضح أنّ الخلق إنما يكون مظاهر للأسماء من حيث الجلالية والجمالية ومجالي للأنوار الإلهية وأنّ هذه الأسماء من حيث أنها أسماء الله ومن حيث أنها حقائق من عالم الأنوار بلزمها النورية والغناء والتملك والتصرّف في الأشياء، فيجب أن يكون آثارها المترتبة عليها ممّا يغلب فيها هذه الصفات، إذ المعلول إنما هو أثر ما في العلة. ثم من المستبين أنه جرى في الحكمة الربانية أن يكون وجود الخلق في عالم العناصر بعد الأربعين سواء تعدّد الأربعون أم لا كما يظهر من تخمير طينة آدم عليه السلام ومن تنقلات نُطف بنيه في الأربعين إلى أن تظهر الولادة بعد سبعة أربعينيات في الأغلب إلى غير ذلك ممّا قد ذكرنا سابقاً، وما لم نذكر أكثر.

ولما كانت الطبيعة الواحدة لا تتخلف مقتضاها في أية مادة وجدت وأية مرتبة تحققت وأية نشأة نشأت، فينبغي أن يكون ظهور هذه الطبيعة في الأربعين سواء كان من حيث الوجود أو من حيث ظهور الأحكام.

ثم إنّ للمخلوق آثاراً بعضها هي آثار عللها التي هي الأسماء النورية وبعضها من جهة أنفسها القابلة فإمتزجت الآثار وإختلطت الظلامُ بالأنوار.

فكما أنّ للأسماء الإلهية ظهورات مختلفة بحسب غلبة بعض الأسماء على بعض وظهور آثار الغالب هنا وإختفاء أحكام المغلوب منها بحسب الأزمان والأماكن والأوضاع وغير ذلك مما ليس ها هنا محلّ ذكرها، فكذا آثار الأسماء الفاعلة وأحكام الموادّ القابلة، مما قد يختلف بالغالبية والمغلوبية.

ولمّا كان من المقرر أنّ وجود الخلق إنّما يكون في الأربعين، فيجب من ذلك أن يكون=

= ظهور جهة الخلقية وغلبة أحكام المادّة القابلة من الفقر والفاقة والضعف والإستكانة في واحد من الأربعين وذلك بحسب النشأة الدنيوية والباقون يغلب عليهم عالمُ الأسماء من الغنى والثروة بحسب ظاهر هذه النشأة.

وهذا الحكم جارٍ في الباطن على مطابقة الظاهر حيث لا يتخلّف وجودُ ولي الله الذي هو أفقر الخلق إلى الله تعالى في جملة الأربعين سواء كان غنياً بحسب الظاهر أم لا فقد ورد كثيراً من الأخبار: أنّ الدعاء لا يردّ من أربعين مؤمناً لضرورة وجود ولي الله فيهم يقيناً وذلك لأنّ الظاهر عنوان الباطن، وأمّا سرّ الأربعين فقد مضى وكذلك مضت سنة الأوّلين.

المفتاح الثلث في زكاة الأعضاء والقوى وبيان أسرارها: ولنقتدي في ذلك بمولانا الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه ـ حسب ما ذكر في كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ولنشرحه على ما إستفدناه من فوائده الوافية ـ قال عليه السلام في هذا الكتاب. : «على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة له، بل على كل منبتِ شعرٍ بل على كلّ لحظة من لحظاتك: فزكاةُ العين النظرُ بالعبرة والغضُّ عن الشهوات وما يضاهيها؛ وزكاةُ الأذُن إستماعُ العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عمّا هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها؛ وزكاة اللسان النصحُ للمسلمين والتيقيظ للغافلين وكثرةُ التسبيح والذكر وغيره؛ وزكاةُ اليد البذلُ والسخاءُ بما أنعم الله به عليك وتحريكُها بكتبَة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبضُ عن الشرور؛ وزكاةُ الرِجل السعيُ في حقوق الله من زيادة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاحُ قلبك وسلامة دينك؛ هذا ما يحتمل القلوب فهمه والنفوس إستعماله. وما لا يشرف عليه إلا عبادهُ الخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم صدق وليُّ الله وإبن رسوله.

أقول: قد بيّنا لك، بل ومن المستبين عندك: أن في الإنسان سنخاً من المعدنيات وهو جسمه لما ورد: من أن المؤمن أعزُّ من الكبريت الأحمر، وكذا فيه سنخاً من النبات كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «أكرموا عمّتكم النخلة فإنّها من بقية طينة آدم»، وسنخاً من الحيوان كما ورد في وصف المؤمن: أنه الجَمَل الأنف إن قيد إنقاد. فقوله عليه السلام: «على كل جزء من أجزائك» إشارة إلى جزئه المعدنيّ وقوله: «بل على كلّ منبت شعر»، أيماءً إلى النباتي، وقوله: «بل على كل لحظة من لحظاتك» إشعار إلى جزئه الحيواني وأمّا قوله: «واجبة لله» فالمراد بالوجوب: =

= إمّا العقلي المحضّ فإنّ العقل يحكم بأنّ شكر المنعم واجبٌ وأنّ شكر كل نعمة، إنما يكون بما يناسبها مثلاً شكرُ العلم هو بذلُه للمتعلمين المستحقين، وشكر الجاه هو إغاثة المظلومين ومُداركة الملهوفين، وشكر المال إنّما هو البذل إلى الفقراء والمساكين.

ولأنّ المولى إذا أعطى عبداً من عبيده بل شخصاً من أمثاله شيئاً من ماله ليصرفه في مصارف معينة فإنّ العقل يستقبح صرف ذلك في غير المأمور به، ولا شك أنّ كلّ ما هو في الإنسان فإنّما هو ملك الله عظيم الشأن وهو سبحانه أعطى كلّ عضو لعمل خاص من أمور المعاش والمعاد، فصرفُهُ في غير ذلك، ممّا لا يجوز لأرباب الرُّشاد؛

وإمّا أن يكون الوجوب الشرعي فحينئذٍ يكون مختصاً بعباده المخلصين لا جميع المكلفين، كما يشعر بذلك قوله عليه السلام في آخر الخبر: «وهو شعارهم دون غيرهم» وذلك لأنّ لطوائف العباد أحكاماً مختلفة حسب ما تقتضيه الأزمنة والأمزجة بل لكلّ موجودٍ تكليفاً يناسب مرتبته ويوافق درجاته، أما سمعت أنّ: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» وقد كان وجب لرسول الله ما لا يجب على غيره من السابقين واللاحقين.

ثم إنّه عليه السلام لما ذكر أولاً أنّ لكلّ جزء زكاةً، بين ثانياً أحكام القوى والأعضاء الظاهرة ليكون أنموذجاً للقوى والأعضاء الباطنة فيقيس منها لها مَن هو من أهل البصيرة.

فقال: فزكاة العين كذا، وذلك لأنّ الله تعالى جعل للعين إقتداراً على القبض والبسط وهما نعمتان عظيمتان بل هما «عينان نضاخَتانِ» ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾﴾ فذكر للبسط زكاة وهي النظر بالعبرة أي لأن ينظر في السماوات والأرض والآفاق والأنفس ويسلك بذلك ملكوت السماوات والأرض فتدرج إلى أن يصير متحققاً بأن لا يرى سوى الله تعالى كما ورد: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»، وذكر للقبض زكاةً وهي الغضُّ عن الشهوات بأن لا يطمع إليها ولا يطمع فيها فيترقى إلى أن يغمض النظر عن نفسه وعمّا سوى الله بأن لا يرى الغيرَ والسِّوى؛ والله يؤيد بنصره من يشاء.

قوله عليه السلام: «وزكاة الأذن الإستماع» إلى آخره، لما كانت الأذن يجري فيها البسط والقبض المذكوران بل هما «جنّتان فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان» ذكر عليه السلام لكلّ منه والبسط حقوقاً: فبسط الأذن، أن يستمع إلى العلم أي علم الدين من الأحكام و والنواهي، والحكمة أي العلم بحقائق الأشياء المترتبة ترتيب السببيّ والمسببي إلى مسب الأسباب، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة من الأمور التي يتنفّل بها ويتأدّبُ بها=

= ويُستحبُ فعلها فيترقى بقرب الفرائض والنوافل إلى أن يصير محبوباً لله هو سبحانه سَمعَ ذلك العبد فلا يسمع إلاّ من الله ويصل إلى مرتبة يقول: **«الخَلق خاضع لك حتى لا يُرى نورٌ ولا يُسمعُ صوتٌ إلاّ صوتك»** وأمّا قبض الأذن، فمن إستماع الكذب والغيبة وأشباهما إلى أن يصل إلى حدّ لا يسمع صوت أحد سوى الله لأنّ كلّ ما سواه مدّع لما ليس له فيكون كاذباً وهو لا يسمع الكذب فيسمع من الله وحده لا شريك له.

قوله عليه السلام: **«وزكاة اللسان النصح للمسلمين»** - إلى آخره، كما كان للعين والأذن جهتان كذلك الأمر في اللسان ومن دونهما «جنّتان فبِأيّ آلاء ربّكما تُكَذّبان» فبسط اللسان هو النصح للمسلمين بأن يرشدهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، والتيقظ للغافلين بأن يوقظهم من رقدة غفلتهم ويذكّرهم مراشد أمورهم في أولاهم وأخراهم هذا ما يتعدّى فائدته.

وأمّا ما يخصّ بنفسه فكثرة التسبيح والذكر على موافقة اللسان للقلب إلى أن يتأصل الذكر في القلب، بل يتأحّد مع الذكر اللسان، فيترقى إلى أن يتحد الذاكر والذكر والمذكور. وأمّا قبضه فبأن يمنع اللسان من الفحش والخناء وذكر غيره بالسوء، فيتدرج إلى أن لا يتنطّق بالأمور المباحة ثم إلى أن يصمت عن غير الضرورة ثم إلى أن يصمت عن ذكر غير الله مطلقاً.

قوله عليه السلام: **«وزكاة اليد البذل والسخاء»** - إلى آخره، في اليد أيضاً جهتان ولذلك صارت إثنتان: إحديهما، للبسط، والأخرى، للقبض- واليد العليا خير من اليد السفلى- أمّا الباسط فهو اليد اليمنى وحقها أن يبسط بالبذل والسخاء بالصدقات الواجبة والمستحبة وتحريكها بكتبه العلوم والأعمال المتعلقة باليد لمنافع الناس في طاعة الله، وأما القبض فمظهره اليد اليسرى وإن كان الحكم يشملها وهو القبض عن الشرور المتعدية إلى الغير وغير المتعدية، فيترقى بهذا البسط والقبض إلى أن يليق به أن يقول: أنا يد الله المبسوطة على عباده وبالرحمة والنعمة.

قوله عليه السلام: **«وزكاة الرجل السعي في حقوق الله»** - إلى آخره، البسط في الرّجل أن يسعى في حقوق الله من زيارة الصالحين لفائدتين:

إحداهما: لنفسه من إحراز الثواب وإكتساب معالم الدين والرغبة في أن يصير منهم بل في أن يفوقهم. =

= **والثانية**: إدخال السرور في قلب المزور بل خير الزيارة فقدانه ليكون الله وحده هو المنظور.
ومن جملة حقوق الله السعي إلى مجالس الذكر وهي: إمّا مواضع العبادة أو مدارس أهل العلم والحكمة أو ما يذكر الله فيها بالتهليل والتسبيح كما قال رسول الله ﷺ: «روحوا إلى رياض الجنة، فقيل: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»، إلى غير ذلك من الأخبار التي دلت على أن مجالس الذكر غير مواقع الصلاة والعلم.
ومن حقوق الله تعالى: السعي إلى إصلاح الناس وقضاء حوئجهم وكذا صلة الرحم والسعي إلى الجهاد سواء كان الأكبر منه أو الأصغر.
وأما القبض في الرّجل، فعن ما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك من عدم السعي إلى محافل الفسق ومواضع التهمة، وعن كلّ ما كره الله السعي إليه ثم إنّ العبد يترقى بهذا القبض والبسط والهمل بالعدل والوسط إلى أن لا يضع قدمه على شيء إلاّ ينزل عليه البركة بل وتسري الحياة ببركته المسلوكية.
قوله عليه السلام: «**هذا ما يحتمل القلوب فهمه**» - إلى آخره، إشارةٌ إلى ما ذكره من زكوات القوى الظاهرة.
قوله: «**وما لا يشرف**» - إلى آخره، إشارةٌ إلى زكاة القوى الباطنة من الخيال والفكر والقلب والعقل والسرّ وبالجملة بأن يكون همّه واحداً وفكره في واحد وينظر عقله في واحد ويرى واحداً ولا يرى غيره «ألا كل شيء ما سوى الله باطل» وقال آخر:

إنّـمـا الـكـون نـقـوش أو خـيـال   أو عـكـوس فـي مـرايـا أو ظـلال

هذا ما خطر بالبال في هذا المقام والله المفضل المنعام، وهو آخر كتاب أسرار الزكاة.
[أسرار العبادات ص ٧١-٨٦].

* * *

سر وجوب الزكاة، وفضيلة سائر الإنفاقات

قال النراقي في جامع السعادات: السر في إيجاب الزكاة، بل فضيلة مطلق إنفاق المال، ثلاثة أمور:
الأول: أن التوحيد العام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، إذ المحبة [...] الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما تمتحن درجة الحب بمفارقة [...] المحاب، والأموال محبوبة عند الناس، لأنها آلة تمتعهم بالدنيا، ولأجلها يأنسون به[...] العالم، ويخافون من الموت ويتوحشون منه، مع أن فيه لقاء المحبوب، فإمتحنوا في=

= صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم، أعني المال، ولذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

ولفهم هذا السر في بذل الأموال، إنقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلاثة أقسام: قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده، ولم يجعلوا قلوبهم إلا محلاً لحب واحد. فنزلوا عن جميع أموالهم، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار وغيرهما من أنواع المال، ولم يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم، حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم؟ فقال: أما على العوام ـ بحكم الشرع ـ فخمسة دراهم، وأما نحن، فيجب علينا بذل الجميع. وسئل الصادق عليه السلام «في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال: أما الزكاة الظاهرة، ففي كل ألف خمسة وعشرون، وأما الباطنة، فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك».

وقسم درجتهم دون هذا، وهم الذين أمسكوا أموالهم، ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ومراسم الخيرات، ويكون قصدهم من الإمسال الإنفاق على قدر الحاجة، دون التنعم، وصرف الفاضل عن قدر الحاجة إلى وجوه البر. وهؤلاء لا يقتصرون على إعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس، بل يؤدون جميع أنواع البر والمعروف أو أكثرها.

وقسم إقتصروا على أداء الواجب، فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه. وهو ادون الدرجات وأقل المراتب، وهو درجة العوام الراغبين إلى المال، لجهلهم بحقيقته وفائدته، وضعف حبهم للآخرة.

الثاني: تطهير النفس عن رذيلة البخل، فإنه من المهلكات ـ كما تقدم ـ، وإنما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى يتعود إذ حب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته، حتى يصير ذلك إعتياداً. وعلى هذا، فالإنفاق يطهر من خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله، وبقدر فرحه بإخراجه وإستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

الثالث: شكر النعمة، فإن الله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ونعمة في ماله. فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال. وما أقبح بالغني المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم، وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال، وأحواج غيره إليه، بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٢٧-١٢٨].

أسرار صدقة السر

الوظيفة الثالثة: الأسرار، فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، قال ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقلّ إلى فقير في سرّ»[(١)].

وقال بعض العلماء: ثلاث من كنوز البرّ منها: إخفاء الصدقة، وقد روي أيضاً مسنداً[(٢)].

وقال ﷺ: «إنّ العبد ليعمل عملاً في السرّ فيكتبه الله سرّاً فإن أظهره نقل من السرّ وكتب في العلانية فإن تحدّث به نقل من السرّ والعلانية وكتب رياء»[(٣)].

وفي الحديث المشهور: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: أحدهم رجل تصدّق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه»[(٤)].

وفي الخبر: «صدقه السرّ تطفىء غضب الربّ تعالى»[(٥)] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٦)] وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة، فقد قال ﷺ: «لا يقبل الله من مسمع ولا مرائي

---

(١) رواه أحمد في حديث طويل عن أبي ذر والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج٥ ص ١١٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتاب الايجاز وجوامع الكلم عن ابن عباس كما في المغني.

(٣) قال العراقي: أخرج نحوه الخطيب في التاريخ من حديث أنس باسناد ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ٢ ص ١٣١، ومسلم ج٣ ص ٩٣، ورواه الصدوق في الخصال ج٢ ص ٢.

(٥) الكافي ج٤ ص ٧، والتهذيب ج١ ص ٣٧٨.

(٦) سورة البقرة: الآية، ٢٧١.

ولا منّان»[١] والمتحدّث بصدقته يطلب السمعة في ملأ من الناس يبغي الرياء، والإخفاء والسكوت هو المخلّص من ذلك، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعةٌ حتّى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي، وبعضهم كان يصرُّه[٢] في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسّط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه، كلُّ ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الربّ واحترازاً من الرياء والسمعة ومهما لم يمكن إلاّ بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلّم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنّة جميعاً وليس [في معرفة] المتوسّط إلاّ الرياء.

ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأنّ الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحبّ المال وحبُّ الجاه أشدُّ استيلاء على النفس من حبّ المال، وكلُّ واحد منها مهلك في الآخرة، ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لدّاغة، وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفهما وقتلهما لدفع أذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنّه جعل بعض أطراف العقرب قوتاً للحيّة فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوّة الحيّة ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوّة هذه الصفات الّتي بها قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات

(١) لم أعثر في أحد من الاصول وفي بطلان العمل بالرياء جاءت روايات عدة راجع وسائل الشيعة الباب الثاني عشر من أبواب مقدمة العبادات وكذا في مستدرك الوسائل الباب المذكور.

(٢) الصرة: الدراهم وصررت الصرة شددتها.

بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها، فأيّ فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوي الأقوى».

أقول: وظيفة الإسرار عندنا مختصّة بالصدقة المندوبة دون الزكاة المفروضة، قال الصادق عليه السلام فيما روي عنه بإسناد حسن: «كلُّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلُّ ما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه، فلو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً»[1] وفي الموثّق عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2] قال: هي سوى الزكاة، إنّ الزكاة علانية غير سرّ»[3] نعم الإسرار الّذي يجري في الزكاة الواجبة أن يعطى المستحيي من أخذها لا على اسم الزكاة، ففي الفقيه[4]، عن عاصم بن حميد قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: الرجل من أصحابنا من يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا أُسمّي له أنّها من الزكاة؟ فقال: أعطه ولا تسمّ له ولا تذلّ المؤمن».

الوظيفة الرابعة: أن يظهر حيث يعلم أنّ في الإظهار ترغيباً للناس في الإقتداء ويحرس سرّه عن داعية الرياء، فقد قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[5] وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إمّا للاقتداء وإمّا لأنّ السائل إنّما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدّق خيفة من الرياء في

(١) الكافي ج٣ ص ٥٠١، والتهذيب ج١ ص: ٣٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٢٧١.

(٣) الكافي ج١ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٧، والتهذيب ج١ ص ٣٧٨.

(٤) المصدر ص ١٥٢.

(٥) سورة البقرة: الآية، ٢٧١.

الإظهار بل ينبغي أن يتصدّق ويحفظ سرّه على الرياء بقدر الإمكان وهذا لأنّ في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ والرياء، وهو هتك ستر الفقير، فإنّه ربّما يتأذّى بأن يرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الّذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من يتستّر به فإنّه محظور[1] والتجسّس فيه والإغتياب بذكره منهيٌّ عنه، فأمّا من أظهره فاقامة الحدّ عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها، ولمثل هذا المعنى قال ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»[2] وقد قال تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[3] ندب إلى العلانية أيضاً لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمّل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الّذي فيها فإنّ ذلك يختلف بالأحوال والأسخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل، ولم ينظر بعين الشهوة اتّضح له الأولى والأليق بكلّ حال.

الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمنّ والأذى قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[4] واختلفوا في حقيقة المنّ والأذى:

فقيل: المنُّ أن يذكرها، والأذى أن يظهرها.

وقيل: المنّ أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيّره بالفقر.

---

(١) أي ممنوع شرعاً.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بسند ضعيف كما في الجامع الصغير باب الميم.

(٣) سورة الرعد: الآية، ٢٢.

(٤) سورة البقرة: الآية، ٢٦٤.

وقيل: المنُّ أن يتكبّر عليه لأجل عطائه، والأذى أن ينتهره أو يوبّخه بالمسألة، وقد قال ﷺ: «لا يقبل الله صدقة منّان»[١].

وعندي أنّ المنّ له أصل ومغرس هو من أحوال القلب وصفاته، ثمّ يتفرّع عليه أفعال ظاهرة على اللّسان والجوارح وأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه وحقّه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حقّ الله تعالى منه الّذي هو طهرته ونجاته من النار وأنّه لو لم يقبله لبقي مرتهناً به، فحقّه أن يتقلّد منّة من الفقير إذ جعل كفّه نائباً عن الله في قبض حقّه، قال رسول الله ﷺ: «إنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل»[٢] فليتحقّق أنّه مسلّم إلى الله، والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلّماً إلى الله عزّ وجلّ، ولوكان عليه دين لإنسان فأحال به صاحب الدين عبده أو خادمه الّذي هو متكفّل برزقه لكان اعتقاد مؤدّي الدين كون القابض تحت منّته سفهاً وجهلاً فإنّ المحسن إليه هو المتكفّل برزقه، أمّا هو فإنّما يقضي الدين الّذي لزمه بشراء ما أحبّه، فهو ساع في حقّ نفسه فلِم يمنُّ به على غيره؟ ومهما عرف المعاني الثلاثة الّتي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلاّ إلى نفسه إمّا ببذل ماله إظهاراً لحبّ الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد، وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتّى يرى نفسه محسناً إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرّع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المنّ وهو التحدُّث به وإظهار هو طلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأُمور فهذه كلّها ثمرات المنّة ومعنى المنّة في الباطن ما ذكرناه.

---

(١) مر الكلام فيه.

(٢) رواه العياشي في تفسيره كما في الوسائل ج٦ ص ٣٠٣ الطبعة الحروفية الحديثة. ومثله في عدة الداعي ص ٤٤، ورواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف كما في المغنى.

وأمّا الأذى فظاهره لتوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف، وباطنه ـ وهو منبعه ـ أمران:

أحدهما: كراهيته لرفع اليد عن المال وشدّة ذلك على نفسه، فإنّ ذلك يضيق الخلق لا محالة.

والثاني: رؤيته أنّه خير من الفقير، وأنّ الفقير بسبب حاجته أخسّ رتبةً منه، وكلاهما منشاؤه الجهل.

أمّا كراهية تسليم المال فهو حمق لأنّ من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوي ألفاً فهو شديد الحماقة، ومعلوم أنّه ببذل المال يطلب رضى الله عزّ وجلّ والثواب في دار الآخرة وذلك أشرف ممّا بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكراً لطلب المزيد، وكيفما فرض فالكراهية لا وجه لها.

أمّا الثاني فهو أيضاً جهل لأنّه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرّك به وتمنّى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنّة بعد الفقراء بخمسمائة عام، ولذلك قال ﷺ: «هم الأخسرون وربّ الكعبة، فقال أبو ذرّ: من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالاً الحديث»[1] ثمّ كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله سخرة له[2] إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه. وقد ألزم أن يسلّم إلى الفقير

---

(١) تمام الحديث كما في مشكاة المصابيح ص ١٦٤ هكذا: «عن أبي ذر قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: هم الاخسرون ورب الكعبة، فقلت: فداك أبي وأمي من هم؟ قال: هم الاكثرون اموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم» وقد مر آنفاً عن مصادر عدة.

(٢) قال الجزري: السخرة: التكليف والحمل على الفعل بغير اجرة.

قدر حاجته ويكفّ عنه الفاضل الّذي يضرُه ولو سلّم إليه فالغني يستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميّز عنه بتقلّد المظالم والتزام المشاقّ وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكلها أعداؤه فإذن مهما انتفت الكراهية وتبدّلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في أداء الواجب وتقبيضه للفقير حتّى يخلّصه عن عهدته بقبول منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدّل بالاستبشار والثناء وقبول المنّة فهذا منشأ المنّ والأذى».

أقول: وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام «قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من علم أنّ ما صنع إنّما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم[١] ولم يستزدهم في مودّتهم إيّاه فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك واعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن ردّه»[٢].

قال أبو حامد: «فإن قلت: فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمرٌ غامضٌ فهل من علامة يمتحن به قلبه فيعرف به أنّه لم ير نفسه محسناً؟ فاعلم أنّ له علامة دقيقةً واضحةً وهو أن يقدّر أنّ الفقير لو جنى عليه جناية أو ما لا عدوًا له[٣] عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدُّق، فإن زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنّة لأنّه توقّع بسببه ما لم يكن يتوقّعه قبل ذلك.

فإن قلت: فهذا أمر غامضٌ ولا ينفكُّ قلب أحد عنه فما دواؤه؟ فاعلم أنّ له دواءً باطناً ودواءً ظاهراً:

---

(١) يعني لم يتوقع منهم أن يشكروه. «ولم يستزدهم في مودتهم اياه» يعني لم يط... زيادة مودتهم اياه بما صنع اليهم ـ منه رحمه الله ـ.

(٢) المصدر ج٤ ص ٢٨.

(٣) مالاه على الامر ساعده.

أمّا الباطن: فالمعرفة بالحقائق الّتي ذكرناها في فهم الوجوب، وأنّ الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول.

وأمّا الظاهر: فالأعمال الّتي يتعاطاها متقلّد المنّة فإنّ الأفعال الّتي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق، ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثّل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتّى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوردّه، وكان بعضهم يبسط كفّه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير هي العليا، وكان بعضهم إذا أرسل معروفاً إلى فقير قال للرسول: احفظ على يدعو به، ثمّ كان يردُّ عليه مثل قوله: «ويقول: هذا بذاك حتّى يخلص لي صدقتي، فكانوا لا يتعوّقون الدعاء لأنّه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله».

أقول: والظاهر من طريقة أهل البيت عليهم السلام خلاف ذلك، فقد روي: «أنّ زين العابدين عليه السلام كان يقول للخادم: أمسكي قليلاً حتّى يدعو فإنّ دعوة السائل الفقير لا تردّ» و «كان عليه السلام يأمر الخادم إذا أعطت السائل أن تأمره أن يدعو بالخير» وعن أحدهما عليهما السلام «إذا أعطيتموهم فلقّنوهم الدعاء فإنّهم يستجاب لهم فيكم ولا يستحاب لهم في أنفسهم»[1].

قال أبو حامد: «فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلاّ هذه الأعمال الدالّة على التذلّل والتواضع وقبول المنّة ومن حيث الباطن المعارف الّتي ذكرناها، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا تعالج القلب إلاّ بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وآله: «ليس للمرء من

(١) عدة الداعي ص ٤٤.

صلاته إلاّ ما عقل منها»[١] وهذا بقوله ﷺ: «لا يقبل الله صدقة منّان»[٢] وبقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[٣] وأمّا فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمّته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة.

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطيّة فإنّه إن استعظمها أعجب بها والعُجب من المهلكات وهو محبط للأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[٤] ويقال: إنَّ الطاعة كلّما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلّما استعظمت صغرت عند الله، وقيل: لا يتمُّ المعروف إلاّ بثلاث: تصغيره وتعجيله وستره».

أقول: هذا ممّا رواه في الفقيه[٥]، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «رأيت المعروف لا يصلح إلاّ بثلاث خصال: تصغيره وستره وتعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّأته، وإن كان غير ذلك محقته ونكدته».

قال أبو حامد: وليس الاستعظام هو المنُّ والأذى فإنّه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن المنّ والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات، ودواؤه علم وعمل.

---

(١) مر سابقاً.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة البقرة: الآية، ٢٦٤.

(٤) سورة التوبة: الآية، ٢٥.

(٥) ص ١٦٢ تحت رقم ١٢.

أمّا العلم: فهو أن يعلم أنّ العشر أو نصف ـ العشر قليل من كثير وأنّه قد قنع لنفسه بأخسّ درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب، فهو جدير بأن يستحي منه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلي الدرجة العليا فبذل كلّ ماله أو أكثره فليتأمّل أنّه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه، فالمال لله وله المنّة عليه إذا أعطاه، ثمّ وفّقه لبذله فلم يستعظم في حقّ الله ما هو عين حقّ الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنّه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه.

وأمّا العمل: فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساكه بقيّة ماله عن الله فيكون هيئته في الانكسار والحياء كهيئة من يطالب بردّ وديعة فيمسك بعضها ويردُّ البعض لأنَّ المال كلّه لله وبذل جميعه هو الأحبُّ عند الله وإنّما لم يأمر به عبده لأنّه يشقُّ عليه بسبب بخله كما قال تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾[1].

الوظيفة السابعة: أن ينتقي من ماله أجوده وأحبّه إليه وأجلّه وأطيبه فإنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيّباً، وإذا كان المخرج من شبهة فربّما لا يكون ملكاً له طلقاً فلا يقع الموقع، وفي بعض الأخبار: «طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية»[2] وإذا لم يكن المخرج من جيّد المال فهو من سوء الأدب إذ يمسك الجيّد لنفسه أو لعبده أو أهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدّم إليه أردى طعام في بيته لأوغر به صدره، هذا إن كان نظره إلى الله وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه، وليس له من ماله إلاّ ما تصدّق فأبقى أو أكل فأفنى والّذي يأكله قضاء وطر في الحال، فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك

(١) سورة محمد: الآية، ٣٧.

(٢) مر سابقاً عن الكافي وغيره.

الادّخار، وقد قال تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾[١] أي ما لا تأخذونه إلاّ مع كراهية وحياء، وهو معنى الإغماض، فلا تؤثروا به ربّكم وفي الخبر: «سبق درهم مائة ألف درهم»[٢]، وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أجلّ ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم ممّا يكره من ماله فيدلّ على أنّه ليس يؤثر الله بشيء ممّا يحبّه ولذلك ذمّ الله تعالى قوماً جعلوا لله ما يكرهون فقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا﴾ - وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثم ابتدأ وقال: - ﴿جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[٣]، أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار.

الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة، ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية، فإنّ في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستّة:

الصفة الأولى: أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجرّدين لتجارة الآخرة.

قال ﷺ: «لا تأكل إلاّ طعام تقيّ ولا يأكل طعامك إلاّ تقيّ»[٤]، هذا لأن التقيّ يستعين به على التقوى فتكون شريكاً له في طاعاته بإعانتك أيّاه.

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٢٦٧.

(٢) أخرجه النسائي ج٥ ص ٥٩.

(٣) سورة النحل: الآية، ٦٢.

(٤) أخرج الدارمي ج٢ ص ١٠٣ عن أبي سعيد الخدري أنه، سمع نبي الله ﷺ يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي».

وقال ﷺ: «أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا[١] معروفكم المؤمنين». وفي لفظ آخر: «أضف بطعامك من تحبّه بالله».

الصفة الثانية: أن يكون من أهل العلم خاصّة، فإنّ ذلك إعانة له على العلم، والعلم أشرف العبادات مهما صحّت فيه النيّة، وكان ابن المبارك يخصّص بمعروفه أهل العلم، فقيل له: لو عممت؟ فقال: إنّي لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرّغ للعلم ولم يقبل على التعلّم، فتفريغهم للعلم أفضل.

الصفة الثالثة: أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنّه إذا أخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو شكر العباد لله، وهو أن يرى النعم كلّها منه. ومن وصيّة لقمان لابنه: «لا تجعل بينك وبين الله منعماً واعدد نعمة غيره عليك مغرماً».

ومن رأى النعمة من غير الله فكأنّه لم يعرف المنعم ولم يتيّقن أنّ الواسطة مقهور مسخرّ بتسخير الله إذ سلّط الله عليه دواعي الفعل ويسّر له الأسباب فأعطى، فمن تيقّن هذا لم يكن له نظر إلاّ إلى مسبّب الأسباب، ويقين مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقلّ في الأكثر جدواها، وإعانة مثل هذا الموحّد لا تضيع، فأمّا الّذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيذمُّ بالمنع، ويدعو بالشرّ عند الإيذاء، وأحواله متفاوتة، ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلاّ من حيث أنّهم وسائط فكأنّه لم ينفكّ عن الشرك الخفي سرُّه فليتّق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه».

(١) كذا وقال العراقي: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري وكذا ما بعده عن الضحاك مرسلاً.

أقول: وفي هذا المعني ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[1] قال: «هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه، قلت: فيقول: لولا أنّ الله منّ عليّ بفلان لهلكت؟ قال: نعم لا بأس بهذا ونحوه»، رواه أحمد بن فهد رحمه الله في العدّة[2].

وينبغي أن لا يمنعه علمه بالتوحيد عن شكر الواسطة، ففي الفقيه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتى إليه معروف فليكاف به وإن عجز فليثن فإن لم يفعل فقد كفر النعمة[3]» وقال الصادق عليه السلام: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعوا سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[4].

الصفة الرابعة: أن يكون متستّراً مخفياً حاجته لا يكثر البثّ والشكوى، أو يكون من أهل المروّة وممّن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيشّ في جلباب التجمّل قال الله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[5][6] أي لا يلحّون في سؤال لأنّهم

---

(١) سورة يوسف: الآية، ١٠٦.

(٢) ص ٧٠.

(٣) رواهما الصدوق في الفقيه ص ١٦٢ رقم ١٦ و١٧، وفي الكافي ج٤ ص ٣٣.

(٤) نفس المصدر.

(٥) التعفف ترك السؤال يعني من أجل تعففهم عن السؤال يظن الجاهل بحا[illegible] مستغنون.

(٦) سورة البقرة: الآية، ٢٧٣.

أغنياء بيقينهم، أعزّة بصبرهم، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحّص عن أهل الدين في كلّ محلّة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمّل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال.

الصفة الخامسة: أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١) أي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة وإصلاح قلب لا يستطيعون ضرباً في الأرض لأنّهم مقصوصوا الجناح، مقيّدوا الأطراف بهذه الأسباب، وكان النبيُّ ﷺ يعطي العطاء على قدر العيلة.

الصفة السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة، وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يتقدّمون على المعارف كما يتقدّم الأقارب على الأجانب، قال عليٌ عليه السلام: «لئن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحبُّ إليّ من أن أتصدّق بعشرين درهماً، ولئن أصله بعشرين درهماً أحبُّ إليّ من أن أتصدّق بمائة درهم ولئن أصله بمائة درهم، أحبُّ إليّ من أن أعتق رقبة»(٢).

فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كلّ صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، فإنّ أحد أجريه في الحال تطهير [ه] نفسه عن صفة البخل وتأكيده حبّ الله في قلبه واجتهاده في طاعته، وهذه الصفات هي الّتي

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٢٧٣.

(٢) لم أجده.

تقوي في قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله، والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمّته فإنّ قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمال، فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأوّل دون الثاني، فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم».

أقول: ما ذكره أبو حامد من الصفات للمستحقّ والاجتهاد فيها إنّما يعتبر في مستحق البرّ والصلة دون مستحقّ الزكاة والصدقة، دليل ذلك ما رواه مولانا العسكريُّ عليه السلام في تفسيره[1]، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل قال: «فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: فمن مستحقُّ الزكاة؟ قال: المستضعفون من شيعة محمّد وآله الّذين لم يقو بصائرهم، فأمّا من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته فذاك أخوكم في الدين أمسُّ بكم رحماً من الآباء والأُمّهات المخالفين فلا تعطوه زكاة ولا صدقة فإنّ موالينا وشيعتنا منّا كالجسد الواحد يحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة وليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البرّ وارفعوهم عن الزكوات والصدقات ونزّهوهم عن أن تصبّوا عليهم أوساخهم، أيحبُّ أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثمّ يصبّه على أخيه المؤمن إنّ وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسّخوا إخوانكم المؤمنين، ولا تقصدوا أيضاً بصدقاتكم وزكواتكم المعاندين لآل محمّد المحبّين لأعدائهم، فإنّ المتصدّق على أعدائنا كالسارق في حرم ربّنا عزّ وجلّ وحرمي. فقيل: يا رسول الله فما للمستضعفين من المخالفين الجاهلين، لا هم في مخالفتنا مستبصرون ولا هم لنا معاندون؟ قال: يعطى الواحد من الدراهم ما دون الدرهم ومن الخبز ما دون الرغيف، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ كلُّ معروف بعد ذلك وما وقيتم به أعراضكم وصنتموها عن

---

(١) ص ٢٩.

ألسنة كلاب الناس كالشعراء والوقّاعين في الأعراض تكفونهم فهو محسوب لكم في الصدقات» ـ انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه.

أقول: ومن الوظائف أن يقبّل يده بعد الإعطاء لأنّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا ناولتم السائل فليردّ الّذي ناوله يده إلى فيه فيقبّلها فإنّ الله عزّ وجلّ يأخذ قبل أن تقع في يده فإنّه عزّ وجلّ يأخذ الصدقات»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما تقع صدقه المؤمن في يد السائل حتّى تقع في يد الله ثمّ تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[2].

وعن الصادق عليه السلام: «أن الله تعالى يقول: ما من شيء إلاّ وقد وكّلت من يقبضه غيري إلاّ الصدقة فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً[3] حتّى أنّ الرجل ليتصدّق أو المرأة لتتصدّق بالتمرة أو بشقّ تمرة فأربّيها له كما يربّي الرجل فلوه وفصيله فتلقاني يوم القيامة وهي مثل جبل أُحد»[4][5].

---

(١) رواه الصدوق في الخصال ج٢ ص ١٦٠ في حديث الاربعمائة.

(٢) التوبة: ١٠٤، والخبر رواه ابن فهد في عدة الداعي ص ٤٤.

(٣) لقفت الشيء وتلقفته أي تناولته بسرعة.

(٤) التهذيب ج١ ص ٣٨٠، رجال الكشي ص ١٥٢، الكافي ج٤ ص ٤٧، والفلو: المهر يفصل عن امه والجمع أفلاء. المهر ـ بضم الميم ـ: ولد الفرس.

الحث على التعجيل في الإعطاء

(٥) **قال النراقي في جامع السعادات**: ينبغي للمعطي المنفق، عند ظهور داعية الخير من باطنه، أن يغتنم الفرصة، ويسارع إلى الإمتثال، تعجيلاً لإدخال السرور في قلوب الفقراء وحذراً عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات، وعلماً بأن في التأخير آفات وتنبهاً بأن إنبعاث داعية الخير لمة الملك، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن، فما أسرع تقلبه،=

= والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر، وله لمة عقيب لمة الملك، وصوناً للفقراء عن الإضطرار إلى السؤال، إذ ورد: أن الإعطاء معه مكافأة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه، وليس بمعروف. ورروي: «أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة، وكان الرجل ممن ترجى نوافله، ويؤمل نائله ورفده، وكان لا يسأل علياً ولا غيره شيئاً، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام والله ما سألك فلان شيئاً! ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لأكثر الله في المؤمنين ضربك! أعطي أنا، وتبخل أنت! إذا أنا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة، ثم أعطيه بعد المسألة، فلم أعطه إلا ثمن ما أخذت منه، وذلك لأني عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربه عز وجل عند تعبده له وطلب حوائجه إليه. فمن فعل هذا بأخيه المسلم، وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه، فلم يصدق الله في دعائه، حيث يتمنى له الجنة بلسانه، ويبخل عليه بالحطام من ماله» ثم ينبغي أن يعين لأداء صدقته وقتاً فاضلاً، كيوم الغدير وشهر ذي الحجة، لا سيما العشرة الأولى، أو شهر رمضان، لا سيما العشرة الأخيرة، وقد ورد أن رسول الله كان أجود الخلق، وكان في رمضان كالريح المرسلة، لا يمسك فيه شيئاً. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٢٩-١٣٠].

فضيلة إعلان الصدقة الواجبة

قال النراقي في جامع السعادات: الصدقة الواجبة، أعني الزكاة، إعلانها أفضل من إسرارها ـ إن كان في إظهارها ترغيب للناس في الإقتداء، وأمن من تطرق الرياء، ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية. قال الصادق عليه السلام: «كلما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسناً جميلاً». وقال في قوله تعالى:

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

«هي ما سوى الزكاة علانية غير سرّ». فلو دخل في نفسه الرياء مع الإظهار، أو كان الفقير يستحي من أخذها علانية، كان الإسرار بها أفضل: أما الأول: فظاهر، وأما الثاني: فلما روي: «أنه قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام: الرجل من أصحابنا يستحي من أن يأخذ من الزكاة، فأعطيه من الزكاة ولا أسمي له أنها من الزكاة. فقال: إعطه ولا تسم له، ولا تذل =

المؤمن».

= وبالجملة: الإعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب، يتطرق إليه محذور الرياء والمن والأذى، وذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فالبنظر إلى بعض الأحوال والأشخاص، يكون الإعلان أفضل، وبالنظر إلى بعض آخر، يكون الإسرار أفضل. فلا بد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفائدة بالمحذور، ويختار ما هو الأفضل. ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة، إتضح له ما هو الأولى والأليق.

ذم المن والأذى في الصدقة

ينبغي للمتصدق أن يجتنب عن المن والأذى. قال الله سبحانه: ﴿تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. وقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾.

وقال رسول الله : «إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال، وكرههن للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي: العبث في الصلاة، والرفث في الصوم، والمن بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلع في الوفد، والضحك بين القبور».

و (المن): أن يرى نفسه محسناً. ومن ثمراتها الظاهرة: الإظهار بالإنفاق، والتحدث به، وطلب المكافأة منه، بالشكر والخدمة والتعظيم والمتابعة في الأمور. و (الأذى): التعبير، والتوبيخ، والإستخفاف، والإستخدام، والقول السيء، وتقطيب الوجه، وهتك الستر، ثم معرفة الأذى ظاهرة، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن، وأما المن الباطني، أي رؤية نفسه محسناً، فيعرف بأن يكون إستبعاده من خيانة القابض بعد العطاء أكثر من إستبعاده منه قبله.

وعلاج المن: أن يعرف أن المحسن هو الفقير القابض لإيصاله الثواب والإنجاء من العذاب، وكونه نائباً عن الله تعالى، وكون ما يعطيه حقاً من الله سبحانه، أحال عليه الفقير إنجازاً لما وعده من الرزق.

وعلاج الأذى: أن يعرف أن سببه إستكثار العطاء وكراهية إنفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيراً منه. لغنائه وإحتياجه، وجميع ذلك جهل وحماقة. أما إستكثار العطاء، فلأن ما أعطاه بالنظر إلى ما يطلبه لأجله من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس فإن إذا أخذ في مقابله خطيراً باقياً. =

= وأما إستحقاره الفقير، فلما تقدم من فضل الفقير على الغني، فكيف يرى نفسه خيراً منه؟ وكفى للفقير فضلاً: إن الله سبحانه جعل الغني مسخراً له، بأن يكسب المال بالجهد والتعب، ويسعى في حفظه، ويسلمه إلى الفقير بقدر حاجته، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه إليه. فالغني يخدم الفقير في طلب المال، مع كون ما يحمد منه للفقير، وكون ما يذم منه من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات إلى أن يموت فتأكله الأعداء، على الغني.

وبالجملة: العاقل، بعد التأمل، يعلم أن ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه، وأن الفقير محسن إليه. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه، لم يستبطىء الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك، وإعلم أن الطالب إليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن رده». وينبغي للمحترز عن المن والأذى أن يتواضع ويتخضع للفقير عند إعطائه، بأن يضع الصدقة لديه ويمثل قائماً بين يديه. أو يبسط كفه ليأخذ الفقير، وتكون يد الفقير هي العليا. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٣١-١٣٣].

الباب الثالث
في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه

أسباب الاستحقاق

«اعلم أنه لا يستحقُّ الزكاة إلاّ حرُّ مسلم ليس بهاشميّ ولا مطّلبي اتّصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى(١)، فلا تصرف زكاة إلى كافر، ولا إلى عبد، ولا إلى هاشمّي أو مطّلبي، أمّا الصبيّ والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليّهما».

أقول: أشتراط الحرّيّة على الإطلاق غير صحيح كما سيأتي وإلحاق المطّلبي بالهاشميّ شاذٌّ عندنا قولاً ورواية، ويجوز إعطاء الهاشميّ إذا كان المزكّي هاشمّياً أو قصر الخمس عن مؤونته، ويشترط عندنا في غير المؤلّفة أن يكون اثنى عشريّ المذهب بإجماعنا والصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام(٢)، حتّى أنّه لو كان المزكّي مخالفاً وأعطاها أهل نحلته ثمّ استبصر وجب عليه إعادة الزكاة وإن لم يجب عليه إعادة سائر عباداته، وفي اشتراط العدالة في غيرهم وغير العاملين خلاف والأصحُّ الاكتفاء باجتنبا التظاهر بالفسق، أمّا في العاملين فشرطٌ بلا خلاف لتضمّن العمالة الاستيمان كما لا خلاف في عدم اشتراطه في المؤلّفة، ويشترط أن لا يكونوا واجبي نفقة للمزكّي إلاّ من يصرفه في غير النفقة الواجبة كالغازي والغارم والمكاتب،

(١) في الآية الخامسة والعشرين من سورة التوبة.
(٢) راجع وسائل الشيعة كتاب الزكاة الباب الخامس.

ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام: «خمسة لا يعطون من الزكاة شيئاً: الأب، والأم، والولد، والمملوك، والمرأة، وذلك أنهم عياله لازمون له»[١].

صفات الاصناف الثمانية

قال أبو حامد: ولنذكر.

صفات الاصناف الثمانية:

الصنف الأوّل: الفقراء، والفقير هو الّذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنّه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير، وإن كان معه قميصٌ وليس معه منديل ولا خفٌ ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لأنّه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وهو عاجز عنه فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوةٌ سوى ساتر العورة، فإنّ هذا غلوٌ والغالب أن لا يوجد مثله، ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على الكسب فإنّ ذلك يخرجه عن الفقر، فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له الآلة، وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وإن كان متفقّهاً ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقّه فهو فقير، ولا يعتبر قدرته، وإن كان متعبّداً يمنعه الكسب عن وظائف العبادات وأوراد الأوقات، فليكتسب لأنّ الكسب أولى منه، قال صلى الله عليه وآله: «طلب الحلال فريضةٌ بعد الفريضة»[٢] وإن كان مكفياً بنفقة أبيه أو من يجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير».

---

(١) الكافي ج٣ ص ٥٥٢ تحت رقم ٥.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير كما في الجامع الصغير باب الطاء.

أقول: إلاّ إذا لم يوسّع عليه المنفق كما رواه أصحابنا في الصحيح، عن الكاظم عليه السلام: «أنّه سئل عن الرجل أن يكون أبوه أو عمّه أو أخوه يكفيه مؤنته أيأخذ الزكاة فيوسّع به إذا كانوا لا يوسّعون عليه في كلّ ما يحتاج إليه؟ قال: لا بأس»[١] وفيه قول آخر.

واعلم أنّ ما ذكره أبو حامد في تفسير الفقير وكذا ما سيذكره في تفسير المسكين مبنيٌّ على أنّ الفقير أسوء حالاً من المسكين وهو أحد القولين في هذه المسألة والقول الآخر أنّ الأمر بالعكس ولعلّه الأصحُّ لما رواه أصحابنا في الصحيح[٢]، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «الفقير الّذي لا يسأل والمسكين الّذي هو أجهد منه الّذي يسأل» وفي الحسن مثله وزاد: «والبائس أجهدهم»[٣] وعلى هذا يتعاكس التفسيران.

«**الصنف الثاني المساكين**: والمسكين هو الّذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلاّ فأساً وحبلاً وهو غنيٌّ، والدويرة الّتي يسكنها والثوب الّذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين، وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به، وكذا كتب الفقه لا يخرجه عن المسكنة، فإذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر».

أقول: وممّا يدلُّ على هذه الأحكام من أخبار أهل البيت عليهم السلام ما رواه معاوية بن وهب، في الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «أنّه سئل عن

(١) الكافي ج٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٥، التهذيب ج١ ص ٣٧٩، المقنعة ص ٤٣.
(٢) الكافي ج٣ ص ٥٠٢ تحت رقم ١٨.
(٣) التهذيب ج١ ص ٣٧٨، الكافي ٣ ص ٥٠١ تحت رقم ١٦.

الرجل يكون له ثلاثمائة درهم أو أربعمائة درهم وله عيالٌ وهو يحترف فلا يصيب نفقته فيها أيكبُ فيأكلها ولا يأخذ الزكاة أو يأخذ الزكاة؟ قال: لا بل ينظر إلى فضلها فيقوت بها نفسه ومن وسّعه ذلك من عياله ويأخذ البقية من الزكاة ويتصرّف بهذه لا ينفقها»[١].

وفي الموثّق، عن الصادق عليه السلام: «أنّه سئل عن الزكاة هل تصلح لصاحب الدار والخادم؟ فقال: نعم إلاّ أن تكون داره دار غلّة فيخرج له من غلّتها ما يكفيه لنفسه وعياله، فإن لم تكن الغلّة تكفيه لنفسه وعياله في طعامهم وكسوتهم وحاجتهم من غير إسراف فقد حلّت له الزكاة وإن كانت غلّتها تكفيهم فلا»[٢].

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «أنّه سئل عن الرجل له دار أو خادم أو عبد أيقبل الزكاة؟ قال؛ نعم إنّ الدار والخادم ليسا بمال»[٣]. وفي التعليل إشعارٌ باستثناء ما ساوى الدار والخادم في المعني.

وفي الموثّق، عن الصادق عليه السلام قال: «قد تحلُّ الزكاة لصاحب السبعمائة وتحرم على صاحب الخمسين درهماً، فقيل له: وكيف يكون هذا؟ فقال: إذا كان صاحب السبعمائة له عيال كثير فلو قسّمها بينهم لم تكفه فليعف عنها نفسه وليأخذها لعياله، وأمّا صاحب الخمسين فإنّه تحرم عليه إذا كان وحده وهو محترف يعمل بها وهو يصيب منها ما يكفيه إن شاء الله»[٤].

(١) الكافي ج٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٦، و ٥٦٠ رقم ٤، و٥٦١ رقم ٧، والتهذيب ج١ ص ٣٦٢ و٣٧٩، والمقنعة ص ٤٣، والفقيه ص ١٥٦ رقم ٥٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الكافي ج٣ ص ٥٦١ تحت رقم ٩.

إلى غير ذلك من الأخبار ممّا في معناها وهي مؤيّدة لما ذهب إليه الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ في المبسوط في تفسير الأحسن حالاً من الصنفين أنّه من لم يقدر على كفايته وكفاية من يلزمه من عياله عادة على الدوام بربح ماله أو غلّة أو صنعة، والمشهور وسيّما بين متأخّرينا أنّه من لم يملك مؤونة سنة له ولواجبي نفقته، وقيل: من لم يملك نصاباً يجب فيه الزكاة أو قيمته.

ويستدلُّ للمشهور بما روي في الموثّق عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «يأخذ الزكاة صاحب السبعمائة إذا لم يجد غيره، قيل: فإنّ صاحب السبعمائة تجب عليه الزكاة؟ فقال: زكاته صدقة على عياله فلا يأخذها إلاّ أن يكون إذا اعتمد على السبعمائة أنفدها في أقلّ من سنة فهذا يأخذها، ولا تحلُّ الزكاة لمن كان محترفاً وعنده ما يجب فيه الزكاة أن يأخذ الزكاة»[1]. وتحصيل الضابطة فيه على وجه يتلائم الأخبار والأقوال وشهادة العقل واللّغة والعرف لا يخلو من إشكال.

قال أبو حامد: «وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنّه يحتاج إليه ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة إلى الكتاب، فالكتاب يحتاج إليه لثلاثة أغراض: التعليم والاستفادة والتفرُّج بالمطالعة، أمّا حاجة التفرُّج فلا يعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار، وأمثال ذلك ممّا لا ينفع في الآخرة ولا يجدي في الدُّنيا إلاّ مجرّد التفرُّج والاستيناس فهذا يباع في الكفّارة وزكاة الفطر، ويمنع اسم المسكنة، وأمّا حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمعلّم والمؤدّب والمدرّس بأجرة فهذا آلته فلا يباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وإن كان يدرّس للقيام بفرض الكفاية فلا

(١) الكافي ج٣ ص ٥٦٠.

يباع أيضاً ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنّها حاجة مهمّة وأمّا حاجة الاستفادة والتعلّم من الكتاب كاذخاره كتاب طبّ ليعالج به نفسه أو كتاب وعظ ليطالع ويتّعظ فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغن عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه، ثمّ ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلاّ بعد مدّة فينبغي أن يضبط مدّة الحاجة والاقرب أن يقال: ما لا يحتاج إليه في السنة فهو مستغن عنه، فإنّ من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فإذا قدّر حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن يقدّر بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتاء، والكتب بالثياب والأثاث أشبه فلا تباع، وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلاّ إلى أحدهما فإن قال: أحدهما أصحّ والآخر أحسن فأنا أحتاج إليهما، قلنا: اكتف بالأصحّ وبع الأحسن ودع التفرّج والترفّه وإن كانت نسختان من علم واحد أحديهما بسيط والأُخرى وجيزٌ فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كلّ واحدة فائدة ليست في الأُخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرّض له في فنّ الفقه فإنّما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره، فإنّ استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدّى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدّار في سعتها وضيقها وليس لهذه الأُمور حدود محدودة، ولكنّ الفقيه يجتهد فيها رأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات، والمتورّع يأخذ بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه والدّرجات المتوسط المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجليّة كثيرة ولا ينجى منها إلاّ بالاحتياط».

الصنف الثالث: العاملون.

أقول: العاملون هم عمّال الصدقات جباية وكتابة وحفظاً وقسمة ونحوها ولو كانوا أغنياء ولا يشترط حرّيتهم خلافاً للمبسوط.

والمؤلّفة: هم الكفّار المستمالون إلى الجهاد، وقيل: هم المنافقون، وجوّز جماعة كونهم مسلمين.

وفي الرقاب: هم المكاتبون الّذين ليس لهم ما يصرفونه في كتابتهم، والعبيد الّذين كانوا تحت شدّة فيعتقون منها ومع عدم الشدّة قولان لتعارض النصوص إلاّ مع عدم مستحقّ غيره فيجوز بلا خلاف.

والغارمون: هم المدينون في غير معصية أو مع التوبة مع عدم تمكّنهم من القضاء ويجوز مقاصّتهم بما عليهم من الزكاة بلا خلاف والدّفع إلى أرباب الدّيون بدون إذنهم وبعد موتهم.

وفي سبيل الله: ما يتوصّل به إلى رضاه سبحانه كالجهاد وتعمير مسجد وجسر ومدرسة ومعونة زائر ونحوها كما يستفاد من تفسير العسكري عليه السلام وغيره وعليه الأكثر وفي الصحيح، عن عليّ بن يقطين «قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: يكون عندي المال من الزكاة أفأحجُّ به مواليّ وأقاربي؟ قال: نعم»[1] فتخصيصه بالجهاد كما في النهاية ليس بجيّد مع أنّه بعيد عن ظاهر اللّفظ، وفي اشتراط حاجتهم خلاف والأصحّ جواز صرفه في كلّ قربة لا يتمكّن فاعلها الإتيان بها بدونه وإن كان غنيّاً، أمّا الغازي فيعطى قدر كفايته على حسب حاله وإن كان غنيّاً بلا خلاف.

وابن السبيل: هو المنقطع به في غير معصية وإن كان غنيّاً في بلده فيعطى قدر بلغته واعتبار عجزه عن الاستدانة أو بيع ماله بعيد عن اللّفظ.

ويصدّق مدّعي الفقر أو المسكنة من غير بيّنة ولا يمين ما لم يعلم كذبه

(١) ورواه الصدوق في الفقيه ص ١٥٧ رقم ٦٠.

والأحوط اعتبار الظنّ الغالب بصدقه ولو ظهر عدم الاستحقاق فإن كان قد فحص أوّلاً أجزأت وإلاّ فلا.

وفي سائر الأصناف لا بدّ من الثبوت فإن صرفوا في غير أغراضهم استردّ.

وهذه مصارف زكاة المال والفطر. وقال المفيد: بل الفطر يختصّ بالمساكين وظاهر الأخبار معه فهو أحوط.

أقسام الخمس

وأمّا الخمس فيقسّم ستّة أسهم، ثلاثة للإمام عليه السلام هي سهمه، وسهم الله، وسهم رسوله صلى الله عليه وآله.

وثلاثة للأصناف الثلاثة: اليتامى، والمساكين، وابن السبيل كما هو ظاهر الآية الشريفة والنصوص المستفيضة.

وقيل: بل خمسة أسهم: سهم للإمام عليه السلام، وسهم لأقرباء الرسول صلى الله عليه وآله، وثلاثة للثلاثة الباقية للخبر الصحيح، ويشعر بعض النصوص بإختصاص خمس الأرباح كلّه بالإمام عليه السلام، ويشترط في الأصناف الثلاثة كونه اثنى عشريّ المذهب لا العدالة بلا خلاف، وأن يكونوا هاشميّين للأخبار المستفيضة خلافاً لابن الجنيد لإطلاق الآية والخبر الصحيح، ولا يكفي الانتساب بالأمّ عند الأكثر خلافاً للسيّد المرتضى وابن حمزة.

ولا يعتبر الفقر في ابن السبيل بل الحاجة في بلد التسليم خاصّة كما مرّ في الزكاة؛ وفي اليتيم قولان، ولا يجب استيعاب أشخاص الثلاثة بلا خلاف إذ المراد بهم في الآية الجنس لا العموم، وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ ذاك

إلى الإمام[١]. وفي وجوب بسط حصصهم عليهم، أو جواز تخصيص واحدة بها قولان، أشهرهما الثاني وأحوطهما الأوّل كما أشرنا إليه سابقاً.

وهل يسقط فرض الخمس حال غيبة الإمام عليه السلام لما ورد من الرخص في الأخبار المستفيضة أم يجب حفظه ثمّ الوصيّة به إلى حضوره عليه السلام لأنّه حقّه فوجب إيصاله إليه مهما أمكن أن يدفن لأنّه إذا قام دلّه الله على الكنوز كما جاء في الخبر، أم يصرف النصف إلى مستحقّيه ويحفظ ما يختصُّ به بالوصاية أو الدفن، أم يصرف الكلّ إلى الموجودين لأنَّ عليه إتمام كفايتهم مع العوز[٢] وله الزيادة في حضوره كما ورد في الرواية فكذلك مع الغيبة أقوال، ويحتمل قوياً سقوط ما يختصُّ بالإمام عليه السلام لتحليلهم عليهم السلام ذلك لشيعتهم ووجوب صرف حصص الباقين إلى أهلها لعدم مانع منه، ولو صرف الكلُّ إليهم لكان أحوط وأحسن ولكن يتولّى ذلك الفقيه المأمون بحقّ النيابة كما يتولّى عن الغائب، وربما يؤيّد ذلك بأنّه على تقدير ثبوت حقّه عليه السلام لا ضرر في مثل هذا التصرُّف عليه بوجه فينتفي المانع منه بل ربما يعلم رضاه إذا كان المدفوع إليه من أهل الاضطرار والتقوى وكان المال في معرض التلف مع التأخير كما هو الغالب في مثل هذا الزمان فيكون دفعه إليهم إحساناً محضاً وما على المحسنين من سبيل.

وظائف القابض وهي خمسة

الأولى: أن يفهم أنَّ الله أوجب صرفه إليه ليكفي مهمّه ويجعل همومه همّاً واحداً فقد تعبّد الله الخلق بأن يكون همّهم واحداً وهو الله أصلاً واليوم الآخر تبعاً، وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

(١) راجع الكافي ج١ ص ٥٤٤ وقرب الاسناد ص ١٧٠ .

(٢) أي الحاجة والضيق.

لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(١) ولكن لمّا اقتضت الحكمة أن يسلّط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرّق همّه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات، فأكثر الأموال وصبّها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرّغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبليّة فأقحمه متن الخطر، ومنهم من أحبّه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضوله وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجرّدون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهّب الفاقة وهذا منتهى النعمة، فحقُّ الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر، ويتحقّق أنّ فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه، فليأخذ ما يأخذه من الله رزقاً وعوناً له على الطاعة، وليكن نيّته فيه أن يتقوّى به على طاعته، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله تعالى فإن استعان به على معصية الله كان كافراً لأنعم الله مستحقّاً للبعد والمقت من الله.

الثانية: أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنّه طريق وصول نعمة الله إليه، وللطريق حقٌّ من حيث جعله الله طريقاً وواسطة، وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله، وقد قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(٢) وقد أثنى الله على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها، وخالق القدرة عليها، نحو: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٣) إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه: طهّر الله

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) أخرجه الترمذي ج٨ ص ١٣٣ وأحمد ج٢ ص ٢٥٢ وأبو داود ج٢ ص ٥٥٥.

(٣) سورة (ص): الآية، ٤٤.

قلبك في قلوب الأبرار، وزكى عملك في عمل الأخيار، وصلّى على روحك في أرواح الشهداء. وقد قال ﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتّى تروا أن قد كافأتموه»[١].

أقول: وقد مرّ هذا الحديث من طريق الخاصّة أيضاً مع حديث آخر في هذا الباب، وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام «قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإنّما كافأه ومن أضعفه كان شكوراً ومن شكر كان كريماً»[٢].

قال أبو حامد: «ومن تمام الشكر أن يستر عيوب صاحب العطاء إن كان فيه عيبٌ ولا يحقّره ولا يذمّه، ولا يعيّره بالمنع إذا منع، ويفخّم عند نفسه وعند الناس صنيعه، فوظيفة المعطي الاستصغار، ووظيفة القابض تقلّد المنّة والاستعظام، وعلى كلّ عبد القيام بحقّه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ويضرّه خلافه، والآخذ بالعكس منه وكلُّ ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فإنّ من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنّما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً.

الثالثة: أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حلّه تورّع عنه ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣] ولن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعُمّال السلاطين،

---

(١) أخرجه أبو داود في حديث عن ابن عمر وفيه: «من صنع اليكم معروفاً» والنسائي ج٥ ص ٨٢ في حديث وفيه «من آتى اليكم».

(٢) المصدر ج٤ ص ٢٧.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان ٢-٣.

ومن أكثر كسبه من الحرام إلاّ إذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلّم إليه لا يعرف له مالكاً معيّناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة، فإنّ فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدّق به، وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذا لا يقع زكاة عن مؤدّيه وهو حرام».

أقول: وليتورّع العالم من أخذ الزكاة مطلقاً ما لم يضطرّ إليه تنزيهاً لنفسه عن أوساخ أيدي الناس.

الرابعة: أن يتوقّى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ إلاّ القدر المباح، ولا يأخذ إلاّ إذا تحقّق أنّه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على قدر الدّين، وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أُجرة المثل، فإن أُعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتّى يتبرّع به، وإن كان مسافراً لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده، وإن كان غازياً لم يأخذ إلاّ قدر ما يحتاج إليه للغزو وخاصّة من خيل وسلاح ونفقة، وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حدٌّ، وكذا زاد السفر، والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أو يستغني عن نفاسته، فيمكن أن يبدّل بما يكفي ويفضل بعض قيمته، وكلّ ذلك إلى اجتهاده، وفيه طرف ظاهر يتحقّق معه أنّه يستحقُّ وطرف آخر مقابل يتحقّق معه أنّه غير مستحقّ وبينهما أوساط مشتبهة، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً، وللمحتاج في تقدير الحاجة مقدمات في التضييق والتوسيع فلا ينحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتّى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسّع وهو ممقوت في الشرع، ثمّ إذا تحقّقت حاجته فلا يأخذنّ مالاً كثيراً بل ما يتمّم كفايته من

وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخّص فيه من حيث أنَّ السنة إذا تكرّرت تكرّر أسباب الدخل ومن حيث أنّ رسول الله ﷺ ادَّخر لعياله قوت سنة»[١] فهذا أقرب ما يحدُّ به حقُّ الفقير والمسكين، ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى، ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته لنهيه ﷺ عن السؤال مع الغنى «فسئل عن الغنى، فقال: غداؤه وعشاؤه»[٢] وقال آخرون: يأخذ إلى حدّ الغنى وهو نصاب الزكاة أذ لم يوجب الله الزكاة إلاّ على الأغنياء، فقالوا: له أن يأخذ لنفسه ولكلّ واحد من عياله نصاب زكاة وقال قائلون: حدُّ الغنى خمسون درهماً لقوله ﷺ: «من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش، قيل وما غناه؟ فقال: خمسون أو قيمتها من الذهب»[٣] وقال قوم: أربعون لقوله ﷺ: «من سأل وله أوقيّة فقد ألحف في السؤال»[٤] وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا: له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيىء بها بضاعة ليتّجر فيها ويستغني لأنّ هذا هو الغنى فهذا ما حكي فيه، أمّا التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقيّة فذلك ورد في كراهية السؤال والتردُّد على الأبواب، وذلك مستنكر وله حكم آخر، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة

---

(١) قال العراقي: أخرجه مسلم والبخاري من حديث عمرو فيهما «يعزل نفقة اهله سنة».

(٢) أخرجه ابن حزم في المحلى ج٦ ص ١٥٢.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن تحت رقم ١٨٤٠ والخموش كالخدوش وزناً ومعنى ورواه غيره من اصحاب السنن وقال الترمذي حسن وضعفه النسائي.

(٤) أخرجه ابن حزم في المحلى ج٦ ص ١٥٣، والنسائي ج٥ ص ٩٨ وفيه: «وله قيمة أوقية».

فيستغني بها عن السؤال أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الإسراف».

أقول: بل هذا هو الأصحُ وهو المستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام ولا ينافيه النهي عن السؤال لمن له قوت اليوم أو الأوقيّة لأنّ السؤال مطلقاً كما يأتي، والأخذ من غير سؤال إلى هذا الحدّ جائز سيّما إذا كان متعلّق القلب بأمر المعاش بدونه ولم يتفرّغ همّه للعلم والعبادة ولم يكن صاحب توكّل.

قال أبو حامد: «والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه فيه تضييق وهذه الأُمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلاّ الحكم بما يقع له، ثمّ يقال للورع: استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك كما قال صلى الله عليه وآله[1] إذا الإثم حوازُ القلوب[2] فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً ممّا يأخذه فليتّق الله فيه ولا يترخّص تعلّلاً بالفتوى من علماء الظاهر فإنّ لفتاويهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات، والتوقّي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة.

الخامسة: أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ».

أقول: وهذه الوظيفة ساقطة عندنا لما عرفت من عدم وجوب البسط على الأصناف إلاّ في الخمس على القول الأحوط، فأنا أذكر بدلها ترك السؤال.

---

(١) رواه أحمد في المسند ج٤ ص ٢٢٨.
(٢) رواه أحمد من حديث ابن مسعود.

قال الصادق عليه السلام: «شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولو مات جوعاً»[١].

وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «شهادة الّذي يسأل في كفّه تردُّ»[٢].

ونظر عليُّ بن الحسين عليه السلام يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال: «هؤلاء شرار من خلق الله، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحدٌ أحداً، ولو يعلم المسؤل ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً»[٤].

وقال عليه السلام: «من سأل من غير فقر فإنّما يأكل الجمر»[٥].

وقال الباقر عليه السلام: «أُقسم بالله - وهو حقٌّ - ما فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلاّ فتح عليه باب فقر»[٦].

وقال سيّد العابدين عليه السلام: «ضمنت على ربّي أن لا يسأل أحدٌ أحداً من غير حاجة إلاّ اضطرّته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة»[٧].

---

(١) عدة الداعي ص ٧٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) عدة الداعي ص ٧٠، وفي الكافي ج٤ ص ٢٠ تحت رقم ٢، والفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣١ بادنى اختلاف في اللفظ.

(٥) عدة الداعي ص ٧٠، ورواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحة والبيهقي أيضاً في شعب الإيمان كما في الترغيب ج١ ص ٥٧٤.

(٦) الكافي ج٤ ص ١٩ تحت رقم ٢ و١، والفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٢٦ و ٢٧.

(٧) نفس المصدر.

وقال النبيُّ ﷺ يوماً لأصحابه: «ألا تبايعوني؟ فقالوا: قد بايعناك يا رسول الله قال: تبايعوني على أن لا تسألوا الناس شيئاً فكان بعد ذلك تقع المخصرة من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد: ناولنيها»(١).

وقال ﷺ: «لو أنّ أحدكم يأخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل»(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «اشتدّت حال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لو أتيت النبيّ ﷺ فسألته؟ فجاء إلى النبيّ ﷺ فسمعه يقول: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها فقالت: إنّ رسول الله ﷺ بشر فأعلمه فأتاه فلمّا رآه قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، ثمّ ذهب الرجل فاستعار فاساً، ثمّ أتى الجبل فصعده وقطع حطباً ثمّ جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر منه فباعه ولم يزل يعمل ويجمع حتّى اشترى فاساً، ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين وغلاماً ثمّ أثرى وحسنت حاله فجاء إلى النبيّ ﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمعه يقول: فقال ﷺ: قلت لك: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»(٣).

---

(١) عدة الداعي ص ٧٠، الكافي ج٤ ص ٢١، والصدوق رواه في الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٢ بلفظ أبسط، وفي الترغيب ج١ ص ٥٧٨ مثله وقال رواه مسلم والترمذي والنسائي باختصار، وأخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٨٣٧ من السنن، والمخصرة كالعصاء ونحوه شيء يتوكأ عليه.

(٢) عدة الداعي ص ٧١، وأخرجه ابن ماجة تحت رقم ١٨٣٦ والبخاري ج٢ ص ١٤٥.

(٣) الكافي ج٢ ص ١٣٩ تحت رقم ٧. وعدة الداعي ص ٧١.

وقال الباقر عليه السلام: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّة ومذهبة للحياء، واليأس ممّا في أيدي الناس عزُّ المؤمن، والطمع هو الفقر الحاضر»[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من استغنى أغناه الله، ومن استعفّ أعفّه الله، ومن سأل أعطاه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسدُّ أدناها شيء»[2].

وسأله رجل «فقال: أسألك بوجه الله، قال: فأمر النبيُّ صلى الله عليه وآله فضرب خمسة أسواط، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «سل بوجهك اللّئيم ولا تسأل بوجه الله الكريم»[3].

وهذه الأخبار كلّها نقلت من عدّة الداعي لأحمد بن فهد ـ رحمه الله ـ وأكثرها مذكور في الفقيه والكافي.

(1) الكافي ج٢ ص ١٤٨ رقم ٤، عدة الداعي ص ٧١ وفي الوسائل: «استسلاب للعزة».
(2) عدة الداعي ص ٧١.
(3) أخرج النسائي في السنن ج٥ ص ٨٣ نحوه. وفي العدة ص ٧١ مثله.

الباب الرابع
في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

فضل الصدقة

قال ﷺ: «تصدَّقوا ولو بتمرة فإنَّها تسدُّ من الجائع، وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار»(١).

وقال ﷺ: «اتَّقوا النار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيّبة»(٢).

وقال ﷺ: «ما من عبد مسلم يتصدَّق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلاَّ طيّباً - إلاَّ كان الله عزَّ وجلَّ يأخذها بيمينه فيربّيها له كما يأتي أحدكم فصيله حتّى يبلغ التمرة مثل أُحد»(٣).

وقال ﷺ لأبي الدّرداء: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثمَّ انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف»(٤).

---

(١) أخرجه ابن المبارك عن عكرمة مرسلاً في الزهد، كما في الجامع الصغير باب التاء.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ج٣ ص ٨٦ وأخرج صدره البخاري ج٢ ص ١٣٠، ورواه الشيخ في المجالس ص ٢٩٢.

(٣) أخرج نحوه البخاري في الصحيح ج٢ ص ١٢٨ ومسلم ج٣ ص ٨٥ وقد مر عن غيرهما من المصادر آنفاً.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص ١٤٩ و١٥٦ من حديث أبي ذر، وفي مجمع الزوائد ج٥ ص ١٩ عنه وعن البزاز من حديث جابر. ولعل ما ذكره الغزالي من حديث أبي الدرداء وهم أو تصحيف.

وقال ﷺ: «ما أحسن عبد الصدقة إلاّ أحسن الله الخلافة على تركته»[(١)].

وقال ﷺ: «كلُّ أمرىء في ظلِّ صدقته حتّى يقضى بين الناس»[(٢)].

وسئل ﷺ «أيُّ الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدّق وأنت صحيح شحيح، تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا»[(٣)].

وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «تصدَّقوا فقال رجل: إنّ عندي ديناراً؟ قال: أنفقه على نفسك قال: إنَّ عندي آخر؟ قال: أنفقه على زوجتك، قال: إنَّ عبدي آخر؟ قال: أنفقه على ولدك، قال: إنّ عندي آخر؟ فقال: أنفقه على خادمك، قال: إنَّ عندي آخر؟ قال: أنت أبصر به»[(٤)].

وقال ﷺ: «لا تحلُّ الصدقة لآل محمّد إنّما هي أوساخ الناس»[(٥)].

أقول: المراد بالصدقة في هذا الحديث الزكاة المفروضة كماورد عن الصادقين عليهما السلام وفي دخول النذور والكفّارات فيها قولان، أمّا المندوبة فلا خلاف بين أصحابنا في إباحتها لهم والنصوص به مستفيضة.

---

(١) أخرجه ابن المبارك عن ابن شهاب مرسلاً كما في الجامع الصغير باب الميم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ١٤٧ وفيه: «يفصل بين الناس».

(٣) أخرجه البخاري ج٢ ص ٣٠ ومسلم ج٢ ص ٩٣ وفيهما: «تخش الفقر وتأمل الغنى» وصدره النسائي ج٥ ص ٦٨.

(٤) أخرجه النسائي في السنن ج٥ ص ٦٢. وأبو داود ج٢ ص ٣٩٣.

(٥) أخرجه النسائي ج٥ ص ١٠٦.

وفي الصحيح عنهم عليهم السلام: «إنّما تلك الصدقة الواجبة على الناس لا تحلُّ لنا فأمّا غير ذلك فليس به بأس»(١) وفي آخر: «لو حرّمت الصدقة علينا لم تحلّ لنا أن نخرج إلى مكّة لأنّ كلّ ما بين مكّة والمدينة فهو صدقه» وفي آخر: «هذه المياه عامّتها صدقة»(٢).

من طريق الخاصة في فضل الصدقة

ما رواه في الفقيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فإنّ صدقته تظلّه»(٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «البرُّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء»(٤).

وقال الصادق عليه السلام: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة فإنّها تفكُّ من بين لحى سبعمائة(٥) شيطان وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن، وهي تقع في يد الربّ قبل أن تقع في يد العبد»(٦).

وقال عليه السلام: «الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من

---

(١) التهذيب ج١ ص ٣٦٦ والكافي ج٤ ص ٥٩ وقال الصدوق في الفقيه ص ١٥٧ «وصدقة غير بنى هاشم لا تحل لبنى هاشم إلا في وجهين: إذا كانوا عطاشاً فاصابوا ماء، فشربوا، وصدقة بعضهم على بعض».

(٢) نفس المصدر.

(٣) الفقيه ص ١٦٤ رقم ١ إلى ٨.

(٤) نفس المصدر.

(٥) كذا وفي بعض نسخ الحديث «تفك عن لحى سبعين».

(٦) نفس المصدر.

أنواع البلاء وتفكُّ عن لحى سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لا يفعل»[١].

وقال عليه السلام: «يستحبُّ للمريض أن يعطي السائل بيده، ويؤمر السائل أن يدعو له»[٢].

وقال عليه السلام: «باكروا بالصدقة فإن البلايا لا تتخطّاها، ومن تصدّق بصدقة أوّل النهار دفع الله عنه شرّ ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، فإن تصدّق أوّل اللّيل دفع الله عنه شرّ ما ينزل من السماء في تلك اللّيلة»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله لا إله إلاّ هو ليدفع بالصدقة الداء والدّبيلة[٤] والحرق والغرق والهدم والجنون وعدَّ سبعين باباً من الشرّ»[٥].

وقال عليه السلام: «صدقة السرّ تطفىء غضب الربَّ جلّ جلاله»[٦].

وروى عمّار، عن الصادق عليه السلام: «قال قال لي: «يا عمّار الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية فكذلك والله العبادة في السرّ أفضل من العبادة في العلانية»[٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا طرقكم سائل ذكر بليل فلا تردّوه»[٨].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الدبيلة ـ بضم الدال ـ الداهية، والطاعون وداء في الجوف.
(٥) الفقيه ص ١٦٤ تحت رقم ٨.
(٦) الفقيه ص ١٦ تحت رقم ٩.
(٧) الفقيه ص ١٦٥ تحت رقم ٩ إلى ١٧.
(٨) نفس المصدر.

وقال عليه السلام: «الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرّحم بأربعة وعشرين»[١].

وسئل عليه السلام: «أيُّ الصدقة أفضل؟ قال: على ذي الرحم الكاشح»[٢][٣].

قال عليه السلام: «لا صدقة وذو رحم محتاج»[٤].

وقال عليه السلام: «ملعون ملعونٌ من ألقى كلّه على الناس، ملعون ملعونٌ من ضيّع من يعول»[٥].

وقال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: «ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلاّ يتمنّوا موته»[٦].

و«سئل الصادق عليه السلام عن السائل يسأل ولا يدري ما هو فقال: أعط من وقع في قلبك الرحمة له»[٧].

وقال عليه السلام: «أعطه دون الدرهم، قلت: أكثر ما يعطى؟ قال: أربعة دوانيق»[٨].

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الكاشح المبغض قال ابن الجوزي: كانه يضم العداوة في كشحه وهي خاصرته وإنما فضلت الصدقة عليه لمكان مخالفة هوى النفس، وأما من أعطى من يحبه فإنما ينفق على قلبه وهواه.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.
(٧) نفس المصدر.
(٨) نفس المصدر.

وروى الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام «قال: كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام أن قال: يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو بردّ جميل، إنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ، ملائكة من ملائكة الرحمن، يبلونك فيما خوّلتك، ويسألونك ممّا نوّلتك، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران»[١].

وقال عليه السلام: أعط السائل ولو على ظهر فرس»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا تقطعوا على السائل مسألته، فلولا أنّ المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم»[٣].

روى عن الوليد بن صبيح قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فجاءه سائل فأعطاه ثمّ جاء آخر فأعطاه، ثمّ جاءه آخر فأعطاه، ثمّ جاءه آخر فقال: وسّع الله عليك، ثمّ قال: إنّ رجلاً لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألف درهم، ثمّ شاء أن لا يبقى منها شيئاً إلاّ وضعه في حقّ لفعل فيبقى لا مال له فيكون من الثلاثة الّذين يردُ دعاؤهم، قال: قلت: من هم؟ قال: أحدهم رجلٌ كان له مالٌ فأنفقه في غير وجهه، ثمّ قال: يا ربّ ارزقني، فيقول الربّ عزّ وجلّ: ألم أرزقك، ورجلٌ جلس في بيته ولا يسعى في طلب الرزق ويقول: يا ربّ ارزقني فيقول الرّبُ عزّ وجلّ: ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق، ورجل له أمرأة تؤذيه فيقول: يا ربّ خلّصني منها، فيقول عزّ وجلّ: ألم أجعل أمرها بيدك»[٤].

---

(١) الفقيه: ص ١٦٥ تحت رقم ٩ إلى ٢٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

وقال الصادق عليه السلام: «في السؤال أطعموا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا فازدادوا وإلاّ فقد أدّيتم حقّ يومكم»(١).

وقال عليه السلام: «إذا أعطيتم فلقّنوهم الدُعاء، فإنه يستجاب لهم فيكم، ولا يستجاب لهم في أنفسهم»(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسّمها قال: يجري له من الأجر مثل ما يجري للمعطي ولا ينقص من أجره شيئاً، ولو أنّ المعروف جرى على سبعين يداً لأوجروا كلّهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء»(٣).

وسئل الصادق عليه السلام «أيُّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أما سمعت قول الله عز وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٤) هل ترى

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الحشر: ٩، وفي لفظ آخر عن النبي صلى الله عليه وآله «خير الصدقة جهد من مقل» والجهد هو الطاقة وفيه اشعار ببقاء ما يستعين به على حاجته فلا ينافي قوله صلى الله عليه وآله: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» أو يقول لكل وجه فضيلة أما صدقة المقل فلانه يحتاج إليها فيجاهد نفسه باخراجها بخلاف الغنى فإنه واجد فلا يكترث بها واما صدقة الغنى فلانه لا يضطر بسببها ولا يبقى عائلاً لأنه يغرف من بحر زاخر والفقير أن تصدق بماله بقي عاجزاً، ذكر السجستاني في سننه [ج١ ص ٣٨٩] عن جابر قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ جاءه رجل بمثل بيضة من ذهب فقال: يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فخذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو=

ههنا فضلاً»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى كره لي ستّ خصال وكرهتهنّ للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي: العبث في الصلاة، والرفث في الصوم، والمنّ بعد الصدقة، وإتيان المساجد جنباً، والتطلّع في الدُّور، والضحك بين القبور»[٢].

وروى عن مسعدة بن صدقة، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة[٣] وكان الرجل ممّن يرجى نوافله[٤] ويرضى نائله ورفده، وكان لا يسأل عليّاً عليه السلام ولا غيره

= لعقرته وقال: يأتي أحدكم بما يملك ويقول: هذه صدقة ويقعد فيستكف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وقيل: يعني بذلك ما يفضل عن العيال فيستغنون منه وهو حسن، وأحسن منه وأتم ما قيل: أن جهد المقل محمول على المنفرد لأن الايثار على النفس حسن قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وعن ظهر غنى وارد في المعيل لأن الايثار على العيال غير مستحسن لقوله عليه السلام: «ملعون من ضيع من يعول» ولقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول، وخير الصدقة ما كان على ظهر غنى، من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله» وفي معنى هذا الحديث ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام خير الصدقة ما ابقت غنى (منه ـ رحمه الله ـ).

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٥، والكافي ج٤ ص ٢٢.

(٢) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٥، والكافي ج٤ ص ٢٢.

(٣) البغيبغة ـ ببائين موحدتين وغينين معجمتين وفي الوسط ياء مثناة وفي الآخر هاء: ضيعة أو عين بالمدينة، غزيرة كثيرة النخل لال الرسول، وفي تاريخ السمهودي: البغيبغة تصغير البغبغ وهي البئر القريبة الرشا والبغيبغات والمبغبغة عيون عملها على بن أبي طالب عليه السلام بينبع أول ما صارت إليه وتصدق بها وبلغ جذاذها في زمنه ألف وسق ومنها خيف الاراك وخيف ليلى وخيف الطاس.

(٤) النوافل: العطايا وقوله: «يرجى نوافله» في بعض نسخ الكافي «يرجو».

شيئاً، فقال رجلٌ لأمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألك فلانٌ شيئاً ولقد كان يجزئه من الخمسة الأوساق وسق فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا كثّر الله في المؤمنين ضربك أُعطي أنا وتبخل به أنت إذا أنا لم أُعط الّذي يرجوني إلاّ من بعد مسألتي، ثمّ أعطيته بعد المسألة فلم أُعطه إلاّ ثمن ما أخذت منه وذلك لأنّي عرّضته لأن يبذل لي وجهه الّذي يعفره في التراب لربّي وربّه عزّ وجلّ عند تعبّده له وطلب حوائجه إليه فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدّق الله عزّ وجلّ في دعائه له حيث يتمنّى له الجنّة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله، وذلك أنّ العبد قد يقول في دعائه: اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعا له بالمغفرة فقد طلب له الجنّة، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحقّقه بالفعل»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يكتب له ثواب صلتنا، ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا»[٢].

وفي الفقيه أيضاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوّل ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء ـ يعني في الأجر ـ»[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ الله تعالى يحبُّ إبراد الكبد الحرّى ومن سقى كبداً حرّى من بهيمة وغيرها أظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه»[٤].

---

(١) الفقيه ص ١٦٦ تحت رقم ٣٦، والكافي ج٤ ص ٢٢.

(٢) الفقيه ص ١٦٧ تحت رقم ٨٣ وص ١٦٤ تحت رقم ١ و٢ و٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وروى معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: «من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنّما أحيى الناس جميعاً»(١).

اخفاء أخذ الصدقة واظهاره

«قد اختلف طرق طلاّب الإخلاص في ذلك فمال، قوم إلى أنّ الإخفاء أفضل، ومال قوم إلى الإظهار، ونحن نشير إلى ما في كلّ واحد من المعاني والآفات، ثمّ نكشف الغطاء عن الحقّ فيه.

أمّا الإخفاء، ففيه خمسة معان:

الأوّل: أنّه أبقى للستر على الآخذ فإنّ أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفّف والتصوّن المحبوب الّذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفّف.

الثاني: أنّه أسلم لقلوب الناس ولألسنتهم فإنهّم ربّما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنّون أنّه أخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذّنوب الكبائر، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى.

وقال أبو أيّوب السختياني: إنّي لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً.

وقال بعض الزُّهاد: ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون: من أين له هذا.

(١) نفس المصدر.

وعن إبراهيم التيميّ: أنّه رئي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه: من أين لك هذا؟ فقال: كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أنّ أهله علموا به ما قبلته.

الثالث: إعانة المعطي على إسرار العمل فإنّ فضل السرّ على الجهر في الإعطاء أكثر، والإعانة على إتمام المعروف معروف، والكتمان لا يتمُّ إلاّ بإثنين؛ فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي.

دفع رجلٌ إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه، ودفع إليه آخر شيئاً في السرّ فقبله، فقيل له في ذلك؟

فقال: إنَّ هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه.

وأعطى رجل بعض الصوفيّة شيئاً في الملأ فردّه، فقال: لم تردُّ على الله ما أعطاك؟

فقال: إنّك أشركت غير الله فيما كان الله، ولم تقنع بعين الله عزَّ وجلَّ فرددت عليك شركك.

الرابع: أنّ في إظهار الأخذ ذلاً وامتهاناً، وليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه.

كان بعض العلماء يأخذ في السرّ ولا يأخذ في العلانية، ويقول: إنَّ في إظهاره إذلالاً للعلم وإمتهاناً لأهله، فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله.

الخامس: الاحتراز عن شبهة الشركة، قال ﷺ: «من أهدي له هديّة وعنده قوم فهم شركاؤه فيها»[١].

أقول: ومن طريق الخاصّة، ما رواه في الكافي، عن محمّد بن مسلم قال: قال: «جلساء الرجل شركاؤه في الهديّة»[٢].

وعن عثمان بن عيسى رفعه قال: «إذا أُهدي إلى الرجل هديّة من طعام وعنده قومٌ فهم شركاؤه في الهديّة الفاكهة وغيرها»[٣].

قال أبو حامد: «وبأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هديّة فانفراده بما يعطى بالملأ مكروه إلاّ برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فإذا انفرد سلم عن هذه الشبهة.

وأما الاظهار والتحدُث به ففيه معان أربعة:

الأوّل: الإخلاص، والصدق، والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة.

الثاني: إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبوديّة والمسكنة، والتبرّي عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس عن أعين الخلق.

قال بعض العارفين لتلميذه: أظهر الأخذ على كلّ حال إن كنت آخذاً فإنّك لا تخلو من أحد رجلين: رجل تسقط من قلبه إن فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنّه أسلم لدينك وأقلّ لآفات نفسك.

---

(١) قال العراقي: أخرجه العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس.

(٢) المصدر ج٥ ص ١٤٣ تحت رقم ١٠، وفي الدروس: يستحب المكافاة على الهدية ومشاركة الجلساء فيها إذا كانت طعاماً فاكهة أو غيرها.

(٣) الكافي ج٥ ص ١٤٤.

أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك هو الّذي يريده أخوك كأنّه يزداد ثواباً بزيارة حبّه لك وتعظيمه إيّاك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه.

الثالث: هو أنّ العارف لا نظر له إلاّ إلى الله والسرُّ والعلانية في حقّه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد.

قال بعضهم: كنّا لا نعبؤ بدعاء من يأخذ في السرّ ويردُّ في العلانية، والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد.

حكي أنَّ بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشقّ على الأخرين ذلك فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كلّ واحد منهم طائراً وقال له: اذبح هذا حيث لا يراك أحدٌ، فذهبوا ثمّ جاؤوا قد ذبح كلُّ واحد منهم طائره إلاّ ذلك المريد فإنّه ردّ طائره حيّاً.

فقال الشيخ: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟

فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد فإنَّ الله تعالى يراني في كلّ موضع، فقال الشيخ: لهذا أميل إليه لأنّه لا يلتفت إلى غير الله عزَّ وجلَّ.

الرابع: أنَّ الإظهار إقامة لسنّة الشكر وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾[1] والكتمان كفران للنعمة، وقد ذمّ الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل وقال: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2].

(١) سورة الضحى: الآية، ١١.

(٢) سورة النساء: الآية، ٣٧.

وقال ﷺ: «إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحبَّ أن ترى عليه»[١] وأعطى رجل بعض العارفين شيئاً في السرّ فرفع به يده وقال: هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسرُّ في أُمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم: إذا أُعطيت في الملأ فخذ ثمّ اردد في السرّ.

والشكر محثوث عليه، قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[٢]، والشكر قائم مقام المكافأة، حتّى قال ﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيراً وادعوا له حتّى تعلموا أنكم قد كافأتموه»[٣].

ولمّا قالت المهاجرين في الشكر: «يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الأموال حتّى خفنا أن قد ذهبوا بالأجر كلّه؟ فقال: كلاّ ما شكرتم لهم وأثنيتم به عليهم»[٤] أي هو مكافأة.

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أنَّ ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً في المسألة بل هو اختلاف حال، فكشف الغطاء في هذا أنّا لا نحكم حكماً بتّاً بأن الإخفاء أفضل في كلّ حال أو الإظهار أفضل، بل يختلف ذلك باختلاف النيّات، ويختلف النيّات باختلاف الأحوال والأشخاص.

فينبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه حتّى لا يتدلّى بحبل الغرور، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان، والمكر والخداع أغلب في معاني

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٤٠ رقم ٣١٢ باختلاف في اللفظ مع زيادة.

(٢) تقدما آنفاً.

(٣) نفس المصدر.

(٤) رواه الترمذي في صحيحه كما في مشكاة المصابيح ص ٢٦١.

الإخفاء منه في الإظهار مع أنّ له دخلاً في كلّ واحد منهما.

فأمّا مدخل الخداع في الإسرار من ميل الطبع إليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر من أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطي بعين المنعم المحسن إليه، فهذا هو الداء الدفين ويستكنُّ في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتّى يتعلّل بالمعاني الخمسة الّتي ذكرناها.

ومعيار كلّ ذلك ومحكه أمرٌ واحدٌ وهو أن يكون تألّمة بانكشاف أخذه للصدقة كتألّمه بانكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه وأمثاله، فإنّه إن كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظنّ أو يتّقي أنهتاك الستر أو إعانة المعطي على الإسرار أو صيانة العلم عن الإبتذال، فكلُّ ذلك ممّا يحصل بانكشاف صدقة أخيه، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه، فإنّ إذلال العلم محذورٌ من حيث أنّه علم لا من حيث أنّه علم زيد أو علم عمرو، والغيبة محذورة من حيث أنّها تعرُّض لعرض مصون لا من حيث أنّها تعرُّض لعرض زيد على الخصوص ومن أحسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلاّ فلا يزال كثير العمل قليل الحظّ.

وأمّا جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنّها تطيب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنّه من المبالغين في الشكر حتّى يرغبوا في إكرامه وتفقّده، وهذا داءٌ دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتديّن إلاّ بأن يروّج عليه هذا الخبث في معرض السنّة، ويقول له: الشكر من السنّة والإخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني الّتي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه.

ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون

إظهار العطيّة ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنّهم لا يعطون إلاّ من يخفى ولا يشكر، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أنَّ باعثه هو إقامة السنّة في الشكر والتحدُّث بالنعمة وإلاّ فهو مغرورٌ، ثمَّ إذا علم أنَّ باعثه السنّة فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حقّ المعطي فينظر، فإن كان هو ممّن يحبُّ الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأنَّ قضاء حقّه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم، وإذا علم من حاله أنّه لا يحبُّ الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته، ولذلك قال ﷺ للرجل الّذي مدح بين يديه: «ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح»[١] مع أنّه ﷺ كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأنَّ ذلك لا يضرُّهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد: «إنّه سيّد أهل الوبر»[٢]، وقال في آخر: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه»[٣] وسمع كلام رجل فأعجبه فقال: «إنَّ من البيان لسحراً»[٤].

وقال: «إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فيلخبره فإنّه يزداد رغبة في الخير»[٥] وقال: «إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه»[٦].

(١) قال العراقي الحديث متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ: «ويحك قطعت عنق صاحبك» وزاد الطبراني في رواية: «والله لو سمعها ما أفلح أبداً»: أقول: أفلج صدره أحمد في المسند ج ٥ ص ٤١.

(٢) نقل ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٢١٩. من حديث قيس بن عاصم وأن النبي ﷺ قال له ذلك.

(٣) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٣٧١٢ وفي لفظه «إذا أتاكم الخ». وهكذا في الكافي ج ٢ ص ٦٥٩.

(٤) أخرجه الترمذي في الصحيح ج ٨ ص ١٨٤.

(٥) رواه الدارقطني في العلل من حديث أبي هريرة (المغني).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك كما في الجامع الصغير باب الهمزة.

وقيل: من عرف نفسه لم يضرّه مدح الناس.

فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه، فإنَّ أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلّة النفع، ومثل هذا العلم هو الّذي يقال فيه: إنّ تعلّم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة. إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطّل.

وعلى الجملة فالأخذ في الملأ والردُ في السرّ أحسن المسالك وأسلمها، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلاّ أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السرّ والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر يتحدّث به ولا يرى[1].

ما ينبغي للمعطي

(١) **قال النراقي في جامع السعادات**: مما ينبغي للمعطي أن يستصغر العطية ليعظم عند الله، وإن إستعظمها صغرت عند الله، قال الصادق عليه السلام: «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وتستيره، وتعجيله. فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تممته، وإذا عجلته هنأته وإن كان غير ذلك محقته ونكدته».

وإستعظام العطاء غير المن والأذى، إذ الصرف إلى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الإستعطاء، ولا يتأتى فيه المن والأذى، وأن يعطي الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإخراج غير الجيد سوء أدب بالنسبة إلى الله، إذ إمساك الجيد لنفسه وأهله، وإنفاق الرديء في سبيل الله يوجب إيثار غير الله وترجيحه عليه، ولو فعل هذا لضيق وقدم إليه أردأ طعام في البيت لإنكسر قلبه ووغر به صدره.

هذا إذا كان نظره إلى الله بأن يتصدق لوجه الله، من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الآخرة، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فلا ريب في أن العاقل لا يؤثر غيره على نفسه، وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى، وأكل فأفنى، ولعظم فائدة إنفاق الأجود الأحب، وقبح إنفاق الرديء الأخس، قال الله تعالى: =

= ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: أي لا تأخذونه إلا مع كراهية وحياء، وهو معنى الإغماض، وما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم. وقال سبحانه:
﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

وفي الخبر: «سبق درهم مائة ألف درهم». وذلك بأن يخرجه الأنسان وهو من أحل ماله وأجوده، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله، فيدل على أنه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه.

ومما ينبغي له أن يغني الفقير إذا قدر، ففي الخبر إذا أعطيته فأغنه وأن يقبل يده بعد الأعطاء، لأنه يقع في يد الله تعالى أولاً. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده إلى فيه فيقبلها، فإن الله عز وجل يأخذ الصدقات». وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾.

وقال الصادق عليه السلام: «إن الله تعالى يقول: ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري، إلا الصدقة، فإني أتلقفها بيدي تلقفاً، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق تمرة، فأربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله، فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد». وأن يلتمس الدعاء من الفقير، لأن دعاءه يستجاب فيه كما روي: «أن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول للخادم: أمسك قليلاً حتى يدعو، فإن دعوة السائل الفقير لا ترد». وأنه عليه السلام كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل، أن يأمره أن يدعو بالخير. وعن أحدهما عليه السلام: «إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء، فإنه يستجاب لهم فيكم، ولا يستجاب لهم في أنفسهم». وما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض، لأنه شبيه المكافاة، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله، ولو أرسلوا معروفاً إلى فقير، قالوا للرسول: أحفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين عليهم السلام فلا إعتبار به عندنا. ومما ينبغي له أيضاً أن يصرف الصدقات إلى من يكثر بإعطائه الأجر كأهل الورع والعلم، وأرباب التقوى والصدق، والكاملين في الإيمان والتشيع.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يأكل طعامك إلا تقي»، قال: «أطعموا طعامكم الأتقياء» وقال: «أضف بطعامك من تحبه في الله». ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات، لأنها=

= أوساخ الأموال، ويوسع عليهم بالهدايا والصلاة، ففي الخبر: مستحقوا الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله، الذين لم تقو بصائرهم، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائهم معرفته، فذاك أخوكم في الدين، أمس بكم رحماً من الآباء والأمهات المخالفين، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة فإن موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد، تحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة وليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر، وإرفعوهم عن الزكاة والصدقات ونزهوهم عن أن تصبوا عليهم أوساخكم. أيحب أحدكم أن يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على أخيه المؤمن؟ إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن فلا توسخوا إخوانكم. . .» الحديث.

ولا ينبغي أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط، بل ينبغي الصرف إلى من بلغ مقام التوحيد، ويرى النعمة من الله، ولا ينظر إلى الوسائط إذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط، فغير خال من نوع من الشرك الخفي. قال الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

«هو قول الرجل: لولا فلان لهلكت أو لولا فلان لما أصبت كذا ولولا فلان لضاع عيالي! ألا ترى أنه قد جعل الله شريكاً في ملكه، يرزقه أو يدفع عنه؟». فقال الراوي يجوز أن يقال: لولا أن الله منَّ علي بفلان لهلكت؟ قال «نعم! لا بأس بهذا». ومن أهل المزية والإختصاص بالبذل إليه، من كان مستتراً ساتراً للحاجة، كاتماً من أهل المروة، متغشياً في جلباب التجمل، محصوراً في سبيل الله، محبوساً في طريق الآخرة بغيلة أو مرض أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب، والأولى من الكل الأقارب وأولو الأرحام من أهل الإحتياج، فإن الإنفاق عليهم صدقة وصلة.

وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لأن أصل أخاً من أخواني بدرهم، أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهماً، ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة». وفي خبر آخر: «لا صدقة وذو رحم محتاج، الصدقة بعشرة ۋالقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين» وفي الخبر: «إن أفضل الصدقات والصلاة وصلة الإنفاق على ذي الرحم الكاشح»: يعني المبغض، وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٣٦-١٣٧]. =

الافضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

قيل: إنَّ الأخذ من الصدقة أفضل لأنَّ في أخذ الزكاة مزاحمةً للمساكين وتضييق عليهم، ولأنّه ربما لا يكمل في أخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب.

وأمّا الصدقة فالأمر فيها أوسع، وقيل: بل أخذ الزكاة أولى إعانة على

ما ينبغي للفقراء في أخذ الصداقة

= ينبغي للفقير الآخذ أن يعلم أن الله تعالى أوجب صرف المال إليه ليكفي مهمته، فيتجرد للعبادة والإستعداد للموت، فينبغي أن يتأهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا، ويشكر الله على ذلك، ويشكر المعطي، فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه، قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». وقال الصادق عليه السلام: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعوا سبل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره» وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافاه، ومن ضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً».

وينبغي له أيضاً أن يستر عيوب صاحب العطاء، ولا يذمه ولا يحقره ولا يعيره بالمنع إذا منع، ويفخم عند نفسه وعند الناس إعطاءه، بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة، لئلا يكون مشركاً، وأن يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في أصله ومقداره، فلا يأخذ ممن لا يحل ماله أو يشتبه، كعمال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام، ولا الزيادة على قدر الحاجة، ولا يسأل على رؤوس الملا ممن يستحي الرد، وأن يتورع العالم والمتقي من أخذ الزكاة والصدقات ما لم يضطر إليها، تنزيهاً لنفسه عن الأوساخ، وأن يستر الأخذ بنية أنه أبقى لستر المروة والتعفف، وأصون لنفسه عن الإهانة والإذلال، وأعون للمعطي على الإخفاء والإسرار، وأسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن، أو يظهره بنية الإخلاص والصدق وإظهار المسكنة والعبودية، والتبري عن الكبر، وتلبيس الحال وإقامة سيئة الشكر أو غير ذلك. فإنه يختلف بإختلاف النيات والأشخاص والأحوال، ولكل إمرىء ما نوى، وكل مراقب للأحوال عارف بالفوائد والمفاسد، يمكنه الأخذ بالأنفع الأرجح. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٣٧-١٣٨].

واجب ولو ترك المساكين كلّهم أخذ الزكاة لأثموا، ولأن الزكاة لامنّة فيها وإنّما هي حقٌّ واجبٌ لله رزقاً لعباده المحتاجين، ولأنّه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً وأخذ الصدقة أخذ بالدِّين فإنّ الغالب أنّ المتصدّق يعطي من يعتقد فيه خيراً ولأن مراقبة المساكين أدخل في الذُّلّ والمسكنة وأبعد عن التكبّر إذ قد يأخذ الأنسان الصدقة في معرض الهديّة فلا تتميّز عنها وهذا تنصيص على ذلّ الأخذ وحاجته.

والقول الحقّ في هذا أنّ هذا يختلف باختلاف أحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النيّة، فإن كان في شبهة من اتّصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة وإذا علم أنّه مستحقٌّ قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحقٌّ قطعاً فإذا خيّر هذا بين الزكاة والصدقة فإن كان صاحب الصدقة لا يتصدّق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإنّ الزكاة الواجبة يصرفه صاحبه إلى مستحقّه، ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين، وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخيّرٌ والأمر فيهما متقارب، وأخذ الزكاة أشدُّ في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال».

أقول: في الشقّ الأخير أيضاً أخذ الصدقة أولى لأنّها أطهر لإباحتها للمعصومين عليهم السلام كما عرفت سيّما إذا كان الآخذ من أهل العلم والبصيرة بل لا ينبغي له أخذ الصدقة أيضاً إلاّ مع الضّرورة الشديدة فضلاً عن الزكاة لما عرفت من حديث العسكري عليه السلام ومع الضرورة يجب الأخذ، قال الصادق عليه السلام: «تارك الزكاة وقد وجبت له مثل مانعه وقد وجبت عليه»[1].

(١) التهذيب ج١ ص ٣٧٨. والكافي ج٣ ص ٥٦٣ رقم ٢.

الباب الخامس

في زكاة الجسد

روى في الكافي، بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه: «ملعون كلُّ مال لا يزكّى، ملعون كلُّ جسد لا يزكّى، ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة، فقيل له: يا رسول الله أمّا زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد؟

فقال لهم: أن تصاب بآفة.

قال: فتغيّرت وجوه الّذين سمعوا ذلك منه.

قال: فلّما رآهم قد تغيّرت ألوانهم.

قال: هل تدرون ما عنيت بقولي؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: إنّ الرّجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضة، ويشاك الشوكة وما أشبه هذا ـ حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين ـ»[1].

---

(١) المصدر ج٢ ص ٢٥٨ تحت رقم ٢٦. وقوله: «ينكب النكبة» هو أن يقع رجله على حجارة ونحوها، أو يسقط على وجهه، أو اصابته بلية خفيفة من بلايا الدهر وأمثال ذلك، قوله: «يشاك الشوكة» يقال: شاكته الشوكة تشوكه وشيكة إذا دخلت في جسده شوكة، والاختلاج حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن.

وعن الصادق عليه السلام: «على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ منبت شعرك، بل على كلّ لحظة من لحظاتك.

فزكاة العين: النظر بالعبر والغضُّ عن الشهوات وما يضاهيها.

وزكاة الأذن: استماع العلم، والحكمة، والقرآن، وفوائد الدّين من الموعظة، والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عما هو ضدُّه من الكذب والغيبة، وأشباههما.

وزكاة اللّسان: النصح للمسلمين، والتيّقظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيره.

وزكاة اليد: البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك، وتحريكها بكتبة العلوم، ومنافع ينفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض عن الشرور.

وزكاة الرّجل: السعي في حقوق زيارة الصالحين، ومجالس الذكّر، وإصلاح الناس، وصلة الرحم، والجهاد، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك، هذا ما تحمّل القلوب والتقوى استعماله وما لا يشرف عليه إلاّ عبادة المقرّبون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم»[(١)(٢)].

(١) مصباح الشريعة الباب الثاني والعشرون.

علة الخمس صوناً لذرية نبيه صلى الله عليه وآله عن الإفتقار

(٢) **قال النراقي**: قد فرضه الله تعالى على عباده صوناً لذرية نبيه صلى الله عليه وآله عن الإفتقار، وتنزيهاً لهم عن الصدقات التي هي أوساخ الناس، فقال سبحانه:

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

= والمستفاد من الآية: أن مانع الخمس لا إيمان له.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هلك الناس في بطونهم وفروجهم، لأنهم لا يؤدون إلينا حقنا». ولا ريب في عظم الثواب والأجر في أدائه وإيصاله إلى أهله، وكيف لا وهو إعانة ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وقضاء حوائجهم، وقضاء حوائجهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حققت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله».

وقال صلى الله عليه وآله: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عند ما إضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

وقال صلى الله عليه وآله: «من إصطنع إلى أحد من أهل بيتي يداً، كافيته يوم القيامة».

وعن الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أيها الخلائق، أنصتوا، فإن محمداً يكلمكم، فتنصت الخلائق، فيقوم النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أكافيه. فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا! وأي منة وأي معروف لنا؟ بل اليد والمنة والمعروف لله ورسوله على جميع الخلائق. فيقول لهم: بلى! من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برهم، أو كساهم من عرى، أو أشبع جائعهم، فليقم حتى أكافيه. فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله: يا محمد، يا حبيبي، قد جعلت مكافاتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت. قال: فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم». وقد ظهر مما تقدم بعض ما تعلق به من الأسرار والآداب والشرائط الباطنة.

وينبغي أن يكون معطيه في غاية الحذر عن إستعظامه وعن المن والأذى وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند إعطائه إياهم، ويعلم أنه عبد من عباد الله، أعطاه مولاه نبذاً من أمواله، ثم أمره بأن يصل قليلاً منها إلى ذرية نبيه ، وجعل له أيضاً في مقابلة هذا الإيصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الأجر والثواب في العقبى فما أقبح بالعاقل - مع ذلك - أن يستعظم ما يعطيه، ويمن على أولاد نبيه . [جامع السعادات ج ٣ ص ١٣٩-١٤٢].

الإنفاق على الأهل والعيال والتوسع عليهم

وهو أيضاً من الواجبات، على النحو المقرر في كتب الفقه. وما ورد في مدحه وعظم أجره أكثر من أن يحصى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله».

وقال صلى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لأهله».

=

= وقال (صلى الله عليه وآله): «المؤمن يأكل بشهوة أهله، والمنافق يأكل أهله بشهوته».

وقال (صلى الله عليه وآله): «أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى، وأبدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوح الله على الكفاف».

وقال (صلى الله عليه وآله): «دينار أنفقته على أهلك، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، وأعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على أهلك».

وقال (صلى الله عليه وآله): «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة، وأن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى فم إمرأته».

وقال (صلى الله عليه وآله): «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهّم بطلب المعيشة».

وقال (صلى الله عليه وآله): «من كانت له ثلاث بنات، فأنفق عليهم وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله تعالى له الجنة، إلا أن يعمل عملاً لا يغفر الله له».

وقال (صلى الله عليه وآله) يوماً لأصحابه: «تصدقوا. فقال رجل: إن عندي ديناراً. قال: أنفقه على نفسك. فقال: إن عندي آخر قال: أنفقه على زوجتك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على ولدك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على خادمك. قال: إن عندي آخر. قال (صلى الله عليه وآله): أنت أبصر به».

وقال (صلى الله عليه وآله): «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس! ملعون ملعون من ضيع من يعوله!». وقال (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ما رآه في البيت ينقي العدس، وفاطمة (عليها السلام) جالسة عند القدر: «إسمع يا أبا الحسن، وما أقول إلا من أمر ربي: ما من رجل يعين إمرأته في بيتها، إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى (عليهم السلام).

يا علي: من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف، كتب الله إسمه في ديوان الشهداء، وكتب له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة وأعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة.

يا علي: ساعة في خدمة البيت خير من عبادة ألف سنة، وألف حجة، وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة، وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. =

= ومن ألف أسيرة إشتراها فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطى للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة.

يا علي: من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب.

يا علي: خدمة العيال كفارة للكبائر، وتطفىء غضب الرب، ومهور حور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات.

يا علي: لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة».

وقال السجاد عليه السلام: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله».

وقال عليه السلام: «لئن أدخل السوق، ومعي دراهم أبتاع لعيالي لحماً، وقد قرموا إليه، أحب إلي من أن أعتق نسمة».

وقال الصادق عليه السلام: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله».

وقال عليه السلام: «من سعادة الرجل أن يكون القيم على عياله».

وقال الكاظم عليه السلام: «إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة».

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته».

وقال عليه السلام: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله».

والأخبار الواردة في ثواب الإنفاق على العيال وخدمتهم والتوسع عليهم مما لا تعد كثيرة. وما ذكرناه كاف لإيقاظ أهل الإستبصار. [جامع السعادات ج ٣ ص ١٤٣-١٤٥].

ما ينبغي في الإنفاق على العيال

ينبغي لطالب الأجر والثواب في الإنفاق على العيال: أن يقصد في كده وسعية في تحصيل النفقة وفي إنفاقه وجه الله وثواب الآخرة، إذ لا ثواب بدون القربة، وأن يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة، ولا يدخل على عياله إلا الحلال، إذ أخذ الحرام وإنفاقه أعظم الذنوب وأشد المعاصي، وأن يقصد في التحصيل والإنفاق، فليحترز عن الإقتار لئلا يضيع عياله وعن الإسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال، فيكون من الخاسرين الهالكين. قال الله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾. وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

=

= وعن الصادق عليه السلام: «أنه تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، فأخذ قبضة من حصى وقبضها بيده، فقال: هذا الإقتار الذي ذكره الله في كتابه. ثم أخذ قبضة أخرى، فأرخى كفه كلها، ثم قال: هذا الإسراف. ثم أخذ قبضة أخرى، فأرخى بعضها وأمسك بعضها، وقال: هذا القوام» وينبغي إلا يستأثر نفسه أو بعض عياله بمأكول طيب، ولا يطعم سائرهم منه، فإن ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف، إلا أن يضطر إليه، لمرض أو ضعف أو غير ذلك. وينبغي إلا يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه، وأن يقعد عياله كلهم على مائدة عند الأكل فقد روي: «أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة».

وأما الأمور المستحبة من الإنفاق، الداخلة تحت السخاء، فأولها:

صدقة التطوع

وفضلها عظيم، وفوائدها الدنيوية والأخروية كثيرة. قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا ولو بتمرة، فإنها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة، كما يطفىء الماء النار».

قال ﷺ: «إتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة».

وقال ﷺ: «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً، إلا كان الله آخذها بيمينه، فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله، حتى تبلغ التمرة مثل أحد».

وقال ﷺ: «ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته».

وقال ﷺ: «كل إمرىء في ظل صدقته، حتى يقضي بين الناس».

وقال ﷺ: «أرض القيامة نار، ما خلا ظل المؤمن، فإن صدقته تظله».

وقال ﷺ: «إن الله لا إله إلا هو، ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة، والحرق والغرق، والهدم والجنون. .» وعد سبعين باباً من الشر. وقال ﷺ: «صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل». وقال ﷺ: «إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه». وفائدة التخصيص بالذكر والليل: أن من يسألك ليلاً في صورة الإنسان، ويحتمل أن يكون ملكاً أتاك للإمتحان، كما روي: «أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام، وقال: يا موسى، أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل، إنه يأتيك من ليس بإنس ولا جان، بل ملائكة من ملائكة الرحمن، يبلونك فيما خولتك، ويسألونك فيما نولتك، فانظر كيف=

= أنت صانع يا إبن عمران». ولذلك حث رسول الله ﷺ على عدم رد السائل، وقال: «أعط السائل ولو على ظهر فرس».

وقال ﷺ: «لا تقطعوا على السائل مسألته فلولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم».

وقال الباقر عليه السلام: «البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء».

وقال الصادق عليه السلام: «داووا مرضاكم بالصدقة وإدفعوا البلاء بالدعاء، وإستنزلوا الرزق بالصدقة، فإنها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد».

وقال عليه السلام: «الصدقة باليد تقي ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء، وتفك عن لحى سبعين شيطاناً كلهم يأمره إلا يفعل».

وقال عليه السلام «يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده، ويأمره أن يدعو له».

وقال عليه السلام: «باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطاها، ومن تصدق بصدقة أول النهار دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، فإن تصدق أول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة». وكان عليه السلام - إذا أعتم - أي صلى العتمة - وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم، فحمله على عنقه، ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة، فقسمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام، فقدروا ذلك، فعلموا أنه كان أبا عبد الله عليه السلام وسئل عليه السلام عن السائل يسأل ولا يدري ما هو، فقال: «أعط من أوقع في قلبك الرحمة».

وقال عليه السلام في السؤال: «أطعموا ثلاثة، وإن شئتم أن تزدادوا فإزدادوا، وإلا فقد أديتم حق يومكم».

وقال عليه السلام في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها، قال: «يجري له من الأجر مثل ما يجري للمعطي، ولا ينقص من أجره شيئاً. ولو أن المعروف جرى على سبعين يد، لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء».

وقد وردت أخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء يعني في الأجر».

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله تعالى يحب إبراد الكبد الحراء، ومن سقى الماء كبداً=

= حراء، من بهيمة وغيرها أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».

وقال الصادق عليه السلام : «من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء، كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء، كان كمن أحيى نفساً، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً».

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله : «أي الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدق وأنت صحيح، تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا».

فضيلة الإسرار في الصدقة المندوبة

لا كلام في أن الإسرار في الصدقة المندوبة أفضل من أظهارها للمعطى في أعطائها، ويدل عليه الصادق عليه السلام : «الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية».

وقوله عليه السلام : «كلما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من أسراره، وكلما كان تطوعاً، فإسراره أفضل من اعلانه».

وإنما الكلام في أن الأفضل للآخذ في أخذها أن يأخذها سراً أو علانية. فقيل الأفضل له أخذها سراً، لأنه أبقى للتعفف وستر المروة، وأسلم لقلوب الناس وألسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة. وعون للمعطى على العمل، وقد علمت أفضلية السر على الجهر في الإعطاء، وأصون لنفسه عن الإذلال والإهانة، وأخلص من شوب شركة الحضار، فإن المستفاد من الأخبار: أن الحضار شركاء من أهدى له في الهدية. والظاهر أن الصدقة مثلها إذا كان الحضار من أهلها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من أهدى له هدية وعنده قوم، فهم شركاؤه فيها».

وقال الباقر عليه السلام : «جلساء الرجل شركاؤه في الهدية».

وقال عليه السلام : «إذا أهدى للرجل هدية من طعام، وعنده قوم، فهم شركاؤه في الهدية: الفاكهة أو غيرها». وقيل: الأفضل أخذها علانية، والتحدث بها، لتنفية الكبر والرياء، وتلبيس الحال، وإيجابة الإخلاص والصدق، وإقامة منة الشكر، وإسقاط الجاه والمنزلة، وإظهار العبودية والمسكنة، مع أن العارف ينبغي إلا ينظر إلا إلى الله، والسر والعلانية في حقه واحد، فإختلاف الحال شرك في التوحيد.

والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الإطلاق غير صحيح، إذ تختلف فضيلة كل منها بإختلاف النيات، وتختلف النيات بإختلاف الأحوال والأشخاص. =

= فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه، ويلاحظ حاله ووقته، ويرى أن أي الحالتين من السر والجهر بالنظر إليه أقرب إلى الخلوص والقربة، وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات، فيختار ذلك، ولا يتدلى بحبل الغرور، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان.

مثلاً إذا كان طبعه مائلاً إلى الإسرار ورأى أن باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة وخوف سقوط القدر من أعين الناس، ونظر الخلق إليه بعين الإزدراء، وإلى المعطى كونه منعماً محسناً إليه، أو خوف إلا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما أخذه، فليتنقل عن الإسرار ويأخذها علانية، إذ لو أبقى نفسه على ما إستكن فيها من الداء الدفين، وعمل بمقتضاها، صار هالكاً وإن كان طبعه مائلاً إلى الإسرار، وأيقن بأن باعث الميل إليه: إبقاء التعفف، وستر المروة، وصيانة الناس عن الحسد، وسوء الظن والغيبة، ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة، فالأولى أن يأخذها سراً.

ويعرف ذلك بأن يكون تألمه بإنكشاف أخذه للصدقة كتألمه بإنكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه وأخواله المؤمنين، فإنه إن كان طالباً لبقاء السر وإعانة المعطى على الإسرار، وصيانة العلم عن الإبتذال، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن، فينبغي أن يكون طالباً لها في صدقة أخيه أيضاً، إذ يحصل ما يحذر منه: من هتك الستر، وإبتذال العلم، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بإنكشاف صدقة أخيه أيضاً. فإن كان إنكشاف صدقته أثقل عليه من إنكشاف صدقة غيره، فتقديره الحذر من هذه المعاني تلبيس من النفس ومكر من الشيطان.

وإذا كان طبعه مائلاً إلى الإظهار، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التطيب لقلب المعطي، والإستحثاث له على مثله، والإظهار للغير بأنه من المبالغين في الشكر، حتى يرغبوا في الإحسان إليه، فليتنبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه، فليترك أخذها جهراً والتحدث بها، وينتقل إلى الأخذ خفية.

وإن تيقن من نفسه بأن الباعث هو إقامة السنة في الشكر، والتحدث بالنعمة، وإسقاط الجاه والمنزلة، وإظهار العبودية والمسكنة، أو غير ذلك من المقاصد الصحيحة من دون تطرق شيء من المفاسد المذكورة، فالإظهار أفضل، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه إلى الشكر، حيث لا ينتهي الخبر إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه، وبين يدي جماعة يعلم أنهم يكرهون إظهار الهطية ويرغبون في إخفائها، وعادتهم إلا يعطوها إلا من يخفيها=

هذا آخر كتاب أسرار الزكاة ومهمّاتها من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب: «أسرار الصيام ومهمّاته» والحمد لله أولاً وآخراً.

= ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها. ثم إذا جزم بكون الباعث إقامة السنة في الشكر، فينبغي أن يفعل عن قضاء حق المعطي، فينظر أنه إن كان ممن يحب الشكر والنشر فينبغي الأخذ ولا يشكر، لأن قضاء حقه إلا ينصره على الإثم، وإن كان ممن لا يحب الشكر ولا يطلب النشر، فالأولى أن يشكره ويظهر صدقته.

وينبغي لكل من يراعي قلبه أن يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها، إذ إعمال الجوارح مع إهمالها ضحكة للشيطان وشماته له، لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه أن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة، إذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر، وبالجهل به تموت عبادة العمر. [جامع السعادات ج ٢ ص ١٤٢-١٥٢].

زكاة أهل الشريعة

قال العارف المتألّه السيد حيدر الآملي: فالزكاة عندهم تجب في تسعة أشياء، الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والزبيب وما عداها لا يجب فيه، وهي على ضربين، أحدهما يراعى فيه حؤول الحول، والآخر لا يراعى فيه ذلك.

فما يراعى فيه حؤول الحول: الأجناس الخمسة التي هي سوى الغلات والثمار.

وما لا يراعى فيه الحول: الأجناس الأربعة من الغلات والثمار.

فشرائط ما يراعى فيه الحول على ضربين: أحدهما يرجع إلى المكلف والآخر يرجع إلى الأجناس.

فما يرجع إلى المكلف على ضربين: أحدهما شرائط الوجوب والآخر شرائط الضمان.

فشرائط الوجوب اثنان. الحرية وكمال العقل، فالحرية شرط في الأجناس الخمسة كلها، وكمال العقل شرط فيما عدا المواشي من الأثمان، لأن من ليس بكامل العقل من الصبيان والمجانين يجب في مواشيهم الزكاة.

وشرائط الضمان اثنان: الإسلام وامكان الأداء.

وما يرجع إلى الأجناس فشرط اثنان: حؤول الحول وبلوغ النصاب، وما لا يراعى فيه=

= **الحول فشرط اثنان**: أحدهما يرجع إلى من تجب عليه والثاني يرجع إلى الأجناس، فما يرجع إلى من تجب عليه الحرية فقط، لأن غلات من ليس بكامل العقل تجب فيها الزكاة، وليس في مال من ليس بكامل العقل شرط الضمان.

وما يرجع إلى الأجناس: شرط واحد وهو بلوغ النصاب، وهاهنا أبحاث وأحكام مختلفة بالنسبة إلى كل واحدة من هذه الأقسام وليس هذا المكان محتاج إلى أكثر من ذلك، والله أعلم وأحكم.

زكاة أهل الطريقة

فالزكاة عندهم بعد قيامهم بالزكاة المذكورة إذا وجبت عليهم تزكية النفس عن رذيلة البخل وتطهير القلب عن قذارة الشح المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، وإلى كثرة ثمراتها ونمائها وبركاتها من العلوم والحقائق والمعارف والدقائق بعد ذلك أشار وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وبيان ذلك مفصلاً وهو أن السالك إذا أخرج من قلبه صفة البخل والشح وأنبت موضعه صفة البذل والسخاوة، حصل من هذا أوصاف أخر لا يمكن حصر شعبها وسنابلها من المعارف والحقائق، وأقلها الفلاح والنجاة من الأوصاف الرذيلة والأخلاق المذمومة التي هي الموجبة للدخول في الجحيم المعنوية دون الصورية، لأن الصورية لا يكون إلا بعد المعنوية، لأن الجحيم ومراتبها بحسب الملكات والأخلاق وتمثيله بالحبة والسنبلة للمناسبة لأن كل صفة اتصف بها السالك محمودة كانت أو مذمومة يحصل منها أوصاف أخر يطول حصرها كالحبة، فإن الحبة الواحدة تقع في الأرض وتنبت منها سنبلات متعددة في كل سنبلة كذا وكذا من الحبة، لقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهذا أمر حسي مشاهد لا ينكره عاقل، وله المثل الأعلى، وبالنسبة إلى الزكاة المالية.

قيل: إنما سر التكليف بها بعد ما يرتبط بها من مصالح البلاد والعباد وسد الخلات والفاقات، لأن المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله ومدعون للحب بنفس=

= الإيمان، فجعل المال معياراً لحبهم وامتحاناً لصدقهم في دعواهم، فإن المحبوبات كلها تبذل لأجل المحبوب الأغلب حبه على القلب.

وقيل أيضاً: يجب على المعطي أن يحذر من المن بها على قابلها، وحقيقة المن أن ترى نفسك محسناً إلى الفقير متفضلاً، وعلامته أن يتوقع منه شكر أو تستنكر تقصيره في حقك وموالاته عدوك استنكاراً يزيد على ما كان قبل الصدقة، فذلك يدل على أنك رأيت لنفسك عليه فضل، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وعلاج ذلك وهو أن تعرف أنه المحسن إليك بقبول حق الله تعالى منك، فإن من أسرار الزكاة تطهير القلب وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح، فإذا طهرتها من هذا وجعلتها موصوفة بالعجب والكبر وإيذاء الغير فكأنك ما طهرته من شيء بل زدت خباثته ونجاسته نعوذ بالله منه، ولهذا كانت الزكاة طهرة إذ بها تحصل الطهارة وكأنها غسالة نجاسة من باطن فاعلها، ومن هذا ترفع رسول الله ﷺ وأهل بيته من أخذ الزكاة وقال: «إنها أوساخ أموال الناس» فإذا أخذ منك الفقير ما هو طهرة لك فله الفضل عليك، أرأيت لو أن فصاداً فصدك وأخرج من باطنك الدم الذي تخشى ضرره في الحياة الدنيا، أكان لك الفضل أم له؟، فالذي يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحياة الأخرى فهو أولى بأن تراه متفضلاً. هذا بحسب الظاهر.

وأما بحسب الباطن فحيث إن أهل الطريقة ليس لهم مالاً حتى به يخرجون زكاتهم، فزكاتهم تكون بإخراج ما يزكي نفوسهم من الأخلاق الذميمة والملكات الردية ثم بإنفاق أحب الأشياء إليهم في سبيل الله ومرضاته الذي هو النفس لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ومعلوم أن أحب الأشياء إلى الإنسان وبل إلى جميع الحيوان روحه ونفسه، فيجب حينئذٍ انفاقه في سبيل الله حتى تحصل له التزكية الحقيقية والطهارة الكلية المذكورة، ويصدق عليه أنه أدى الزكاة حقيقة لقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، ومعناه لا ينبغي أن تحسب أن من قتل في سبيل الله صورة أو معنى أنه عدم وما له من أجر، فإنه ليس كذلك، بل لصاحب القتل الصوري أجر ونصيب في الآخرة من الجنة والنعيم والقصور والقرب والكرامة، ولصاحب القتل المعنوي كذلك، لأن له في الدنيا المعارف والحقائق وحسن الأخلاق وطيب العيش=

= والمكاشفات والمشاهدات والاطلاع على حقائق عالم الملكوت والجبروت، وعلى الجملة مشاهدة الحق تعالى في مظاهره الآفاقية والأنفسية التي هي أعلى المشاهدات وفي الآخرة الجنة والنعيم والقصور والقرب والكرامة المذكورة، وفوق ذلك كله الوصول إلى المحبوب والمقصود وحصول ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر عنه أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، وقوله جل ذكره: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] إشارة إلى مجموع ما ذكرناه في هذا الباب وسيما إلى تعيين البر وتحقيقه الذي هو المقصود في هذا المقام، هذا وجه من الوجوه التي فيه، ووجه آخر وهو أن الزكاة بحسب الشرع يترتب على المواليد الثلاث من المعدن النبات والحيوان لأن الذهب والفضة من المعدنيات، والحنطة والعشير والتمر والزبيب من النباتات، والإبل والبقر والغنم وغيرها من الحيوان، وقد قال النبي ﷺ: «لكل شيء زكاة، وزكاة البدن الطاعة»، فكل عبد قام بطاعة ربه على ما أمر به فقد أدى الزكاة على الترتيب المذكور وحصل له التزكية الحقيقية كما ذكرناه، لأن أهل الله وخاصته قدس الله أرواحهم ونور ضرائحهم ذكروا في تطبيقهم للعالم الآفاقي بالعالم الصغير الأنفسي، أن عظامه الكبار والصغار بمثابة المعادن، وإن شعره وظفره وما شاكل ذلك بمثابة النبات، وإن نفسه الحيوانية وحواسه الظاهرة والباطنة بمثابة الحيوان، فكل من يقوم بطاعة ربه لا بد أن يحصل لجوارحه وأعضائه وأركانه المشتملة على المراتب الثلاثة تعب ونصب، وهذا التعب والنصب هي الزكاة عند التحقيق، وثمرة ذلك في الدنيا أنه إذا عمل هذا وطهر من الرجس والرجز، وارتفع عند الكدورات الطبيعية والرذائل الخلقية بحكم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ - ٥]، وبمقتضى إشارته ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] صارت مرآة قلبه مجلوة وظهرت فيها أنوار ملكوتية وآثار جبروتية، وبل صارت من سكانهما وأهاليهما اللواتي هي العقول المجردة والنفوس المطهرة المعبرة في الشرع=

= بالملائكة المقربين المشار إليها بالملأ الأعلى، ومن هذا كان الرسول ﷺ يقول دائماً في دعائه ومناجاته: «اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من بين يدي ونوراً من خلفي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي ونوراً في قبري اللهم زدني نوراً واجعل لي نوراً بحق حقك يا أرحم الراحيمن» والحكمة في هذا أنه يزول عنه الظلمة والكدورة والرجز والخبث والحدث ويحصل بازائها النور والصفاء والطهارة والتزكية واللطف والخلق، وتصير بسببها من أهل الملكوت والجبروت بقوة المناسبة، ويحصل له ما حصل لهم من المشاهدات والمكاشفات، وهذا ارشاد لغيره وتعليم لأمته تحريصاً لهم على تحصيل هذه المقامات والمراتب، وإلا النبي المعصوم ﷺ منزه عن امتثال ذلك كما تقرر في الأصول عند علماء الظاهر وأهل البرهان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ويجوز أن يحمل ذلك على الأرواح الثلاثة دون الأجساد في صورة الأعضاء، لأن في الإنسان روح معدني وروح نباتي وروح حيواني كما في الآفاق، فيحمل زكاة المواليد الثلاث على هذه الثلاث بإخراج أوصافها الرديئة وأخلاقها الذميمة عن كل واحدة منها، وطهارتها بالذي بازاء كل واحدة منها من الأخلاق والأوصاف، لأن الأرواح في الحقيقة حقيقة واحدة يتكثر بحسب الإضافات والاعتبارات، لأن لها بحسب كل صفة يحصل لها بسبب النزول إلى عالم الطبيعة اسم، أعني من حيث تجردها واطلاقها تسمى نفساً إنسانية، ومن حيث تعلقها بالبدن في أول الحال تسمى نفساً نباتية، وفي ثاني الحال نفساً حيوانية، وفي المرتبة الثالثة نفساً نفسانية، وقد أخبر الشرع والقرآن عن هذه النفوس الأربعة بالأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة، أما الأمارة فلقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وأما اللوامة فلقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢]، وأما الملهمة فلقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨] المطمئنة فلقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]، وذلك لأن النفس في أول الحال لضعف قوة العقل ومنعها عما يضرها تكون أمارة على البدن والقوى وما يتعلق بها، لكن إذا غلبت عليها النفس اللوامة بقوة العقل ومنعتها ملائماتها صارت لوامة، وقامت بملامتها ورجعت عما=

= كانت عليه، وإذا صارت هذه الملامة لها مَلكة وثبتت عليها واستقرت صارت ملهمة واستحقت الإلهام من الله تعالى في أفعالها وأحوالها، وحصل لها الفرق بين حسنها وقبيحها، خيرها وشرها، وإذا صارت هذه الحالة أيضاً ملكة لها وشاهدت بسببها عالم الغيب وصارت مستحقة لمشاهدة ربها صارت مطمئنة وحصل لها الرجوع إلى عالمها لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، ونعم الزكاة التي تكون ثمرتها هذه، والله أعلم وأحكم، هذه زكاة أهل الطريقة.

زكاة أهل الحقيقة

فالزكاة عندهم بعد القيام بالزكاتين المذكورين عبارة عن إخراج كل ما في الوجود عن درك تقييده وإيصاله إلى عالم الإطلاق ليزكيه به عن رجز الغيرية وخبث الاثنينية، لأن كل موجود يفرض وهو مطلق مع قيد شخصي بإضافة المطلق إلى المقيد.

وأما كيفية الإخراج من قيد التقييد فبالنسبة إلى المواليد الثلاث أولاً يكون بإخراجها عن قيد التركيب وإيصالها إلى البساطة الصرفة التي هي مرتبة العناصر.

وبالنسبة إلى العناصر: يكون بإخراجها عن قيد البساطة والتشخيص العنصري وإيصالها إلى بسائط العوالم العلوية من السماوات والأجرام.

وبالنسبة إلى السماوات والأجرام: يكون بإخراجها عن قيد السماوي والكوكبي وإيصالها إلى الجسم الكلي الطبيعي.

وبالنسبة إلى الجسم الكلي: يكون بإخراجها عن قيد الجسمية وإيصالها إلى مرتبة الهيولي الكلية.

وبالنسبة إلى الهيولي الكلية: بإخراجها عن قيد الهيولاني وإيصالها إلى مرتبة الطبيعة الكلية.

وبالنسبة إلى الطبيعة الكلية: يكون بإخراجها عن قيد الطبيعة وإيصالها إلى مرتبة الأرواح البسيطة.

وبالنسبة إلى الأرواح البسيطة: يكون بإخراجها عن القيد الروحي وإيصالها إلى مرتبة الأرواح القدسية إلى مرتبة النفس الكلية وعالم النفوس، ومن مرتبة النفوس الكلية المعبر عنها بالملكوت الأعلى إلى مرتبة العقول المجردة، ومن مرتبة العقول المجردة إلى مرتبة=

= الحضرة الأحدية والوجود المطلق المعبر عنه بالحق تعالى جل ذكره، فإن هذا الإخراج عن هذه القيود هي الطهارة الحقيقية والتزكية الكلية بالنسبة إلى كل موجود من الموجودات الممكنة، وقد سبق أن كمال المعدن في وصوله إلى أُفق النبات وكمال النبات في وصوله إلى مقام الحيوان وكمال الحيوان في وصوله إلى مقام الإنسان وكمال الإنسان في وصوله أولاً إلى مقام الملك ثم إلى مقام الخلافة الإلهية ثم إلى مقام الوحدة الصرفة المعبر عنه في قول العارف بالوصول الكلي المشار إليه في قوله: إذا تم الفقر فهو الله، وهذه الزكاة حيث يجعل الإنسان وبل الموجودات كلها طاهراً مطهراً من رجز التقييد ودنس التعين الذي هو الشرك الخفي المتقدم ذكره، فهي الزكاة الحقيقية المقصودة بالذات، لأنه ليس هناك طهارة أعظم من هذا، لأن طهارة الموجودات من قيد التقييد والإضافات أعظم الطهارات وأعلاها، وبل هي المقصودة بالذات من تكليف العباد بإخراج الزكاة، وفقنا الله تعالى للقيام بها وبأمثالها، لأنه المستعان وعليه التكلان، وحيث فرغنا من بحث الزكاة.

أسرار الصوم
ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم

الصوم ربع الإيمان

الحمد لله الّذي أعظم على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه، ورد أمله وخيّب ظنّه، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنّة، وفتح لهم أبواب الجنّة وعرّفهم أنّ وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنّة، وأنّ بقمعها تصبح النفس المطمئنّة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها، قويّة المُنّة[١].

والصلاة على محمّد قائد الحقّ وممهّد السُنّة، وعلى آله المعصومين وأصحابه ذوي العقول المرجحنّة[٢]، وسلّم كثيراً.

أما بعد: فإنّ الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ: «الصوم نصف الصبر»[٣] وبمقتضى قوله: «الصبر نصف الإيمان»[٤] ثمّ هو متميّز بخاصيّة النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيّه ﷺ: «كلُّ حسنةٍ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به»[٥]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٦]

---

(١) المُنّة ـ بالضم ـ: القوة.

(٢) قال في القاموس باب النون فصل الراء: جيش مرجحن ورحى مرجحنّة أي ثقيلة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ٢٦٠. وفي لفظ ابن ماجه والبيهقي: «الصيام نصف الصبر» كما في الجامع الصغير باب الصاد.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب كما في الجامع الصغير باب الصاد.

(٥) أخرجه النسائي في سننه ج٤ ص ١٦٢ عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ.

(٦) سورة الزمر: الآية، ١٠.

والصوم نصف الصبر، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب، وناهيك في فضيلته قوله ﷺ: «والّذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»، يقول الله عزّ وجلّ: «إنّما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به»[١].

وقال ﷺ: «للجنّة باب يقال له: الرّيّان لا يدخل منه إلاّ الصائمون»[٢] وهو موعودٌ بلقاء الله تعالى في جزاء صومه، قال رسول الله ﷺ: «للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربّه»[٣].

وقال ﷺ: «لكلّ شيء باب وباب العبادة الصوم»[٤].

وقال: «نوم الصائم عبادة»[٥].

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الفقيه[٦]:

---

(١) أخرجه البخاري ج٣ ص ٣٠ وفيه: «إنما يترك شهوته». والنسائي ج٤ ص ١٦٣ وفيه: «انما يدع شهوته». وخلوف الفم ـ بضم المعجمة واللام وسكون الواو على المشهور وقيل بفتح المعجمة ـ وهو تغير رائحته.

(٢) أخرجه البخاري ج٣ ص ٣٠، والنسائي ج٤ ص ١٦٨ بلفظ آخر وكذا في سنن ابن ماجه. وقال الزركشي: الريان فعلان أي كثير الري ضد العطش سمى به لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الرى عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزم.

(٣) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ١٦٣٨، وفي سنن النسائي ج٤ ص ١٥٩.

(٤) قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد. وقال في الجامع الصغير: اخرجه هناد عن ضميرة بن حبيب مرسلاً.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وفيه: «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف» كما في الجامع الصغير باب النون.

(٦) باب فضل الصيام ص ١٦٧.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة، والحجّ، والصوم، والولاية»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصوم جُنّة من النار»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغتب مسلماً»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: حين يفطر وحين يلقى ربّه عزّ وجلّ، والّذي نفس محمّد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: «ألا أُخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الصوم يسودّ وجهه، والصّدقة تكسر ظهره، والحبُّ في الله والموازرة على العمل الصالح تقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «أنّ الله تعالى وكلّ ملائكته بالدُّعاء للصائمين، وقال:

---

(١) المصدر ص ١٦٧ رقم إلى ٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) المصدر ص ١٦٧ رقم ٥ إلى ٦ ورقم ١٠ و١١. والموازرة: المعاونة، ودابره أي آخره بحيث لم يبق منه شيء ويمكن أن يقال: الدابر ههنا التابع والجند أو كناية عن الاستيصال. والوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

أخبرني جبرائيل عن ربّه تعالى ذكره أنّه قال: ما أمرت ملائكتي بالدُّعاء لأحد من خلقي إلاّ استجبت لهم فيه»[١].

وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[٢]، قال: يعني بالصبر والصوم».

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذ نزلت بالرَّجل النازلة أو الشدَّة فليصم، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[٣].

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من صام لله عزَّ وجلَّ يوماً في شدَّة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر، قال الله تعالى: «ما أطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا أنّي قد غفرت له»[٤].

وقال أبو الحسن الأوّل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قيلوا فإنّ الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه»[٥].

وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله متقبّل، ودعاؤه مستجاب»[٦].

وأعظم الصيام أجراً صوم شهر رمضان، ففي الحديث النبويّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

(١) نفس المصدر.
(٢) سورة البقرة: الآية، ٤٥.
(٣) الكافي ج٤ ص ٦٣ رقم ٧، والفقيه ص ١٦٨ رقم ٨ و٩.
(٤) الكافي ج٤ ص ٦٤ رقم ٨ وص ٦٥ رقم ١٧. والفقيه ص ١٦٨ رقم ١٤.
(٥) الكافي ج٤ ص ٦٥ رقم ١٤ والفقيه ص ١٦٨، رقم ١٥ وقوله: «قيلوا» أمر من قال يقيل قيلولة بمعنى النوم قبل الظهر.
(٦) الفقيه ص ١٦٨ رقم ١٦.

«من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً، وكفّ سمعه وبصره ولسانه عن النّاس قبل الله صومه وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأعطاه ثواب الصابرين»(١).

وفي الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل عن ليلة القدر، فقام خطيباً فقال بعد الثناء على الله عزّ وجلّ: «أمّا بعد فإنكم سألتموني عن ليلة القدر ولم أطوها عنكم لأنّي لم أكن بها عالماً، اعلموا أيّها النّاس أنّه من ورد عليه شهر رمضان وهو صحيح سويٌّ فصام نهاره وقام ورداً من ليله وواظب على صلاته وهجّر إلى جمعته وغدا إلى عيده فقد أدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرّبّ»؛ قال الصادق عليه السلام: «فاز والله بجوائز ليست كجوائز العباد»(٢).

وفي الصحيح، عنه عليه السلام: «قال: إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغنيُّ والفقير وذلك أنّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوّي بين خلقه، وأن يذيق الغنيّ نيل الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع»(٣).

قيل: لو لم يكن في الصوم إلاّ الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيميّة إلى ذروة التشبّه بالملائكة الرّوحانيّة لكفى به فضلاً ومنقبة.

قال أبو حامد: «إنّما كان الصوم لله ومشرّفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلّها له كما شرّف البيت بالنسبة إليه والأرض كلّها له لمعنيين:

(١) رواه المفيد ـ رحمه الله ـ في المقنعة ص ٤٩.
(٢) رواه الصدوق في الفقيه ص ١٧٤ تحت رقم ٤ و٥. وطوى الحديث كتمه. وهجر إلى جمعته أي ذهب إليه في الهاجرة.
(٣) الفقيه ص ١٦٧ رقم ١.

أحدهما: أنّ الصوم كفٌّ وترك وهو في نفسه سرٌّ ليس فيه عملٌ يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يعلمه إلاّ الله تعالى فإنّه عمل في الباطن بالصبر المجرّد.

والثاني: أنّه قهر لعدوّ الله فإنّ وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات، وإنّما يقوي الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ﷺ: «إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدّم فضيّقوا مجاريه بالجوع»[1] فلمّا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسدّاً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحقّ التخصيص بالنسبة إلى الله ففي قمع عدوّ الله نصرة لله ونصرة الله للعبد موقوفة على النصرة له قال الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[2] فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[4] وإنّما التغيير بكسر الشهوات، فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة[5] لم ينقطع تردُّدهم وما داموا يتردّدون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوباً عن لقائه، قال رسول الله ﷺ: «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[6]، فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جُنّة فإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحدّ فلا بدّ من بيان شروطه وذكر أركانه وآدابه

---

(١) أخرج صدر البخاري ج٣ ص ٦٢ وأحمد في المسند ج٣ ص ١٥٦ و٢٧٥ و٣٠٩.
(٢) سورة محمد: الآية، ٧.
(٣) سورة العنكبوت: الآية، ٦٩.
(٤) سورة الرعد: الآية، ١١.
(٥) الخصب ـ بالكسر ـ: كثرة العشب وهو الكلاء.
(٦) أخرجه أحمد عن أبي هريرة باختلاف وقوله: «يحومون» من حام الطائر حول الشيء إذا دار.

وسننه الظاهرة والباطنة ونبيّن ذلك بثلاثة أبواب:(١)

الصوم جنة

(١) **قال العارف سعيد القمي**: ولنكتف في ذلك الأخبار التي وصلت إلينا عن أهل بيت الحكمة والتأويل ومعادن الوحي والتنزيل فإنّها الكافية بها شهيداً والوافية بكشف الأسرار خبيراً.

فعن النبي أنه قال: أصل الإسلام الصلاة وفرعه الزكاة وذروته الصيام وسنامه الجهاد.

وعنه صلى الله عليه وآله: «زكاة الأبدان الصيام».

وقال صلى الله عليه وآله: «والصوم يسوّد وجه الشيطان».

وجاء نفر من اليهود إلى رسول الله فسأله أعلمهم: لأيّ شيء فرض الله الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً؟

فقال صلى الله عليه وآله: أنّ آدم لما أكل من الشجرة بقي في طيته ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه بالليل تفضّل من الله، وكذلك كان على آدم ففرض الله على أمتي، ثمّ تلا صلى الله عليه وآله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. [البقرة: ١٨٣] وفي ما كتب مولانا الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان: علّة الصوم العرفان مس الجوع والعطش ليكون ذليلاً مسكيناً، ويكون دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار عن الشهوات، وليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة.

وفي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة قال الصادق عليه السلام: «قال رسول الله : الصوم جُنّةٌ. أي من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فإذا صمت فَانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمّة عن خطرات الشيطان، وأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً متوقعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهّر باطنك من كلّ كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به» فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفارة القلب، وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وحبل الإلتجاء إلى الله وسبب إنكسار الهمّة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات؛ وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرنا منه لمن عقل ووفق.

= بيان ما يمكن أن يستنير من هذه الأنوار وما ينبغي أن يكون من الأسرار حسب ما وصل إليه فهمي القاصر وفكري الفاتر والله المستعان وعليه التكلان، فأقول:

الإستعارة في حديث الذروة والسّنام إما من الحيوان خصوصاً الإبل فيكون الذروة والسنام تخييلاً ويكون المراد بالأصل البدن، وبالفرع الشعر التام، ووجه الشبه ما قد يمكن أن تكون تعرفت في تضاعيف السوالف من الحقائق واللطائف أنّ الأمور العالية لمّا كانت من عالم الحياة والبهجة، فلها من الصّور التي ينبغي أن تكون عليها في عالمها صورةٌ من الصور الحيوانية طبق ما تقتضيه المشابهة؛ وإما أن يكون الإستعارة من الأشجار فيكون ذكر الأصل والفرع تخييلاً والمراد بـ«الذروة» (بالكسر والضمّ) وكذا بـ«السّنام» عوالي الشجر وأعاليه، ووجه الشبه أنّ العبد يصعد بهذه العبادات إلى أعلى علّيين وتنمو أعماله إلى أن تجعله من المقرّبين وعلى التقديرين فكون الصلاة أصلاً وعماداً لأنها كما عرفت إشارة إلى التوحيد الذي هو أصل الأصول والمعرفة التي هي مدار الفَرق والوصول.

وأما فرعية الزكاة فلكونها أداء حق الله، فهي فرع الصلاة التي هي معرفة الله، وقدمت على الصيام لما قلنا في السوابق ومضى ها هنا أنّ الصيام زكاة الأبدان فهو إخراج حق من حقوق الله فبقي أن يكون على الذروة وهي ما يتصل بالفرع من جهة العلو وهكذا الحكم في الجهاد وقد عرفته في أسرار الصلاة.

ثمّ أن خبر «تسويد الصوم للشيطان» لعلّ الوجه فيه أنّ عمدة مداخل الشيطان في الإنسان الفرج واللسان وهذان الطريقان في الصوم مسدودان فسواد الوجه كناية عن الخيبة والخسران. وأيضاً أنّ طينة الشيطان إنّما يناسب المرتبة الحيوانية من الإنسان ولذلك يجري من أبن آدم مجرى الدم الذي هو السلطان في الحيوان، ولا ريب أنّ الإنسان بالصوم الذي يمنع القوة الشهوية من مقتضاها وممّا يقويها يُضعف تلك القوة ويُوهنها لا محالة، والضعف في الأمور الجسمانية النباتية منها والحيوانية يستلزم سواد البشرة كما لا يخفى.

وأما خبر «سؤال اليهود» فإنّه سؤالان:

أحدهما: عن كون الصيام في ثلاثين يوماً.

والثاني: إنّ ذلك وجب في النهار دون الليل ونحن نضيف إلى ذلك سؤالاً آخر يتمّ به المقصود وهو وقوع ذلك في شهر رمضان فها هنا فواتح: =

= **الفاتحة الأولى**: ذكر رسول الله ﷺ في المقام الأول: أنّ آدم لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته الجوع والعطش ثلاثين يوماً، وكذلك كان على آدم عليه السلام: فاعلم، أنّه أجمل فاعل «البقاء» فإمّا أن يكون المسند إليه ضميراً راجعاً إلى المأكول الذي هو الثمرة حيث يفهم من فحوى الكلام بمعنى أنه يبقى ذلك المأكول، أو راجعاً إليه بإعتبار تقدير الأثر أي يبقى أثر المأكول.

أمّا على الأول: فلأن الغذاء إذا ورد البدن فبالضرورة تفعل القوى الفعّالة التي في المادة الغذائية فعلاً ويكسبها صورة فصورة لكن تلك المادّة المتصرفة فيها تبقى ثلاثين أو أربعين يوماً وعند إنقضاء تلك المدة لا يبقى من هذه المادة شيء وهذا إحتمال لا تنفيها الأصول الطبيعية.

وأمّا على الثاني: فإنّ ذلك الغذاء يبقى أثرها أي الآثار المترتبة عليه من المنافع والمضار من صيرورته بَدَلاً لما يتحلّل وقواماً للبدن في تلك المدة.

وأمّا سرّ الأربعين: فقد وقفت سابقاً على القدر الذي تطمئن به.

وأمّا الثلاثون: فلعلّ بقاء الأثر أو الشيء نفسه في الأمزجة القوية حسب ما تقتضيها طباع مبادىء أشخاص هذا النوع كان في ثلاثين يوماً.

وأمّا سريان الحكم في الأبناء: فلأنّ الذريّة كانت في صلبها فتشارك أبيها في الإغتذاء فيجب عليها التخلص منها في المدة التي اغتذت بها.

وأمّا سرّ كون الذريّة في الصلب: فقد عرفت أنها بإعتبار المادّة القابلة للصورة الإنسانية وأنّها هي التي لَبِسَت أولاً صورة الأب ثم تفرقت في الأبناء وأنها ليس لها بذاتها مقدار خاص ولا يستبعد إشتمالها على تلك الكثرة المقدارية التي في الأبناء نظير ذلك تكون بيدر أو بيادر من مادّة حبة واحدة هذا في البدن وأمّا إذا كان بإعتبار الروح فالأمر أوضح عند أهله.

الفاتحة الثانية: ذكر ﷺ في جواب السؤال الثاني أنّ «**الذي يأكلونه باللّيل تفضّل من الله**» والمعنى أنّ الوضع الطبيعيّ يقتضي الإمساك في هذه المدّة ليلاً ونهاراً لكن الله تعالى لمّا علم أنّ ذلك غير مقدور لأمزجة أبناء النوع تفضّل عليهم بإعطاء الرّخصة في الأكل باللّيل لأنّه سبحانه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها.

فإن قيل: إذا كان الأمر على التفضيل والتسهيل فينبغي أن يكون ذلك في اللّيل لأنه أسهل والشريعة المقدسة سهلة سمحاء. =

= فنقول: قد سبق أن آدم عليه السلام فعل ذلك في اليوم وقبلت توبته وقت المغرب وخلص من الذنب في ذلك الوقت فجرت هذه السنة في كلّ يوم من أيام الصيام بأن يتخلصوا في هذا الوقت ويترخّصوا الأكل الطعام.

الفاتحة الثالثة: في بيان وجوب ذلك في شهر رمضان المبارك وهو أن الله تعالى يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ وفي الخبر، غُرّة الشهور شهر رمضان وقلب شهر رمضان ليلة القدر نزل القرآن في أول ليلة منه وتكامل في ليلة القدر:

فاعلم، أن الموجودات التي عندنا، هي تفاصيل موجودات عالم الأمر وقد سبق مراراً أنّ القرآن هو جملة الحقائق العلمية وأنّ قوام هذا العالم الذي نحن فيه إنّما هو بتنزّل الأمر من سماء عالم القدس والمقام المكين إلى أرض التكوين والتلوين، فيجب من ذلك أن يكون إبتداء عمارة هذا العالم في ليلة القدر التي جرت السنّة الإلهية بنزول الأمر فيها، ولأجل بركة تلك الليلة المباركة إكتسبت منها البركة ليال تتقدّمها وليال تتأخر عنها بحيث يكون المجموع ثلاثين يوماً وهو المسمّى بشهر رمضان.

وأمّا أكثرية عدد ما قبلها من اللّيالي بالنظر إلى ما بعدها حتى أنّ الأولى يقرب من عشرين بخلاف الأخيرة، فلأنّ النور إذا شرع في الظهور يتنوّر بضوئه ما يقبل لشروق ذلك النور وطلوعه حتى يطلع بكله فإذا طلع بتمامه فاجأه الإنغمار في المواد الكونية الظلمانية فيختفي نوره سريعاً بخلاف شروقه، فإنّه من عند نفسه وبأمرٍ من ربّه.

وقد نقل أنّ صحف إبراهيم عليه السلام نزلت في أول ليلة من شهر رمضان وهو مبدأ طلوع النور الفرقاني وصبيحة اليوم الجمعي المحمّدي ونزلت التوراة.

في الليلة الثالثة منه وهو وقت شروق ذلك النور.

وفي الليلة الثانية عشر نزل الزبور وهو وقت إرتفاع هذا النور.

وفي الليلة الثامنة عشر نزل الإنجيل وهو كمال إرتفاع ذلك النور.

وفي الليلة الثالثة والعشرون نزل الفرقان وهو إستواء هذه الشمس وفي الوحي القديم: جاء النور من طور سيناء وأشرق من ساعير وإستعلت في جبل فاران.

وهذا صريح في وحدة النور وتفاوت إشراقاته. وسرّ ذلك أنّ نبيّنا سيّد المرسلين كما هو مجمع أنوار الأنبياء ومنتهى معارج كمالها، كذلك القرآن هو جملة الحقائق الإلهية المنزّلة=

= في الكتب السماوية فهو كصاحبه على مستوى الكمال وفي قُصيا درجات الجمعية والإشتمال؛ فإحتفظ بذلك الوميض الساطع فإنه مما لا تجده في كتب البوارع والحمد لله الواهب النافع.

وأمّا حديث مصباح الشريعة، فالإمام الصادق عليه السلام فسّر أولاً الخبر المنقول عن جدّه سيّد الأنبياء صلوات الله عليه وآله وسلم: بأن المراد من كون الصوم جنّة هو أنه ستر من آفات الدنيا حيث أنّ الإرتياض البدني يحفظ الشخص من الأمراض والأسقام فكأنّه حِميَة من مضار الأغذية والأشربة التي وقعت في عرض العام المولّدة للمواد الغليظة التي لا تتحلل إلاّ بالإرتياض التام.

وكذا، هو حجاب من عذاب الآخرة حيث إمتثل أمر الله وإستسلم حكم الله فوجد مسّ الجوع والعطش وزكت نفسه وذلّت وأطاعت لله وحده فيثاب بكل ذلك ويبعد عن النار وأهوال يوم القيامة.

وأيضاً، يكون دليلاً على شدائد الآخرة فيحترز بذلك الخوف الحاصل من الصيام، عن إرتكاب ما يوجب الجوع والعطش في دار المقام.

وأيضاً، تنكسر بسبب الصوم شهوته فلا يقرب من المحرّمات كلّ القرب، ويعلم حال الفقير من شدّة الجوع والمسكنة فينفق في سبيل الله تعالى ويكتسب الثواب والزلفى والحجاب من شدائد الدار الأخرى، إلى غير ذلك من منافع الدنيا والعقبى.

قوله عليه السلام: «فإذا صُمتَ» أي إذا صمت الصيام الظاهر - من الإمساك عن المطاعم والمشارب والمناكح فان والصوم الباطن، بأن تكفّ نفسك عن كلّ ما تشتهي نفسُك مما ليس يُقرّبُك إلى الله فـ ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ وكذا تقطع همّتك أي ما هو مقصودك أو قصدك عن خطرات ما سوى الله، فإنّها خطرات الشيطان؛ وانزل نفسك أي باطنك مريضاً من رذايل الأخلاق وفواسد الأخلاط بحيث لا تشتهي طعاماً ولا شراباً كما عليه المرضى متوقعاً في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهر بهذه الحمية باطنك من من كلّ كدر يحصل من أغذية الآراء الباطلة والخطرات الشيطانية ومن كلّ غفلة عن ذكر الله وعن كلّ ظلمة جهل بقطعك هذه كلّها عن معنى الإخلاص لوجه الله أي عن أن تكون بكليتك بسبب صومك مخلصاً له عزّ وشأنه.

ثم ذكر عليه السلام شاهداً على ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله نقلاً عن الله تعالى أنه قال: =

= «الصوم لي وأنا أجزي به» والمعنى أن غير الصوم من العبادات إنّما هي طلب فعل يشعر بالأنانية والغيرة ويُنبىء عن الرغبة والبغية، بخلاف الصوم فإنه تركٌ للمطلوبات وقطع للنفس عن المشتهيات وكفٌّ عن كل ما يُرغَب إليه ويُبتَغي، وفي ذلك إفناء للنفس عن مُشتهاها بل عن أصلها وكليّتها بأن يفنى عن نفسها وعن بقائها بعد الفناء، فالصوم عبارة عن «الفناء في الفناء» فلا يبقى إلاّ الله، لا أنّها تبقى ببقاء الله، فإنّ ذلك يشعر عن الغيرية والأثنوة فيكون جزاؤه هو الله وحده، لا بقاؤه عزّ شأنه.

وقد قيل في معناه: أنّ سائر العبادات إنّما تتحقق بحركات قلّما تخلو عن شبهة الرياء بخلاف الصيام، فإنه مما حقيقته أن لا يطلع عليه إلا الله، فيكون الله سبحانه يتفرد بإعطاء جزائه من النظر إلى وجهه الكريم، والكرامة بلقاء الله الملك العظيم.

وأيضاً، بالصّوم يتشبّه الإنسان بالملائكة المقرّبين والأنوار القدّيسين وهم الله، ووجودهم وهويتهم هو كونهم لله، فيصير العبد بهذا التشبّه لله فالصوم لله من هذه الجهة. وقد قلتُ في سوالف الزمان ووجدته في كرّاسة في معناه: إنّ سائر العبادات إنّما هي للوصول إلى مرتبة الإنسان النّوري: كما الصلاة لمقامات توحيده ودرجات معرفته، والحج لتذكر عهوده وأخذ مواثيق في عوالمه السّابقة على هذا الوجود العنصري، بخلاف الصوم فإنه للإمساك عن الكلّ وقطع الأصول والفروع للإنقطاع إلى مبدأ المبادىء وعلة كلّ معلول. وما ذكرناه أوّلاً أعلى وأصفى.

ثم إنّ عليه السلام فرّع على ذلك الحكم الذي قد قلنا في بياننا، قوله: «فالصّوم يميت مواد النفس» إشارةً إلى فنائها بكليّتها، «ويميت شهوة الطبع»، إشارة إلى الفناء عن مشتهياتها الدنيوية والأخروية. وفيه صفاوة القلب الذي هو اللطفية الإلهية أي صفاء الروح العلويّة عن الميل إلى غير وجه الله والقرب منه، وطهارة الجوارح الظاهرة عن الأدناس الدنيوية، ونظافة القوى الباطنة عن الخيالات الشيطانية والهوسات النفسانية، وعمارة الظاهر والباطن بتخريب بنيان الإنيّة بالفناء عن الكل بالكلية لأنّ توهم الوجود لشيء يقتضي السّكنى في هذا الخراب والوقوف تحت الحجاب.

وفيه، أي في الصوم، الشكر على النعم لأنّ حقيقة الشكر هو رؤية المنعم لا النعم وذلك يستلزم الحكم بفناء الغير على الحقيقة. وفيه، الإحسان إلى الفقراء لما قد مسّه من الجوع والعطش وعدم الوصول إلى المشتهيات مع الرغبة إليها.

= وفيه، زيادة التضرع والخشوع والبكاء لما قد يشاهد من أن تقليل الغذاء إنّما هو تقوية الروح وتحريكه إلى الجنبة العالية والمبدأ الأعلى بالخضوع والخشوع والبكاء.
وهو، حبل الإلتجاء إلى الله تعالى وسبب إنكسار الهمة حيث قلنا: إنّ الصوم عبارة عن فناء العبد عند المولى فهو سبب إنكسار الهمّة عن غير الله وموجب لتخفيف الحساب، إذ الحساب إنّما هو على شيء والصائم قد فنى عن نفسه وعن كل شيء، وكذا تضعيف الحسنات لأنّه إذا أفنى عن الكلّ يقوم مقامه من يكفي عن القُلّ والجُلّ وكفى بالله وكيلاً والله المستعان. [أسرار العبادات للقاضي سعيد القمي ص ٨٩-٩٧].

* * *

قال العارف السيد حيدر الأملي:

صوم أهل الشريعة

فالصوم عندهم عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة بزمان مخصوص، ومن شرط صحة النية فإن كان الصوم متعيناً بزمان مخصوص على كل حال، مثل شهر رمضان والنذر المعين، (فيكفي فيه مطلقة النية دون نية التعين)، وإن لم يكن متعيناً احتاج إلى نية التعيين، وذلك كل صوم عدا شهر رمضان نفلاً كان أو واجباً ونية القربة يجوز أن تكون متقدمة، ونية التعيين لا بد من أن تكون مقارنة وقتها، فإن فاتت نسياناً إلى أن يصبح جاز تجديدها إلى زوال الشمس، فإذا زالت فقد فات وقتها، فإن كان صوم شهر رمضان صام ذلك اليوم وقضى يوماً بدله، ولهذا الصوم أقسام وشرائط وأحكام، وهو واجب ومندوب ونذر معين وغير معين وأمثال ذلك، ولا يحتمل هذا المكان كلها، نختصر منها على بيان ما يلزم منه القضاء والكفارة وعلى بيان ما يلزم القضاء دون الكفارة، فما يوجب القضاء والكفارة تسعة أشياء: الأكل والشرب والجماع في الفرج وإنزال الماء الدافق عامداً والكذب على الله وعلى رسوله والأئمة عليهم السلام متعمداً والارتماس في الماء عند البعض وأيضاً الغبار الغليظ متعمداً، مثل غبار الدقيق أو غبار النفض وما جرى مجراه، والمقام على الجنابة متعمداً حتى يطلع الفجر ومعاودة النوم بعد انتباهتين حتى يطلع الفجر، والكفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً مخير في ذلك. وأما ما يوجب القضاء دون الكفارة فثمانية أشياء: الإقدام على الأكل والشرب أو الجماع قبل أن يرصد الفجر مع القدرة عليه، ويكون طالعاً وترك القبول عمن قال إن الفجر قد طلع، (والإقدام على تناول ما ذكرناه ويكون الفجر قد طلع)، وتقليد الغير في أن الفجر=

= لم يطلع مع قدرته على مراعاته ويكون قد طلع، وتقليد الغير في دخول الليل مع القدرة على مراعاته، والإقدام على الإفطار ولم يدخل، وكذلك الإقدام على الإفطار لعارض يعرض في السماء من ظلمة ثم تبين أن الليل لم يدخل، ومعاودة النوم بعد انتباهة واحدة قبل أن يغتسل من الجنابة ولم ينتبه حتى يطلع الفجر، ودخول الماء إلى الحلق لمن يتبرد بتناوله دون المضمضة للصلاة، والحقنة بالمائعات، هذا صوم أهل الشريعة على طريق أهل البيت عليهم السلام.

صوم أهل الطريقة

فالصوم عندهم بعد قيامهم بالصلاة المذكورة عبارة عن إمساكهم عن كل ما يخالف رضا الله تعالى وأوامره ونواهيه قولاً كان أو فعلاً، علماً كان أو عملاً كما سبق سيجيء تفصيله مبيناً، وإذا تقرر هذا فاعلم: أن رسول الله ﷺ قال مروياً عن الله تعالى أنه قال: **«لكل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم، فإنه لي وأنا اجزي به»**، وقال النبي ﷺ: **«لكل شيء باب وباب العبادة الصوم»** وخصوصية الصوم بهذه الخصال وذكره بهذا التعظيم والإجلال عند النظر الصحيح ليس إلا لأمرين، **أحدهما**: أنه يرجع إلى كف من المحارم ومنع النفس من الشهوات، وإلى أنه عمل سري لا يطلع عليه غير الله دون الصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، فإنه يمكن اطلاع الغير عليها. ويمكن دخول الرياء والعجب فيها، اللذان هما سببان عظيمان لإبطال العبادات وإحباط الطاعات لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، والشرك هاهنا باتفاق المفسرين هو الرياء، وقال النبي ﷺ: **«دبيب الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء»**. وعند علماء الظاهر هذا الشرك بمعنى الرياء، وإن كان عند علماء الباطن كما سبق ذكره بمعنى رؤية الغير مع وجود الحق تعالى كما عرفته مراراً، وقال علي عليه السلام: **«إن أدنى الرياء الشرك»**، وذلك أيضاً يرجع إلى هذا المعنى، لأن الرياء لا يحصل إلا مع رؤية الغير وإظهاره العبادة عليه رياء وشهرة، **والثاني**: أنه قهر لعدو الله، فإن الشيطان هو العدو، ولم يقو الشيطان إلا بواسطة الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان، ومع عدم الآلة يستحيل الفعل، ولذلك قال ﷺ: =

= «إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» وفيه سر قوله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى منادٍ يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر» والمراد منه أن الشيطان الذي هو ممد الشر ومنشؤه قد ضعف وكذلك أعوانه، فعليكم بالسعي في الخيرات والتقصير في الشرور والشهوات.

وأما الإمساك المذكور فعلى قسمين، قسم يتعلق بالظاهر وقسم يتعلق بالباطن، **أما الظاهر**: فالإمساك الأول فيه إمساك اللسان عن فضول الكلام وعن كل ما يخالف رضا الله تعالى وإرادته من الأوامر والنواهي، لأن الله تعالى ما أمر مريم عليها السلام في صومها إلا بإمساك الكلام لقوله: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦]، ويعلم صدق هذا أيضاً من قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦] الآية، لأن هذا أمر بالأكل والشرب، وذاك أمر بالسكوت عن فضول الكلام، فعرفنا أن أعظم الصوم السكوت عن فضول الكلام، وهذا لو لم يكن كذلك ما قال النبي ﷺ: «من صمت نجا»، والحكمة في ذلك أن صمت الظاهر من القول باللسان سبب لنطق الباطن والقول بالجنان، ولهذا كانت إذا سكتت مريم عليها السلام من القول باللسان نطق عيسى عليه السلام في المهد بالبيان ودعوى خلافة الرحمن: فافهم جيداً فإنه دقيق، ويعرف من هذا سر قوله ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وورد عن النبي ﷺ أيضاً: «إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا» والمراد أي فأمسكوا الشروع فيه باللسان والقول، وبل بالعبارة والإشارة فإنه ليس بقابل لذلك، وكلما ليس بقابل للقول فيه لا ينفع الإخبار عنه باللسان، وبل يضر كالعلوم الذوقية والمعارف الإلهية، ولهذا قال ﷺ في موضع آخر: «من عرف الله كَلَّ لسانه» أي كَلَّ لسانه عن القول فيه والعبارة، لأنه ذوقي شهودي، واللسان يعجز عن القول فيه كما يعجز الشخص مثلاً عن بيان حلاوة العسل إذا عرفها وذاقها بالتناول منه، وقد ورد أيضاً: «إذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وكان المراد هذا، لأن سر القدر على التحقيق ذوقي شهودي، وكذلك سر أصحابه الحقيقي فإنه أيضاً ذوقي شهودي وجداني، وورد أيضاً: «هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟» وحصائد الألسنة في الأغلب لا يستعملون إلا في فضول الكلام، وقال أيضاً عليه السلام: «من كثر كلامه كثر سخطه ومن كثر سخطه قل =

= حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه دخل النار» ويشمل جميع ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾ [النور: ١٤-١٨]، والله ثم والله لو لم يكن في هذا الباب في القرآن إلا هذه الآيات لكفى جزماً بالسكوت عن فضول الكلام وعن الذي ليس لصاحبه به علم، ومع ذلك كله كل من يعتقد أن عليه ملكان موكلان وكلهما الله تعالى ليكتبا كلّ ما صدر منه خيراً كان أو شراً ما تكلم إلا بقدر الضرورة، ولا نطق بشيء غير الخير، والشاهد على هذا قوله جل ذكره: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾ [ق: ١٧]، وإذا عرفت هذا فعليك بحفظ اللسان والسكوت عن فضول الكلام، فإن مضرته أكثر من منفعته، وفساده أعظم من فائدته، وقد عرفت صدق هذا من العقل والنقل، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فأما الإمساك الثاني: فإمساك البصر عن مشاهدة المحرمات والمنهيات مطلقاً، وعن المحللات والمباحات إلا بقدر الضرورة، لأن الورع والتقوى ليس في الاجتناب والاحتراز عن المحرمات والمنهيات فقط، بل عن المحللات والمباحات إلا بقدر الحاجة والضرورة، وإلى هذا المعنى أشار الحق في قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ...﴾ [النور: ٣٠] الآية، لأن غض الأبصار لازم لحفظ الفروج في الأغلب، لأن من لم يشاهد الشيء لم تطلب نفسه منه ولا يكون له ميل إليه، كالأعمى فإنه حيث ما شاهد الألوان ولا يعرف الفرق بينها ليس له ميل إلى مشاهدتها إلا من حيث الاستماع، وهذا أمر وجداني يجده كل عاقل من نفسه، والغرض أن غض الأبصار له دخل عظيم في حفظ الفروج التي هي مادة كل فساد ومنبع كل شر، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك وأدخل الحافظين لفروجهم في زمرة الصالحين والخاشعين من عباده وأثنى عليهم بذلك، وهو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ١-٧] وقوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ إشارة إلى ما قلناه أن النظر إلى =

= المحللات والمباحات ينبغي أن يكون بقدر الحاجة أيضاً.

وأما الإمساك الثالث: فإمساك السمع عن استماع ما حرم الله تعالى عليه وعلى المكلفين مطلقاً، كالغيبة للمسلم واستماع التغني بالحرام واستماع كلام أهل الضلال والفسقة من أهل البدع الذي يكون سبب انحرافه عن طريق الحق والدين القويم والصراط المستقيم لقوله تعالى فيه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ولقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وقد جمع الكل قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، والفؤاد وإن لم يكن داخلاً في الحس الظاهر لكن في الحقيقة الكل يرجع إليه، لأن عند الأكثر الحواس ما لها شعور بنفسها، بل هي آلات للنفس المعبر عنه تارة بالفؤاد وتارة بالعقل وتارة بالروح، فإنها الشاعر بالحقيقة، لأن حس البصر ما له قوة أن يعرف أن جرم الشمس مثلاً على جرم الأرض بكذا كذا مقدار، فإن مقدار أقل كوكب في السماء وهو أضعاف جرم الأرض فضلاً عن الشمس وحسن البصر يدركه بقدر القرص أو الترس ولا يشعر بذلك أصلاً لأن هذا ليس كذلك، وإن رؤيتها لها بقدر قوتها إدراكها لا غير، وذلك مبسوط في الكتب الحكمية من أرادها وقف عليها، والسلام.

وأما الإمساك الرابع: فإمساك الشم عن رائحة خبيثة أو طيبة، أما الخبيثة فلأنها توجب النفر والكراهية في الطبع، وبل يؤذي منها أعظم الجوارح وأشرفها كالكبد والدماغ والقلب، وبل يؤدي إلى الموت المعبر عنه بالفجأة، وأما الطيبة فلأنها مهيجة إلى الشهوات محرمة كانت أو محللة، كالمسك والعبير والعنبر وأمثال ذلك، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يكره رائحة الثوم والبصل ويحب رائحة الورد والنرجس وأمثالهما، كما قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**» كما سبق بيانه.

وأما الإمساك الخامس: فإمساك الذوق من أن يذوق شيئاً يجذبه إلى الشهوات أو إلى إزالة العقل كالمسكرات المعلومة وغيرها كمال اليتيم والربا وأمثالهما لقوله تعالى في الأولة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ولقوله في الثاني: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، إشارة إلى التعديل =

= في المأكول والمشروب المتعلقان بالذوق، لئلا يصل إلى حال الإفراط والتفريط المذمومان مطلقاً، المعبر عنهما باليمين والشمال لقوله ﷺ: **«اليمين والشمال مضلتان»** فالطريق المستقيم هي الوسطى.

وأما الإمساك السادس: فإمساك اللمس عن لمس شيء يجذبه إلى المحرمات المذمومة أو إلى المحللات المفرطة الخارجة عن حد الاعتدال لقوله تعالى فيه وفي غيره من الحواس: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢١]، حتى إذا ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، ولقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، ونظراً إلى هذه الحواس التي هي رعايا الشخص وأعوانه وأفعاله وأقواله وتحصيل كمالاته قال النبي ﷺ: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**، يعني كلكم راعٍ وحاكم وسلطان بالنسبة إلى رعاياكم التي هي حواسكم وقواكم، وكلكم غداً تكونون من الذين تُسأل عنهم وعن استعمالهم، فإن استعملتموهم في الذي خلقوا لأجله فأنتم معدودون في أهل العدل والقسط، ومرجعكم إلى الجنة والرحمة، وإن استعملتموهم في غير الذي خلقوا لأجله فأنتم معدودون في أهل الظلم والجور والعدوان، ومرجعكم إلى الجحيم والغضب والنقمة، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، كما أن العدل وضع الشيء في موضعه، فكل من استعمل أعضاؤه وجوارحه في غير ما خلق لأجله فهو الظالم، والظالم ملعون مستحق للنار والعذاب، والحق تعالى جل ذكره لتنظيف هذه الحواس واستعمالها في موضعها أمر بالطهارة المذكورة من الوضوء والغسل والتيمم، ولقوله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] الآية بتمامها، لئلا يغفل العبد عن هذه ويقوم بوظائف الظهارة بحسب الشرع في الظاهر وبحسب باطن الشروع في الباطن كما سبق ذكره أيضاً، وقد ورد عن بعض الأئمة عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، إنه تعالى أراد بالمساجد، المساجد السبعة من الأعضاء الظاهرة كالجبهة واليدين والركبتين والرجلين، ومعناه أن هذه المساجد هي لله ملكه وخلقه وعبيده، فلا تصرفوها في غير مرضاته وغير ما خلقوا لأجله، والكل راجع إلى ما قلناه أولاً وأخيراً، وهو أنه يريد أن العبد يقوم بصرف=

= كل عضو له فيما خلق لأجله ليتصف بالذين يضعون الأشياء مواضعها ويصدق عليه أنه من أرباب العدل والقسط قولاً وفعلاً وعلماً وعملاً، ويدخل بذلك في سلك أهل الله وسلك ملائكته وأولى العلم من عباده، لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩]، وأنا على ذلك من الشاهدين، هذا بالنسبة إلى الحواس الخمسة الظاهرة وليس اللسان منها بوجه، لأن اللسان من حيث إنه مخصوص بالنطق والتكلم ما له دخل في الحواس، ومن حيث إنه من جملة أعوان الذوق وآلاتها فهو داخل في الذوق، وبناءً على هذا وهو يكون خارجاً بوجه وداخلاً بوجه، أو يكون خارجاً بالكلية ويكون بحث الحواس بحث برأسه وبحث اللسان بحث برأسه ولا خلل في ذلك وبالله التوفيق.

وأما بالنسبة إلى الحواس الخمس الباطنة فالإمساك الأول إمساك القوة المفكرة عن الفكر في الأمور الغير النافعة، أو العائدة إلى صلاح معاده ومرجعه، لأن القوة المفكرة ما خلقت إلا لأجل سير الإنسان بها من المبادئ إلى المقاصد المسماة عند المتكلمين بالقوة النظرية، فالقوة المفكرة صرفها فيما خلقت لأجله أولى وأنفع، لأنها لو صرفت في غيره يلزم اتصاف صاحبها بالظلم، وقد عرفت حال الظلم من البحث السابق بأنه ملعون مطرود من باب الله، ومن حيث إن القوة المفكرة لها هذا الاستعداد والاستحقاق قال تعالى بالنسبة إليها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، وقال النبي ﷺ: **«تفكر ساعة خير من عمل سبعين سنة»**.

وأما الإمساك الثاني: فالإمساك عن صرف القوة الحافظة إلا فيما خلقت لأجله، وهو حفظ المعارف الإلهية والعلوم العقلية وما شاكل ذلك، لأنها خازن القوة المفكرة، والقوة المفكرة ما خلقت إلا للفكر في أمثال ذلك وإذا كان كذلك فلا يكون في خزانته غير ذلك، فيحرم على القوة الحافظة إلا حفظ أمثالها لتدخل بذلك في طائفة ورد فيهم: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وأول حفظ الحدود صرف كل قوة فيما خلقت لأجله، والله أعلم وأحكم.

وأما الإمساك الثالث: فالإمساك عن صرف القوة المتخيلة إلا فيما خلقت لأجله، وهو تصور صورة الشخص عمراً أو زيداً بأنه كذا وكذا من حيث الشكل واللون، كما أن شغل القوة الوهمية تصور العداوة والمحبة في الأشخاص، والقوة المتخيلة بهذا السبب تعرض كل ساعة على صاحبها الأشخاص الكثيرة والصور المتنوعة، ويمنعها عن تخيل فيما =

= خلقت لأجله، لأن هذا شغله، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ [طه: ٦٦، ٦٧]، لأن القوة الخيالية لو كان لها قوة إدراك المعنى لم يكن يتصور أنها حية تسعى، بل عرف أنه سحر وهو على غير الحق، وعند التحقيق ما خلقت إلا لأجل استدلال صاحبها بها على العالم المثالي المعبر عنه بالخيال المطلق، كما عبر عنها بالخيال المفيد، وهذا يعرف من تطبيق الآفاق بالأنفس بحكم قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وذكر الشيخ الإلهي والعارف الرباني شمي الدين الشهرزوري قدس الله سره صاحب الشجرة الإلهية في رسالته للنفس كلاماً يدل على هذا، وهو قوله: ينبغي أن تعلم أن كل شيء في العالم العلوي والروحاني له مثال وظل في العالم السفلي، فنور الشمس مثال النور الربوبي الإلهي، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، وأراد به الشمس، ونور القمر نظيراً لنور العقل المذكور في قوله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل» ونور الكوكب نظيراً للنور الحسي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ثم ذكر ما يدل على قولنا الأول في بيان المتخيلة وكيفية تصرفها، وهو قوله: اعلم ثانياً أن أكثف الحجب المعمية للنفس من ذاتها إنما هو المتخيلة، لتخيل الصورة تارة والمعاني أخرى، والتركيب والتفصيل بينهما أخرى، وعرضها جميع ذلك على النفس دائماً لا يفتر نوماً ولا يقظة فتشتغل النفس عن مطالعة ذاتها بمطالعة ما تعرضه المتخيلة، فيكون حجاباً لذاتها، ولا تحجب ذاتها عن حقيقة ذاتها، أعني الظهور الإلهي، إذ الظهور لا يحجبه شيء ظهوره، ولكن يحجبه عن التفطن والشعور لأجل الاستغراق بالغير، وفي كلامه هذا قوله: لتخيل الصورة تارة والمعنى أخرى والتركيب بينهما، لا يطابق قول بعض العلماء وأكثر الحكماء، فإنهم ذهبوا إلى أن تصور القوة المتخيلة الصورة فقط، وتصور القوة الوهمية المعنى فقط، وتصور الحس المشترك الصورة مع المعنى، وتسميته بالمشترك كان لأجل هذا، فكأنه اشتبه عليه نسبة الحس المشترك إلى المتخيلة، وحيث إن الإنساني في معرض السهو والغلط يجوز ذلك من طرفه ويجوز من طرفنا أيضاً، ولا يعلم الغيث إلا الله، والله أعلم واحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقد ورد عن رئيس المكاشفين وقطب الواصلين الشيخ الأعظم محيي الدين العربي قدس الله سره في تدبيراته الإلهية في المملكة الإنسانية ما يخالف قول الشهرزوري، وهو =

= قوله: اعلم أن العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل من عمال الإنسان وأمنائه من أهل تأديته، وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف ماله وخزائنه ورئيسهم، وأمامهم الحس الذي ترجع إليه هذه الحواس كلها بأعمالها، والحس برياسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان الخيال، والخيال بما فيه من صحة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذكر، والذكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، والفكر مرؤوس تحت سلطان العقل، والعقل وزير الإنسان، والإنسان رئيس الإمام المعبر عنه بالروح القدسي، والمراد من هذا النقل قوله: والخيال بما فيه من صحة وفساد تحت سلطان الذكر، والذكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، لأن الخيال لو كان له تصرف في المعنى مع الصورة والتركيب بينهما ما كان مرؤوساً تحت الذكر والفكر، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأما الإمساك الرابع: فإمساك القوة الوهمية عن عرض عداوة طائفة كل ساعة على النفس وعرض محبة طائفة أخرى كذلك، فإن ذلك يمنع النفس عن الاستقامة على الطريق المستقيم والتوجه إلى الدين القويم الذي هو التوحيد الحقيقي المانع عن أمثال ذلك، لأن أمثال ذلك أي المقام في دركات رؤية العداوة والمحبة والعدو والمحب وظيفة النفس الأمارة بمعاونة قوى الغضبية والشهوية، وصاحب النفس المطمئنة المستحق للرجوع فارغ عن هذا وعن غيره، لأنه في مقام مشاهدة المحبوب وأفعاله، وكلّ ما فعل المحبوب محبوب، فلا عداوة له مع أحد ولا قيد له أيضاً بالمحب والمحبة، لأنه في عالم الإطلاق ومشاهدة الوجود الواحد المطلق، وذلك العالم خالٍ عن جميع ذلك، و﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، ورد في ذلك وأمثاله، فافهم جيداً، وصاحب الصوم الحقيقي يجب أن يكون صاحب النفس المطمئنة لا الأمارة، ليستحق بها الرجوع لقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، والأمر بالدخول في العباد لا يمكن ألا في مقام الاطمئنان، ولهذا قال: **«الصوم لي وأنا اجزي به»** وجزاؤه على الوجه المذكور لا يكون إلا مشاهدته في مظاهره الآفاقية والأنفسية، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: **«سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»** وقد قيل في أسرار الصوم ما يوافق هذا المقام وهو قول بعض العارفين. وأما درجات أسرار الصوم فثلاثة، **أدناها**: أن يقتصر على الكف عن المفطرات ولا يكف =

= جوارحه عن المكاره، وذلك صوم العموم وهو قناعة بالاسم، **الثانية**: أن يضيف إليه كف الجوارح، فيحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة وكذا سائر الأعضاء، وذلك صوم الخواص من أهل الله، **وأما الثالثة**: فهو أن يضيف إليهما صيانة القلب عن الفكر والوساوس ويجعله مقصوراً على ذكر الله تعالى ومشاهدته في مظاهره، وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال المقصود بالذات، وأمثال ذلك في هذا الباب كثيرة فارجع إلى مظانها، والله أعلم وأحكم.

وأما الإمساك الخامس: فإمساك الحس المشترك الجامع للوهم والخيال عن عرض الصورة والمعنى على النفس كل ساعة، فإنه مانع عن السلوك والسير، لأن كل من يشتغل بالصورة الحسية يحجب عن الصورة المعنوية، وكل من يشتغل بالمعاني الوهمية يحجب عن المعاني الحقيقية العقلية، والمحجوب محجوب سواء كان بحجاب أو بألف حجاب، فيجب على الصائم الإمساك عن أمثال ذلك ليخلص من الحجب ويشاهد المحبوب على الوجه الذي ذكرناه.

وقد تقرر عند أهل الله وخاصته أن مثال النفس مثال شجرة لها عشرة أغصان، يأخذ كل غصن منها حقه من الماء الذي تشرب هذه الشجرة منه، وذلك أمر طبيعي لا يمكن بدون هذا، فلو فرض قطع تسعة أغصان منها لا بد أن تصل قوة تلك التسعة وشربها إلى تلك الواحدة منها، فينمو بذلك ويكبر وتكون ثمرته أحلى وأكثر وألطف وأحسن، وكذلك النفس الإنسانية مع أغصانها العشرة التي هي الحواس، فإن الإنسان لو قطع أغصانها التسعة عن نفسه بقطع تعلقاته عن العالم، فإن كل واحدة منها مخصوصة بتعلق تكبير الغصنة الباقية منها، وتكون ثمرته الفكرية أعلى وأعظم وألطف وأشرف، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر: ٢٧] هذا آخر صوم أهل الطريقة.

صوم أهل الحقيقة

بعد قيامهم بالصومين المذكورين فهو عبارة عن إمساك العارف عن مشاهدة غير الحق تعالى مطلقاً بحكم قولهم: ليس من الوجود سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكل هو وبه ومنه وإليه، لأن كل من لم يمسك نفسه عن مشاهدة الغير مطلقاً فهو مشرك، والمشرك لا يصح صومه ولا صلاته، لأن الأصل في الصوم الطهارة الباطنية من رجس الشرك وخبث رؤية الغير بماء التوحيد ونور الإيمان، كما أن في الصلاة وأكثر العبادات =

= مع هذه الطهارة طهارة أخرى شرط، ومعلوم أن الصلاة وباقي العبادات كما لا تصح إلا بالطهارة المعلومة ولا تصح من المشرك والكافر أصلاً، وكذلك الصوم فإنه لا يصح من المشرك جلياً كان الشرك أو خفياً، وكل مشرك كافر وكل كافر مشرك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وهذه قاعدة كلية في طريق التوحيد وأربابه، ولا يجوز إظهارها إلا عند أهلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وعن النبي ﷺ: «**لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**»، وما قيل:

ومن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المتوجبين فقد ظلم

وقول عيسى عليه السلام: لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير. كل ذلك إشارة إلى ما ذكرناه.

وقد تقرر أن الشرك في الظاهر والباطن، وكذلك التوحيد وأنهما يقتضيان، فكما أن صاحب الشرك الجلي الذي بازاء التوحيد الألوهي لا يصح صومه ولا صلاته، فكذلك صاحب الشرك الخفي الذي بازاء التوحيد الوجودي لا يصح صومه ولا صلاته، وإلى صاحب الشرك الخفي أشار الحق تعالى وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، لأن هذا لو كان إشارة إلى صاحب الشرك الجلي لقال ولا يشرك بربه أحداً، فحيث قال عبادة ربه عرفنا أنه إشارة إلى صاحب الشرك الخفي المعبر عنه بالمؤمن والمسلم كما سبق تقريره مراراً متعددة، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] أيضاً إشارة إلى صاحب الشرك الخفي، وكذلك قول النبي ﷺ: «**دبيب الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء**»، وفي الشرك الجلي والخفي معاً، وكذلك في التوحيد الألوهي والوجودي معاً ورد أن توحيد ساعة واحدة يفني كفر سبعين سنة، وكفر ساعة واحدة يفني إسلام سبعين سنة، لأن اجتماعهما من المستحيلات عقلاً ونقلاً كما قيل.

النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان. وبالجملة اجتماع النقيضين محال، وقد ثبت أنهما نقيضان فيستحيل اجتماعهما وهو المطلوب، والغرض أنه يجب على العارف أولاً الإمساك عن مشاهدة فعل الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الفعلي، ثم الإمساك عن مشاهدة صفة الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الوصفي، ثم الإمساك عن مشاهدة وجود الغير مطلقاً ليصل به إلى مقام التوحيد الذاتي الذي هو المقصود من السلوك =

= مطلقاً وبل من الوجود بأسره، ويصدق عليه أنه صائم بالصوم الحقيقي ممسك عما سواه بالكلي، وهذا هو الصوم الذي ورد أن كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، لأن غير هذا الصوم لا يستحق أن يكون هو جزاؤه، بل جزاء هذا الصوم لا يكون إلا هو، لأن الصومين المذكورين جزاؤهما الجنة والنعيم والحور والقصور أو القرب والوصول والكشف والشهود، وهذا الصوم جزاؤه هو، لا غير، فيكون أعظم وأعلى منهما، وذلك لأنه أعظم العمل وأعظم العمل لا يستحق إلا أعظم الجزاء وليس هناك أعظم منه فلا يكون جزاؤه إلا هو، فافهم جيداً، وفيه قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦٠، ٦١] وإليه أشار بقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، والفرق بين صوم أهل الطريقة وصوم أهل الحقيقة أن الأول سبب لتهذيب الأخلاق والاتصاف بصفات الحق لقوله ﷺ: **«تخلقوا بأخلاق الله»**، والثاني سبب لفناء العبد وبقائه بالحق في مقام التوحيد الصرف المعبر عنه بالفناء في التوحيد المشار إليه في قول العارفين، وقد ورد أيضاً في الحديث القدسي أنه قال: **«من طلبني فقد وجدني، ومن وجدني فقد عرفني، ومن عرفني فقد أحبني، ومن أحبني فقد قتلته، ومن قتلته فعلي ديته، ومن علي ديته فأنا ديته»** والكل إشارة إلى فناء العبد فيه وبقائه به في مقام الوحدة الصرفة المعبر عنه بأحدية الفرق بعد الجمع المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ويقول النبي ﷺ: **«من رآني فقد رأى الحق، وسبحاني ما أعظم شأني»**.

وقد ضرب أهل الله وخاصته رضوان الله عليهم أجمعين مثالاً لطيفاً لئلا يتوهم الجاهل أن كلامهم ليس له تحقيق، وهو أنهم قالوا: نفرض هناك ناراً موصوفة بالضوء والإحراق والحرارة والإنضاج وغير ذلك، ونفرض بإزائها فحماً موصوفاً بالظلمة والكدورة وعدم الحرارة والانضاج، ثم نفرض أنه حصل لهذا الفحم قرباً إلى تلك النار بالتدريج واتصف بجميع صفاتها فصار ناراً، وحصل منه ما يحصل من النار، وبل صار هو هي، فلا يجوز له أن يقول أنا النار؟ كما قال العارف أنا الحق؟ ومعلوم أنه يجوز، لأنه صادق في قوله، وفيه قيل: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وهاهنا أسرار لا يجوز إفشاءها أكثر من هذا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، هذا آخر بيان الصوم بالنسبة إلى الطوائف الثلاث من أهل الشريعة والطريقة والحقيقة.

الباب الأول

في الشروط والواجبات والمكروهات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

أقول: ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام فنقول:

أمّا الشروط: فالصوم إنمّا هو على كلّ مكلّف خال عن الحيض والنفاس، صحيح من المرض المستضرّ به، مقيم أو في حكمه ولا يصحّ بدون هذه الشروط إلاّ من النائم والمغمى عليه والمجنون مع سبق النيّة ومن الصبيّ المميّز على خلاف في غير النائم، أمّا الحائض والنفساء والمريض المتضرّر به فلا يصحُّ منهم قولاً واحداً.

وأمّا المسافر: فلا يصحّ منه صوم رمضان بلا خلاف ولا غيره من الصيام الواجب إلاّ ثلاثة أيّام بدل الهدي وثمانية عشر بدل البدنة لمن أفاض من عرفات قبل الغروب عامداً، والنذر المشترط سفراً وحضراً على إشكال في الأخير والأحوط عدم التعرُّض لإيقاع مثل هذا النذر وفي المندوب أقوال ثالثها الكراهة، والأصحُّ المنع منه مطلقاً إلاّ ثلاثة أيّام الحاجة عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يجزىء الصوم من أحد من ذوي الأعذار المذكورة إلاّ المسافر مع جهله بالحكم والحائض والنفساء يقضيان وكذا المريض والمسافر، ولو زال عذر هذين قبل الزوال وجب عليهما بخلاف الآخرين، ولو حصل عذرهما في الأثناء فالمريض يفطر ولو قبيل الغروب كالمرأتين، وأمّا المسافر فالأصحُّ أنّه إن خرج من بيته قبل الزّوال أفطر، وإن خرج بعده صام واعتدّ به كما في الصحاح المستفيضة وفيه أقوال أُخر؛ والحامل المقرب

والمرضعة القليلة اللّبن إذا ظنّتا الضرر بهما أو بولدهما تفطران وتتصدّقان بمدّ وتقضيان وكذا الشيخ والشيخة وذو العطاش، ومدّان لهذه الثلاثة أحسن وأحوط، وفي وجوب القضاء عليهم خلاف، وفي الصحيح السقوط.

ويشترط في الصوم النيّة المعيّنة الجازمة ولو كان معيّناً كرمضان والنذر المعيّن كفت القربة ووقتها الاختياريّ فيهما طول اللّيل والإضطراري إلى الزّوال وفي غيرهما إليه مطلقاً وفي النافلة إلى قبيل الغروب كما في الصحاح وفي بعضها إن هو نوى الصوم قبل أن تزول الشمس حسب له يومه وإن نواه بعد الزوال حسب له من الوقت الّذي نوى فيه، وفي إجزاء نيّة واحدة لصيام الشهر كلّه خلاف، ويجزىء صوم يوم الشكّ عن رمضان إذا نواه ندباً ثمّ انكشف أنّه منه للاكتفاء فيه بالقربة ولا يجزىء عنه إذا نواه منه خلافاً للخلاف وإنّما يثبت الهلال بالرؤية ولو انفرد بها إذا لم يشكّ ويمضي ثلاثين من شعبان، وبشاهدين عدلين متوافقين، وبالشياع للظنّ المتاخم للعلم لا غير، ويختلف الحكم باختلاف مطالع البلاد.

وأمّا الواجبات ولوازم الإفساد: فيجب الإمساك عن تعمّد الأكل، والشرب، والجماع، والاستمناء، والقيء، والكذب[1] بلا خلاف، وعن تعمّد البقاء على الجنابة إلى طلوع الفجر في شهر رمضان وقضائه خاصّة على الأقوى الأشهر، وعن الارتماس في الماء والحقنة بالمايع على الأصحّ وإلاّ فيقضي بغير الأخيرين، والكذب إن كان الصوم واجباً بلا خلاف، ويكفّر أيضاً بغير القيء على خلاف فيه، وفي تعمّد البقاء على الجنابة لصوم رمضان بعتق رقبة، أو إطعام ستّين مسكيناً أو صوم شهرين متتابعين؛ وللنذر المعيّن

(١) أي على الله تعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام.

بكفّارة اليمين كما بيّن في القرآن، ولقضاء رمضان إن أفطر بعد العصر، وقيل: بعد الزّوال بإطعام عشرة، ومع العجز فصيام ثلاثة.

وفي وجوب القضاء خاصّة بالارتماس، والحقنة بالمايع، والكذب على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، أو مع الكفّارة أو العدم خلافٌ، أمّا الحقنة بالجامد والكذب الآخر فلا يفسد.

وفي إيصال الغبار إلى الحلق مطلقاً أو الغليظ منه خاصّة ثمّ في وجوب القضاء به خاصّة أو مع الكفّارة أو العدم أقوال.

وفي الموثّق، عن الرّضا عليه السلام: «أنّه سئل عن الصائم يدخّن بعود أو غير ذلك فتدخل الدخنة في حلقه؟ قال: لابأس؛ وعن الصائم يدخل الغبار في حلقه؟ قال: لا بأس[١]» وفي معارضه ضعفٌ سنداً ودلالةً.

وفي الصحيح، عن الباقر عليه السلام قال: «لا يضرُّ الصائم ما صنع إذا اجتنب أربع خصال: الطعام، والشراب، والنساء، والارتماس في الماء[٢]».

وليس على الناسي شيءٌ، ولا على الموجود في حلقه ولا المكره ولا المتّقي ولا الجاهل بالحكم والقضاء له أحوط وقيل: بالكفارة أيضاً.

ومن أفطر عامداً في طرفي النهار ثمّ ظهر أنّه وقع نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء سواء راعي الوقت أو لا، وإن بقي على حكم ظنّه واجتهاده فلا قضاء، ومع الشكّ يجوز فعل المفطر في أوّل النهار دون آخره.

(١) رواه الشيخ في التهذيب ج١ ص ٤٤٤.

(٢) الفقيه ص ١٧٧، والتهذيب ج١ ص ٤٠٩ و٤٠٦ و٤٤٢.

وإن نام الجنب حتّى أصبح، فإن كان عازماً على الغسل قبل الفجر فلا قضاء عليه وإلاّ فيقضي، وإن كان عازماً على ترك الطهارة فعليه الكفّارة أيضاً.

ويجب الإمساك بقيّة النهار إن عصى بالإفطار أو قصّر ويستحبُّ في مواضع يأتي بيانها في الباب الثالث.

ويجوز إفساد غير المعيّن قبل الزوال مطلقاً ويكره بعده في غير قضاء رمضان وفيه لا يجوز فيكفّر والأفضل للمتطوّع إذا دعي إلى طعام أن يفطر ولو بعد الزوال.

وأما المكروهات: فيكره ابتلاع النخامة، والريق المتغيّر الطعم بطاهر إذا لم يدخله أجزاء منه، وصبُّ الدواء في الأُذن والعين والأنف إذا لم يبلغ الحلق وفي الإحليل، والاكتحال، وشمّ الرائحة الغليظة، وكذا الرياحين وسيّما النرجس، والاستنقاع في الماء للمرأة خاصّة، وبلُّ الثوب على الجسد، والاستياك بالرطب، وفي أكثر ذلك قول بالإفساد شاذٌّ.

ولا بأس بمصّ الخاتم ومضغ الطعام للصبيّ وزقّ الطائر وذوق المرق، ويكره النساء تقبيلاً ولمساً وملاعبة مع ظنّ عدم الإمناء لمن يحرّك شهوته بذلك وفعل ما يوجب الضعف من دخول الحمّام وإخراج الدم ونحوهما، وإنشاد الشعر في شهر رمضان، والسفر بعد دخوله إلاّ مع الضرورة، والقول بتحريمه شاذّ.

وتزول الكراهة بمضيّ ثلاثة وعشرين يوماً منه كما في الرواية(١)، التملّي من الطعام والشراب للمسافر والجماع أشدّ كراهة وحرّمه بعضهم.

(١) التهذيب ج١ ص ٤١٣.

وأما السنن: فيستحبُّ الدعاء عند رؤية هلال رمضان أوّل ليلة وإلاّ فإلى ثلاث[1] رافعاً يديه مستقبل القبلة لا إليه، غير مشير نحوه فيقول: **«اللّهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة، والإسلام، والعافية المجلّلة، والرزق الواسع، ودفع الاسقام، اللّهمّ أرزقنا صيامه وقيامه وتلاوة القرآن فيه، اللّهمّ سلّمه لنا وتسلّمه منّا»**.

وأن يغتسل في أوّل ليلة منه، وفي ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين. وثلاث وعشرين.

وإيتان النساء أوّل ليلة منه، والدعاء لكلّ ليلة ويوم منه وعند دخوله واسحاره ووداعه بالمأثور، وكثرة تلاوة القرآن فيه وقيام لياليه كلّها وخصوصاً فراداه، والإيتان بالنوافل المختصّة به مع دعواتها المأثورة ـ وقراءة سورتي العنكبوت والروم ليلة ثلاث وعشرين، وسورة القدر فيها ألف مرّة، وكثرة الجود والبذل في هذا الشهر فإنّه يتضاعف في الإجر، وتفطير الصائمين.

ففي الخبر: «فطرك أخاك الصائم خيرٌ من صيامك»[2] والإفطار على الحلو فإن لم يجد فالماء الفاتر فإنّه يغسل درن القلب، وتأخيره عن الصلاة إلاّ أن ينتظر إفطاره أو نازعته نفسه.

---

(١) قال شيخنا البهائي ـ رحمه الله ـ : وقت الدعاء يمتد بامتداد وقت التسمية هلالا، والاولى عدم تأخيره عن الاول عملاً بالمتيقن عليه لغة وعرفاً، فإن لم يتيسر فعن الثانية لقول أكثر أهل اللغة بالامتداد إليها فإن فاتت فعن الثالثة لقول كثير منهم بانها آخر لياليه، واما ما ذكره صاحب القاموس، وشيخنا الشيخ أبو علي ـ رحمه الله ـ من اطلاق الهلال عليه إلى السابعة فهو خلاف المشهور لغة وعرفاً وكأنه مجاز من قبيل اطلاقه عليه في الليلتين الآخرين.

(٢) الكافي ج٤ ص ٦٨، والتهذيب ج١ ص ٤٠٩، والمحاسن ص ٣٩٦.

قال الصادق عليه السلام: «قد حضرك فرضان الإفطار والصلاة فابدأ بأفضلهما وأفضلهما الصلاة، ثمّ قال: تصلّي وأنت صائمٌ قبلت صلاتك تلك وتختم بالصوم أحبُّ إليّ»[١].

وتقول عند الإفطار: **«اللّهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّله منّا ذهب الظماء وابتلّت العروق وبقي الأجر»**.

والسحور ففي الخبر: «تسحّروا ولو بجرع الماء ألا صلوات الله على المتسحّرين»[٢]، ويتأكّد في الواجب المعيّن ـ وفي رمضان آكد، وأقلّه الماء وأفضله السويق والتمر، وكلّما قرب من الفجر كان أفضل.

والاعتكاف فيه لا سيّما في العشر الأخير منه وهي عادة رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشدّ المئزر ودأب وأدأب أهله[٣] أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر، والأغلب أنّها في أوتارها وأشبه أوتاره ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين.

ولا اعتكاف عندنا أقلّ من ثلاثة أيّام ولا في غير مسجد جامع، ويحرم فيه النساء جماعاً ولمساً وتقبيلاً، نهاراً وليلاً، وكذا المماراة والبيع والشراء وشمّ الطيب والتلذُّذ بالريحان والخروج من المسجد إلاّ لقضاء حاجة أو حضور جمعة أو تشييع جنازة أو عيادة مريض أو نحوها، ثمّ لا يجلس حتّى يرجع، ولا بأس بالصعود إلى السطح والخروج ببعض بدنه أو مكرها أو [سـ]ـهواً.

التهذيب ج١ ص ٤٠٨، رواه عن زرارة وفضيل عن أبي جعفر عليه السلام.

التهذيب ج١ ص ٤٠٨، ورواه أيضاً في الامالى ص ٣١٧. وفي المقنعة ص ٥.

روى مسلم في صحيحه ج٣ ص ١٧٦ مثله.

الباب الثاني

في أسرار الصوم وشروطه الباطنة

«اعلم أنّ للصوم ثلاث درجات: صوم العموم وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

أمّا صوم العموم: فهو كفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله.

وأمّا صوم الخصوص: فهو كفُّ السمع، والبصر، واللّسان، واليد، والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام».

أقول: وإليه الإشارة بما رواه أصحابنا بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك - وعدَّ أشياء غير هذا - وقال: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك»[1]، وزاد في خبر آخر: «ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسبُّ جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها: كلي، فقالت إنّي صائمة، فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إنَّ الصوم ليس من الطعام والشراب»[2].

(١) الكافي ج٤ ص ٨٧، والفقيه ص ١٧٧. وكذا الخبر الاخر.
(٢) الكافي ج٤ ص ٨٧ رقم ٣، والفقيه ص ١٧٨، والتهذيب ج١ ص ٤٠٧.

قال أبو حامد: «**وأمّا صوم خصوص الخصوص**: فصوم القلب عن الهمم الدنيّة والأفكار الدنيويّة وكفّه عمّا سوى الله بالكلّية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر، وبالفكر في الدُّنيا إلاّ دنيا تراد للدّين فإنّ ذلك زاد الآخرة وليس من الدُّنيا حتّى قال أرباب القلوب: من تحرّكت همّته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإنّ ذلك من قلّة الوثوق بفضل الله وقلّة اليقين برزقه الموعود، وهذه رتبة الأنبياء، والصدّيقين، والمقرّبين، ولا يطول النظر في تفصيله قولاً ولكن في تحقيقه عملاً، فإنّه إقبالٌ بكنه الهمّة على الله وانصراف عن غير الله وتلبّس بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[1].

أقول: وإليه الإشارة، بما روي عن الصادق عليه السلام **أنّه قال**: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الصوم جُنّة»[2] أي ستر من آفات الدُّنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صمت فانو بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمّة عن خطوات الشيطان، فأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً وشراباً متوقّعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذُّنوب، وطهّر باطنك من كلّ كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّ وجلّ: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[3] فالصوم يميت موادّ النفس وشهوة الطبع، وفيه صفاء القلب، وطهارة الجوارح، وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم، والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرُّع، والخشوع، والبكاء، وحبل الإلتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمّة، وتخفيف

(١) سورة الانعام: الآية، ٩١.
(٢) الكافي ج٤ ص ٦٢ وفيه «الصوم جنة من النار».
(٣) رواه العامة والخاصة كما مر، ورواه أحمد ج١ ص ١٩٥.

الحساب، وتضعيف الحسنات، وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبّهاً لمن عقل ووفّق لاستعماله.

قال أبو حامد: «**وأما صوم الخصوص**: وهو صوم الصالحين، فهو كفّ الجوارح عن الآثام وتمامه بستّة أمور:

الأوّل: غضُّ البصر وكفُّه عن الاتّساع في النظر إلى كلّ ما يذمُّ ويُكره، وإلى كلّ ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله، قال ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»(١).

وعنه ﷺ: «خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظر بشهوة»(٢).

الثاني: حفظ اللّسان عن الهذيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، والفحش، والجفاء والخصومة، والمراء، وإلزامه السكوت أو شغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللّسان، وقد قال ﷺ: «إنّما الصوم جُنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنّي صائم»(٣)، وجاء في الخبر(٤): «أنّ امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فإجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتّى كادتا أن تتلفا، فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذناه في الافطار، فأرسل إليهما قدحاً وقال: قل لهما قيئا فيه ما أكلتما، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً، وقاءت

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ج٨ ص ٦٣.
(٢) قال العراقي: الحديث أخرجه الازري في الضعفاء من رواية جابان.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص ٣٠٦ و٣١٣ و٣٥٦ وج٦ ص ٢٤٤.
(٤) رواه أحمد في المسند كما في مجمع الزوائد ج٣ ص ١٧١.

الأُخرى مثل ذلك حتّى ملأتاه، فعجب الناس من ذلك، فقال ﷺ: هاتان صامتا عمّا أحلَّ الله لهما وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما، قعدت إحداهما إلى الأُخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم».

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه الصدوق، بإسناده إلى النبيّ ﷺ أنّه قال: «من اغتاب مسلماً بطل صومه، ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلٌّ لما حرّم الله»[١].

وفي الكافي[٢]، بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «إنَّ الكذبة لتفطر الصائم، قلت: وأيّنا لا يكوننَّ ذلك منه؟ قال: ليس حيث تذهب، إنّما ذاك الكذب على الله، وعلى رسوله، وعلى الأئمة عليهم السلام».

الثالث: كفُّ السمع عن الاصغاء إلى كلّ مكروه، لأنَّ كلَّ ما حرّم قوله حرّم الإصغاء إليه ولذلك سوّى الله تعالى بين المستمع للكذب وآكل السحت فقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[٤]، فالسكوت على الغيبة حرامٌ وقال أيضاً: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[٥] ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم»[٦].

---

(١) رواه في عقاب الاعمال.

(٢) المصدر ج٢ ص ٣٤ تحت رقم ٩.

(٣) سورة المائدة: الآية، ٤٢.

(٤) سورة المائدة: الآية، ٦٣.

(٥) سورة النساء: الآية، ١٤٠.

(٦) جامع الأخبار باب الغيبة مثله وقال العراقي: الحديث غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة.

الرابع: كفُّ بقيّة الجوارح من اليد والرجل عن المكاره، وكفُّ البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم، وهو كفٌّ عن الطعام الحلال، ثمّ الإفطار على الحرام، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً، فإنّ الطعام الحلال إنّما يضرُّ بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله، وتارك الاستكثار من الدّواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السمّ كان سفيهاً والحرام سمٌّ يهلك الدّين والحلال دواءٌ ينفع قليله ويضرُّ كثيره، وقصد الصوم تقليله، وقد قال ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش»(١).

فقيل: هو الّذي يفطر على الحرام.

وقيل: هو الّذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام.

وقيل: هو الّذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

الخامس: أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتليء فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد في ألوان الطعام حتّى استمرّت العادات بأنْ يدّخر جميع الأطعمة لرمضان فيأكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدّة أشهر.

ومعلومٌ أنّ مقصود الصوم الخوى(٢) وكسر الهوى ليقوي النفس على

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٢ ص ٤٤١.

(٢) الخوى ـ بفتح المعجمة وفتح الواو مقصوراً ـ والخواء ـ ممدوداً ـ: خلو الجوف من الطعام.

التقوى، وإذا دفعت المعدة ضحوة النهار إلى العشاء حتّى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثمّ أطعمت من اللّذات وأشبعت زادت لذّتها، وتضاعف قوّتها، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فروح الصوم وسرُّه تضعيف القوى الّتي هي وسائل الشيطان في القود إلى الشرور ولمن يحصل ذلك إلاّ بالتقليل وهو أن يأكل أكلة الّتي كان يأكلها كلّ ليلة لو لم يصم.

وأمّا إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه، بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتّى يحسّ بالجوع والعطش، ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كلّ ليلة قدراً من الضعف حتّى يخفّ عليه تهجّده وأوراده، فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء، وليلة القدر عبارة عن اللّيلة الّتي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾[1].

ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتّى يخلو همّته عن غير الله تعالى وذلك هو الأمر كلّه، ومبدء جميع ذلك تقليل الطعام.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلّقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقرّبين أو يردُّ عليه فهو من الممقوتين، وليكن كذلك في آخر كلّ عبادة يفرغ منها، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن أنّه مرّ بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل

(١) سورة القدر: الآية، ٢.

شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق أقوامٌ ففازوا، وتخلّف أقوامٌ فخابوا، فالعجب كلّ العجب للضاحك اللاعب في اليوم الّذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون، أما والله لو قد كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء عن إساءته» أي كان سرور المقبول يشغله عن اللّعب، وحسرة المردود تسدُّ عليه باب الضحك».

أقول: وهذا الخبر رواه في الفقيه[1]، في كتاب الصلاة، عن الحسن بن عليّ عليه السلام، وفي كتاب الصوم[2]، عن الحسين بن عليّ عليه السلام بأدنى تغيير في اللّفظ.

قال أبو حامد: «فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم[3].

(١) المصدر ص ١٣٥ تحت رقم ٢٧.

(٢) المصدر ص ١٩٧ تحت رقم ١٩.

ما ينبغي للصائم

(٣) **قال النراقي في جامع السعادات**: إعلم أن الصوم أجره عظيم، وثوابه جسيم، وما يدل على فضله من الآيات والأخبار أكثر من أن يحصى، وهي معروفة مشهورة، فلا حاجة إلى ذكرها، فلنشر إلى ما يتعلق به من الأمور الباطنة:
ينبغي للصائم أن يغض بصره عن كل ما يحرم النظر إليه، أو يكره، أو يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله تعالى، ويحفظ السان عن جميع آفاته المتقدمة، ويكف السمع عن كل ما يحرم أو يكره إستماعه، ويكف بطنه عن الحرام والشبهات، ويكف سائر جوارحه عن المكاره.
وقد ورد في إشتراط جميع ذلك في الصوم في ترتب كمال الثواب عليه أخبار كثيرة. وينبغي أيضاً ألا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء، إذ ما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مليء من حلال، كيف والسر في شرع الصوم قهر عدو الله، وكسر الشهوة والهوى، لتقوى النفس على التقوى، وترتقي من حضيض حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبيه بالملائكة الروحانية، وكيف يحصل ذلك إذا تدارك الصائم عند الإفطار ما=

= فاته ضحوة نهاره، لا سيما إذا زيد عليه في ألوان الطعام، كما إستمرت العادات في هذه الأعصار، وربما يؤكل من الأطعمة في شهر رمضان ما لا يؤكل في عدة شهور.

ولا ريب في أن المعدة إذا خليت من ضحوة النهار إلى العشاء، حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها، ثم أطعمت من اللذات، وأشبعت من ألوان المطاعم، وجمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما يأكل ليلاً، وأكل الجميع في الليل مرة أو مرتين أو أكثر، زادت لذتها، وتضاعفت قوتها، وإنبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فلا يحصل ما هو المقصود من الصوم أعني تضعيف القوى الشهوية التي هي وسائل الشيطان، فلا بد من التقليل، وهو أن يأكل في مجموع الليلة أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، من دون ضم مما يأكل في النهار إليه، حتى ينتفع بصومه.

والحاصل: إن روح الصوم وسره، والغرض الأصلي منه: التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى، أعني الصمدية، والإقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بقدر الإمكان، وهذا إنما يحصل بتقليل الأكل عمّا يأكله في غير وقت الصوم، فلا جدوى لمجرد تأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء، ثم لو جعل سر الصوم ما يظهر من بعض الظواهر، من إدراك الأغنياء ألم الجوع والإنتفال منه إلى شدة حال الفقراء، فيبعثهم ذلك على مواساتهم بالأموال والأقوات، فهو أيضاً لا يتم بدون التقليل في الأكل. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٧٨-٣٨٠].

ما ينبغي للصائم عند الإفطار

قال النراقي: ينبغي لكل صائم أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً، معلقاً بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين، وليكن الحال كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها. روى: «أن الإمام أبا محمد الحسن المجتبى عليه السلام مرّ بقوم يوم العيد وهم يضحكون، فقال عليه السلام: إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه لطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء عن إساءته!» أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك. [جامع السعادات]. =

درجات الصوم

= للصوم ثلاث درجات:

الأول ـ صوم العموم: وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وهذا لا يفيد أزيد من سقوط القضاء والإستخلاص من العذاب.

الثانية ـ صوم الخصوص: وهو الكف المذكور، مع كف البصر والسمع واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن المعاصي، وعلى هذا الصوم تترتب المثوبات الموعودة من صاحب الشرع.

الثالثة ـ صوم خصوص الخصوص: وهو الكفان المذكوران، مع صوم القلب عن الهمم الدنية، والأخلاق الردية، والأفكار الدنيوية، وكفه عمّا سواه بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الآخر، وحاصل هذا الصوم إقبال بكنه الهمة على الله، وإنصراف عن غير الله، وتلبس بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهذا درجة الأنبياء والصدقين والمقرّبين، ويترتب عليه الوصول إلى المشاهدة واللقاء، والفوز بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد. وإلى هذا الصوم أشار مولانا الصادق عليه السلام حيث قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: الصوم جنة، أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صمت فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطرات الشياطين، وأنزل نفسك منزلة المرضى، ولا تشتهي طعاماً ولا شراباً، وتوقع في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهّر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به. والصوم يميت مراد النفس وشهوة الطبع، وفيه صفاء القلب، وطهارة الجوارح، وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وحبل الإلتجاء إلى الله، وسبب إنكسار الهمة، وتخفيف الحساب، وتضعيف الحسنات، وفيه من الفوائد ما لا يحصى ولا يعد، وكفى بما ذكرنا لمن عقله ووفق لإستعماله».

من صام شهر رمضان إخلاصاً لله وتقرباً إليه، وطهّر باطنه من ذمائم الأخلاق، وكف ظاهره عن المعاصي والآثام، وإجتنب عن الحرام، ولم يأكل إلا الحلال، ولم يفرط في الأكل، وواظب على جملة من النوافل والأدعية وسائر الآداب المسنونة فيه، إستحق=

كف شهوة البطن والفرج

فإن قلت: فمن اقتصر على كفّ شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء: صومه صحيح فما معناه؟

فاعلم أنّ فقهاء الظاهر يُثبتون شروطه الظاهرة بأدلّة هي أضعف من هذه الأدلّة الّتي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيّما الغيبة وأمثالها، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلاّ ما يتيسّر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته.

فأمّا علماء الآخرة فيعنون بالصحّة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أنّ المقصود من الصوم التخلّق بخلق من أخلاق الله تعالى، وهو الصمديّة والإقتداء بالملائكة في الكفّ عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنّهم منزّهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلّما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم، وكلّما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علّيين، والتحق بأُفق الملائكة، والملائكة مقرّبون من الله، والّذي يقتدي

= للمغفرة والخلاص عن عذاب الآخرة، بمقتضى الأخبار المتواترة. ثم إن كان من العوام، حصل له من صفاء النفس ما يوجب إستجابة دعوته، وإن كان من أهل المعرفة، فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه، فينكشف له شيء من الملكوت، لا سيما في ليلة القدر، إذ هي الليلة التي تنكشف فيها الأسرار، وتفيض على القلوب الطاهرة الأنوار، والمناط والعمدة في نيل ذلك تقليل الأكل بحيث يحس ألم الجوع، إذ من جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو محجوب عن عوالم الأنوار، ويستحيل أن ينكشف له شيء من الأسرار.

بهم ويتشبّه بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم، فإنّ الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثمّة بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سرّ الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأيّ جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأُخر طول النهار، ولو كان لمثله جدوى فأيُّ معنى لقوله ﷺ: «**كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش**»، ولهذا قال أبو الدرداء: «يا حبّذا نوم الأكياس وفطرهم، كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم، ولذرّة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترّين؛ ولذلك قال العلماء: كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم.

والمفطر الصائم هو الّذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب.

والصائم المفطر هو الّذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه.

ومن فهم معنى الصوم وسرّه على أنّ مثل من كفّ عن الأكل والجماع وأفطر بمقارفة الآثام كمن مسح كلّ عضو من أعضائه في الوضوء وأتى بجميع الآداب والسنن والأذكار فقد وافق في الفضائل إلاّ أنّه ترك المهمّ وهو الغسل، فصلاته مردودة عليه لجهله، ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه الواجب غسلها ومسح الواجب مسحه واقتصر على الفرائض، فصلاته صحيحة متقبّلة لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل، ومثل من جمع بينهما كمن جمع بين الأصل والفضل في الوضوء وهو الكمال، وقد قال ﷺ: «إنّما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته»[1] و«لمّا

(١) قال العراقي: أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود في حديث الامانة والصوم واسناده حسن.

تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وضع يده على سمعه وبصره فقال: السمع أمانة والبصر أمانة»[١] ولولا أنّه من أمانات الصوم لما قال: «فليقل إنّي صائم» أي إنّي أودعت لساني لأحفظ فكيف أطلقه بجوابك، فإذن قد ظهر أنّ لكلّ عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً ولبّاً، وللقشور درجات ولكلّ درجة طبقات، فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللّباب أو تتحيّز إلى غمار أرباب الألباب[٢][٣].

---

(١) الآية في سورة النساء: ٥٨، والخبر أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم وابن حبان وأبو داود كما في الدر المنثور ج٢ ص ١٧٥. بدون قوله: «السمع أمانة والبصر أمانة».

(٢) غمار الناس جمعهم المتكاثف (النهاية).

في مراقبات شهر رمضان المبارك

(٣) **التبريزي في كتاب المراقبات**: روى في الجعفريات عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تقولوا رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان؟ فمن قاله فليتصدّق وليصم كفّارة لقوله، ولكن قولوا كما قال الله: شهر رمضان.

ومن مهمّات السالك في أمر هذا الشهر العظيم معرفة حقه، وأنّ هذا المنزل أكرم الله فيه السائلين إليه بالدعوة إلى ضيافته، وهو دار ضيافة الله، وأن يعرف معنى الصوم ومناسبته بمعنى ضيافة الله، وأن يجهد بعد هذه المعرفة في تحصيل وجود الإخلاص في حركاته وسكناته على وفق رضا صاحب الدار.

الجوع فيه فوائد للسالك

الجوع فيه فوائد للسالك في تكميل نفسه ومعرفته بربّه لا تحصى، وقد وردت في فضائله أشياء عظيمة في الأخبار لا بأس بالإشارة إليها أوّلاً ثمّ الكشف عن لمّه، الاشارة إلى حكمته.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإنّ الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنّه ليس من عمل أحبّ إلى الله من جوع وعطش.

وقال لأسامة: إن استطعت أن يأتيك ملك الموت وبطنك جائع، وكبدك ظمآن فافعل، فإنّك تدرك بذلك أشرف المنازل، وتحلّ مع النبيّين، وتفرح بقدوم روحك الملائكة، ويصلّي عليك الجبّار.

وقال: أجيعوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم لعلّ قلوبكم ترى الله عزّ وجلّ. =

= وفي حديث المعراج قال: قال: يا أحمد هل تعلم ميراث الصوم؟ قال: لا، قال: ميراث الصوم قلّة الأكل، وقلّة الكلام، ثمّ قال في ميراث الصمت: إنّها تورث الحكمة وهي تورث المعرفة، وتورث المعرفة اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح؟ بعسر أم بيسر؟ فهذا مقام الراضين.

فمن عمل برضاي أُلزمه ثلاث خصال: شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبّة لا يؤثر على محبّتي حبّ المخلوقين، فإذا أحبّني أحببته وحبّبته إلى خلقي، وأفتح عين قلبه إلى جلالي وعظمتي فلا أُخفي عنه علم خاصّة خلقي، أُناجيه في ظلم اللّيل ونور النهار، حتّى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، وأُسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأُعرّفه سرّي الّذي سترته من خلقي ـ إلى أن قال ـ:

وأستغرقنّ عقله بمعرفتي، ولأقومنّ له مقام عقله، ثمّ لأهوّننّ عليه الموت وسكراته، وحرارته وفزعه، حتّى يساق إلى الجنّة سوقاً، فإذا نزل به ملك الموت يقول: مرحباً بك وطوبى لك ثمّ طوبى لك، إنّ الله إليك لمشتاق ـ إلى أن قال ـ يقول: هذه جنّتي فتبحبح فيها، وهذا جواري فاسكنه.

فيقول الروح: إلهي عرّفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك، وعزّتك وجلالك، لو كان رضاك في أن أُقطّع إرباً إرباً أو أُقتل سبعين قتلة بأشدّ ما يقتل به الناس، لكان رضاك أحبّ إلي ـ إلى أن قال ـ فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات حتى تدخل عليّ أيّ وقت شئت، كذلك أفعل بأحبّائي.

أقول: في هذه الأخبار إشارة وتصريح بحكمة الجوع وفضيلته، وإن شئت أبسط من ذلك فانظر إلى ما ذكره علماء الأخلاق أخذاً من أخبار الباب من خواصّه وفوائده وقد ذكروا له فوائد عظيمة:

منها: صفاء القلب: لأن الشبع يكثر البخار في الدماغ، فيعرضه شبه السكر، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار، وعن سرعة الانتقال، فيعمى القلب، الجوع بخلاف ذلك فيصير سبباً لصفاء القلب ورقّته، ويهيّء القلب لإدمان الفكر الموصل إلى المعرفة، وله نور محسوس، وروي عن النبي ﷺ: من أجاع بطنه عظمت فكرته، وقد سمعت مواريث المعرفة.

ومنها: الانكسار والذلّ: وزوال الأشر والبطر، والفرح الّذي هو مبدأ الطغيان فإذا ذلّ النفس يسكن لربّه ويخشع. =

= ومنها: كسر سورة الشهوات والقوى الّتي تورث المعاصي وتوقع في الكبائر المهلكات لأنّ أغلب الكبائر تنشأ من شهوة الكلام، وشهوة الفرج، وكسر الشهوتين سبب للاعتصام من المهلكات.

ومنها: دفع النوم المضيّع للعمر الّذي هو رأس مال الإنسان لتجارة الآخرة، وهو سبب لدوام السهر الّذي هو بذر كلّ خير، ومعين للتهجّد الباعث لوصول المقام المحمود.

ومنها: تيسّر جميع العبادات من وجوه، أهونها قلّة الاحتياج إلى التخلّي وتحصيل الطعام، وقلّة الابتلاء بأمراض شتّى، فإنّ المعدة بيت الداء، والحمية رأس كلّ دواء، وكلّ ذلك محوج للإنسان لعروض الدنيا من مالها وجاهها اللّذين فيهما هلك من هلك.

ومنها: التمكّن من بذل المال والإطعام والصلة والبرّ والحجّ والزيارة وبالجملة العبادات الماليّة كلّها.

أقول: هذه فوائد لا تحيط عقول البشر بتفصيلها، لا سيّما الفائدة الأُولى، فإنّ الفكر في الأعمال بمنزلة النتيجة، وغيره بمنزلة المقدّمات فإنّه نفس السير، وغيره مقدّمات ومعدّات للسّير، ولذا ورد فيه: «تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة».

وإذا تمهّد لك هذه المقدّمة ينتج لك فوائد عظيمة:

منها: أنّك تعلم بالعلم القطعيّ وجه اختيار الله لضيفه الجوع لأنّه لا نعمة أنعم وأسنى من نعمة المعرفة والقرب واللّقاء، والجوع من أسبابها القريبة.

وتعلم أنّ الصوم ليس تكليفاً بل تشريف يوجب شكراً بحسبه، وترى أنّ المنّة لله تعالى في إيجابه، وتعرف مكانة نداء الله لك في كتابه في آية الصوم وتلتذّ من النداء إذا علمت أنّه نداء ودعوة لك لدار الوصول، وتعلم أنّ الحكمة في تشريعه قلّة الأكل وتضعيف القوى وتضنّ أن تأكل في اللّيل ما تركته في النّهار بل وأزيد.

ومنها: أنّك إذا عرفت شرف ما أُريد منه لك تجتهد في تصحيحه والاخلاص فيه لتسلم لك فوائده.

ومنها: أنّك إذا عرفت المراد من جعل الصوم وإيجابه تعرف بذلك ما يكدّره وما يصفيه وتعلم معنى ما ورد فيه من أنّ الصوم ليس من الطعام والشراب فقط، فإذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك حتّى ذكر في بعضها الجلد والشعر.

ومنها: أنّك تعرف أنّ النيّة بهذا العمل لا يليق أن يكون لدفع العقاب فقط، ولا يليق أن=

= يكون لجلب ثواب جنّة النعيم وإن حصلا به، بل حقّ نيّة هذا العمل أنّه مقرّب من الله وموصل إلى قربه وجواره ورضاه، بل جعل هذا العمل لأنّ من جهة أنّه مخرج للانسان من أوصاف البهيمة ومقرّب إلى صفات الرُّوحانيين نفس التقرّب.

وإذا عرفت ذلك تعرف بأيسر ما تفطّن أنّ كلّ ما يلحقك من الأحوال والأفعال والأقوال المبعّدة لك عن مراتب الحضور فهو مخالف لمراد مولاك من تشريفك بهذه الدّعوة والضيافة، ولا ترضى أن تكون في دار ضيافة هذا الملك الجليل المنعم لك بهذا التشريف والتقريب، العالم بسرائرك وخطرات قلبك، غافلاً عنه وهو مراقب لك، ومعرضاً عنه وهو مقبل عليك، ولعمري إنّ هذا في حكم العقل من القبائح العظيمة التي لا يرضى العاقل أن يعامل صديقه بذلك، ولكن كان من رفق الله وفضله لم يحرّم مثال هذه الغفلات، وسامح عباده وكلّفهم دون وسعهم هذا، ولكنّ الكرام من العبيد أيضاً لا يعاملون (ذلك) مع سيّدهم عند كلّ واجب وحرام بل يعاملونه بما يقتضيه حقّ السيادة والعبودية، ويعدُّون من اقتصر بذلك من اللئام.

وبالجملة يعملون في صومهم بما وصى به الصّادق عليه السلام وهي أُمور: منها أن يكون حالك في صومك أن ترى نفسك مشرفاً للآخرة، ويكون حالك حال الخضوع والخشوع، والانكسار والذلّة، ويكون حالك حال عبد خائف من مولاه، وقلبك طاهراً من العيوب، وباطنك من الحيل والمكر، وتتبرّأ إلى الله من كل ما هو دونه، تخلص في صومك ولايتك لله، وتخاف من الله القهّار حقّ مخافته، وتبذل روحك وبدنك لله عزّ وجلّ في أيام صومك وتفرغ قلبك لمحبّته وذكره، وبدنك للعمل بأوامره وما دعاك إليه، إلى غير ذلك ممّا أوصى به من حفظ الجوارح من المحذورات والمخالفات، ولا سيّما اللّسان، حتى المجادلة واليمين الصّادقة ثمّ قال في آخر الرواية: إن عملت بجميع ما بيّنت لك فقد علمت بما يحقّ على الصائم، وإن نقصت من ذلك فينقص من فضل صومك وثوابه بقدر ما نقصت ممّا ذكرت.

أقول: فانظر بما في هذه الوصايا من وظائف الصائم ثمّ تأمّل في تأثيراته فاعلم أنّ من يرى نفسه مشرفاً للآخرة، يخرج قلبه من الدنيا، ولا يهتمّ إلا بتهيئة زاد للآخرة، وهكذا إذا خضع قلبه وكان منكسراً وذليلاً بعد عن الفرح بغير الله والميل إليه، ومن بذل روحه وبدنه لله وتبرّأ من كلّ شيء دون الله يكون روحه وقلبه وبدنه وكلّه مستهتراً في ذكر الله ومحبّة=

= الله، وعبادة الله، ويكون صومه صوم المقرّبين، رزقنا الله بحقّ أوليائه هذا الصوم ولو يوماً في عمرنا.

وكيف كان مراتب الصوم ثلاثة:

صوم العوامّ: وهو بترك الطعام والشراب والنساء على ما قرّره الفقهاء من واجباته ومحرّماته.

وصوم الخواصّ: وهو ترك ذلك مع حفظ الجوارح من مخالفات الله جلّ جلاله.

وصوم خواصّ الخواصّ: وهو ترك كلّ ما هو شاغل عن الله من حلال أو حرام.

ولكلّ واحد من المرتبتين الأخيرتين أصنافها كثيرة لا سيّما الأولى فإنّ أصنافه كثيرة لا تحصى بعدد مراتب أصحاب اليمين من المؤمنين بل كلُّ نفس منهم له حدٌّ خاصٌّ لا يشبه حدُّ صاحبه ومن أهل المراتب أيضاً من يقرّب عمله من عمل من فوقه، وإن لم يكن منه.

هذا من جهة ما يصام عنه، وأمّا من جهة قصد الصيام، فينقسم الصائمون أيضاً على أصناف:

بعضهم ما قصدوا بصومهم قصداً صحيحاً يكفي في عدم بطلان عملهم، بل صاموا لغير الله من خوف النّاس، ومن أجل جلب النّفع منهم، أو لمجرّد العادة المعمولة بين المسلمين.

وبعضهم يكون صومهم مشوباً مع ذلك بشيء من خوف عقاب الله ورجاء ثوابه.

وبعضهم يتمحّض قصدهم لأجل خوف العقاب أو الثواب والثّاني قليل، والأغلب من هذا الصنف يشترك في قصده جهة دفع العقاب، وجلب الثّواب.

وبعضهم يدخل مع ذلك في قصدهم كونه مقرّباً إلى الله وموجباً لرضا الله.

وبعضهم يتمحّض قصدهم في جهة القرب والرّضا.

وقد يقال: الأولى أن يتمحّض قصد بعض الكاملين في كونه تعالى أهلاً لأن يعبد ويخلص من شوب الرغب والرهب رأساً حتّى الوصول إلى لقائه والزلفى لديه، كونه موافقاً لرضاه، ويعدّون العمل من جهة الرغبة في الوصال ناقصاً ورأيت من عبّر عن مثل هذا العمل بأنّه عبادة النفس.

الباب الثالث

في التطوّع بالصيام

أقول: روى في الفقيه، عن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صام يوماً تطوُّعاً أدخله الله عزّ وجلّ الجنّة»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من ختم له بصيام يوم دخل الجنّة»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صام يوماً في سبيل الله كان له كعدل سنة يصومها»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلاّ سبّحت له أعضاؤه وكانت صلاة الملائكة عليه وكانت صلاتهم استغفاراً»[4].

قال: وروى الحسن بن محبوب، عن جميل بن صالح، عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم حتّى يقال: لا يفطر، ويفطر حتّى يقال: لا يصوم، ثمّ صام يوماً وأفطر يوماً، ثمّ صام الاثنين والخميس ثمّ آل من ذلك إلى صيام ثلاثة أيّام في

(١) المصدر ص ١٧١ رقم و٤ و٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) المصدر نفسه.

الشهر: الخميس في أوّل الشهر، وأربعاء في وسط الشهر، وخميس في آخر الشهر، وكان يقول: ذلك صوم الدهر».

وقد كان أبي عليه السلام يقول: «ما من أحد أبغض إلى الله عز وجلّ من رجل يقال له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا، فيقول: لا يعذّبني الله على أن أجتهد في الصلاة والصوم كأنّه يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه»[١].

وفي رواية حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صام رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قيل: ما يفطر ثمّ أفطر حتّى قيل: ما يصوم، ثمّ صام صوم داود عليه السلام يوماً ويوماً لا، ثمّ قبض صلى الله عليه وآله على صيام ثلاثة أيّام في الشهر وقال: يعدلن صوم الدهر ويذهبن بوحر الصدر، قال حمّاد: الوحر الوسوسة؛ قال حمّاد فقلت: وأيّ الأيّام هي؟ قال: أوّل خميس في الشهر، وأوّل أربعاء بعد العشر منه، وآخر خميس فيه، فقلت: وكيف صارت هذه الأيّام تصام فيهن؟ قال: لأن من قبلنا من الامم كانوا إذ انزل على أحدهم العذاب نزل في هذه الأيام فصام رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الأيّام لأنّها الأيّام المخوفة»[٢].

وروى الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا صام أحدكم الثلاثة الأيّام من الشهر فلا يجادلنّ أحداً ولا يجهل ولا يسرع إلى الحلف والإيمان بالله وإن جهل عليه أحد فليتحمّل»[٣].

---

(١) المصدر ص ١٦٩ رقم ١، والكافي ج٤ ص ٩٠ رقم ٣.
(٢) الفقيه ص ١٦٩ رقم ٣، والكافي ج٤ ص ٨٩ رقم ١.
(٣) الكافي ج٤ ص ٨٨ تحت رقم ٤، وفي الفقيه ص ١٧٠ رقم ٥.

وروى عبد الله بن المغيرة، عن حبيب الخثعمي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن التطوُّع وعن هذه الثلاثة الأيّام إذا أجنبت في أوّل اللّيل فأعلم أنّي أجنبت فأنام متعمّداً حتّى ينفجر الفجر أصوم أو لا أصوم؟ قال: صم»[(١)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كلّ شهر يذهب ببلابل الصدر، وصيام ثلاثة أيّام في كلّ شهر صيام الدّهر، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»[(٢)].

وفي رواية عبد الله بن سنان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان في أوّل الشهر خميسان فصم أوّلهما فإنّه أفضل، وإذا كان في آخر الشهر خميسان فصم آخرهما فإنّه أفضل»[(٣)].

وسئل العالم عليه السلام: «عن خميسين يتّفقان في آخر العشر[(٤)] فقال: صم الأوّل فلعلّك لا تلحق الثاني»[(٥)].

وسأل عيص بن القاسم أبا عبد الله عليه السلام: «عمّن لم يصم الثلاثة من كلّ شهر وهو يشتدُّ عليه الصيام هل فيه فداء؟ فقال: مدٌّ من طعام في كلّ يوم»[(٦)].

---

(١) الفقيه ص ١٧٠ رقم ٦.
(٢) الأنعام: ١٦٠ والبلبال: الهم والحزن والوسواس والخبر في الفقيه ص ١٧٠.
(٣) الفقيه ص ١٧٠ رقم ١٠ و١٨ و١١ و١٢ و١٣ و١٤.
(٤) لعل الصواب «آخر الشهر» كما في بعض نسخ الفقيه.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

وروى ابن مسكان عن إبراهيم بن المثنى قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قد اشتدّ عليّ صوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر فما يجزىء عنّي أن أتصدّق مكان كلّ يوم بدرهم؟ فقال: صدقة درهم أفضل من صيام يوم»[١].

وروى الحسن بن محبوب عن الحسن بن أبي حمزة قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: أو لأبي عبد الله عليه السلام: صوم ثلاثة أيّام في الشهر أؤخّره في الصيف إلى الشتاء فإنّي أجده أهون عليّ؟ فقال: نعم فاحفظها»[٢].

وفي رواية ابن بكير، عن زرارة: «أنّ صوم الثلاثة الأيّام جميع ما جرت به السنّة في الصوم»[٣].

أنواع الصيام

ومن الصيام المتأكّد صوم رجب وشعبان، وأما تيسّر منهما، فإنّ رجب شهر أمير المؤمنين عليه السلام، وشعبان شهر رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أنّ رمضان شهر الله عزّ وجلّ؛ وقد ورد في صومها الحثُّ الأكيد والثواب الجزيل، وكذا في أبعاضهما على التفصيل يوماً ويومين وثلاثة إلى الثلاثين نطوي ذكرها روماً للاختصار.

وفي الفقيه[٤]، «روي عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: من صام أوّل يوم من ذي الحجّة كتب الله له صوم ثمانين شهراً، فإن صام التسع كتب الله عزّ وجلّ له صوم الدّهر».

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) المصدر ص ١٧١ رقم ٧.

وقال الصادق عليه السلام: «صوم يوم التروية كفّارة سنة ويوم عرفة كفارة سنتين»[١].

وروي: «أنّ في أوّل ذي الحجّة أُنزلت توبة داود عليه السلام فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة تسعين سنة»[٢].

وروى عن يعقوب بن شعيب قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عرفة قال: إن شئت صمت وإن شئت لم تصم»[٣].

وروى حنان بن سدير، عن أبيه قال: «سألته عن صوم يوم عرفة فقلت: جعلت فداك إنّهم يزعمون أنّه يعدل صوم سنة، قال: كان أبي عليه السلام لا يصومه، قلت: ولم جعلت فداك؟ قال: يوم عرفة يوم دعاء ومسألة فأتخوّف أن يضعفني عن الدُّعاء وأكره أن أصومه أتخوّف أن يكون يوم عرفة يوم الأضحى وليس بيوم صوم»[٤].

وروى الحسن بن عليّ الوشاء قال: «كنت مع أبي وأنا غلام فتعشّينا عند الرضا عليه السلام ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة، فقال له: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم، وولد فيها عيسى بن مريم، وفيها دحيت الأرض من تحت الكعبة، فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستّين شهراً»[٥].

---

(١) المصدر ص ١٧١ رقم ٨ و ٩ و١٠ و١٣ و١٧ و١٨.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

وروي: «أنّ في تسع وعشرين من ذي القعدة أنزل الله عزّ وجلّ الكعبة وهي أوّل رحمة نزلت، فمن صام ذلك اليوم كان كفّارة سبعين سنة»[١].

وروى الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن وأعظمهما وأشرفهما، قال: قلت له: فأيّ يوم هو؟ قال: يوم نصب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام علماً للناس، قلت: جعلت فداك وأيّ يوم هو؟ قال: إنّ الأيّام تدور وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة، قال: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر فيه الصلاة على محمّد وأهل بيته عليهم السلام وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ عمّن ظلمهم حقّهم، فإنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تأمر الأوصياء باليوم الّذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً، قال: قلت: ما لمن صامه منّا؟ قال: صيام ستّين شهراً ولا تدع صيام سبعة وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي أُنزلت فيه النبوّة على محمّد صلى الله عليه وآله وثوابه مثل ستين شهراً لكم»[٢].

وروى المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صوم يوم غدير خمّ كفّارة ستّين سنة»[٣].

وفي أوّل يوم من المحرّم دعا ذكريّا عليه السلام ربّه عزّ وجلّ، فمن صام ذلك اليوم استجاب الله له كما استجاب لزكريّا عليه السلام»[٤].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) المصدر ص ١٧١ رقم ١٩ و٢٠ و٢١.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

قال[١]: وسأل محمّد بن مسلم، وزرارة بن أعين أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: «كان صومه قبل شهر رمضان فلمّا نزل شهر رمضان ترك».

أقول: ويؤيّد ذلك ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً: «أنّ من صامه كان حظّه من ذلك حظّ ابن مرجانة وآل زياد وهو النار»[٢].

وأمّا ما ورد: «أنّ صومه كفّارة سنة»[٣] فمحمول على التقيّة أو على الإمساك إلى العصر على وجه الحزن كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «صمه من غير تبييت وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كاملاً، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم»[٤].

وينبغي العمل على هذا الحديث لاعتبار سنده، ومثل هذا يسمّى بصوم التأديب وهو الإمساك عن المفطرات في بعض النهار تشبيهاً بالصائمين، وهو ثابت في سبعة مواطن غير هذا بالنصّ والإجماع: المسافر إذا قدم أهله أو بلداً يعزم فيه إقامة عشرة فما زاد بعد الزوال أو قبله وقد أفطر، وكذا المريض إذا برىء، والحائض والنفساء إذا طهرتا في أثناء النهار، والكافر إذا أسلم، والصبيُّ إذا بلغ، والمجنون إذا أفاق، وكذا المغمى عليه، ويلحق به تمرين الصبيّ لتسع سنين.

---

(١) يعني الصدوق رحمه الله في الفقيه ص ١٧١ تحت رقم ١.
(٢) التهذيب ج١ ص ٤٣٧، الكافي ج٤ ص ١٤٧.
(٣) التهذيب ج١ ص ٤٣٧، الاستبصار ج٢ ص ١٣٤.
(٤) رواه الشيخ في مصباح المتجهد ص ٥٤٧. وفي النهاية: الملحمة هي الحرب وموضع القتال.

الصيام الحرام والمنهي عنه

يحرم صوم العيدين وأيّام التشريق لمن كان بمنى، ويوم الشك بنيّة رمضان، وصوم المرأة والمملوك ندباً بغير إذن الزوج والمولى؛ وفي المرض والسفر إلاّ ما استثني، وصوم الصمت والوصال.

وفي الفقيه، روى معاوية بن عمّار قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صيام أيّام التشريق، قال: إنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن صيامها بمنى فأمّا بغيرها فلا بأس، ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوصال في الصيام وكان يواصل فقيل له في ذلك، فقال: إنّي لست كأحدكم إنّي أظلُّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «الوصال الّذي نهي عنه هو أن يجعل الرَّجل عشاءه سحوره»[٢].

وسأل زرارة أبا عبد الله عليه السلام عن صوم الدّهر، فقال: لم يزل مكروهاً، وقال: لاوصال في صيام ولا صمت يوماً إلى اللّيل»[٣].

وفي حديث الزهري[٤]، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «وأمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ويوم الأضحى وثلاثة أيّام التشريق وصوم يوم الشك أُمرنا به ونهينا عنه، أُمرنا أن نصومه مع شعبان ونهينا عنه أن يتفرّد الرَّجل بصيامه في اليوم الّذي يشكُّ فيه الناس، فقلت له: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع قال: ينوي ليلة الشكّ أنّه صائم من شعبان

(١) الفقيه ص ١٩٦ و١٩٧ تحت رقم ٧ و٩ و١٠ و١١.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الكافي ج٤ ص ٧٥، والفقيه ص ١٦٩.

فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه وإن كان من شعبان لم يضرّه، فقلت له: وكيف يجزىء صوم تطوُّع عن صوم فريضة؟ فقال: لو أنَّ رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوُّعاً وهو لا يدري ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه لأنَّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه، وصوم الوصال حرامٌ، وصوم الصمت حرامٌ، وصوم نذر المعصية حرامٌ، وصوم الدّهر حرامٌ».

قال عليه السلام: «وأمّا الصوم الّذي يكون صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين، وصوم البيض، وصوم ستّة أيّام من شوّال بعد شهر رمضان، وصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء كلُّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر».

أقول: يعني أنَّ هذه الأيام ليست لها مزيّة على سائر الأيّام للصيام كما زعمته العامّة.

قال عليه السلام: «وأمّا الصوم في السفر والمرض فإنَّ العامّة اختلفت فيه.

فقال قوم: يصوم.

وقال قوم: لا يصوم.

وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر.

فأمّا نحن فنقول: يفطر في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء وذلك لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وذكر الصدوق في علل الشرايع[1]: أنَّ صوم أيّام البيض منسوخٌ بصوم

(١) المصدر ص ١٣٣.

الخميسين والأربعاء، وربما يشعر به بعض النصوص، وفسّر بعض علمائنا الأيّام البيض بذلك والمشهور خلافهما.

وأمّا صوم الستّة الأيّام، فقد ورد في بعض الأخبار من طريقنا أيضاً، إلاّ أنَّ في الصحيح: «لا صيام بعد الأضحى ثلاثة أيّام، ولا بعد الفطر ثلاثة أنها أيّام أكل وشرب»[١] وهو المعتمد.

وفي الفقيه أيضاً «روى الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل رجل بلدة فهو ضيف على من بها من أهل دينه حتّى يرحل عنهم، ولا ينبغي للضيف أن يصوم إلاّ بإذنهم لئلاّ يعملوا شيئاً فيفسد، ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلاّ بإذن الضيف لئلا يحتشمهم فيشتهي فيتركه لهم»[٢].

وروى نشيط بن صالح، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فقه الضيف أن لا يصوم تطوُّعاً إلاّ بإذن صاحبه، ومن طاعة المرأة لزوجها أن لا تصوم تطوّعاً إلاّ بإذنه وأمره، ومن صلاح العبد وطاعته ونصيحته لمولاه أن لا يصوم تطوُّعاً إلاّ بإذن مولاه، ومن برّ الولد بأبويه أن لا يصوم تطوُّعاً إلاّ بإذن أبويه وأمرهما، وإلاّ كان الضيف جاهلاً، وكانت المرأة عاصية، وكان العبد فاسقاً عاصياً، وكان الولد عاقاً»[٣].

قال: [٤] وردت الأخبار والآثار عن الأئمة عليهم السلام: «أنّه لا يجوز أن يتطوّع الرجل بالصيام وعليه شيء من الفرض»، وممّن روى ذلك الحلبيُّ،

---

(١) التهذيب ج١ ص ٤٤٥، والكافي ج٤ ص ١٤٨.
(٢) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ١ و٢ باب صوم الاذن.
(٣) المصدر ص ١٩١ تحت رقم ٢ باب صوم الاذن.
(٤) الفقيه ص ١٨٦ رقم ١.

وأبو الصبّاح الكناني، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قال: [١] وروى داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لإفطارك في منزل أخيك أفضل من صيامك سبعين ضعفاً أو تسعين ضعفاً».

وروى جميل بن درّاج، عنه عليه السلام أنّه قال: «من دخل على أخيه وهو صائم فأفطر عنده ولم يُعلمه بصومه فيمنُّ عليه كتب الله له صوم سنة»[٢]، قال: وقال مصنّف هذا الكتاب ـ رحمه الله ـ : هذا في السنّة والتطوّع جميعاً.

أقول: أراد بالسنّة صوم الثلاثة الأيّام من كلّ شهر بالتطوّع ما عداه من الصيام المستحبّ.

قال أبو حامد: «وإذا ظهر أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الأنسانُ معنى الصوم وأنّ مقصوده تصفية القلب وتفريق الهمّ لله، والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم، وقد يقتضي دوام الفطر، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم، فإذا فهم المعنى وتحقّق حدّه في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمرّاً، ولذلك روي: «أنّه صلى الله عليه وآله كان يصوم حتّى يقال: إنّه لا يفطر ويفطر حتّى يقال: لا يصوم، وينام حتّى يقال: لا يقوم ويقوم حتّى يقال: لا ينام»[٣]، وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات والحمد لله».

هذا آخر أسرار الصيام ومهمّاته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء ويتلوه إن شاء الله كتاب: «أسرار الحجّ ومهمّاته» والحمد لله أوّلاً وآخراً.

---

(١) الفقيه ص ١٧٠ تحت رقم ١٥ و١٦.

(٢) الفقيه ص ١٧٠ تحت رقم ١٧.

(٣) مر صدر الحديث آنفاً.

أسرار الحج
ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتخصيصاً ومنّاً، وجعل زيارته والتطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجنّاً، والصلاة على محمّد نبيّ الرحمة وسيّد الأُمّة وعلى آله المعصومين وأصحابه المرضيّين قادة الحقّ وسادة الخلق، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنَّ الحجَّ من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدّين فيه، قال النبيُّ ﷺ: «من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهوديّاً وإن شاء نصرانيّاً»[1].

أقول: ومن طريق الخاصّة ما ورد في الصحيح، عن الصادق عليه السلام: «من مات ولم يحجَّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أومرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه منه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً»[2].

قال أبو حامد: «فأعظم بعبادة يعدم الدّين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال، وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها

(١) قال العراقي: أخرجه ابن عدي. أقول: أخرج نحوه ابن مردويه، باسناده عن علي عليه السلام، عن النبي ﷺ كما في تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٨٦.

(٢) الفقيه ص ٢٦٥ تحت رقم ٣، والكافي ج٤ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وقوله: «تجحف» في القاموس أجحف به: ذهب، وبه الفاقة: «أفقرته الفاقة وأيضاً قاربه ودنا منه، وحمل على المبالغة.

وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها، وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله في ثلاثة أبواب:

الباب الأوّل: في فضائله، وفضائل مكّة، والبيت العتيق، وجمل أركانها وشرائط وجوبها.

الباب الثاني: في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرُّجوع.

الباب الثالث: في آدابها الدقيقة، وأسرارها الخفيّة، وأعمالها الباطنة.

فلنبدء بالباب الأوّل وفيه فصلان:

الفصل الأوّل: في فضائل الحجّ والبيت ومكّة والمدينة وشدُّ الرحال إلى المشاهد.

فضيلة الحج

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[١].

قال قتادة: لمّا أمر عزّ وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحجّ نادى يا أيّها الناس إنّ لله بيتاً تحجّوه فاسمع الله نداءه كل من يريد الله أن يحج من ذريّته إلى يوم القيامة».

أقول: وفي الفقيه: «أن إبراهيم عليه السلام نادى هلمّ إلى الحجّ هلمّ إلى الحجّ فلو ناداهم هلّموا إلى الحجّ لم يحجّ إلاّ من كان يومئذٍ إنسياً مخلوقاً ولكنه نادى هلمّ إلى الحج، فلبّى الناس في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيّك داعي الله، لبيك داعي الله، فمن لبّى مرّة حجّ حجّة، ومن لبّى عشراً حجّ عشر حجج، ومن لم يلبّ لم يحج»[٢].

وفيه، قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٣] «يعني حجّوا إلى الله ومن اتّخذ محملاً للحجّ كان كمن ارتبط فرساً في سبيل الله»[٤].

قال: وروي أنّ الجبّار جلّ جلاله يقول: «إنّ عبداً أحسنت إليه

---

(١) الحج: ٢٧ والضامر: البعير أو الفرس المهزول.

(٢) المصدر ص ٢١٢ باب: نكت في حج الانبياء والمرسلين.

(٣) سورة الذاريات: الآية، ٥٠.

(٤) الفقيه ص ٢٠٤ باب: فضائل الحج.

وأجملت إليه فلم يزرني في هذا المكان في كلّ خمس سنين لمحروم»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «ما من عبد يؤثر على الحجّ حاجة من حوائج الدّنيا إلاّ نظر إلى المحلّقين قد انصرفوا قبل أن يقضى له تلك الحاجة»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «ما تخلّف رجلٌ عن الحجّ إلاّ بذنب، وما يعفو الله أكثر»[٣].

و«سئل عليه السلام عن رجل ذي دين يستدين ويحجُّ؟ فقال: نعم هو أقضى للدّين» انتهى كلام الفقيه[٤].

وفي الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقيه أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله إنّي خرجت أُريد الحجّ ففاتني وأنا رجلٌ ميّلٌ[٥] فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاجّ، قال: فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انظر إلى أبي قبيس فلو أنّ أبا قبيس لك ذهبة حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاجّ، ثمّ قال: إنّ الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلاّ كتب له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلاّ كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج

(١) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٣٠.
(٢) الفقيه ص ٢٥٨ باب: علة التخلف عن الحج.
(٣) الفقيه باب: علة التخلف عن الحج ص ٢٥٨، وفي الكافي ج٤ ص ٢٧٠ نحوه.
(٤) المصدر ص ٢٦٢ تحت رقم ٥.
(٥) يعني كثير المال وفي بعض النسخ: [اني رجل مميل] وهو بمعناه.

من ذنوبه، [قال: فعدَّد رسول الله ﷺ كذا وكذا موقفاً إذا واقفها الحاجُّ خرج من ذنوبه]، ثمّ قال: أنّى لك أن تبلغ ما تبلغه الحاجّ، قال أبو عبد الله عليه السلام: ولا يكتب عليه الذنوب أربعة أشهر ويكتب له الحسنات إلاّ أن يأتي بكبيرة»[1].

وفي الصحيح، عن معاوية بن عمّار، عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الحجُّ والعمرة ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد، قال معاوية: فقلت حجّة أفضل أو عتق رقبة؟ قال: حجّة أفضل، قلت: فثنتين؟ قال: حجّة أفضل، فلم أزل أزيد ويقول: حجّة أفضل حتّى بلغت ثلاثين رقبة، فقال: حجّة أفضل»[2].

وفي الصحيح، «الحاجُّ ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمّه، وصنف يحفظ في أهله وماله وهو أدنى ما يرجع به الحاجّ»[3].

وفي الفقيه، «قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من مُهلّ يهلُّ بالتلبية إلاّ أهلّ من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب ومن عن يساره إلى مقطع التراب، وقال له الملكان: أبشر يا عبد الله وما يبشّر الله عبداً إلاّ بالجنّة، ومن لبّى في إحرامه سبعين مرّة إيماناً واحتساباً أشهد الله له ألف ملك ببراءة من النّار وبراءة من النفاق، ومن انتهى إلى الحرم فنزل واغتسل وأخذ نعليه بيده، ثمّ دخل الحرم حافياً تواضعاً لله عزّ وجلّ محا الله عنه مائة ألف سيّئة

(١) التهذيب ج١ ص ٤٤٧ حسبما رقمناه.

(٢) التهذيب ج١ ص ٤٤٨.

(٣) الكافي ج٤ ص ٢٥٣، والتهذيب ج١ ص ٢٤٨.

وكتب الله له مائة ألف حسنة وبنى له مائة ألف درجة وقضى له مائة ألف حاجة، ومن دخل مكّة بسكينة غفر الله له ذنبه وهو أن يدخلها غير متكبّر ولا متجبّر ومن دخل المسجد حافياً على سكينة ووقار وخشوع غفر الله له، ومن نظر إلى الكعبة عارفاً بحقّها غفر الله له ذنوبه وكفى ما أهمّه»[١].

وفيه، «قال عليُّ بن الحسين عليه السلام: الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة فتشفع فيه بالإيجاب»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «ما يقف أحد على تلك الجبال برٌّ ولا فاجرٌ إلا استجاب الله له فأمّا البرُّ فيستجاب له في آخرته وأمّا الفاجر فيستجاب له في دنياه»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلاّ غفر الله عزَّ وجلَّ لأهل تلك الكورة من المؤمنين وما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت من المؤمنين إلاّ غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين»[٤].

وفيه: «وأعظم الناس جرماً من أهل عرفات الّذي ينصرف من عرفات وهو يظنُّ أنّه لم يغفر له - يعني الّذي يقنط من رحمة الله عزَّ وجلَّ -»[٥].

وأسنده أبو حامد إلى الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام.

(١) المصدر ص ٢٠٥ تحت رقم ٣.
(٢) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٤.
(٣) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٢.
(٤) الفقيه ص ٢٠٧ تحت رقم ٣٣.
(٥) المصدر ص ٢٠٧ رقم ٣٦.

قال: ويقال: إنّ من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلاّ الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمّد عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي الفقيه، قال الصادق عليه السلام: «من حجّ حجّة الأسلام فقد حلّ عقدة من النّار من عنقه، ومن حجّ حجّتين لم يزل في خير حتّى يموت، ومن حجّ ثلاث حجج متوالية ثمّ حجّ أو لم يحجّ فهو بمنزلة مدمن الحجّ»[1].

وروي: «أنّ من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقراً أبداً، وأيّما بعير حجّ عليه ثلاث سنين جعل من نعم الجنّة ـ وروي سبع سنين ـ»[2].

وقال الرضا عليه السلام: «من حجّ بثلاثة من المؤمنين فقد اشترى نفسه من الله عزّ وجلّ بالثمن ولم يسأله من أين اكتسب ماله من حلال أو حرام[3] ومن حجّ أربع حجج لم يصبه ضغطة القبر أبداً وإذا مات صوّر الله عز وجلّ الحجج الّتي حجّ في صورة حسنة أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلّي في جوف قبره حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ من قبره، ويكون ثواب تلك الصلاة له، واعلم أنّ الركعة من تلك الصلاة تعدل ألف، ركعة من صلاة الآدميّين، ومن حج خمس حجج لم يعذبه الله أبداً، ومن حج عشر حجج لم يحاسبه الله أبداً ومن حجّ عشرين حجّة لم ير جهنم ولم يسمع شهيقا ولا زفيرها، ومن حجّ أربعين حجّة قيل له: اشفع فيمن أحببت ويفتح له باب من أبواب الجنّة، يدخل منه هو ومن يشفع له، ومن حجّ خمسين حجّة بني له مدينة في جنّة عدن فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف حوراء من حور العين، وألف

---

(١) المصدر ٢٠٨ تحت رقم ٤٨ و٤٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) قال الصدوق في العيون بعد نقل تمام الخبر: يعني بذلك أنه لم يسأله عما وقع في ماله من الشبهة ويرضى عنه خصماءه بالعوض. وقال المؤلف بعد نقله في الوافي: لعل ذلك بشرط التوبة وعدم معرفة أصحاب المال باعيانهم ليرده عليهم.

زوجة، ويجعل من رفقاء محمّد ﷺ في الجنّة، ومن حجَّ أكثر من خمسين حجّة كان كمن حجَّ خمسين حجّة مع محمّد والأوصياء صلوات الله عليهم وكان ممّن يزوره الله تبارك وتعالى كلَّ جمعة وهو ممّن يدخل جنّة عدن التي خلقها الله عزَّ وجلَّ بيده، ولم ترها عين، ولم يطلع عليها مخلوقٌ، وما من أحد يكثر الحجَّ إلاّ بنى الله عزَّ وجلَّ له بكلّ حجّة مدينة في الجنّة فيها غرف في كلّ غرفة منها حوراء من حور العين، مع كلّ حوراء ثلاثمائة جارية لم ينظر الناس إلى مثلهنّ حسناً وجمالاً»[١].

وقال الصادق عليه السلام من حجَّ سنة وسنة لا فهو ممّن أدمن الحجّ»[٢].

وقال إسحاق بن عمّار، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّي قد وطنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي، فقال: وقد عزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال: إن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال أو أبشر بكثرة المال»[٣].

وروي: «أنّه ما تقرّب العبد إلى الله عزَّ وجلَّ بشيء أحبُّ إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين، وأنَّ الحجّة الواحدة تعدل سبعين حجّة، ومن مشى عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه وركوبه، والحاجُّ إذا انقطع شسع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى متنعّل، والحجُّ راكباً أفضل منه ماشياً لأنَّ رسول الله ﷺ حجّ راكباً»[٤].

---

(١) الفقيه ص ٢٠٨ رقم ٥١ إلى ٥٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

والجمع ما بين الخبرين في هذا المعنى ما رواه أبو بصير، عن الصادق عليه السلام «أنّه سأله عن المشي أفضل أو الركوب؟ فقال: إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته، فالركوب أفضل»[١].

وكان الحسن بن علي عليه السلام: يمشي وتساق معه المحامل والرحال»[٢].

وقد روي: «أنّ الحجّ أفضل من الصلاة والصيام لأنّ المصلّي إنّما يشتغل عن أهله ساعة وأنّ الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم وأنّ الحاجّ يشخص بدنه، ويضحى نفسه، وينفق ماله، ويطيل الغيبة عن أهله لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة»[٣].

وروي عن إسحاق بن عمّار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ رجلاً استشارني في الحجّ وكان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحجّ، فقال: ما أخلقك أن تمرض سنة قال: فمرضت سنة»[٤].

وقال الصادق عليه السلام: «ليحذر أحدكم أن يعوّق أخاه عن الحجّ فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدّخر له في الآخرة»[٥].

وسئل الصادق عليه السلام عن الرجل يحجُّ عن آخر، له من الأجر والثواب شيء؟ فقال: «للّذي يحجُّ عن الرجل أجر وثواب عشر حجج، ويغفر له

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٧٠.
(٤) الفقيه ص ٢٠٩ تحت رقم ٦٨ و٦٩ و٨٣ وقوله: «ما أخلقك» أي ما أليق بك ذلك.
(٥) نفس المصدر.

ولأبيه ولأُمه ولابنه ولابنته ولأخيه ولأُخته ولعمّه ولعمّته ولخاله ولخالته، إنّ الله واسعٌ كريمٌ»(١).

وقال الصادق عليه السلام: «من حجّ عن إنسان اشتركا حتّى إذا قضى طواف الفريضة انقطعت الشركة، فما كان بعد ذلك من عمل كان لذلك الحاجّ»(٢).

وقال الصادق عليه السلام: «لو أشركت ألفاً في حجّتك كان لكلّ واحد حجٌّ من غير أن ينقص من حجّتك شيء»(٣).

وروي: «أنّ الله تبارك وتعالى جاعلٌ له ولهم حجّاً وله أجراً لصلته إيّاهم»(٤).

وقال الصادق عليه السلام: «من أنفق درهماً في الحجّ كان خيراً له من مائة ألف درهم ينفقها في حقّ»(٥).

وقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: «يا معشر من لم يحجّ استبشروا بالحاجّ إذا قدموا فصافحوهم وعظّموهم فإنّ ذلك يجب عليكم، تشاركوهم في الأجر»(٦).

---

(١) نفس المصدر.
(٢) المصدر ص ٢١٠ رقم ٧٤ و٧٥ و٧٧.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) الكافي ج٤ ص ٢٥٥ تحت رقم ١٥.
(٦) المصدر ج٤ ص ٢٦٤ تحت رقم ٤٨.

وقال ﷺ: «بادروا بالسلام على الحاجّ والمعتمرين ومصافحتهم من قبل أن يخالطهم الذنوب»[(١)(٢)].

(١) المصدر ج٤ ص ٢٥٦ تحت رقم ١٧.

الغرض من إيجاد الإنسان

(٢) **قال النراقي في جامع السعادات**: إعلم أن الحج أعظم أركان الدين، وعمدة ما يقرب العبد إلى رب العالمين، وهو أهم التكاليف الإلهية وأصعب العبادات البدنية وأفضلها، وأعظم بعبادة ينعدم بفقدها الدين، ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الخسران المبين. والأخبار التي وردت في فضيلته وفي ذم تاركه كثيرة مذكورة في كتب الأخبار، والأحكام والشرائط الظاهرة له على عهدة الفقهاء، فلنشر إلى الأسرار الخفية، والأعمال الدقيقة، والآداب الباطنة، التي يبحث عنها أرباب القلوب:

إعلم أن الغرض الأصلي من إيجاد الإنسان معرفة الله والوصول إلى حبه والأنس به، والوصول إليه بالحب والأنس يتوقف على صفاء النفس وتجردها. فكلما صارت النفس أصفى وأشد تجرداً، كان أنسها وحبها بالله أشد وأكثر، وصفاء النفس وتجردها موقوف على التنزه عن الشهوات، والكف عن اللذات، والإنقطاع عن الحطام الدنيوية، وتحريك الجوارح وإيقاعها لأجله في الأعمال الشاقة، والتجرد لذكره وتوجيه القلب إليه.

ولذلك شرعت العبادات المشتملة على هذه الأمور، إذ بعضها إنفاق المال وبذله، الموجب للإنقطاع عن الحطام الدنية، كالزكاة والخمس والصدقات، وبعضها الكف عن الشهوات واللذات، كالصوم، وبعضها التجرد لذكر الله وتوجيه القلب إليه، وإرتكاب تحريك الأعضاء وتعبها، كالصلاة، والحج من بينها مشتمل على جميع هذه الأمور مع الزيادة، إذ فيه هجران أوطان، وأتعاب أبدان، وإنفاق أموال، وإنقطاع آمال، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وحضور مشاعر، وشهود شعائر، ويتحقق في أعماله التجرد لذكر الله، والإقبال عليه بضروب الطاعات والعبادات، مع كون أعماله أموراً لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدي إلى معانيها العقول، كرمي الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، إذ بمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية، فإن سائر العبادات أعمال وأفعال يظهر وجهها للعقل، فللنفس إليها ميل، وللطبع بها أنس. =

= **وأما بعض أعمال الحج**: كرمي الجمار وترددات السعي، فلا حظ للنفس ولا أنس للطبع فيها، ولا إهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون الإقدام عليها إلا لمجرد الأمر وقصد الإمتثال له من حيث أنه أمر واجب الإتباع، ففيها عزل العقل عن تصرفه، وصرف النفس والطبع عن محل أنسه، فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما، فيكون ذلك الميل معيناً للإمتثال، فلا يظهر به كمال الرق والإنقياد، ولذلك قال النبي ﷺ في الحج على الخصوص: «لبيك بحجة حقاً وتعبداً ورقاً».

ولم يقل ذلك في غيره من العبادات. فمثل هذه العبادة ـ أي ما لم يهتد العقل إلى معناه ووجهه ـ أبلغ أنواع العبادات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والبغي إلى الإسترقاق، فتعجب بعض الناس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الجهل بإسرار التعبدات، وهذا هو السر في وضع الحج، مع دلالة كل عمل من أعماله على بعض أحوال الآخرة، أو في بعض أسرار أخر ـ كما يأتي ـ ما فيه من إجتماع أهل العالم في موضع تكرر فيه نزول الوحي، وهبوط جبرئيل وغيره من الملائكة المقربين على رسوله المكرم، ومن قبله على خليله المعظم، عليهما أفضل الصلاة ـ، بل لا يزال مرجعاً ومنزلاً لجميع الأنبياء، من آدم إلى خاتم، ومهبطاً للوحي، ومحلاً لنزول طوائف الملائكة. وقد تولد فيه سيد الرسل ﷺ وتوطأت أكثر مواضعه قدمه الشريفة وأقدام سائر الأنبياء.

ولذلك سمي بـ (البيت العتيق)، وقد شرفه الله تعالى بالإضافة إلى نفسه، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حواليه حرماً لبيته، وتفخيماً لأمره، وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وقطع شجره، ووضعه على مثال حضرة الملوك، فقصده الزوار من كل فج عميق، من كل أوب سحيق، شعثاء غبراء، متواضعين لرب البيت، ومستكنين له، خضوعاً لجلاله، وإستكانة لعزته وعظمته، مع الإعتراف بتنزهه عن أن يحومه بيت أو يكتنفه بلد.

ولا ريب في أن الإجتماع في مثل هذا الموضع، مع ما فيه من حصول المؤالفة والمصاحبة، ومجاورة الأبدال والأوتاد والأخيار المجتمعين من أقطار البلاد، وتظاهر الهمم، وتعاون النفوس على التضرع والإبتهال والدعاء الموجب لسرعة الإجابة، بذكر النبي ﷺ وإجلاله، ونزول الوحي عليه، وغاية سعيه وإهتمامه في إعلاء كلمة الله ونشر=

= أحكام دينه، فتحصل الرقة للقلب، والصفاء للنفس، ثم لكون الحج أعظم التكليفات لهذه الأمة، جعل بمنزلة الرهبانية في الملل السالفة، فإن الأمم الماضية إذا أرادوا العمل لأصعب التكليف وأشقها على النفس، إنفردوا عن الخلق، وإنحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق بطلب الأنس بالله، والتجرد له في جميع الحركات والسكنات، فتركوا اللذات الحاضرة، وألزموا أنفسهم الرياضات الشاقة، طمعاً في الآخرة، وقد أثنى الله عليهم كتابه، قال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾.

ولما إندرس ذلك، وأقبل الخلق على إتباع الشهوات، وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى، وفروا عنها، بعث الله تعالى من سرة البطحاء محمداً ، لإحياء طريق الآخرة، وتجديد سنة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل من الرهبانية والسياحة في دينه، فقال: «أبدلنا بالرهبانية الجهاد والتكبير على كل شرف - يعني الحج -، وأبدلنا بالسياحة الصوم». فأنعم الله على هذه الأمة، بأن جعل الحج رهبانية لهم، فهو بإزاء أعظم التكاليف والطاعات في الملل السابقة. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٨٣-٣٨٦].

ما ينبغي في الحاج

ينبغي للحاج، عند توجهه إلى الحج، مراعات أمور:

الأول: أن يجرد نيته لله، بحيث لا يشوبها شيء من الأغراض الدنيوية، ولا يكون باعثه على التوجه إلى الحج إلا امتثال أمر الله، ونيل ثوابه، والإستخلاص من عذابه، فليحذر كل الحذر أن يكون له باعث آخر، مكنون في بعض زوايا قلبه، كالرياء والحذر عن ذم الناس وتفسيقهم لو لا يحج، أو الخوف من الفقر وتلف أمواله لو ترك الحج، لما إشتهر من أن (تارك الحج يبتلى بالفقر والأدبار)، أو قصد التجارة أو شغل آخر، فإن كل ذلك يخرج العمل من الإخلاص، ويحجبه عن الفائدة وترتب الثواب الموعود، وما أجهل من تحمل الأعمال الشاقة التي يمكن أن تحصل بها سعادة الأبد، لأجل خيالات فاسدة لا يترتب عليها سوى الخسران فائدة، فيجتهد كل الجهد أن يجعل عزمه خالصاً لوجه الله، =

= بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة، ويتيقن أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره، فليصحح في نفسه العزم، وتصحيحه بإخلاصه بإجتناب كل ما فيه رياء وسمعة.

الثاني: أن يتوب إلى الله تعالى توبة خالصة، ويرد المظالم، ويقطع علاقة قلبه عن الإلتفات إلى ما وراءه، ليكون متوجهاً إلى الله بوجه قلبه، ويقدر أنه لا يعود، وليكتب وصيته لأهله وأولاده، ويتهيأ لسفر الآخرة، فإن ذلك بين يديه على قرب، وما نقدمه من هذا السفر تهيئة لأسباب ذلك السفر، فهو المستقر وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك عند الإستعداد لهذا، فليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة.

الثالث: أن يعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، ويعلم أنه ترك الأهل والأوطان، وفارق الأحبة والبلدان، للعزم على أمر رفيع شأنه، خطير أمره: أعني زيارة بيت الله الذي جعل مثابة للناس، فسفره هذا لا يضاهي أسفار الدنيا. فليحضر في قلبه ماذا يريد، وأين يتوجه، وزيارة من يقصد، وأنه متوجه إلى زيارة ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه، الذين نودوا فأجابوا، وشوقوا فاشتاقوا، ودعوا فقطعوا العلائق، وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الرفيع قدره والعظيم شأنه، تسلياً بلقاء البيت عن لقاء صاحبه، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم، فليحضر في قلبه عظم السفر، وعظمة البيت، وجلالة رب البيت، ويخرج معظماً لهما، ناوياً إن لم يصل وأدركته النية في الطريق لقي الله وافداً إليه بمقتضى وعده.

الرابع: أن يخلي نفسه عن كل ما يشغل القلب، ويفرق الهم في الطريق، أو المقصود، من معاملة أو مثلها، حتى يكون الهم مجرداً لله، والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره، متذكراً عند كل حركة وسكون أمراً أخروياً يناسبه.

الخامس: أن يكون زاده حلالاً، ويوسع فيه ويطيبه، ولا يغتم ببذله وإنفاقه، بل كان طيب النفس به، إذا إنفاق المال في طريق الحج نفقة في سبيل الله، والدرهم منه بسبعمائة درهم، قال رسول الله : «من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر». وكان السجاد عليه السلام إذا سافر إلى الحج، يتزود من أطيب الزاد، من اللوز والسكر=

= والسويق المحمض والمحلى. وقال الصادق عليه السلام: «إذا سافرتم، فإتخذوا سفرة وتنوقوا فيها».

وفي رواية: «أنه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام». نعم ينبغي أن يكون الإنفاق على الإقتصاد من دون تفتير ولا إسراف، والمراد بالإسراف التنعم بأطائب الأطعمة، والترفه بصرف أنواعها على ما هو عادة المترفين، وأما كثرة البذل على المستحقين، فلا إسراف فيه، إذ لا خير في السرف، ولا سرف في الخير. وينبغي - أيضاً - أن يكون له طيب النفس فيما أصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن، لأن ذلك من دلائل قبول حجه، فإن ذهاب المال في طريق الحج يعد الدرهم منه سبعمائة في سبيل الله، فالمصيبة في طريق الحج بمثابة الشدائد في طريق الجهاد، فله بكل أذى إحتمله وخسران أصابه ثواب، فلا يضيع منه شيء عند الله.

السادس: أن يحسن خلقه، ويطيب كلامه، ويكثر تواضعه، ويجتنب سوء الخلق والغلظة في الكلام، والرفث والفسوق والجدال، والرفث إسم جامع لكل فحش ولغو وخنى، والفسوق إسم جامع لكل خروج عن طاعة الله، والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق الهم ويناقص حسن الخلق. قال رسول الله : «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

فقيل: يا رسول الله، ما بر الحج؟ قال: «طيب الكلام وإطعام الطعام». فلا ينبغي أن يكون كثير الإعتراض على رفيقه وجماله، وعلى غيرهما من أصحابه، بل يلين جانبه، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله، ويلزم حسن الخلق، وليس حسن الخق مجرد كف الأذى، بل إحتمال الأذى، وقيل: سمي السفر سفراً عن إخلاق الرجال.

السابع: أن يكون أشعث أغبر، غير متزين ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في المتكبرين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين، ويمشي إن قدر، خصوصاً بين المشاعر. وفي الخبر: «ما عبد الله بشيء أفضل من المشي». وينبغي ألا يكون الباعث للمشي تقليل النفقة، بل التعب والرياضة في سبيل الله، ولو كان القصد تقليل النفقة مع اليسار فالركوب أفضل. وكذا الركوب أفضل لمن ضعف بالمشي، وساء خلقه، وقصر=

فضيلة البيت ومكة

في الفقيه، «قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[1] فأوّل بيت خلقت من الأرض الكعبة، ثمّ مدّت الأرض منها»[2].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألف أتية على قدميه، منها سبعمائة حجّة وثلاثمائة عمرة، وكان يأتيه من ناحية الشام، وكان يحجُّ على ثور، والمكان الّذي تيب فيه عليه الحطيم، وهو ما بين باب البيت والحجر الأسود، وطاف آدم قبل أن ينظر إلى حوّاء مائة عام، وقال له جبرائيل عليه السلام: حيّاك الله ولبّاك ـ يعني أصلحك ـ»[3].

وقال الصادق عليه السلام: «لمّا أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عام»[4].

= في العمل، ففي الخبر: «تركبون أحب إلي، فإن ذلك أقوى على الدعاء والعبادة». وكان الحسين بن علي عليهما السلام يمشي وتساق معه المحامل والرحال.

وإذا حضرت الراحلة ليركبها، فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب، لتتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة. وينبغي أن يرفق بها، فلا يحاملها ما لا تطيق. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٨٧-٣٨٩].

(١) سورة آل عمران: الآية، ٩٥.

(٢) المصدر باب ابتداء الكعبة وفضائلها ص ٢١٤. وفي الكافي ج٤ ص ١٨٩.

(٣) المصدر ص ٢١١ باب نكت في حج الانبياء وفي بعض نسخه: «حياك الله وبياك».

(٤) الكافي ج٤ ص ١٩٤ تحت رقم ٣.

وروى سعيد بن عبد الله الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أحبُّ الأرض إلى الله عزّ وجلّ مكّة، ما تربة أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من تربتها، ولا حجر أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من حجرها، ولا شجر أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من شجرها، ولا جبال أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من جبالها، ولا ماء أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها»(١).

وفي خبر آخر: «ما خلق الله تبارك وتعالى بقعة في الأرض أحبُّ إليه منها ـ وأومأ بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على الله عزّ وجلّ منها، لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض»(٢).

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ اختار من كلّ شيء شيئاً، اختار من الأرض موضع الكعبة»(٣).

وقال عليه السلام: «لا يزال الدّين قائماً ما قامت الكعبة»(٤).

وروي عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا عليُّ بن الحسين عليه السلام: «أيُّ البقاع أفضل؟ فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: أما أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم اللّيل في ذلك المكان ثمّ لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»(٥).

---

(١) الفقيه ص ٢١٥ تحت رقم ٨.
(٢) الفقيه ص ٢١٥ تحت رقم ٩ إلى ١١ ورقم ١٨.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

وقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: «من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويرى منزله من الجنّة، وتسبيحة بمكّة تعدل خراج العراقين ينفق في سبيل الله، ومن صلّى بمكّة سبعين ركعة فقرأ في كلّ ركعة بقل هو الله أحد، وإنّا أنزلناه، وآية السخرة[١]، وآية الكرسي لم يمت إلاّ شهيداً، والطاعم بمكّة كالصائم فيما سواها، وصيام يوم بمكّة تعدل صيام سنة فيما سواها، والماشي بمكّة في عبادة الله عزّ وجلّ»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من جاور سنة بمكّة غفر الله له ذنوبه ولأهل بيته ولكلّ من استغفر له ولعشيرته ولجيرانه ذنوب تسع سنين وقد مضت، وعصموا من كلّ سوء أربعين ومائة سنة، والانصراف والرجوع أفضل من المجاورة، والنائم بمكّة كالمجتهد في البلدان، والساجد بمكّة كالمتشحّط بدمه في سبيل الله، ومن خلّف حاجّاً في أهله بخير كان له كأجره حتّى كأنّه يستلم الحجر»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ لله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرين ومائة رحمة منها ستّون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين»[٤].

وروي: «أنّ من نظر إلى الكعبة لم يزل يكتب له حسنة ويمحى عنه سيئة حتّى يصرف ببصره»[٥].

---

(١) المراد منها قوله تعالى في سورة الاعراف آية ٥٤ إلى ٥٦ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(٢) الفقيه ص ٢١١ تحت رقم ٩١ و٩٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) المصدر ص ٢٠٦ تحت رقم ١٥.

(٥) الكافي ج٤ ص ٢٤٠ تحت رقم ٤.

وقال الصادق عليه السلام: «الركن اليماني بابنا الّذي ندخل منه الجنّة، وقال: فيه باب من أبواب الجنّة لم يغلق منذ فتح، وفيه نهرٌ من الجنّة يلقى فيه أعمال العباد»[١].

وروي: «أنّه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه»[٢].

وروي: «أنّه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء، وصرف عنه داء، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة»[٣].

قال أبو حامد: «قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله وعد هذا البيت أن يحجّه في كلّ سنة ستّمائة ألف، فإن نقصوا أكملهم الله بالملائكة، وإنّ الكعبة تحشر كالعروس المزفوف وكلُّ من حجّها يتعلّق بأستارها يسعون حولها حتّى تدخل الجنّة فيدخلون معها»[٤].

وفي الخبر: «أنّ الحجر ياقوتة من يواقيت الجنّة وأنّه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحقّ وصدق»[٥] وكان صلى الله عليه وآله يقبّله كثيراً[٦].

---

(١) الفقيه ص ٢٠٦ تحت رقم ٢٠ إلى ٢٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) قال العراقي: لم أجد لهذا الحديث أصلاً.

(٥) أخرجه الطبراني في مسنده الكبير من طريق بكر بن محمد بأدنى اختلاف كما في مجمع الزوائد ج٣ ص ٢٤٢. ونحوه الترمذي في الصحيح ج٤ ص ١٠٨ و١٨٢.

(٦) راجع في كل ذلك مجمع الزوائد ٣ ص ٢٤١، وسنن النسائي ج٥ ص ٢٣٣، وصحيح البخاري ج٢ ص ١٧٦، وصحيح مسلم ج٤ ص ٦٦، وصحيح الترمذي ج٤ ص ٩٣.

وروي «أنّه سجد عليه، وكان يطوف على الراحلة ويضع المحجن عليه ثمّ يقبّل طرف المحجن[١]، وقبّله عمر ثمّ قال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك لما قبّلتك، ثمّ بكى ثمّ علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى علياً عليه السلام فقال: يا أبا حسن ههنا تسكب العبرات، فقال عليٌّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين بل هو يضرُّ وينفع، قال: وكيف؟ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ الميثاق على الذريّة كتب عليهم كتاباً ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود» قيل: فذلك هو قول الناس عند الاستلام: «**اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك**».

فضيلة المقام بمكة وكراهته

قال أبو حامد: «كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكّة لمعان ثلاثة:

أحدها: خوف التبرُّم والأُنس بالبيت، فإنّ ذلك ربما يؤثّر في تسكين حرقة القلب في الاحترام.

والثاني: تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإنّ الله جعل البيت مثابة للنّاس أي يتوبون ويعودون إليه مرّة بعد الأخرى ولا يقضون منه وطراً.

وقال بعضهم: لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكّة متعلّق بهذا البيت خيرٌ لك من أن تكون فيه وأنت متبرّم بالمقام وقلبك في بلد آخر.

---

(١) أخرجه البخاري ج٢ ص ١٧٦، ومسلم ج٤ ص ٦٧، وأبو داود ج١ ص ٤٣٣ بدون الزيادة التي رواها علياً عليه السلام وراءه. وأخرجه مع الزيادة الحاكم في المستدرك ج٢ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين.

الثالث: الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإنّ ذلك مخطر وبالحريّ أن يورث مقت الله لشرف الموضع.

قال ابن مسعود: ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمّة قبل العمل إلاّ مكّة وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١].

أقول: ومن طريق الخاصّة، ما رواه معاوية بن عمّار في الصحيح، عن الصادق عليه السلام قال: «سألته عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: كلُّ ظلم إلحاد وضرب الخادم في غير ذنب من ذلك الإلحاد» رواه في الفقيه[٢].

قال: وفي رواية أبي الصباح الكناني، عنه عليه السلام قال: «كلُّ ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّي أراه إلحاداً، ولذلك كان يتّقي الفقهاء أن يسكنوا مكّة»[٣].

قال: وروى العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكّة سنة، قلت: كيف يصنع؟ قال: يتحوّل عنها، ولا ينبغي أن يرفع بناء فوق الكعبة[٤]، وروي أنّ المقام بمكّة يقسي القلب»[٥].

وروى داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إذا فرغت من

(١) سورة الحج: الآية، ٢٥.
(٢) ص ٢١٧ تحت رقم ٣٥.
(٣) الفقيه ص ٢١٧ تحت رقم ٣٦.
(٤) جميع تلك الأخبار في الفقيه ص ٢١٨ تحت رقم ٤٣ إلى ٤٥.
(٥) نفس المصدر.

نسكك فارجع فإنّه أشوق لك إلى الرجوع»[١].

قال: أبوحامد: «ولا تظنن أنّ كراهية المقام يناقض فضل البقعة لأنّ هذه كراهة علّتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحقّ الموضع فمعنى قولنا: «إنّ ترك المقام به أفضل» أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرُّم، فأمّا أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقّه فهيهات وكيف لا؟ ولمّا عاد ﷺ إلى مكّة استقبل القبلة وقال: «إنك لخير أرض وأحبُّ بلاد الله تعالى إليّ ولولا أنّي أُخرجت منك ما خرجت»[٢]وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة».

أقول: قال: في الفقيه «لم يبت أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة بعد أن هاجر منها حتّى قبض لأنّه كان يكره أن يبيت بأرض قد هاجر منها».

فضيلة المدينة وسائر البلاد

قال أبو حامد: «ما بعد مكّة بقعة أفضل من مدينة الرسول ﷺ فالأعمال فيها أيضاً تضاعف».

قال ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام»[٣] وكذلك كلُّ عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدّسة فإنّ الصلاة فيها بخمسمائة»[٤] وكذا سائر الأعمال.

---

(١) نفس المصدر.
(٢) أخرجه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ج٣ ص ٢٨٣. وأخرج الترمذي مثله.
(٣) رواه أحمد والبزاز كما في مجمع الزوائد ج٤ ص٤ وأيضاً أبو يعلى والطبراني في الكبير كما في المجمع أيضاً ج٤ ص٥.
(٤) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات كما في المجمع ج٤ ص٧.

أقول: وقد مرّ الحديث في ذلك من طريق الخاصّة في كتاب الصلاة وفي الفقيه: روى خالد بن ماد القلانسيّ، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «مكّة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف درهم، والمدينة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم، والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم عليّ بن أبي طالب عليه السلام والصلاة فيها بألف صلاة، وسكت عن الدرهم»[1].

وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «المساجد الأربعة: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة يا أبا حمزة: الفريضة فيها تعدل حجّة، والنافلة تعدل عمرة»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة»[3].

ولمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة قال: «اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكّة، أو أشدّ وبارك في صاعها ومدّها وانقل حمّاها ووباها إلى الجحفة»[4].

وروي: «أنّ الصادق عليه السلام ذكر الدّجال فقال: لا يبقى منها منهل إلاّ

---

(١) المصدر ص ٦١ باب: فضل المساجد وحرمتها من كتاب الصلاة رقم ١، وفي الكافي ج٤ ص ٥٨٦ وفيه: «والدرهم فيها بألف درهم».
(٢) الفقيه ص ٦١ تحت رقم ٥ و٧.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الفقيه ص ٢٩٣ تحت رقم ٧ و٨، وروى نحوه البخاري ج٣ ص ٢٧ عن النبي صلى الله عليه وآله.

وطنه إلاّ مكّة والمدينة، فإنّ على كلّ نقب من أنقابهما ملكٌ يحفظهما من الطاعون والدجال»[١].

وسأل عبد الأعلى مولى آل سام أبا عبد الله عليه السلام: كم كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كان ثلاثة آلاف وستّمائة ذراع مكسّرة»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «حد مسجد الكوفة آخر السراجين، خطّ آدم عليه السلام وأنا أكره أن أدخله راكباً، قيل: فمن غيّره عن خطّته؟ قال: أمّا أوّل ذلك: فالطوفان في زمن نوح عليه السلام، ثمّ غيّره كسرى والنعمان، ثمّ غيّره زياد بن أبي سفيان، وكأنّي أنظر إلى ديرانيّ في مسجد الكوفة في دير له فيما بين الزاوية والمنبر فيه سبع نخلات وهو مشرف من ديره على نوح يكلّمه»[٣].

وقال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نعم المسجد مسجد الكوفة، صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ ومنه فار التنّور، وفيه نجرت السفينة، ميمنته رضوان الله، ووسطه روضة من رياض الجنّة، وميسرته مكر ـ يعني منازل الشياطين ـ»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تشدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة»[٥][٦].

---

(١) نفس المصدر.
(٢) الفقيه ص ٦١ باب: فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ٤ ورقم ١٤ إلى ١٨.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) هذا الحديث رواه أبو حامد، عن النبي صلى الله عليه وآله وذكر بدل مسجد الكوفة المسجد=

وقال النبيُّ ﷺ: «لمّا أُسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة، وأنا على البراق ومعي جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمّد أنزل فصلّ في هذا المكان قال: فنزلت فصلّيت فقلت: يا جبرائيل أيُّ شيء في هذا الموضع؟ قال: يا محمّد هذه كوفان، وهذا مسجدها أما إنّي فقد رأيتها عشرين مرّة خراباً، وعشرين مرّة عمراناً بين كلّ مرّة خمسمائة سنة»[(١)].

وروي عن الأصبغ بن نباتة قال: بينما نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذ قال: يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عزّ وجلّ بما لم يحب به أحداً من فضل مصلاّكم، فيه بيت آدم، وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلّى إبراهيم الخليل، ومصلّى أخي الخضر، ومصلاّي، وإنّ مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد الّتي اختارها الله تعالى لأهلها، وكأنّي به قد أُوتي به يوم القيامة في ثوبين ابيضين يتشبّه بالمحرم ويشفع لأهله ولمن يصلّي فيه فلا تردُّ شفاعته ولا تذهب الأيّام واللّيالي حتّى ينصب الحجر الأسود فيه وليأتينّ عليه زمانٌ يكون مصلّى المهديّ من ولدي ومصلّى كلّ مؤمن ولا يبقى على الأرض مؤمن إلاّ كان به أو حنّ قلبه إليه فلا تهجره، وتقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بالصلاة فيه وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج»[(٢)].

= الأقصى، قال: واستدل به بعض العلماء على عدم جواز السفر لزيارة المشاهد وأجاب بأن المراد في الحديث المساجد خاصة دوم المشاهد وغيرها، لأن غير هذه المساجد سواء في الفضيلة وليس بلد الا وفيه مسجد أو أكثر فلا وجه للسفر لها، قال: ولو شمل الحديث المشاهد أيضاً لما جاز السفر لزيارة قبور الانبياء وهو باطل قطعاً بل لما جاز السفر لزيارة الاحياء من العلماء والصلحاء وليس كذلك ـ منه رحمه الله ـ.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفقيه ص ٦٢ باب فضل المساجد من كتاب الصلاة تحت رقم ١٩.

وأما مسجد السهلة، فقد قال الصادق عليه السلام: «لو استجار عمّي زيد به لأجاره الله سنة، ذاك موضع ببيت إدريس الّذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الّذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة، وهو الموضع الّذي خرج منه داود إلى جالوت، وتحته صخرة خضراء فيها صورة وجه كلّ نبيّ، خلقه الله عزّ وجلّ، ومن تحته أُخذت طينة كلّ نبيّ وهو موضع الراكب، فقيل له: وما الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام»[1].

وأما مسجد براثا ببغداد، فصلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام «لمّا رجع من قتال أهل النهروان»[2] انتهى.

---

(١) المصدر ص ٦٣ تحت رقم ٢١ و٢٢.

(٢) نفس المصدر.

الفصل الثاني
في شروط وجوب الحجّ

في شروط وجوب الحجّ، ـ وصحّته، وواجباته وأركانه، ومحظوراته، وأنواعه.

أقول: ولنذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا الشروط: فشرط صحّة الحجّ اثنان: الوقت والاسلام، فيصحُ حجُ الصبيِّ ويحرم بنفسه إن كان مميّزاً، ويحرم عنه وليّه إن كان صغيراً ويفعل به المناسك من الطواف والسعي وغيره.

وأمّا الوقت: فهو شوّال، وذو القعدة، وتسع من ذي الحجّة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن أحرم في غير هذه المدّة فهي عمرة، وجميع السنة وقت العمرة وأفضله رجب، ولكن من كان معكوفاً على النسك أيّام منى، فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لاشتغاله بأعمال منى، ولا ينبغي أيضاً أن يجعل بين العمرتين أقلّ من شهر.

وأمّا شروط وقوعه عن حجّة الإسلام فخمسة: الإسلام، والحريّة، والبلوغ، والعقل، والوقت. فإن أحرم الصبيُّ أو العبد ولكن اعتق العبد وبلغ الصبيُّ بأحد الموقفين أجزأهما عن حجّة الإسلام، ويشترط هذه الشروط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلاّ الوقت في غير التمتّع.

وأمّا شرط وقوع الحجّ نفلاً عن الحرّ البالغ براءة ذمّته عن الواجب.

وأمّا شرط لزوم الحجّ فخمسة: الإسلام، والبلوغ، والحرّيّة، والعقل، والاستطاعة. ومن لزمه فرض الحجّ لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكّة لزيارة أو تجارة ولم يكن ممّن يتكرّر دخوله كالحطّاب والحشّاش لزمه الإحرام ثمّ يتحلّل بعمل عمرة أو حجّ.

وأمّا الاستطاعة فنوعان:

أحدهما: المباشرة وذلك له أسباب إمّا في نفسه فالصحّة، وإمّا في الطريق فبأن يكون خصبة آمنة، وإمّا في المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأنّ مفارقة الوطن شديدة، وأن يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدّة، وأن يملك ما يقضي به ديونه، وأن يقدر على راحلة أو كراها، ومحمل أو راملة إن أحتاج إلى ذلك.

وأمّا النوع الثاني: فاستطاعة المعضوب بماله[1] أن يستأجر من يحجّ عنه ويكفي نفقه الذّهاب في هذا النوع، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزّمِن صار به مستطيعاً ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعاً لأنّ الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال فيه منّة على الوالد، ومن استطاع لزمه الحجّ فوراً وتأخيره كبيرة موبقة.

وأما واجباته فسبعة عشر: الإحرام، والتلبية أو ما يقوم مقامها، ولبس ثوبي الإحرام، والوقوف بعرفة، والمبيت بالمشعر الحرام، والوقوف به، ورمي جمرة القصوى، وذبح الهدي إن كان، والحلق أو التقصير، وطواف الزيارة، وركعتاه، والسعي بين الصفا والمروة،وطواف النساء. وركعتاه،

---

(١) المعضوب: الضعيف، الزمن، المخبول لا حراك له.

والمبيت بمنى ليالي التشريق، ورمي الجمرات الثلاث، والترتيب بين الأفعال.

والركن منها سبعة: الإحرام، والتلبية والوقوفان، والطواف، والسعي، والترتيب، فيبطل بترك شيء منها عمداً لا سهواً إلاّ أن يكون الفائت الوقوفين معاً فيبطل وإن كان سهواً، ويسقط في العمرة الوقوفان، والمبيت بالمشعر، ومناسك منى، وطواف النساء، فواجباتها ثمانية وأركانها خمسة.

وأما محظوراته فسبعة: الأوّل لبس القميص، والسراويل، والخفّ، والعمامة، والقباء، والثوب المزرّر، والمدرع بل ينبغي أن يلبس إزاراً ورداءً ونعلين فإن لم يجد نعلين فمكعّباً فإن لم يجد إزاراً فسراويل ويجوز المنطقة والهميان وكذا الخفّ والجورب مع الضرورة، وكذا الطيلسان إذا لم يزره عليه، ولا يلبس الخاتم للزّينة وجاز للسنّة والفارق والقصد، ولا يستظّل بالمحمل راكباً ولا يغطّي رأسه فإنّ إحرام الرجل في رأسه. وللمرأة أن تلبس كلّ مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسّه فإنّ إحرامها في وجهها.

الثاني: الطيب فليجتنب كلّ ما يعدُه العقلاء طيباً والأدهان المطيبة وأن ادّهن بها قبل الإحرام إذا بقيت رائحته إليه، وأمّا غير المطيبة من غير ضرورة ففيه قولان، وليجتنب الإكتحال بما فيه طيب.

الثالث: الزينة والتنظيف وما يتبع ذلك فليجتنب الاكتحال بالسواد والنظر في المرآة وإزالة الشعر وتقليم الأظفار، وقتل هوامّ الجسد، وإخراج الدّم، ويكره الحنّاء للزّينة، ودخول الحمّام وتدليك الجسد.

الرابع: الجماع ومقدّماته من التقبيل، واللّمس، والنظر بشهوة، والاستمناء، والنكاح، والإنكاح، والشهادة على العقد وإقامتها.

الخامس: صيد البرّ أعني ما يؤكل عند قوم، ومطلق الممتنع بالأصالة عند آخرين إلاّ الأفعى والعقرب والفارة، وقيل: كلُّ ما خيف منه ويحرم حيازته وذبحه وأكله والدَّلالة عليه والإشارة إليه والتسبيب بإعارة سلاح ونحوه.

السادس، والسابع: الفسوق، والجدال، وفسّر الأوّل بالكذب والسباب، وفي الصحيح الكذب والمفاخرة، والثاني بقول: «لا والله»، «بلى والله»، وقيل: بل كلُّ ما يسمّى يميناً.

وكفّارة هذه المحظورات وسائر أحكامها مذكورة في الكتب الفقهيّة، ولا فرق بين العمرة والحجّ في شيء من ذلك.

وأمّا أنواعه فثلاثة: التمتّع، والقران، والإفراد، والتمتّع أفضلها ويتقدّم عمرته على حجّة ويرتبط به وتوقع في أشهر الحجّ وتسمّى العمرة المتمتّع بها إلى الحجّ، وما سواها تسمّى بالعمرة المفردة، والتمّتع فرض من نأى عن مكّة بثمانية وأربعين ميلاً، وليس لهؤلاء غير التمتّع عند أصحابنا لنصّ القرآن والصحاح المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام إلاّ مع الإضطرار كضيق الوقت أو طرء الحيض ونحو ذلك والآخران فرض أهل مكّة ومن بينه وبينها دون المسافة المذكورة على التخيير بينهما ولا يجوز لهم العدول إلى التمتّع على الأصحّ إلاّ مع الاضطرار فالمتطوّع يتخيّر بين الأنواع الثلاثة إلاّ أنَّ الأفضل له التمتّع وكذا الناذر إذا لم يعيّن أحدها، وكذا من له منزلان بمكّة وغيرها يتساويان في إقامته فيهما، فإن غلب أحدهما عليه لزمه فرضه، ومن أقام بمكّة سنتين فهو من أهل مكّة لا متعة له.

والقران إنّما يتميّز عن الإفراد ويفضل عليه بسياق الهدي عند إحرامه فحسب عند الأكثر، وقيل به وبالجمع بين العبادتين فيه من غير تحلّل بينهما ولهذا سمّي بالقران.

الباب الثاني
ترتيب الأعمال الظاهرة

وفي ترتيب الأعمال الظاهرة من أوّل السفر إلى الرجوع وهي عشر جمل»:

أقول: وأنا أتصرَّف في تقرير الجمل كلّها وأذكرها على طريقة أهل البيت عليهم السلام سوى الأُولى فأتركها على حالها لعدم بعدها عنها.

في السنن من أول الخروج إلى الإحرام

الجملة الاولى في السنن من أوّل الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية:

الأُولى: في المال فينبغي أن يبدء بالتوبة، وردُ المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة، لكلّ من يلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، ويردُ ما عنده من الودايع ويستصحب المال من الطيّب الحلال ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير، بل على وجه يمكنه معه التوسيع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء، ويتصدَّق بشيء قبل خروجه، ويشتري لنفسه دابّة قويّة على الحمل لا يضعف أو يكتريها فإن اكترى فليظهر للمكاوي كلّ ما يريد أن يحمله من قليل وكثير ويحصّل رضاه فيه.

الثانية: **في الرفق**: ينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محبّاً للخير معيناً عليه، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإن جبن شجّعه، وإن عجز قوّاه، وإن ضاق صدره صبّره. وأمّا رفقاؤه المقيمون وإخوانه فيودُعهم ويلتمس أدعيتهم، فإنّ الله تعالى جاعلٌ في دعائهم خيراً والسنّة في الوداع أن يقول: «**أستودع الله**

دينك وأمانتك وخواتيم عملك» وكان رسول الله ﷺ يقول لمن أراد السفر: **«في حفظ الله وكنفه، زوّدك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك للخير أينما توجّهت»**.

الثالثة: في الخروج من الدار: ينبغي إذا همّ بالخروج أن يصلّي أوّلاً ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثانية: الإخلاص، فإذا فرغ يرفع يديه ودعا الله عن إخلاص صاف ونيّة صادقة، وقال: **«اللّهمّ أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في المال والأهل والولد والأصحاب، احفظنا وإيّاهم من كلّ آفة وعاهة، اللّهمّ إنّا نسألك في مسيرنا هذا البرّ والتوفيق والتقوى ومن العمل ما ترضاه، اللّهمّ إنّا نسألك أن تطوي لنا الأرض، وتهوّن علينا السفر، وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال، وتبلّغنا حجّ بيتك الحرام وزيارة قبر نبيّك ﷺ، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب[1] وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب، اللّهمّ اجعلنا وإيّاهم في جوارك، ولا تسلبنا وإيّاهم نعمتك، ولا تغيّر ما بنا وبهم من عافيتك»**.

الرابعة: إذا حصل على باب الدار: قال: **«بسم الله توكّلت على الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ربّ أعوذ بك أن أضلّ أو أُضلّ، أو أظلم أو أظلم أجهل أو يجهل عليّ، اللّهمّ إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سُمعة بل خرجت اتّقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء لفرضك واتّباع سنّة نبيك ﷺ وشوقاً إلى لقائك»**.

فإذا مشى قال: **«اللّهمّ بك انتشرت، وعليك توكّلت، وبك اعتصمت،**

---

(١) الوعثاء: المشقة والتعب. والكآب والكآبة: الغم والحزن.

وإليك توجّهت، اللّهمّ أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمّني، وما لم أهتمّ به، وما أنت أعلم به منّي، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك اللّهم زوّدني التقوى، واغفر لي ذنبي ووجّهني للخير أينما توجّهت» ـ ويدعو بهذا الدعاء في كلّ منزل يرحل عنه.

الخامسة: في الركوب: فإذا ركب الراحلة يقول: **«بسم الله وبالله والله أكبر توكّلت على الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، سبحان الّذي سخّر لنا هذا وماكنّا له مقرنين**(١)، **وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللّهمّ إنّي وجّهت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك وتوكّلت في جميع أموري عليك، أنت حسبي ونعم الوكيل»**.

فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال: **«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر** ـ سبع مرّات ـ وقال: **«الحمد لله الّذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللّهمّ أنت الحامل على الظهر، وأنت المستعان على الأمور»**.

السادسة: في النزول: والسنّة أن لا ينزل حتّى يحمي النهار ويكون أكثر سيره في اللّيل، قال ﷺ: «عليكم بالدلجة فإنّ الأرض تطوي باللّيل ما لا تطوي بالنهار»(٢) وليقلّل نومه باللّيل حتّى يكون عوناً على السير، ومهما أشرف على المنزل فليقل: **«اللّهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، وربّ**

(١) أقرن أي أطاق.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١ ص ٤٤٥. ورواه الصدوق في الفقيه ص ٢٢٢ وفيه: «عليكم بالسير بالليل» والدلجة بمعناه وأخرجه بلفظه أبو يعلى والبزاز وأبو داود كما في مجمع الزوائد ج٣ ص ٢١٣.

الأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أضللن، وربّ الرياح وما ذرين[1]، وربّ البحار وما جرين، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شرّ هذا المنزل وشرّ ما فيه. اصرف عني شرّ هذا المنزل وشرّ ما فيه. اصرف عني شرّ شرارهم» فإذا نزل المنزل صلّى فيه ركعتين، ثمّ قال: **«اللّهمّ إنّي أعوذ بكلماتك التامّات الّتي لا يجاوزهنّ برُ ولا فاجرٌ من شرّ ما خلقت»** فإذا جنّ عليه اللّيل يقول: **«يا أرض ربّي وربّك الله، أعوذ بالله من شرّك وشرّ ما فيك وشرّ ما دبّ عليك، أعوذ بالله من شرّ كلّ أسد وأسود وحيّة وعقرب ومن شرّ ساكن البلد والد وما ولد، وله ما سكن في اللّيل والنهار وهو السميع العليم»**.

السابعة: في الحراسة: ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنّه ربما يغتال أو ينقطع، ويكون اللّيل متحفّظاً عند النوم، وإن نام في ابتداء اللّيل افترش ذراعه وإن نام في آخر اللّيل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفّه، هكذا كان ينام رسول الله ﷺ في أسفاره، فإنّه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة ممّا في الحجّ. والأحبُ باللّيل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنّة، وإن قصده عدوٌ أو سبع في ليل أو نهار فليقرء آية الكرسيّ، وشهد الله، والإخلاص، والمعوّذتين وليقل: **«بسم الله ما شاء الله، لا قوّة إلاّ بالله، حسبي الله، توكّلت على الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخيرات إلاّ الله، لا يصرف السوء إلاّ بالله، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعاه، ليس وراء الله منتهى، ولا دون الله ملجأ، كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويٌ عزيزٌ، تحصّنت بالله العظيم، واستعنت بالحيّ الّذي لا يموت، اللّهمّ**

(١) ذري الريح التراب: أطارته وفرقته.

احرسنا بعينك الّتي لا تنام واكنفنا بركنك الّذي لا يُرام، اللّهمّ ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا، اللّهمّ اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنّك أنت أرحم الراحمين».

الثامنة: مهما علا نشزاً[(١)] من الأرض في الطريق فيستحبُّ أن يكبّر ثلاثاً ثمّ يقول: **«اللّهمّ لك الشرف على كلّ شرف ولك الحمد على كلّ حال»** ومهما هبط سبّح، ومهما خاف الوحشة في سفره قال: **«سبحان الله الملك القدّوس ربّ الملائكة والروح جللت السماوات والأرض بالعزّة والجبروت»**.

(١) النشز ـ محركة: المكان المرتفع.

آداب الإحرام من الميقات

الجملة الثانية: في آداب الإحرام من الميقات وهي ستّة:

الأوّل: أن يغتسل وينوي به غسل الإحرام أعني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الّذي يحرم الناس منه وإن كان لحجّ التمتّع فيحرم من مكّة ولا يجزىء من غير ذلك إلاّ مع الجهل أو النسيان ويتمّم غسله بالتنظيف أوّلاً والاطلاء سيّما للعانة والإبطين، وتقليم الأظفار، وقصّ الشارب، والسواك وينبغي أن يوفّر شعر رأسه من أوّل ذي القعدة وهو من السنن الوكيدة.

الثاني: أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيتّزر ويرتدي بثوبين طاهرين نظيفين أبيضين ممّا يجوز فيه الصلاة.

الثالث: أن يحرم عقيب فريضة فإن لم يتّفق صلّى ركعتين، وفي بعض الأخبار: ستّ ركعات وأفضل الساعات للإحرام عند زوال الشمس.

الرابع: أن يدعو عقيب الصلاة ويتلفّظ بما يعزم عليه ويشترط أن يحلّه الله حيث حبسه وإن لم تكن حجّة فعمرة، وفي صحيحة معاوية بن عمّار[1]، عن أبي عبد الله عليه السلام: «فإذا انفتلت من الصلاة فأحمد الله عزّ وجلّ وأثن عليه وصلّ على النبيّ صلى الله عليه وآله وتقول: «**اللّهمّ إنّي أسألك أن تجعلني ممّن**

(١) التهذيب ج١ ص ٤٦٨. والكافي ج٤ ص ٣٣١ والفقيه ص ٢٣٦، وقوله: «انفتلت» أي انصرفت.

استجاب لك وآمن بوعدك واتّبع أمرك فإني عبدك وفي قبضتك لا اوقى إلاّ ما وقيت ولا آخذ إلاّ ما أعطيت وقد ذكّرت بالحجّ فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك وسنّة نبيّك وتقوّيني على ما ضعفت عنه وتتسلّم منّي[١] مناسكي في يسر منك وعافية واجعلني من وفدك الّذي رضيت وارتضيت وسمّيت وكتبت، اللّهمّ إنّي خرجت من شُقّة بعيدة، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك، اللّهمّ فتمّم لي حجّي، اللّهمّ إنّي أُريد التمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك وسنّة نبيّك صلواتك عليه وآله، فإن عرض لي عارضٌ يحبسني فحلّني حيث حبسني لقدرك الّذي قدّرت عليّ، اللّهمّ إن لم تكن حجّة فعمرة[٢] أحرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعظامي ومخّي وعصبي من النساء والثياب والطيب أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة» يجزئك أن تقول: «هذا مرّة واحدة حين تحرم ثمّ قم فامش هنيئة فإذا استوت بك الأرض[٣] ماشياً كنت أو راكباً فلبّ».

وفي صحيحة حمّاد بن عثمان، عنه عليه السلام قال: «قلت: إنّي أُريد أن أتمتع بالعمرة إلى الحجّ فكيف أقول؟ قال: تقول: **«اللّهمّ إنّي أُريد أن أتمتّع بالعمرة إلى الحجّ على كتابك وسنّة نبيّك» وإن شئت أضمرت الّذي تريده»**[٤].

الخامس: أن يصبر بعد التهيّؤ والعزم حتّى ينبعث به راحلته إن كان

---

(١) أي تقبل مني، وفي الكافي بحذف احدى التائين.

(٢) أي إن لم يتيسر لي إتمام الحج فيكون هذا الاحرام للعمرة فأتمها عمرة.

(٣) أي سلكت فيها.

(٤) الكافي ج٤ ص ٢٣٢.

راكباً أو يبتدىء السير إن كان راجلاً، ثمّ يأتي بالتلبية كمامرّ في الرواية المتقدّمة.

وفي صحيح آخر: «والأفضل أن تمضي قليلاً ثمّ تلبّي»(١).

وصورة التلبية: **«لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك»** ـ وإن زاد قال: ـ **«لبّيك ذا المعارج لبّيك»** وإن شاء زاد عليه بما ورد في الأخبار من التلبيات، وينبغي أن يذكر في تلبية عمرة التمتّع الحجّ والعمرة معاً فينوي فعل العمرة أوّلاً ثمّ الحجّ بعدها باعتبار دخولها في حجّ التمتّع.

وفي الصحيح: «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول فيها: **«لبّيك بحجّة وعمرة معاً لبّيك»**(٢) ولو أهلّ المتمتّع بالحجّ جاز لدخول عمرة التمتّع فيه.

ومن وقت الإحرام حرّم عليه المحظورات الّتي ذكرناها من قبل.

والقارن بالخيار بين أن يعقد إحرامه بالتلبية أو الإشعار أو التقليد وبأيّها بدأ كان الآخر مستحبّاً، ولا يلزم الإحرام إلاّ بأحدها.

والإشعار أن يطعن في سنامها من الجانب الأيمن، قيل: ويلطخ صفحته بدمه، والتقليد أن يقلّد في رقبته نعلاً خلقاً ويختصّ به البقر والغنم لضعفهما.

السادس: أن يكثر من التلبية ويكرّرها في دوام الإحرام وخصوصاً

---

(١) الفقيه ص ٢٣٧ من رواية هشام بن الحكم. تحت رقم ٦.

(٢) التهذيب ج١ ص ٤٧٠ في حديث.

قوله: «لبّيك ذا المعارج لبّيك» ويجدّدها، كلّما لقي راكباً أو علا أكمة[١]، أو هبط وادياً، ومن آخر اللّيل، وعند الاستيقاظ، وفي أدبار الصلوات، وعند كلّ ركوب ونزول رافعاً بها صوته؛ وفي رواية حريز[٢]: «أنّ رسول الله ﷺ لمّا أحرم أتاه جبرائيل عليه السلام فقال: مر أصحابك بالعجّ والثجّ، فالعجُّ رفع الصوت بالتلبية، والثجُّ نحر البدن».

ومن أحرم من مسجد الشجرة وكان راكباً فالأفضل أن لا يجهر بالتلبية حتّى علت راحلته البيداء، ومن أحرم من مكّة فلا يلّبي حتّى ينتهي إلى الرقطاء[٣] ولا يجهر بها حتّى يشرف على الأبطح[٤]، ويحب قطعها عند زوال الشمس من يوم عرفة إن كان حاجّاً، وإذا شاهد بيوت مكّة إن كان معتمراً بمتعة، وعند مشاهدة الكعبة إن كان معتمراً بمفردة وقد خرج من مكّة للإحرام، وإن أحرم من خارج فعند دخول الحرم[٥].

(١) الاكمة ـ محركة ـ: التل من القف من حجارة واحدة أو هي دون الجبال أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. (القاموس).

(٢) الكافي ج٤ ص ٣٣٦ تحت رقم ٥.

(٣) الرقطاء: موضع دون الردم والردم هو الحاجز الذي يمنع السيل عن البيت المحرم وسمى المدعى.

(٤) الابطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى أوله عند منقطع الشعب بين وادي منى وآخره متصل بالمقبرة التي تسمى المعلى عند أهل مكة.

التوجه إلى الميقات

(٥) **قال النراقي في جامع السعادات**: إذا خرج عن وطنه، ودخل إلى البادية، متوجهاً إلى الميقات، وشاهد العقبات، فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة، وما بينها من الأهوال والمطالبات، وليتذكر من هول قطاع الطريق هول منكر ونكير، ومن سباع البوادي وحياتها وعقاربها حيات القبر وأفاعيها وعقاربها وديدانها، ومن أفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر ووحدته وكربته، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٠]. =

ما ينبغي في الميقات

= إذا دخل الميقات، ولبس ثوبي الإحرام، فليتذكر عند لبسهما لبس الكفن ولفه فيه، وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلا بهيئة وزي يخالف عادته، فكذلك لا يلقى الله بعد الموت إلا في زي يخالف زي الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب. إذ ليس مخيطاً، كما أن الكفن أيضاً ليس مخيطاً، وإذا أحرم وتلبى فليعلم أن الإحرام والتلبية إجابة نداء الله، فليرج أن يكون مقبولاً، وليخش أن يكون مردوداً، فيقال: لا لبيك ولا سعديك! فليكن بين الخوف والرجاء متردداً، وعن حوله وقوته متبرأ، وعلى فضل الله وكرمه متكلاً، فإن وقت التلبية هو بداية الأمر، وهو محل الخطر.

وقد روي: «أن علي بن الحسين عليه السلام لما أحرم، وإستوت به راحلته، إصفر لونه وإنتفض ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي. فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقول ربي: لا لبيك ولا سعديك! فلما لبي غشي عليه وسقط من راحلته. فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه». فليتذكر الملبى عند رفع الأصوات في الميقات خائفاً راجياً، إنه إجابة لنداء الله تعالى، إذ قال تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾

ويتذكر من هذا النداء نداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وإزدحامهم في عرصات القيامة لنداء الله، منقسمين الى مقربين ومبعدين، ومقبولين ومردودين، ومردودين في أول الامر بين الخوف والرجاء، مثل تردد الحاج في المقيات، حيث لا يدرون أيتيسر لهم إيتمام الحج وقبوله أم لا. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٠-٣٩١].

* * *

في الإحرام والتلبية

قال العارف سعيد القمي في الإحرام والتلبية: أمّا الإحرام: فلما قد عرفت أن «الأعلام» إنّما وضعت على ضوء الياقوتة؛ فالحَرَم، باب الله، والأعلام بمنزلة الجدران، والمواقيت أُسكُفّة الباب حيث وقتها الشارع العالم من الله من لدنه بمقادير إتصالات المراتب والمقامات المحسوسة على محاذاة المراتب العقلية بالنسبة إلى حرم الكبرياء.

فالوافد إلى الله ينبغي له أوّل مرة، إذا أراد دخول الباب، أن يقف على الأُسكُفّة، ويقيم على العتبة، فيستأذن من صاحب الباب، بأن يتأهّب للدخول بالطهارة عن الأوساخ=

= المكتسبة في دار البُعد والغرور، والنظافة عن الألواث الموجبة للطرد والحرمات عن دار السرور وبالتشبّه بمن جاور الحضرة وأقام نفسه بالخدمة بالموت عن كل شيء ورفض ما سوى المحبوب من كلّ ضوء وفيء.

فكذلك جرت السنة هناك بالغسل ولبس ثياب الإحرام الذي يشبه الأكفان، فعن الصادق عليه السلام: الإحرام لعلّة التحريم، وتحريم الحرم لعلّة المسجد، وحرمة المسجد لعلة الكعبة، والمراد بالتحريم حرمة الحرم أو إرادة دخول الحرم.

أسرار التلبية

وأمّا التلبية: فإنّما هي إجابة لربّ الإرباب إذ نادى العباد حين الإحرام ففي الخبر: إنّ النّاس إذا أحرموا ناداهم الله: عبادي لأحرمنّكم على النّار فيقولون: «لبيك» لهذه الإجابة. يعني لمّا إستأذنوا في الميقات بالغسل وثوبَي الإحرام وإستعدوا للوفود إلى الله في هذا المقام، أذن لهم بالنداء فينبغي لهم الإجابة بالتلبية والشكر على هذه النعمة. وعن الصادق عليه السلام: «موسى مرّ بصفائح الروّحا - موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. فقال: لبّيك كشّاف الكَرب العظيم، لبّيك؛ ومر عيسى بهذا الموضع فقال: لبّيك، عبدُك وإبن أمتك، لبّيك؛ ومرّ نبينا بهذا الموضع وهو يقول: لبّيك ذا المعارج، لبّيك».

أقول: وذلك لأنّه أجاب كل واحد من هؤلاء المرسلين من أولي العزم المكرمين بالنعمة العظيمة التي عنده من الله.

أما موسى: فكشف الله كربته من الرجوع إلى أمّة، ثم إلى وطنه، ثم إهلاك فرعون وقومه وإنجاء بني إسرائيل من أيديهم، وخلوص الدين لله بعدما أهلك الله طوائف الظلم والعدوان وأحزاب الشيطان لأجله.

وأما عيسى: فالنعمة العظيمة التي عنده هو أن الله أنشأه من دون أب من طينة صدّيقة إصطفاها الله لنفخ روحه فيها.

وأمّا نبينا صلى الله عليه وآله: فلا نعمة عنده أعظم من عروجه إلى الله الصمد، وصعوده إلى حيث لم يكن بينه وبين الله أحد.

وجه آخر للتلبية: إنها إجابة لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام حيث نادى من في الأصلاب، فأجابه من أجاب. =

= فهذه تذكرةٌ للإجابة السابقة وتجديد للعهود المتقدمة، قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحاج: ٢٧] وعن الصادق عليه السلام: لما تمّ بناء البيت نادى إبراهيم في الناس، فأسمعَ من في الأصلاب وقال: «هَلُمَّ الحجّ» فلو نادى «هلمّوا» لم يحجّ إلاّ من كان يومئذ مخلوقاً، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله فمن لبّى مرة يحج مرةً ومن لبّى أكثر يحج بعدده. وفي رواية: أن إبراهيم قام في المقام أو على أبي قُبيس ووضع إصبعَيه في أُذُنَيه فقال: «أيها الناس أجيبوا ربّكم» فأجابوه بالتّلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وفي رواية ثالثة: إنّ الحجر في مقام إبراهيم فيه أثرُ قَدَمه لأنّه حين أذّن في الناس، قام على هذا الحجر بأعلى صوته فلم يحتمله الحجرُ فغرقَت رِجلاه فيه.

أقول: وها هنا فوائد:

الفائدة الأولى: أنّ الفرق بين «هَلُمّ» و«هَلُمّوا» أنّ صيغة الجمع يختص بالمذكر فلا عموم له بالنظر إلى غيره بخلاف «هلمّ» فإنه لا إختصاص له بشيء فإنه قد يستعمل في غير المفرد فهو أنسب بأن يراد منه العموم بالنسبة إلى ما يصدق عليه الإنسان بالفعل أو القوة.

وأيضاً لما كان هذا الخطاب ليس لمعيّن فلا يليق الإتيان بصيغة الجمع المفهوم منه تعيين المخاطب؛ كذا قيل. وفيه نظرٌ: لأنّ هذا القائل يزعم أنّ المجيب هو الأرواح المخلوقة قبل الأبدان ولا ريب أنها موجودات متعينة يناسبها صيغة الجمع، على أن يناقص ذلك ما ورد في الخبر الثاني أنّ إبراهيم قال: أيها الناس أجيبوا بصيغة الجمع.

وعندي: أنّ الوجه في الخبر الأول أنّ إستعمال «هَلُمّ» لمجرّد الأمر وطلب الحضور مع تجريد من خصوصية المخاطب بالأفراد والجمعية والتذكير والتأنيث، والمعنى: ليَكُن إتيانٌ بالحج وليَصدر قصدٌ إلى البيت ممن يتأتّى منه هذا القصد من أفراد البشر وهذا إنّما يصح في صيغة المفرد حيث لم يكن فيه علامة الزيادة لأجل التأنيث والتثنية والجمع بخلاف صيغة الجمع فإنّ الزيادة فيه مانعة عن ذلك كما لا يخفى على المتدرب في العلوم العربية.

والوجه في الخبر الثاني، أنّ النداء والطلب إنّما وقع أولاً بقوله: «يا أيها الناس» أي الذين يصدق على كلّ منهم أنه إذا وُجدَ كان إنساناً فلما أتى بهذا الوجه لزم أن يعقّبه صيغة الجمع للأمر وذلك لا يضرّ بالمقصود إذ العموم إنّما استفيد من الأول دون الثاني ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ولا ريب أن قوله: «جميعاً» تأكيد والتأكيد إنما يصح يُفهَمُ المقصود بدونه وهو ها هنا من عموم الناس. =

= **الفائدة الثانية**: قد قيل: أنّ هذه الإجابة وقعت من الأرواح التي من شأنها أن تقع في الأصلاب والأرحام لما قد ورد: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام».

أقول: إنّما يصح ذلك على أحد معنيي الخبر وهو أن تكون القبلية لجملة هذا القبيل على جملة ذلك القبيل بأن يتقدّم كل الأرواح على مبدأ هذا النوع، وأما إذا تقدم روح كل شخص بالنسبة إلى بدنه وهو المعنى الآخر للخبر وهو الأظهر فلا يصحّ كما لا يخفى.

وعندي أنّ هذا التقدم ليس بحسب الزمان بأن تتقدّم الأرواح ألفَي عام زمانيٌّ على خلق بدن آدم أو بدن كلّ شخص، إذ ليس لها من حيث نفسها وجودٌ في الزمان حتى يتقدر به، وأمّا من حيث كونها مع أبدانها فهي حادثة معها بالضرورة؛ بل تلك القبلية بحسب وجودها الدهري المقدّس عن الزمان، لكن بحيث إذا قدّر بهذا الزمان، كان بهذا المقدار؛ إذ المراتب متحاذية حسب تحاذي الحقائق السافلة والعالية؛ فعلى هذا لا يتخالف حكم المعنيين إذ لا تفاوت حينئذ بين أن نعتبر التقدم بالنسبة إلى مبدأ النوع وبين أن نعتبره بالقياس إلى الأبناء؛ لأنّ هذا التقدم لمّ كان متعالياً عن الزمان فالنسبة إلى كلّ الزمانيات ـ المتقدمة والمتأخرة ـ بحسب مراتبها سواسيّة. وهذا دقيق جداً غاية الدقّة، لا يعرفه إلاّ من له قدم صدق في المعرفة:

فإعلم، أنّ الإجابة ليست من الأرواح مجرّدة فحسب، بل مع ملابسة كلّ روح مع طينته الأصلية التي هي كالذرّ في صلب آدم حين تخمير طينة آدم الذي روحه بمنزلة جملة أرواح بنيه وكذا جسده بمنزلة جملة أجسادهم على ما هو طريقتنا: من أنّ النفس من حيث هي نفس لا تخلو عن مادة ما وإلاّ لم تكن نفساً.

وبالجملة لكلّ أحد طينة كالذرّة تعلقت بها نفسه عند تخمير طينة آدم عليه السلام بمعنى أنّ هذه النفوس تعيّنت نحواً من التعيّن في هذه المرتبة وتشعبت الذرّات في الأصلاب والأرحام وتفرّقت في الأراضي والأثمار والأنعام حيث مات الحامل لطائفة من الذرات قبل أن يبذرها في محال الأمهات فإنبثّت في أطراف الأرض فتحركت ثانية إلى أن إنتهت إلى الإنسان وهكذا إلى ما شاء الله وإلى أن يرث الله الأرض ومرح عليها.

والفائدة الثالثة: قوله عليه السلام في الخبر الثاني: «فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء» مُشعر بأن منيّ الأم له دخل في تحمل الطينة، فربّما يكون هو الحامل بناءً على إنبثاث الذرات في المحال المختلفة إلى أن حان ظهور المولود، فإتفق أن تحملها=

= الأمّ لأسباب أوجبت ذلك مثل أن تأكل غذاء هو حاملها أو ينتقل من صلب أب الأم إلى الأم حيث لم يقدّر له أولاد ذكور إلى غير ذلك، وحينئذٍ يحتاج إلى منّي الوالد لأجل العاقدية، وقد لا يحتاج كما وقع في مريم الصّديقة؛ فالنفخ هنا لأجل ظهور الآثار النفسية وسيجيء لذلك زيادة بسط في الموضع اللايق إنشاء الله.

الفائدة الرابعة: قوله عليه السلام في الخبر الثالث: «فغرقَت رجلاه فيه» لعلّ ذلك إشارة إلى قبول الذريّة ـ التي أصل نشأتهم التراب ـ للإتيان إلى الحجّ وإجابتهم للدعوة إليه. وتأثّر حصةٍ من الحجر، للإشارة إلى أن هذا القبول إنّما يتأتى من طائفة سبقت لهم من الله العنايةُ، وهكذا يقع الكلمات النافعة في النفوس الشريفة ومثل هذا يفعل المواعظ البالغة في القلوب القابلة وإن كانت في مرتبة الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

الفائدة الخامسة: القائل بأن المجيب هو الأرواح منع أولاً شرطيّة توسط الهواء المتكيّف، وأسند بأنّ الملائكة السماوية مع كونها أجساماً يتكلّمون ويسمعون من دون توسّط الهواء ثم منع إشتراطه في إسماع الأرواح؛ وهو كما ترى.

وأقول: الحقّ في هذا المقام أنّ الكلام من أيّ موطن صدر، فإنه يسلك في الطريق الذي يشبه ذلك الموطِن ويقع على المُدرك الذي من جنس هذا الموطِن وتفصيل ذلك: أنّ الكلام إذا صدر من اللّسان فإنه لا يتجاوز السمع الذي هو من جنس مُدرك اللسان، وحينئذٍ يشترط توسط هذا الهواء المحسوس الذي من جنسهما؛ وإذا صدر من الخيال وإكتسى لباس اللفظ فإنه يرد بعدما يقرع السمع في مدرك الخيال فيتوسط هناك أولاً الهواء المحسوس للإدراك السمعي ثم الهواء الذي من جنس الأرواح البخارية في فضاء الدماغ للإدراك الخيالي؛ وإذا صدر من القلب متلبساً بلباس اللفظ، فإنه يسلك هذين الفضائين الحسيّين أولاً ثمّ يسير في الهواء الذي يُحار فيه القلوب من حيث يبتدي في السير من تخوم أرض الدماغ إلى حيث ينتهي إلى فضاء العقل، حسبما يأخذ النفس من هذه القوى الدماغية بالتقشير من هذا الطريق وإن لم يكن متلبّساً بالتلفظ فقد يتوسط في إسماعه، هواءٌ واحد، ومنه: «إنّ روح القدس نفث في روعي» ويسمّى بـ «القذف في القلب» وقد يتوسط هواءان ويسمى بـ «النقر في الإسماع».

وأما الكلام السريّ العقلي فله طرق: فإن كان مع اللفظ فيتوسط حينئذٍ الأهوية الثلاثة مع=

= توسط الهواء العقلي حيث لا حسّ ولا محسوس، وإن لم يكن مع اللفظ فقد يتوسط الثلاثة التي دون الهواء الحسي، وقد يتوسط إثنان وقد يكون واحداً وذلك إذا لم يكن بين المتخاطبين أحد، وقد يكون فوق ذلك حيث يكون القائل والسامع واحداً، وأنت إذا تأملت بعين الإستبصار في أخبار النبوات، وجدت لما حقّقنا إيماضات وإشارات وناهيك هذه الوميضة ها هنا.

ثم إعلم أنّ نداء إبراهيم لا محالة إنّما كان بلسانه العقلي حيث كان ذلك بإذن الله وأمره سبحانه فإمّا مع مصاحبة اللفظ أو بدونها.

فعلى الأول، يكون من قبيل إسماع الملائكة صيحتهم لأهل الأرض كما وقع لقوم صالح وغيرهم، فيكون المخاطبون يسمعون بأذان آبائهم الموجودين ويكون وصول الصوت من قبيل ما وقع من مولانا علي عليه السلام حيث ضرب برجله معاوية بالشام.

وعلى الثاني، فإمّا من قبيل الوقر في الإسماع حيث يكون المخاطبون في أصلاب الآباء، وإما من قبيل القذف في القلوب حيث يكونون ممن وقع على قلوبهم الكامنة في الأصلاب، وإما بعقولهم حيث يسمعون بعقولهم المندمجة في عقل أبيهم إبراهيم عليه السلام. وهذا أيضاً هي إتحاد العقل والعاقل والمعقول وذلك لأنّه عليه السلام كان أباً لجميع المسلمين؛ فتبصّر.

ثم إعلم أنّ هذا الذي قلنا يعرفه من يعرف أنّ للنطفة نصيباً من جميع قوى الآباء، وأنّ الأولاد هي تفاصيل الآباء، أنّ الولد سرّ أبيه مما يشعر إلى هذا المرام؛ والحمد لله المفضل المِنعام. [أسرار العبادات للقاضي سعيد القمي ص ١٢١-١٢٨].

أسرار المناسك على الترتيب

قال القاضي سعيد القمي: نذكر فيه أسرار المناسك على الترتيب، حسبما ورد في الخبر مع توضيح في خلال ما ذكر: **«لما جاء جبرائيل آدم عليه السلام للتوبة بأمر الله»** أي لأن يرجع إلى الله من جناية التوجه إلى غيره، وتوقُّع الخير من شيء من دون إذنه، وطلب ما ليس تحمُّله في وسعه، مما يوجب حصوله التبرز إلى موطن أسفل مما كان فيه، حتى يظهر في ذلك الموطن آثار الشيء المطلوب كالعلم مثلاً مطابقاً لما ورد من أن الشجرة المنهية هو علم آل محمد عليهم السلام، إذ لا ريب أنّ الجواهر العقلية يستدعي ظهور معلوماتها وشهود الآثار المترتبة عليها حسب مراتبها في عالم الشهادة.

= وإذا حصلت للعالم بأن يصير جزءاً من ذاته، كما يصير الغذاء جزءاً للمغتذي على ما هو الحق عندنا، يصير هذا العالمُ الذي هو الآكل كالحامل لها، وهي تقتضي الظهور ـ كما قلنا ـ وذلك يتوقف على أن يتنزّل العالم معها حسب تنزلّها في مواطن ظهوراتها.

ولأجل هذا الأكل وذلك الظهور، أمر آدم عليه السلام بالهبوط إلى دار الغرور ليُظهر الجواهر العلمية التي أكَلَها ويُبرز الحقائق النورية التي تضمنها. ولمّا هبط من جنان القرب إلى مسكن البعد بكى من مفارقة هذا العالم النوري والموطن الأصلي، فنزل جبرئيل الذي هو مغيثُ النفوس ومربيها وحامل رسالات الله إلى أربابها ليرشده طريق الإنابة ويوصله إلى ما كان فيه من الجنة والنعمة. ولما كان هذا العالم السفلي آثارَ الحقائق النورية وأصنامَ الأشباح العقلية ولا يمكن الوصول إلى الأصول إلاّ بالتمسك بالفروع، **«فإنطلق به»** أي جبرئيل بآدم عليه السلام **«حتى أتى البيت»** إذ التقرب إلى الله والتوجه إلى وجهه، إنما هو بالتطواف حول حريمه واللّياذ إلى فناء داره.

وحرَمُ الله في كل عالم من العوالم يجب أن يكون من جنس ذلك العالم، لكن بحيث يضاهي بل يحاكي ما في المرتبة السابقة، فإنّ الظاهر عنوان الباطن وبيتُ الله تعالى في العالم العنصري لضرورة الأرضية، هي الكعبة. وهذا الإتيانُ في مقام السلوك، يحاذي التصوّر في مقام المعرفة لأنّ الشيء ما لم يتصوّر ـ وإن كان بوجه ما ـ لم يمكن التوجّه والحركة إليه، ويضاهي أيضاً السير من الله إلى الله في مقام التحقق. **«فنزل غمامةٌ أظلّتهم»** هذه الغمامة مما يحاذي الضرّاح والبيت المعمور والعرش وهي غمامة الرحمة وعلامةُ قبول التوبة بأنه سينزل من سماء القدس غيثاً مغيثاً لإنشاء النشأة الآخرة وإنبات حقيقة الإنسان من أرض القابلية. **«فأمره جبرئيل بأن يخطّ برجله حيث أظلّت الغمامة»** فإنطبعت صورة بيت الله العقلي في العالم الأرضي والخطّ بالرِّجل لأجل وقوعه في العالم السفلي **«فخطّ مكان البيت»** على المحاذاة التي يقتضيها الظّلية والصنمية، بحيث لم يشذ من العالم النوري شيء إلاّ وقد صوّره أحسن صورة **«وخطّ الحرم بعده»** حيث وصل نور الياقوتة التي سبق بيانها غير مرّة إشارة إلى وصول فيض الإنسان إلى سائر الأكوان وأنها إستنارت بنور هذا الشأن، ولأجل هذا الخط الأولى الذي بمنزلة العلم التصوري جرت السنّة بأن يأتي المُحرِم أول مرة إلى البيت ويطوف به ثم يأتي المناسك إلى أن يعود إلى البيت أخيراً. **«ثم إنطلق به حتى أتى منى»** وهي أول المناسك لأنّ كلّ حركة مسبوقة بشوق طبيعي أو إرادي=

= يتسبّب عن تمني الوصول إلى المقصد، ولا ريب أن رؤية آثار الإجابة من تظليل الغمامة وتعيين موضع البيت من الكعبة والأمر بالتطواف حول حريم العظمة يوجب تمنّي القربة والزلفة «**فأراه موضع مسجد منى**» دون أن يأمره بالعمل بما يوجب حصول المتمنّي، لأنّ أول ما يظهر في القلب الذي هو بيت الله في طريق السلوك إليه هو التمني ثم يظهر ثانياً في الأسباب والأعمال الموصلة إليه.

«**ثم أتيا العرفات**» هذا شروع في العلم وهو أوّل خطوة من خطوات السلوك لأنّ التوجه إلى السبيل لا يتأتّى إلاّ بالهرب عن المكان الذي هو فيه وإلاّ لم تتحقق الحركة. فالإعتراف بالذنب ـ الذي يلزم العبودية بل نفسها ـ أوّلُ المقامات الموجبة للتوجّه إلى الله والهرب عمّا كان صدر عنه من الخطأ المُقتضي للبُعد عن الله وإختيار الهبوط إلى أرض الغربة لرفع القاذور وتحصيل الطهارة عمّا كان فيه من ألواث دار الغرور.

فأقامه على العرف بأن عرّفه ذلك المقام على التحقيق «**وقال له إذا غربت الشمس إعترف بذنبك**» لإحتجاب نور شمس الحقيقة عنك بإرتكاب المعصية وإستارك بظلمة الذنوب الموبِقة. فوقتك وقت المغرب حيث أحاطت بك ظلمةُ الذنوب وأشرقت شميك على الغروب، فإعترف بذنبك وأقرّ بأنّك لا تبعد عن مولاك إلاّ بحسبانك أنك أنت. «**ثم أفاض من عرفات**» بأن تنزّل عن رؤية وجوده الذي لا يقاس به ذنب «**فمرّ على الجبال السبعة**» وهي أصول الحجب السبعة النورية والمقامات النفسية بين العبد والربّ بعدما تخلّص من مقام القلب ومرتبة الطبع.

«**فأمرَه بالتكبير على كل جبل أربع تكبيرات**» أي بأن يحكم بفنائها وإستهلاكها من حدودها الأربعة فإرتفعت الحجب عن نظره وانكشف وجه الرب من وراء أستار غيبه. «**ثم إنتهى إلى جمع**» بعدما كان في مقام الفرق. «**فجمع بين الصلاتين**»: صلاتي المغرب والعشاء وذلك «**في المزدلفة**» ولذا سمّي بها وبالجمع، لتوقّع القرب والتحقق بمقام الجمع. وقد عرفت في كتاب أسرار الصلاة: أنّ هاتين الصلاتين لترقب طلوع الشمس الحقيقة من مشرق القرب والوصلة. «**ثم أمره أن ينبطح**» أي يقع على وجهه في بطحاء وهي الفضاء الذي في المشعر توقعاً لشروق النور وترقّباً للحضور، فإنبطح حتى إنفجر الصبْحُ عن سُبُحات وجه الحقيقة في ظلمة عالم الطبيعة. «**ثم أمره بصعود الجبل، جبل جمع**» ليتحقّق به مقام الجمع على الكمال والتمام ويستولي على حقائق هذا المقام «**وبالإعتراف بالذنب**=

= حين طلوع الشمس سبع مرات» عدد الحجب لأنّ طلوع شمس الحقيقة لا يُبقي أثراً ولا رسماً للوجودات التي هي الذنوب الموبقة «ويسأل الله التوبة سبعاً» بأن يسأل توجّه الرب إليه بقبول التوبة عدد الإعتراف ويقرب إليه في كلّ مرة على تجلٍ خاص حتى يرى العبدُ أنْ المتجلي والمتجلّى له والمتجلّى فيه، أمر واحد فيصعد إليه في كل مسألة درجة من القرب لا يضاهي السابق «وإنّما جُعِلَ إعترافين لأنّ من لم يدرك عرفات وأدرك جمع فقد وفى بحجه» إذ الحجُ هو المقصد إلى الله بشرط التبري عن جميع ما سواه، فإذا وافى القصدُ مع أحد الإعترافين فقد تحقق القصد وذلك في تسهيل الله الأمر على عباده ومن فضل الله على ضعفاء بريته «فأفاض آدم من جمع إلى منى» فوصل إلى مناه وإتصل إلى مولاه «فأمره بصلاة ركعتين» لأنّ «الصلاة قربان كل تقي» وقد سبق أنها هي التوحيدات الثلاثة «وأن يقرّب إلى الله قرباناً» مشعراً بذبح بُدنَه عقله أو بقرة نفسه أو شاة قلبه، لكلّ أحدٍ ما يصل إليه وسعه ويستحضر مقامه. «ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها»، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ «وأن يحلق رأسه» من أذى الأنانية ووسخ الكبر «تواضعاً لله» وإستهلاكاً لديه، إذ قُبِلَ قربانُه بأن أعطاه لباسَ البقاء في كل مرتبة يحصل عنها الفناء.

وقال النبي ﷺ: أنه «يغفر لصاحب الأضحية عند أوّل قطرة من دمها».

وقال ﷺ: «إستفرِحُوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصِّراط».

«ثم إنطلق به إلى البيت» حين ما غُفر على ذنوبه بإستهلاك الكلّ في نظرة وسُتِرَ على جميع جرائمه بِخلعَة البقاء بعد الفناء ورجع هو إلى الله وإستحق دخول بيت الله والبقاء ببقاء الله، «فعرض له إبليس عند الجَمرة الثالثة» لأجل أن مرتبة قرب الله والوصول إلى حرم كبريائه، منتهى المراتب التي يمكن أن يتسلّط إبليسُ على السالك بأن يستشعر بهذا الفناء ويبتهج بالبقاء ببقاء الله، فيفوته قرب الكبرياء ولا يخلص سيرُه إلى الله مع الله؛ فوقع لآدم عليه السلام هذا الشعور فعلّمه جبرئيل مغيثُ النفوس بأنّ هذه المرتبة لا تخلص من شوب مغايرة، ولا تخلو من توهُم منافرة؛ بل ينبغي أن يفنى السالك عن هذا الفناء بأن لا يستشعر بذلك الفناء، «فقال له إرمه بسبع حصيات وكبِّر مع كلّ حصاة» للحكم بالفناء على الكل فناءً خالصاً عن شوب الشعور. به وسرّ العدد كون أصول الحجب التي هي الخَلقُ سبعاً، «فذهب إبليس ثم فعل به في اليوم الثالث والرابع» لتأكُد هذا الحكم والتحقّق بذلك المقام، «ثم إنطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرات» هذه هي مرتبة السير مع الله إلى=

= الخلق والتلبُّس بمقامات الحجب السبعة، وعندها تتحقق النكاحات الخمسة إذ الإزدواجات بين السبعة المترتبة خمسة، فقبل الله توبته بالوصول إلى نقطة القرب والطّوف حول حريم القطب المستلزم للإحاطة على جميع الدوائر العقلية والحسية، فصار كأنه المتصرّف في العوالم العلوية والسفلية وحلّت زوجته وإستباحت النكاحات الواقعة بين الحقائق الأصول المبتدئة من مبدأ المبادي إلى أفق العالم الكوني لإستنتاج الفروع المقصودة في النظام الكليّ؛ والله أعلم وأحكم.

عن مولانا ومولى الثقلين أمير المؤمنين وإمام المتقين صلوات الله عليه، أنه سُئِل عن الوقوف في الجبل لِمَ لم يكن في الحرم؟ قال: «لأنّ الكعبة بيتُه، والحرم بابه، فلمّا قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرّعون».

قيل: فالمشعر الحرام لِمَ صار في الحرم؟ قال: «لأنّه لمّا أذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني فلمّا طال تضرّعهم بها أذن لهم بتقريب قربانهم فلمّا قضوا تفثهم، تطهروا بها من الذنوب التي كانت حجاباً بينهما وبينه أذن لهم بالزيارة على الطهارة».

فقيل له: لِمَ حرّم الصيام أيام التشريق؟ قال: «لأنّ القوم زوار الله وهم في ضيافته ولا يجمل لمضيف أن يصوم أضيافه».

قيل له: فالتعلّق بأستار الكعبة لأيّ معنى هو؟ قال: «مَثَلُه رجل له عند آخر جناية وذنب فهو يتعلّق بثوبه ويتضرّع إليه ويخضع له أن يتجافى عن ذنبه».

أقول: المراد بـ «الجبل» جبل عرفات وهو خارج الحرم وأما المشعر الحرام فهو المزدلفة وهي مقام القرب فيجب أن يكون في الحرم، وقد سبق ما ينبغي أن يكون شرحاً لهذا الخبر وفي رواية: «الكعبة بيت الله، والمشعر بابه، فلمّا قصده الزائرون، وقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم في الحجاب الثاني، وهو مزدلفة، فلّما نظر إلى طول تضرّعهم أمر بتقريب قُربانهم» ليغفر لهم عند أول قطرة من دمها وذلك بأن يُغنيَهم عن أنفسهم وعن كلّ شيء ويوصلهم إلى جواره الذي ليس فوقه مطمح لضوء وفيء. والحمد لله على فضله.

التحقيق بحقائق المقامات

المنهج الثالث: في التحقق بحقائق المقامات: قال الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: إذا أردت الحج فجرّد قلبَك لله من قبل عزمك عن كلّ شاغل وحجاب حاجبٍ=

= وفوّض أمورك كلّها إلى خالقك وتوكّل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكونك وسلّم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة والخلق واخرُج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً فإنّ من إدّعى رضا لله وإعتمد على شيء سواه صيّره عليه عدواً ووبالاً ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلاّ بعصمة الله وتوفيقه وإستعدَّ إستعدادَ من لا يرجو الرجوع وأحسِن الصحبة وراعِ أوقات فرائض الله وسنن نبيه ﷺ وما يجب عليك من الأدب والإحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات ثم إغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك وألبَس الصدق والصفاء والخشوع وأحرِم عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته. و«لبِّ» بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله عز وجلّ في دعوتك له كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهَروِل هرباً من هواك وتبرّياً من جمع حولك وقوتك واخرج عن غفلتك وزلاّتك بخروجك إلى منى ولا تتمنّ ما لا يحل لك ولا تستحقه وأعترف بالخطايا بعرفات وجدِّد عهدك بوحدانيته وتقرّب إلى الله واتّقه بمزدلفة واصعد بروحك إلى الملا الأعلى بصعودك إلى الجبل واذبح ضَجَرِ الهوى والطمع عنك عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناء والذميمة عند رمي الجمار وإحلق العيوب الظاهرة والباطنَة بحلق شعرك وإدخل في أمان الله وكنفه وستره وكلائه من متابعة مرادك بدخولك الحرم وزُر البيتَ متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة بجلاله وسلطانه وإستلِم الحجرَ رِضىً بقسمته وخضوعاً لعزته وودِّع ما سواه بطواف الوداع وصَفِّ روحك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكُن ذا مُروءةٍ في الله نقياً عند المروة وإستقم على شرط حجّك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبته إلى يوم القيامة وإعلم بأنّ الله لم يفترض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ ولا شرع لنبيّه سُنّةً في خلال المناسك على ترتيب ما شَرَعهُ، إلا للإستعداد وإشارة الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السابقة من الدخول في الجنّة أهلها ودخول النار أهلها بشاهد مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأولي النهى. [أسرار العبادات للقاضي سعيد القمي ص ١٢٨-١٣٥].

* * *

قال السيد المتألّه العارف حيدر الآملي: =

حج أهل الشريعة

= فالحج عندهم من حيث اللغة القصد ومن حيث الاصطلاح الشرعي القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة متعلقة بوقت مخصوص، وهو واجب ومندوب، فالواجب على ضربين، مطلق ومقيد، فالمطلق هو حجة الإسلام وهي واجبة بشروط ثمانية، البلوغ وكمال العقل والحرية والصحة ووجود الزاد والراحلة والرجوع إلى كفاية من المال أو الصناعة أو الحرفة وتخلية السرب من الموانع وإمكان المسير، ومتى اختل واحد من هذه الشروط سقط الوجوب ولم يسقط الاستحباب، ومن شروط صحة أدائها الإسلام وكمال العقل، وعند تكامل الشروط تجب في العمر مرة واحدة، وما زاد عليها فمستحب ووجوبه على الفور دون التراخي، وأما المقيد فهو يجب عند سبب، وذلك ما يجب بالنذر أو العهد، وهو بحسبهما إن كان واحداً فواحداً، وإن كان أكثر فأكثر، ولا يتداخل الفرضان على الأقوى، وإذا اجتمعا لا يجزي أحدهما عن الآخر، وقد روي أنه إذا حج بنية النذر اجزأ عن حجة الإسلام، والأول أحوط، ولا ينعقد النذر به إلا من كامل العقل الحر، ولا يراعي باقي الشروط.

وأما أقسامه فالحج على ثلاثة أضرب، تمتع وقران وإفراد، فالتمتع هو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، والإفراد والقران فرض من كان حاضريه وحدّه من كان بينه وبين المسجد الحرام اثنا عشر ميلاً من أربع جوانب البيت، أعني أربعة فراسخ، لأن كل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف ذراع وكل ذراع أربعة وعشرون أصبعاً فيكون المجموع أربعة فراسخ.

وأما أفعاله فأفعال الحج على ضربين، مفروض ومسنون والمفروض على ضربين، ركن وغير ركن في الأنواع الثلاثة التي ذكرناها، فأركان التمتع عشرة أربعة منها للعمرة وستة للحج.

أما التي للعمرة: فالنية والإحرام من الميقات في وقته وطواف العمرة والسعي بين الصفا والمروة.

أما التي للحج: فالنية بالحج والوقوف بعرفات والوقوف بالمشعر وطواف الحج والسعي للحج، وما ليس بركن فثمانية أشياء التلبيات الأربع مع الإمكان أو ما يقوم مقامها مع العجز، وركعتا طواف العمرة والتقصير بعد السعي والتلبية عند الإحرام بالحج أو ما يقوم مقامها والهدي أو ما يقوم مقامه من الصوم مع العجز وركعتا طواف الحج وطواف النساء وركعتا الطواف له، وأما أركان القارن والمفرد فستة، النية والإحرام=

= والوقوف بعرفات والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي، وما ليس بركن فيهما أربعة أشياء، التلبية أو ما يقوم مقامها من تقليد أو إشعار وركعتا طواف الزيارة وطواف النساء وركعتا الطواف له، ويتميز القارن من المفرد بسياق الهدي ويستحب لهما تجديد التلبية عند كل طواف، وأما المسنونات فتلك كثيرة تعرف من مظانها، والسلام على من اتبع الهدى، هذا حج أهل الشريعة على طريقة أهل البيت عليهم السلام.

حج أهل الطريقة

بعد القيام بالحج المذكور والاعتقاد فيه فهو القصد إلى بيت الله الحقيقي والكعبة المعنوية بحسب السير والسلوك، ولبيت الله عندهم اعتبارات اعتبار في الآفاق واعتبار في الأنفس.

أما الآفاق: فهو عبارة عن قلب الإنسان الكبير المسمى بالنفس الكلية والبيت المعمور واللوح المحفوظ.

وأما الأنفس: فهو عبارة عن قلب الإنسان الصغير المسمى بالفؤاد والصدر والنفس الناطقة الجزئية وغير ذلك من الأسماء الواردة فيهما، والأول يتعلق بأهل الحقيقة لأنه قبلتهم والثاني يتعلق بأهل الطريقة فإنه أيضاً قبلتهم أما أهل الحقيقة وكيفية قصدهم وتوجههم إلى قبلتهم فستعرفها بعد هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وأما أهل الطريقة وكيفية قصدهم وتوجههم إلى قبلتهم التي هي قلبهم فهي موقوفة على تقرير مقدمة، وهي أنه ورد في الخبر: إن أول بيت مدت على الماء وظهرت على وجهه كانت الكعبة قبل الأرض وما عليها من البيوت، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء، خلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض تحته» وقد شهد بصحة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، والمراد من إيراد الخبر والآية أنك تعرف أن هناك كعبة صورية وكعبة معنوية، وكل واحدة منهما تنقسم إلى قسمين، أما الصورية فقسم منها المسجد الصوري المسمى ببيت الله الحرام، وقسم آخر القلب الصوري المسمى أيضاً ببيت الله الحرام، وأما المعنوية فقسم منها قلب الإنسان الكبير المعبر عنه بالنفس الكلية، وقسم آخر قلب الإنسان الصغير المعبر عنه بالنفس الناطقة الجزئية، فكما أن يصدق الخبر والآية من حيث التطبيق على القسمين الأولين، كذلك يصدق على القسمين الأخيرين، لأن أول حقيقة ظهرت=

= في العالم الروحاني من روح الإنسان الكبير المعبر عنه بأول ما خلق الله الروح أو العقل، كانت قلبه الحقيقي المعبر عنه بالنفس الكلية لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] كما أن أول صورة ظهرت في العالم الجسماني المعبر عنه بالأرض كانت صورة البكة الصورية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦]، وأول حقيقة ظهرت في العالم الروحاني من روح الإنسان الصغير المعبر عنه بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] كانت قلبه الحقيقي المعبر عنه بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» كما أن أول صورة ظهرت في العالم الجسماني المعبر عنه بالبدن كانت صورة القلب الصوري المعبر عنه بالصدر لقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١]، فكما أن من الكعبة الصورية يستدل على الكعبة المعنوية التي هي قلب الإنسان الكبير، فكذلك في الصورة القلبية يستدل على الكعبة المعنوية التي هي قلب الإنسان الصغير بحكم قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذا بيان إجمالي محتاج إلى بيان تفصيلي وهو أن نقول:

اعلم أن قوله ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء». الحديث، بالنسبة إلى الإنسان الكبير أول بيت يكون نفسه الكلية المسماة ببيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء يكون إشارة إلى العوالم الروحانية التي صدرت منها قبل العوالم الجسمانية، فإن كل شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شك أن النفس الكلية فوق النفوس الجزئية والعوالم الروحانية فتكون هي عليهما، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، هذا معناه أيضاً، يعني كل العرش قبل خلق السماوات وأرض الجسمانيات على الروحانيات من العقول والنفوس، إن أراد بالعرش العرش المعنوي الذي هو العقل الأول، وإن أراد بالعرش العرش الصوري الذي هو الفلك الأعظم الأطلس أعني التاسع، يكون المراد بالماء الماء الصوري على قول بعض المفسرين، لأنهم قالوا إن بين العرش والماء حيث لم يكن في أول الحال حائل يجوز أن يقال إنه عليه، وهذا القائل ناصر الدين البيضاوي، هذا وجه ووجه آخر، إن الماء هو العلم الإلهي الذي عليه كل شيء من حيث الثبوت فيها دائماً أبداً، وتخصيصه بالعرش يكون لعظمته، أعني إذا كان قيام العظيم وبقاؤه به فالصغير=

= بالطريق الأولى، والغرض أنا إذا فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة كما هو مقرر عند أهل الله فيكون الماء بمعنى الماء الصوري، ويكون ظهورها عليه بمعنى تعلقها بالنطفة التي يوجد منها صورة العالم بأسرها، فإن أهل الشرع قد اتفقوا على أن ابتداء العالم كان من الماء بحكم ما ورد عن النبي ﷺ في هذا الباب وهو قوله: «**أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها فذابت حياءً - أو قهراً - على اختلاف الروايتين - فصارت نصفها ناراً ونصفها ماء، فخلق من الماء السماوات ومن النار الأرضون - أو خلق من الماء الجنة ومن النار الجحيم، أو خلق من الماء الروحانيات ومن النار الجسمانيات -**» ولا مشاحة في الألفاظ، وبرهانهم على ذلك التطابق بين العالمين الآفاقي والأنفسي، فإن ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير انموذج الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك، وهذا أقرب الوجوه، لأن إيجاد الإنسان الصغير الذي هو نسخته وأنموذجه حيث كان على هذا الوضع، لأنه أوله كان نطفة ثم صار مضغة ثم صار علقة إلى آخر الأطوار، فيجب أن يكون هو كذلك، وقوله عند خلق السماء يكون إشارة إلى تقديم الروحانيات على الجسمانيات، بناءً على هذا الترتيب الأول لا الثاني، أعني من حيث النزول من العلويات إلى السفليات لا العكس، وقوله قبل الأرض بألفي عام يكون إشارة إلى أن النفس الكلية المسماة بالكعبة الحقيقية خلقها الله قبل الأجسام المعبر عنه بالأرض بألفي عام، يكون المراد بألفي عام طورين كاملين، الأول طور العقل ثم طور النفس، لأنهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدة مديدة. وأما دورين من أدوار الكواكب لأن لكل كوكب منها دور خاص وهو ألف سنة ودور مشترك وهو ستة آلاف سنة، ويكون المراد أن عالم الأجسام خلق بعد خلق الأنفس والأرواح بدورين كاملين، وقد تقرر أن في مدة دور زحل يكون العالم خراباً، وفي ابتداء دور المشتري يبتدئ بالعمارة وفي آخرها توجه الحيوانات حتى ينتهي إلى الإنسان، فيكون المراد بألفي عام دور هذين الكوكبين على الوجه الذي قررناه أو طوري العقل والنفس، وعندي هذا أنسب، وإن كان الوجهان من عندي، وتقديم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان وسيما قد شهد به الخبر والقرآن، فإن النبي ﷺ قال: «**خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفي عام**» والقرآن قد نطق بأن الأرواح قبل الأجسام في مواضع=

= شتى، منها قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وثم لا يكون إلا للتراخي، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء إشارة إلى صفاء النفس الكلية ولطافتها بالنسبة إلى الروحانيات الأخر التي كان تحتها المشار إليها بالماء، لأن كل ما هو أعلى من الروحانيات فهو ألطف، وكذلك من الجسمانيات أيضاً، وقوله: فدحيت الأرض تحته يكون إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها، لأن عالم الأجسام وجد بعد عالم الأرواح بمدة مديدة، وفيه قيل: إن عالم الأمر والأرواح هو الذي لا يحتاج إلى مدة ومادة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادة ومدة، هذا من حيث الخبر وأما من حيث المعنى يمكن هذا المعنى بعينه لكن يطول فالإعراض عنها اعتماداً على أهلها أولى وأحسن، وأما تطبيق الخبر بالنسبة إلى الإنسان الصغير فقوله ﷺ: «**الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء**..» الحديث. البيت بالنسبة إليه يكون القلب الحقيقي المسمى ببيت الله الحرام وظهوره على وجه الماء يكون بمعنى تعلق روحه بالنطفة من حيث التدبير والإيجاد إن قلنا بالتجرد، وإن لم نقل بالتجرد فذلك ظاهر، وخلقه عند خلق السماء يكون عبارة عن خلق الروح الإنساني المعبر عنه بالقلب قبل الروح الحيواني المعبر عنه بالسماء، وقبل الأرض بألفي عام يكون إشارة إلى خلق روحه قبل بدنه بالطورين الكاملين المذكورين أو الدورين المعلومين، أعني كان إيجاد روحه قبل إيجاد بدنه ومادته الصورية بالطورين الكاملين من طوري العقل والروح، أو الدورين اللذين هما دور زحل والمشتري المتقدم ذكرهما، وقوله: زبدة بيضاء يكون إشارة إلى صفاء جوهريته ولطافته قبل تعلقه بالبدن المعبر عنه بالأرض، وعلى وجه الماء يكون إشارة إلى النطفة التي هي مادة البدن وصورة الإنسان، ويكون المراد تعلق الروح بإيجاده وإظهاره في عالم الغيب وعالم الأمر. وقوله: فدحيت الأرض تحته يكون إشارة إلى البدن، ويكون معناه أن الروح إذا توجهت إلى النطفة من حيث التدبير والتعلق دحيت وبسطت البدن بحسب حكمه وأمره لينتظم حال الصورة الإنسانية باجتماعهما واتحادهما، وذلك تقدير العزيز العليم، وبناءً على هذا فمعنى الآية وهو أن يقول: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦] **البدن**، الذي هم قواه وجوارحه وأعضاؤه كانت صورة القلب الصوري دون المعنوي، **ليتوجهوا** إليه في تحصيل مقاصدهم ومعارفهم، و﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] يكون إشارة إلى=

= صدره الذي يحيط به كمكة بالمسجد والمسجد بالكعبة، لأن الكعبة بمثابة القلب والصدر بمثابة المسجد والبدن بمثابة الحرم أو مكة، ومباركاً يكون صفة للبركات التي تحصل منها من المعارف الإلهية والحقائق الربانية، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] أي هذا البيت هدى للطوائف التي حواليه من أهل عالمه أي من قواه الروحانية والجسمانية والأرواح الحيوانية والنفسانية والنباتية وغير ذلك. والطائفون والقائمون والركع السجود إشارة إليهم و﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] يكون إشارة إلى حضرة العقل المستفاد التي هي حضرة القدس ومقام التداني، فإنه من أعظم آيات الله وأعلاها، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] يكون تقديره أن من دخل هذا البيت المسمى بالقلب على ما ينبغي أمن من إغواء الشياطين النفس الأمارة وإغواء عفريت الخيال واختطاف جنود الوهم وتصرف صعاليك الجن والإنس، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، معناه أي ولله على الناس التي ذكرناهم حج هذا البيت، أي القصد إليه والطواف له، ليطلعوا على آياته وأسراره وحقائقه، ويصلوا به إلى الله وإلى جناته وحضراته، لكن من استطاع إلى هذا سبيلا أي من استطاع إلى هذه الطريقة والقيام بها طريقاً وتمكناً، أي يتمكن من سلوك هذا الطريق بقوة الزاد الحقيقي الذي هو العلوم اليقينية والفناء الكلي والموت الإرادي المعبر عنهما بالعلم والعمل، لأن كل من لم يكن له هذه الاستطاعة يسقط عنه هذا الحج كما تقرر في الحج الشرعي الظاهر، ومن كفر بهذا الحج وخالف أمر الله وانتكس عن طريقه وانحرف عن استقامته فإن الله غني عنه وعن العالمين الذين هم من أهل مدينته وبلده المعبر عنهما بالقوى والأعضاء والأرواح وأمثال ذلك، ومن يعتصم بالله في سلوك هذا الطريق والسير فيه بالانقطاع إليه والتمسك بعنايته وهدايته فقد هدي إلى صراط مستقيم، أي قد هدي إلى صراط مستقيم توحيد حقيقي الذي هو المقصود من السلوك والتوجه إلى بيت الله المعنوي، هذا بالنسبة إلى الأنفس والحج الحقيقي المعنوي السلوكي.

وأما بالنسبة إلى الآفاق والحج الآفاقي والاطلاع على حقائق الملكوت والجبروت والطواف بهما فقس على كل واحدة من هذه القوى عالم من العوالم ومظهر من المظاهر، فإنك تجده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وإذا تقرر هذا وتحقق فاعلم: أن كل من=

= يريد أن يحج هذا الحج وأن يقصد هذا البيت يجب عليه أولاً أن يحرم من الميقات الذي هو الإحرام من مقام النفس وحظوظها، بمعنى أن يحرم عليه جميع الملذات والمشتهيات من المحرمات والمحللات إلا بقدر الضرورة لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ويمنعها عن إيذاء كل حيوان وإنسان قوة وفعلاً ونية وعزماً، ثم يتوجه إلى الحرم الحقيقي والبيت المعنوي الذي هو البدن وقواه ليشاهد حاله وما حواليه من القوى المعبر عنها بالآيات والمشاعر، ويحصل له من ذلك علوماً ومعارفاً، لأن كل واحدة من قواه ومشاعره مشحونة بمعارف لا يطلع عليها إلا الكامل الفرد من أفراد العالم، ويجب له الاشتغال في هذه الحالة بالتلبيات الأربع ومعناها التي هي الإقرار باستغناء مالكه عن طاعته وعبادته وطاعة كل أحد وعبادته، واحتياج كل موجود إليه ذاتاً ووجوداً وحولاً وقوة بحيث يسمع منه هذا النداء بسمع الحال، ويستقبل عليه بلبيك لبيك على لسان الحال دون المقال ليتحقق له حقيقة العبودية وكمال الربوبية، ثم يدخل مسجد الصدر الذي هو المسجد الحرام حول القلب الذي هو الكعبة الحقيقية، ويطوف به سبعة أشواط، أعني يطلع عليه سبع مرات ليعرف حاله ويرتفع عنه حجابه الذي هو أخلاقه الذميمة وأفعاله الردية المعبرة عنه بسبعة حجب عدد أبواب الجحيم التي هي العجب والكبر والحسد والحرص والبخل والغضب والشهوة، بحيث تزول منه هذه السبعة بسبعة من الطواف، ويكون كل واحدة منها علة إزالة كل واحدة منها، وعلة اتصاف القلب بما يقابلها من الأخلاق الحميدة كالعلم والحكمة والعفة والشجاعة والعدالة والكرم والتواضع، ثم يصلي في مقام إبراهيم العقل صلاة الشكر لاتصاله إلى هذا المقام بمحض الطاقة وعين إشفاقه، وقد عرفت حقيقة الصلاة قبل هذا وتحققت أن المراد بها الإقرار بالعبودية الصرفة والالوهية المحضة بعد فنائه في السجود الأول فيه ورجوعه إلى القيام وبقائه به، ثم يسعى بين الصفا والمروة، أي يسير بين عالمي الظاهر والباطن ليشاهد محبوبه فيهما. ويطلع على الآيات التي يتعلق بهما بحكم قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وتحصل له هذه المشاهدة الحقيقية والمعارف اليقينية ويتحقق معنى قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝﴾ [فصلت: ٤٣، ٥٤]، ثم يقصر في المروة، أي يسقط عن رأسه ما بقي فيه=

= من الأنانية والاثنينية، ليخرج بهذا عن الإحرام وأفعال العمرة التي هي بمثابة الوضوء إلى الصلاة ويحل عليه كل ما حرم به قبل ذلك، لأن العبد في مقام الأنانية والغيرية لا يحل له شيء أصلاً بمذهب العارفين، فإذا خرج منها وصار فانياً فيه باقياً به حل عليه كل شيء، وبل بقوله يحرم ويحل، لأنه الخليفة والآمر والناهي، فافهم ذلك جيداً ليحصل لك معرفة مقام النبوة ثم الولاية، لأنه ليس غيرهما بعد الحق متصرف في الوجود، ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ثم يحرم إحراماً آخر من حضرة العقل تحت ميزاب القلب، لأن العقل كالميزاب بالنسبة إلى القلب، لأن من بحر القلب تجري الحكمة والمعارف على ميزاب العقل ويصل إلى ما تحته من القوى، لقوله ﷺ: «**من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» أي لسان العقل الذي هو المترجم بالنسبة إلى القلب، ثم يتوجه إلى عرفات الدماغ وجبل العرفان للوقوف به والاطلاع على ما حواليه من الآيات والمعارف والحقائق، لأن الدماغ بالنسبة إلى البدن تارة كجبل أبو قبيس أو جبل هراة وتارة كعرش المجيد أو عرش الكريم المتقدم ذكره، وفي هذا المقام يقع المعارف بين آدم الحقيقي الذي هو الروح وبين النفس الكلية: التي هي حواء، وما سمى تلك الحضرة بعرفة إلا لهذا، ويشهد به قوله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» ثم يرجع إلى المشعر، أي الوقوف بمشاعره الصورية والمعنوية المعبرة عنها بالحواس العشرة، ليطلع على أحوال كل واحدة منها ويخرجها من حكمه ويجعلها مطيعة لخالقه وربه بحكم: «**كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله...**» الحديث، لأن الحواس ما دامت في حكم العبد فهي مطيعة للنفس الأمارة متابعة لشيطان الهوى المردي، فأما إذا صارت بحكم الرب مطيعة لما أمر به من الأوامر والنواني فهي مطية للنفس المطمئنة متابعة للعقل الذي هو الأمير والحاكم في مدينتها وبلدها، ثم يرجع إلى منى عالم بالصدر لرمي أحجار أخلاقه الذميمة وأوصافه الردية عند الجمار الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، أعني في عالم المركبات وما يتعلق به، وسبب ذلك أن هذا مقام الإخلاص ومقام الخطر العظيم لقوله ﷺ: «**العالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم**» فصاحب هذا المقام إن خلص عند الإحرام من أخلاقه وأوصافه لكن إذا رجع إلى مقام التكميل وحالة البشرية بحكم قولهم: النهايات الرجوع إلى البدايات، يجب الاحتراز أيضاً عن رجوعه إلى تلك الأخلاق، لأن=

= هذا ورد: «حسنات الأبرار سيئآت المقربين» ثم يتوجه إلى حلق رأسه، أي رأس نفسه من الأنانية، ورؤية الفعل والحول والقوة منه الذي هو الأعظم من الأول، والحجب والموانع من الاستقامة على ما هو عليه من الكمال والتكميل، ثم يتوجه إلى ذبح نفسه مرة أخرى، بحيث لا يبقى منها اسم ولا رسم لقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ ثم ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ثم يرجع إلى الكعبة للطواف الثاني، أي يرجع إلى الكعبة الحقيقية التي هي القلب للطواف الثاني، أي للاطلاع مرة أخرى عليه ليطهرها من دنس مشاهدة الغير بالكلية، وهذا مقام قوله ﷺ: «وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»، لأن النبي المعصوم ما له ذنب شرعي حكمي حتى يستغفر من ذلك الذنب، بل ذنبهم في طريق سلوكهم وتوجههم إلى الله تعالى هو مشاهدة الغير ولو طرفة عين، وذلك من غلبة عالم البشرية وقوة النفس الحيوانية بمقتضاها، وقد مر تفصيل ذلك أيضاً، ثم يصلي في مقام إبراهيم عليه السلام ركعتي طواف الحج، أي ركعتي صلاة الشكر بوصوله إلى محبوبه ومقصوده في توجهه وقصده في صلاته الحقيقية، ثم يسعى مرة أخرى بين صفاء العالم الروحاني ومروة العالم الجسماني، أو بين صفاء القلب ومروة النفس (ليشاهده فيهما آيات كمال مظاهره ومشاهدة علامات جماله وجلاله)، ثم يقصر في مروة العالم الجسماني أو مروة النفس بحذف ما بقي فيه مشاهدة الكثرة في عالم الوحدة، ثم يرجع إلى منى لرمي الجمار الثلاث في أيام التشريق، أي يرجع من كعبة القلب مرة أخرى إلى منى الصدر في أيام التشريق التي هي أيام التوحيد التفصيلي المعبر عنه بالفعلي والوصفي والذاتي، لحذف كل ما سواه في المراتب الثلاث بحيث لا يبقى عنده إلا الحق تعالى جل ذكره، ويرتفع عن نظره الخلق بأسره، بحيث لا يبقى لهم وجود أصلاً عنده ولا له أيضاً، ويشاهد الحق من حيث هو الحق تارة في عالم وحدته مجرداً عن جميع الاعتبارات، وتارة في عالم كثرته تحت ملابس أسمائه وصفاته وجماله وجلاله، وتارة في عالم الجمع بينهما المتقدم ذكره عند التوحيد الجمعي المحمدي، وهذا هو المقصود من الحج المعنوي عند أرباب الطريقة، وإذا عرفت هذا فلنشرع في حج أهل الحقيقة وبيانه، وهو هذا:

حج أهل الحقيقة

فالحج عندهم بعد قيامهم بالحجين المذكورين عبارة عن القصد والتوجه من حيث السير المعنوي إلى قلب الإنسان الكبير الذي هو بيت الله الأعظم المسمى بالبيت المعمور=

= وحضرة القدس والنفس الكلية وأمثال ذلك، كما أن حج أهل الطريقة عبارة عن قصدهم وتوجههم إلى قلب الإنسان الصغير، وبيان ذلك يحتاج إلى تمهيد مقدمات، منها قول بعض العارفين في تطبيق العالمين:

اعلم أن سلطان الروح الجزئي الذي هو روح الإنسان الصغير كما لا يكون إلا في الدماغ، فكذلك سلطان الروح الكلي الذي هو روح الإنسان الكبير المسمى بالعالم لا يكون إلا في العرش الذي هو بمثابة الدماغ منا، وكما أن مظهره الأول في الإنسان الصغير هو القلب الصوري الذي هو منبع حياة، فكذلك مظهره الأول في الإنسان الكبير هو الفلك الرابع الذي هو فلك الشمس ومنبع حياة العالم، فإنه بمنزلة الصدر فيه، والشمس بمنزلة القلب الصوري، وأما القلب الحقيقي فهو النفس الكلي المسماة باللوح المحفوظ والكتاب المبين وآدم الحقيقي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً. . .﴾ [النساء: ١] الآية، وروح الفلك الرابع بمثابة الروح الحيواني الذي في القلب، إذ به تحيا جميع الأعضاء وهو البيت المعمور المشهور في الشريعة أنه في السماء الرابعة المقسم به في التنزيل حيث قال: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: ١-٦]، ولهذا جعلت مقام عيسى روح الله وكانت معجزته إحياء الموتى، والطور هو العرش، والكتاب المسطور هو النفس الكلية التي هي قلب العالم، والرق المنشور هو الفلك الثامن الذي هو مظهره، والسقف المرفوع يجوز أن يكون العرش ويجوز أن يكون سماء الدنيا، والبيت المعمور يجوز أن يكون الفلك الرابع ويجوز أن يكون النفس الكلية، والفلك الثامن أيضاً الذي هو مظهر النفس الكلية، والبحر المسجور هو بحر الهيولي السيالة المملوءة بالصور، ويجوز أن يكون عالم البرزخ الأول المركب من العالمين الروحاني والجسماني المسمى بالخيال المطلق المملوء بصور الموجودات كلها. ومع ذلك نشرع في تفصيله بحكم الحديث النبوي والآية المذكورة مرة أخرى، ليتحقق عندك ما قررناه.

أما الحديث فقوله ﷺ: «الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء خلقه الله قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء ودحيت الأرض تحته» وأما الآية فقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] إلى=

= آخرها، وبيان الحديث وهو أنه يكون المراد من قوله: الكعبة أول بيت ظهرت على وجه الماء عند خلق السماء ما تقدم ذكره عند حج أهل الطريقة، وهو أن الكعبة هي النفس الكلية المسماة ببيت الله الأعظم، وظهورها على وجه الماء يكون إشارة إلى العوالم الروحانية التي صدرت منها قبل العوالم الجسمانية، فإن كل شيء يكون فوق شيء يكون هو عليه، ولا شك أن النفس الكلية فوق النفوس الجزئية والعوالم الروحانية فتكون هي عليها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] هذا معناه أيضاً، يعني كل العرش قبل خلق السماوات والأرض الجسمانيان على الروحانيان من العقول والنفوس إن أردنا بالعرش العرش المعنوي الذي هو العقل الأول، وإن أردنا بالعرش العرش الصوري الذي هو الفلك الأعظم الأطلس أعني التاسع، يكون المراد بالماء الماء الصوري على قول بعض المفسرين، لأنهم قالوا: إن العرش والماء حيث لم يكن في أول الحال حائلاً وكان بينهما خلاء يجوز أن يقال إنه عليه، وهذا ذكره ناصر الدين البيضاوي في تفسيره، وهاهنا أبحاث، ويجوز أن يكون الماء إشارة إلى الهيولي الكلية التي هي بمثابة الماء بالنسبة إلى النفس الكلية التي فوقه بمراتب، ويجوز أن يكون ذلك قبل الفتق في حالة الرتق الذي هو إجمال المادة كلها في حالة كانت العقل والنفس والعرش والكرسي حقيقة واحدة ومادة كلية، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] الآية، وهكذا ورد في اصطلاح العارفين في تعريف الفتق والرتق وهو قولهم: الرتق اجمال المادة الوحدانية المسماة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل السماوات والأرض المفتوق بعد تعينها بالخلق، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار لا ظهورها، وعلى كل بطون وغيبة كالحقائق المكنونة في الذات الأحدية قبل تفاصيلها في الحضرة الواحدية مثل الشجرة في النواة، والاستشهادات في ذلك كثيرة هذا وجه ووجه آخر:

إن الماء هو العلم الإلهي الأزلي عليه كل شيء من حيث فيه دائماً أبداً، وتخصيصه بالعرش يكون لعلو شأنه وعظمة جلاله وكبريائه، أعني إذا كان قيام العظيم الذي هو العرش به وبوجوده فالصغير بالطريق الأولى، والغرض أنا إذا فرضنا هذا الماء الذي عليه العرش نطفة الإنسان الكبير من حيث الصورة كما هو مقرر عند أهل الله، فيكون الماء=

= بمعنى الماء الصوري ويكون ظهورها عليه بمعنى تعلقها بالنطفة التي توجد منها صورة العالم بأسرها، فإن أهل الشرع قد اتفقوا على أن ابتداء العالم وإيجاده كان من الماء، وتمسكوا في ذلك بقوله بالحديث النبوي بعد القرآن والبحث الذي في سورة الدخان كقوله عليه السلام: **«أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها فذابت تلك الجوهرة حياءً أو قهراً** - على اختلاف الروايتين - **فصار نصفها ماءً ونصفها ناراً، فخلق من الماء السماوات ومن النار الأرضون، أو خلق من الماء الجنة ومن النار الجحيم، أو خلق من الماء الروحانيات ومن النار الجسمانيات»** ولا مشاحة في الألفاظ، واستدلوا بذلك التطابق بين العالمين، فإن ابتداء العالم الصغير وإيجاده بحسب الصورة كان من الماء الذي هو النطفة، والصغير انموذج الكبير من جميع الوجوه، فيجب أن يكون هو أيضاً كذلك، وهذا أقرب الوجوه، لأن إيجاد الصغير الذي هو نسخته وأنموذجه حيث كان على هذا الوضع، لأن أوله كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة إلى آخر الأطوار، فيجب أن يكون هو كذلك، وقوله: «عند خلق السماء» يكون إشارة إلى تقديم الروحانيات على الجسمانيات بناءً على الترتيب الأول لا الثاني، أعني من حيث النزول من العلويات إلى السلفيات لا العكس، وقوله: **«قبل الأرض بألفي عام»** يكون إشارة إلى أن النفس الكلية المسماة بالكعبة الحقيقية خلقها قبل الأجسام المعبر عنها بالأرض بألفي عام، ويكون المراد به طورين كاملين، الأول طور العقل ثم طور النفس، لأنهما سابقان على الأرواح والأجسام بمدة مديدة، أو دورين من أدوار الكواكب السبعة، لأن لكل كوكب منها دور خاص وهو ألف سنة، ودور مشترك وهو ستة آلاف سنة، ويكون المراد بذلك أن عالم الأجسام خلق بعد خلق الأنفس بدورين كاملين من أدوار الكواكب السبعة، وقد سبق هذا البحث أيضاً، وقد تقرر هناك أن في مدة دور زحل يكون العالم خراباً وفي ابتداء دور المشتري يبتدئ بالعمارة وفي آخرها توجد الحيوانات حتى تنتهي إلى الإنسان، فيكون المراد بألفي عام دورين هذين الكوكبين على الوجه الذي قررناه أو طوري العقل والنفس، وعندي هذا أنسب وإن كان الوجهان من عندي، وتقديم عالم الأرواح على عالم الأجسام أظهر وأبين من أن يحتاج إلى بيان وبرهان، وسيما قد شهد به الخبر والقرآن، فإن النبي ﷺ قال: **«خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»** والقرآن قد نطق بأن الأرواح قبل الأجساد في مواضع شتى، منها قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، وقوله: =

= ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وثم لا يكون إلا للتراخي، وقوله عليه السلام: «وكان زبدة بيضاء على وجه الماء» يكون إشارة إلى صفاء النفس الكلية ولطافتها بالنسبة إلى روحانيات أخر التي كانت تحتها المشار إليها بالماء، لأن كل ما هو أعلى من الروحانيات فهو ألطف وكذلك من الجسمانيات أيضاً، وقوله: «فدحيت الأرض تحته» إشارة إلى إيجاد عالم الأجسام بعدها أي بعد الأرواح، لأن عالم الأجسام وجد بعد عالم الأرواح بمدة مديدة، وفيه قيل: إن عالم الأرواح وعالم الأمر هو الذي لا يحتاج إلى مادة ومدة، وعالم الخلق والأجسام هو الذي يحتاج إلى مادة ومدة، هذا تأويل الخبر، وأما تأويل الآية على سبيل البسط فيطول ويخرج المبحث من المقصود، وأما على سبيل الاختصار فاعلم:

إن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ إشارة إلى البيت المذكور الذي هو النفس الكلية ومظهرها الذي هو الفلك الثامن، و﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى مطلق الإنسان من حيث العموم وتكليف الكل بالتوجه إليه وإلى أشرف الناس منهم الذين هم الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء والعارفين من أمة كل نبي على الخصوص، و﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ إشارة إلى الفلك الثامن الذي هو مظهرها المعبر عنه بالكرسي، ﴿مُبَارَكًا﴾ إلى البركات التي هي حواليها من المعارف والحقائق النازلة منها إلى ما دونها من المخلوقات والموجودات، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى فيضانه وتجلياته لجميع العالمين، فإن فيضان جميع العالمين من جنابه القدسي وحضرته العليا، والمراد بالفيضان أما الوحي وإما الكشف وإما الإلهام، فإن حصول العلوم والفيض من الله بغير هذه الوجوه الثلاث مستحيل، ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ إشارة إلى مشاهدة آيات الملكوت والجبروت وبواسطتها، فإنها محل تفصيل المعلومات والموجودات، كما أن العقل الأول محل تجميل المعلومات والموجودات، و﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إشارة إلى وصول السالك بواسطتها إلى مقام التوحيد الجمعي الحقيقي الإبراهيمي الذي لم يكن منشؤه في عالم الشهادة إلا منه. ولهذا أمر نبينا ﷺ بمتابعته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨]، ولقوله: =

= ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ولولا خصوصية إبراهيم عليه السلام بهذا المقام ما قال تعالى في حقه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، إشارة إلى أن من دخل البيت المذكور على الوجه المذكور أمن من جميع الشبهات والشكوك، وعلى الخصوص من الشركين المذكورين أعني الجلي والخفي، وعلى الجملة عن حجب رؤية الغير مطلقاً، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، أي ولله على الناس المستعدين لهذا المقام حج هذا البيت، أي قصد هذا البيت على الوجه المذكور، أي من حيث المعرفة والمشاهدة والكشف والشهود، وقوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ دليل على تخصيصه بطائفة متمكنين منه مستطيعين لسبيله بقوتي العلم والعمل، فإن زاد هذا الحج وراحلته المسمى بالاستطاعة العلم والعمل، أي العمل النافع والعمل الصالح، والعلم النافع يحصل بوجهين، إما من الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر وهو المعبر عنه بالوحي والإلهام والكشف، وإما منه بواسطة بعض عبيده من العارفين كالأنبياء والأولياء والرسل، وإليهما أشار بقوله في الأول: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥]، وفي الثاني بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، والعمل الصالح أيضاً يكون على قسمين، قسم يختص بأهل الشريعة والطريقة وهو الذي لا يدخل فيه الرياء والسمعة والشك والشبهة وأمثال ذلك، بل يكون خالصاً مخلصاً لله تعالى لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ولقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقسم يختص بأهل الحقيقة وأهل الوصول، وهو الذي لا يشاهد صاحبه في الوجود غير الحق تعالى جل ذكره، وقد عرفت تحقيقه مراراً وإليه أشار بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي بهذا الحج ولم يفعل ولا يقر به فهو من المشركين المحجوبين ليس الخطاب إليه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عنه وعن أمثاله من العالمين إنساناً كان أو جناً، وإن الله لغني عن العالمين وعن طاعتهم وعبادتهم من حيث هو هو، فإن الطاعة والعبادة فائدتهما عائدة إلى=

= لمكلف لا غير، وإلا الحق تعالى فإنه غني عن العالمين وطاعتهم وعبادتهم، لأنه لا يجوز أن يستكمل هو بغيره، والغرض العائد إليه نوع استكمال فلا يجوز فحينئذٍ لا يكون عائداً إليه، والعلة في ذلك أنه لا يقع فعل الحكيم الكامل عبثاً، فإن كل فعل يصدر من فاعل لا لغرض يكون عبثاً والعبث على الله تعالى محال، لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]، ولقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فيجب أن يكون لغرض، وحوالة الغرض إليه كما ذكرنا محال، فيجب أن يكون إلى العبيد وهو المطلوب، ولهذا قال في مواضع كثيرة من القرآن: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وهاهنا أبحاث كثيرة نختصر على ذلك، وإذا تقرر هذا وعرفت هذه المقدمات والضوابط والقواعد التي فيها بحكم الآية والخبر فلنشرع في الترتيب والتفصيل وكيفية ترتيب هذا الحج والوصول إلى المقصد، وهو هذا:

اعلم أنه من أراد أن يتوجه إلى هذا البيت ويقصد زيارته أعني الوصول إليه يجب عليه أولاً أن يأخذ الإحرام من مشاهدة عالم المحسوسات مطلقاً، بمعنى أن يحرم على نفسه مشاهدة عالم الجسمانيات وما يتعلق به من اللذات، ثم يتوجه إلى عالم الروحانيات التي هي بمثابة الحرم ومكة وبكة غير ذلك من الاعتبارات حتى يصل إليهم بالفعل، ويتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم ويحصل له معارف ذواتهم وخواصهم ولوازمها، ثم يتوجه إلى الكعبة الحقيقية التي هي النفس الكلية ومعارفها وحقائقها، ويطوف بها سبعة أشواط ليحصل له بكل شوط معرفة كل فلك من الأفلاك السبعة أو العلوم السبعة القرآنية المشار إليها بقوله ﷺ: «إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة ابطن» ثم يتوجه إلى مقام إبراهيم الذي هو مقام الوحدة والحضرة الواحدية المعبرة عنها بالعقل الأول والروح الأعظم ويصلي فيه ركعتي الشكر بوصوله إلى تلك الحضرة، والركعتان عبارتان عن فنائه أولاً عن عالم الظاهر وثانياً عن عالم الباطن وما اشتمل عليهما من المخلوقات والموجودات حتى نفسه، ثم يتوجه إلى السعي بين الصفا والمروة، أي بين عالمي الظاهر والباطن ليطلع عليهما بسعيه واجتهاده مرة أخرى، ويقطع النظر عن الكثرة بمطالعة ما في ضمنها من الوجود الواحد الحق، ويستقر في المقام الجمعي المقصود بالذات، كما قال ﷺ: «الدنيا=

= حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله» ويعرف هذا أيضاً من تقسيم أهل الشمال وأهل اليمين والمقربين المتقدم ذكرهم، وإليه أشار العارف بقوله: وعليكم بهما فإن جامعهما موحد حقيقي جامع للجميع وله المرتبة العليا والغاية القصوى، ثم يقصر بمروة عالم الظاهر التي هي نهاية الكثرة بإسقاط ما بقي عنده من الأنانية ورؤية الغير، وهذا تمام أفعال العمرة المتمتع بها إلى الحج، ثم يتوجه إلى الكعبة مرة أخرى إلى مشاهدة النفس الكلية والاطلاع على حقائقها ليأخذ إحرام الحج من عندها تحت ميزاب العقل على الترتيب المعلوم، ثم يتوجه إلى مقام عرفات النفس والعقل عند الجهل الحقيقي الذي هو العرش الصوري مظهر العقل الأول ليتحد بهما بقوة المعرفة الحاصلة له بأن الكل واحد، ولهذا سمي هذا المقام عرفات، لأنه مقام المعرفة الحقيقية، وليس وراء هذه الحضرة حضرة أخرى إلا حضرة الذات الممتنع الوصول إليها لأحد، والمراد بالوصول الاتصاف والاتصاف بالحضرة الأحدية الذاتية مستحيل، وفيه قيل: ليس وراء عبادان قرية، وفيهذا المقام يحصل الوصول إلى التوحيد الجمعي الحقيقي المعبر عنه بالتوحيد المحمدي مرة أخرى، والفائدة والفرق بينهما أن في التوحيد الأول يرتفع الخلق عن نظره بالكلية لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وفي التوحيد الثاني يرتفع الصفات كلها، لقول العارف الرباني صلوات الله عليه: أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، وفي هذا المقام يصير الإنسان إنساناً والكامل كاملاً والعارف عارفاً، ولهذا يجب الرجوع إلى التكميل وعالم الكثرة لقوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٢]، ولقول الجنيد رضي الله عنه لما سئل عن النهايات: الرجوع إلى البدايات، وهذا هو سر رجوع الحاج من عرفات إلى منى وفيه ما فيه من الأسرار أيضاً، ثم يرجع إلى منى عالم الكثرة الذي هو عالم المشاعر الإلهية والمناسك الربانية من الأفلاك والأجرام والعناصر والمواليد، وينظر إليهم بنظر الوحدة الحقيقية دون الأول، ويشاهدهم على أنهم مظاهر إلهية ومشاعر ربانية، والمظهر عين الظاهر والظاهر نفس المظهر، فيشاهدهم عيناً من وجه، غيراً من وجه، خلقاً من وجه، حقاً من وجه كما سبق ذكره من كلام العارف، ثم يشتغل بأداء المناسك فيه أي في منى عالم الظاهر من الرمي والذبح=

= والحلق، ويرمي أولاً في جمرة العقبة التي هي الدنيا ومتاعها سبع طبقات، عالمها العنصرية والطبيعية من المواليد رمياً لا يمكن الرجوع إليها، وهذا رمي عرفان لا رمي عيان، أعني رمي نظر لا رمي تصرف، فإنه إذا رجع من العوالم المذكورة يجب له التصرف في الكل تصرف تمليك وتحقيق، ثم يذبح نفسه مرة أخرى ذبحاً لا تكاد تعيش أبداً، أي بالحياة الدنيوية المجازية، لأنه صار حياً بالحياة الحقيقية المشار إليها في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وفي قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ثم يحلق رأسه أي رأس النفس عن محبة الدنيا ومتاعها حلقاً لا يكاد يرجع إليها أبداً رجوع نفساني لا غير، فإن حذف الدنيا نفسك يحكم بالتصرف فيه بقدر الحاجة للناقص وبالمجموع للكامل، والمراد اسقاطعها عن درجة الاعتبار بالكلية، لأن الدنيا وما فيها ليس عند التحقيق إلا عدم صرف وخيال محض قائمة بأوهام كاذبة لقوله ﷺ: «الدنيا قائمة بالوهم» ولقول الإمام عليه السلام: «محو الموهوم مع صحو المعلوم» ولهذا قال: «قد طلقتك ثلاثة لا رجعة فيها» وقال عيسى عليه السلام: «يا طالب الدنيا ليبر بها تركك لها أبر وأبر وأبر، ثم يرجع من هذا المقام إلى مقام البقاء الذي هو البقاء بعد الفناء ويطوف بالكعبة المذكورة طواف آخر، أي يطلع عليها مرة أخرى بسبع توجهات بمقتضى نشأتها التي هي سبعة أطوار لقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، ليحصل بذلك التصرف في سبعة أقاليم الأرض وسبعة أقاليم الأفلاك المعبرة عنهما بالملكوت والجبروت، ثم يصلي في مقام إبراهيم الوحدة الحقيقية ركعتي الصلاة العيدين الأضحى والفطر، لأن اتصافه بالفناء عن الكل عيد وبقاؤه بعد الفناء عيد آخر، ويجب صلاة العيد سيما هذا العيد في مقام المخصوص بها وهو مقام الوحدة الحقيقية، فافهم جيداً فإنه دقيق، ثم يرجع إلى منى عالم الكثرة في المراتب الثلاث التي هي المعدن والنبات والحيوان، ويكون فيه ثلاثة أيام من الأيام الإلهية لتكميل الغير، فإنه نهاية مقام المرام وغاية مقاصد الكرام، وفيه ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، رزقنا الله الوصول إلى مثل هذا الحج بحق الحق، هذا بيان حج أهل الحقيقة بعد بيان حج أهل الشريعة والطريقة. [أسرار الشريعة ص٢٧٩ - ٣٠٢].

في آداب دخول الحرم إلى الطوف

الجملة الثالثة: في آداب دخول الحرم إلى الطواف وهي ستّة:

الأول: أن يغتسل لدخول الحرم من بئر ميمون أو من فخّ(١) ويقول عند دخوله: اللّهمّ إنّك قلت في كتابك المنزل ـ وقولك الحقّ ـ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ اللّهمّ وإنّي أرجو أن أكون ممّن أجاب دعوتك وقد جئت من شُقّة بعيدة ومن فجّ عميق، سامعاً لندائك ومستجيباً لك، مطيعاً لأمرك وكلُّ ذلك بفضلك عليّ وإحسانك إليّ فلك الحمد على ما وفّقتني له، أبتغي بذلك الزُلفة عندك والقربة إليك، والمنزلة لديك والمغفرة لذنوبي والتوبة عليّ منها بمنّك، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وحرّم بدني على النّار وآمنّي من عذابك وعقابك برحمتك يا كريم».

الثاني: أن يدخل مكّة على غسل بسكينة ووقار من جانب الأبطح من ثنيّة كدا ـ بفتح الكاف ـ قيل: عدل رسول الله ﷺ من جادّة الطريق إليها وإذا خرج خرج من ثنيّة كدا ـ بضم الكاف ـ وهي الثنيّة السفلى، والأُولى هي العليا.

الثالث: أن يدخل المسجد الحرام على غسل بسكينة ووقار من باب بني شيبة حافياً مقدّماً للرّجل اليمنى بخشوع فإنّه من دخله بخشوع غفر له، ويقول وهو على باب المسجد: «**السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته،**

---

(١) بئر ميمون بمكة باعلاها دفن عندها المنصور. وفخ ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه واد بمكة قتل به الحسين بن علي بن الحسن العلوي يوم التروية سنة تسع وستين ومائة وقتل جماعة من أهل بيته. (المراصد).

بسم الله وبالله ومن الله وما شاء الله، والسلام على رسول الله وآله، والسلام على إبراهيم وآله، والسلام على أنبياء الله ورسله، والحمد لله ربّ العالمين».

الرابع: أن يقول عند النظر إلى الكعبة: **«الحمد لله الّذي عظّمك وشرّفك وكرّمك، وجعلك مثابة للناس وأمناً، مباركاً وهدى للعالمين»**.

الخامس: أن يقول عند النظر إلى الحجر الأسود وهو مستقبل إليه: **«الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كأفضل ما صلّيت وباركت وترحّمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وسلامٌ على جميع النبيّين والمرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إنّي أؤمن بوعدك وأُصدّق رسلك وأتّبع كتابك»**.

السادس: أن يستلم الحجر ويقبّله، فإن لم يقدر فيمسّه بيده ويقبّلها، فإن لم يقدر فيشير إليه بيده ويقبّلها ويقول: **«أمانتي أدّيتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت واللاّت والعزّى وعبادة الشيطان وعبادة الأوثان وعبادة كلّ ندّ يدعى من دون الله»**.

آداب الطواف

الجملة الرابعة: في الطواف، ويجب أن يراعي فيه شروط الصلاة من طهارة الحدث، والخبث في الثوب والبدن، والمطاف، وستر العورة، وأن يكون مختوناً، والطهارة إنّما يشترط في الطواف الواجب دون المندوب،

ويجب فيه النيّة والبداءة بالحجر والختم به وتكفي البداءة العرفيّة، والمتأخّرون أوجبوا جعل أوّل جزء من الحجر محاذياً لأوّل جزء من مقاديم بدنه بحيث يمرُّ عليه بعد النية بجميع بدنه علماً أو ظنّاً، ويجب جعل البيت على يساره وأن يدخل الحجر(١) في الطواف، وأن يطوف بين البيت والمقام مراعياً قدر ما بينهما من جميع الجهات إلاّ مع الضرورة وأن يكمله سبعاً.

ويستحبُّ أن يكون على سكينة ووقار، وأن يقارب بين خطاه، وأن يدنو من البيت ولكن لا يطوف على الشادر وان فإنّه من البيت، وأن يقبّل الحجر في كلّ شوط كما وصفناه، ويلتزم الأركان كلّها سيّما اليماني فإذا بلغ باب البيت قال: **«سائلك فقيرك مسكينك ببابك فتصدّق عليه بالجنّة، اللّهمّ البيت بيتك، والحرم حرمك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ المستجير بك من النار، فأعتقني ووالديّ وأهلي وولدي وأخواني المؤمنين من النّار يا جواد يا كريم»**.

فإذا بلغ مقابل الميزاب قال: **«اللّهمّ أعتق رقبتي من النّار ووسّع عليّ من الرزق الحلال وادرء عنّي شرّ فسقة العرب والعجم، وشرّ فسقة الجنّ والإنس»**، ويقول وهو جائز: **«اللّهمّ إنّي إليك فقير وإنّي منك خائف مستجيرٌ فلا تبدّل اسمي ولا تغيّر جسمي»**.

ويقول في الطواف: **«اللّهمّ إنّي أسألك باسمك الّذي يمشى به على طلل الماء(٢) كما يمشي به على جدد الأرض، وأسألك باسمك المخزون المكنون عندك، وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم الّذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا»**.

---

(١) بكسر المهملة وسكون المعجمة.

(٢) الطلل: الموضع المرتفع.

فإذا بلغ الركن اليماني التزمه وقبّله وصلّى على النبيّ وآله في كلّ شوط ويقول بين هذا الركن والركن الّذي فيه الحجر: **«ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار»** فإذا كان في الشوّط السابع وقف بالمستجار وهو مؤخّر الكعبة مما يلي الركن اليماني بحذاء باب الكعبة، فبسط يديه على البيت وألزق خدّه وبطنه بالبيت ويقول: **«اللّهمّ البيت بيتك، والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، اللّهمّ إنّي حللت بفنائك فاجعل قراي مغفرتك، وهب لي ما بيني وبينك، واستوهبني من خلقك»** ويدعو بما شاء ثمّ يُقرُّ لربّه بذنوبه ويقول: **«اللّهمّ من قبلك الروح والراحة والفرج والعافية اللهمّ إنَّ عملي ضعيف فضاعفه لي واغفر لي ما اطّلعت عليه منّي وخفي على خلقك، أستجير بالله من النار»**.

ويكثر لنفسه من الدّعاء ثمّ يستلم الركن اليماني والّذي فيه الحجر الأسود ويقبّله ويختم به ويقول: **«اللّهمّ قنّعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني»**.

فإذا فرغ من الطواف أتى مقام إبراهيم ويصلّي ركعتين ويجعل المقام أمامه ويقرأ في الأولى بعد الحمد والتوحيد، وفي الثانية الجحد، ثمّ يتشهد ويسلّم ويحمد الله ويثني عليه ويصلّي على النبيّ وآله ويسأل الله أن يتقبّله منه وأن لا يجعله آخر العهد منه فيقول: **«الحمد لله بمحامده كلّها على نعمائه كلّها حتى ينتهي الحمد إلى ما يحبُّ ربّي ويرضى، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وتقبّل منّي، وطهّر قلبي، وزكّ عملي»** وليجتهد في الدعاء، ثمّ يأتي الحجر الأسود فيستلمه ويقبّله أو يمسحه بيده أو يشير إليه ويقول ما قاله أوّلاً فإنّه لا بدّ من ذلك، وقد عرفت أنّ الطواف ركن في كلّ من الحجّ والعمرة، من تركه عامداً بطل حجّة أو عمرته، فلو كان ناسياً قضاه ولو بعد

المناسك، ولو شقّ العود استناب فيه(١).

آداب السعي

الجملة الخامسة في السعي: فإذا فرغ من الطواف وتوابعه أتى زمزم فإن قدر أن يشرب من مائه قبل أن يخرج إلى الصفا فليفعل ويقول حين يشرب: **«اللّهمَّ اجعله علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كلِّ داء وسقم، إنّك قادرٌ يا ربَّ العالمين»**.

ثمَّ يخرج إلى الصفا من بابه ويقوم عليه حتّى ينظر إلى البيت ويستقبل الركن الّذي فيه الحجر ويحمد الله ويثني عليه ويذكر من آلائه وحسن ما صنع إليه ما قدر عليه، ثمَّ يقول: **«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قدير»** ثلاث مرّات.

ويقول: **«اللهم إني أسألك العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة»** ثلاث مرات.

ما ينبغي عند الطواف

(١) **قال النراقي في جامع السعادات**: وينبغي عند الطواف أن يمتلىء قلبه من التعظيم والمحبة والخوف والرجاء، ويعلم أنه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الطائفين حول العرش، وليعلم أن المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت، دون مجرد طواف جسمه بالبيت، فليبتديء الذكر به ويختم به، كما يبتدأ الطواف من البيت ويختم بالبيت، فروح الطواف وحقيقته هو طواف القلب بحضرة الربوبية والبيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر، وهو عالم الغيب وعالم الملك والشهادة، مدرجة إلى عالم الغيب والملكون لمن فتح به الباب. وما ورد من أن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة، وأن طواف الملائكة بها كطواف الأنس بهذا البيت، ربما كان إشارة إلى ما ذكرناه من المماثلة، ولما قصرت رتبة الأكثرين عن مثل ذلك الطواف، أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمكان، ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٢].

ويقول: «ربّنا آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» ثلاث مرّات.

ويقول: «الحمد لله» مائة مرّة و«الله أكبر» مائة مرّة و«سبحان الله» مائة مرّة و«لا إله إلاّ الله» مائة مرّة و«أستغفر الله وأتوب إليه» مائة مرّة و«صلّ على محمّد وآل محمّد» مائة مرّة، ويقول: «يا لا من يخيب سائله، ولا ينفد نائله، صلّ على محمد وآل محمد، وأعذني من النار برحمتك» ويدعو لنفسه بما أحبَّ، وليكن وقوفه على الصفا أوّل مرّة أطول من غيرها.

ثمّ ينحدر ويقف على المرقاة الرابعة حيال الكعبة ويقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر وفتنته وغربته ووحشته وظلمته وضيقه وضنكه، اللّهمّ أظلّني في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلاّ ظلّك»، ثمّ ينحدر عن المرقاة وهو كاشف عن ظهره ويقول: «يا ربّ العفو، يا من أمر بالعفو، يا من هو أولى بالعفو، يا من يثيب على العفو، العفو العفو العفو، يا جواد يا كريم، يا قريب يا بعيد اردد عليّ نعمتك، واستعملني بطاعتك ومرضاتك».

ثمّ يمشي وعليه السكينة والوقار حتّى يصير إلى المنارة وهي طرف المسعى فيسعى ملء فروجه ويقول: «بسم الله والله أكبر، اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، اللّهمّ اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم إنك أنت الأعزُّ الأكرم، واهدني للّتي هي أقوم، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي وتقبّل منّي، اللّهمّ لك سعيي، وبك حولي وقوّتي، تقبل عملي يا من يقبل عمل المتّقين».

فإذا جاز زقّاق العطّارين يقطع الهرولة ويمشي على سكون ووقار ويقول: «يا ذا المنّ والطول والكرم والنعماء والجود، صلّ على محمّد وآل

محمّد واغفر لي ذنوبي إنّه لا يغفر الذُّنوب إلاّ أنت يا كريم».

فإذا أتى المروة يصعد عليها ويقوم حتّى يبدو له البيت ويدعو كما دعا على الصفا ويسأل الله حوائجه ويقول في دعائه: «**يا من أمر بالعفو، يا من يجزيء على العفو، يا من دلّ على العفو، يا من زيّن العفو، يا من يثيب على العفو، يا من يحبّ العفو، يا من يعطي على العفو، يا من يعفو على العفو، يا ربّ العفو، العفو العفو**».

ويتضرّع إلى الله ويبكي فإن لم يقدر على البكاء فيتباكى ويجهد أن يخرج من عينيه الدُّموع ولو مثل رأس الذّباب ويجهد في الدُّعاء، ثمّ ينحدر عن المروة إلى الصفا وهو يمشي، فإذا بلغ زقاق العطّارين يسعى ملء فروجه إلى المنارة الّتي تلي الصفا، فإذا بلغها يقطع الهرولة ويمشي حتّى يأتي الصفا ويقوم عليه ويستقبل البيت بوجهه ويقول مثل ما قاله في الدّفعة الأُولى حتّى يأتي المروة فيطوف بين الصفا والمروة سبعة أشواط يكون وقوفه على الصفا أربعاً وعلى المروة أربعاً والسعي بينهما سبعاً يبدء بالصفا ويختم بالمروة، ومن ترك الهرولة في السعي في بعض المكان لم يحوّل وجهه ورجع القهقرى حتّى يبلغ الموضع الّذي ترك فيه الهرولة ثمّ يهرول منه إلى الموضع الّذي ينبغي له أن يقطعها فيه.

ويستحبُّ في السعي: الطهارة من الحدث والخبث، وقد عرفت أنَّ السعي: ركن في الحجّ والعمرة، من تركه عامداً بطل حجّه أو عمرته فلو كان ناسياً أتى به فإن شقّ عليه استناب فيه.

فإذا فرغ من السعي نزل من المروة وقصّر من شعر رأسه من جوانبه ومن حاجبه ومن لحيته ويأخذ شاربه ويقلّم أظفاره ويكفي مسمّى الأخذ من

الشعر أو الظفر، فإذا فعل ذلك فقد أحلّ من كلّ شيء أحرم منه(١).

في آداب الوقوف بعرفات

الجملة السادسة في الوقوف بعرفات وما قبله: الحاجّ إذا أحرم بالحجّ توجّه إلى منى ملبيّاً كما مرّ، وينبغي أن يكون ذلك يوم التروية إمّا قبل أن يصلّي الظهرين أو بعد على التخيير إلاّ الإمام فقبل لأنّ عليه أن يوقعهما بمنى مؤكّداً، ويقول وهو متوجّه إلى منى: **«اللّهمّ إيّاك أرجو، وإيّاك أدعو، فبلّغني أملي، وأصلح لي عملي»**.

فإذا أتى منى يقول: **«الحمد لله الّذي أقدمنيها صالحاً في عافية وبلّغني هذا المكان، اللّهمّ وهذه منى وهي ممّا مننت به على أوليائك من المناسك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تمنّ عليّ فيها بما مننت على أوليائك وأهل طاعتك فإنّما أنا عبدك وفي قبضتك»** ثم يصلّي بها المغرب والعشاء الآخرة والفجر في مسجد الخيف، ولتكن صلاته فيه عند المنارة الّتي في وسط المسجد وعلى ثلاثين ذراعاً من جميع جوانبها فذاك مسجد النبيّ ﷺ ومصلّى الأنبياء الّذين صلّوا فيه قبله ﷺ وما كان خارجاً من ثلاثين ذراعاً حولها من كلّ جانب البيت فليس من المسجد، وينبغي أن يبيت بمنى إلى

تردد العبد بفناء دار الملك

(١) السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت، يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك، جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى، إظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، كالذي دخل على الملك وخرج، وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى، يرجو أن يرحمه في الثانية إن لم يرحمه في الأولى وليتذكر عند تردده التردد بين الكفتين، ناظراً إلى الرجحان والنقصان، مردداً بين العذاب والغفران. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤].

طلوع الفجر من يوم عرفة لكن لا يجوز وادي محسّر[١] إلاّ بعد طلوع الشمس ويكره الخروج منها قبل الفجر إلاّ لضرورة وعلى الإمام أن يقيم بها إلى طلوع الشمس. ثمّ يمضي إلى عرفات ويقول وهو متوجّه إليها: «**اللّهمّ إليك صمدت، وإيّاك اعتمدت، ووجهك أردت، وقولك صدّقت، وأمرك اتّبعت، أسألك أن تبارك لي في أجلي، وأن تقضي لي حاجتي، وإن تجعلني ممّن تباهي به اليوم من هو أفضل منّي**» ثمّ يلبّي وهو مارٌ إلى عرفات فإذا أتى عرفات يضرب خبأه بنمرة قريباً من المسجد، فإنّ ثمّة ضرب رسول الله ﷺ خبأه وقبّته، فإذا زالت الشمس يوم عرفة يقطع التلبية، ويغتسل ويصلّي بها الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وإنّما يتّعجل في الصلاة يجمع بينهما ليفرغ للدُّعاء فإنّه يوم الدُّعاء والمسألة.

ثمّ يأتي الموقف وعليه السكينة والوقار ويقف بسفح الجبل في ميسرته ويدعو بدعاء الموقف ويدعو لأبويه كثيراً ويستوهبهما من ربّه عزّ وجلّ، ولا يقف إلاّ وهو على طهر وقد اغتسل، وجمع رحله وتوجّه بقلبه إلى الدعاء ويجب الوقوف بها إلى الغروب فإن أفاض قبله عامداً جبره ببدنة، ولو كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه.

قال في الفقيه[٢]، روى زرعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أتيت الموقف فاستقبل البيت وسبّح الله مائة مرّة وكبّر الله مائة مرّة وتقول: «ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله» مائة مرّة، وتقول: «**أشهد أن لا إله إلاّ**

---

(١) قال عبد المؤمن البغدادي في المراصد: «محسر» ـ بالضم ثم الفتح ثم كسر السين المشددة وراء ـ واد بين منى ومزدلفة، ليس من منى ولا من مزدلفة. هذا هو المشهور. وقيل: موضع بين مكة وعرفة. وقيل: بين منى وعرفة.

(٢) المصدر ص ٢٨٦ تحت رقم ٣٠.

الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير» مائة مرّة، ثمّ تقرء عشر آيات من أوّل سورة البقرة، ثمّ تقرء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلاث مرّات وتقرء آية الكرسيّ حتّى تفرغ منها، ثمّ تقرء آية السخرة ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى آخرها، ثمّ تقرء: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حتّى تفرغ منهما، ثمّ تحمد الله عزّ وجلّ على كلّ نعمة أنعم عليك وتذكر أنعمه واحدة واحدة ما أحصيت منها وتحمده على ما أنعم عليك من أهل أو مال وتحمد الله على ما أبلاك وتقول: **«اللّهمّ لك الحمد على نعمائك الّتي لا تحصى بعدد ولا تكافى بعمل»**، وتحمده بكلّ آية ذكر فيها الحمد لنفسه في القرآن، وتسبّحه بكلّ تسبيح ذكر به نفسه في القرآن، وتهلّله بكلّ تهليل هلّل به نفسه في القرآن، وتصلّي على محمّد وآل محمّد وتكثر منه، وتجتهد فيه، وتدعو الله تعالى بكلّ اسم سمّى به نفسه في القرآن، وبكلّ اسم تحسنه وتدعوه بأسمائه الّتي في آخر الحشر وتقول: **«أسألك يا الله يا رحمن بكلّ اسم هو لك وأسألك بقوّتك وقدرتك وعزّتك وبجميع ما أحاط به علمك وبجمعك وبأركانك كلّها وبحقّ رسولك ﷺ، وباسمك الأكبر الأكبر، وباسمك العظيم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن تجيبه، وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الّذي من دعاك به كان حقّاً عليك أن لا تردّه وأن تعطيه ما سأل أن تغفر لي جميع ذنوبي في جميع علمك فيّ»** وتسأل الله حاجتك كلّها من أمر الآخرة والدنيا وترغب إليه في الوفادة في المستقبل وفي كلّ عام، وتسأل الله الجنّة ـ سبعين مرّة ـ وتتوب إليه سبعين مرّة، وليكن من دعائك: **«اللّهمّ فكّني من النار، وأوسع عليّ من رزقك الحلال الطيّب، وادرأ عنّي شرّ فسقة الجنّ والإنس وشرّ فسقة العرب والعجم»** فإن تقدّم هذا الدعاء ولم تغرب

الشمس فأعده من أوّله إلى آخره، ولا تملّ من الدعاء والتضرُّع والمسألة.

وروى معاوية بن عمّار[١]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: ألا أُعلّمك دعاء يوم عرفة وهو دعاء من كان قبلي من الأنبياء؟ فقال عليٌّ عليه السلام: بلى يا رسول الله، قال: فتقول: **«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، اللّهمّ لك الحمد أنت كما تقول وخير ما يقول القائلون، اللّهمّ لك صلاتي وديني ومحياي ومماتي ولك تراثي وبك حولي ومنك قوّتي، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفقر ومن وسواس الصدر ومن شتات الأمر ومن عذاب النار ومن عذاب القبر، اللّهمّ إنّي أسألك من خير ما تأتي به الرياح، وأعوذ بك من شرّ ما تأتي به الرياح، وأسألك خير اللّيل والنهار»**.

ورواية عبد الله بن سنان[٢]: **«اللّهمّ اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي وبصري ولحمي ودمي وعظامي وعروقي ومفاصلي ومقعدي ومقامي ومدخلي ومخرجي نوراً وأعظم لي نوراً يا ربّ يا ربّ يوم ألقاك إنّك على كلّ شيء قدير»**.

قال مصنّف هذا الكتاب[٣]: هذا الدعاء تامٌّ كاف لموقف عرفة وقد أخرجت دعاء جامعاً لموقف عرفة في كتاب دعاء الموقف فمن أحبَّ أن يدعو به دعا به إن شاء الله. انتهى كلام الفقيه.

---

(١) الفقيه ص ٢٨٧ رقم ٣١، وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ بسند آخر مع زيادة في آخره.
(٢) الفقيه ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٢. وفي التهذيب ج ١ ص ٤٩٨ ذيل حديث.
(٣) من كلام الصدوق رحمه الله في ذيل الخبر.

وأقول: دعاء الموقف لحسين بن عليّ[١] مشهور، وكذا لعليّ بن الحسين عليه السلام في الصحيفة المباركة[٢] ومسمّى الكون بعرفة ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان لعذر تداركه قبل الفجر لم يجب عليه إتيانه ويكتفي بالمشعر وقد تمّ حجّه.

في آداب الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام

الجملة السابعة في الإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام والوقوف به: قال في الفقيه[٣] فإذا غربت الشمس يوم عرفة فامش وعليك السكينة والوقار وافض بالاستغفار فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[٤] واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم».

وروى زرعة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا غربت الشمس يوم عرفة فقل: «**اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من هذا الموقف، وارزقنيه أبداً ما أبقيتني واقلبني اليوم مفلحاً منجحاً، مستجاباً لي مرحوماً مغفوراً لي بأفضل ما ينقلب به اليوم أحدٌ من وفدك وحجّاج بيتك الحرام، واجعلني اليوم من أكرم وفدك عليك وأعطني أفضل ما أعطيت أحداً منهم من الخير والبركة والرحمة والرضوان والمغفرة، وبارك لي فيما أرجع إليه من أهل ومال أو قليل أو كثير، وبارك لهم فيّ**» فإذا أفضت فاقتصد في السير وعليك بالدعة واترك الوجيف[٥] الّذي يصنعه كثيرٌ من الناس في الجبال والأودية فإنّ رسول

(١) راجع اقبال الاعمال للسيد ابن طاؤوس ص ٣٠٩.
(٢) راجع الصحيفة السجادية الدعاء السابع والاربعين.
(٣) المصدر ص ٢٨٧ تحت رقم ٣٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.
(٥) الوجيف: ضرب من سير الابل.

الله ﷺ كان يكفُّ ناقته حتّى تبلغ رأسها الورك ويأمر بالدعة، وسنّته السنّة الّتي تتّبع فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر وهو على يمين الطريق فقل: «**اللّهمّ ارحم موقفي وبارك لي في عملي وسلّم لي ديني وتقبّل مناسكي**» فإذا أتيت مزدلفة وهي جمع[١] فأنزل في بطن الوادي عن يمين الطريق قريباً من المشعر الحرام، فإن لم تجد فيه موضعاً فلا تجاوز الحياض الّتي عند وادي محسّر، فإنّها فصل ما بين جمع ومنى وصلّ المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ثمّ صلّ نوافل المغرب بعد العشاء ولا تصلّ المغرب ليلة النحر إلاّ بالمزدلفة، وإن ذهب ربع اللّيل إلى ثلثه فبت بمزدلفة، ولكن من دعائك فيها: «**اللّهمّ هذه جمع فاجمع لي فيها جوامع الخير كلّه، اللّهمّ لا تؤيسني من الخير الّذي سألتك أن تجمعه لي في قلبي، وعرّفني ما عرّفت أولياءك في منزلي هذا، وهب لي جوامع الخير واليسر كلّه**» وإن استطعت أن لا تنام تلك اللّيلة فافعل فإنّ أبواب السماء لا تغلق لأصوات المؤمنين، لها دويٌّ، كدويّ النحل، يقول الله تعالى: «**أنا ربّكم وأنتم عبادي، يا عبادي أدّيتم حقّي وحقٌّ عليّ أن أستجيب لكم**» فيحط تلك اللّيلة عمّن أراد أن يحطّ عنه، ويغفر ذنوبه لمن أراد.

قال: وخذ حصى الجمار من جمع وإن شئت أخذتها من رحلك بمنى، ولا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي، ولا تكسر الأحجار كما يفعل عوام الناس، ولا بأس أن تأخذ حصى الجمار من حيث شئت من الحرم إلاّ من المسجد الحرام ومسجد الخيف وتكون منقّطة كحلية مثل الأنملة أو مثل حصى الخذف، واغسلها وهي سبعون حصاة وشدّها في طرف ثوبك واحفظ بها.

---

(١) إنما سمى المزدلفة جمعاً لاجتماع الناس فيه أو لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء بأذان واقامتين.

فإذا طلع الفجر فصلّ الغداة، وقف بالمعشر الحرام بسفح الجبل، ويستحبُ للصرورة أن يطأ المشعر برجله أو براحلته إن كان راكباً قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾(١) وليكن وقوفك وأنت على غسل وقل: «**اللّهمّ ربَّ المشعر الحرام، وربّ الركن والمقام، وربّ الحجر الأسود وزمزم، وربَّ الأيام المعلومات فكَّ رقبتي من النار وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادرأ عنّي شرّ فسقه الجنّ والإنس، وشرّ فسقة العرب والعجم، اللّهمّ أنت خير مطلوب إليه وخير مدعوّ، وخير مسؤل، ولكلّ وافد جائزة فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي، وتقبل معذرتي، وتتجاوز عن خطيئتي وتجعل التقوى من الدنيا زادي، وتقلبني مفلحاً، منجحاً، مستجاباً لي بأفضل ما يرجع به أحدّ من وفدك، وحجّاج بيتك الحرام**».

وادع الله تعالى كثيراً لنفسك والوالديك وولدك وأهلك ومالك وإخوانك المؤمنين والمؤمنات، فإنّه موطن شريف عظيم والوقوف فيه فريضة.

فإذا طلعت الشمس فاعترف لله تعالى بذنوبك ـ سبع مرّات ـ واسأله التوبة ـ سبع مرّات ـ وإذا كثر الناس بجمع وضاقت عليهم ارتفعوا إلى المأزمين، انتهى كلامه(٢).

وأقول: مسمّى الكون بالمشعر ركن من تركه عامداً فلا حجّ له وإن كان

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٩٨.

(٢) يعني الصدوق ـ رحمه الله ـ وفي القاموس: المأزم ويقال له: المأزمان مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى.

لعذر تداركه ولو قبل الزوال وإلاّ بطل حجّه وإن أدرك اختياري عرفة على الأصح[١].

في آداب الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى

الجملة الثامنة: في الإفاضة من المشعر الحرام إلى منى وقضاء مناسكها، قال في الفقيه: فإذا طلعت الشمس على جبل ثبير[٢] ورأت الإبل

ما ينبغي عند الوقوف بعرفات

(١) **قال النراقي في جامع السعادات**: وأما الوقوف بعرفات، فليتذكر بما يرى من إزدحام الخلق، وإرتفاع الأصوات، وإختلاف اللغات، وإتباع الفرق أئمتهم في التردد على المشاعر: عرصات يوم القيامة وأهوالها، وإنتشار الخلائق فيها حيارى، وإجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، وإقتفاء كل أمة نبيهم، وطمعهم في شفاعته لهم، وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول.

وإذا تذكر ذلك، فليتضرع إلى الله تعالى ويبتهل إليه، ليقبل حجه ويحشره في زمرة الفائزين المرحومين.

وينبغي أن يحقق رجاؤه، إذ اليوم شريف والموقف عظيم، والنفوس من أقطار الأرض فيه مجتمعة، والقلوب إلى الله سبحانه منقطعة، والهمم على الدعاء والسؤال متظاهرة، وبواطن العباد على التضرع والإبتهال متعاونة، وأيديهم إلى حضرة الربوبية مرتفعة، وأبصارهم إلى باب فيضه شاخصة، وأعناقهم إلى عظيم لطفه وبره ممتدة، ولا يمكن أن يحلو الموقف عن الأخيار والصالحين وأرباب القلوب والمتقين، بل الظاهر حضور طبقات الإبدال وأوتاد الأرض فيه، فلا تستبعدون أن تصل الرحمة من ذي الجلال بواسطة القلوب العزيزة والنفوس القادسة الشريفة إلى كافة الخليقة، ولا تظنن أنه يخيب آمال الجميع، ويضيع سعيهم، ولا يرحم غربتهم وإنقطاعهم عن الأهل والأوطان، فإن بحر الرحمة أوسع من أن يضن به في مثل هذه الحالة، ولذا ورد: أنه من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٤].

(٢) ثبير ـ بتقديم المثلثة على الموحدة ـ: جبل بين مكة ومنى، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة. (المصباح).

مواضع أخفافها فأفض وإيّاك أن تفيض منها قبل طلوع الشمس فيلزمك دم شاة، وأفض وعليك السكينة والوقار واقصد في مشيك إن كنت راجلاً، وفي مسيرك إن كنت راكباً، وعليك بالاستغفار فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[1] ويكره المقام عند المشعر الحرام بعد الإفاضة، فإذا انتهيت إلى وادي محسّر وهو وادي عظيم بين جمع ومنى وهو إلى منى أقرب فاسع فيه مقدار مائة خطوة، وإن كنت راكباً فحرّك راحلتك قليلاً، وقل: **«ربِّ اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم إنّك أنت الأعزُّ الأكرم»** كما قلت في السعي بمكّة، وكان رسول الله ﷺ يحرّك ناقته فيه ويقول: **«اللّهمّ سلّم عهدي[2] واقبل توبتي، وأجب دعوتي، واخلفني فيما تركت بعدي»**.

ومن ترك السعي في وادي محسّر فعليه أن يرجع حتّى يسعى فيه ومن لم يعرف موضعه سأل الناس عنه.

ثمّ امض إلى منى فإذا أتيت رحلك بمنى فاقصد إلى جمرة العقبة وهي القصوى وأنت على طهر، وأخرج ممّا معك من حصى الجمار سبع حصيات وتقف في وسط الوادي مستقبل القبلة يكون بينك وبين الجمرة عشر خطوات أو خمس عشرة خطوة، وتقول وأنت مستقبل القبلة والحصى في كفّك اليسرى: **«اللّهمّ هذه حصياتي فأحصهنّ لي وارفعهنّ في عملي»** ثمّ تتناول منها واحدة واحدة وترمي الجمرة من قبل وجهها ولا ترمها من أعلاها، وتقول في كلّ حصاة إذا رميتها: **«الله أكبر اللّهمّ ادحر عنّي الشيطان[3] وجنوده اللّهمّ**

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٩٩.

(٢) في الكافي ج٤ ص ٤٧١ «اللهم سلم لي عهدي».

(٣) دحره أي طرده وأبعده.

اجعله حجّاً مبروراً، وعملاً مقبولاً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، اللّهمّ إيماناً بك وتصديقاً بكتابك وعلى سنّة نبيّك محمد ﷺ» حتّى ترميها بسبع حصيات، ويجوز أن تكبّر مع كلّ حصاة ترميها تكبيرة، فإن سقطت منك حصاة في الجمرة أو في طريقك فخذ مكانها من تحت رجليك ولا تأخذ من حصى الجمار الّذي قد رمي.

قال: وترمي يوم الثاني والثالث والرابع كلّ يوم بأحد وعشرين حصاة وترمي إلى الجمرة الأولى بسبع حصيات، وتقف عندها وتدعو، وإلى الجمرة الثانية بسبع حصيات، وتقف عندها وتدعو، وإلى الجمرة الثالثة بسبع حصيات ولا تقف عندها فإذا رجعت من رمي الجمار يوم النحر إلى رحلك بمنى فقل: **«اللّهمّ بك وثقت وعليك توكّلت فنعم الربُّ أنت ونعم المولى ونعم النصير»**.

واشتر هديك إن كان من البدن أو من البقر أو من الغنم وإلاّ فاجعله كبشاً سميناً فحلاً، فإن لم تجد فحلاً فموجوءاً[1] من الضأن فإن لم تجد فتيساً فحلاً، فإن لم تجد فما تيسّر لك، وعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب، ولا تعط الجزّار جلودها ولا قلائدها ولا جلالها ولكن تصدّق بها ولا تعط السلاّخ منها شيئاً.

فإذا اشتريت هديك فاستقبل القبلة وانحره أو اذبحه وقل: **«وجهت وجهي للّذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت**

(١) الموجوء: من الوجاء ـ بالكسر والمد ـ وهو رض عروق البيضتين حتى تنفضخا فيكون شبيهاً بالخصاء، وقيل: هو رض الخصيتين. وفي الفقيه «فموجئاً».

وأنا من المسلمين، اللّهمّ منك ولك بسم الله والله أكبر، اللّهمّ تقبّل منّي» ثمّ اذبح ولا تنخع حتّى تموت ويبرد، ثمّ كل وتصدّق وأطعم وأهد إلى من شئت.

أقول: ولا يجزىء في الهدي أقلّ من واحد إلاّ مع الضررة فيجزىء البقرة عن خمسة إذا كانوا أهل خوان واحد، وفي الصحيح يشترط أن يكون ثنيّاً في غير الضأن وفيه يكفي الجذع والثنيُّ من الإبل ما دخل في السادسة ومن الآخرين ما دخل في الثالثة، وقيل: الثانية وأن يكون تامّاً فلا يجزىء العوراء ولا العرجاء ولا المقطوعة الأُذن إلاّ أن يكون مشقوقاً أو مثقوباً ولم يذهب منهما شيء.

وفي الفقيه، قال رسول الله ﷺ: «لا تضحّى بعرجاء بيّن عرجها، ولا بالعوراء بيّن عورها، ولا بالعجفاء، ولا بالجرباء، ولا بالجذعاء، ولا بالعضباء، وهي المكسورة القرن، والجذعاء المقطوعة الأُذن»[1].

ويستحبُّ أن يكون سميناً ينظر في سواد ويمشي في سواد ويأكل ويشرب في سواد كما ورد في الأخبار، والوجوه الثلاثة في تفسيرها مشهورة، وقيل: كلّها مروية عن أهل البيت عليهم السلام، وأن يكون ممّا عرّف به أي احضر عشيّة عرفة بعرفات، وأن يكون أنثى من الإبل والبقر وفحلاً من الغنم، وأن ينحر الإبل قائمة قد ربطت بين الخفّ والركبة ويطعنها من الجانب الأيمن، وأن يتولّى الذبح بنفسه إذا أحسن وإلاّ وضع يده مع يد الذابح.

وإذا فرغ من الذّبح حلق رأسه بأن يستقبل القبلة ويبدء بالناصية ويقول:

---

(١) المصدر ص ٢٧٣ تحت رقم ٧.

«اللّهمَّ أعطني بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة» ويدفن شعره بمنى وإن شاء قصّر، والحلق للصرّورة والملبّد أولى بل يتعيّن[١].

وإذا حلق فقد حلَّ له كلُّ شيء إلاّ الطيب والنساء، فإذا طاف للحجّ وسعى حلَّ له الطيب وإذا طاف للنساء حللن له.

ويجب على المتمتّع أن يمضي إلى مكّة لطواف الزيارة والسعي وطواف النساء يوم النحر أو من غده ولا يؤخّر عن ذلك وموسّع للمفرد أن يؤخّر.

ويجب على الحاجّ أن يبيت بمنى ليلتي الحادي عشر والثاني عشر، فإن بات بغيرها فعليه عن كلّ ليلة دم شاة إلاّ أن يكون مشتغلاً بالعبادة أو يخرج من منى بعد انتصاف اللّيل[٢].

آداب النفر من منى

الجملة التاسعة في النفر من منى: قال في الفقيه[٣]: فإذا أردت أن تنفر من منى يوم الرابع من يوم النحر نفرت إذا طلعت الشمس ولا عليك أيَّ ساعة نفرت ورميت قبل الزوال أو بعده، فإذا أردت أن تنفر في النفر الأوّل

---

(١) تلبيد الشعر أن يجعل فيه شيء من صمغ أو خطمى وغيره عند الإحرام لئلا يشعث ويقمل اتقاء على الشعر. (مجمع البحرين).

الافاضة من عرفات ودخول المشعر

(٢) وإذا فاض من عرفات ودخل المشعر، فليتذكر عند دخوله فيه: أن الله سبحانه قد أذن له في دخول حرمه بعد أن كان خارجاً عنه، إذ المعشر من جملة الحرم، وعرفات خارجة عنه، فليتفاءل من دخول الحرم، بعد خروجه عنه، بأن الله سبحانه قربه إليه وكساه خلع القبول، وأجاره وآمنه من العذاب والبعد، وجعله من أهل الجنة والقرب. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٥].

(٣) المصدر ص ٢٩١ تحت رقم ٥٧.

وهو يوم الثالث فانفر إذا زالت الشمس فإنّه ليس لك أن تنفر قبل الزوال، وإن أنت أقمت إلى أن تغيب الشمس فليس لك أن تخرج من منى ووجب عليك المقام إلى يوم الرابع من يوم النحر وهو النفر الأخير وافض إلى مكّة مهلّلا وممّجداً وداعياً، فإذا بلغت مسجد النبيّ ﷺ وهو مسجد الحصباء دخلته واستلقيت فيه على قفاك بقدر ما تستريح، ومن نفر في النفر الأوّل فليس عليه أن يحصّب، ثمّ ادخل مكّة وعليك السكينة والوقار وقد فرغت من كلّ شيء لزمك في حجّ أو عمرة وابتع بدرهم تمراً وتصدّق به يكون كفارة لما دخل عليك في إحرامك ممّا لم تعلم.

وإن أحببت أن تدخل الكعبة فادخلها وإن شئت لم تدخلها إلاّ أن تكون صرورة فلا بدّ لك من دخولها، واغتسل قبل أن تدخلها وقل إذا دخلتها: **«اللّهمّ إنّك قلت في كتابك: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾** فآمنّي من عذابك عذاب النار»، ثمّ صلّ بين الاسطوانتين على البلاطة الحمراء[1] ركعتين تقرء في الأولى: الحمد وحم السجدة، وفي الثانية عدد آيها من القرآن وتصلّي في زواياه وتقول: **«اللّهمّ من تهيأ أو تعبأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده ونوافله وجوائزه فإليك يا سيّدي تهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك ونوافلك وجائزتك، فلا تخيّب اليوم رجائي يا من لا يخيب عليه سائل، ولا ينقصه نائل، ولا يبلغ مدحته قائل، فإنّي لم آتك بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوتها، لكنّي أتيتك مقرّاً بالظلم والإساءة على نفسي، أتيتك بلا حجّة ولا عذر فأسألك يا من هو كذلك أن تعطيني منيتي وتقلّبني برحمتك ولا تردّني محروماً خائباً، يا عظيم يا عظيم أرجوك للعظيم، أسألك يا عظيم أن تغفر لي الذّنب العظيم، فإنّه لا يغفر الذّنب العظيم إلاّ**

(١) البلاط: الحجارة المفروشة في الدار وغيرها.

العظيم» ولا تدخلها بحذاء ولا خفّ ولا تبزق فيها ولا تمتخط.

فإذا أردت وداع البيت: فطف به أُسبوعاً وصلّ ركعتين حيث أحببت من الحرم وائت الحطيم ـ والحطيم ما بين باب الكعبة والحجر الأسود ـ فتعلّق بأستار الكعبة وأنت قائم وأحمد الله تعالى وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ قل: **«اللّهمّ عبدك وابن عبدك ابن أمتك حملته على دوابّك وسيّرته في بلادك وأقدمته المسجد الحرام، اللّهمّ وقد كان في أملي ورجائي أن تغفر لي فإن كنت يا ربِّ قد فعلت ذلك فازدد عنّي رضى وقرّ بني إليك زلفى وإن لم تكن يا ربِّ فعلت ذلك، فمن الآن فاغفر لي قبل أن تنأى داري عن بيتك، غير راغب عنه ولا مستبدل به، هذا أوان انصرافي إن كنت قد أذنت لي، اللّهمّ فاحفظني من بين يديّ، ومن خلفي، ومن تحتي، ومن فوقي وعن يميني، وعن شمالي حتّى تُقدمني أهلي صالحاً، فإذا أقدمتني أهلي فلا تخلُ منّي، واكفني مؤونة عيالي ومؤونة خلقك»**.

فإذا بلغت باب الحنّاطين فاستقبل الكعبة بوجهك وخرّ ساجداً واسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّله منك ولا يجعله آخر العهد منك، ثمّ تقول وأنت مارٌّ: **«آئبون، تائبون، حامدون لربّنا، شاكرون، إلى الله راغبون، وإلى الله راجعون، وصلّى الله على محمّد وآله كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل»**.

آداب زيارة المدينة

الجملة العاشرة: في زيارة المدينة وآدابها، وزيارة أهل البيت عليهم السلام.

روى في الفقيه[١]، عن محمّد بن سليمان الدّيلمي، عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين من مكّة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ومات مهاجراً إلى الله عزّ وجلّ وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر».

وروي فيه عن هشام بن المثنّى، عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال له: «ابدؤوا بمكّة واختموا بنا»[٢].

وعن عمر بن أُذنية، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم»[٣].

وفيه قال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا

---

(١) المصدر ص ٢٩٣ و٢٩٢ و٢٩٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

أبتاه ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلّصه من ذنوبه»[1].

وروى الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمّتهم شفعاؤهم يوم القيامة»[2].

وروى عليُّ بن الحكم، عن زياد بن أبي الحلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى يرفع بروحه وعظمه ولحمه إلى السماء وإنّما يؤتى مواضع آثارهم ويبلّغونهم من بعيد السلام»[3].

(١) نفس المصدر.
(٢) المصدر ص ٢٩٧.
(٣) الفقيه ص ٢٩٧.

في آداب التوجه من مكة إلى المدينة

وأما الآداب: فإذا توجّه من مكّة إلى المدينة، فيستحبُ أن يصلّي في مسجد غدير خمّ إذا انتهى إليه.

ففي الفقيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّه يستحبُ الصلاة في مسجد الغدير، لأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام وهو موضع أظهر الله عزَّ وجلَّ فيه الحقَّ».

وأن ينزل معرَّس النبيّ صلى الله عليه وآله ففيه[١] عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا انصرفت من مكّة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحُليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكّة فائت معرَّس النبيّ صلى الله عليه وآله فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافلة فصلّ، وإن كان غير وقت صلاة فأنزل فيه قليلاً، فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد كان يعرّس فيه ويصلّي فيه».

وروى عليُّ بن مهزيار، عن محمّد بن القاسم بن الفضيل قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: «جعلت فداك إنَّ جمّالنا مرّ بنا ولم ينزل المعرّس؟ فقال: لا بدَّ أن ترجعوا إليه فرجعنا إليه»[٢].

وسأل العيص بن القاسم أبا عبد الله عليه السلام عن الغسل في المعرّس،

(١) المصدر ص ٢٩٢.

(٢) نفس المصدر.

فقال: «ليس عليك فيه غسل»[(١)].

والتعريس هو أن يصلّي فيه ويضطجع فيه ليلاً مرَّ به أو نهاراً[(٢)].

قال أبو حامد: «فمن قصد الزيارة للمدينة فليصلّ على رسول الله ﷺ في طريقه كثيراً فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: **«اللّهمّ هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب»** وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرّة وليتطيّب وليلبس أنظف ثيابه، فإذا دخلها فليد خلها متواضعاً معظّماً».

وقال في الفقيه: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أو حين تدخلها، ثمّ ائت قبر النبيّ ﷺ وادخل المسجد من باب جبرائيل عليه السلام، فإذا دخلت فسلّم على رسول الله ﷺ ثمّ قم عند الأسطوانة المقدّمة من جانب القبر من عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن مما يلي القبر فإنّه موضع رأس النبيّ ﷺ ثمّ يقول: **«أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وأشهد أنّك رسول الله، وأشهد أنّك محمد بن عبد الله، وأشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربّك، ونصحت لأُمّتك، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدّيت الّذي عليك من الحقّ، وأنّك قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين، فبلغ الله بك أشرف محلّ المكرّمين، الحمد لله الّذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللّهمّ اجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقرّبين،**

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

وعبادك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبحَ لك يا ربِّ العالمين، من الأوّلين والآخرين، على محمّد عبدك ورسولك، ونبيّك، وأمينك، ونجيّك، وحبيبك، وصفيك، وخاصّتك، وصفوتك من بريّتك، وخيرتك من خلقك، اللّهمّ وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنّة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللّهمّ إنك قلت وقولك الحقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١) وإنّي أتيت نبيّك مستغفراً تائباً من ذنوبي يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلى الله ربّي وربّك ليغفر لي ذنوبي».

وأن كانت لك حاجة: فاجعل النبيّ ﷺ خلف كتفيك واستقبل القبلة وارفع يديك واسأل حاجتك فإنّك حريٌّ أن تقضى لك إن شاء الله.

ثمّ قل وأنت مسند ظهرك إلى المروة الخضراء الدقيقة العرض ممّا يلي القبر وأنت مسند إليه مستقبل القبلة: **«اللّهمّ إليك ألجأت أمري وإلى قبر محمّد عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله أسندت ظهري والقبلة الّتي رضيت لمحمد استقبلت، اللّهمّ إنّي أصبحت لا أملك لنفسي خير ما أرجو لها، ولا أدفع عنها شرّ ما أحذر عليها، وأصبحت الأُمور بيدك فلا فقير أفقر منّي، إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللّهمّ ارددني منك بخير لا رادّ لفضلك، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تبدّل اسمي، وأن تغيّر جسمي أو تزيل نعمتك عنّي، اللّهمّ زينّي بالتقوى، وجمّلني بالنعمة، واغمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية».**

ثمّ ائت المنبر فامسح عينيك ووجهك برمّانتيه فإنّه يقال: إنّه شفاء

(١) سورة النساء: الآية، ٦٤.

للعين، وقم عنده واحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله ﷺ قال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، وإنّ منبري على ترعة من ترع الجنّة وقوائم المنبر ربّت في الجنّة».

والترعة: هي الباب الصغير.

ثمّ ائت مقام النبيّ ﷺ وصلّ عنده ما بدا لك، ومتى دخلت المسجد فصلّ على النبيّ ﷺ وكذلك إذا خرجت.

ثمّ ائت مقام جبرائيل عليه السلام وهو تحت الميزاب فإنّه كان مقامه إذا استأذن على نبيّ الله ثمّ قل: «**أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أسألك أن تردّ عليّ نعمتك**» وذلك مقام لا تدعو فيه حائض فتستقبل القبلة إلاّ رأت الطهر، ثمّ تدعو بدعاء الدّم تقول: «**اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ اسم هو لك أو تسمّيت به لأحد من خلقك أو هو مأثور في علم الغيب عندك وأسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم، وبكلّ حرف أنزلته على موسى، وبكلّ حرف أنزلته على عيسى، وبكلّ حرف أنزلته على محمّد صلواتك عليه وآله وعلى أنبياء الله إلاّ فعلت بي كذا وكذا**».

والحائض تقول: «**إلاّ أذهبت عنّي هذا الدّم**»، وإن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيّام صمت يوم الأربعاء وصلّيت ليلة الأربعاء عند أسطوانة التوبة وهي اسطوانة أبي لبابة الّتي ربط نفسه إليها، وتقعد عندها يوم الأربعاء، ثمّ تأتي ليلة الخميس الأُسطوانة الّتي تليها ممّا يلي مقام النبيّ ﷺ فتقعد عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الخميس ثمّ يأتي الأُسطوانة الّتي تلي مقام النبيّ ﷺ ومصلاّة ليلة الجمعة فتصلّي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة، وإن استطعت أن لا تتكلّم بشيء هذه الأيّام إلاّ بما لا بدّ منه ولا

تخرج من المسجد إلاّ لحاجة، ولا تنام في ليل ولا نهار إلاّ القليل فافعل، واحمد الله عزّ وجلّ يوم الجمعة وأثن عليه وصلّ على النبيّ وآله ثمّ سل حاجتك، ثمّ قل: **«اللّهمّ ما كانت لي إليك من حاجة شرعت في طلبها والتماسها أو لم أشرع سألكتها أو لم أسألكها فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها»**.

ويستحب زيارة فاطمة عليها السلام، في المسجد قال في الفقيه[1]: «اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فمنهم من روى أنّها دفنت في البقيع.

ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما قال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»[2] لأنّ قبرها بين القبر والمنبر.

ومنهم من روى أنها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أُميّة في المسجد صارت في المسجد وهذا هو الصحيح عندي.

قال: وهو عند الأُسطوانة الّتي تدخل إليها من باب جبرائيل عليه السلام إلى مؤخّر الحظيرة الّتي فيها النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ ذكر لزيارتها كلاماً طويلاً من أراده فليطلبه من الفقيه[3][4].

---

(١) المصدر ص ٢٩٥.

(٢) ورواه الكليني في الكافي ج٤ ص ٥٥٣ و ٥٥٤.

(٣) ص ٢٩٥.

ما ينبغي عند دخول مكة

(٤) **قال النراقي في جامع السعادات**: ينبغي أن يتذكر عند دخول مكة: أنه قد إنتهى إلى حرم من دخله كان آمناً، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليضطرب قلبه من ألا يكون أهلاً للقرب والقبول، فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه=

= في جميع الأوقات غالباً، إذ شرف البيت عظيم، ورب البيت كريم، والرحمة واسعة، والفيوضات نازلة، وحق الزائر منظور، واللائذ المستجير غير مردود. وإذا وقع البصر على البيت، فليحضر في قلبه عظمته، وقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه، وليرج أن يرزقه لقائه كما رزقه لقاء بيته، وليشكر الله على تبليغه إياه إلى بيته، وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه، ويتذكر عند ذلك إيصاب الخلائق إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة، ثم إنقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين عنها، إنقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩١-٣٩٢].

* * *

أسرار نسك الحج الموصلة إلى الزيارة الحقيقية

قال العلامة التبريزي في المرقبات: لا بأس بالإشارة إلى بعض ما تبيّن لنا من أخبار آل محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أسرار نسك الحجّ الموصلة إلى الزيارة الحقيقيّة الباطنيّة فنقول:

الأولى: أن نتبرّك في ذلك أوّلاً بما روي عن الإمام سيّد الساجدين عليه السلام من أسرار النسك، وفسّر في هذه الرواية المقصود الحقيقيّ من كلّ واحد من أعمال الحجّ برواية الشبليّ وقال: لو لم تأت هذه الأعمال بهذه القصود كأنّك لم تأت بها أصلاً وأوّل نزول الميقات بالانخلاع عن المعصية، ولبس ثوب الطاعة ونزع الثياب التجرُّد من الرياء والنفاق، والغسل بالتطهير من الخطايا والذنوب، التنظّف بالنورة بالتوبة الخالصة لله.

والإحرام بتحريم كلّ ما حرّمه الله، والعقد على الحجّ بتحليل عقد غير الله، والدخول على الميقات بعد الإحرام بقصد زيارة الله والصلاة عند ذلك بالتقرُّب إلى الله، التلبية بالنطق لله تعالى لكلّ طاعة، والصون عن كلّ معصية، والدخول إلى الحرم بقصد تحريم كلّ غيبة لأهل ملّة الإسلام، ورؤية البيت برؤية بيت الله، قصد الله سبحانه، والقطع عن غير الله، والسعي إلى الهرب إلى الله تعالى، والاستلام بالحجر بالمصافحة بالله.

والوقوف على مقام إبراهيم بالوقوف على كلّ طاعة، والتخلّف عن كلّ معصية، الصلاة في المقام بقصد صلاة إبراهيم الخليل عليه السلام ولعلّ فيه إشارة إلى الوصول بالخلّة، والإشراف على زمزم والشرب منها على الإشراف بالطاعة والغضّ عن المعصية، والمشي بين الصفا والمروة بالكون بين الخوف والرجاء، الخروج إلى منى بتأمين الناس من اللسان والقلب واليد.

والوقوف على عرفة بمعرفة الله واطّلاع الله على السرائر والقلب، والطلوع إلى جبل الرحمة =

= باعتقاد أنّ الله يرحم كلّ مؤمن ومؤمنة، والمشي إلى المزدلفة والتقاط الحصى برفع كلّ معصية وجهل، وإثبات كلّ علم وعمل، وإلى المشعر بتشعير القلب شعائر أهل التقوى والخوف، والوصول إلى المنى ورمي الجمار بالبلوغ للمقصود وقضاء الحوائج، وحلق الرأس بالتطهير من الأدناس والخروج من الذنوب وتبعات بني آدم، ومسجد الخيف بعدم الخوف إلاّ من الله وعدم الرجاء إلاّ منه والذبح بذبح الطمع والاقتداء بخليل الرحمن في ذبح ولده، والرجوع إلى مكّة وطواف الإفاضة بالإفاضة برحمة الله والرجوع إلى طاعة الله والتقرُّب إلى الله تعالى.

أقول: ومن أجل أنّ المقصود الأصليّ من جعل الحجّ وكذا سائر العبادات تقوية جانب الروحانيّة، حتّى يكون الإنسان بشراً روحانياً، ويترقّى من عوالم الجسمانيّين إلى عوالم الروحانيّين، فيحصل له معرفة الله وحبّه وأُنسه، ويجتمع مع أوليائه في دار كرامته، وحسن أُولئك رفيقاً.

ولأنّ كلّ إنسان إلاّ ما شذّ وندر، قد كمل فيه الحوانيّة قبل البلوغ لفقدان العقل والعلم والعمل، حتّى قويت فيه الصفات الحيوانيّة من السبعيّة، والبهيميّة والشيطانيّة، وضعفت فيه قوّته العقلانيّة والروحانيّة، وصار موجوداً بما هو حيوان، فكأنّه في إهابه كلب وخنزير وشيطان بالفعل، وإنسان ضعيف بالقوّة.

اقتضى لطفه تعالى أن لا يتركهم على ما هم عليه، حتّى يبعث الأنبياء، وشرّع لهم الشرائع، والعبادات والنسك، حتّى يردُّوهم عن جسمانيّتهم إلى الروحانيّة، وعن عماهم إلى الهدى، وعن حيوانيّتهم إلى الإنسانيّة، وعن ظلمتهم إلى النور، وعن بعدهم إلى القرب، وجعل لهم تكاليف وعبادات تنفع بعضها في دفع الظلمة ورفعها، وبعضها في جلب النور وإثباتها.

وبعبارة أُخرى بعضها تؤثّر في التخلية وبعضها في التحلية وبعضها جامع لكلا الأمرين، والحجُّ من القسم الأخير لأنّه معجون إلهيٌّ مركّب من أجزاء نافعة جداً لجميع أمراض القلوب، العائقة لها من عالم النور، وقد أُشير في الرواية السالفة، إلى أنواعها، ومثل ما فيه من علاج البخل مثلاً ببذل المال، وعلاج الاستكبار بالخضوع والذلّ في أفعال الحجّ والطواف والصلاة، لا سيّما بما لا يعلم سرّه من أفعالها مثل الهرولة في موضع خاصّ، وعلاج الكسل بتحمّل مشاقّ أعماله إلى غير ذلك. =

= إذاً يلزم على المكلّف العاقل أن تكون همّته في حجّه، وكذا سائر عباداته على تأديته، بحيث يحصل منه مقصود شارعه وجاعله اللطيف، وهذا لا يتيسّر بالضرورة إلاّ بمعرفة المقصود من حقائق ما أُمر به، ليوقعه على وجهه ولا تفوته النتيجة.

أقول: كفى في ذلك ما في رواية الشبليّ من حكم تفاصيل جزئيّات الأعمال ثمّ العمل بما عرفه، والمراقبة في أن لا تفوته هذه الفوائد، وليعلم أنّ المراد من قوله عليه السلام في تضاعيف هذه الكلمات: فنويت من العمل الفلانيّ المعنى الفلانيّ؟ أن يتحقّق بحقيقة ما ذكر مثلاً، معنى قوله عليه السلام: «هل نويت بالتجرّد عن الثياب أنّك خلعت ثوب المعصية» أن ينخلع واقعاً عن المعاصي الحاضرة بالفعل، وعن الآتية بالعزم الصحيح، وهكذا لأنّ النيّة لا تصحُّ من المرتكب بالخلاف، بل يكون الاخطار بالضمير مع الارتكاب الفعليّ استهزاءً وغفلة لا نيّة.

وبالجملة المراد من النيّة التحقّق بحقيقة المنويّ لا إخطاره بالبال، ولو مع الاتّصاف بضدّه مثلاً، قال عليه السلام: «فنويت بالسعي بين الصفا والمروة أنّك بين الخوف والرجاء»؟ مقصوده عليه السلام أن يكون مردّداً بين الصفا والمروة، بالرجاء والخوف حقيقة، كالمتردّد في فناء دار السلطان، المشرف إلى لقائه، كيف يرجو منه فضله وقبوله، ويخاف من ردّه وأخذه وعقابه، ويتردّد مشغول الهمّ بين هذين الأمرين، بل تكون الرغبة والرهبة هما المحرّك له في نفسه هذه الحركة.

وإذ قد تبيّن ذلك، فاعلم أنّ أوّل ما يجب على كلّ مكلّف في كلّ عبادة تصحيح النيّة وإخلاصها صادقاً، وإجماله في المقام أن يكون باعثه لإتيان الحجّ المعرفة السابقة المذكورة، من كون الحجّ معدّاً لرفع الحجب بينه وبين الربّ وموصلاً لزيارة الله، ولا يدخل في قصده لحاظ غيره، ويعرف ذلك ببعض الكواشف.

ومن جملتها أن يكون حاله بحيث لو علم بعد تجهيز السفر وشيوع خبره بين الناس أنّ مقصوده يحصل بصرف مؤونته إلى غيره، بحيث لا يعلم أحد، وأنّ ذلك آثر عند الله من حجّه، ترك الحجّ ولا يكون ترك الحجّ عنده ثقيلاً، ولا يستحيي عن الناس، بل يكون وجود الناس وعلمهم واعتقادهم في حقّه بالطاعة والمعصية سواءً، وأن لا يثقل في قلبه تسوية الناس له في المعاملات مع غير الحاجّ وبهذا المقدار يعرف أنّه قصد بحجّه القربة وأنّه أخلص في كونه لله وأمّا أنّه قصد به خصوص مقام القرب والزيارة، فيعرف ذلك =

= أيضاً بسمة طالبي القرب واللّقاء من الجدّ في السعي والاهتمام والشوق وخفّة المشاقّ، بل ارتفاع المشقّة من البين، والاستظهار بكلّ القدرة في رفع الموانع.
روي في تفسير قوله تعالى حكاية عن الكليم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله، وثانياً أن يعمل بلوازم هذا القصد، ولعمري إنّ هذا القصد إذا تحقّق إنّما يكفي في البعث على لوازمه، ولا يحتاج زيادة تنبيه وتعليم، لأنّ تعليم طرق النياحة على الثكلى غلط، ومن البديهيّات أنّ كل ما يشغله عن الله من المحرّمات والمكروهات والمباحات، إنما هي مانعة عن الوصول إلى المأمول، فلا بدّ له من قطع علاقة الشهوات والمرادات لها إلاّ إرادة الوصول إلى الله.
وبالجملة لا بدّ لمن دخل هذا الميدان أن يتهيّأ بكمال جدّه ومبلغ استطاعته مستمدّاً من النفحات الإلهيّة الرحيميّة، والجذبات الربّانيّة اللطيفة، لتحصيل عُدّة حضور ربّ العالمين جلّ شأنه، والعمدة في ذلك تحصيل الشوق، والأولى في ذلك أن نذكر ما في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في وصف المشتاق وهو قوله عليه السلام: «المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذّ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ثياباً، ولا يقرّ قراراً، يعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه، ويناجيه بلسان الشوق معبّراً عن سريرته، كما أخبر الله تعالى عن موسى في ميقات ربّه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وفسّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا، ودع جميع المألوفات، اصرفه عن سوى مشوقك ولبّ بين حياتك وموتك (بقولك) لبّيك اللّهمّ لبّيك، هذا.
وببالي أنّ أغلب النسا مثلي ليس لهم هذه الهمّة، فالأولى أن نعرض عن تفصيل هذا النمط فنقول: إن لم تكن من أهل المحبّة والشوق، فلا محالة من أن تكون من المتوسّطين من أهل اليمين، الخائفين من افتضاح حضور مجلس الروحانيّين، فبادر إلى توبة صادقة واجبة على كلّ واحد من المكلّفين لا أقول: توبة الأولياء والأصفياء والخواصّ بل توبة العوامّ الّتي تجب على كلّ عامّي أن يتوب عن الذنوب والكبائر الفقهيّة فيما يأتي ويستعلج بما يقدر عليه ما مضى من تدارك ما فات من الواجبات والكفّارات وردّ الحقوق والمظالم على ما قرّر في محلّه.
والأولى أن يأتي بالعمل الوارد في شهر ذي القعدة من الغسل والصلاة والدعاء =

= لمريد التوبة ويدبّر بقدر تكليفه أُموره في وطنه وأهله، وأمانات ربّه، بحيث يفرغ قلبه عن الشغل بفكرها، ويوصي وصيّة ويفرض أنّه لا يرجع عن سفره هذا.

ولكن يكون تدبيره في ذلك لمحض أمر الله، وبقدر أمر الله، وأمّا في قلبه وسرّه فيوكّل أمر كلّ ما يتعلّق به في وطنه وأهله وجميع علائقه إلى ربّه، ويفوّض أمرهم وأمر نفسه وما معه في سفره إلى ربّ البيت، ويحسن رجاءه بحسن خلافته تعالى فيما خلّفه، وحسن صحابته وجواره - في طريق زيارته ودار وفادته - في نفسه وما معه، فإنّه نعم الخليفة، ونعم الصاحب، ونعم المزور.

وأيضاً ينبغي أن لا يحمل في سفره ما يشتّت فكره، ويفرّق خياله وهمّه من العلائق، من النسوان والأولاد والرفيق غير الموافق، والأسباب غير اللاّزمة أو ترك الأسباب اللاّزمة ولا يكون رفيقه إلاّ مثله في الحسب والمقدرة، لئلا يذلّ المؤمن، ولا يذل نفسه، ولا يكون كلاً على غيره، وينبغي أن يكون رفيقه أعلم وأتقى منه ليستفيد من صحبته، ويستكمل نفسه بتقليده، ويتذكّر بذكره.

وبالجملة يودّع بقلبه جميع ما خلّفه كلاً حتّى لا يشغل همّه عن التوجّه التامّ إلى ما قصده، ولا يستصحب معه شيئاً شاغلاً عن ذكر ربّه، وهمّ زيارته، والتقرّب إليه بتحصيل رضاه، ليكون همّه همّاً واحداً، وحاله في خدمته سرمداً، حتّى يكون زائراً مقصور الهمّ في زيارة حبيبه، وعبداً شاخصاً في خدمة مولاه، وإذا كان كذلك فلا بدّ أن يحسن خلقه مع رفقائه، ويعذب معاملته معهم، ويحبُّ صلتهم وخدمتهم، والتحمّل عنهم، ويلتذُّ منهم، ويستأنس بهم، حتّى الجمّالين والأكرة بل المراكب والمنازل كما قيل:

أمرُّ على الدّيار ديار ليلى ... أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
فما حبُّ الدّيار شغفن قلبي ... ولكن حبُّ من سكن الدّيارا

ولعلّ من هذا الباب ما روي عن السيّد السجّاد وإمام الزّهاد أنّه كان يستصحب في زاد سفر الحجّ لوزاً وسكّراً وغير ذلك من الحلويّات، فلا بدّ أن يكون ذلك منه عليه السلام ليصرفها في الحجّاج، وينفق في سبيل الله لزوّار الله أحسن النفقات، ولأنّ ما يصرفه في هذا الطريق مصروف في الحبيب، وهو بعين الحبيب.
=

= وحينئذٍ لا يتصوّر أن يثقل عليه ما يتلف منه، أو يصرفه باختياره من ماله، ويبذله من جاهه وقوته، ولا يقل عليه جفاء الخادم والرفيق، بل يحلو عنده مرُّ أذاهم، يقابلهم من سوء المعاملة بالرفق والإحسان، ومن الأذيّة بالشكر والامتنان، لأنّ رضا الخالق في جفاء المخلوق كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ.

ثمّ إنّه ينبغي أن يقدّر سيره في الطريق سيراً إلى الله وتقرُّباً إليه وبالجملة أيضاً زاده الّذي هو التقوى، وراحلته الّتي هي بدنه، ورفيقه الّذي هو أهل التقوى من المؤمنين، ودليله الّذي هو من يهديه إلى ربّه من أهل العلم واليقين، وأمير الحاجّ الّذي هو إمامه عليه السلام.

ومراعاة التقوى أن يجاهد نفسه في تحصيلها بمراتبها وأوّل مراتبها التقوى من المحرّمات، ووسطها التقوى من الشبهات، وآخرها التقوى من كلّ ما يشغله عن الله حتّى المباحات.

ومراعاة بدنه بتدبير أمره بحيث يحمله في سفره إلى الله، ويحمل زاده، ويطيعه في الحمل وقطع الطريق، ولا يعصيه في ذلك إلاّ عن الضعف ولا عن الجموح.

وأمّا مراعاة الرفيق وهو أن يتّخذ لنفسه إخوان الصفا، ويحذر عن مصاحبة إخوان المكاشرة، ويجتهد في اتّحاد قلبه وعمله مع إخوانه، في تحصيل معرفة الله ومحبّته، وفي التّعاون على ذلك كلّه، فإنّ للاجتماع واتّحاد القلوب والهمم تأثيراً خاصّاً في نيل المقصود.

وأمّا مراعاة الدليل وهو المقلّدُ في المسائل الفقهيّة، ومعلّم الخير في تهذيب الأخلاق، والعارف الكامل في المراتب العرفانيّة، فمراعاته الاقتداء به، الاستضاءة بنوره، والاستهداء بهداه.

وأمّا مراعاة أمير الحاجّ وهو خليفة نبيّه صلى الله عليه وآله وإمام زمانه عليه السلام، ومراعاته معرفته وولايته وطاعته، وهذا أهمُّ الأمور وأوجبها، ولا يتيسّر السير إلى الله بغير ذلك، هو من الضروريّات، ولم يدع إلى شيء مثله في هذا الطريق، ومن تخلّف عن أمير الحاجّ انقطع عن الطريق، ويهلك مع الهالكين، ويلحق بحزب الشياطين.

وبالجملة معرفة الإمام وولايته شرط في صحّة العمل وقبوله، فلو أنّ عبداً صام دهره وقام تمام عمره بصلاة وعبادة وحجّ، وتصدّق بجميع ماله، لم يتقبّل منه إذا لم يعرف إمام زمانه، أو لم يواله، ولم يكن ذلك بدلالته.

وكيف كان يكون جدُّه وهمّته في إصلاح نفسه، والاستخلاص من عوالم الطبيعة، =

= إلى عوالم النور، بحيث يستعدّ قلبه وروحه لمشاهدة أنوار الجمال، وكشف سبحات الجلال عند زيارة البيت، رزقنا الله وجميع أوليائه مثل هذا الحجّ.

لا يقال: إنّ ما ذكر لا يتيسّر إلاّ للأنبياء وخواصّ الأولياء، بمجاهدات صعبة، وتحمّل مشاقّ كثيرة، في مدّة سنين، وأمّا أمثالنا فلا يمكن نيلنا بذلك، وإن فرضنا الإمكان أيضاً لا ينال إلا بمجاهدات أعمار طويلة، وأمّا في مدّة سفر الحجّ الّتي لا تزيد على شهرين أو ثلاثة أشهر، فلا مطمع لأحد في الوصول إلى مثل هذا الأمر الجليل العزيز الوقوع.

لأنّا نقول: إنّ هذه الخطرة إنّما هي من الخبيث ليسدّ عليه الباب، فإن تبعها فقد سدّ الباب وأضلّه عن الطريق، وإن ردّها بأنّ الله تعالى إنّما دعا عباده المؤمنين لنيل هذا المراد، فلو كان محالاً لما دعاهم إلى ذلك، وأنّه إن كان ذلك بحولنا وقوّتنا فما قلته حقٌّ لا ريب فيه، إلاّ أنّه لا يختصّ في الطمع لذلك المرام بل هو مشترك بالنسبة إلى جميع الخيرات، بل جميع الأمور لأنّه لا يوجد الخير إلاّ من عنده ولا حول ولا قوّة بل ولا إرادة ولا وجود لأحد إلا بالله ومن الله.

وإن كان بحوله وقوّته، ونفحات فضله وكرمه، فهو أقدر الأقدرين، وأكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وقد أخبر عنه وسائط فضله، ووسائل عباده إليه أئمّتنا عليهم السلام بأنّ الراحل إليه قريب المسافة، وأنّه لا يحتجب عن خلقه، إلاّ أن تحجبهم الأعمال السّيئة دونه، هذا.

وإذا فَقِهَ الحاجّ معنى الحجّ واشتاق إليه، وعرف عدّته الظاهرة والباطنة فليقصد عند إتيان كلّ ما يفعله في حجّه من اللوازم العاديّة والعباديّة ما يناسبه من أحوال حجّه الحقيقيّ الواقعيّ وليراقب في صحّة أفعال حجّه الظاهريّ.

مثلاً إذا قصد إلى مهاجرة الأهل والأولاد والأوطان قصد بذلك مهاجرة الشهوات والمعاصي، وكلّ ما كره الله، بل كلّ ما يشغله عن الله، ويعامل فيما خلّفه برضا الله، ويقدرّ في نفسه أنّ الله تعالى سيسأله عمّا خلّف، كيف خلّف؟ وأنّه لا يعود إليهم ولا يلاقيهم إلاّ يوم القيامة، وأن يسترضي ويستحلّ عن كلّ من يعرفه.

وليتذكّر بسفره هذا سفر آخرته، وإذا قصد حمل الزّاد أوجب على نفسه حمل زاد سفر الآخرة وهو التقوى، ويداقّ في حلّ زاده، ويستكثر من الزادين للسفرين، قصد باتّخاذ الراحلة أنّه يحتاج في سفر الآخرة أيضاً إلى الراحة، وأنّ مطيّة سفر الآخرة بدنه، =

= ويجب مراعاته وتعاهده كما يتعاهد المطايا في السفر، علفه بما يلزمه من التقوية، ويمنعه عمّا يزيد على ذلك، ولا يبعثه على الجموح ويسوقه بما يتقوّى عليه، ويحمل عليه ما يحتمله، ويراعي حقوق كلتا المطيّتين ما استرعاه الله.

وأمّا قطع البوادي، والسير في الفيافي، ونزول العقبات، فيتذكّر بذلك عقبات سفر الآخرة من حين الموت إلى حين نزول دار الثواب، فإنّ فيها عقبات كؤودة لا يجوزها إلاّ الكبّاؤون في الدّنيا من مخافة الله، وأيسرها الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى.

وأمّا لبس ثوبي الاحرام فليقصد بخروجه عن أثوابه خروجه عمّا يخالف إرادة الله، بلبس ثوبي الإحرام لبس لباس التقوى، ولباس التقوى هو خير، ويتذكّر به كفنه الّذي يشبهه وأنّه سيلفّ به.

وأمّا نفس الإحرام والتلبية فهو بمنزلة إجابة الله حيث دعاه بلسان خليله على نبيّنا وآله وعليه السلام فليكن على خشية ورجاء من الردّ والقبول.

وليتذكّر ما روي عن سيّد الساجدين عليه السلام أنّه غشي عليه حين أحرم ولبّى ولم يفق حتّى قضى حجّه وسئل عن ذلك قال: خشيت أن يقال: لا لبيّك ولا سعديك.

وروي أنّ من حجّ من غير حلّه ثمّ لبّى قال الله عزّ وجلّ: لا لبيك ولا سعديك، حتّى تردّ ما في يديك وليكن على ذكر من نداء الله الخلائق للحشر بنفخ الصور وازدحامهم على العرصات.

وأمّا دخول الحرم، فليقوّ رجاءه على كرم الله وفضله عنده، ليأمن من سخط الله وغضبه مع خوف ما عن الرّدّ واستدراج، فلا يأمن مكر الله، ولكن يكون رجاؤه أغلب لأنّ شرف البيت عظيم، وربّ البيت أكرم وأرحم، وحقّ الزائر مرعيٌّ وذمام المستجير عليه غير مضيّع، والكريم يسامح مع الوافدين ما لا يتسامح مع غيرهم، لتكن عليه سمة العبوديّة والخشوع والذلّ كما ورد في الأخبار من أخذ إحدى نعليه بيده.

وبالجملة كلّ ما قدر عليه من الجدّ في إظهار الخشوع والتذلّل فليأت به، ويكون مثل حاله مثل ما يروى من أحوال العصاة يوم القيامة إذا ظهر سلطان الله، وأُشير إليه في القرآن الكريم، بقوله: و﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] ولكن مختلطاً بسكر الحبّ، وهيجان الشوق، وليكن نظره إلى أرض الحرم وسكك مكّة، ودورها لا سيّما إلى البيت نظر هيبة ومحبّة وليكن يقوّي جهة المحبّة. =

= ويكثر من قوله: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وإن ساعده التوفيق أن يتجلّى له عند التسبيح سبحات الجلال، وعند الحمد أنوار الجمال وعند التهليل صفة التوحيد، ويلقي عند التكبير جبل الأنانية، ويكبّر على ما سوى الله فقد فاز ونال.

وأمّا الطواف فهو من وظائف عين الزيارة بعد الوصول، كما شبّهه رسول الله ﷺ بالصلاة، والصلاة الزيارة كما فسّر خليفته ووصيّه أمير المؤمنين عليه السلام: «وقد قامت الصلاة» بقوله: أي حان وقت الزيارة.

وأمّا الاستلام فيقصد به البيعة لله بالطاعة ونفي الاختيار، ويقصد بالتعلّق بالأستار والالتزام، الالتجاء للقبول والعصمة والتبرّك بالمماسّة.

وأمّا السعي فمثله كمثل من يتردّد بين الخوف والرجاء بعد الوفود على السلطان، لمنتظرٍ لاستعلام آثار القبول المتردّد في فناء بابه.

وأمّا الوقوف بعرفة فتشمّر بجدّك أن تنال فيه بكمال المعرفة.

واعلم أنّ اجتماع الحجّاج في الدعاء في صعيد واحد لا سيّما بلحاظ حضور الصلحاء وأهل الباطن من الأبدال والأوتاد، أو غيرهم من الكاملين الّذين لا يخلو الحجّاج من بعضهم لا محالة، مع اجتماع القلوب والهمم، لاستنزال الرحمة، واستمطار سحائب الجود والكرم، بمد الأعناق، وشخوص الأبصار، والتضرع والبكاء، والابتهال، كاد أن يكون علّة تامّة للاجابة، فإنّ لاجتماع القلوب والهمم تأثيراً خاصّاً في نجح المقاصد، والوصول إلى المطالب، ولذا قيل: إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر أحد عرفات، ويظنُّ أنّ الله تعالى لم يغفر له.

وأمّا الوقوف بالمنى فيقصد به المصافاة والتأمين بعباد الله من المضادّة والخلاف في طريق الوداد، وبالتقاط الحصى رفع كلّ خلاف ومعصية لله عزّ وجلّ، وإثبات كلّ علم وعمل، وبرمي الجمار البلوغ للمقصود، وقضاء الحوائج، وبالذّبح قطع الطمع عن غير الله، والاقتداء بخليل الله، وبالرجوع إلى مكّة، وطواف الافاضة الافاضة برحمة الله والرجوع إلى قرب الله.

وأمّا آداب الزيارة للنبيّ ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ففيها أمور مهمّة نشير إلى إجمالها:

أوّلها: معرفة حرمة المزور، ومعرفة حقّه عليك فنقول في ذلك: إنّ الّذي عليه عقيدة=

= أهل الإسلام كافّة أنّ نبيّنا صلوات الله وسلامه وآله أشرف خلق الله، كافة، وأنّه سيّد خلق الله، وأنّه حبيب الله، وورد في المعتبرة عنه ﷺ أنّه أوّل خلق الله، وأنّه دنا في معراجه من ربّه مقاماً لم يقدر جبرئيل أن يصاحبه، وأنّه: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩] دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى، وأنّه اسم الله الأعظم، وأنّه صاحب الوسيلة والحوض، والشفاعة الكبرى، وأنّه المثل الأعلى وأنّه واسطة بين الله تعالى وجميع الممكنات، وأنّه الحجاب الأقرب، وطرف الممكن.

بالجملة يعرف أنّه من الله تعالى بمكانة يغبطه بها الأوّلون والآخرون، من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرّبين، وأنّه لا يمكننا أننصل إلى كنه معرفته. وأمّا معرفة حقّه فيكفي في ذلك حديث لولاك، وأنّه علّة غائيّة لجميع الخليقة، وأنّه رحمة للعالمين، هذا بالنسبة إلى عامّة الممكنات، وأمّا خصوص أُمّته فيزداد لهم حقوق هدايته الخاصّة، وتحمّل ما وصل إليه من الأذى في ذلك، حتّى نطق بقوله: «ما أُوذي نبيٌّ مثلي» وهو ما ينطق عن الهوى بتصديق الله جلّ جلاله في كتابه.

وإذا عرفت جلالته وحقّه وعلمت أنّه حيٌّ عند ربّه ينظر إلى زوّاره ويسمع سلامهم، ويعرف ضميرهم، ويستغفر لذنوبهم، ويشفع في حوائجهم، فعند ذلك تزوره كأنّه حيٌّ يراك ويشافهك، ولا يشغلك شيء عن التوجّه إليه، وتتوجّه بمجامع وجودك إلى حضرته، مع هيبة ومحبّة، وتملّق وحياء، وتراقب أدب حضوره، ولا تسأم عن طول مناجاته، وعرض حوائجك عليه، ولا تكلّم أحداً في حرمه، بل ولا تنظر إلى شيء يشغلك عن مراقبتك علمه بك، ونظره إليك، تستعلج لجميع أمراضك وحوائجك باستجلاب عطوفته، واستمطاره سحائب جوده ورأفته ﷺ.

واعلم علماً يقيناً أنّه ﷺ أكرم جميع الخلائق، وأجود من كلّ جواد كريم جواد عطوف، شفيق رفيق، ودود رؤوف، وقد وصفه الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز بخلق عظيم، ولا تتسامح في الاسترحام والسؤال، والتضرُّع والابتهال، فإن الكريم لا يضيع حرمة الوافدين، ويتسامح في تقصيراتهم وزلّاتهم ويصفح عن عمدهم وخطئهم.

وتذكّر معاملته مع قاتل عمّه حمزة عليه السلام حيث قبل توبته، وتفكّر فيما ناله منك من الجفاء والإيذاء، حيث تُعرض عليه أعمالك، ويرى معاصيك وذنوبك، ويتأذّى بذلك، وكم من أذية ومكروه قد أوصلت إلى قلبه الشريف بسوء عملك، أوجعت صدره العزيز بقبيح أعمالك.

= وليكن عليك سمة الحياء عند زيارتك، واعتذر إلى كريم فنائه وجنابه لا محالة عن ذلك، ولا تضنّ عن الإعتذار بقدر جنايتك، فإنّ لكلّ جناية إعتذاراً يليق بها ويناسبها، وتلطّف في الشكر والثناء بقدر نعمه عليك.

ولعمري إنّك لا تؤدّي حقّ اعتذار جناياتك، ولو نطقت بجميع جوارحك طول عمرك بالاعتذار، ولا تأتي بحقّ شكره ولو شكرته مدى الأعمار والأعصار، لأنّ الجناية الحقيرة تعظم مع عظمة المجنيّ عليه، ومع لحاظ إحسانه إلى الجاني، فإذا جاوز العظمة عن الحدّ، وكثر الإحسان فوق حدّ الإحصاء، قصرت الألسن عن أداء حقّه، والأعمار عن بلوغ غايته.

وهكذا حقّ الشكر إنّما يتزايد بزيادة جلالة المنعم، وكثرة النعم وجزالتها وليس لحقّ نعمة الوجود ولا الهداية غاية، ولا لجلالة رسول الله ﷺ منتهى، حتّى يقدر أحد من أُمّته على أداء حقّ شكره، فيجب بحكم قاعدة الميسور أن يبذل طاقته في أداء الاعتذار، ويجتهد بكلّ قدرته في الشكر، ويعترف بقصوره عن أداء حقّهما.

وإذ قد سمعت هذه الأُمور فلا عليك أن تجتهد بكلّ جهدك ومقدورك في زيارته ﷺ فإنّك أحكمت مباني معرفته، ومعرفة حقوقه وفوائده ومراحمه وكنت على يقين من ذلك فلا بدّ أن تبعث هذه المعرفة في قلبك شوقاً إلى زيارته لا سيّما بلحاظ ما ورد في فضل زيارته، والمشتاق لا يحتاج إلى تعليم مراسم الوداد ولا يمتنع عن الجهد والاجتهاد، في الوصول إلى مشوقه ورضاه، وعرض الشوق والملق والاستكانة بما لا يخطر على ضمير غيره، بل يسير في طريق زيارته برأسه لا برحله كما حكي عن البسطاميّ والرابعة العدويّة أنّهما صليّا في طريق مكّة المشرّفة في كلّ قدمين ركعتين، فلا بدّ للزائر المشتاق أن يعامل في طريق زيارته مع كلّ من يتعلّق بهذا الطريق ومع كلّ ما يتعلّق معاملة المحبّ فيرفق بالزوّار والأكرة والخدّام والدوابّ ويتحمّل أذاهم ويخدمهم، بل ولا يرى إيذاءهم أذيّة وينفق عليهم ويكرمهم حتّى يقرّب من بلد المزور، فيزداد شوقه ويجدّ في السير يخاطب الطريق ويسلّم على الديار ويحنّ إلى رؤية سواد البلد، وآثار المشهد.

وإذا شرّف برؤيته يخرّ ساجداً لله ويقوم مسلّماً وباكياً بإظهار الشوق والملق ويقدّر في نفسه زمن حياته ﷺ وأنّه كان يتوطّن في هذه البلدة، ويمشي في سككها، ويسكن في دورها، وأنّ هذه المحالّ مواضع أقدامه الشريفة، ومواطن جسده المبارك. =

= ويتبرّك بدخول البلد، ويتاقل عن المشي فيها بالأقدام، لا سيّما مع النعل ويقبّل جدرانها وترابها، ويمسُّ وجهه بأرضها محبّة ويقول:

أمرُّ على الديار ديار ليلى أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

ويهاب من دخوله ويدعو الله عنده بالتوفيق والاذن، ويستأذن من حضرة رسول الله ﷺ ويعرض إلى جنابه شوقه إلى زيارة وجهه المبارك، ويشتكي من فراقه وغيبته وما بلغ به الأمر بعد وفاته، من كيد المنافقين، وغشم الظالمين، حيث غصبوا الخلافة وتأمّروا على الناس، وأضلّوا الأنام، ووثبوا لظلم آله البررة الكرام، منعوا إرث سيّدة نساء العالمين، إجمالاً.

ثم يغتسل ويلبس أنظف ثيابه، ويتطيّب بما يقدر عليه، ويقصد حرمه على سكينة ووقار، ويمشي إليه ويقرّب بين خطاه، مسبّحاً، حامداً، مهلّلاً مكبّراً مصلّياً، ويقدّر أنّه بمرأى منه صلوات الله عليه وآله، يراه وينظر إلى حركاته، وخطرات ضميره، ويشاهد مراتب أشواقه، وحسرات قلبه وأحزانه.

ويتوجّه بكلّه إليه ويهتمُّ أن لا يخطر غيره - صلوات الله عليه وآله - بقلبه ولا ينظر في طريق زيارته إلى أحد بل إلى شيء من الأشياء ليشغله عن حضور قلبه.

وإذا وصلت إلى باب الحرم فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون، ولا يؤذن لزيارته إلاّ الصدّيقون وأنّك أردت حرماً لا يدخله الأنبياء والمرسلون، والملائكة المقرّبون بغير إذن، فاستأذن بقلبك ولسانك الله جلّ جلاله ثمّ استأذن حضرة رسول الله ﷺ ثمّ خلفاءه وأوصياءه، لا سيّما باب مدينة علمه والبقيّة من خلفائه، ثمّ استأذن ملائكة الله الموكّلين بحرمه الشريف، وهب القدوم إلى بساط خدمته، وحضور مجلسه، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت.

واعلم أنّه قادر بالله جلّ جلاله على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك بكرمه وفضله، وقبلك وقبل زيارتك، وأجاب سلامك، واستمع إلى كلامك، طوبى لك، ثمّ طوبى لك، فإنّك فزت لزيارة الله جلّ جلاله، شاركت في ذلك الملائكة المقرّبين، والأنبياء والمرسلين، وحسن أُولئك رفيقاً.

وإن طالبك باستحقاقه ما يجب عليك من الصدق والخلوص، والاخلاص والوفاء، والأدب والصفاء، وحجبك وردّك، فويل لك، ثمّ ويل لك، وقد خسرت خسراناً مبيناً. =

= واعترف بعجزك وتقصيرك، وانسكراك وفقرك، بين يديه، فإنّك قد توجّهت لزيارته ومؤانسته، فاعرض حالك وسرّك عليه، واطلب الهمّة منه بالتوسّل إليه، والالتجاء إلى باب فضله وكرمه، والاستشفاع بعترته وذريته، فإنّه يعلم بإعلام الله وإخباره كلّ ما سنح بخاطرك، وخطر ببالك في ذلك، وكن كأدون عبيده ببابه، وانظر من أيّ ديوان يخرج اسمك.

فإن رقّ قلبك، ودرّت عيناك، وهاج شوقك، ووجدت في قلبك حلاوة مناجاته، ولذّة مخاطبته، وشربت بكأس كرامته، من حسن إقباله عليك وقبوله فادخل فلك الإذن والأمان، واللّطف والإحسان، وإلاّ فقف وقوف من انقطع منه الحيل، وقصر عنه الأمل، والتجأ إلى الله جلّ جلاله التجاء المضطرّين في استعطاف قلبه الشريف، واستدرار لطفه المنيف.

فإن علم الله من قلبك صحّة الاضطرار، وصدق الالتجاء إليه، نظر إليك بعين الرحمة والرأفة، وعطف عليك قلب حبيبه بالكرامة والعطفوفة، ووفّقك لما تحبُّ وترضى، فإنّه كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه، المحترقين على بابه لطلب رضاه، وقد أنزل في كتابه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقبّل عتبته الشريفة، وادخل قائلاً: «بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله، الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، ثمّ امش بسكينة وخشوع وذكر حتّى تقف قبال الضريح المقدّس وقبّله وسلّم عليه بحقيقة السلام وعلى آله وآبائه وعترته على التفصيل والترتيب، وبالغ في عرض التسليم والتصلية.

واعلم أنّ السلام من أسماء الله تعالى أودعه خلقه، ليستعملوا معناه في معاملاتم فمن لم يقدر على أن يستعمل معنى السلام مع نبيّه فهو لا يقدر أن يستعمله مع أحد من الناس، واستعماله مع رسول الله ﷺ أن يعامله معاملة لا تؤذيه ولا تسيئه لا محالة وهل ترى أن يرى رسول الله مع ما فيه من الشفقة على أمّته - معاصيك الكبيرة ولا يسيئه ذلك، ولا يتألّم منها، فأين السلام؟

وبالجملة فلك أن تقدّر حضوره - صلوات الله عليه - بين يديك، وهو متوجّه إليك، مقبل عليك، يرى ويسمع كلّ ما تفعله في ظاهرك وباطنك، وهو مطّلع على سرائرك، وخفايا أمورك وأعمالك.

=

= إذاً كيف يكون حالك لو كنت متلبّساً فعلاً بما نهى عنه من لباس بدنك أو حرّمه من تملّك مال غيرك، أو عدم ردّ حقوق عترته، وذريّته، أو الفقراء من أُمّته، أو شيء من حقوق الله جلّ جلاله وأنت قائل في زيارته: «أنا محلّل حلالك، محرّم حرامك» أو قائل: «زرتك يا رسول الله ﷺ مستبصراً بضلالة من خالفك» ألست أنت هذا المخالف الضالّ أو تستثني نفسك من المخالفين!

أو ما تقول في زيارته: «بأبي أنت وأُمّي ونفسي ومالي وولدي» وكيف تفديه بذلك كلّه وأنت تخالف أمره ونهيه في مقدار قليل من المال، ولو قال لك: «يا كاذب أتخدعني» ماذا جوابك؟ واحذر أن تكذب في دعواك بحضرته، وهو قد حرّم الكذب، واعلم أنّ الكذب من من يعلم الكاذب أنّه يعلم كذبه، قد يكون استهزاءً، العياذ بالله، من هذا الأخطار.

وبالجملة زيارته - صلوات الله عليه - أمر عظيم وقد روي في ذلك أنّه يزور زائرة مرّتين، ولكن خطره أيضاً عظيم جدّاً، فاحذر أن تقع فيه بجدّك، ولا تحسبه هيّناً وهو عند الله عظيم.

والأهمُّ أن تستحكم معرفته وعظمته وعلمه بحالك وسرائرك، وأن تعرف آفات قولك وعملك، وحقائق دعواك، فإذاً إن لم تقدر على إصلاح قلبك وعملك فلا محالة من أن تعترف بتقصيرك، ويكون عليك حياء المقصّرين، مع خوف وخضوع وتذلّل بقدر جنايتك، فإذاً لا ترى حيلة إلاّ التوسّل إليه، والالتجاء إلى باب كرمه وصفحه، مع اضطراب القلب، من الأخذ بالجناية والردّ واللّعن، الخسران المبين والهلاك الدائم، أو الصفح والعفو، والكرم والتفضل، أن يشغلك خطر هذه الأحوال لا محالة من دالّة المطيعين.

ولو كان قلبك متأثّراً من هذه الأحوال، فلا محالة من أن تظهر بعض أثراتها في ظاهرك، فإنّ الخائف من الردّ والأخذ، ترتعد جوارحه، ويتغيّر لونه، أما سمعت أنّ الإمام السجّاد عليه السلام مع عظمته وعبادته، كيف تغيّر لونه عند قوله: «لبّيك اللّهمّ لبّيك» وغشي عليه وسئل عن ذلك وقال - بنفسي هو وروحي وأرواح جميع العابدين المراقبين -: خشيت أن يقال في جوابي لا لبّيك.

وانظر يا مسكين هذا الإمام حجّة الله المعصوم من الزلل، والمطهّر من الإثم كيف يتأثّر من هيبة العظمة، فكيف بنا لا نخاف أن يقال في جواب سلامنا لا عليك السلام، أو يقال وعليك اللعنة والعذاب. =

= وبالجملة يجب على الزائر بحكم العدل أن لا يحضر هذا المحضر العظيم إلاّ بعد توبة صادقة مطهّرة له لا محالة من المخالفة الفعليّة، حتّى يأمن من الردّ وينجو من ورطة العتاب، فإن لم يوفّق لذلك، فله أن يدخل من غيرها من الأبواب الّتي دخل منها غيره من المقيّدين في أسر الهوى، والمكبّلين المنهمكين في الرّدى فظفروا بالتجاوز والصفح الجميل، والفضل النبيل، من أبواب الاعتراف، والاعتذار والحياء، والتوسّل والاستغفار، والالتجاء والاضطرار، فإن لم تسمح نفسه العوّادة بالإهمال، باحتمال لوازم هذه الأبواب، فلا محالة من أن يدخل من باب عدم القنوط من الإجابة.

وتدعو الله جلّ جلاله بالرجاء في استعطاف قلب رسول الله ﷺ عليك فإنّ إبليس دخل من هذا الباب وظفر بالمراد، ولتقل في دعائك: «اللّهمّ يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس، حيث استنظره، فاستجب لي كما استجبت له، فإنّه دعاك وهو عاص، وأنا أدعوك وأنا عاص، فكما أنّ إجابتك شملته حيث دعاك ولم يقنط من رحمتك، فلتشملني وأنا أدعوك وأرجو إجابتك».

وإذا دخلت من هذا الباب لا يقنطك ربّك، وهو عند حسن ظنّ عبده به، كيف وهو الّذي أنزل في كتابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وإذا رغب الله جلّ جلاله في عطوفته عليك، يقبل عليك رسول الله ﷺ بالقبول والاجابة، والعطف والرحمة، ويضمّك إلى كنف رأفته وحنانه، ويكون عليك كالأب العطوف، والأمّ الرؤوف، يلبّيك بالجواب، ويجيبك عن الخطاب، فتظفر بالمراد وفوق المراد، وتفلح أبد الآباد.

وإذا راقبت هذه الخصال وأتيت بهذه الأحوال، وتمثّلت بين يديه للزيارة وعلمت إقباله عليك، فلك أن تناجيه بلطيف مناجاتك، وتبثّ في حضرته حوائجك وتشكو لديه ما نالك من هجرة وفراقه، وما بلغ به الحال من مصائب ذرّيّته، غصب حقوقهم، وتآمر المنافقين عليهم، وما نالهم من القتل والأسر والهوان، وما بدّل بعده من الأحكام، وغيّر من شرائع الإسلام، وتشتكي عنده من سوء حالك وشدّة بلواك.

وتذاكر ما كان عليه من حسن الحال أصحابه، والمقتبسين من أنواره، المستمتعين بوعظه=

= وبرهانه وبركات زمانه؛ وما فازوا به من العيش في ظلال عطوفته ونالوا به من فضله وكرامته.

وقل: «يا رسول الله ﷺ كنت زمن حياتك في الدنيا علماً للدّين، ومناراً للهدى، حلالاً للمشكلات، ومبيّناً للمعضلات، مخبراً عن الله وصفاته ورضاه، يرجع إليك من استشكل عليه الأمور في الدين والدنيا، فتكشف عنهم ظلم الأستار، وتهديهم إلى جلائل الأنوار، وكنت كهفاً للأرامل، وأباً للأيتام، وكنزاً للفقراء والمساكين، ملاذاً لذوي الضرّ والحاجات، وكان التقوى بك سهلاً لأهل الدين والسير إلى الله منهلاً عذباً للسالكين».

«وقد خلّفت في الأُمّة من يقوم مقامك لهذه الخصال، وقد كان بعدك ما قد كان، حتّى آل الأمر إلى غصب الخلافة، وقتل الذرّيّة، واختفاء الخليفة، وغيبة البقيّة، وضلال الأمّة، وابتلاء المسلمين بالمشكلات، وتحيّرهم هي المعضلات وبقيت الأرامل في البلوى بلا كهف، والأيتام بلا أب، والفقراء بلا شيء، وذوي الحاجات بلا ملاذ، وعسر التقوى في الدين، وصعب الطريق إلى الله من تغلّب المتأمّرين على المسلمين، وبقينا بعدك في تيه الضلال، بلا نور ولا هداية، وكثر الظلم، وانتشر الجور، وطوي بساط العدل، وضعفت أعلام الدين، وانطمست آثار الإسلام، وتفرّقت كلمة المسلمين، واختلفت أهواؤهم، وذهلت العقول، اندرست العلوم، ولم يبق شيء إلى عود الجاهليّة الأولى».

«يا رسول الله ﷺ لولا ما يلوح لنا من أثرات أنوار الولاية، من تحت سحائب العماية، ويظهر من بركات أنوار شمس الخلافة، من غيب أستار الضلالة والغواية، لم يبق من الإسلام اسم، ومن الإيمان رسم، عاد الإسلام كفراً، والعقل جهلاً، والوصل هجراً، عبدت الأصنام والأحجار، وصار المسلمون كفّاراً، وقد صرنا بفقدك وغيبة خليفتك كأيتام بلا أولياء، وأُسراءٍ بلا خفراء، ورعيّة بلا حماة، أغنام غاب عنها الرعاة، فارحمنا وترحّم علينا يا رحمة للعالمين».

«ومر سبطك الإمام، وخليفتك على الأنام، بالظهور وسطوع النور، في طخياء الديجور، لحماية الإسلام، وإحياء القرآن، وإحكام الإيمان، وتقوية الأحلام ونشر العدل، وطيّ الجور، وحفظ دماء المؤمنين، وأعراض المسلمين، وتربية العالمين».

«وارغب إلى ربّ العباد والبلاد، في إنجاز الميعاد، ونصر العباد، وقد ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، نشكو إليك - ولا مشتكى سواك - فقد إمامنا، وغيبة=

= سيّدنا، وشدّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، وكثرة الأعداء، وشوكة الكفار، وغلبة الفجّار، والطغاة الأشرار، وقد عظم البلاء، وبرح الخفاء وضاقت الأرض والسماء».

وبالجملة تناجيه صلّى الله عليه وآله وتبثُّ لديه أشواقك إلى زمن حضوره وإشراق نوره، وتشتكي إليه من هجره وممّا نالك من البلايا العامّة والخاصّة، ثمّ تقرُّ عنده بإسرافك على نفسك، وتقصيرك في عبادة ربّك، وتسأله أن يستغفر لك الله، وأن يعالج داءك بدوائه، ويكمّل عقلك، ويتمّ نورك بدعائه، ويلحقك بأوليائه، ويقبلك لجواره، فإنّه أكرم الخلائق لا يردُّ وافده وزائره وضيفه إلاّ بقضاء حوائجه ومزيد فضله.

واعلم يقيناً أنّه ﷺ رحمة الله للعالمين، فإن حرمت من فيضه الأقدس، ومن نوره الأزهر، فذلك لمانع من جهتك، ولا يمنع من ذلك الذنوب - وإن كثرت - حتّى يوجد خلل من جهة الإيمان، فجدّد إيمانك، واستعذ بالله من الكفر والشرك الجليّ.

ولكن قد تكون ظلمة المعاصي مانعة من درك فيوضات زيارته الشاملة لك وتعمى من مشاهدة أنواره الواصلة إليك، فإن كان لك قلب وفطنة، لا بدّ من درك ذلك، والعلم ببعض آثاره لا محالة، فإنّ شفقته ﷺ لأُمّته المؤمنين الموالين لعترته معلومة وإن كانوا عصاة، كيف وشفاعته للعصاة، وللزائر الوافد المسلّم عليه المناجي معه، والمشتكي استكانته لديه، حقوق زائدة لا تضيع لديه، يعرف ذلك كلُّ من أُخبر عن أخلاقه الكريمة في حال حياته، ومعاملته مع عموم المسلمين، وخصوص الوافدين، والرافعين إليه حوائجهم، وحال وفاته أولى بذلك من حال الحياة لزيادة القرب من منبع الفيض والنور، وهل يظنُّ أحد من أُمّته أن يقصده مسلم مؤمن من مسافة بعيدة، ويأتيه من شقّة بعيدة، شوقاً إلى زيارته، وراجياً قبوله ونواله، متقرّباً إلى الله جلّ جلاله بولايته وولاية عترته، رجع خائباً من نواله، ومحروماً من جوده وكرمه، ولا يظنُّ ذلك لأعراب البوادي، كيف لأكرم الخلائق كلّهم، ومظهر رحمة الله، والمتخلّق بأخلاق الله.

وكيف كن يجب على زوّاره - صلوات الله عليه وآله - أن يظنّوا بفضله وكرمه وإفاضته كلَّ الظنّ، ويستمدّوا من فيض زيارته، وأنوار إقباله، ويستضيئوا من إشراق إقبال وجهه، فإنّه يضيء كلَّ ظلمة، ويفيض لكلّ الخليقة، ويكفي للعالمين لأنّه نور الله الأنور، وضياؤه الأزهر، وفيضه الأقدس.

وأطل الوقوف بحضرته، ولا تملَّ منه لأنَّ العاقل لا يملُّ من الانتفاع، وزُز في ضريحه=

= المقدّس قبر سيّدة النساء عليها السلام، واعمل في زيارتها مثل ما مرّ في زيارته، إنّها بضعة منه كريمته وحبيبته.
واقصد بعد زيارتهما زيارة أئمّة البقيع نحو ما قصدت زيارته، وزُرهم كما مضى في زيارته، فإنّهم بمنزلة نفسه، من أطاعهم فقد أطاعه، ومن أحبّهم فقد أحبّه، من خضع لهم فقد خضع له، لا فرق بينهم وبينه، فإنّهم خلفاؤه وذرّيته وكلّهم نور واحد.
وجدٌ حتّى لا ترجع من حضرته إلاّ بعد ظهور آثار الإذن، كما دخلت بعد ظهور آثاره، وإذا أردت الانصراف فارجع القهقرى قليلاً ثمّ ارجع إلى مكانك وسلّم عليه، وقف قليلاً، وكرّر ذلك، وإذا خرجت من الحرم قبّل العتبة.
وليكن الراجع بدنك وأنت مع قلبك وروحك وفكرك مقيم على حضرته وغير مفارق خدمته، وكلّما انتهيت إلى آخر السكك، وأردت أن تدخل سكّة أُخرى فارجع إما وراءك، وأشر إلى حضرته بالسلام حتّى تدخل منزلك.
واستقص أيّام وقوفك بالمدينة المشرّفة زيارة المواضع الشريفة الّتي روي وقوفه بها ودخوله عليها، ومشاهد أهل بيته.
وإذا كان أوان وداعك، حصّل في قلبك وروحك وعقلك وكلّك حالاً يصلح لوداعه، ولتكن في وداعك قبره كمن يودّع روحه وحياته، وأنشئ لوداعه دعاءً وسلاماً مستوحى ممّا أنشأ السجّاد عليه السلام في وداع شهر رمضان، فإنّ حقوق شهر رمضان وإن عظمت، ولكنّها قليلة عند حقوقه صلى الله عليه وآله، بل هي أيضاً جزء من أجزاء حقوقه الكثيرة الواجبة.
وودّع سيّدة النساء وأئمّة البقيع عليهم السلام كما تودّعه، وودّع المدينة المشرّفة وهكذا تزور كلّ واحد من الأئمّة، وتناجي كلّ واحد منهم بما يناسبه.
وتزيد في زيارة (سيّد) الشهداء أنّك لا تجيد مطعمك ومشربك ما دام في الطريق وفي كربلاء وتأكل دوناً وتلبس دوناً وتكون أشعث أغبراً، وتترك الملاذّ ما دام كنت ثاوياً في كربلاء، ويكون عليك سمة أهل العزاء، وتذكر عنده مصائبه وتبكي وتظهر الأحزان، وتذكر كلّ واحد من أهله وأصحابه، وتذكر ما أصابهم، وتظهر الأسف الشديد من حرمانك الشهادة بين يديه، وفدائك روحك دونه، هذا.
ولتفصيل أسرار زيارتهم عليهم السلام محلّ آخر لا يسعه هذا المختصر، ولعلّ الله يوفّقني بعد ذلك بإظهار تفاصيلها.

آداب زيارة أئمة البقيع (ع)

وقال: إذا أتيت قبر الأئمة عليهم السلام بالبقيع فاجعله بين يديك، ثمّ قل: «السلام عليكم يا أئمّة الهدى، السلام عليكم يا أهل التقوى، السلام عليكم يا حجج الله على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القوّامون في البريّة بالقسط، السلام عليكم يا أهل الصفوة، السلام عليكم يا أهل النجوى، أشهد أنّكم قد بلّغتم ونصحتم وصبرتم في ذات الله عزَّ وجلَّ وكذّبتم واسيىء إليكم فغفرتم، وأشهد أنّكم الأئمّة الراشدون، وأنّ طاعتكم مفترضة، وأنَّ قولكم الصدق، وأنّكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا، وأنّكم دعائم الدّين، وأركان الأرض فلم تزالوا بعين الله ينسخكم في أصلاب المطهّرين، وينقلكم من أرحام المطهّرات، لم تدنّسكم الجاهلية الجهلاء، ولم يشترك فيكم فتن الأهواء، طبتم وطاب منبتكم، أنتم الّذين منَّ الله علينا بكم ديان الدّين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلاتنا عليكم رحمة لنا وكفّارة لذنوبنا إذ اختاركم لنا وطيّب خلقنا بما منَّ علينا من ولايتكم وكنّا عنده بفضلكم معترفين، وبتصديقنا إيّاكم مقرّين وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان وأقرَّ بما جنى ورجا بمقامه الخلاص وأن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من النار، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدُّنيا، واتّخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها، يا من هو قائم لا يسهو، ودائم لا يلهو، ومحيطٌ بكلّ شيء، لك المن وفّقتني وعرفتني بما ائتمنتني عليه إذ صدّ عنه عبادك، وجهلوا معرفتهم، واستخفّوا بحقّهم ومالوا إلى سواهم، وكانت المنّة منك عليَّ مع أقوام خصصتهم بما خصصتني به، فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي مكتوباً، فلا تحرمني ما رجوت، ولا تخيّبني فيما دعوت» وادع لنفسك بما أحببت.

ثمّ صلِّ ثمان ركعات في المسجد الّذي هناك وتقرء فيها ما أحببت

وتسلّم في كلّ ركعتين، ويقال: إنّه مكان صلّت فيه فاطمة عليها السلام.

قال:[(١)] ولا تدع أن تأتي المشاهد كلّها مسجد قبا، ومشربة أُمّ إبراهيم، ومسجد الفضيح، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح، وتطوّع فيها بما أحببت من الصلاة، وإذا أتيت قبور الشهداء فقل: **«السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»** وإذا أتيت مسجد الفتح فقل: **«يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرّين، اكشف عنّي غمّي وهمّي وكربي كما كشفت عن نبيّك صلوتك عليه وآله همّه وغمّه وكربه وكفيته هول عدوّه في هذا المكان»**.

فإذا أردت أن تخرج من المدينة: فائت موضع رأس النبيّ صلى الله عليه وآله فسلم عليه، ثم ائت المنبر وصلّ عنده على النبيّ صلى الله عليه وآله ما استطعت، وادع لنفسك بما أحببت للدّين والدُّنيا، ثمّ ارجع إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله والزق منكبك الأيسر بالقبر قريباً من الأُسطوانة الّتي دون الأُسطوانة المخلفة عند رأس النبيّ صلى الله عليه وآله فصلّ ستّ ركعات أو ثمان ركعات، واقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة، واقنت في كلّ ركعتين، فإذا فرغت منها استقبلت رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت مودّعاً له عليه السلام: **«صلّى الله عليك، السلام عليك، لا جعله الله آخر تسليمي عليك، اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيّك صلواتك عليه وآله وأن توفيتني قبل ذلك، فإنّي أشهد في مماتي على ما أشهد في حياتي أن لا إله إلاّ أنت وأنّ محمّداً عبدك ورسولك»**.

قال أبو حامد: «وإذا أشرف على مدينته يحرّك الدابّة ويقول: **«اللّهمّ اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً»** ثمّ ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا

(١) يعني الصدوق ـ رحمه الله ـ في الفقيه.

يقدم عليهم بغتة، فذلك هو السنّة، ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أوّلاً وليصلّ ركعتين فهو السنّة فإذا دخل بيته قال: **«توباً توباً لربّنا أوباً لا يغادر علينا حوباً»** فإذا استقرّ في منزله فلا ينبغي أن ينسي ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيّه ﷺ فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللّهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحجّ المبرور، بل علامته أن يعود زاهداً في الدُنيا، راغباً في الآخرة متأهبّاً للقاء ربّ البيت بعد لقاء البيت.[1].

الأمور الباطنة المتعلقة بزيارة المشاهد

(١) **النراقي في جامع السعادات**: في الإشارة إلى بعض الأمور الباطنة المتعلقة بزيارة المشاهد.

إعلم أن النفوس القوية القدسية، لا سيما نفوس الأنبياء والأئمة عليهم السلام، إذا نفضوا أبدانهم الشريفة، وتجردوا عنها، وصعدوا إلى عالم التجرد، وكانوا في غاية الإحاطة والإستيلاء على هذا العالم، فأمور هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة، ولهم القوة والتمكن على التأثير والتصرف في مواد هذا العالم، فكل من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطلعون عليه، لا سيما ومقابرهم مشاهد أرواحهم المقدسة العلية، ومحال حضور أشباحهم البرزخية النورية، فإنهم هناك يشهدون.

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وبما آتاهم الله من فضله فرحون، فلهم تمام العلم والإطلاع بزائري قبورهم، وحاضري مراقدهم، وما يصدر عنهم من السؤال والتوسل والإستشفاع والتضرع، فتهب عليهم نسمات ألطافهم، وتفيض عليهم من رشحات أنوارهم، ويشفعون إلى الله في قضاء حوائجهم، وإنجاح مقاصدهم، وغفران ذنوبهم، وكشف كروبهم.

فهذا هو السر في تأكد إستحباب زيارة النبي والأئمة عليهم السلام، مع ما فيه من صلتهم وبرهم وإجابتهم، وإدخال السرور عليهم، وتجدد عهد ولايتهم، وإحياء أمرهم، وإعلاء كلمتهم، وتنكيت أعدائهم. وكل واحد من هذه الأمور مما لا يخفى عظيم أجره وجزيل ثوابه.

وكيف لا تكون زيارتهم أقرب القربات، أشرف الطاعات، ومع أن زيارة المؤمن ـ من=

= جهة كونه مؤمناً فحسب ـ عظيم الأجر جزيل الثواب، وقد ورد به الحث والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة، ولذلك كثر تردد الأحياء إلى قبور أمواتهم للزيارة، وتعارف ذلك بينهم، حتى صارت لهم سنة طبيعية، وأيضاً قد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله، وثواب صلته وبره وإدخال السرور عليه. وإذا كان الحال في المؤمن من حيث أنه مؤمن، فما ظنك بمن عصمه الله من الخطأ، وطهره من الرجس، وبعثه الله إلى الخلائق أجمعين، وجعله حجة على العالمين، وإرتضاه إماماً للمؤمنين، وقدوة للمسلمين، ولأجله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، ونوره الذي يستضاء به، وأمينه على بلاده، وحبله المتصل بينه وبين عباده، من رسل وأنبياء وأئمة وأولياء.

ثم، الأخبار الواردة في فضيلة زيارة النبي والأئمة عليهم السلام مما لا تحصى كثرة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زار قبري بعد موتي، كان كمن هاجر إليَّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلي بالسلام، فإنه يبلغني».

وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا أبا الحسن، إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري وجيراني غداً في الجنة يا علي، من عمر قبوركم ونعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه. فإبشر، وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم، كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي، لا تنالهم شفاعتي، ولا يردون حوضي».

وقال الصادق عليه السلام: «لو أن أحدكم حج دهره، ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم».

قال الرضا عليه السلام: «أن كل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا به، كان أئمته شفعاءه يوم القيامة». =

= والأخبار في فضل زيارة النبي والأئمة المعصومين، لا سيما زيارة سيد الشهداء وأبي الحسن الرضا ـ عليهم أفضل التحية والثناء ـ، وفضل زيارتهما على الحج والعمرة والجهاد، أكثر من أن تحصى، وهي مذكورة في كتب المزار لأصحابنا، فلا حاجة إلى إيرادها هنا. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٨-٤٠٠].

ما ينبغي للزائر عند دخول المدينة المنورة

وإذا عرفت فضل زيارتهم وسرها، وعظم قدرهم وجلالة شأنهم، فينبغي أن تكثر التواضع والتخضع والإنكسار عند الدخول في بلادهم، ومراقدهم المنورة، ومشاهدهم المكرمة، وتستحضر في قلبك عظمتهم وجلالهم، وتعرف عظيم حقهم، وغاية جدهم وسعيهم في إرشاد الناس وإعلاء كلمة الله.

فإذا قربت المدينة المنورة، ووقع بصرك على حيطانها، تذكر أنها البلدة التي إختارها الله لنبيه وجعل إليها هجرته، وأنها البلدة التي فيها شرع فرائض ربه وسننه، وجاهد عدوه، وأظهر بها دينه، ولم يزل قاطعاً بها إلى أن توفاه الله، وجعل تربته فيها.

ثم مثل في نفسك أقدام رسول الله عند ترتداتك فيها، وتذكر أنه ما من موضع قدم تطأه إلا وهو موضع قدمه العزيز، فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة ووجل، وكن متذكراً لمشيه وتخطيه في سككها، وتصور سكينته ووقاره، وخشوعه وتواضعه لعظمة ربه، وما إستودع الله في قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره، حتى قرنه بذكر نفسه، وأنزل عليه كلامه العزيز، وأهبط عليه روح الأمين وسائر ملائكته المقربين، وأحبط عمل من هتك حرمته، ولو برفع صوته فوق صوته، ثم تذكر ما من الله به على الذين أدركوا صحبته، وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه، واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته، وتضرع إلى الله ألا تفوتك صحبته في الآخرة، ولتعظم رجاءك في ذلك، بعد أن رزقك الله الإيمان، وأشخصك من أرضك لأجل زيارته، محبة له، وتشوقاً إليه.

ثم إذا دخلت مسجده، فتذكر أن أول موضع أقيمت فيه فرائض الله تلك العرصة، وأنها تضمنت أفضل خلق الله حياً وميتاً، فأرج الله غاية الرجاء أن يرحمك بدخولك إياه خاشعاً معظماً، وما أجدر ذلك المكان بأن يستدعي الخضوع من قلب كل مؤمن.

ثم إذا أتيته للزيارة، فينبغي أن تقف بين يديه خاضعاً خاشعاً خائفاً، وتزوره ميتاً كما تزوره حياً، ولا تقرب من قبره إلا كما تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً، إذ لا فرق بين ميته=

= وحيه، ولو وجدت التفرقة في قلبك لما كنت مؤمناً، ولتعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك، وأنه يبلغه سلامك وصلواتك، فمثل صورته الكريمة في خيالك، جالساً على سرير العظمة بحذائك. وأحضر عظيم رتبته في قلبك، وقد ورد: أن الله تعالى وكل بقبره ملكاً يبلغه سلام من سلم عليه من أمته. وهذا في حق من لم يحضر قبره. فكيف بمن فارق الأهل والوطن، وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه، واكتفى وقنع بمشاهدة مشهده المنور، إذ فاته مشاهدة طلعته البهية وغرته الكريمة. وقد قال ﷺ: «من صلى عليّ مرة، صليت عليه عشراً». فهذا جزاؤه عليه في الصلاة عليه بلسانه، فكيف بالحضور لزيارته ببدنه؟

وإذا فرغت من زيارته، فأت المنبر وأمسحه بيدك، وخذ برمانتيه، وامسح بهما وجهك وعينيك، وتضرع إلى الله، وابتهل إليه، واسأل حاجتك، وتوهم صعود النبي ﷺ المنبر، ومثل في قلبك طلعته البهية، قائماً على المنبر، وقد أحدق به المسلمون من المهاجرين والأنصار، وهو يحمد الله بإفصح الكلمات واللغات ويحث الناس على طاعة الله. واسأل الله ألا يفرق في القيامة بينه وبينك، ويجعلك في جواره ويعطيك منزلاً في قرب داره. [جامع السعادت ج ٣ ص ٤٠٠-٤٠٢].

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

دقائق الآداب وهي عشرة

الأوّل: أن تكون النفقة حلالاً، وتكون اليد خالياً عن تجارة تشغل القلب، وتفرق الهمُّ حتّى تكون الهمُّ مجرّداً لله، والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره، وقد روي في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام: «إذا كان آخر الزّمان خرج الناس للحجّ أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسُمعة»[1] وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدّنيا الّتي يتصوّر أن تتّصل بالحجّ وكلُّ ذلك ممّا يمنع فضيلة الحجّ ويخرجه عن حيّز حجّ الخصوص لا سيّما إذا كان متّجراً بنفس الحجّ بأن يحجّ لغيره بأجرة، فيطلب الدُّنيا بعمل الآخرة، وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك، إلاّ أن يكون قصده المقام بمكّة ولم يكن له ما يبلغه».

أقول: أو يكون قصده نفس الحجّ ولم يكن ممّن قد حجّ ولم يكن له ما يبلغه قطُّ.

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه بدون ذكر السلاطين، ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين بلفظ آخر كما في المغنى.

قال: [١] فلا بأس أن يأخذ على هذا القصد، لا ليتوصّل بالدين إلى الدنيا، بل بالدنيا إلى الدين، وعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله، ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه، وفي مثله قوله ﷺ: «يدخل الله تعالى بالحجّة الواحدة ثلاثة: الجنّة الموصي بها، والمنفذ لها، ومن حجّ بها عن أخيه»[٢] ولست أقول: لا تحلُّ الأُجرة أو يحرم عليه ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه، ولكنَّ الأولى أن لا يفعل ولا يتّخذ ذلك مكسبه ومتجره فإنَّ الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا، وفي الخبر: «مثل الّذي يغزو في سبيل الله ويأخذ أجراً مثل أمّ موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها»[٣] فمن كان مثاله في أخذ الأُجرة على الحجّ مثال أمّ موسى فلا بأس بأخذه فإنّه يأخذ ليتمكّن من الحجّ والزيارة وليس يحجُّ ليأخذ الأُجرة كما كانت تأخذ ليتيسّر بها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم.

الثاني: أن لا يعاون أعداء الله بتسليم المكس[٤] إليهم وهم الصادُّون عن المسجد الحرام من أمراء مكّة والأعراب المترصّدين في الطرق فإنَّ تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطّف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ـ ولا بأس بما قاله ـ: إنَّ ترك التنفّل بالحجّ والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإنَّ هذه بدعة أُحدثت، وفي الانقياد لها ما يجعلها سنّة مطّردة فيه ذلٌّ وصغار

(١) يعني أبا حامد.
(٢) قال العراقي: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن عدي في مراسيله وفيه: «مثل الذين يغزون من امتي» وأخرجه البيهقي عن جبير بن نفيل مرسلاً كما في الجامع الصغير باب الميم.
(٤) المكس: دراهم كانت يأخذه اعوان الدولة عن اشياء معينة عند بيعها او عند ادخالها المدن.

على المسلمين ببذل جزية، ولا معنى لقول القائل: إنّ ذلك يؤخذ منّي وأنا مضطرّ فإنّه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر أسباب الترفّه فيكثر مطالبته ولو كان في زيّ الفقراء لم يطالب فهو الّذي ساق نفسه إلى حالة الإضطرار.

الثالث: التوسيع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق في غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد، وأعني بالإسراف التنعّم بإطابة الأطعمة، والترفّه بأشرف أنواعها على عادة المترفين، فأمّا كثرة البذل فلا إسراف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل، وبذل الزاد في طريق الحجّ نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم، قال ﷺ: «الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة، فقيل له: يا رسول الله ما برُّ الحجّ؟ قال: طيب الكلام وإطعام الطعام»[١].

أقول: وفي الفقيه، قال رسول الله ﷺ: «من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر، «وكان عليُّ بن الحسين عليه‌السلام إذا سافر إلى مكّة إلى الحجّ أو العمرة تزوّد من أطيب الزاد، من اللّوز والسكّر والسويق المحمّض والمحلاّ»[٢].

وقال الصادق عليه‌السلام: «إذا سافرتم فاتّخذوا سفرة وتنوّقوا فيها» وفي رواية: «أنّه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه‌السلام»[٣].

---

(١) أخرج صدره مسلم في صحيحه ج٤ ص ١٠٧، وذيله الحاكم في المستدرك ج١ ص ٤٨٣. وتمامه احمد في المسند ج٣ ص ٣٢٥ و٣٣٤.

(٢) المصدر ص ٢٢٧ باب الزاد في السفر.

(٣) المصدر ص ٢٢٦ باب: اتخاذ السفرة في السفر وباب السفر الذي يكره فيها اتخاذ السفرة.

الرابع: «ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن، والرفث اسم جامع لكلّ لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل في مغازلة النساء[١] ومداعبتهنّ والتحدُّث بشأن الجماع ومقدّماته، فإنّ ذلك يهيّج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظورٌ، والفسوق اسم جامع لكلّ خروج عن طاعة الله، والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن[٢] ويفرّق في الحال الهمّة ويناقض حسن الخلق، وقد جُعل في الحديث طيب الكلام مع إطعام الطعام من برّ الحجّ، والمماراة تناقض طيب الكلام، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجمّاله وعلى غيرهما من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله، ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كفُّ الأذى بل احتمال الأذى، وقيل: سمّي السفر سفراً لأنّه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قيل لمن زعم أنّه يعرف رجلاً: هل صحبته في السفر؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تعرفه.

الخامس: أن يحجّ ماشياً إن قدر عليه فذلك أفضل وفي التردُّد من مكّة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق، وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤونة ولأنّه أبعد من ضجر النفس وأقلّ لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجّه، وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأوّل بل ينبغي أن يفصّل ويقال: من سهّل عليه المشي فهو الأفضل، وإن كان يضعف ويؤدّي ذلك به إلى سوء وخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل.

وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكتري حماراً

(١) الخنى: الفحش، والمغازلة: المحادثة والمراودة.

(٢) الضغائن جمع الضغينة وهي الحقد.

بدرهم، فقال: إن كان وزن الدرهم أشدّ عليه فالكراء أفضل من المشي، وإن كان المشي أشد عليه كالاغنياء فالمشي أفضل، وكأنّه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجهٌ، ولكنّ الأفضل أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً من إيذاء الدابّة، فإذا كان لا يتّسع نفسه للجمع بين مشقّة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد».

أقول: ويدلُّ على هذه الجملة من طريق الخاصّة، ما رواه في التهذيب، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما عبد الله بشيء أشدّ من المشي ولا أفضل»[(١)].

وعنه عليه السلام: «الركوب أفضل من المشي لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ركب»[(٢)].

وفي رواية أُخرى: «تركبون أحبُّ إليّ، فإنّ ذلك أقوى على الدعاء والعبادة»[(٣)].

وفي أُخرى: «لا تمشوا واركبوا، فقيل: بلغنا أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام حجّ عشرين حجّة ماشياً! فقال: إنّ الحسن بن عليّ كان يمشي ويساق معه محامله ورحاله»[(٤)].

وفي الفقيه، عن الصادق عليه السلام: «أنّه سئل عن المشي أفضل أو

---

(١) المصدر ص ٤٤٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) التهذيب ص ٤٤٨.

الركوب؟ فقال: إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أقلّ لنفقته فالركوب أفضل»[١].

السادس: «أن يجتنب المحمل إلاّ إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان: أحدهما: التخفيف عن البعير فإنّ المحمل يؤذيه، والثاني اجتناب زيّ المترفين، والمتكبّرين، حجّ رسول الله ﷺ على راحلة وكان تحته رحلٌ رثٌّ وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم[٢]، وطاف على الراحلة[٣] لينظر الناس إلى هديه وشمائله وقال: «خذوا عنّي مناسككم»[٤].

وقيل: إنّ هذه المحامل أحدثها الحجّاج وكان العلماء في وقته ينكرونها.

السابع: أن يكون رثّ الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة، ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في المتكبّرين والمترفّهين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد أمر ﷺ بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعّم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد[٥] وفي الخبر:

(١) المصدر ص ٢٠٨ رقم ٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه تحت رقم ٢٨٩٠.

(٣) سنن ابن ماجه تحت رقم ٢٩٤٨، والنسائي ج٥ ص ٢٣٣.

(٤) أخرج مسلم ج٤ ص ٧٩، والنسائي ج٥ ص ٢٧٠ نحوه.

(٥) قال العراقي: الامر بالشعث والاحتفاء أخرجه البغوى والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال: قال النبي ﷺ: «تمعددوا واخشوشنوا وانصلوا وامشو حفاة» ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة. وكلاهما ضعيف؛ وحديث فضالة في النهي عن التنعم والرفاهية وأن النبي ﷺ كان ينهي عن كثير من الارفاه ولا حمد من حديث معاذ «اياك والتنعم». أقول: وأخرج ابن ماجه تحت رقم ٢٩٣٩ عن ابن عباس قال: =

«إنّما الحاجّ الشعث الغبر التفث»[١] يقول الله عزّ وجلّ: «انظروا إلى زوّار بيتي فقد جاؤوني شُعثاً غبراً من كل فجّ عميق»[٢] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾[٣] التفث: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقصّ الأظفار.

الثامن: «أن يرفق بالدابّة فلا يحمّلها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حدّ طاقتها، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها، كان أهل الورع لا ينامون على الدوابّ إلاّ غفوة[٤] عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل، قال ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابّكم كراسيّ»[٥] ويستحبُّ أن ينزل عن دابّته غدوة وعشيّة يروّحها بذلك فهو سنّة وفيه آثار عن السلف، وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأُجرة، ثمّ كان ينزل ليكون بذاك محسناً إلى الدابّة فيكون في حسناته، ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري، وكلُّ من آذى بهيمة وحمّلها ما لا تطيق طولب به في القيامة.

وعلى الجملة لكلُّ كبد حرّى رطبة[٦] أجر فليراع حقّ الدابّة وحقّ المكاري جميعاً، وفي نزوله ساعةً ترويح الدابّة وسرور قلب المكاري»

= «كانت الانبياء تدخل الحرم مشاة حفاة ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاة مشاة».

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه تحت رقم ٢٨٩٦ من حديث ابن عمر وقال غريب.

(٢) أخرجه الحاكم ج١ ص ٤٦٥.

(٣) الحج: ٢٩، وقال الازهري: لا يعرف التفث في لغة العرب الامن قول المفسرين، والمعنى أن يزيلوا وسخهم بقص الاظفار والشارب وحلق الرأس كما في الكافي والفقيه.

(٤) الغفوة ـ بفتح المعجمة وسكون الفاء ـ : النومة الخفيفة.

(٥) الجعفريات ص ٨٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص ١٠٠، وأحمد في المسند ج٣ ص ٤٤٠.

(٦) كلمة «رطبة» ليست في نسخ الأحياء.

ورياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب.

التاسع: أن يتقرّب بإراقة دم، وإن لم يكن واجباً ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾(١) إنّه تحسينه وتسمينه، وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكدُه، وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهنّ: الهدي، والأضحيّة، والرقبة، فإنّ أفضل ذلك أغلى ثمناً وأنفسه عند أهله، وليس المقصود تكثير اللّحم، إنّما المقصود تزكية النفس وتطهيرها من صفة البخل، وتزيينها بجمال التعظيم لله فـ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٢) وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة».

أقول: روى في الكافي، عن رجل يسمّى سوادة قال: «كنّا جماعة بمنى فعزّت الأضاحيّ، فنظرنا فإذا أبو عبد الله عليه السلام واقفٌ على قطيع يساوم بغنم ويماكسهم مكاساً شديداً فوقفنا ننتظر، فلمّا فرغ أقبل علينا فقال: أظنّكم قد تعجبّتم من مكاسي؟ فقلنا: نعم، فقال: إنّ المغبون لا محمود ولا مأجور»(٣).

قال أبو حامد: «وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما برُّ الحجّ فقال: العجُّ والثجُّ»(٤) والعجُّ: هو رفع الصوت بالتلبية، والثجُّ: هو نحر البدن.

---

(١) سورة الحج: الآية، ٣٣.

(٢) سورة الحج: الآية، ٣٧.

(٣) المصدر ج٤ ص ٤٩٦ تحت رقم ٣، والمماكسة في البيع: التناقص في الثمن.

(٤) مر نحو هذا الحديث ص ١٦٨، وأخرج مثله أبو يعلى، وفي اسناده رجل ضعيف راجع مجمع الزوائد ج٣ ص ٢٢٤، وأخرجه الترمذي ج٤ ص ٤٤ ـ ٤٦ واستغربه، وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه والحاكم والبزاز واللفظ له.

وعن النبيّ ﷺ قال: «ما عمل آدميٌ يوم النحر [عملاً] أحبَّ إلى الله من إهراقه دماً وإنّها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها، فإنّ الدّم يقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً»(١).

وفي الخبر: «لكم بكلّ صوفة من جلدها حسنة، وكلّ قطرة من دمها حسنة، وإنّها لتوضع في الميزان فأبشروا»(٢).

العاشر: أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي، وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن إن أصابه ذلك، فإنّ ذلك من دلائل قبول حجّه، فإنّ المصيبة في طريق الحجّ تعدل النفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكلّ أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ولا يضيع منه شيء عند الله تعالى.

ويقال: إنّ من علامة قبول الحجّ ترك ما كان عليه من المعاصي، وأن يستبدل بإخوانه البطّالين إخواناً صالحين، وبمجالس اللّهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه تحت رقم ٣١٢٦ عن عائشة، وتحت رقم ٣١٢٧ عن زيد بن أرقم.
(٢) نفس المصدر.

طريق الوصول إلى شاهق هذا الطور

(٣) **قال العارف القاضي سعيد القمي**: الوصول إلى شاهق هذا الطّور إنّما بتيسر بسير ثلاثة طرق من النور:
فبالنور الأول: يصل السالك إلى أسرار تسمية المناسك.
وبالثاني: يطّلع على سر هذه الأوضاع وأنّها لِما صارت كذلك.
وبالثالث: يتحقق بحقائق المقامات من هو بقدم العرفان سالك. =

المنهج الأول: في بيان أسرار التسمية

= إعلم أنه قد قيل: أنّ بكّة بالباء موضع البيت وبالميم سائر البلد..

وقيل: هما (أي بكّة ومكّة) إسم هذه البلدة المباركة إذ الباء والميم يتعاقبان على الكلمة، وعن الرضا عليه السلام: «سمّيت مكّة لأنّ الناس كانوا يمكّون فيها، ويقال لمن قصدها: قد مكا وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ فالمكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين».

أقول: بناء هذا إمّا على الإشتقاق الكبير أو على أن أصل المكاء، الملْك فقلبت إحدى الكافين حرف علّة، كما في أمللت وأمليت وفي القاموس مكّة على صيغة الفعل: أهلكه ونقضه، فقوله عليه السلام؛ **«ويقال لمن قصدها قد مكا»** أي قصد نقصان ماله أو إهلاك ماله أو نقصان ذنوبه وفسّر **«المكا»**، بالتقصير لأنّه نقصان في الشعْر، وفسر **«التصدية»** بضعف البدن وكأنّه مأخوذ مما في القاموس، الصّدي: الرجل اللطيف الجسد.

وسميت بكّة، لأن الرجال والنساء تبَك بها أي تراكموا وتزاحموا، أو تبّك أعناق الجبابرة أي تدقّها ولأنّ الناس يتباكون فيها: إمّا بالتشديد بمعنى يزدحمون كما في خبر أو التخفيف بمعنى يبكون لما في خبر آخر، لبكاء الناس حولها وفيها.

وسميت كعبة، لأنها وسط الدنيا(كما) عن النبي صلى الله عليه وآله، وفي خبر آخر: «لأنها مربعة لكونها بحذاء البيت المعمور في الدنيا وهو بحذاء الضراح في السماء الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربّع لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع».

وقيل: كل شيء علا وإرتفع فهو كعب ومنه سمّيت «الكعبة» ـ إنتهى.

وسمّيت بيتُ الله الحرام: لحرمته أو لكونه حراماً على المشركين أن يدخلوه.

وسمّيت البيت العتيق: لأنه أعتق من الغرق قوم نوح عليه السلام؛ ولأنّه ليس من بيت إلاّ وله ربّ يسكنه بخلافه فإنّه لا يسكنه ولا ربّ له إلاّ الله فهو بيت حرّ عتق من الناس حيث لا يملكه أحد.

وسمّي الحطيم ـ وهو ما بين الحجر الأسود وباب البيت ـ: لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً هناك ويزدحمون وقيل: سمي بذلك لأنّ البيت رفع وترك محطوماً يدوسه الناس.

وسمّيت منى: لأنّ جبرئيل قال لآدم، وفي خبر آخر قال لإبراهيم: «تمنّ» فكانت تسمى منى وفي آخر: تمنّى أن يجعل الله مكان إبنه كبشاً. =

= وسمّيت عرفات: لأن جبرئيل خرج بآدم وفي خبر آخر: بإبراهيم في يوم عرفة إليها، فلمّا زالت الشمس قال له: إعترف بذنوبك وإعرف مناسكك.

وسمّي المشعر الحرام، مزدلفة: لأنّ جبرئيل قال لآدم وفي خبر آخر لإبراهيم عليه السلام: «إزدلف إلى المشعر» أي إقترب.

وسمّي أيضاً جمعاً: لأنّ آدم جمع فيها بين الصلاتين. وسيأتي تسمية بواقي المناسك في ضمن عللها ونذكر هناك ما يليق أن يكون شرحاً لما ذكر ها هنا. [أسرار العبادات للعارف سعيد القمي ص ٩٨-١٠٢].

المنهج الثاني: في بيان سر هذه الأوضاع والمقامات

قال الله عز من قائل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

وقال جلّ مجده: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾.

وقال عزّ برهانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾.

وقال جل جلاله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

وعن الرضا عليه السلام: «وضع في البيت وسط الأرض التي دحيت من تحتها الأرض وكلّ ريح تهب في الدنيا، فإنّها تخرج من تحت الركن الشامي وهي أول بقعة وقعت في الأرض لأنها الوسط ليكون الفرض لأهل الشرق والغرب سواء» ـ الخبر.

شرح ذلك على ما وصل إليه فهمي: إنّه لمّا تعلقت الإرادةُ الإلهية طبق ما إقتضاه سرُّ المحبوبية بخلق النشأة الإنسانية، وكانت هذه اللطفية الربانيّة ترابية الموطن، وقع التقدير بعمارة الأرض لأجل أداء ذلك الفرض، ولا ريب أنّ هذا إنّما يتأتّى بنشف الرطوبة المائية عن ظهر الأرض ولذا صار ـ بسابق عنايته جلّ مجده ـ مركزُ الشمس خارجاً عن مركز الكلّ حتى قربت من ناحية الجنوب فجذبت الرطوبات إلى ما هناك، فحصل البحر في هذه الناحية وإنجرّ الماء من الشمال حيثما تمّت بالعمارة في الأرض، ونشأت فيها الحيوانات وإبتدأ ذلك فيما يقرب خطّ الإستواء لإستيلاء الحرارة الشمسيّة على تلك الآفاق في أكثر الفصول على النسبة الواحدة تقريباً؛ فلمّا طلعت شمسّ تلك الإرادة من سماء إطلاق مستوى الجسم الكلي الذي هو من وجه عرش الله العلي، وافى لشروقها وطلوع نورها هذا الأفق الإعتدالي لهذه الجهة.

ولقد عرفت من سوابق بياناتنا أن هذه الطبيعة مظهرُ الإرادة الإلهية، وأنّ «تكعُّب العرش»=

= عبارةٌ عن الجهات الأربع التي لهذه الطبيعة فصار البيت مكعّباً لمحاذاته العرش الذي قلنا، فإنطبعت النقوش العالية والصور النورية في مرايا الحقائق السافلة وسمّي كعبة لذلك الشكل وتلك المحاذاة، ولأنها وسط الدنيا كما في الخبر النبوي ونزيد ذلك بياناً ونقول: قد عرفت أنّ الجهات الأربع للطّبيعة التي هي مظهر الإرادة الإلهية:
منها: ما يحاذي بها شطر العقل الكلّ.
ومنها: ما لها بالنظر إلى النفس.
ومنها: الجهة التي بالنظر إلى نفسها.
ومنها: ما لها بالقياس إلى الهيولي.
فلمّا إنعكست تلك الجهات النورية العلوية في مرآة أرض القابلية لظهور الأنوار الإلهية، تحقّقت الأركان الأربعة للكعبة المباركة.
ثمّ من إتصالات هذه النظرات ومناسبات تلك الجهات ـ على ما سبق ـ رفعت قواعد البيت وأضلاعها.
ثم إنّ هذه الحقائق الأربع المتأصلة الإلهية: إثنتان منها، وقعتا في جهة المشرق الحقيقة هما: العقل والنفس لكونهما من أفق عالم الأنوار ومنهما إبتدأت في الشروق شمس الأسرار، وإثنتان منها غربيتان وهما: الطبيعة والهيولي الكليّة لأنّ النور الفائض من المبدأ الأعلى إبتدأ من الأولين وأتمّ رُبعَي الدورة بهما في اليوم الإلهي حتى شرع في الأفول بالأخيرَينِ، وأكمل الرُبعَينِ الآخرين بتمام الدائرة في تلك الليلة ثم يطلع ـ إن شاء العزيز ـ من هذا الأفق الغربي عند تمام الأمر الإلهي في آخر الزمان. وإلى ما قلنا من الأفقَين الشرقيين والغربيين، أُشير في التنزيل الكريم بقوله عزّ من قائل: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن: ١٧].
فمن ضرورة المضاهاة، وقعت هذه الأركانُ والقواعد من البيت على هذه الصورة:
فإثنان منها شرقيّان وهما: «الركن» الذي فيه «الحجر» حيث يلي القطب الشمالي من جهة المشرق، و«الركن اليماني» الذي يلي القطب الجنوبي من هذه الجهة أيضاً.
وإثنان منها غربيان: أحدهما: «الركن الشامي» الذي يلي القطب الشمالي من جهة المغرب.
والآخر: «الركن المغربي» الذي يلي القطب الشمالي من تلك الجهة. =

= فالركن الذي فيه «الحجر» يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى العقل فلذا وقع في السّمت الأسفل الشرقي الذي هو قدّام البيت من جهة اليمين حين ما فرض كأنّه شخص إنساني أو لُوحظَ صاحب البيت مواجهاً إلى الشمال حيث تكون المعمورة في هذه الجهة أكثر، فالمواجه إلينا من البيت هو جهة الحق؛ وقد عبّر في القدسيات عن ذلك حيث ورد في التوجه إلى الكعبة: «وإستقبل وجهي يعني الكعبة» ـ الخبر. والمواجه منّا إلى البيت هو جهة الخلق ولذا ورد: أنّ الحجر يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه.

ثم قد علمت أنّ الركن «المائي» من العناصر إنّما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى العقل فلذا كان منبع الماء العذب من «زمزم» إنّما هو من تحت هذا الركن وهو أيضاً يسامت أهل العراق ومن أجله سمّي «بالعراقي» وذلك لغلبة القوة العقلية عليهم وفي الخبر: لو كان الدين بالثريّا لناولته رجال من فارس».

وأما الركن الشامي: الذي هو عن يسار البيت حين ما فرض مواجهاً لنا وعن يمين المواجه إليه، فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى الهيولي لأنّ الهيولي صدرت عن العقل من جهة خلقيته وهي اليسار.

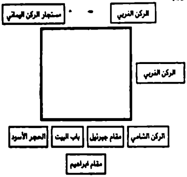
وقد علمت أنّ الركن «الترابي» إنما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى الهيولي وهي أشبهُ شيء بالتراب لتماميّة إستعداد ظهور الحقائق في هذه النشأة الترابية.

وأما الركن اليمانيّ: الذي هو يمين البيت من جهة الجنوب التي هي الخلف حين ما فرض مواجهاً لنا، فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى النفس أي «الروح الكلي» فلذا وقع في الجنب الآخر من «الحجر» إذ النفس صادرة عن العقل من «الجهة الحقيّة» ولذا وقع في الجنب الشرقي من البيت وفي الخبر أيضاً: أنه «يمين الله في أرضه» كما كان الحجر كذلك وفي آخر: «الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش».

وقد علمت أنّ الركن «الناري» إنّما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى النفس فلذا ورد: الإستعاذة من النّار حين إستلام ذلك الركن.

وأما الركن المغربي: الواقع عن يسار البيت من جهة الخلف على ما بيّناه فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى نفسها، ولذا وقع بين الركن المحاذي للجهة التي إلى الهيولي أي «الشامي» والركن الذي يحاذي للجهة التي إلى النفس أي «اليماني» لأنّ الطبيعة هي الحاصلة من نفخ «الروح الكلي» في الهيولي. =

= وقد علمت أنّ الركن «الهوائي» في هذا العالم إنّما حدث من هذه الجهة للطبيعة ولما كان ظهور الطبيعة وآثارها إنمّا هو في المادة، فلذلك كان أثر هذا الركن إنمّا ظهر في الركن الشامي كما ورد: أن الريح تهّب من الركن الشامي جنوباً وشمالاً ودبوراً وصباءً، ولذلك كان يتحرك ذلك الركن في الشتاء والصيف والليل والنهار وذلك لأنّ الريح إنما هي من نفس الرحمن وهذه الطبيعة إنمّا هي مظهر هذا الاسم ولا يظهر فعلها إلاّ في الهيولى وهذه هي صورة البيت: ...



وبهذا الذي حقّقنا صحّ كون البيت مكّعباً لمحاذاته عرش الله الأعظم الذي هو من وجه عبارة عن الطبيعة الكلية للجسم الكلي وفي خبر آخر: لمحاذاته البيت المعمور الذي في السماء الدنيا وهو بحذاء الضراح الذي في السماء الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربع لأنّ الكلمات التي بني الإسلام عليها أربع وهي «التسبيحات الأربع» ويظهر ذلك مما ذكرنا مع أخذ مقدمة شريفة مبيّنة في تضاعيف ما ذكر في سوالف المقامات: من أن الأمر يتنزّل من سماءٍ سماءٍ إلى أن انتهى إلى أرض الشهود وإنّ كل ما في هذا العالم الحسي فإنما هو صورة للعوالم الفوقية إلى أن إنتهى إلى صورة الصور.

وأمّا التعليل بأنّ الكلمات التي بني الإسلام عليها أربع فلذلك جعل العرش مكعباً، فلعل المراد أن هذا العرش الجسماني على محاذاة عرش الوحدانية وبناء الوحدانية الحقيقية على التوحيدات الثلاثة أي «الفعلي» الذي هو مفاد التحميد و«الصفاتي» الذي هو مفاد التهليل و«الذاتي» الذي هو مفاد التكبير، ثم التنزيه عن جميع هذه التوحيدات الذي هو مفاد التسبيح. وقد سبق ما يليق به أن يكون شرحاً لهذا المقام وسيجيء ما يوضح بعض ذلك المرام إن شاء الله تعالى. =

= **قال العارف سعيد القمي في أسرار العبادات**: ولنتكلم على طراز آخر من الكلام غريب عن الأفهام ـ وأظنّه لم يقرع أسماع أرباب العقول ولم تَخطُب أبكارَ هذه الأفكار هؤلاء العجول ـ فاعلم أنه قد ورد عن أبي جعفر باقر علوم الأوّلين عن آبائه معادن علوم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين:

«أنّ آدم عليه السلام بعد هبوطه شكى إلى الله الوحشة فأهبط الله عليه بخيمة من خيم الجنة، فضرب جبرئيل الخيمة على الترعة التي هي مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة، وهي على مقدار أركان البيت وقواعده، وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر فأضاء نورُه جبال مكّة وما حولها وهي مواضع الحرم، وكانت أوتادها صخرةً من عقيان الجنة وأطنابُها من ظفائر الأرجوان، ثم أمر الله أن ينحّى آدم وحواء من الخيمة ويبنى مكانها بيتاً على موضع الترعة حيال البيت المعمور ليطوف الملائكة السبعون ألف ـ الذين أمرهم الله بموآنسة آدم ـ كما يطوفون بالبيت المعمور. فرفع قواعد البيت بحجر من الصفا وحجر من طور سينا وحجر من جبال السلام وهو الكوفة وأتمّه من حجر أبي قبيس وجعل له باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب. فلمّا فرغَ طافت الملائكة وطاف آدم وحواء سبعة» ـ الخبر.

أقول: ولعلّ المراد بما في هذا الخبر الشريف هو الذي ورد في أخبار أُخر:

منها: ما روي عن الصادق عليه السلام في سرّ مكان البيت لما جاء جبرئيل آدم عليه السلام للتوبة بأمر الله تعالى، فأنطق به حتى أتى البيت فنزلت غمامةٌ أظلّتهم، فأمره جبرئيل بأن يخط برجله حيث أظلّت الغمامة. وفي خبر آخر لبيان سرّ الحجر الأسود: أنه كان ملكاً من عظماء الملائكة وهو أوّل من أقرّ من الملائكة عند أخذ الميثاق وكان مع آدم في الجنّة تذكرةً للعهد، فلما تاب الله على آدم حُوّل ذلك الملك حجراً في صورة درةٍ بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم. وفي آخر: للحجر الأسود عينان وأذنان وفم ولسان. وكان إذا مرّ عليها آدم في الجنة ضربها برجله فلمّا هبط وهي ياقوتة حمراء بادر فلثمها ولذلك صار الناس يلثمون الحجر.

وفي آخر: لما هبط آدم إلى أبي قبيس شكى إلى الله الوحشة وأنه لا يسمع ما يسمع في الجنة، فأهبط الله ياقوتة حمراء فوضعت موضع البيت يطوف بها آدم وضوءها يبلغ موضع الأعلام فعلمت الأعلام على صورتها وصار حرماً.

فهذه الأسرار ممّا لا يحوم حول حماها العقول المرتاضة فضلاً عن الأوهام المترفّهة، =

= ونحن بفضل الله نشير إلى لمعة من هذا النور لمن أراد الإرتقاء إلى شاهق ذلك الطّور فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

قد تكرّر فيما سلف ـ من أصول الحكم التي أحكمناها لك ومن أبواب المعارف التي فتحناها لك ـ أنّ الموجودات كلها مع تباينها، على قسمين: جسماني وروحاني وأنّ أفضل الأشكال وأوسعها وأبعدها عن قبول الآفات هو الكرة فلذلك صارت البسائط على هذا الشكل. ثم يجب أن تكون تلك الكرات بعضها محيطاً ببعض، إذ لو لم يكن كذلك لكان بينها جسم أو خلاء.

أمّا الخلاء، فيمتنع وجوده بالبيانات المذكورة في مقامها والجسم الواقع بين الكرات البسيطة يستحيل أن يكون كُرياً وذلك واضح وقد قلنا أنّ الأجسام البسيطة البدويّة كلها كرات فتعيّن أن يكون بعضها محيطاً ببعض. ثم إنّ كلّ واحدة من هذه الكرات بالقياس إلى ما فوقها كدرٌ غليظ مثل أن الأرض بالإضافة إلى الماء كذلك وهو بالقياس إلى الهواء وهو بالنسبة إلى النار وهي بالنظر إلى فلك القمر وهكذا يتصاعد الأمر في السماويات بالغلظة واللطافة إلى أن إنتهى إلى الفلك الأطلسي الذي هو عرش الجسمانيات حيث يصفو عن كلية الكدورات الواقعة فيما تحته حتى عن الكواكب؛ فهو والذي يليه بالنظر إلى السماوات السبع كالمعقول بين المحسوس ولهذا لم يطلق عليهما صاحب الشرع وخاتم النبوة ﷺ إسم«السماء» لذلك الإمتياز.

وهذا الذي قلناه هو في الموجودات الجسمانية، وأمّا الموجودات الروحانية فلوجوب المضاهاة والمطابقة بين العالمين على ما تقرّر، وجبت الإستدارة فيها، بل هذه التي تلينا إنّما إكتسبت الإستدارة منها، ففي العالم الأعلى كراتٌ حقيقيّة بعضها محيط ببعض إحاطة العلّة بالمعلول من جميع جهاته والسافل هناك أيضاً كالكدر بالإضافة إلى العالي لكن السافل عندنا كالمركز للعالي المحيط بخلاف ما هناك، فإنّ العالي مركز ومع ذلك له الإحاطة والسّافل كالمحيط وله المحاطيّة، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى مركز دائرة الوجود وأصل الأصول؛ فمن ذلك، تحاذى مركز الكرات الجسمانية ومركز الكرات العقلية وأختص المركز الجسماني بسعادة ظهور بيت الله فيه على محاذاة عرش الوحدانية الكبرى الذي هو البيت العقلي، لِتطواف طوائف العقول القادسة، وصحّ أنه يحاذى عرش الله المجيد في العالم النفساني وهو الجسم المحيط بالكلّ الذي إبتدأ أثر النفس الكلية فيه، =

= وهذه المحاذاة هي محاذاة المركز للمحيط وأنه يحاذي عرش الله الأعظم الذي هو «عرش الوحدانية» المعبّر عنه في الشرع الأقدس بـ «العقل الكلي» الذي هو مركز الكرات العقلية وإن كان الله سبحانه هو المحيط بجميع الدوائر والمراكز العقلية والجسمانية. وهذه المحاذاة هي محاذاة المركز للمركز حيث إنتهى الأمر من جهة العلوّ منعكساً منعطفاً إلى حيث إنطبق على المركز السفلي ولهذا سرٌّ لم أرَ أحداً تكلم به أكثر مما ذكرنا.

وبالجملة: فكما أنّ العرش ـ أي هذه الطبيعة العرشيّة في أية مادة تحقّقت مجرّدة كانت أو جسمانية ـ إنّما تقوم بسقف وعمود وأوتاد وأطناب ولا يضرّ ذلك بساحة إستدارته كما أومأنا إليه فيما سلف ـ كذلك، «عرش الوحدانية»، والعرش المجيد والكعبة المشرفة التي بحذائهما لا بدّ لها من هذه فعرش الوحدانية إنّما قامت أيضاً بها:

فـ «العمود» هي الألوهية الكبرى التي بها قامت السماوات والأرض ـ عواليها وسوافلها التي هي شواهد الوحدانية ـ وهي بمنزلة «الياقوتة الحمراء» لجامعيّتها جهتَي الحقّ الذي هو النور المطلق والخَلقِ الذي هو الظُلمة، لأن الإله يقتضي مألوهاً ولا ريب أنّ «الحمرة» حادثة من إختلاط البياض الذي هو جهة النور والسواد الذي هو جهة الظلمة.

و«الأوتاد» هي الطبيعة الكلية الممسكة لنظام العالم الجسماني بجهاتها الأربع. «واصفرارُها الذهبي» لأنّها كونها قريبة من الأنوار العقلية لكن إطمأنّت إلى الأرض الهيولانية وإستحكمت فيها وإنطبعت بآثارها وإنصبغت بأحكامها.

«والإطنابة وهي أشعة نور النفس المنبثة في آفاق العالم الجسماني وهي بحسب مرتبتها في شرفات العالم العلوي. «وأرجوانيتها» لتوسّطها بين عالم الأمر المحض وهو العالم العقلي وبين عالم الخلق أي الهيولى والطبيعة والأرجوانية ـ أي البنفسجية ـ إنّما يحدث من إختلاط الصفرة والحمرة.

وأمّا «الخيمة» فهي المرتبة العقلية التي مع كونها مركزاً للكلّ فهي محيطة بالدوائر العقلية والجسمية، هذا هو «عرش الوحدانية» وبيت الله في المرتبة العقلية وهو أوّل بيت وضع للأناس العقليين والملائكة المُهَيّمين. لضرورة المضاهاة بين العوالم، وقع على محاذاته في المرتبة النفسية ومرتبة الطبيعة والأرض الهيولانية بيوتات إلهية ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ﴾ سبحانه. فالعرش المجيد الذي هو أول مظاهر الروح الكلي، هو بيت الله في العالم النفسي لتطواف الملائكة المقربين.

=

= والضرّاح في السماء الرابعة ـ التي هي كشمس القلادة لعالم الطبيعة الجسمانية ـ بيت الله في عالم الطبيعة لأجل تطواف الملائكة المدبّرة.

والكعبة التي في وسط الكل هو بيت الله في عالم الشهادة وأرض الهيولى. وهي على محاذاة الكل لأجل كونها محاذية للمركز الأصلي ففي الخبر النبويّ المعراجي: «وكأنّي أنظر إلى بيتكم هذا».

ثم قال عليه السلام : «ولكل مثل مثال» فالغمامة، مثال «الخيمة» التي في الجنة العقلية والحجر الأسود، هي «الياقوتة» وأستار الكعبة وجدرانها بمنزلة «ضفائر الأرجوان» إذ الحجب في العالم الكبير هي مراتب النفوس. والأحجار التي من جبل الصفا ومن طور سينا ومن جبل السلام ومن جبل أبي قبيس، بإزار «الأوتاد الذهبية» وهي إشارة إلى أنوار الولاية التي كانت لإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي صلوات الله عليهم، ففي التوراة: «جاء النور» وفي رواية: «جاء الله من طور سيناء وأشرق في ساعير وأضاء في جبل فاران».

فالأولى إشارة: إلى ظهور موسى عليه السلام.

والثاني: إلى سفارة عيسى عليه السلام.

والثالث: إلى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

لكن النور واحد هو «النور المصطفويّ» وهؤلاء حوامله. وهذا النور إبتداء كمال الظهور من إبراهيم عليه السلام وإن كان بَدو ظهوره من آدم عليه السلام.

فالحجر الذي من الصفا: هو مرتبة إبراهيم في إعلاء كلمة الله وإظهار الدين الحنيف.

والحجر الذي من طور سيناء إشارة إلى مرتبة موسى عليه السلام من بناء الدين وإستحكام الشريعة.

والحجر الذي من جبل السلام: إشارة إلى مرتبة عيسى وإن كان هو مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام آذ كما أن ختم ولاية آدم كان بعيسى، كذلك كان ختم ولاية الكلية بمولانا علي عليه السلام، فهو قائم مقام عيسى عليه السلام.

فهذه الإشارات لأجل أنّ الدين الذي هو العرش من وجه كما سيأتي، إنّما قام بهؤلاء الذين هم عظماء أولي العزم، فكذا الكعبة التي هي بإزاء العرش من كلّ وجه قامت بتلك الإحجار، ولهذا قال الرضا عليه السلام: «لا يزال الدين ما دامت الكعبة» وهذا معنى قوله تعالى على ما في هذا الخبر: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ وعلى هذا الذي حقّقنا.

=

= «فالركن الشامي»: لعلّه من حجر الصفاء لأنّ آدم الصفي إنما ظهر لحواء في هذا المقام، وإبراهيم الذي كان من الأرض المقدسة إنما نزل إلى هذا المكان لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾.

«والركن المغربي»: من حجر طور سيناء لأنّ هذه الجهة كانت لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾.

والركن العراقي: من حجر الجنة وهو الحجر الأسود وهو الجهة التي لكلّ شيء إلى العالم العلوي.

والركن اليماني: من جبل السلام لأن لعيسى عليه السلام جهة الشرق والذي قام مقامه وهو مولانا عليّ عليه السلام كان مولى المؤمنين وأميرهم وفي الخبر: «الإيمان يمان والحكمة يمانية».

وتمام البيت: من حجر إبي قبيس لأنّ تمامية النعمة وكمالية الدين وختمية الرسالة كانت بسيدنا وسيد الكونين صلى الله عليه وآله. وكأنّا قد جاوزنا الحد الذي لا ينبغي أن يذاع في العالمين وكأنّك ما سمعت بهذا في زبر السابقين فخذهُ واشكر الله ربَّ العالمين.

وجُعِلَ مقامُ إبراهيم عليه السلام قبالة الكعبة عن يسار البيت: لما في خبر: أنّ مقام إبراهيم عن يسار العرش وقد عرفت أنّ الكعبة على محاذاة عرش الله المجيد، ولأنّ الأنبياء عليهم السلام وجه الله الذي يتوجه بهم إلى الله.

وجُعِلَ مقامُ جبرئيل عند الباب عن جانب اليسار: لأنّه الذي يُوصِل الوافدين إلى الله إلى جوار بيت الله العقلي والمنزل القدسيّ ويدخل الملتجئين إلى فنائه ظلاً ظليلاً ومقاماً أميناً ويفتح لهم أبواب العلوم الإلهية ويؤيّدهم بالتأييدات الربّانية. وبالجملة، هو مُفيض العلم على المستعدين من المبدأ الفياض ويورد عطاشى المعارف الحقيقية إلى عذبة من المناهل وكوثر من الحياض.

وجُعِلَ حجرُ إسماعيل عليه السلام عن يسار البيت: لِعلّة كون مقام إبراهيم عليه السلام كذلك لأنّ «الولد سر أبيه» فالتياسر فيه أوضح.

وأمّا سرّ كون مقام إبراهيم عن يسار العرش: فلأنّ العرش الذي هو المُلك (بضم الميم) من وجه، محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة فآدم وإسرافيل للصُور، ومحمد وجبرئيل عليه السلام للأرواح، وإبراهيم وميكائيل للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد=

= والوعيد، كذا قيل في تعيين المقامات.
وتفصيل ذلك: أنّ «العرش» كما سيأتي على وجوه: فمنه: «عرش الوحدانية» و«عرش العلم» و«عرش الدين» و«عرش الملك» وهو جملة العالم الجسماني بأرواحه وقواه وأجسامه، و«عرش السرير» الذي هو واحد من الكرات المحيطة بالسماوات والأرض.
وقد عرفت بعض أحكام الثلاثة الأوّل بل الأربعة:
فأما عرش السرير: فحوامله أربعة أملاك:
واحدُها: على صورة الإنسان يسترزق الله لبني آدم.
وآخر: على صورة الأسد يسترزق الله للسبّع.
وثالثها: على صورة النسر يسترزق الله لطيور.
ورابعها: على صورة الثور يسترزق الله للبهائم.
وأما عرش الملك: الذي هو جملة الخلق فهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة لكل أحد: فآدم من الأنبياء وإسرافيل من الملائكة للصور إلى نفخ الحياة، ومحمد وجبرئيل عليه السلام للأرواح وإستكمالاتها، إبراهيم وميكائيل عليه السلام للأرزاق، وعليّ عليه السلام ومالك ورضوان لوعد والوعيد وتعين مقام كلّ أحد من الجنة والنار.
وأما عرش الوحدانية: فحوامله أربعة: هو العقل، والنفس، والطبيعة، والمادة وقد عرفت غير مرة.
وأما عرش العلم والدين: فحوامله أربعة من الأولين: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين: هم محمّد، وعليّ، والحسن، والحسين عليهم السلام.
فعرش السرير: على محاذاة عرش الوحدانية، ولذلك صار حواملها أربعة.
وعرش الملك: على محاذاة عرش العلم والدين ولذلك صار حواملها ثمانية، وأن كلّ على محاذاة كلّ من وجه.
فالكعبة التي بإزاء العرش مطلقاً ومن كل وجهٍ ينبغي أن يكون مقام جبرئيل عند باب ليعرج بالأرواح الكاملة إلى عالم الأنوار ويوصلها إلى ربّ الدار.
وينبغي أن يكون مقام إبراهيم عليه السلام عن يسار البيت محاذياً للركم الشامي الذي قد سبق أنه من الحجر المنسوب إلى دياره عليه السلام، لأنّ مقامه في عرش الملك عن اليسار، =

= لأنه قد ورد: أنه مؤكّل بأرزاق أولاد المؤمنين، كما أنّ ميكائيل موكل بالأرزاق مطلقاً، والغذاء له جهة إلى اليسار لإغترابه في المغتذي، ولأنه عليه السلام سمّي «خليلاً» لتخلّله محبة الله وتخلّل محبة الله إياه كما يتخلّل الغذاء بدن المغتذى أي يصير في خُلَله فهو من هذه الجهة صاحب اليسار الذي هو مغرب البيت والعرش، لأنّه إذا إعتبر تخلّله محبة الله فهو غاربٌ في الأفق المبين، فانٍ عن نفسه وعن العالمين، فيكون به يسمع الله وبه يبصر الله وبه يبطش وبه يمشي، ففي الخبر في شأن أنبياء الله عليهم السلام: «بهم ينظر الله إلى عباده» وهذه نتيجة قرب الفرائض وإذا إعتبر تخلّل محبة الله إياه فهو مغرب نور الله جلّ برهانه، فيكون الله سمعه وبصره ويده ورجله كما ورد: «بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» وهذه نتيجة قرب النوافل فتبصّر. [أسرار العبادات للقاضي العارف سعيد القمي ص ٩٧-١١٦].

الاعمال الباطنة

ووجه الإخلاص في النية وطريق الإعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكّر لأسرارها ومعانيها من أوّل الحجّ إلى آخره

اعلم أنّ أوّل الحجّ الفهم أعني تفهّم موقع الحجّ من الدّين، ثمّ الشوق إليه، ثمّ العزم عليه، ثمّ قطع العلائق المانعة منه، ثمّ شراء ثوب الإحرام، ثمّ شراء الزاد، ثمّ اكتراء الراحلة، ثمّ الخروج، ثمّ السير في البادية، ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبية، ثمّ دخول مكّة، ثمّ استتمام الأفعال كما سبق، وفي كلّ واحدة من هذه الأُمور تذكرة للمتذكّر، وعبرة للمعتبر، ونيّة للمريد الصادق، وتعريف وإشارة للفطن، فلنرمز إلى مفاتحها حتّى إذا انفتح بابها وعرف أسبابها انكشف لكلّ حاجّ من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه، وطهارة باطنه، وغزارة علمه.

فهم أصل الحج

أما الفهم: فاعلم أنّه لا وصول إلى الله تعالى إلاّ بالتنزُّه عن الشهوات، والكفّ عن اللّذّات، والاقتصار على الضرورات فيها، والتجرّد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرّهابين[1] في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحّش عن الخلق لطلب الأُنس بالله فتركوا اللّذّات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقّة طمعاً في الآخرة،

(١) جمع رهبان ـ بالفتح ـ وهو المبالغ في الخوف كالخشيان.

وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] فلمّا اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتّباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله تعالى وفتروا عنها بعث الله تعالى محمّداً ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنّة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ: أُبدلنا بها الجهاد والتكبير على كلّ شرف» يعني الحجّ[2].

وسئل ﷺ من السائحين فقال: هم الصائمون»[3] فأنعم الله سبحانه على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم، فشرّف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حواليه حرماً لبيته وتفخيماً لأمره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكّد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة المملوك يقصده الزوّار من كلّ فجّ عميق ومن كلّ أوب سحيق، شُعثاً غبُراً، متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزّته، مع الإعتراف بتنزُّهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقّهم وعبوديّتهم وأتمّ في إذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا يأنس بها النفوس ولا يهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردُّد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار.

وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقّ والعبوديّة.

فإنّ الزكاة إرفاق ووجهه معلوم مفهوم وللعقل إليه ميلٌ.

(١) المائدة ٨٢ والقسيس والقس من رؤساء النصارى.

(٢) أخرج أبو داود ج٢ ص ٥ نحوه.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة كما في المغني.

والصوم كسر للشهوة الّتي هي عدوًا لله وتفرُّغ للعبادة بالكفّ عن الشواغل.

والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئة التواضع، وللنفوس أُنس بتعظيم الله تعالى.

فأمّا تردُّدات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلاحظّ للنفس ولا أُنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعثٌ إلاّ الأمر المجرّد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنّه أمر واجب الاتّباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرُّفه وصرف النفس والطبع عن محلّ أُنسه، فإنّ كلّ ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرقّ والانقياد، ولذلك قال ﷺ في الحجّ على الخصوص: «لبّيك بحجّة حقّاً تعبدّاً ورقّاً»[1] ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن يكون أعمالهم على خلاف هوى، وأن يكون زمامها بيد الشرع فيتردُّدون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق، وإذا تفطّنت لهذا فهمت أنّ تعجّب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذُهول عن أسرار التعبّدات وهذا القدر كاف في تفهيم أصل الحجّ.

---

(١) رواه البزاز مرفوعاً وموقوفاً كما في مجمع الزوائد ج٣ ص ٧٢٢٣ وقال العراقي: رواه الدار قطني في العلل في الحديث أنس.

الشوق إلى قصد بيت الله عز وجل

وأما الشوق: فإنّما ينبعث بعد الفهم والتحقّق بأنّ البيت بيت الله وأنّه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله تعالى وزائر له، وأنّ من قصد البيت في الدنيا جديرٌ بأن لا يضيّع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم والفوز بلقائه سبحانه، فالشوق إلى لقاء الله مشوّقه إلى أسباب اللّقاء لا محالة، هذا مع أنّ المحبّ يشتاق إلى كلّ ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله فبالحريّ أن يشتاق إليه بمجرّد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل».

أقول: لا تفهمنّ من لفظة النظر إلى وجه الله سبحانه حيث ما قيل في الكتاب والسنّة وغيرهما النظر بعين الرأس وإلى الوجه كالوجوه ـ تعالى الله عن ذلك ـ بل له معنى آخر يعرفه الرّاسخون في العلم. قال:

العزم والتوجه إلى زيارة بيت الله تعالى

«**وأما العزم**: فليعلم أنّه بعزمه قاصدٌ إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللّذات، متوجّهاً إلى زيارة بيت الله تعالى فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر ربّ البيت وليعلم أنّه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره.

وأنّ من طلب عظيماً خاطر العظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقّق أنّه لا يقبل من قصده وعمله إلاّ الخالص، وأنّ من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحّح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه، وإخلاصه باجتناب كلّ ما

فيه رياء وسمعة، وليحذر أن يستبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خيرٌ(١).

في علة الوفادة إلى الحج

(١) **قال العارف سعيد القمي في أسرار العبادات**: في روي عن مولانا الإمام باقر علوم الأولين محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام في علّة فرض الحج قال عليه السلام: «لما أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة ضجّت الملائكة فقالوا: "إجعله منا" فردّ عليهم: بـ ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فظنّوا: أنّ ذلك سخط حيث حجب عنهم نوره الظاهر لهم: فلاذوا بالعرش يطوفون، فأمَرَ الله عز وجل لهم ببيتٍ من مرمر، سقفُه ياقوتةٌ حمراء، وأساطينه الزّبرجد يدخله كل يوم سبعون ألف ملَكٍ للزيارة: فأحبّ الله ذلك، فخلق الله البيت في الأرض وجعل للعباد الطواف حوله» وفي رواية: «يطوفون سبعة آلاف سنة فصار الطواف سبعة أشواط لكل ألف شوط».

أقول ـ وبالله التوفيق ـ: هذا بيان جهة الفاعلية والذي ذكرنا آنفاً بيان للعلّة المادية والصُورية مع بعض جهات العلة الفاعليّة، وأمّا بيان العلّة الغائية فسيجيء في كلام مولانا الصادق عليه السلام.

ثم بيان العلة الفاعلة مع شرح للرواية المذكورة هو ما وفقني الله لفهمه والحمد لله.

فاعلم، أنّه سبق أنّ كل عالم في العالم الأعلى فهو كالمركز، والسافل كالمحيط إلاّ أنه المحاط وذلك بعكس الدوائر الجسمانية. ولا ريب أنّ المركز من حيث هو مركز يقتضي أن يطوف المحيط حوله سواء كان في الدوائر العقلية أو الجسمية وعن هذا المعنى عبّر بـ «الكنز المخفي» و«المُحبّية». وقد سبق أيضاً أنّ المركز الأرضيّ يحاذي المركز الأصلي فكما أنّ حول المركز الأصلي أناس عقليّون وبشر نوريّون، يطوفون حوله على ولَهٍ وهيمان، ويجولون حول حريم العظمة كما يليق بهذا الشأن، كذلك جرت السنّةُ الإلهية وسبقت العناية الربانية بوقوع ذلك في أرض البعد والفراق لتتذكّر هؤلاء الأناسيّ حالات أولئك البشر العوالي.

وكانت هذه الإرادة في خفايا الأسرار ومكامن حُجُب الأستار إلى أن نزل الأمر في مقامات الصفات وتنزّل حسب تنزّل الدرجات حتى بلغ مقام ظهور الإرادة التي مظهرها الطبيعةُ الممسكة لنظام العالم، وإطّلعت الملائكة على ظهور آدم، فهناك إتّضح هذا السرّ كمال الوضوح وظهرت هذه الإرادة الخفية في موطن الظهور والسّنوح، فالتمست تلك الخلافة لأنفسهم بأن نظرت في صفاء الطينة وخلوص الطويّة فما وجدوا أشرف منهم ولا أليق=

= بذلك من أنفسهم، فردّوا بنقصان علمهم وأنّ هناك نشأةً أعلى درجة وأشرف منزلة منهم، فعملوا هناك بقصور رتبتهم ونقصان علمهم، وأنّهم ليسوا كما ظنّوا ولا في قوّتهم ما راموا، فلاذُوا بالعرش الذي هو بالنظر إلى مرتبتهم كالمركز لهم وإن كان محيطاً بهم لأنهم ملائكة طبيعيون، فأمرهم الله بأن هداهم إلى التطواف حول بيت «النفس الكلية» الذي هو «العرش» وهو من مرمر الجسمية الصافية عن كدورات الكيفيّات الجسمانية و«سقفه» هي النفس الإلهية التي هي «ياقوتة حمراء» كما قد عرفت فيما سبق لأنّ النفس مكلّلة على الجسم كالسقف للبيت «وأساطينه» هي آثار الفائضة لها إلى الجسم الكلي وهي «زبرجدة» لتوسطها بين الحمرة والمرمرية تقريباً، ثم وضع هذا البيت بحذائه على التفصيل الذي سبق.

في الكافي، قال أبو عبد الله عليه السلام لبكير بن أعين: «فهل تدري ما كان «الحجر» قال: «لا». قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك؛ فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يُجَدِّدوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم.

ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكّره الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة فلما عصى آدم وأخرج من الجنة، أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى وُلده لمحمد ووصيه عليهما السلام، فلمّا تاب على آدم حُوّل ذلك الملكُ في صورة «درة بيضاء» فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة وأنطقه الله فقال: «يا آدم أتعرفني؟» قال: «لا» قال: «أجل! أستحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة فقال لآدم: «أين العهد والميثاق؟!» فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عزّ وجلّ إلى جوهرة الحجر درّة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً فكان إذا أعيى، حمَلَه عنه جبرئيل حتى وافى به مكة فما زال يأنَس به بمكّة، ويجدّد الإقرار له كلّ يوم وليلة ثم إن الله عزّ وجلّ لما بنى «الكعبة» وضع «الحجر» في ذلك المكان، لأنّه تبارك وتعالى حيث أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان. وفي ذلك المكان، القم الملك الميثاق ولذلك وضع في ذلك الركن. ويجيء آدم من مكان البيت إلى «الصفا»، وحواء إلى «المروة»، ووضع الحجر في ذلك الركن. فلمّا=

= نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبّر الله وهلّله ومجده، فلذلك جرت السّنة بالتكبير وإستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، فإنّ الله أودعه العهد والميثاق دون غيره من الملائكة؛ لأنّ الله عزّ وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوّة ولعلي عليه السلام بالوصاية إصطكت فرائض الملائكة، فأوّل من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك ولم يكن فيهم أشد حباً لمحمد وآل محمد ، ولذلك إختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه في ذلك المكان وحفظَ الميثاق».

أقول: ما خطر البال في بيان هذا الذي هو خير المقال: أن «أخذ الميثاق» كما يظهر من الأخبار إنما وقع في مواطن كثيرة ومن تلك المواطن، مرتبة الجسمية التي يعبّر عنها في بعض الروايات بـ «الياقوتة الحمراء» و«الدرة البيضاء» وهو «العرش» من وجه، ولا ريب أنه تعين المحيط والمركز في الجسم الكلي وكذا قدّرت مقادير القُلّ والجُلّ عند تحقق هذه المرتبة.

ولمّا كان الغرض من هذا النظام هو الإنسان على ما عرفت مراراً وقع التقدير بوجود أشخاص هذا النوع الشريف في تلك المرتبة بأن خلق هذه المرتبة لأجل قرارها ومعاشها، وقدّر آجالها وأعمارها ومقادير أوضاعها، كما وقعت المشيّة في المرتبة المتقدمة على الإرادة، وهكذا.

وبالجملة في كلّ مرتبة وقع حكم من هذه الأحكام بوجود هذه اللطيفة، أخذَ الميثاق عن أبناء النوع بالألوهية والرسالة والولاية المطلقتين بأن نَظَر الربُّ إلى حقائقها، فنطقوا بألسنتهم المناسبة لعالمهم بالإقرار والشهادة، فعند تعيّن المركز والمحيط في الجسم الكلي الذي هو أحد المواطن، قدّر خلقُ بني آدم من الأجزاء التي تلي المركز أي مركز العالم، لأنّ هذا البنيان ترابي الحدوث طينيّ الهيكل، فأخذ الميثاق من ذرات الطينة الترابية القريبة من المركز، المجموعة كلّها بالنحو الجُمَلي في طينة آدم، فقبلت تلك الأجزاء الصافية بمحض لطافة طينتها النورية وصرافة صفائها الأصلي فأُلقِم ذلك الميثاق في الجوهرة القريبة من المركز حيث إستوت نسبتُها إلى جميع الأجزاء لأنّ الشاهد ينبغي أن يكون عدلاً غير مائل إلى طرف من الأطراف على معنى أن هذا الجزء لما كان متعيّناً قبل تعيُن ساير الأجزاء وكان من جنس طينة آدم وتلك الطينة هي القابلة لحمل الأمانة وقبول=

قطع العلائق الأقلاع عن جميع المعاصي

وأما قطع العلائق: فمعناه ردُ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي، وكلُ مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضرة متعلّق بتلبيبه[(١)] ينادي عليه ويقول: إلى أين تتوجّه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيّع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أو لا تستحيي من أن تقدم

= التكليف بالألوهية والنبوّة والولاية، صار هذا الجزء الشاهد والمُلقّم فيه الميثاق وعُبّر عنه بـ «المَلَك» (بفتحتين) لأنّ المرتبة هي باطن عالم المُلك (بالضم) الذي هو عالمنا هذا. ولكلّ باطن سلطنة على الظاهر بالتربية والتدبير، ولا نعني بالملك إلاّ من له هذا السلطان والتقدّم حيث تعيّن بالمركزية قبل تعيّن الأجزاء الأخر بأحكامها، لست أعني بالمركز ما إصطلح عليه القوم بل على معنى يقال للأرض مركز.

وبالجملة، الحجر الأسود هو الجزء القريب من الوسط من الأرضية النورية المصاحبة لطينة آدم من حيث وقوعه في أفق حكم فيه بحدوث آدم ولم يخالطه الإزدواجات التركيبية والإختلاطات المزاجية بل بقي على صرافة الجسمية النورية فلذا ورد: أنه «كان ياقوتة حمراء أو دُرّة بيضاء» كما ورد في شأن العرش كذلك.

والرمي من الجنة، هو تلبّسه بلباس النشأة العنصرية وهبوطه من العالم الشريف العرشي والجسم النوري إلى هذا العالم الظلماني. «ثم وقوعه في الهند»، هو ظهوره في هذه المرتبة التي هي مغرب الأرواح. «وعدم معرفة آدم به»، لأجل تغيّر اللباس وإحاطة ظلمة ذنوب بني آدم به حيث ظهرت هذه المرتبة بسبب تعيّشهم وتزوّدهم وهبط هو حيث هبطوا من أجل سقوط ريشهم وعصيانهم. «ثم تحوّله ثانياً إلى صورته الأصلية إلى أن عرفه آدم»، هو قبوله لتقشير آدم إياه عن هذا اللّباس كتقشير المحسوس لرؤية المعقول. «وحمل آدم وجبرئيل إيّاه على العاتق»، عبارة عن مجيئه إلى هذه النشأة بتوسط وجود آدم مع إعانة جبرئيل في هذا النظام الأتم إذ لولا وجود هذا النوع وكذا توسط جبرئيل لم يتحرك من مكانه ومقامه. «ثم وضع الحجر في هذا المكان» الذي هو الوسط لكون مقامه حيث الميثاق على هذا النمط كما أشرنا إليه وذلك للأشعار برجوع الكل إلى ما بدأ منه. [أسرار العبادات للقاضي سعيد القمي ص ١١٧-١٢١].

(١) التلبيب: موضع اللبب من الثياب ويعرف بالطوق.

عليه قدوم العبد العاصي فيردُك ولا يقبلك، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفّذ أوامره وردَّ المظالم وتب إليه أوّلاً من جميع المعاصي، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجّهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجّه إلى بيته بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أوّلاً إلاّ النصب والشقاء وآخراً إلاّ الطرد والرّد، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه، وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأهله ولأولاده فإنّ المسافر ومتاعه لعلى قلت[1] إلاّ ما وقى الله وليتذكر عنه قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخرة فإنّ ذلك بين يديه على القرب وما نقدّمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقرُ وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر.

تدبير الزاد من موضع حلال

وأما الزاد: فليطلبه من موضع حلال وإذا أحسّ من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغيّر ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكّر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وأنّ ما عداه ممّا يظن أنّه راده يتخلّف عنه عند الموت ويخونه، فلا يبقى معه كالطعام والرطب الّذي يفسد من أوّل منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيّراً محتاجاً لا حيلة له، فليحذر أن يكون أعماله الّتي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

تجهيز الراحلة

وأما الراحلة: إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله له

(١) القلت ـ بالتحريك ـ: الهلاك والفساد.

الدّوابّ ليتحمّل عنه الأذى ويخفّف عنه المشقّة وليتذكّر عنده المركب الّذي يركبه إلى الدّار الآخرة وهي الجنازة الّتي يحمل عليها، فإنّ أمر الحجّ من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً لذلك السفر على ذلك المركب، فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعلّ الموت قريب، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمّازة في ركوب الجنازة مقطوع به، وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن.

شراء ثوب الإحرام

وأما شراء ثوب الإحرام: فليتذكّر عنده الكفن، ولفّه فيه فإنّه سيرتدي ويتّزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله، وربما لا يتمّ سفره إليه وأنّه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلا مخالفاً عادته في الزيّ والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلاّ في زيّ مخالف لزّي الدُّنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب، إذ ليس فيها مخيط كما لا مخيط في الكفن.

عملية الخروج

وأما الخروج من البلد: فليعلم أنّه فارق الأهل والوطن متوجّهاً إلى الله في سفر لا يضاهي أسفار الدُّنيا فليحضر في قلبه ماذا يريد وأين يتوجّه وزيارة من يقصد وأنّه متوجّه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه الّذين نودوا فأجابوا، وشوّقوا فاشتاقوا، واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق، وأقبلوا على بيت الله الّذي فخم أمره، وعظم شأنه، ورفع قدره، تسلّياً بلقاء البيت عن لقاء ربّ البيت إلى أن يرزقوا منتهى مُناهم، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم، وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله في

الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنّه إن لم يصل وأدركته المنيّة في الطريق لقي الله وافداً إليه إذ قال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾(١).

دخوله البادية إلى الميقات

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات: فليتذكّر فيها ما بين الخروج من الدُّنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما الأهوال والمطالبات وليتذكّر من هول قطّاع الطريق هول سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيّات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر.

الاحرام والتلبية بالميقات

وأما الاحرام والتلبية بالميقات: فليعلم أنَّ معناه إجابة نداء الله فارج أن يكون مقبولاً واخش أن يقال لك: لا لبّيك ولا سعديك، فكن بين الرجاء والخوف متردّداً، وعن حولك وقوّتك متبرّياً، وعلى فضل الله وكرمه متّكلاً، فإنَّ وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محلُّ الخطر، قال سفيان بن عيينة(٢):

---

(١) سورة النساء: الآية، ١٠٠.

(٢) قال في التنقيح بعد نقل أقوال المشايخ حول الرجل: «على كل حال فلا يمكن الاعتماد على روايته بعد جزم جمع من الاساطين بكونه عامياً وعدم ثبوت وثاقته، نعم من اعتبر توثيق العامي اكتفى بتوثيق ابن حجر في تقريبه بقوله: ثقة حافظ فقيه امام حجة الا أنه تغير حفظه وكان دلس لكن عن الثقاة من رؤوس الطبقة الثامنة - إلى آخر قوله - لكن الاعتماد على توثيقهم مشكل لأن عدالتهم كطهارة المسماة ببي بي تميز لا=

«حجّ عليُّ بن الحسين عليه السلام فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفّر لونه وانتفض ووقع عليه الرّعدة ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: لم لا تلبّي؟ فقال: أخشى أن يقول لي ربّي: لا لبّيك، ولا سعديك، فلمّا لبّى غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه».

وقال أحمد بن أبي الحواري: كنت مع أبي سليمان الدّاراني حين أراد الإحرام فلم يلبّ حتّى سرنا ميلاً وأخذته الغشية ثمّ أفاق، وقال: يا أحمد إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: «مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلّوا من ذكرى فإنّي أذكر من ذكرني منهم باللّعنة، ويحك يا أحمد بلغني أنّ من حجّ غير حلّة ثمّ لبّى قال الله عزّ وجلّ له: لا لبّيك ولا سعديك حتّى تردّ ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك.

وليتذكّر الملبّي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابة لنداء الله تعالى إذ قال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ نداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله، ومنقسمين إلى مقرّبين وممقوتين، ومقبولين ومردودين ومردّدين في أوّل الأمر بين الخوف والرجاء تردُّد الحاجّ في الميقات حيث لا يدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ وقبوله أم لا.

= يخل بها شيء وكذا تراه يعترف بتدليسه ومع ذلك يوثقه ويجعله اماماً وحجة، وقد شهد بتدليسه في محكى أوائل جامع الاصول حيث قال ما محصله: المحكى أن من القوم من يدلس الحديث فيقول: قال فلان وبعد التفتيش يظهر طريق سماعه، منهم سفيان بن عيينة وهو امام من أئمة أهل مكة الخ».

دخول الحاج مكة

وأما دخول مكّة: فليتذكّر عندها أنّه قد انتهى إلى حرم آمن وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقّاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحقّ الزائر مرعيّ وذمام المستجير اللائذ غير مضيّع.

وقوع البصر على البيت

وأما وقوع البصر على البيت: فينبغي أن تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدّر كأنّك مشاهد لربّ البيت لشدّة تعظيمك وراجُ أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت واشكر الله على تبليغه إيّاك هذه الرتبة وإلحاقه إيّاك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنّة آملين لدخولها كافّة، ثمّ انقسامهم إلى مأذونين في الدُّخول ومصروفين انقسام الحاجّ إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكّر أُمور الآخرة في شيء ممّا تراه، فإنّ كلّ أحوال الحاجّ دليل على أحوال الآخرة.

الطوف بالبيت

وأما الطواف بالبيت: فاعلم أنّه صلاة وأحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرَّجاء والمحبّة ما فصّلناه في كتاب الصلاة، واعلم أنّك في الطواف متشبّه بالملائكة المقرّبين الحافّين حول العرش الطائفين حوله، ولا تظنّنّ أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتّى لا يبتدىء الذكر إلاّ به، ولا يختم إلاّ به كما يبتدىء الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت، واعلم أنّ الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبيّة وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة

الّتي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الّذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأنّ عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأنّ البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذا البيت، ولمّا قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أُمروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم، والّذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الّذي يقال: إنّ الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله.

استلام الحجر الأسود

وأما الاستلام: فاعتقد عنده أنّك مبايع لله على طاعته فصمّم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحقّ المقت، وقد روى ابن عبّاس عنه ﷺ أنّه قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه»[1].

التعلق بأستار الكعبة

وأما التعلق بأستار الكعبة والإلتصاق بالملتزم: فليكن نيّتك في الالتزام طلب القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت، وتبرُّكاً بالمماسّة، ورجاء للتحصّن عن النار في كلّ جزء لاقى البيت وليكن نيّتك في التعلّق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلّق بثياب من أذنب

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه وابن عساكر عن جابر وقد مر آنفاً وأخرجه الحاكم في المستدرك ج١ ص ٤٥٧ بدون شرط الشيخين وبدون قوله: «كما يصافح الرجل أخاه».

إليه، المتضرّع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنّه لا ملجأ له منه إلاّ إليه، ولا مفزع له إلاّ عفوه وكرمه، وأنّه لا يفارق ذيله إلاّ بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

السعي بين الصفا والمروة

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت: فيضاهي تردُّد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرّة بعد أُخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالّذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الّذي يقضي به الملك في حقّه من قبول أوردّ، فلا يزال يتردّد على فناء الدار مرّة بعد أُخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأُولى، وليتذكّر عنه تردُّده بين الصفا والمروة تردُّده بين كفّتي الميزان في عرصات القيامة وليمثّل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيئات وليتذكّر تردّده بين الكفّتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان مردداً بين العذاب والغفران.

الوقوف بعرفة

وأما الوقوف بعرفة: فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللّغات، واتّباع الفرق أئمتّهم في التردّدات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرتهم عرصات القيامة واجتماع الأُمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كلّ أُمّة نبيّها وطمعهم في شفاعتهم وتحيّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول، وإذا تذكّرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين، وحقّق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرّحمة إنّما تصل من حضرة الجلال إلى كافّة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفكُّ الموقف عن طبقةٍ من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب، فإذا اجتمعت هممهم وتجرّدت للضّراعة

والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم، وامتدّت إليه أعناقهم، وشخصت نحو السماء أبصارهم، مجتمعين بهمّة واحدة على طلب الرّحمة فلا تظنّنّ أنّه يخيّب أملهم، ويضيّع سعيهم، ويدّخر عنهم رحمة تغمرهم، ولذلك قيل: إنّ من أعظم الذُّنوب أن يحضر عرفات ويظنّ أنّ الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد وهو سرُّ الحجّ وغاية مقصوده، ولذا قال ﷺ: «الحجُّ عرفة»[1] فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد».

الوقوف بالمشعر

أقول: وأما الوقوف بالمشعر فاستحضر أنّه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه، فأذن لك في دخول حرمه فإنّ المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه فقد أشرفت على أبواب الرحمة وهبّت عليك نسمات الرأفة وكسيت خلع القبول بالأذن في دخول حرم الملك، وإنّما لم يذكره أبوحامد لأنّه ليس بفريضة عند العامّة حرمهم الله من هذا الركن العظيم.

رمي الجمار

قال: **وأما رمي الجمار**: فاقصد به الانقياد للأمر اظهاراً للرقّ والعبوديّة وانتهاضاً لمجرّد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثمّ اقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس عليه اللّعنة في هذا الموضع ليدخل

(١) رواه احمد والحاكم والبيهقي كلهم عن عبد الرحمن بن يعمر بسند صحيح كما في الجامع الصغير باب الجيم.

على حجّة شبهة أو فتنة بمعصية فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله، فإن خطر لك أنّ الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأمّا أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان فإنّه الّذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيّل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنّه يضاهي اللّعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجدّ والتشمّر في الرمي فبه تُرغم أنف الشيطان، واعلم أنّك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلاّ بامتثالك أمر الله تعظيماً له بمجرّد الأمر من غير حظّ النفس

ما ينبغي عند إستلام الحجر

(١) **قال النراقي في جامع السعادات**: ينبغي أن يتذكر عند إستلام الحجر الأسود، أنه بمنزلة يمين الله في أرضه، وفيه مواثيق العباد. قال رسول الله ﷺ: «إستلموا الركن، فإنه يمين الله في خلقه، يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدخيل، ويشهد لمن إستلمه بالموافاة»، ومراده ﷺ بالركن: الحجر الأسود، لأنه موضوع فيه، وإنما شبه باليمين، لأنه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا، كاليمين حين التصافح. وقال الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد، أمر الحجر فالقمها، فلذلك يقال. أمانتي أديتها، وميثاقي عاهدته، ولتشهد لي بالموافاة». وقال عليه السلام: «الركن اليماني باب من أبواب الجنة، لم يغلقه الله منذ فتحه». وقال عليه السلام: «الركن اليماني بابنا الذي يدخل منه الجنة، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد».

قيل: إنما شبه بباب الجنة، لأن إستلامه وسيلة إلى وصولها، وبالنهر، لأنه تغسل به الذنوب. ثم لتكن النية في الإستلام والإلتصاق بالمستجار، بل الممارسة لك جزء من البيت، طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت، وتمسكاً وتبركاً بالممارسة، ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت، ولتكن نيته في التعلق بأستار البيت الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمقصر المتعلق بثياب من قصر في حقه، المتضرع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه، ولا مفزع إلا عفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه، ويعطيه الأمان في المستقبل. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٢-٣٩٣]. =

والعقل فيه[١].

ذبح الهدي

وأما ذبح الهدى: فاعلم أنّه تقرُّب إلى الله بحكم الامتثال، وأكمل الهدي وأجزاءه وارج أن يعتق بكلّ جزء منها جزءاً منك من النار، فهكذا ورد الوعد، فكلّما كان الهدي أكثر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النّار أعمّ.

آداب زيارة المدينة

وأما زيارة المدينة: فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكّر أنّها البلدة الّتى اختارها الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ، وجعل إليها هجرته وأنّها داره الّتي فيها شرّع فرائض ربّه وسننه وجاهد عدوّه وظهر بها دينه إلى أن توفّاه الله، ثمّ جعل تربته فيها، ثمّ مثّل في نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردّداته

ما ينبغي عند الرمي والذبح

= وإذا ورد منى، وتوجه إلى رمي الجمار، فليقصد به الإنقياد والإمتثال، إظهاراً للرق والعبودية، وتشبيهاً بالخليل الجليل عليه السلام، حيث عرض له إبليس اللعين في هذا الموضع ليفسد حجه، فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طرداً وقطعاً لأصله. وينبغي أن يقصد أنه يرمي الحصا إلى وجه الشيطان ويقصم به ظهره، ويرغم به أنفه، إذ إمتثال أمر الله تعالى تعظيماً له يقصم ظهر اللعين ويرغم أنفه. وإذا ذبح الهدي، فليستحضر أن الذبح إشارة إلى أنه بسبب الحج قد غلب على الشيطان والنفس الأمارة وقتلهما، وبذلك إستحق الرحمة والغفران، ولذا ورد: أنه يعتق بكل جزء من الهدي جزء من النار. فليجتهد في التوبة والرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الأعمال القبيحة، حتى يصير حاله احسن من سابقه، ليصدق عليه إذلاله الشيطان والنفس الأمارة في الجملة، ولا يكون عمله من الكاذبين. ولذلك ورد: أن علامة قبول الحج: أن يصير حاله بعد الحج أحسن مما كان عليه قبله وفي الخبر: أن علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي، وأن يستبدل بإخوانه البطالين إخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة. [جامع السعادات ج ٣ ص ٣٩٥-٣٩٦].

فيها، وأنّه ما من موضع قدم تطؤه إلاّ وهي موقع قدمه العزيز، فلا تضع قدمك عليه إلاّ على سكينة ووجل، وتذكّر مشيّه وتخطيّه في سككها، وتصوّر خشوعه وسكينته في المشي، وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته، ورفعة ذكره، حتّى قرنه بذكر نفسه وإحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته، ثمّ تذكر ما منّ الله به على الّذين أدركوا صحبته، وسعدوا بمشاهدته، واستماع كلامه، وأعظم تأسّفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه، ثمّ اذكر أنّه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنّك من رؤيته في الآخرة على خطر، وأنّك ربما لا تراه إلاّ بحسرة، وقد حيل بينك وبين قبوله إيّاك لسوء عملك كما قال ﷺ: «يرفع إليّ أقوام فيقولون: يا محمّد يا محمّد فأقول: يا رب أُصيحابي، فيقول: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: بعداً وسحقاً»[1].

أقول: لا يذهب على أهل المعرفة واللّب معنى الحديث، والمراد من الأصحاب وحدثهم، وظاهرٌ أنّ الأصحاب لا يطلق على جميع الأُمّة.

قال: «فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجّته، وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته ومن غير تجارة، ولاحظّ في دنيا بل لمحض محبّتك له وتشوّقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرّد ذلك لما فاتتك رؤيته، فما أجدرك بأن ينظر الله إليك بعين الرحمة، فإذا بلغت المسجد فاذكر أنّ

---

(١) راجع صحيح البخاري ج٨ ص ١٤٩ و١٥٠ باب: الحوض في كتاب الدعوات، وسنن ابن ماجه تحت رقم ٣٠٥٧.

فرائض الله تعالى أوّل ما أُقيمت في تلك العرصة، وأنّها جمعت أفضل خلق الله حيّاً وميّتاً، فليعظم أملك في الله عزّ وجلّ أن يرحمك بدخولك إيّاه، فادخله خاشعاً معظّماً، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كلّ مؤمن.

آداب زيارة رسول الله ﷺ

وأما زيارة رسول الله ﷺ: فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميّتاً كما تزوره حيّاً، ولا تقرب من قبره إلاّ كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيّاً، واعلم أنّه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك، وأنّه يبلغه سلامك وصلواتك فمثّل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً على اللّحد بإزائك، وأحضر عظيم رتبته في قلبك، فقد روي عنه عليه السلام. «أنّ الله تعالى وكّل بقبره ملكاً يبلّغه سلام من سلّم عليه من أُمته»[(١)] هذا في حقّ من لم يحضر قبره، فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرّته الكريمة، وقد قال ﷺ: «من صلّى عليّ مرّة صلّى الله عليه عشراً»[(٢)] فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه، ثمّ أئت المنبر وتوهّم صعود النبيّ ﷺ المنبر ومثّل في قلبك طلعته البهيّة قائماً على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار وهو يحثّهم على طاعة الله بخطبته، وسل الله أن لا يفرّق في القيامة بينك وبينه فهذا وظيفة القلب في أعمال الحجّ.

---

(١) أخرجه النسائي ج٣ ص ٤٣ ولفظه: «أن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من امتي السلام».

(٢) أخرجه النسائي في السنن ج٣ ص ٥٠ بالفاظ مختلفة.

فإذا فرغ منها كلّها فينبغي أن يلزم قلبه الهمّ والحزن والخوف، فإنّه ليس يدري أقبل حجّه وأُثبت في زمرة المحبوبين أو ردّ حجّه وأُلحق بالمطرودين، وليعرف ذلك من قلبه ومن أعماله، فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى الأُنس بالله ووجد أعماله قد اتّزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول، فإنّ الله لا يقبل إلاّ ممّن أحبّه ومن أحبّه تولاّه وأظهر عليه آثار محبّته، وكفّ عنه سطوة عدوّه إبليس، فإذا ظهر ذلك عليه دلّ على القبول، وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظّه من السّفر العناء والتعب نعوذ بالله منه».

أسرار الحاج عند الامام الصادق عليه السلام

أقول: لنختم الكلام بما ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في أسرار الحجّ ودقائقه تبرُّكاً بكلامه عليه السلام وتشريفاً للختام.

روى في مصباح الشريعة عند صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين أنّه قال: «إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب، وفوّض أُمورك كلّها إلى خالقك وتوكّل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوّتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالاً، فإنّ من ادعى رضا الله[1] واعتمد على ما سواه صيّره عليه وبالاً وعدوّاً ليعلم أنّه ليس له قوّة وحيلة ولا لأحد إلاّ بعصمة الله وتوفيقه، فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع

(١) كذا وهكذا أيضاً في المصدر وفيه: الظاهر: «فإن من ابتغى رضى الله».

وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيّه ﷺ وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسّكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك وتبرّء من حولك وقوّتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى ولا تتمنّ ما لا يحلُ لك ولا تستحقه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيّته وتقرّب إليه، واتّقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودرُ حول البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لعزّته ووذّع ما سواه[١] بطواف الوداع واصف روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن بمرأى من الله، نقيّا أوصافك عند المروة، واستقم على شرط حجّتك هذه ووفاء عهدك الّذي عاهدت به مع ربّك وأوجبته له إلى يوم القيامة، واعلم بأنّ الله تعالى لم يفرض الحجّ ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ ولا شرع نبيّه سنّة في خلال المناسك على ترتيب ما

(١) في بعض النسخ من المصدر والكتاب: [ودع ما سواه].

شرعه إلاّ للاستعانة والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السبق من الدُّخول في الجنّة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أوّلها إلى آخرها لأُولى الألباب وأُولى النهى»[١].

انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه.

وبانتهائه تمّ وختم كتاب أسرار الحجّ ومهماته من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء.

أسرار الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر

بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرحِيم

الحمد لله الّذي لا تستفتح الكتب إلاّ بحمده، ولا تستمنح النعم إلاّ بواسطة كرمه ومجده ورفده.

والصلاة على سيّد الأنبياء محّمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبّين الطاهرين من بعده.

أما بعد: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدّين، وهو المهمُّ الّذي بعث الله له النبيّين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل عمله وعلمه تعطّلت النبوّة، وإضمحلّت الدّيانة، وعمّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وإستسرى الفساد، وأتّسع الخرق، وخرب البلاد، وهلك العباد، وإن لم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد، وقد كان الّذي خفنا أن يكون. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، إذ قد إندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وإنمحى بالكلّيّة حقيقته ورسمه، وإستولت على القلوب مداهنة الخلق، وإنمحقت عنها مراقبة الخالق وإسترسل الناس في إتبّاع الهوى والشهوات إسترسال البهائم، وعزّ على بسيط الأرض مؤمنٌ صادقٌ لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسدَّ هذه الثلمة إمّا متكفّلاً بعملها أو متقلّداً لتنفيذها، مجدّداً لهذه السنّة الدّاثرة، ناهضاً بأعبائها، ومتشمّراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنّة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل[1] درجات القرب دون ذروتها، وها نحن

(١) تضاءل أي تصاغر وتقاصر.

نشرح علم ذلك في أربعة أبواب:

الباب الأوّل: في وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفضيلته.

الباب الثاني: في أركانه وشروطه.

الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات.

الباب الرابع: في أمر الأمراء بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

الباب الأوَّل

الأمر بالمعروف وفضيلته والنهي عن المنكر وفضيلته

في وجوب الأمر بالمعروف وفضيلته والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمّة في إهماله ويدلّ على ذلك بعد إجماع الأمّة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٠٤﴾﴾(١) ففي الآية بيان الإيجاب فإنّ قوله: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمرٌ وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أنّ الفلاح منوط به إذ حصر وقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وفيها بيان أنّه فرض كفاية لا فرض عين فإنّه إذا قام به أُمّة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلّكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ فإذن مهما قام به واحدٌ أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عمّ الحرج كافّة القادرين عليه لا محالة.

وقال تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿١١٤﴾﴾(٢) فلم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣ و ١١٤.

يشهد لهم بالصلاح بمجرّد الإيمان بالله واليوم الآخر حتّى أضاف إليه الأمر بالمعروف.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١) فقد نعت المؤمنين بأنّهم يأمرون بالمعروف فالّذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(٢).

وهذا غاية التشديد إذ علّل إستحقاقهم اللّعنة بتركهم النهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٣).

وهذا يدلُّ على فضيلة الأمر بالمعروف إذ بيّن أنّهم كانوا به خير أُمّة.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾(٤).

فبيّن أنّهم إستفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدلُّ ذلك على الوجوب أيضاً.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥ والبئيس: الشديد.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(١).

فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟﴾(٢).

وهو أمرٌ جزم، ومعنى التعاون الحثُّ عليه وتسهيل طرق الخير وسدُّ سبل الشرِّ والعدوان بحسب الإمكان.

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾(٣) فبيّن أنّهم أثموا بترك النهي.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾(٤).

فبيّن أنّه أهلك جميعهم إلاّ قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾(٥) وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين.

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٣.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية[(٢)].

والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله بقتاله.

فقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[(٣)].

وذلك هو النهي عن المنكر.

أما الأخبار: فعن النبيّ ﷺ قال: «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلاّ يوشك أن يعمّم الله بعذاب من عنده»[(٤)].

وعن أبي ثعلبة الخُشنيّ أنّه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[(٥)] فقال: «يا أبا ثعلبة: مر بالمعروف وانه عن المنكر، وإذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوى متّبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام، إنّ من ورائكم فتناً كقطع اللّيل المظلم للمتمسّك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قيل: بل منهم يا رسول الله؟ قال: بل منكم لأنّكم تجدون على الخير أعواناً

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٤٣٦ وابن ماجه وابن حبان بسند حسن كما في الجامع الصغير.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

ولا يجدون عليه[١].

وسئل إبن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال: «إنَّ هذا ليس زمانها إنّها في اليوم مقبولة، ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها، تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذٍ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر أو ليسلّطَنَّ الله عليكم شِراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٣].

معناه يسقط مهابتهم عن أعين الأشرار فلا يهابونهم ولا يخافونهم.

وقال ﷺ: «يا أيّها الناس إنَّ الله تعالى يقول: يا أيّها الناس لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[٤].

وقال ﷺ: «ما أعمال البرّ عند الجهاد في سبيل الله إلاّ كنفثة في بحر لجّيّ، وما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ كنفثة في بحر لجّيّ»[٥].

---

(١) أخرجه إبن ماجه تحت رقم ٤٠١٤ كتاب الفتن، وقوله: «مؤثرة» أي يختارها كل أحد على الدين ويميل إليها لا إليه.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وسعيد بن منصور عنه كما في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط البزار عن أبي هريرة كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٦.

(٤) رواه الأصبهاني في حديث عن إبن عمر كما في الترغيب ج ٣ ص ٢٣١.

(٥) قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصراً على الشطر الأول من حديث جابر بإسناد ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلاً ولا أدري من هو. أقول: في الكافي ج ٥ ص ٥٩ نحوه.

وقال ﷺ: «إنّ الله تعالى ليسأل العبد: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقّن الله العبد حجّته قال: يا ربُّ وثقت بك وفرقت من الناس»[١].

قال ﷺ: «إيّاكم والجلوس على الطرقات، قالوا: ما لنا بدٌّ منها إنّما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال: فإذا أبيتم إلاّ ذلك فأعطوا الطريق حقّه، قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: غضّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمر بالمعروف ونهيٌ عن المنكر»[٢].

وقال ﷺ: «كلام إبن آدم كلّه عليه لا له أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله»[٣].

وقال ﷺ: «إنّ الله لا يعذّب الخاصة بذنوب العامّة حتّى يظهر المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه»[٤]

وروى أبو أمامة الباهليّ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «كيف أنتم إذا طغى نساؤكم، وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟

قالوا: وإن ذلك لكائنٌ يا رسول الله.

قال: نعم، والّذي نفسي بيده وأشدّ منه سيكون.

---

(١) أخرجه إبم ماجه تحت رقم ٤٠١٧ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه مسلم ج ٧ ص ٣ من حديث أبي سعد الخدري.

(٣) أخرجه إبن السنى في عمل اليوم والليلة ص ٣. وأخرجه أبو داود وإبن ماجه من حديث أم حبيبة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٩٢ من حديث عدي بن عميرة ولأبي داود ج ٢ ص ٤٣٨ من حديث عدي بن عدي نحوه.

قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟

قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: نعم والّذي نفسي بيده وأشدّ منه.

قالوا: وما أشدُّ منه؟

قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: نعم والّذي نفسي بيده وأشدّ منه سيكون؟

قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟

قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: نعم والّذي نفسي بيده وأشدّ منه سيكون، يقول الله تعالى: «بي حلفت لأُتيحنَّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران»[1].

وعن مكرمة، عن إبن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تقفنَّ عند رجل يقتل مظلوماً فإنَّ اللّعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعه»[2]

(١) قال العراقي: أخرجه إبن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله: «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف» وررواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصراً على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الأخيرتين وإسناده ضعيف ويأتي من الكافي مثله.

(٢) أخرجه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن كما في الترغيب ج ٣ ص ٣٠٤.

وقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لإمرء شهد مقاماً فيه حقٌّ إلاّ تكلّم به فإنّه لم يُقدِّم أجله ولم يحرمه رزقاً هو له»[١]؛ وهذا الحديث يدلُّ على أنّه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة، ولا حضور المشاهد الّتي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنّه قال: «اللّهنة تنزل على من حضر» ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة إعتذاراً بأنّه عاجز، ولهذا إختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكر في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق.

وقال إبن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبيّاً إلاّ وله حواريّ فيمكث النبيُّ بين أظهرهم ما شاء الله، يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتّى إذا قبض الله نبيّه مكث الحواريّون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنّة نبيّهم، فإذا إنقرضوا كان من بعدهم قومٌ يركبون رؤوس المنابر، يقولون ما يعرفون، ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحقٌّ على كلّ مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع ذلك فبقلبه ليس وراء ذلك إسلام»[٢].

وقال إبن مسعود: كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون، فقام أحدهم فقال: إنّكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون، فجعلوا يردُّن عليه ولا يرعوون عن أعمالهم، فسبّهم فسبّوه وقاتلهم فغلبوه فإعتزل ثمّ قال: اللّهمّ إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبّوني وقاتلتهم فغلبوني ثمّ ذهب، ثمّ قام الآخر

(١) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث إبن عباس بسند الحديث الذي قبله (المغني).
(٢) أخرج مسلم ج ١ ص ٥١ نحوه.

فنهاهم فلم يطيعوه فسبّهم فسبّوه فإعتزل ثمّ قال: اللّهم إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبّوني ولو قاتلتهم لغلبوني، ثمّ قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فإعتزل عنهم، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي قد نهيتهم فلم يطيعوني، ولو سببتهم لسبّوني ول قاتلتهم لغلبوني ثمّ ذهب، ثمّ قام الرابع وقال: اللّهمّ إنّي لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبّوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثمّ ذهب، قال أبن مسعود: كان الرابع أدناهم منزلة وقليلٌ فيكم مثله.

وقال إبن عبّاس: «قيل: يا رسول الله أيهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: نعم، قيل: بم يا رسول الله؟ قال: بشهادتهم وسكوتهم عن معاصي الله عزّ وجلّ»[1]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء

أقول: ومن طريق الخاصّة، ما رواه في الكافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون في آخر الزّمان قومٌ يتّبع فيهم قوم مراؤون يتقرّؤون ويتنسّكون[2]، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ إذا أمنوا الضرر، ويطلبون لأنفسهم الرُخص والمعاذير، يتبّعون زلاّت العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم[3] في نفس ولا مال ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنالك يتمُ غضب الله تعالى عليهم فيعمّهم

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه يحيى بن يعلي الأسلمي وهو ضعيف وكذلك رواه البزار كما في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٨.

(٢) أي يتعبدون ويتزهدون.

(٣) الكلم: الجرح أي ما لا يضرهم.

بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجّار، والصغار في دار الكبار، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلُّ المكاسب، وتردُّ المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبهم، والفظوا بألسنتهم، وصكّوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن إتّعظوا وإلى الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهم ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[١] هنالك[٢] فجاهدوا بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريدين بالظلم ظفراً[٣] حتّى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته. قال: وأوحى الله إلى شعيب النبيّ عليه السلام أنّي معذّب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ أوحى الله تعالى إليه داهنوا أهل المعاصي[٤] ولم يغضبوا بغضبي»[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما قدّست أُمّة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بحقّه غير متعتع»[٦].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٢. والبغي: الظلم.

(٢) أي حين لم يتعظوا ولم يرجعوا إلى الحق.

(٣) أي غير متوسلين إلى الظفر عليهم بالظلم بل بالعدل.

(٤) أي تركوا نصيحتهم ولم يتعرضوا لهم ولم يمنعوهم من قبائحهم.

(٥) الكافي ج ٥ ص ٥٦.

(٦) الكافي ج ٥ ص ٥٦. و «متعتع» بفتح التاء أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه.

ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[١].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «ويلٌ لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه حمد الله وأثنى عليه وقال: «أمّا بعد فإنّه إنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الرّبّانيّون والأحبار عن ذلك وإنّهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينهم الرّبّانيّون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر، وأعلموا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقرّبا أجلاً ولن يقطعا رزقاً، إنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان، فإن أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس أو رأى عند أخيه جفوة[٣] في أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ عليه فتنة فإنّ المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت فيغري بها لئام الناس كان كالفالج الياسر[٤] الّذي ينتظر أوّل فوزة من

(١) كما في السابق.

(٢) كما في السابق.

(٣) كذا وفي المصدر «غفيرة في أهل أو مال» والغفيرة وهنا بمعنى الكثير كقولهم جم غفير وهو الصواب.

(٤) في النهاية: الفالج: الغالب في قماره، والياسر: المتقامر وهو الذي تساهم قداح اليسر، وقال المؤلف في الوافي «لا تكونن» يعني لا تكونن ما رأى في أخيه له فتنة تفضي به إلى الحسد لأن من لم يواقع لدناءة وقبيح يستحي من ذكره بين الناس وهتك ستره به كاللاعب بالقداح المحظوظ منها، و «الغشيان» الإتيان «فيغرى بها» أي يولع بنشرها «كان كالياسر» خبر «ان». «توجب له المغنم الخ» أي تجلب به نفعاً ويدفع عنه بها الضر.

قداحه حتّى توجب له المغنم ويدفع بها عنه المغرم وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله تعالى إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خيرٌ له، وإلا رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه، إنَّ المال والبنين حرث الدُّنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها فلمّا إنتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرَّع فقال أحد الملكين لصاحبه: أما ترى هذا الدّاعي؟ فقال: قد رأيته ولكن إمضي لما أمر به ربّي فقال: لا، ولكن لا أحدث شيئاً حتّى أُراجع ربّي فعاد إلى الله تعالى فقال: يا ربِّ إنّي إنتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرَّع إليك فقال: إمض لما أمرتك به فإنَّ ذا رجلٌ لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قطّ»[٢].

وعنه عليه السلام «إنَّ رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أخبرني ما أفضل الإسلام؟ قال: الإيمان بالله، قال: ثمَّ ماذا؟ قال: ثمَّ صلة الرَّحم، قال: ثمَّ ماذا؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: فقال الرجل: فأيُّ الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: الشرك بالله، قال: ثمَّ ماذا؟ قال: قطيعة الرَّحم، قال: ثمَّ ماذا، قال: الأمر بالمنكر، والنهيُ عن المعروف»[٣].

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٧ تحت رقم ٦.
(٢) الكافي ج ٥ ص ٨ والتمعر: التغير يقال تمعر لونه عند الغضب أي تغير.
(٣) المصدر ج ٥ ص ٥٨ تحت رقم ٩.

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مُكفَهِرّة»(١).

وعنه عليه السلام قال: «الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزّه الله ومن خذلهما خذله الله»(٢).

وعنه عليه السلام: «أنّه كان إذا مرّ بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتّى يقول ثلاثاً: إتّقوا الله يرفع بها صوته»(٣).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرٌّ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»(٥).

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنّ الله ليبغض المؤمن الضعيف الّذي لا دين له،

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٨ والمكفهر: العبوس، قال الجوهري: إكفهر الرجل إذا عبس.

(٢) المصدر ج ٥ ص ٥٩ وتواكلوا أي تقاعدوا وتواكل القوم أي إتكل بعضهم على بعض وأريد بالوقاع: النازلة الشديدة أو الحرب.

(٣) كما في السابق.

(٤) كما في السابق.

(٥) كما في السابق.

فقيل له: وما المؤمن الّذي لا دين له؟ قال: الّذي لا ينهى عن المنكر»[١].

وفي التهذيب، عن الصادق عليه السلام أنّه قال لقوم من أصحابه: «قد حقّ لي أن أخذ البريىء منكم بالسقيم وكيف لا يحقّ لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرّجل منكم القبيح ولا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتّى يتركه»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميّت بين الأحياء ـ في كلام هذا ختامه ـ»[٣].

ونسبه أبو حامد في الآثار إلى حذيفة وروي فيها[٤] عن عليّ عليه السلام أنّه قال: أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم، ثمّ الجهاد بألسنتكم، ثمّ الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله»[٥].

---

(١) كما في السابق.
(٢) المصدر ج ٢ ص ٥٦.
(٣) كما في السابق.
(٤) أي في الآثار من هذا الكتاب في الإحياء.
(٥) نقله الآمدي في الغرر كما في المستدرك ج ٢ ص ٣٦١.

الباب الثاني

في أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطه

أقول: لمّا كان كلام أبي حامد في هذا الكتاب مبنياً على أُصولهم الفاسدة من الرأي والإستحسان والقياس والإستدلال بالمتشابهات ممّا يزيد الحيرة والإلتباس، وكان يناقص بعضه بعضاً طوينا ذكره وأتينا فيه بمحصّل ما وصل إلينا من أئمّتنا المعصومين سلام الله عليهم، ثمّ نذكر بعض ما ورد عنهم عليهم السلام ممّا يؤيّده ويشيّده إن شاء الله.

فنقول ـ وبالله التوفيق ـ: الأمر بالواجب واجبٌ وبالمندوب مندوبٌ، والنهي عن الحرام واجبٌ ولكن هذا الوجوب والإستحباب مختصٌ بطائفة خاصّة لا يعمُّ آحاد الناس كما زعمه أبو حامد، وإنّما يثبت بشروط أربعة:

أحدها: العلم بكونه واجباً أو مستحباً أو حراماً أعني معروفاً أو منكراً ليأمن الغلط فلا يجب في المتشابه.

والثاني: تجويز التأثير فلو علم أو غلب على ظنّه أنّه لا يؤثّر لم يجب ولم يستحبّ لعدم الفائدة.

والثالث: أن يكون المأمور والمنهيُّ مصرّاً على الإستمرار فلو ظهر منه أمارة الإقلاع سقط للزوم العبث.

والرابع: أن لا يكون فيه مفسدة فلو ظنّ توجّه الضرر إليه أو إلى أحد

من المسلمين سقط إذ لا ضرر ولا إضرار في الدّين، ولا يجوز التجسّس كوضع الأُذن والأنف لإحساس الصوت والرّيح وطلب إراءة ما تحت الثوب ونحوه؛ وإذا إجتمعت الشرائط وكان المطّلع منفرداً تعيّن عليه وإن كان معه غيره وشرع أحدهما في الأمر أو النهي فإن ظنّ الآخر أنّ لمشاركته أثراً في تعجيل ترتّب الأثر ورسوخ الإنزجار وجب عليه أيضاً وإلاّ فلا، لأنّ الغرض وقوع المعروف وإرتفاع المنكر فمتى حصلا بفعلٍ واحدٍ كان السعي من الآخر عبثاً، وهذا معنى ما قيل: إنّ الوجوب كفائيٌ وأمّا من قال: إنه عينيٌ فإنّما أراد به الوجوب على من كان مستجمعاً للشرائط فما يصحُّ للنزاع ليس إلاّ سقوطه عن المستجمعين لها بقيام بعضهم به قبل ترتّب الأثر ليس إلاّ، سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب على الأُمّة جميعاً؟ فقال: لا، فقيل: ولم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفة الّذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ - يقول من الحقّ إلى الباطل -[1] والدّليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2] فهذا خاصٌ غير عامّ كما قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[3] ولم يقل على أُمّة موسى ولا على كلّ قومه وهم يومئذٍ أُمم مختلفة والأُمّة واحدة فصاعداً كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾[4] يقول: مطيعاً لله وليس على من لم يعلم ذلك في هذه الهدنة من

(١) كأنه كلام الراوي ومعناه أنهم يدعون الناس من الحق إلى الباطل لعدم إهتدائهم.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٠ وقوله: «قانتاً» أي مطيعاً. في القاموس القنوت: الطاعة. وكان عليه السلام أمة لكماله وإستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا متفرقة في جماعة كثيرة.

حرج إذا كان لا قوّة له ولا عدد ولا طاعة»[١].

ثم سئل عليه السلام عن الحديث النبويّ: «أنّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر. ما معناه؟ قال: هذا على أن يأمره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل منه»[٢].

أشار عليه السلام إلى أنّ للوجوب شرائط ولا يجب على فاقدها، وقد يضمن الحديث من شرائطها ثلاثة: وأهمل الإصرار ولعلّه لظهوره.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «إنّما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ أو جاهل فيتعلّم فأمّا صاحب سوط أو سيف فلا»[٣].

وعنه عليه السلام: «من تعرّض لسلطان جائر فأصابته بليّة لم يوجر عليها ولم يرزق الصبر عليها»[٤]

وعنه عليه السلام قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه قيل له: وكيف يذلّ نفسه؟ قال: يتعرّض لما لا يطيق»[٥].

وعنه عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه العزيز ألم يرَ إلى قول الله تعالى ههنا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠ وفي المصدر: «لا قوة له ولا عذر ولا طاعة».

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠ وفي المصدر: «لا قوة له ولا عذر ولا طاعة».

(٣) الكافي ج٥ ص ٦٠ باب: إنكار بالقلب.

(٤) كما في السابق.

(٥) المصدر ج ٥ ص ٦٣.

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً»[(٢)]

ثمّ للإنكار مراتب أوليها بالقلب وهو أن يبغضه على إرتكاب المعصية وهو مشروط بعلم الناهي وإصرار المنهيّ خاصّة دون الشرطين الآخرين، ثمّ بإظهار الكراهة، فإن إرتدع إكتفى به وإلاّ أعرض عنه وهجره، وإلاّ أنكره باللّسان بالوعظ والرفق في الزجر مرتّباً الأيسر فالأيسر، ولو لم ينزجر إلاّ باليد كالضرب وما شابهه فعل، ولو إفتقر إلى الجراح فالكفُّ أولى، والبحث عنه قليل الجدوى لأنَّ الجامع للشرائط أدرى لما يقتضيه الحال.

وفي الحديث: «أدنى الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة»[(٣)].

وفي آخر: «حسب المؤمن عزّاً إذا رأى منكراً أن يعلم الله من قلبه إنكاره»[(٤)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن أمر رضيه كان كمن شهده»[(٥)].

وفي هذه الأخبار كفاية عن تطويل أبي حامد في هذا الباب مع إبتنائه على الأصول العامّيّة وعدم جزمه بالحكم في الأكثر وإختلاف الحكم

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) المصدر ج ٥ ص ٦٤.
(٣) رواه الشيخ في التهذيب ج ٢ ص ٥٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام.
(٤) الكافي ج ٥ ص ٦٠ باب إنكار المنكر بالقلب.
(٥) الجعفريات بإسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وآله كما في المستدرك ج ٢ ص ٣٦١. ورواه أبو داود ج ٢ ص ٤٣٨.

بإختلاف الأزمان والأحوال، وتفاوت درجات المكروهات الّتي مال إليها بحسب الحسبة ممّا يجوز تحمّله وما لا يجوز وذلك في محلّ الإجتهاد والإنسان على نفسه بصيره.

وقد روى أبو حامد عن عمر أنّه تسلّق دار رجل[١] فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله من وجه فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه، فقال: ما هي؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسست، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وقد تسورت من السطح، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وما سلّمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة».

أقول: وصاحب الدار كان أولى بأن يشترط التوبة على عمر لكثرة معاصيه بالنسبة إليه، بل كان أولى بالأمارة منه لأنّه كان أعلم منه وأستر على معصيته منه وكان عمر إمّا جاهلاً أو مجترئاً هذا مع أنّ أبا حامد ربّما يستند في فتواه إلى قول عمر أو فعله وكان يعتقد فيه أنّه أفضل الصحابة بعد أبي بكر ويروي عنه هذه الرواية.

وفي مصباح الشريعة[٢]، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من لم يتسلّخ عن هواجسه ولم يتخلّص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وأمان عصمته لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنّه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلّما أظهر أمراً كان حجّة عليه ولا ينتفع الناس به قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٣] ويقال له:

(١) تسلق ـ من باب التفعل ـ الجدار: صعد عليه.
(٢) الباب الرابع والستين.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك، روي أنّ أبا ثعلبة الأسدي سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فقال عليه السلام: وأمر بالمعروف وإنهِ عن المنكر واصبر على ما أصابك حتّى إذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع أمر العامّة.

وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج إلى أن يكون عالماً بالحلال والحرام، فارغاً من خاصّة نفسه ممّا يأمرهم به وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق رحيماً لهم رفيقاً بهم، داعياً لهم باللّطف وحسن البيان، عارفاً بتفاوت أحلامهم لينزل كلاً منزلته، بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان، صابراً على ما يلحقه لا يكافيهم بها، ولا يشكو منهم، ولا يستعمل الحمّية، ولا يغلّظ لنفسه، مجرّداً نيّته لله مستعيناً به ومبتغياً لوجهه، فإن خالفوه وجفوه صبر، وإن وافقوه وقبلوا منه شكر، مفوّضاً أمره إلى الله ناظراً إلى عيبه»[1].

(١) ما ذكره القاضي سعيد القمي في أسرار العبادات في شرحه لحديث الإمام الصادق عليه السلام: إعلم - وفقك الله لمعرفة معالم دينه ومواقع أحكامه - أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنّما يجبان في الواجب والحرام ويستحبّان في المندوب والمكروه بشروط أربعة: العلم بالحكم، وإصرار الفاعل، وتجويز التأثير، والأمن من الضرر. فإن إنفرد بالرؤية تعين عليه وإلاّ فإن شرع غيره في الزجر وظنّ هو تأثير مشاركته وجب عليه أيضاً، وإلا فلا، وللإنكار مراتب:
أوليها: بالقلب ويشترط فيه من الشرائط: الأولان.
وثانيهما: باللسان.
وثالثها: بإظهار الكراهة القلبية فإن إكتفى وإلاّ أعرض عنه.
ورابعتها: باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر.
وخامستها: بالضرب وشبهه مع القدرة لو لم ينزجر إلا به.

=

= **وسادستها**: بالجراح ويتوقف على أخبار الحاكم. ثم إن الأحكام الإلهية كما صورة ظاهرية، كذلك لها أحكام باطنية يعرفها أهل العلم بالله وما لم يتحقق الأنسان بالحقيقة الباطنية لم تنفعه الصورة الظاهرة كثير نفع كمن يهجم عليه عدوّ وفي قربه حصنٌ حصين وهو يكرر من قوله: «أستعيذ من هذا العدو بذلك الحِصن» وظاهر أنّ ذلك لا يخلّصه ولا يُجديه نفعاً، كذلك القائل بلسانه: «أعوذ بالله من الشيطان» وهو لا يدخل في كنف الله.

وإذا عرفت ذلك، فالإنسان يجب أن يأمر نفسه عما يُنكره الله ويبعُده من جواره فكما أنّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شرايطَ أربعة في الظاهر كذلك لهما شرايط بذلك العدد في الباطن على المحاذاة التي بينهما.

فقوله عليه السلام : «من لم يتسلخ عن هواجسه» على محاذاة الشرط الأول وهو العلم بالمأمور به والنهي عنه.

وقوله: «ولم يتخلّص من أفات نفسه وشهواتها» على موازاة الشرط الثاني وهو إصرار الفاعل.

وقوله: «ولم يهزم الشيطان» بحذاء الشرط الثالث وهو تجويز التأثير.

وقوله: «ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وأوان عصمته» بإزاء الشرط الرابع وهو الأمن من الضرر.

والوجه في مقابلة الأولين، إنّ العلم من الصفات النفسانية وكذا هواجس الخاطر من الأمور القلبية وفي الثانيين، إنّ إتصافه بالصفات المذمومة وإتباعه للشهوات النفسانية إنما هو من أفعاله وأوصافه الراسخة وذلك في مقابلة إصرار الغير وفي الثالثين، أنّ إنهزام الشيطان وبعده عنه مما لا يجوز إمتثاله للأوامر وإنتهاءه عن المناهي وذلك في مقابلة تجويز التأثير في الغير؛ وفي الرابعين أنّ الدخول في كنف الله وعصمته يوجب الأمن من جميع الأضرار وذلك في مقابلة الأمن من الضرر عن الغير.

ثم إنه عليه السلام ذكر عشر خصال يحتاج صاحب الأمر بالمعروف إلى أن تكون الصفات له في نفسه:

أوليها: أن يكون عالماً بالحلال والحرام وإلاّ بماذا يأمر وعمّا ذا ينهى.

وثانيتها: أن يكون فرغ نفسه عن إمتثال الأوامر والأنتهاء عن المناهي.

وثالثتها: أن يكون ناصحاً للخلق من دون غرض وفائدة تعود إلى نفسه. =

= ورابعتها: أن يكون رحيماً بعباد الله باللطف والرفق وحسن البيان غير جافٍ ولا غليظ ولا سخّاب.
وخامستها: أن يكون عارفاً بتفاوت أخلاقهم بأن يأمرَ ويزجر كلاً بما يوافق حالهم وينزل كلاً منزلتهم.
وسادستها: أن يكون بصيراً بمكر النفس ومكايد الشيطان لئلا يكون أمره ونهيه مورثاً لِعُجبِ نفسه بأن يظنّ نفسه فارغاً من هذا وأنه بذلك فاق عباد الله مرتبة الأمر بالمعروف:
وسابعتها: أن يكون صابراً على ما يلحقه من الأذى في جنب الله ولا يكون ذلك الأمر والنهي لمكافأة أذاهم ولا يشكو من ذلك ولا يستعمل الحمية والعصبية ولا الغيظ والحقد لأجل نسبتهم إيّاه إلى السفه حيث يأمر وينهى.
وثامنتها: أن يجرّد نيّته في ذلك الله وإبتغاء وجهه والقربة إليه والزلفة لديه فإنه إذا كان لله تعالى فيصبر على الشّقاق ويشكر على الوفاق.
وتاسعتها: أن يفوض أمره في ذلك الأمر إلى الله ولا يخاف لومة لائم؛
وعاشرتها: أن يكون ناظراً إلى عيوبه في كلّ لحظة ولا يُبَرّىء نفسه من الإقتحام فيما ينهى عنه غيره بل كلما يأمر غيره يجب أن يأمر أولاً نفسه وإن كان مؤتمراً، وكلّما ينهى غيره ينهى أولاً نفسه وإن منتهياً.
تذييل: هذه الصفات لصاحب الأمر بالمعروف قلّما توجد في غير المعصومين، اللهم إلا في المؤمنين الممتَحنين. ولا يخفى أن قوله عليه السلام: «ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وأوان عصمته» ممّا يومي إلى ذلك كلّ الإيماء
ثم في الحديث النبويّ الوارد في جواب ثعلبة الأسدي ذكر من أمهات ذمائم القلب ثلاثة وهي الشحّ المطاع، والهوى المتبّع، والإعجاب بالنفس وترك الأصل والرأس وهو حبّ الدنيا ومعه تصير الأمهات، أربعة ووجه التركيب أن حب الدنيا وإن كان من جملة الأمّهات لكنه في الحقيقة أصل تلك الثلاثة لأن «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ولا توجد تلك الثلاثة بدونه بل هو مورثٌ لها.
وأما المنشعبات منها:
فمن حبّ الدنيا: ينشعب الغضب، والحقد، والحسد، والكبر، والغرور، والرياء. والنفاق.
=

وفي التهذيب، في باب من يحب عليه الجهاد في حديث عبد الملك بن عمرو، عنه عليه السلام في كلام طويل ما يؤيد هذا وينفع في هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وقال أبو حامد في درجات الحسبة: الدّرجة الثالثة النهي بالوعظ

= **ومن الشح**: ينشعب البخل، والحرص، والجزع، والمكر، وأمثالها.
ومن الهوى المتبع: ينشعب السرف، والإصرار، والكفران، والأمن من مكر الله، واليأس من روح الله،
ومن الإعجاب بالنفس: ينشعب الجحود، والقسوة، والجهل، والحمق، والخرق، والعجلة.
وقد ينشعب بعض منها من واحد آخر أو من إثنين أو ثلاثة أو أربعة منها كما لا يخفى.
وعلاج كل منها: بتحصيل ضدّه المحمود، كالزهد، والكرم، والبصيرة، الرافعة للأمهات؛ وكالعفة، والشجاعة، والحكمة، والرضا، والعفو، والتسليم، والتواضع، والإنتباه، والإخلاص، والسخاء، والتوكل، والتوبة، والشكر، والخوف، والرجاء، والتصديق، والرأفة، والعلم، والفهم، والرفق، والتؤدة، والصبر، وسلامة الصدر، والإنصاف، والحياء التي بإزاء تلك الفروع المنشعبة.
وبأن تتذكّر ما ورد في ذم تلك الرذائل والآفات المترتبة عليها ومدح أضداده المحمودة وتكلّف النفس على الطرف المقابل بالأفعال المستجلبة له بالإعتبار، حتى يقف على مستوى الإعتدال الذي هو الصراط المستقيم والطريق المستوي الذي يسلك بسالكه إلى الجنة ومَنْ مال عنه قليلاً هوى إلى مهواة الجحيم.
ولا يتيسر ذلك إلا بمطالعة كتب الأخلاق وأشرفها كتاب الكفر والإيمان من الكافي وكتاب مصباح الشريعة لمولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وعلى إبائه وأولاده شرائف التحيات وكرائم الصلوات والتسليمات. ولعمري أنه أعظم في هذا الباب مع اختصاره وإيجازه، وقد نقل عن الشيخ العالم زين الملّة والدين الشهيد الثاني قدّس الله روحه بالتوصية على مطالعة هذا الكتاب الشريف بحيث لا ينفك عن صحبته في حضر ولا سفر، ولقد أحسن رحمه الله في هذه الوصيه فجزاه الله أحسن العاقبة وأعاذنا وإياكم من ذمائم النفس ورزقنا وإياكم محامدها. [أسرار العبادات ص ١٥٣-١٥٨].

والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدر على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصرّ عليه بعد أن عرف كونه منكراً كالّذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على إغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوّف بالله تعالى ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، ويحكى له سيرة السلف وعادة المتّقين، وكلُّ ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل نظر إليه نظر المترحّم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقّاها فإنّها مهلكة وهي أنّ العالم يرى عند التعريف عزّ نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسّة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الّذي يعترض عليه، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلّص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلّة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلّى بحبله كلّ إنسان إلاّ من عرّفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته، فإنّ في الإحتكام على الغير لذّة للنفس عظيمة من وجهين:

أحدهما: من جهة دالّة العلم، والآخر من جهة دالّة الإحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرّياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفيّة المتداعية إلى الشرك الخفيّ وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه وهو أن يكون إمتناع ذلك الإنسان بنفسه أو بإحتساب غيره أحبُّ إليه من إمتناعه بإحتسابه فإن كانت الحسبة شاقّة عليه ثقيلة على نفسه وهو يودُّ أن يكفي بغيره فليحتسب فإنّ باعثه هو الدّين وإن كان إتّعاظ ذلك العاصي بوعظه وإنزجاره إحبّ إليه من إتّعاظه بوعظ غيره فما هو إلاّ متّبع هوى نفسه ومتوسّل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتّق الله فيه وليحتسب أوّلاً على نفسه وعند

هذا يقال له: قيل لعيسى عليه السلام: يا إبن مريم عظ نفسك فإن إتّعظت فعظ غيرك وإلاّ فاستحي منّي.

وقيل لداود الطائي: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال: أخاف عليه السوط، فقيل: إنّه يقوى عليه قال: أخاف عليه السيف قيل: إنّه يقوى عليه، قال: أخاف عليه الدّاء الدفين العجب.

أقول: بل أخاف عليه نار جهنّم لمخالفته لله سبحانه حيث قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1] وقد مرّ تمام الكلام فيه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

الباب الثالث

المنكرات المألوفة

المنكرات المألوفة في العادات

في المنكرات المألوفة في العادات نشير إلى جمل منها ليستدلّ بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها وإستقصائها.

أقول: وقد فكر أبو حامد في هذا الباب منكرات المساجد ثمّ منكرات الأسواق، ثمّ منكرات الشوارع،ثمّ المنكرات العامّة وأمّا نحن فلا حاجة بنا إلى ذكر المنكرات لأنّ عندنا أنّه لا يجوز الإحتساب من الجاهل بالمعروف عن المنكر وإنّما يجب على العارف القويّ المطاع الجامع للشرائط المعتبرة فيه، ومن كان هذه صفته لا حاجة إلى تعريفنا إيّاه المنكر على أنّ كل ما ذكره فيه أبو حامد ليس مستنداً إلى أصل صحيح وإنّما كان يبتني بعضه على أصوله الفاسدة وآرائه الكاسدة فلنطو هذا الباب طيّاً.

الباب الرابع

في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأنّ أوّله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول، ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحقّ بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما التعريف والوعظ.

وأمّا المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرّعيّة مع السلطان فإنّ ذلك يحرّك الفتنة ويهيّج الشرّ ويكون ما يتولّد منه من المحذور أكثر.

وأمّا التخشين في القول كقولك: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، وأمثاله وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرّك فتنة يتعدى شرّها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلاّ على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التعرّض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة المهجة والتعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأنّ ذلك الشهادة».

أقول: قد دريت من القرآن وأخبار أهل البيت عليهم السلام عدم جواز ذلك ونهيهم عليهم السلام عن أن يذلّ المؤمن وأن يتعرّض لما لا يطيق، وما ذكره أبو حامد من الأخبار لم يثبت وما ثبت مأوّل كما مرّ.

قال: «فطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ وكيفيّة الإنكار عليهم».

فضيلة دعاء الفرج

أقول: ما ذكره من الحكايات إنّما هو في حسبة أهل الضلال على الجبابرة طلباً لمزيد الجاه والقبول عند العامّة لشهوة خفيّة كانت فيهم ورعونة كامنة في أنفسهم ومنهم من ألقى نفسه في التهلكة وتعرّض لنهي الله سبحانه وسخطه سفهاً منه وحماقة زعماً منه أنّه ينال بذلك رتبة الشهادة، مع علمه بأنّه لا يؤثّر وعظه وإنكاره في الإرتداع بل يصير سبباً لهلاكه فلا فائدة في إيراد أمثال هذه الحكايات، مع أنّ مثل هذه الحسبة يختلف حكمه بإختلاف الأزمان والأحوال والأشخاص فلنقتصر منها على واحدة ليست عمّن هو من أمثالهم، وهي ما رواه عن إبن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكّة ونزل في دار الندوة وكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر اللّيل يطوف ويصّلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء الموذّنون فسلّموا عليه وأقيمت الصلاة فيخرج فيصلّي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللّهم إنيّ أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الظلم والطمع.

فأسرع المنصور في مشيه حتّى ملأ مسامعه من قوله ثمّ رجع فجلس ناحية من المسجد فأرسل إليه فدعاه وأتاه الرّسول فقال: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين واستلم الرّكن، وأقبل مع الرّسول فسلّم عليه، فقال له المنصور: ماهذا الّذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحقّ وأهله من الظلم والطمع وغيره، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني.

فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها وإلاّ اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على

نفسك، فقال: الّذي دخله الطمع حتّى حال بينه وبين الحقّ وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت، قال: ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي ؟ والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إنّ الله عزّ وجلّ استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وإهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصّ والآجر، وأبواباً من الحديد، وحجبة معهم السلاح، ثمّ سجنت نفسك فيها منهم، أتبعت[1] عمّالك جمع الأموال وجبايتها واتّخذت وزراء وأعواناً ظلمة إن نسيت لم يذكّروك، وإن أحسنت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلاّ فلان وفلان نفر سميّتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلاّ وله في هذا المال حقّ، فلمّا رآك هؤلاء النفر الّذين إستخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيّتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك تجبى الأموال ولا تقسمها فلمّا فعلت ذلك قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه قد سخّر لنا، فأتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلاّ ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً إلاّ أقصّوه حتّى تسقط منزلته ويصغر قدره.

فلمّا إنتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم فكان أوّل من صانعهم عمّالك بالهدايا والأموال ليتقوّوا به على ظلم رعيّتك، ثمّ فعل ذلك ذووا القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعيّة، فإمتلات بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت

(١) في الإحياء «وبعثت عمالك في جمع الأموال».

غافلٌ فإن جاء متظلّم حيل بينه وبين الدخول، وإن أراد رفع قصّته إليك عند ظهورك وحدك فقد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم.

فإن جاء ذلك الرّجل فبلغ بطانتك، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، وإن كانت للمتظلّم به حرمة وإجابة لم يمكنه ما يريد خوفاً منهم فلا يزال المتظلّم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه.

فإذا إجتهد وأُخرج وظهرتَ أنت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرّحاً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر فلا تنكر ولا تغيّر، فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟ وقد كانت بنو أُميّة وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلاّ رفعت ظلامته إليهم فينصف، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتّى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيبتدرونه ما لك؟ ما لك؟ فيرفعون ظلامته إلى سلطانهم فينتصف له، وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أُسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرّة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟ قال: أما إنّي لست أبكي على المصيبة الّتي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم بالباب يصرخ فلا أسمع صوته ثمّ قال: أما إن كان ذهب سمعي فلم يذهب بصري نودوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلاّ مظلوم، فكان يركب في طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه، هذا يا أمير المؤمنين مشركٌ بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقّته على شحّ نفسه في ملكه، وأنت مؤمن بالله وابن عمّ رسول الله ﷺ، لا تغلبنّك رأفتك بالمسلمين على شحّ نفسك، فإنّك لا تجمع الأموال إلاّ لواحد من ثلاثة إن قلت: أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمّه وماله على الأرض مال وما من مال إلاّ ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال

الله تعالى يلطف لذلك الصبيّ والطفل حتّى يعظم رغبة الناس إليه ولست الّذي تعطي بل الله يعطي من يشاء.

وإن قلت: أجمع مالي لأُشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً فيمن كان قلبك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذّهب والفضّة وما أعدُّوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرّك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلّة الجدة والضعف حتّى أراد الله بكم ما أراد.

وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية الّتي أنت فيها، ما فوق ما أنت فيه إلاّ منزلة لا تدرك إلاّ بالعمل الصالح[١] يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشدّ من القتل؟ قال: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الّذي خوّلك الله وما أنت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو الّذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فما تقول إذا إنتزع الملك الحقّ المبين ملك الدّنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيءٌ ممّا كنت فيه ممّا شححت عليه من ملك الدُّنيا؟.

فبكي المنصور بكاء شديداً حتّى نحب وإرتفع صوته ثمّ قال: يا ليتني لم أُخلق ولم أك شيئاً.

ثمّ قال: كيف إحتيالي فيما خوّلت فيه ولم أرَ من الناس إلاّ جانياً قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين، قال: ومن هم؟ قال: العلماء قال: قد فرّوا مني، قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر

---

(١) «ما فوق» «ما» نافية و«فوق» ظرف مكان أي لم يكن فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

من طريقتك ومن قبل عمّالك ولكن إفتح الأبواب، وسهّل الحجاب، وإنتصر للمظلوم من الظالم وإمنع الظالم، وخذ الشيء ممّا حلّ وطاب وأقسمه بالعدل والحقّ وأنا ضامن عمّن هرب عنك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيّتك.

فقال المنصور: اللّهمّ وفّقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذّنون فسلّموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج وصلّى بهم ثمّ قال للحُرسي: عليك بالرّجل إن لم تأتني به لأضربنّ عنقك وأغتاظ عليه غيظاً شديداً إن لم يوجد فخرج الحرسيُّ يطلب الرّجل فبينما هو يطوف فإذا هو بالرّجل يصلّي في بعض الشعاب فقعد حتّى صلّى ثمّ قال: يا ذا الرّجل أما تتقي الله؟ قال: بلى، قال: أما تعرفه؟ قال: بلى، قال: فانطلق معي [إلى الأمير] فقد آلى(١) أن يقتلني إن لم آته بك، قال: ليس لي إلى ذلك من سبيل، قال: يقتلني قال: ولا يقتلك، قال: فكيف؟ قال: تُحسِنُ تَقرأ؟ قال: لا، فأخرج من مزود كان معه رقّاً فيه مكتوب شيئاً فقال: خذ وإتركه في جيبك فإنّ فيه دعاء الفرج، قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلاّ الشّهداء، قلت: رحمك الله قد أحسنت إليّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله، قال: من دعا به مساء وصباحاً هدمت ذنوبه، ودام سروره ومحيت خطاياه، وإستجيب دعاؤه، وبسط له في رزقه وأُعطي أمله، وأُعين على عدوّه، وكتب عند الله صدّيقاً، ولا يموت إلاّ شهيداً تقول:

«اللّهُمّ كما لَطُفتَ في عَظَمَتِكَ دُونَ اللُّطَفاءِ، وعَلَوتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى العُظَماءِ، وعَلِمتَ ما تَحتَ أَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِما فَوقِ عَرشِكَ، وكانَت وَساوِسُ

---

(١) أي أقسم وحلف.

الصُدُورِ كالعَلانِيَةِ عِندَكَ، وَعَلانِيَةُ القَولِ كَالسِّرّ في عِلمِكَ، وَإنقادَ كُلُّ شَيءٍ لِعَظَمَتِكَ، وَخَضَعَ كُلُّ ذي سُلطان لسُلطَانِكَ، وَصَارَ أمْرُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ كُلُّهُ لَكَ وَبِيَدِكَ، إجْعَلْ لي مِنْ كُلِّ هَمّ أمسَيتُ فيهِ فَرَجاً وَمَخرَجاً، اللّهُمَّ أنَّ عَفوَكَ عَن ذُنُوبِي وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَسَتْرِكَ على قَبِيح عَمَلِي أطْمَعَنِي أنْ أسْألَكَ ما لا أستَوجِبُهُ مِمّا قَصَرتُ فِيهِ، أدْعُوكَ آمِناً، وَأسألك مُستَأنِساً، وإنّكَ المُحْسِنُ إلَيّ، وَإنّي المُسِيءُ إلى نَفسِي فِيما بَيْنِي وَبَيْنِكَ، تَتَوَدَّدُ إليّ وَأتَبَغَّضُ إليكَ [بالمَعاصِي]، لكِنَّ الثِّقَةَ بِكَ حَمَلَتْنِي عَلَى الجُرأةِ عَلَيكَ فَعُدْ بِفَضلِكَ وَإحْسَانِكَ عَلَيّ إنَكَ أنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ».

قال: فأخذته فصيّرته في جيبي ثمّ لم يكن لي همٌّ غير أمير المؤمنين فدخلت وسلّمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ وتبسّم وقال: ويلك تحسن السحر؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ثمّ قصصت عليه أمري مع الشيخ فقال: هات الرّق الّذي أعطاك فأعطيته فنظر إليه، ثمّ جعل يبكي ويقول: قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة الآف درهم قال: أتعرفه؟ قلت: لا، قال: يوشك أن يكون ذلك الخضر عليه السلام.

هذا آخر الكلام في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء.

الفهرس

أسرار الصلاة ومهماتها

الباب الأول: في فضائل الصلوات، والسجود، والجماعة، والأذان، وغيرها

أسرار الزكاة ومهماتها

أسرار الصوم ومهماته

أسرار الحج ومهماته

أسرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر